

جمهورية السودان
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

بحث بعنوان

(المعارف الصوتية عند المتقدمين من خلال المصطلحات التي قدموها)

دراسة تاريخية تأصيلية قرآنية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري

لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب

صفوت محمود أحمد علي سالم

إشراف

د. مبارك محمد أحمد رحمة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا بحثٌ تأصيليٌّ بعنوان :

المعارف الصوتية عند المتقدمين

من خلال المصطلحات التي قدموها

(دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري)

يكشف عن لغة الصوتيين الأوائل، ويظهر ما لهم من معارف ومصطلحات صوتية ضمن مرحلة زمنية واسعة، من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري، موظفاً معطيات العصر التقني في خدمته من رسومات توضيحية، وتحليلات طيفية، وغير ذلك من الوسائل المعاصرة.

وما مثلي فيه إلا كمثل مستكشفٍ قام برحلةٍ بحريّةٍ شاقّةٍ مع ملاحين مهرة، يمحرون به بحار الصّوت، بدءاً من كونه مادّةً أساسيةً (خام)، إلى كيفية حدوثه وإدراكه، ثم تشكّله وتقطيعه في مخارج النطق. ويوقفونه على الهيئات التي يكون عليها الصوت في تلك الأماكن، ثم إلى وصف أوضاعه مع جيرانه الذين قرّبوا منه أو بُعدوا عنه، هل يأتلف معهم، ويقبل جيرتهم أم يتباعدهم وينفر عنهم؟ ويرشدونه إلى المعالم والقواعد والقوانين الصوتية التي رسموها لإدارة دقّة الرحلة الطويلة، ويهدونه إلى المصطلحات التي عبّروا عنها في كل مرحلة.

فإذا استقام للمستكشف هذا كله عدّه نجاحاً لرحلته، وإذا كانت الأخرى فيما مصيره إلا الغرق؛ أسأل الله التوفيق والنجاة.

وتكمن خطورة المصطلحات، والعلمية منها على وجه خاص، في أهميتها البالغة في ربط ثقافة الماضي بالحاضر، وفي تلاحم الشعوب ذات اللسان الواحد، وإنّ أيّ فهمٍ خاطئ لمصطلح ما، زُجماً يوقع في طامات كانت تحتاج إلى قليل من التثبّت والتروّي، تماماً كما فعل بعض دارسي الأصوات المعاصرين مع مصطلح: (الهمس) المتوارث في تراثنا، حيث أعطوه المفهوم الغربيّ للصوت غير المجهور، والذي يُطلق على كلِّ ما لا تهتّز الأوتار الصوتية معه (Unvoiced).

هذا المفهوم، ونتيجةً لتطبيقه على مفهوم الهمس عند المتقدمين من أئمة العربية والتجويد أوصلت بعضهم إلى تقرير أن القرآن الكريم قد أصاب بعض أصواته التطور والتغير، وأن ما وصفه المتقدمون بالأمس عن الحروف العربية قد تغير نطقه من خلال ما نسمعه من أفواه القراء المجيدين. وهو قول، لو تمعن أصحابه فيه، لعلموا أن فيه اجترأً كبيراً على الوعد الإلهي المطلق القاضي بحفظ الكتاب المنزل دون تقييد لهذا الحفظ بنص مكتوب أو صوت منطوق. ومنشأ هذا الوهم يرجع في أساسه إلى تحريف كبير للدلالة الهمس، وسيأتي تفصيل ذلك. ومن هنا تكمن أهمية معرفة دلالة المصطلحات وفهمها على وجهها الصحيح الذي أراده لها وأضعوها.

ويرجع اختياري لهذا البحث على غيره من كتب التراث الصوتي من فقد التواصل معها بسبب لغتها ومصطلحاتها، وإلى لفت الأنظار إلى إمكانية إرساء علم صوتي عربي أصيل، خالٍ من الشوائب، نقي عن التشويه، بعيد عن الاستسقاء والاستشفاء من ثقافة غريبة جعلت من أهدافها أن تجمع ثقافات العالم على ثقافتها، يقول المستشرق (برنارد لويس): "إن ما تعودنا عليه في الغرب هو أن يزداد تمسكنا بمثلنا الغربية كلما ازداد اتجاه الشرقيين إلينا وذلك يجعل أنفسنا مثلاً للفضيلة والتقدم الحضاري، فإذا تشبه الشرقيون بنا فذلك جيد، والعكس يُعدُّ عندنا شراً. فالتقدم هو في محاكاتنا والتفهُرُّ والسقوط هو في عدم التشبه بنا".^(١)

إن هذه الدراسة لا تكره التجديد، كيف.. وهي تدعو إليه في كل أجزائها، "لكنها تُفضِّلُ التجديد القائم على القدرة، لا التجديد الذي يَحْتالُ للضعف والعجز".^(٢)

والكل يعلم أننا تعودنا منذ أوائل القرن الماضي أن نستقي تقييم تراثنا الصوتي من خلال ما كتبه المستشرقون عن علمائنا وتاريخنا، وأن نُسلم لهم ما يتوصلون إليه من أحكام، حتى قال قائلنا كلمته العجيبة: "ويكفي العرب فخراً في مجال الأصوات أن يشهد لهم عالمان

(١) الاستشراق والتاريخ الإسلامي، د. فاروق عمر فوزي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٣٤-٣٥.

(٢) من مقالة للدكتور على الزبيدي بعنوان "الخليل الموسيقار" مجلة المورد ١٣٩٥-١٩٧٥ مج ٤ عدد ٤ ص ٢٩.

غريبان كبيران... "(١)".

إننا لن نستطيع أن نفهم الحاضر ونقيم ثقافته وننطلق منه إلى المستقبل حتى نستقرىء الماضي ونعرف حدوده العلمية المعرفية، وغاية ما وصل إليه، ولا أدعى أن هذه الدراسة قد قامت بتغطية ذلك، بل أقول: إن هذه الدراسة محاولة على الطريق أرجو أن يكتب لها التوفيق. والتنازع بين الجديد والقديم أو الأصالة والمعاصرة معادلة أزلية وصراع قديم، ويبقى البقاء للصالح دوماً.

ومن هنا يصح لي أن أقول: إن دراسة أي تفكير علمي منظم ينشأ عنه مقولات واصطلاحات إنما هو دراسة لانفعالات أذكىء الناس إزاء ما يرونه من ظواهر تحيط بهم، وما يستفيدونه من تجارب الأمم التي سبقتهم، وقد تتفق هذه المقولات عبر تاريخ العلم الطويل، وقد تتباين، تبعاً لتنوع الرؤى وتطور التفكير، وتبعاً للمنحى العلمي العام، مما يُجتم على دارس تاريخ أي علم أن يكشف عن الوشائج والصلّات التي تربط ثقافة الحاضر بثقافة الماضي حتى يكون النظر إلى العلم الحاضر عادلاً موضوعياً، دون تهويل يجعله فوق كل علم، ودون إنقاص يُحطه عمّا له من فضل.

وتكمنُ فائدة علم اللغة المعاصر في طريقة ترتيبه الفكري، ونظرته إلى العلوم بالمنظار الكاشف، أي بتجاوزه لحدود العلم الخاص، واشتراك أكثر من علم في قضاياها مما هو مناسب للمنحى الفكري العام في العالم أعني به الاتجاه إلى التقارب الثقافي بين الشعوب.

غير أن الاتجاه إلى التقارب لا يعني أبداً الذوبان في ثقافات الغير دون اختبارها ونقدها وتمحيصها، والتأكد من نتائجها، فبعض القضايا التي تناولها علم اللغة المعاصر يحكمها أكثر من طريقة للتفكير، وربما عبّرت عن وجهة نظر أصحابها الخاصة فتبّني مثل هذه الطرائق التي هي قابلة للتغير دون التأكد من صلاحيتها في خدمة لغتنا جرياً وراء كل جديد لحريّ أن يُوجد مشكلاتٍ لسانيةٍ وأزماتٍ ثقافيةٍ لدى الدارس، فهو عبثاً يلاحق كل جديد.

(١) البحث اللغويّ عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٤، ١٤٠٢هـ =

يحتاج الأمر منا أن نقف واقية غيورة كما وقف علماؤنا الأوائل الذين استفادوا من معارف من قبلهم، غير أنهم لم ينسوا هويتهم الأصيلة التي صبغوا بها علومهم ومعارفهم؛ استثمروا معارف الأمم التي سبقتهم، ونَبَّهوا على أخطائها، وكوّنوا حضارة هي أسُّ الحضارة الحديثة.. يشهد بذلك القاضي والداني.

إن السبب الذي دعاني إلى تقديم هذه المقدمة هو كثرة التطابق العجيب في المعلومات بين ما بحثه الصوتيون المتقدمون وما قدمه علم الأصوات المعاصر مما يستحث همم الباحثين للخوض في هذا الميدان الخصب والكشف عن السبق العلمي الذي وصل إليه أسلافنا.

ولا شك أن معرفة المتقدمين الموسوعية، ومشاركتهم في أكثر من علم جعلت المعلومات الصوتية متفرقة في علوم مختلفة، كما أن عصر التخصص الحاضر حجب عنا علمهم الصوتي، وجزأ الحكم عليه، وإن تلافي ذلك يكون في النظرة الكلية لمجمل تراثنا.

وقد اقتضى نمط التفكير في عصر التخصص الحاضر أن تُفرد الأفكار الجزئية ببحوث مستقلة، وليس كذلك التراث، ومن هنا كان الفرق بين الحاضر والماضي، فليس على المتقدمين جناية في أنهم لم يعملوا بمقتضيات العصر الحديث؛ إذ إن طبيعة الموسوعية عندهم فرضت عليهم نمطاً معيناً من التفكير، أدى بهم إلى عرض كثير من الأفكار الصوتية في ثنايا كتبهم، فالواجب على الباحثين استخلاص هذه الأفكار وإبرازها وتحديثها حتى تناسب نمطية هذا العصر.

كُتِبَ الطب - مثلاً - تكشف عن معرفة العرب الطبية والتشريحية في أعضاء النطق ووظائفها.

وكُتِبَ علم الكلام والمنطق والفلسفة والموسيقى يُستشف منها معرفتهم الفيزيائية للصوت، وكيفية حدوثه وإدراكه، والتعرف على خصائص الحدث الكلامي عموماً، وقوانين وضع الألفاظ ودلالاتها، وموسيقية اللفظ، والأخذ بالوجه. (١)

(١) هو رفع الصوت وخفضه دلالة على بعض معاني الكلام، وهو مسمى قدم أطلق عليه هذا المصطلح أبو الوليد ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) ويسمى "التنغيم" حديثاً.

وكتبُ النحو والصرف والتجويد والقراءات يُقيّم من خلالها معرفتهم في مخارج الحروف وصفاتها، وأحكام تركيبها وتألفها.

وكتبُ المعاجم واللغة والبلاغة والتجويد يُستقرأ فيها مدى معرفتهم للاحتراقات والعيوب النطقية.

هذا التنوع في المصادر شكّل عبئاً كبيراً على الباحث اللغوي، إذ إنَّ استقراء المعارف الصوتية في هذه العلوم، لا يمكن أن يضطلع به الباحث اللغوي في عصر التخصص الدقيق، ولا بد للخائض في هذه العلوم من الاستعانة بأهل الاختصاص في كل فن تجنباً للمزالق الحتمية إن أُتِئ على الفهم الخاص والاجتهاد الشخصي^(١)، هذا مع التيقن الشديد أنه لا يمكن الإحاطة بمصنفات العلوم بُلّه بالفرق الواحد، فمهما بلغ الإنسان الغاية في الاستقصاء، فلا بد أن يكون قد فاته شيء كثير في العلم، لكن حسبي أني أخذت من كل فن يختص بموضوعي أهم ما فيه من الكتب.

منهج استخلاص مصطلحات الدراسة ومراجع البحث:

كان منهجي في استخلاص مصطلحات الدراسة يقوم على قراءة المصادر، واستخلاص المصطلحات منها، ووضعها في مكانها من الحاسب الآلي؛ لأن المصطلحات ليست معروضة مبدولة في هذه الكتب، فمن الكتب التي قرأتها بفضل الله تعالى:

من كتب معاني القرآن وإعرابه: معاني القرآن للقرّاء^(٢)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، وإعراب القرآن للنحاس، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه.

من كتب القرآن والرسم والوقف والابتداء: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وفضائل القرآن ولغات القرآن كلاهما لأبي عبيد، ولغات القرآن لابن حسنون، وإيضاح الوقف والابتداء لابن

(١) انظر مخاطر ترك باحثي اللغة يعملون لوحدهم في هذا النوع من العلوم في كتاب: العلم العربي وأثره في تطور العلم

العالمي، لألدوميلي، نقله إلى العربية محمد يوسف موسى وعبدالحليم النجّار، جامعة الدول العربية، ص ١٦.

(٢) وستأتي تراجم لكل هؤلاء العلماء لاحقاً في مواضعها بالبحث إن شاء الله تعالى.

الأنباري، والقطع والائتناف لأبي جعفر النحاس، والمكتفى في الوقف والابتداء، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار كلاهما للداني.

من كتب التجويد: منظومة الإمام الخاقاني في الأداء، والرعاية لمكي، والتحديد للداني، والموضح لعبد الوهاب القرطبي، والتمهيد لأبي العلاء الهمداني، ومرشد القارئ لابن القحطان الأندلسي، وبيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء لابن البناء البغدادي وغيرها.

من كتب القراءات وتوجيهها: السبعة لابن مجاهد، وإدغام القراء وما ذكره الكوفيون من الإدغام كلاهما للسيرافي، ومعاني القراءات للأزهري، والحجج الثلاثة في القراءات للفارسي، وابن خالويه، وابن زنجلة، والغاية والمبسوط كلاهما لابن مهران، والاستكمال لعبد المنعم بن غلبون، والمحتسب لابن جني، والتذكرة لطاهر بن غلبون، والمتهى لأبي الفضل الخزاعي، والهادي لابن سفيان القيرواني، والتبصرة لمكي القيسي، والروضة للمالكي، والتيسير وجامع البيان والموضح لمذاهب القراء ثلاثتها للداني، والعنوان لابن خلف، والتلخيص لأبي معشر الطبري، وتلخيص العبارات لابن بليمة، وغيرها.

من المعاجم: العين للخليل، والغريب المصنّف لأبي عبيد، والجمهرة لابن دريد، ومقاييس اللغة لابن فارس، والبارع للقيلي، وأساس البلاغة للزمخشري.

من الرسائل اللغوية: المقصور والممدود للقراء، ونوادر أبي زيد، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والأضداد لأبي حاتم، والملاحن لابن دريد، والأضداد لابن الأنباري، والزينة للرازي، ومجالس العلماء لثعلب والزجاجي وغيرها.

من كتب النحو: كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرّد، والأصول لابن السراج، والجمل للزجاجي، والإنصاف وأسرار العربية كلاهما لابن الأنباري، ونتائج الفكر للسهيبي وغيرها.

من كتب الصرف: الإبدال لابن السكيت، وما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي، والتكملة لأبي علي الفارسي، وسر صناعة الإعراب والمنصف كلاهما لابن جني.

من كتب الأدب والبلاغة والنقد وفقه اللغة: البيان والتبيين للجاحظ، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والبديع لابن المعتز، والخصائص لابن جني، والصاحبي لابن فارس، والأمالي والنوادر

وذيلها للقيالي، وسر الفصاحة للخفاجي، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كلاهما للجرجاني، ونقد الشعر لقدماء بن جعفر، والعمدة لابن رشيح القيرواني، والصناعتين للعسكري، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي.

من كتب العروض والشعر: العروض والقوافي كلاهما للأخفش، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، وما يحتمل الشعر من الضرورة للسيرافي.

من كتب الطب: في هذه الكتب اخترت منها ما يناسب بحثي فقط:

من الحاوي في الطب للرازي، ومن كامل الصناعة الطبية للمجوسي، ومن المعالجة البقراتية للطبري، ومن التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي، ومن زاد المسافر لابن الجزار، ومن القانون في الطب لابن سينا، ومن المعبر في الحكمة لابن ملكا البغدادي.

من كتب الفلسفة والمنطق: الحروف للفارابي، ومن رسائل إخوان الصفاء، ومعيان العلم للغزالي، وتلخيص كتاب النفس وتلخيص كتاب الخطابة كلاهما لابن رشد.

من كتب الموسيقى: في تحبير صناعة التأليف، وفي أجزاء خبرية في الموسيقى كلاهما للكندي، والموسيقى الكبير للفارابي، وحاوي الفنون وسلوة المحزون لابن الطحان الموسيقي.

من كتب المعارف العامة والتراجم: مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي، وطبقات اللغويين للزبيدي، ومفاتيح العلوم للخوارزمي، وإحصاء العلوم للفارابي.

والدراسة التاريخية للمصطلح ودلالته ولّد صعوبة أخرى في الكشف عن أقدم من استعمله من العلماء، ومن تابعه فيه. وكذلك فُقدان كثير من كتب الأوائل، ورواية المتأخر عنهم، أغمضَ دلالة بعض مصطلحاتهم. وستأتي أمثلة لذلك في البحث.

الدراسات السابقة على هذا البحث:

أربعة، وهي:

١- كتاب: "المصطلح الصوتي في الدراسات العربية"، للدكتور عبد العزيز الصيغ، طبعة دار الفكر بدمشق سنة ١٤٢١هـ، أصله رسالة ماجستير نوقشت في جامعة بغداد سنة ١٩٨٨م. وهو كتاب نافع، انتقى مصنّفه سبعةً وثمانين مصطلحاً صوتياً تراثياً، دار حولها الكتاب، كما أنه أشرك بعض مصطلحات دارسي علم الأصوات الغربي المعاصر وآرائهم. وجاء كتابه خالياً من الرسومات التوضيحية إلا فيما ندر. وقد خرج بنتائج مهمّة، منها: أن الدراسات المعاصرة في علم الأصوات تُغفل المصطلحات الصوتية عند العرب، وتستعمل مصطلحات مترجمة من اللغات الأخرى، ولذلك تتعدّد المصطلحات بتعدّد المترجمين، وبالتالي ينشأ خلاف حول المصطلح لا طائل تحته.

٢- كتاب: "المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر"، للدكتور عبد القادر مرعي خليل، طبع جامعة مؤتة سنة ١٤١٣هـ، انتقى مصنّفه ما يقرب من أربعين مصطلحاً صوتياً، شكلت مجمل الكتاب، في مقارنة بين أقوال المتقدمين من علماء العربية، وأقوال المستشرقين، وأقوال دارسي الأصوات المعاصرين من المؤلفين العرب، وجاء ببعض الرسومات التوضيحية فيما يخص أعضاء النطق، ويصلح هذا الكتاب كدراسة مقارنة حول الظاهرة الصوتية أكثر منها حول المصطلح، والله أعلم.

٣- كتاب: "التفكير اللساني في الحضارة العربية" للدكتور عبد السلام المسدي، طبع الدار العربية للكتاب بتونس، سنة ١٩٨١م. أصله رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة التونسية ١٩٧٩م. وهو كتابٌ عظيمٌ في مضمونه وقضاياها، معقد في لغته؛ لاستعماله أساليب لم تألفها عادات الناس اللغوية، كشف فيه مصنّفه عن الجوانب الصوتية البديعة في التراث الفلسفي عند العرب، وصدّره بكلام مهمّ مفاده أن النهضة اللاتينية قامت أساساً على مستخلصات الحضارة العربية بعد أن أقبلت على ترجمة أمهات التراث فيها، وقد عمد الغرب إبان نهضته إلى نقل علوم العرب، وذلك في ميدان العلوم الصحيحة أولاً: من رياضيات وفلك وفيزياء وكيمياء، وفي ميدان الطب ثانياً، ثم في

ميدان الفلسفة حتى كان ابن رشد مفتاح النهضة الأوروبية إلى تراث اليونان، وخاصة المعلم أرسطو، فبرزت هكذا أعلام الحضارة العربية ركائزاً للغرب في علومه ومعارفه اهـ.

وقد استفدت من هذا الكتاب كثيراً، وخاصة عند الحديث عن نشأة المصطلح ودلالته.

٤ - كتاب: "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد"، للدكتور غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود ببغداد، سنة ١٤٠٦ هـ، أصله رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة بغداد، سنة ١٩٨٥ م. اشتمل على عدد كبير من المصطلحات ضمن ثناياه، وهو من عيون البحوث الصوتية في تراث العرب التجويدي، ورافقني طوال رحلتي العلمية، وأهم نتائجه الكشف عن علم التجويد كمصدر أصيل من مصادر الدراسة الصوتية العربية.

وقد تميز بحثي هذا عمّا سبقه في أنه يكشف عن لغة الصوتيين الأوائل،

ويُظهر ما لهم من معارف ومصطلحات صوتية ضمن مرحلة زمنية واسعة، من القرن

الأول إلى القرن السادس الهجري، موظفاً معطيات العصر التقني في خدمته من

رسومات توضيحية، وتحليلات طيفية، وغير ذلك من الوسائل المعاصرة.

أبواب البحث وفصوله:

تنظم أبواب البحث وفصوله كالتالي:

التمهيد ويتضمن ما يلي:

١ - المصطلح الصوتي: تعريفه، ونشأته، وخصائصه.

٢ - دلالة المصطلح التاريخية: نموها وتطورها، توسعها وضيقها، وضوحها وغموضها مع

ضرب الأمثلة على ذلك من خلال ما استقرأته في الكتب.

٣ - مقدمة موجزة عن تاريخ العلم العربي، وهو مدخل رئيس للكشف عن تأثير العلوم

النقلية والعقلية في المصطلح الصوتي.

الدراسة التاريخية للمصطلحات الصوتية: وتشمل الباب الأول:

الباب الأول: التأثير في المصطلح الصوتي: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تأثير العلوم النقلية:

والتي شكلت أساساً متيناً للمصطلح الصوتي ما زلنا نلاحظ آثاره إلى هذا اليوم، ويمثل هذه الجهود المصطلحات والآراء الصوتية ل:

١- علماء العلوم اللغوية المعجمية ومصنفاتهم.

٢- علماء العلوم النحوية والصرفية والبلاغية ومصنفاتهم.

٣- علماء علوم القراءات والتجويد ومصنفاتهم.

وترتبط هذه العلوم فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، ويجمع مصطلحاتها ومعارفها وعلماءها وحدة ثقافية، وإن اختلفت نوعية مصنفاتها بحسب ما يخدم أهدافها.

المبحث الثاني: تأثير العلوم العقلية:

ويمثل هذه الجهود المصطلحات والآراء الصوتية ل:

١- علماء علم الكلام والمنطق ومصنفاتهم.

٢- علماء علم الطب ومصنفاتهم.

٣- علماء علم الموسيقى ومصنفاتهم.

وتعتمد هذه العلوم في ركائزها الأساسية على العلوم والمعارف القديمة من يونانية وهندية وفارسية، كما أن آثارها امتدت إلى الدرس الصوتي المعاصر، فلا نعجب إذا ما وجدنا أصول أكثر القضايا والمصطلحات التي يستعملها علماء الأصوات اليوم عند علماء هذه العلوم. وسيشار إلى هذا ضمن ثنايا البحث.

الباب الثاني: المصطلحات الصوتية.

ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: مصطلحات أعضاء النطق والاستعمال الصوتي لها.

الفصل الثاني: مصطلحات الأسس الفيزيائية والنطقية للصوت والحرف.

الفصل الثالث: مصطلحات صفات الحروف.

الفصل الرابع: مصطلحات تركيب الحروف.

الفصل الخامس: مصطلحات الاحترازات والعيوب الصوتية والنطقية.

الخاتمة، وتتضمن:

١- نتائج البحث.

٢- التوصيات.

٣- الفهارس والملاحق.

منهج عرض المصطلحات:

١- كان منهجي أن أقف على الألفاظ، وأشرح معناها لغوياً واصطلاحياً، ثم أنظر إن كان أحدٌ من العلماء استعمل أحدَ هذه الألفاظ في غير هذا المعنى فيما يعرف بالمشترك اللفظي، أو من استعمل لها لفظاً آخر بذات المعنى فيما يعرف بالمترادف، وأضم النظر إلى النظر، للخروج بفكرة كاملة عن المصطلح واستعمالاته.

فمن غمض عليه مفردة من تعريف ما فليرجع إلى الفهرس الهجائي الخاص بمصطلحات البحث وليبحث عنها هناك فسيجد مبتغاه إن شاء الله تعالى.

٢- التزمت في كل مصطلح صوتي ذكر أول من نص عليه ثم أشهر من تابعه ضمن ما اختير من مراجع البحث.

٣- وفي تفسير المصطلحات لغوياً، حاولت أن أوفق بين المعاجم على طريقة التلفيق في توضيح المعنى اللغوي، غير مشروط الترتيب الزمني المحدد في البحث (القرن السادس الهجري)، وكان اعتمادي الأكبر على كتاب مقاييس اللغة لابن فارس، لأهميته في جمع المادة اللغوية الواحدة تحت أصول كبرى تمثل المعنى العام، وهذا له أهميته الكبرى في مجال المصطلح.

وإذا قلت في المصطلح: (يدل أصله اللغوي على...)، فمعناه أن له دلالةً لغويةً واحدة.

وإذا قلت فيه: (من أصله اللغوي أن يدل على....)، فمعنى ذلك أن له أكثر من دلالة لغوية، لكنني اخترت منها ما يناسب المصطلح، وأهملت الباقي.

٤- وإذا كان للمصطلح عدة ألفاظ مترادفة قلت: (استعمل له عدة ألفاظ، منها: ...).

٥- وإذا كان المصطلح من قبيل المشترك اللفظي قلت: (من المشترك اللفظي، ...، استعمل في أكثر من معنى، منها...).

ويجب التنويه هنا إلى أنني أذكر المصطلح ذا المشترك اللفظي هو ومعانيه في أول مكان

يَرِدُ ذِكْرُهُ فِيهِ، لاكتشاف التسلسل التاريخي والتطور الدلالي له بدءاً من الأقدم إلى الأحدث، وهو أحد أهداف الدراسة الأساسية، وسأحيل على الموضوع الأول عند وروده في المواضع الأخرى مكتفياً بقول: (...: من المشترك اللفظي، تقدم).

وجمّع المعاني في موضع واحد سيكشف رحلة المصطلح على محور الزمن والخيوط الدلالية الدقيقة التي تربط بين معانيه، وإن نثر المصطلح في أماكن متفرقة سيُضَيِّعُ هذا التصور الكبير، وانظر من أمثلة هذا الارتباط مصطلح: الاعتماد.

كما أن هذه الطريقة ستحقق التسلسل المعجمي والموضوعي معاً، وتمنع من التكرار وتضخيم عدد الصفحات، فمثلاً مصطلح: (الضم) وجدت له ثلاث عشر استعمالاً صوتياً، فلا يكون مناسباً أن أذكر في كل موضع ورد فيه الأصل اللغوي والثلاثة عشر استعمالاً.

وأستثني من هذه النقطة الظواهر الكبرى التي ترتبط مع نظائر لها كظاهرة الإطباق والانفتاح لأهمية أن يتحدث عنهما جميعاً في موضع واحد، ولا يصح التفريق بينهما.

٦- وإذا كان المصطلح مركباً من كلمتين أو أكثر، قلت: (استعمل كجزء مشارك في: ...).

مثال ذلك: تعبيرهم عن اختلاس الحركة ب: (لا جزمٌ ولا تثقيل)، فالجزم والتثقيل جزءان مشاركان في التعبير عن الاختلاس.

٧- وإذا كان المصطلح له دلالة واحدة، غير أنه استعمل في أكثر من مكان، قلت: (استعمل في أكثر من موطن صوتي، منها: ...).

٨- وإذا كان المصطلح يمثل باباً كبيراً أو ظاهرة صوتية كالإدغام والإمالة قلت: (تناول المتقدمون: (... من عدة جهات، منها: ...)، وتمثل هذه الجهات مجمل المعرفة التي ذكرها المتقدمون عن هذه الظاهرة.

٩- ووضعت خلاصةً عن المصطلح العام، أو المصطلح الذي له أكثر من استعمال في بدء الحديث عنه، وجعلتها ضمن إطار لمن أراد أن يأخذ فكرة مجملة عن المصطلح، ثم فصلت بعد ذلك فيمن استعمله من العلماء، ومن تابعهم، وفي أي شيء استعمل هذا المصطلح.

١٠- وإذا وَضَعْتُ علامتي تنصيص هكذا "... فأنا أنقل قول العالم حرفياً مع ذكر الإحالة بعد هاتين العلامتين. أما إذا اكتفيت بذكر الإحالة دونهما فأنا أنقل النص، لكن مع تقديم وتأخير وزيادة ونقصان حسب ما يخدم السياق الذي قيل فيه هذا النص.

١١- وإذا وضعت معقوفتين هكذا [...] فأنا أشرح لفظة غامضة يحتاج النص إلى شرحها دون أن أزيد ثقلاً على الحاشية في تفسيرها.

١٢- وراعى في كل ذلك الاختصار والتركيز في عرض المعلومات إلا إن كان المقام يقتضى التطويل.

١٣- واستعنت بالصور في توضيح بعض المصطلحات؛ فزُبَّ إشارةً أبلغ من عبارة.

١٤- وأشارت إلى رأى علم الأصوات المعاصر في بعض المصطلحات، واضطُرَّت في بعض الأحيان إلى وضع مرادف أجنبي بين قوسين لزيادة التفهيم، وهذا من مُشكِلاتِ المصطلح الصوتي في العالم العربي، كما سيأتي في خاتمة البحث.

١٥- ونظراً لأن بحثي يتبع المنهج الوصفي التاريخي، فقد وضعت جدولاً في آخر البحث يتضمن تاريخ وفاة العلماء المذكورين فيه؛ حتى يتبين السابق واللاحق، ولأظهر تدرج المصطلح تاريخياً.

١٦- وإذا كان العالم مجهول الوفاة، وورد عنه مصطلح ما، فأنظر إلى سنة وفاتي شيخه وتلميذه، وأقدِّر له وفاةً بينهما. وإذا كانت وفاة العالم استُخدمت له عبارات نحو: بضع أو في حدود أو بعد أو قبل ونحو ذلك قدَّرتُ له وفاةً بحسب الرقم الأوسط، يعنى لو قيل بضعٌ وثمانون قدَّرتُ له وفاةً ب: ٨٥ وهكذا وذلك لأن الحاسب لا يعرف إلا الأرقام حتى يتسنى له ترتيبها.

والله حسبي وعليه اعتمادي في هذه الرحلة الشاقة التي أرجو إن انتظم عقدها وأينعتُ ثمارها أن تكون نواةً لسلسلة من الدراسات في علومنا المختلفة.

ملاحظات هامة حول أبواب الدراسة:

١-العنوان: إن استخدام كلمة: (المعارف الصوتية) هو من باب التغليب لأن أكثر المصطلحات في هذه الدراسة هي لعلماء العربية والقراءات والتجويد.

٢-إن الغرض الاساسي من الباب الأول هو الحديث عن العلاقات التاريخية المتشابكة بين العلوم المذكورة، والتي أعدها المدخل الصحيح لفهم الرحلة التاريخية للمصطلح الصوتي؛ لأن هدف الدراسة ليس مجرد تعداد مصطلحات ذُكرت في التراث وإنما هو الكشف عن اللغة الصوتية التي كانوا يكتبون ويعبرون بها، ولا شك أن تاريخ العلم الصوتي الذي تناوله الباب الأول هو الذي أفرز تلك المصطلحات.

٣-قد يخالف منهج هذه الدراسة وتقسيماتها بعضاً مما ألفه الدارسون من مناهج وتقسيمات، وخاصة لمجودي القرآن الكريم، لأني توخيتُ جمع النظر إلى النظر، وأظن أن القضية قضية إلفٍ ذهني لمنهج من المناهج لا أكثر ولا أقل، وسيجد هؤلاء أن التقسيم الذي اتبعته هو المناسب لمصطلحات الدراسة، والله الموفق.

٤-هذه الدراسة ليست في ضوء علم الأصوات المعاصر ولا في ظلّه، والمصطلحات والألفاظ التي أستعملها في إدارتها لا تلتزم بمصطلحاته، كمثل التفريق بين الصوت والحرف؛ لأن هذين المصطلحين هما من قبيل المشترك اللفظي، فاستعمل الحرف للتعبير عن الرسم الكتابي والصوت، واستعمل الصوت للتعبير عن الصوت المسموع والصوت اللغوي، وكما أن المعاصرين عنوا بالصوت اللغوي، كذلك المتقدمون عرفوا الحروف بأنها مقاطع تعرض للصوت أو هيئة عارضة للصوت، فليس ذا أولى من ذا، ولهذا راوحتُ بين استعمال المصطلحين. ومن ناحية أخرى فإن السواد الأعظم من دارسي علم التجويد والقراءات وكثيرا من غيرهم - وما أنا إلا من قومي - يستعملون مصطلح الحرف تعبيرا عن صوته، وسيأتي في التمهيد أن تغيير المواضع الصوتية يحصل بمصادفة الجماعة المتحدثة باللفظ على التغيير، وهذا التغيير لم يتعد بعد دائرة دارسي علم الأصوات المعاصر، والله أعلم .

التمهيد

التمهيد

المصطلح الصوتي:

يُعَدُّ الحديث عن اللغة ونشأة ألفاظها مدخلاً طبيعياً للحديث عن المصطلح الصوتي ودلالته، لأن المصطلح عموماً ما هو إلا لفظ من ألفاظ اللغة قد يكون ارتجالياً في أول الأمر من أحد الأفراد، ثم تَرْتَضِيهِ الجماعة المتحدثة به ليُصبح من ثوابت العلم ولوازمه، تماماً كما هو الحال مع مصطلحات سيبويه التي ضَمَّنَهَا كتابه، حيث كانت ارتجالية منه - رحمه الله تعالى - لكن أذعن لها العلماء بالقبول حتى أصبحت جزءاً من العلم الصوتي، وأصبح الخروج عنها شذوذاً عن العلم نفسه.

ومن ناحية أخرى فإن بعض المصطلحات يمر بذات المراحل التي مرت بها ألفاظ اللغة من وضع وتطور دلالي وغير ذلك من التغيرات الطارئة عليها.

وهذا التمهيد الذي أتناول فيه وضع ألفاظ اللغة ومصطلحاتها يكشف بشكل فلسفي مختصر عن خلاصة التفكير اللساني لمنظري علماء المسلمين من أصوليين وبلاغيين ومتكلمين وفلاسفة، ومدى قدرتهم على تحليل المصطلح، ونظرهم العميقة إلى كيفية نشأته ودلالته. ويبرز بشكل خاص مفهوم الاصطلاح والمواضعة عندهم، عسى أن تكون نبزاً ومعاملاً للعاملين في مجال المصطلحات.

وسأوجز ذلك في نقاط، تمثل كل نقطة عنواناً ينضوي تحته عدة أفكار، مدعماً ذلك بالنصوص المناسبة.^(١)

أولاً: اللُّغة والمواضعة:

وضع الألفاظ للمعاني إنما هو مرتبط بشكل أساسي بالتواضع والاصطلاح من أهل اللغة على أن يجعلوا هذا اللفظ لهذا المعنى، لا أن هناك تلازماً حتمياً أكيداً بين اللفظ والمعنى،

(١) أكثر أفكار هذا التمهيد ونصوصه مستخلص من كتاب التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٦ م.

وَلْيَعْدُرْنَا ابْنُ جَنِّيٍّ^(١) فَتَرْكِيْبُ الْأَلْفَاظِ اصْطِلَاحٌ وَارْتِجَالٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَلَيْسَ بِالصَّرْوَةِ أَنْ يَتَّبِعَ الْمَعْنَى، قَالَ الْفَارَابِيُّ: "فَمَحَاكَاةُ تَرْكِيْبِ الْمَعْنَى بِتَرْكِيْبِ اللَّفْظِ هِيَ مِصْطَلَحٌ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ اصْطِلَاحٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَحَاكِيَاءً لَهُ، لَا عَلَى أَنَّهُ فِي طَبَاعِ الْأَمْرِ أَنْ يَكُونَ تَرْكِيْبُهُ مِشَابَهًا لِتَرْكِيْبِ اللَّفْظِ بِالطَّبَعِ، لَكِنْ بِالِاصْطِلَاحِ، فَإِنْ مَحَاكَاةُ الْأُمُورِ الْمُتَشَابِهَةِ بَعْضُهَا بَعْضًا هِيَ مَحَاكَاةٌ بِالطَّبَعِ، وَمَحَاكَاةُ التَّرْكِيبِ فِي اللَّفْظِ لِلتَّرْكِيبِ الْمَشَارِإِلَيْهِ فِي الْمَعْنَى هُوَ بِالِاصْطِلَاحِ"^(٢).

وَيُمَثِّلُ عَبْدَ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيَّ لِذَلِكَ بِكَلِمَتِي: ضَرْبٌ وَرَبْضٌ، حَيْثُ يَصِحُّ بِالْمَوَاضِعَةِ أَنْ تَجْعَلَ (رَبْضٌ) مَكَانَ: (ضَرْبٌ)، قَالَ: "نَظْمُ الْحُرُوفِ هُوَ تَوَالِيهَا فِي النَّطْقِ فَقَطْ، وَلَيْسَ نَظْمُهَا بِمَقْتَضَى عَنِ مَعْنَى، وَلَا النَّاطِمُ لَا بِمَقْتَضَى فِي ذَلِكَ رِسْمًا مِنَ الْعَقْلِ اقْتَضَى أَنْ يَتَحَرَى فِي نَظْمِهِ مَا تَحْرَاهُ، فَلَوْ أَنَّ وَاضِعَ اللُّغَةِ كَانَ قَدْ قَالَ (رَبْضٌ) مَكَانَ (ضَرْبٌ) لَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَا يُوْدِي إِلَى فِسَادٍ"^(٣).

وَيُعَمِّقُ ابْنُ سِينَا هَذَا الْمَفْهُومَ بِقَوْلِهِ: "وَذَلِكَ أَنَّ اللَّفْظَ بِنَفْسِهِ لَا يَدُلُّ الْبَتَّةَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ لِكُلِّ لَفْظٍ حَقٌّ مِنَ الْمَعْنَى لَا يُجَاوِزُهُ، بَلْ إِنَّمَا يَدُلُّ بِإِرَادَةِ اللَّفْظِ، فَكَمَا أَنَّ اللَّفْظَ يَطْلُقُهُ دَالًّا عَلَى مَعْنَى، كَالْعَيْنِ عَلَى الدِّيْنَارِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ دَلَالَتَهُ، كَذَلِكَ إِذَا أَحْلَاهُ - فِي إِطْلَاقِهِ - عَنِ الدَّلَالَةِ بَقِيَ غَيْرَ دَالٍ"^(٤).

وَيَتَجَاوَزُ الشَّهْرَسْتَانِيُّ حُدُودَ الْأَلْفَاظِ بِقَوْلِهِ: "الْكَلَامُ لَيْسَ جِنْسًا وَنَوْعًا فِي نَفْسِهِ ذَا

(١) يَعْدُ ابْنُ جَنِّيٍّ رَائِدَ الْقَائِلِينَ بِتَلَاوُظِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فِي الْوَضْعِ، وَقَدْ اصْطَلَحَ عَلَى تَسْمِيَةِ ذَلِكَ بِاسْمِ: الْاِشْتِقَاقِ الْأَكْبَرِ، وَحَشَّدَ لِتَأْيِيدِ فَرِضِيَّتِهِ عِدَدًا مِنَ الْأَمْثَلَةِ. انْظُرْ: بَابُ تَصَاقُبِ الْأَلْفَاظِ لِتَصَاقُبِ الْمَعْنَى، وَبَابُ إِمْسَاسِ الْأَلْفَاظِ أَشْبَاهِ الْمَعْنَى فِي: الْخِصَائِصِ، لِأَبِي الْفَتْحِ عَثْمَانَ بْنِ جَنِّيٍّ (ت ٣٩٢هـ)، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ عَلِيِّ النَّجَّارِ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوتَ - لُبْنَانَ ١٤٥/٢ - ١٦٨.

(٢) شَرَحَ الْفَارَابِيُّ لِكِتَابِ أَرْسُطُوطَالِيْسٍ فِي الْعِبَارَةِ، لِأَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ (ت ٣٣٩هـ)، نَشْرَ وَهْلَمِ كُوتَشِ الْيَسُوعِيِّ وَسْتَانَلِي مَارُو الْيَسُوعِيِّ، الْمَطْبَعَةُ الْكَاثُولِيكِيَّةُ، بَيْرُوتَ، ١٩٦٠م، ص ٥٠ - ٥١.

(٣) دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ، لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيَّ (ت ٤٧٤هـ)، قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ شَاكِرٌ، مَكْتَبَةُ الْخَانِجِي، الْقَاهِرَةُ، ط ٢، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م، ص ٣٥.

(٤) التَّفَكِيرُ اللَّسَانِي فِي الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. عَبْدِ السَّلَامِ الْمَسْدِي، الدَّارُ الْعَرَبِيَّةُ لِلْكِتَابِ، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ١١١.

حقيقة عقلية كسائر المعاني، بل هو مختلف بالمواضعة والاصطلاح والتواطؤ، حتى لو توطأ قوم على نقرات وإشارات ورمزات لحصل التفاهم بها كما حصل التفاهم بالعبارات"^(١)

وهكذا يقول علم اللُّغة المعاصر: اللُّغة "تتألف من إشارات أو علامات لا يربط بينها وبين الشيء الذي تشير إليه أي رابط عضويّ أو تشابهيّ. فليس في الشجرة (الشيء الخارجي) أية علامات أو خصائص تجعل المتكلم العربي يتلفظ بكلمة "شجرة" ليدل عليها. كما أن هذه الكلمة بحدّ ذاتها لا تملك عناصر أو تراكيب تدل بشكل ما على هذا الشيء الخارجي (كالشبن مثلاً للدلالة على الأوراق الخضراء، أو الجيم للدلالة على الجذع والأغصان... الخ).

فاستعمال كلمة "شجرة" يَنْتُج عن اصطلاح جماعي اتفق عليه مجموع من الناس متكلمين. وهكذا، فإنّ العلاقة التي تَرْبُطُ بين الإشارة اللُّغوية والشيء الخارجي الذي تدل عليه هي نتيجة اتفاق رهط من الناس حول استعمالها (هذا الاتفاق يتم بالطبع خلال فترة طويلة من الزمن تخضع خلالها الإشارات اللُّغوية إلى عوامل عديدة).^(٢)

ومن الأمور المهمة التي ذكرها المتقدمون في الاصطلاح والمواضعة أن الاصطلاح على الشيء فرغ عن تصوّره وإدراكه، قال القاضي عبد الجبار: "المعتبّر في صحة المواضعة على الأسماء بأن يكون المسمّى معلوماً أو في حكم المعلوم، عُلمَ باضطرار أو باكتساب، ولذلك صح من طوائف أهل العلم عند معرفتهم بأمر هديت لهم دون متقدميهم المواضعة على أسماء لها، كما يصح ذلك في الأمور المشاهدة"^(٣).

وقال عبد القاهر الجرجاني: "المواضعة لا تكون ولا تتصور إلا على معلوم، فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم، ولأن المواضعة كالإشارة، فكما أنك إذا قلت: خذ ذاك، لم تكن هذه الإشارة لتعرّف السامع المشار إليه في نفسه، ولكن ليُعلم أنه المقصود من بين

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام، لمحمد الشهرستاني (ت ٤٨١م)، صحّحه ألفرد جيوم، بغداد، ص ٣٢٣.

(٢) علم الأصوات العام، لبسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص ١٨.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي أبي الحسن عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)، ج ٥ الفرق غير الإسلامية، تحقيق:

محمود محمد الخضير، القاهرة، ١٩٦٥ م. ج ١٦ إعجاز القرآن، تحقيق: أمين الخولي، القاهرة، ١٩٦٥ م، ١٨٦/٥.

سائر الأشياء التي تراها وتبصرها، وكذلك حكم اللفظ مع ما وُضِعَ له".^(١)

وهذا الفهم السابق ذو أهمية بالغة في وضع مصطلحات العلوم في عصرنا الحاضر؛ إذ هي تُلْزِمُ المشرِّعين اللغويين من أصحاب المجامع أن يضموا إلى جانبهم المتخصصين في العلوم الأخرى حتى يكونوا مشاركين في وضع المصطلح العلمي؛ لأنهم أقدر الناس على تصوره وإدراكه.

ثانياً: أدوات توصيل المعاني:

ذكر المتقدمون خمس أدوات تستطيع أن توصل فيها ما في نفسك إلى الآخرين، وهي: اللفظ، والخط، والرمز، والعدد، ودلالة الحال.

١- اللفظ: وهو أعلاها رتبة، قال الخفاجي: "وإنما فَرَعَ العقلاء إلى الحروف في المواضع؛ لأنها أسهل وأوسع، ومع التأمل لا يوجد ما يقوم مقامها".^(٢)

٢- الخط: قال الفارابي: "فكل ما يمكن أن يقال في الألفاظ فإنه ممكن أن يقال بعينه في الخطوط، فلما كانت الخطوط دلالتها على الألفاظ باصطلاح، كذلك دلالة الألفاظ على المعقولات التي في النفس باصطلاح ووضعٍ وشريعة".^(٣)

ومن المصطلحات التي استعملت فيها دلالة الخط مصطلح: (الياء) استعمل للتعبير عن الهمزة المرسومة على ياء، وسيأتي.

٣- الإشارة، أو الرمز: منه قول الله تعالى لذكرنا عليه السلام: ﴿قَالَ ءَأَيْتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ، قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ فجعل - سبحانه - الإشارة والرمز كلاماً.

وقال الجاحظ: "وقد يتهدد رافع السيف والسَّوْطِ ، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٥٣.

(٢) سِرُّ الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م، ص ٤٥.

(٣) شرح الفارابي لكتاب أرسطوطاليس في العبارة ص ٢٥ - ٢٦.

وعيداً وتحذيراً.

والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تُعني عن الخط... وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة^(١).

٤ - العقد: هو الحساب، فمنه معرفة الأيام والليالي والشهور.^(٢)

٥ - الحال، أو النّصبة: هي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر به، وإن كان صامتاً، فمنه قول بعضهم: سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً.^(٣)

وبعض هذه الخمسة يدرسها علم اللغة المعاصر تحت اسم: "علم العلامات"، أو "السّمِّيولوجيا".^(٤)

ثالثاً: المصطلح العلمي والتطور الدلالي:

لكي يكون هناك دلالة يجب توافر عنصرين، أحدهما يدل على الثاني، الأول يسمى بـ: (الدال)، والثاني يسمى بـ: (المدلول)، والدلالة تعني أن العلم بوجود شيء يفترض استتباع العلم بوجود شيء آخر في الذهن ملازم له، قال الجرجاني: "الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول".^(٥)

والتطور الدلالي هو استعمال جديد لألفاظ اللغة، كدهشة ذلك الأعرابي لما وقف

(١) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م، ١/٥٧.

(٢) البيان والتبيين ١/٥٨ - ٥٩.

(٣) من تفسير الجاحظ لها، البيان والتبيين ١/٥٩.

(٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٦٣، اللغة، ج. فندريس، تعريب الدواخلي والقصاص، المكتبة الفيصلية، ص ٣١ وما بعدها.

(٥) التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ص ١٠٤.

على مجلس الأخصش، فسمع كلام أهله في النحو، وما يدخل معه، فحار وعجب، وأطرق ووسوس، فقال له الأخصش: ما تسمع يا أخا العرب؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا!!".^(١)

هذا التطور الدلالي هو المولد للمواضع الجديدة، ومنها المواضع الصوتية، ويسميه المتقدمون: مجازاً واتساعاً في المعنى.

وإذا رجعنا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فإننا نجد ما توسيع الدلالة في أكثر من موطن، فمن ذلك قوله للصحابة - رضي الله عنهم - يوماً: "أتدرون ما المفلس؟"، فأحاله الصحابة - رضي الله عنهم - إلى المعنى الذي تواضعوا عليه من الإفلاس، قالوا: المفلس فينا من لا دِرْهَمَ له ولا متاع، فقال - عليه الصلاة والسلام - محيلاً لهم على حقيقة المفلس: "إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فُيِّتْ حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار"^(٢)، فالنبي صلى الله عليه وسلم وسَّعَ معنى الإفلاس من الدرهم والدينار إلى الإفلاس من الحسنات.

وأورد ابن جنِّي باباً سمَّاه: (بابٌ في إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد) ذكَّر فيه أن هذا موضع استعملته العرب، وأتبعَها فيه العلماء. والسبب في هذا الاتساع أن المعنى المراد مُفاداً من الموضوعين جميعاً، فلما آذنا به وأدبنا إليه سأمحو أنفسهم في العبارة عنه؛ إذ المعاني عندهم أشرف من الألفاظ.^(٣)

وضرب ابن جنِّي أمثلة على ذلك من المصطلحات، فقال: "وكما يعبرون بالفتح عن

(١) الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي (ت ٣٨٠هـ)، دار مكتبة الحياة، ١٣٩/٢.

(٢) صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، كتاب البر، ٤/١٩٩٧، رقم الحديث (٢٥٨١).

(٣) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ٤٦٦/٢.

النصب، وبالنصب عن الفتح ، وبالجزم عن الوقف، وبالوقف عن الجزم. كل ذلك لأنه أمرٌ قد عُرف غرضه والمعنى المعنيُّ به".^(١)

واشترط المتقدمون وجود القرينة والدليل لمعرفة هذا التحول الدلالي، فتحويل الدلالة عن المعنى الأصلي لا بد له من دليل أو قرينة تدل عليه، قال ابن حزم: "المجاز: هو في اللُّغة ما سُلِكَ عليه من مكان إلى مكان، وهو الطريق الموصل بين الأماكن، ثم استعمل فيما نُقل عن موضعه في اللُّغة إلى معنى آخر، ولا يُعلم ذلك إلا من دليل من اتفاق أو مشاهدة".^(٢)

وقد نبه المتقدمون إلى أن التحول الدلالي يجعل من اللغة سلسلة من المواضع، حتى لربما يُنسى أصل الاستعمال، وفي ذلك يقول السُّهيلي: "رَبَّ مجازٍ كَثُرَ واستعمل حتى نُسي أصله وتُركت حقيقته".^(٣)

ومما نبه عليه المتقدمون أيضاً أن وَضَعَ المصطلح العلمي يكون باختراع ألفاظ لم تُستعمل قبل ذلك، أو بتحويل الدلالة من ألفاظ استعملت في معنى إلى معنى آخر طارئ عليها، فبعد أن يُتَمَّ العالم جمع المادة العلمية، ويضم النظر إلى النظر، ويصل إلى قوانين ذلك وضوابطه تكون الحاجة ماسة إلى ألفاظ تعبر عن هذه القوانين والضوابط، حتى يسهل تعلُّمها وتعليمها.

قال الفارابي: "فَيَعْمَلُ عند ذلك أحد شيئين، إما أن يَخْتَرع ويركّب من حروفهم ألفاظاً لم يُنْطَقَ بها أصلاً قبل ذلك، وإما أن يَنْقُلَ إليهم ألفاظاً من ألفاظهم التي كانوا يستعملونها قبل ذلك في الدلالة على معانٍ أُخَرَ غيرها، إما كيف اتَّفَقَ لا لأجل شيء، وإما لأجل شيء ما.

وكل ذلك ممكن شائع، لكن الأجود أن تسمى القوانين بأسماء أقرب المعاني شبيهاً بالقوانين، بأن يَنْظُرَ أيُّ معانٍ من المعاني الأوَّلِ يوجد أقرب شبيهاً بقانون من قوانين الألفاظ،

(١) الخصائص ٤٦٩/٢.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٥٦٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الإحكام في أصول الأحكام ٤٧/١.

(٣) نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، ص ٢٩٢.

فيسمى ذلك الكلّيّ وذلك القانون باسم ذلك المعنى، حتى يؤتى من هذا المثال على تسمية جميع تلك الكليات والقوانين بأسماء أشباهها من المعاني الأول التي كانت لها عندهم أسماء^(١).

وفي ضوء كلام الفارابيّ قدم الجرجانيّ عدة تعريفات لمعنى الاصطلاح العلميّ، قريب بعضها من بعض فقال:

"١- الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول.

٢- الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما.

٣- الاصطلاح: إتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

١ الاصطلاح: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.

٢ الاصطلاح: لفظ معيّن بين قوم معيّنين^(٢).

وقد عبّر بعض المتقدّمين عن المصطلح بـ: (الترجمة)، كالسيّرافي^(٣) والفراسي^(٤) ومكي^(٥) والداي^(٦).

وتكلم المتقدّمون عن جملة من القوانين والقواعد الصوتية، رافقت حديثهم عن المصطلح، ومن أمثلة ذلك: قانون كثرة الاستعمال، وقاعدة: تدبّج الحكم، وكثير من هذه القواعد مبثوث

(١) الحروف، لأبي نصر الفارابيّ (ت ٣٣٩هـ)، حققه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) التعريفات ص ٢٨ بتصرّف.

(٣) إدغام القراء، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) تحقيق: محمد علي الرديني، دار أسامة، دمشق، ط ٢، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، ص ٥.

(٤) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي (٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ٣١٤/٤.

(٥) التبصرة في القراءات، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. محي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ٢٢٧.

(٦) جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداويّ (ت ٤٤٤هـ)، من أول الكتاب إلى أول فرش الحروف، إعداد عبدالمهيمن عبدالسلام طحّان، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ، ٨٣٨/٣.

تحت مصطلحات هذا البحث.

وهذه القواعد والقوانين التي استُخلصت من عدد كبير من الكتب يمكن الاستفادة منها نحو بناء نظرية صوتية للعلم العربي الصوتي.

رابعاً: أسباب وضع المصطلحات

هي أربعة: الحاجة والاضطرار، والتيسير، وزيادة المعرفة والظروف المتغيرة، وكثرة الاستعمال:

١- الحاجة والاضطرار:

وضع المصطلحات الجديدة بالاختراع أو بالنقل تفرضه الحاجة إلى ذلك، قال الغزالي: "أما المنقول فيُستعمل في العلوم كلها لمسيب الحاجة إليها؛ إذ واضع اللغة لما لم يتحقق عنده جميع المعاني، لم يفردا بالأسامي، فاضطرَّ غيره إلى النقل، ف: (الجوهر) وضعه واضع اللغة ل: (حجر) يعرفه الصيرفي، والمتكلم [صاحب علم الكلام] نقله إلى معنيَّ حصَّله في نفسه، وهو أحد أقسام الموجودات. وهذا مما يكثر استعماله في العلوم والصناعات"^(١).

ويعلل قدامة بن جعفر الحاجة إلى اختراع المصطلحات بقوله: "ومع ما قدمته فإني لما كنت آخذاً في استنباط معنيَّ لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماءً تدل عليها؛ احتجتُ أن أضع لِمَا يظهر من ذلك أسماءً اخترعتها - وقد فعلتُ ذلك - والأسماء لا منازعةً فيها؛ إذ كانت علامات، فإن قنع بما وضعته، وإلا فليخترع لها كلُّ من أبي ما وضعته منها ما أحبَّ، فليس ينازع في ذلك"^(٢).

٢- التيسير:

قال الفريابي عن واضعي المصطلحات، ويسمِّيهم المدبِّرون: "فهؤلاء هم الذين يتأملون الفاظ هذه الأمة، ويصلحون المختل منها، وينظرون إلى ما كان النطق به عسيراً في أول ما وضع

(١) معيار العلم في المنطق، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، شرح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، ص ٥٧.

(٢) نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٣، ص

فيسهلونه، وإلى ما كان بشع المسموع فيجعلونه لذيذ المسموع، وإلى ما عرض فيه عسر النطق عند التركيبات الذي لم يكن الأولون يشعرون به، ولا عرض في زماهم فيعرفونه أو يشعرون فيه بشاعة المسموع؛ فيحتالون في الأمرين جميعاً، حتى يسهلوا ذلك، ويجعلوا هذا لذيذاً في السمع. وينظرون إلى أصناف التركيبات الممكنة في ألفاظهم والترتيبات فيها، ويتاملون أيها أكمل دلالة على تركيب المعاني في النفس وترتيبها فيتحرّون تلك، وينبهون عليها، ويتركون الباقية فلا يستعملونها إلا عند ضرورة تدعو إلى ذلك، فتصير عندها ألفاظ تلك الأمة أفصح مما كانت، فتتكمّل عند ذلك لغتهم ولسانهم" (١).

٣- زيادة المعرفة والظروف المتغيرة:

عاملان أساسيان في استحداث المصطلحات، قال القاضي عبد الجبار الهمداني: "وقد بينا في غير موضع أنه لا بد في كل فرقة من أنها إذا انتهت في المعرفة إلى ما لم ينته أهل اللغة أن تضع للاسم المنقول عنهم لذلك على ما عرفته من التفصيل، فمتى فعل ذلك لا يكون مخالفاً لأهل اللغة، بل يكون جارياً على طريقتهم، لكنهم لما عرفوا ما لم يعرفه القوم جعلوا الاسم متناولاً له من حيث نعلم أن الذي عرفوه لو عرفه أهل اللغة لما جعلوا الاسم إلاً له" (٢).

وهذا كلام على غاية كبيرة من الخطورة والدقة، فالمواضع المستحدثة في حقل العلوم لا تحتاج إذناً من المشرع اللغوي إذا كانت تسيّر وفق أنظمة اللغة، قال أبو هاشم الجبائي: "لأن كل طائفة استحدثت آلة في صناعتها، أو وقفت على أمور فيما تتعاطاه من العلم يستحسن وضع أسماء مستحدثة لها في كل عصر وكل حال" (٣).

٤- كثرة الاستعمال:

وهو أصل كبير، وقانون عظيم في اللغة، وهو من القوانين الصوتية المهمة، وإليك ما يفعله في اللغة كما نبه عليه المتقدمون:

(١) الحروف ص ١٤٣ - ١٤٤. وقد تقدم هذا النص عند الحديث عن وضع ألفاظ اللغة.

(٢) المغني ٩٦/١٦.

(٣) أورده القاضي عبد الجبار في المغني ١٧٥/٥.

- أ- يؤدى إلى الحذف: نبه عليه كثير من العلماء. ^(١)
- ب- يؤدى إلى التغيير: سيويه ^(٢)، والفارسي ^(٣)، وابن جني ^(٤)، والداني. ^(٥)
- ت- يؤدّي إلى الإضمار لعلم المخاطب بالمضمر: سيويه. ^(٦)
- ث- يؤدّي إلى الإسكان: سيويه. ^(٧)
- ج- يعطي الشيعين حكم الشيء الواحد: الفراء. ^(٨)
- ح- يؤدى إلى تخفيف المشدد: الفراء ^(٩)، والأخفش. ^(١٠)
- خ- يلجئ إلى استعمال الألف: الزجاج ^(١)، والسيرافي ^(٢)، والرماني. ^(٣)

(١) منهم: أبو عمرو بن العلاء، نقل عنه ذلك سيويه في الكتاب ٥٠٦/٣، والخليل في العين ٣١٩/٤ و١٩٢/٨، وسيويه في الكتاب ٢٩٥/١ و١٦٢/٢، والفراء في معاني القرآن ١/١، والأخفش في معاني القرآن ٢١٤/١، والمازني في المنصف ٢٢٧/٢، وابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٦١٣، والمبرد في المقتضب ١٤٤/٢، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ١٤٨/١، وابن السراج في الأصول ٤٣١/١، وذكر في ٣٤٣/٣ أنه ليس مطرداً، والنحاس في إعراب القرآن ١٨٣/٢، والزجاجي في الحمل ص ٢٤١، والسيرافي في المطبوع من شرح كتاب سيويه ٩٣/١، وابن الأنباري في أسرار العربية ص ٢١١، وقال في الإنصاف ٧٣/١: إن أمثلته لا تحصى. والسهيلي في نتائج الفكر ص ٩٩.

(٢) كتاب سيويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ١٣١٧هـ، ٤١٤/٢.

(٣) الحجة ١٣٧/٣.

(٤) المتّصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م، ١٤٣/١.

والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: علي ناصف وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شليبي، دار سركين للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ٣٧/١.

(٥) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، نسخة المكتبة الأزهرية، القاهرة، رقم (١٠٣) ٧٦٦١ قراءات، ٢٤/أ، وجامع البيان ٩٠٥/٣.

(٦) الكتاب ٢٩٣/٢.

(٧) الكتاب ٣٤٣/٤.

(٨) معاني القرآن، ليحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار، ٩٤/١.

(٩) معاني القرآن ١٦/٢.

(١٠) معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢٢٥هـ)، تحقيق: د. عبدالأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ٢٩٧/١.

د- يؤدّي إلى تغيير الحركات: الزجاج. (٤)

ذ- يؤدّي إلى الإمالة من غير قياس: ابن خالويه (٥)، وأبو البركات ابن الأنباري. (٦)

ر- يؤدّي إلى مخالفة الأصول: ابن جني. (٧)

ز- يستبدل الأصيل بالخفيف: ابن جني. (٨)

س- يؤدّي إلى التلُّب بالكلمة، يعني تغييرها، وتقديم بعض حروفها وقلبها: ابن جني. (٩)

ومن الأشياء التي نبه عليها المتقدمون أن يُخاطب كلُّ أهل علم بما يعرفونه من مصطلحات علمهم، قال الخفاجي: "ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يُستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنشور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم، والألفاظ التي تختص بها أهل المهن والعلوم؛ لأن الإنسان إذا حاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم، وكلام أصحاب تلك الصناعة". (١٠)

وذكروا أيضاً أنه يتفاوت فهم الناس للمصطلح حسب رصيدهم المعرفي، قال

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. عبدالجليل شليبي، عالم الكتب بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ٣/١٨٣.

(٢) شرح كتاب سيبويه (القسم المطبوع منه)، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: د. رمضان عبدالنواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ١/١٠٧.

(٣) شرح كتاب سيبويه، لعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ)، نسخة في جامعة الملك سعود، الرياض، رقم الميكروفيلم (٥/٣٥٣٢)، مصورة عن المكتبة الوطنية، فيينا- لوبنشتاين، رقم ٢٤٤٢، ١٩٧٧/ب.

(٤) نقل عنه ذلك ابن خالويه في الحجة ص ١٦٤.

(٥) الحجة في القراءات السبع، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، ط ٢، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م، ص ٩٣.

(٦) الإنصاف في حل مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، ٣٩٨/١.

(٧) سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ١/٤٢٧.

(٨) المحتسب ١/٢٩٤.

(٩) المحتسب ١/١٧٠.

(١٠) سر الفصاحة ص ١٥٨.

الخفاجي: "لأن في الألفاظ مواضعة واصطلاحاً يختلف الناس في المعرفة بهما بحسب اختلافهم في معرفة اللغة، وفهم الاصطلاح والمواضعة".^(١)

وبعض العبارات والمصطلحات مهما بلغت من الدقة، لا تستطيع أن تعبر عن صفة النطق، ما لم يكن هناك كيفيةً أدائيةً تساعد على التصور، كقول الداني عن تعبيرهم عن الهمزة المسهلة بـ: "الإشارة إلى الهمزة بالصدر: وهذا لا يضبطه الكتاب"^(٢)، وكالأصل الذي وضعه ابن الطحان الموسيقي بقوله: "قد يتعذر وصف الشيء بالأخبار فضلاً عن السماع".^(٣)

خامساً: المواضعة الصوتية والتغير:

لاحظ المتقدمون أنّ أساليب الكلام تتغير في كل زمان، بحسب ما يطرأ عليه من مستجدات، وفي ذلك يقول ابن رشيقي القيرواني: "قد يخالف القديم إلى ما هو أليق بالوقت وأشكّل بأهله".^(٤)

وذكروا أنّ الاصطلاح والمواضعة قابلان للنقض، وهذا ينفي قدسيّة أي مصطلح قديم أو حديث، لكنهم جعلوا إبطاله ونقضه مشروطاً بالقبول بذلك النقض من الجماعة المتحدثة به، فلو اتفقت الجماعة اللغوية الصوتية على عدم جدوى مصطلح: (الإدغام)، وأحلت محلّه مصطلح: (الإدخال) لصحّ لهم ذلك، قال القاضي عبد الجبار: "فإذا صحّ ما قدمناه لم يمتنع أن يُوضع زيدٌ عمراً ويواطئه على أنّ الاسم المخصوص لا يستعملانه إلا ويقصدان به مسمى مخصوصاً، فيصير بمواضعتهما اسماً له، ويراد بذلك أنّه مع بقاء المواضعة والمواطأة متى أطلق أحدهما ذلك، فالمعلوم أو المظنون من حاله أنّه يريد به الأمر الأول؛ إذ

(١) سر الفصاحة ص ٢٢٦.

(٢) جامع البيان ٥٩٩/٢. والكتاب هنا بمعنى الكتابة، وهو استعمال قديم.

(٣) حاوي الفنون وسلوة الحزون، لأبي الحسين محمد بن الحسن الشهير بابن الطحان الموسيقي (ت بعد ٤٤٩ هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج ٥٢، طبع بالتصوير عن مخطوطة فنون جميلة ٥٣٩، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م، ص ٨٩.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيقي القيرواني الأزدي، (ت ٤٥٦ هـ)، دار الجيل، بيروت

– لبنان، ٣٠١/١.

كانت المواضع مطلقاً في الأوقات من غير تخصيص، ولذلك يصحُّ منهما نقض هذه المواضع وتبديلها بأخرى، وذلك يبين أن ما تواضعوا عليه يثبت مع بقاء حكم المواضع، وأنَّ نقض ذلك وإبطاله يصح".^(١)

وإذا افترضنا أن زيداً من الناس أراد أن يستبدل بمصطلح: (الإظهار) مصطلح: (الوضوح)، فإن هذه المواضع الفردية تصبح من اللغة والعلم إذا رضيتها الجماعة، وحصلت المصادقة عليها منهم، وذلك بتداوله بينهم على خط الزمن، قال القاضي عبد الجبار: "ومتى صحَّ أن يُواضع زيدٌ عمراً على جعل الكلمة المخصوصة اسماً لمسمى مخصوص لم يمتنع أن يعرف ذلك من حالهما غيرهما، فيتبعهما في المواضع ويصير لغة للجماعة".^(٢)

ومن الأمثلة الشهيرة على المواضع الفردية التي أصبحت لغة صوتية جماعية مصطلحات سيبويه في الكتاب التي شكَّلت معظم علم التجويد القرآني في القرن الخامس الهجري وما يليه إلى يومنا هذا.

وقد نبه المتقدمون إلى أن بقاء أي لفظ، قديم كان أو جديد مرهون بالممارسة الفعلية لهذا اللفظ، وإلا سيفقد هذا اللفظ دلالاته ويموت، أو يصبح من الألفاظ العصيَّة الفهم، فيدخله التحريف الدلالي، ويؤول ذلك أيضاً إلى أن يكون نسبياً منسياً.

وهذه الممارسة الفعلية للألفاظ والمصطلحات أطلق عليها المتقدمون لفظ: (القصد)، قال ابن حزم: "وأما الصوت الذي يدل بالقصد، فهو الكلام الذي يتخاطب الناس به فيما بينهم، ويتراسلون بالخطوط المعبَّرة عنه في كتبهم لإيصال ما استقر في نفوسهم من عند بعضهم إلى بعض"^(٣)، فالقصد من المتكلم شرط لقبول المواضع واستمرارها، ويوضح الخفاجي مفهوم المواضع بالقصد أنه بمثابة تشغيل الآلات، قال عن الكلام: "وهو بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم له واستعماله فيما قرره المواضع، ولا يلزم على هذا أن تكون المواضع

(١) المغني ٥/١٦٠ - ١٦١.

(٢) المغني ٥/١٦١.

(٣) التقريب لحدِّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأسئلة الفقهية، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري

(ت ٤٥٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٥٩م، ص ١٢.

لا تأثير لها؛ لأن فائدة المواضعة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلاً أن نأمر قصدناها، وفائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور، وتؤثر في كونه أمراً به، فالمواضعة تجري مجرى شحذ السكين وتقويم الآلات، والقصد يجري مجرى استعمال الآلات بحسب ذلك الإعداد".^(١) وهذه الدراسة قدمت عدداً من الألفاظ والمصطلحات التي فُقد فيها شرط القصد والممارسة الفعلية، فما كان منها إلا أن ذابت واضمحلت دلالاتها.

فبقاء المصطلح إذن مرهون بالممارسة الفعلية له، وهذا هو شرط استمرارية التواصل بين أفراد الجماعة، قال ابن حزم الأندلسي: "والوجه الثالث: إيقاع كلمات مؤلفات من حروف مقطعات مكن الحكيم القادر لها المخارج من الصدر، والحلق، وأنابيب الرئة، والحنك، واللسان، والشفتين، والأسنان، وهيئاً لها الهواء المندفَع بقرع اللسان إلى صِماخ الأذان، فيوصل بذلك نفس المتكلم مثل ما قد استبانته واستقر منها إلى نفس المخاطب، وينقلها إليه بصوت مفهوم بقبول الطبع منها للغة اتفقا عليها، فيستبين من ذلك ما قد استبانته نفس المتكلم، ويستقر في نفس المخاطب مثل ما قد استقر في نفس المتكلم".^(٢)

وهذا هو مبدأ التواصل اللغوي الذي تحتفل به كتب علم اللغة المعاصر في أول مباحثها، إذ عيّن ابن حزم المرسل (أو المتكلم)، وقناة الاتصال، والمرسل إليه (أو المخاطب). وأختم هذا الحديث عن وضع المصطلح بأمر هام ذكره المتقدمون عن ثمرة الممارسة الفعلية للمصطلحات والألفاظ بأنها سياج حصين يحميها من أي عبث في دلالاتها، **فالتعاقد الضمني بين أفراد اللغة على الألفاظ والمصطلحات يحمي من العبثية في الكلام.**

قال القاضي عبد الجبار الهمداني: "ولا يحسن استعمال العبارة المفيدة إلا على الوجه الذي وُضعت له في سائر ما تنقسم إليه من الكلام، وإلا كان المتكلم بها عابثاً أو في حكم العابث، ولذلك لا يحسن اتباع أهل اللغة في مواضعاتهم إلا بعد العلم بمقاصدهم فيما وضعوه من اللغة، فثبت بذلك أن إجراءهم الاسم المفيد لا يحسن إلا بعد العلم بفائدته، كما أن ما

(١) سر الفصاحة ص ٣٣.

(٢) التقريب لحد المنطق ص ٤.

عُلم فيه فائدة الاسم يحسُن إجراء الاسم عليه".^(١)

ويعمّق ابن حزم هذا المفهوم بقوله: "قد علمنا ضرورةً أنّ الألفاظ إنّما وضعت ليعبر بها عما تقتضيه في اللغة، وليعبر بكل لفظة عن المعنى الذي علّقت عليه، فمن أحالها فقد قصد إبطال الحقائق جملة، وهذا غاية الإفساد".^(٢)

وهذا الفهم الدقيق من المتقدمين فيه تنبيه إلى خطر من يتلاعب بالألفاظ فيما نشاهد ونرى ونسمع، ومن يعشون بدلالات اللغة لإفقاد الأمة هويتها وثقافتها، وقد ينجحون في ذلك- لا سمح الله- مع الضعف الشديد الذي نراه من أبناء اللغة، والله هو المغير لأحسن حال .. آمين.

سادساً: أنواع الألفاظ من حيث الدلالة على المعاني:

ألفاظ اللغة من حيث دلالتها أربعة أنواع: مشتركة، متواطئة، مترادفة، ومتباينة أو متزايلة.

١- المشتركة: هي اللفظ الواحد يطلق على موجودات مختلفة، كلفظ: (العَيْن)، تُطلق على: العين التي تبصر، وينبوع الماء، وقرص الشمس. ومثاله من المصطلحات مصطلح: (الفتح) استعمل في أكثر من معنى، منها: الفتح المعروف، والتفخيم، والفتح ضد الإمالة، والمد.

٢- المتواطئة: هي التي تدل على أعيان متعددة بمعنى مشترك بينهما، ومنه أسماء الأجناس، كدلالة اسم (الإنسان) على: (زيد) و (عمرو).

٣- المترادفة: هي الأسماء المختلفة الدالة على معنى يندرج تحت تعريف واحد، ك: (الخمر) و (الراح) و(العقار)، فإن المسمى بهذه يجمعه تعريف واحد، وهو: "المائع المسكر المعتصر من العنب"، والأسامي مترادفة عليه.

وهذا الفهم مهم جداً في المصطلحات الصوتية؛ إذ لكل مصطلح معنى خاص في نفسه، لكن يجمعه مع نظراء له معنى عام، كمثل التعبير عن مخرج الحرف ب: المَوْضِع، والحَيْز،

(١) المغني ٥/١٨٧.

(٢) الإحكام ١/٥٨.

والمَخْرَج، والمَقْطَع، كل هذه الألفاظ لها معانٍ في أنفسها، لكن تندرج تحت معنى عام هو مخرج الحرف.

٤ - المتباينة أو المتزايلة: وهي الألفاظ المختلفة التي تدل على معانٍ مختلفة، ك: (الفرس) و(الذهب) و (الثياب)، فليس بينها شيء من النسب التي مرت في الثلاثة السابقة.^(١) وقد وضع الإمام الشافعي أصولاً عامة- يمكن مراجعتها- تحدث فيها عن اتساع الدلالة وتخصيصها، والمترادف، والمشارك اللفظي، وكل ذلك يصلح في فهم الدلالة التاريخية للمصطلحات، خاصة في المراحل المبكرة منها، أعني: زمن الاحتجاج بكلام العرب^(٢).

سابعاً: أنواع الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات الصوتية:

١ - الألفاظ المفردة: هي التي تستقل بنفسها، وتحدّد دلالتها بلفظ واحد، كالهمس والجهر والاستعلاء والإطباق... الخ.

٢ - الألفاظ المركبة: هي المصطلحات التي لا تحدد دلالتها بنفسها، بل بحسب ما تضاف إليه، ومن هذه المصطلحات، تلقيهم الحنجرة ب: (آلة التصويت)، فأنت ترى أن كلاً من اللفظين (آلة- التصويت) يفقد دلالته على المراد إلى استقل، قال السهيلي: "اللغات ضاقت عن وضع ألقاب لجميع أنواع الأعراس، فرجعت إلى وصفها بما هو مجاز في حقها، أو بتمييز بعضها من بعض بالإضافة إلى جواهرها كقولهم: رائحة مسك، ورائحة تفاح".^(٣)

٣ - الألفاظ المثبتة والمنفية: من المصطلحات ما تحدد دلالته بطريق النفي والإثبات، ك: (الهمز)، و(ترك الهمز)، فالأول يدل على تحقيق الهمز، والثاني يدل على تخفيفها، وهذه يكشف دلالتها السياق غالباً.

٤ - ضمن جمل: قد يأتي المصطلح في صيغة المصدر، أو صيغة الفعل (الماضي والمضارع

(١) معيار العلم للإمام الغزالي ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) الرسالة، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص ٥١.

(٣) نتائج الفكر ص ٢٠٥

(والأمر)، أو كاسم مشتق، أو ضمن عبارة، أو باستعمال أداة، أو غير ذلك، وغالباً ما تكون هذه العبارات والألفاظ بمثابة إرهاصات لولادة المصطلحات.

مثال ذلك: ذكر المبرد (ت ٢٨٥هـ) أن الميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة، فلذلك تسمعهما كالنون.^(١)

ومن كلام المبرد لُقّب مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) الميم بـ: (الحرف الراجع)، قال: "الحرف الراجع، وهو الميم الساكنة، سميت بذلك؛ لأنها تُرْجَع في مخرجها إلى الخياشيم، لما فيها من الغنة، ويجب أن يشاركها في هذا اللقب النون الساكنة؛ لأنها ترجع أيضاً إلى الخياشيم للغنة التي فيها".^(٢)

ومن ذلك أيضاً تلقيب عبد الوهاب القرطبي الميم والنون والعين بـ: المُسْتَعِينَة.^(٣)

أخذ الميم من قول سيبويه عنها: "لاستعانتها بصوت الخياشيم".^(٤)

وأخذ العين والنون من قول المبرد عنهما: "كالعين التي يستعين المتكلم عند اللفظة بما بصوت الحاء... وكانون التي تستعين بصوت الخياشيم لما فيها من الغنة".^(٥)

وهذا النوع يصعب تتبعه تاريخياً؛ إذ ليس من السهل الإطلاع على كل ألفاظ العلماء الأصلية.

ومن أمثلة الأدوات التي استعملت، وكان لها دور كبير في التعبير عن المصطلح أداة (بين) استعملها المتقدمون جزءاً مشاركاً في أكثر من معنى صوتي، وبدونها لن تتحدد دلالة

(١) المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالحالقي عزيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٩م، ١/٣٣٠.

(٢) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: أحمد فرحات، دار عمار، عمان - الأردن، ط ٢، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص ١٣٨.

(٣) الموضح في التجويد، لعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، ص ٩٧.

(٤) الكتاب ٤/٤٦١.

(٥) المقتضب ١/٣٣١.

المصطلح، فمن ذلك استعمالها:

- ١- في وصف مخرج صوت الحرف عند التقاء عُضْوَي النطق، نحو: (مما بين...، ومن بين...، وما بين...).
- ٢- وصف الحروف المتوسطة: (بين الشديد والرخو).
- ٣- الحروف الفرعية، نحو: (بين القاف والكاف)، و(بين الصاد والزاي).
- ٤- تسهيل الهمزة، نحو استعمالهم: (بين بين).
- ٥- مرتبة التوسط في سرعة التلاوة، نحو استعمالهم: (بين الحدر والتحقيق).
- ٦- الترقيق، نحو استعمالهم: (بين اللفظين).
- ٧- وكذلك، الإمالة الصغرى، نحو استعمالهم: (بين اللفظين).
- ٨- الزيادة على المد الطبيعي، نحو استعمالهم: (بين المد والقصر).
- ٩- إشمام الحركات في مثل: (قيل)، نحو استعمالهم: (بين الضم والكسر).
- ١٠- اختلاس الحركة في مثل راء: (يَأْمُرُكُمْ)، نحو استعمالهم: (بين الضم والإسكان). وكلُّ من هذه العشرة المواطن المذكور في بابه.

ثامناً: مشكلات في فهم المصطلح:

- ١- اشتراك اللفظ بين مذهبين بداليتين مختلفتين:
من أظهر الأمثلة على ذلك عند المتقدمين مصطلح: (الإخفاء) في النون والميم، واختلاف دلالاته بين المذهبين: البصري والكوفي.
ومن أظهر الأمثلة على ذلك في العصر الحديث مصطلح: (الهمس) الذي اختلفت دلالاته بين أصحاب علم الأصوات المعاصر وبين المتقدمين من أهل العربية والتجويد.
وسياًتي ذكر ذلك جميعاً في مظانه.
- ٢- الخطأ في النقل، حتى وإن كان من إمام معتبر:

كوهم ابن جرير الطبري المفسر في النقل عن شيخة يونس بن عبد الأعلى (ت ٢٦٤هـ) تعبيره عن قراءة ورش في الكلمة القرآنية (فَتَخَطَّفُهُ) من قوله تعالى: (ومن يُشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطَّير..)، فأخفى هذا الوهم دلالة المصطلح.

"قال محمد بن جرير: حدثنا يونس عن ورش: (فتخطفه): مثقلة الطاء، مسكنة الخاء، مدغمة الطاء". قال الداني معلقاً: يعنى الجمع بين الساكنين.

وهذه الترجمة خطأ؛ لأن هذه الكلمة ليست فيها تاء مدغمة أصلاً؛ لأن الفعل في وزن: تَفَعَّل، مثل: تَكَلَّم، والأصل: تَخَطَّف وتكَلَّم، بتاءين، فحذفت إحداها تخفيفاً، وإنما يكون بالمدغمة في هذا الفعل، إذا كان في وزن (تَفَتَّل)، فيكون الأصل: فتخَطِّفُهُ، فتدغم التاء في الطاء، وتكون الطاء مكسورة، لا بد من ذلك؛ دلالة قاطعة على أن الفعل ليس في زنة (تفتعل)، وأنه في زنة (تفعَّل). فلا يجوز ما حكاه ابن جرير عن يونس عن ورش بوجه.

والغلط في ذلك عندي من ابن جرير لا من يونس؛ لأن فارس بن أحمد قال: حدثنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن الربيع (ح)، وحدثنا الخاقاني قال: حدثنا أحمد بن أسامة، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا يونس عن ورش عن نافع: (فَتَخَطَّفُهُ): مثقلة، وعن ابن كيسة عن سليم عن حمزة: مخففة، لم يزد على قوله (مخففة ومثقلة) شيئاً؛ يدل على موافقة الجماعة من أصحاب نافع، وأن الزيادة من ابن جرير، وهو خطأ.^(١)

والخلاصة أن ورشاً يقرأ كلمة: (فَتَخَطَّفُهُ) بسكون الخاء وتحريك الطاء لا غير، لأن لفظ: (مثقلة الطاء) معناه أن الطاء متحركة، وهذا هو أحد معاني التثقيب، وإن زيادة ابن جرير الطبري للفظ: (مدغمة الطاء) أوهمت تشديد الطاء، وأضاعت فرصة فهم لفظ: (مثقلة الطاء) فضلاً عن إضاعة كيفية قراءة ورش لهذه الكلمة.

٣- المشترك اللفظي يوقع في غموض المعنى نتيجة كثرة استعمال المصطلح في معنى دون معنى:

من أمثلة ذلك: مصطلح "التشديد"، إذ الشائع استعماله بمعنى الإدغام، لكن بعض المتقدمين

(١) جامع البيان ل ١٩٤ / ب - ١٩٥ - أ.

قد استعمله بمعنى المتحرك من الحروف.

حكى الداني في الكلمة القرآنية: (وَتَعِيَهَا): " وروى سليمان بن منصور عن سليم:

التاء: نصب، والعين: خفض، والياء: نصب **مشددة**.

قال الداني: والتشديد الذي هو إدخال حرف ساكن في حرف متحرك، ورفع اللسان

بهما رفعة واحدة لحن. وقد يجوز أن يراد به ههنا تحريك الياء، على الاتساع والمجاز، كما قال

يونس عن ورش عن نافع في قوله: (أحد عشر كوكباً) و (يَوْمَ طَعَنَكُمْ): **مشددة**.

وقال هشام عن ابن عامر: (أحد عشر) و (تسعة عشر): **مشددة**، يريدان: حركة

العين. وإذا أريد به ذلك صار اختلافاً في العبارة لا اختلافاً في القراءة." (١)

ومن أجل هذا الاختلاف في العبارات وغيرها نبه الداني على ذلك بقوله: "وذلك كله

من الاتساع الذي قد يغلط في تأويله وكيفية حقيقته كثير من الناس، لخروجه عن الاستعمال

والعادة، فلا ينبغي لذي لبّ وفهم أن يجعل اختلاف ألفاظ الناقلين في هذا ونحوه اختلافاً في

القراءة، ولا سيما إذا احتمل التأويل، بل يلزم رده إلى الإجماع، وبالله التوفيق." (٢)

فحدد الداني أن غياب الممارسة الفعلية للمصطلح يُفقدُه دلالتَه، وهو شرط: (القصد)

الذي تقدم.

٤ - خفاء دلالة العبارة على العالم المبرّز:

فمن ذلك ما ذكره ابن مجاهد عن مراد من عبّر ب: (الجزم ورفع الهاء) في: (يُرْضَه) في

قراءة ابن عامر، أي: بقصر صلة هاء الضمير، قال: "وهذا - والله أعلم - كأنه يُشْمُّ الهاء فيه

الضم من غير مبالغة." (٣)

ومن ذلك ما نقله الداني من تعليق أبي طاهر بن أبي هاشم حين أشكل عليه معنى

(١) جامع البيان لـ ٢٣٨/أ.

(٢) جامع البيان لـ ٢٣٨/أ.

(٣) كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٢،

القاهرة، ص ٢١٠.

(الإدغام) في عبارة أحد الأئمة.

قال الداني عمّن قرأ (عادلُولي) في قوله تعالي (عاداً الأولي): "وقال ابن جبير في مختصره عن اليزيدي عن أبي عمرو أنه أدغم همزة فاء الفعل". قال أبو طاهر بن أبي هاشم تعليقاً على هذه العبارة: "وهذا مما لا يُعقل".

بيّن الداني - بعد أن نقل العبارة والتعليق - أن المراد بالإدغام هنا هو حذف الهمزة من اللفظ بجامع عدم الظهور في كليهما^(١).

٥- نَقْلُ الْعَالِمِ عِبَارَةً مِّنْ تَقَدَّمَهٗ بِالْفَاظِ:

وهذا من المواضع المشكّلة جداً والتي توهم قَدَمَ بعض الألفاظ، وهذا راجع إلى نقل العالم معنى عبارة مَن تَقَدَّمَه دون نصّها، فمن ذلك قول المبرد عن سيبويه فيما تدغم فيه النون الساكنة: "وزعم سيبويه أنّها مع ما تدغم فيه مخرجها من الفم لا من الخياشيم؛ لأنها لو كانت تدغم في حروف الفم وهي من الخياشيم - مع تباعد ما بينهما - لجاز أن يدغم الأبعد في الأبعد، وهذا نَقْضُ البابِ والخروج من المعقول"^(٢).

وعبارة سيبويه في الكتاب: "وهي مع الراء واللام والياء والواو إذا أَدَغَمَتْ بَغْنَةً، فليس مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أُشْرِبَ غُنَّةً. ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تُدْغِمَهَا في الواو والياء والراء واللام حتى تصير مثلهن في كل شيء"^(٣).

ومثل ذلك ما استعمله أبو جعفر النَّحَّاس في وصف الضَّاد، ناسباً ذلك إلى الخليل وسيبويه، قال: "وزعم الخليل وسيبويه أنّ الضَّاد تخرج من الشَّقِّ اليميني، ولبعض الناس من الشَّقِّ الشَّمَال"^(٤).

(١) نقل الداني هذا التعبير عنه والتعليق عليه في المخطوط من جامع البيان ل ٢٣٠ ب/ - ٢٣١ أ.

(٢) المقتضب ١/ ٣٥٦.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٥٤.

(٤) إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط ٣،

١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، ٤/ ١٧١.

وهذا القول أصله لا ألفاظه في كتاب سيبويه^(١)، ومن عادة أبي جعفر النحاس أن يجمع اسم الخليل مع سيبويه إذا كان القول لسيبويه على اعتبار أن الكتاب من علم الخليل. وسيبويه لم يستعمل أبداً في وصفه للضاد لفظاً: (الشق) بل استعمل: (الحاقّة والجانب).

٦- عيوب طبعات الكتب التراثية:

عيوب الطبعات التي تخرج بها كتب التراث، وخطر الطبعات التجارية، يؤهّم ويُخرّف المصطلح، وأذكر مثلاً على ذلك أنني وجدت في أحد الكتب المطبوعة قولاً منسوباً إلى التابعي الجليل الإمام إبراهيم النخعي (ت ٩٦ هـ): (أنّ الفتحة نصف الألف)، وأذكر أنني احتفّلت بهذا النصّ جداً، وعجبت من هذا الفهم الدقيق في تلك المرحلة المبكرة، ولكم خاب أمني حين راجعت النص على طبعة أخرى، فإذا هو مكان (نصف): بنصب الألف، يعني بفتح الهمزة، وهو مصطلح قديم مشهور للتعبير عن الفتحة.

قال الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد في مقدمة كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني: "وهذه العيوب فاشية في مطبوعاتنا العربية وقلما يخلو منها - مع الأسف الذي يقطع نياط قلوبنا - كتاب من كتب هذه اللغة المسكينة، وبخاصة كتب أسلافنا المتقدمين، وليس من علة لانصراف الناشئة العربية - فيما نعتقد - عن هذا التراث الثمين إلا هذا التشويه الغريب الذي يُظهر الناشرون عليه كتب آبائنا الذين لم يُقصرُوا في توريثنا أعظم تراث علمي، ولم يألوا جهداً في تبرئة أنفسهم مما جعل الله في أعناقهم من ميثاق العلم أن يبينوه للناس ولا يكتموا"^(٢).

(١) الكتاب ٤/٤٣٢.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٦/١.

تاريخ موجز للعلم العربي:

التأريخ الحقيقي للعلم عند العرب يبدأ من بعثه النبي صلي الله عليه وسلم ونزول القرآن، وما انبثق عن ذلك من علوم عربية أصيلة عُرِفَتْ فيما بعد بالعلوم النقلية أو علوم الشريعة. وهذا لا يعني - بالضرورة - أن العلوم الأخرى لم تكن موجودة، كالطب والرياضيات وغيرها، لكنها كانت عند أفراد قلائل من العرب.

وأهم تطورين سياسيين أثراً على العلم بعد ذلك في تاريخ الإسلام هما:

تزامن قيام الدولة العباسية على يد أبي العباس السفاح سنة ١٣٢هـ، واستقرار أمرها عهد أبي جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ، مع قيام الدولة الأموية ثانية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨هـ، وإن تأخر أثرها الخطير في العلم إلى عهد عبد الرحمن الثاني في القرن الثالث الهجري (٢٠٦ - ٢٣٨هـ).

هذان التطوران أدّيا إلى حصول نهضة علمية شاملة في كل فنون المعرفة: النقلية منها والعقلية.

وانقسمت الثقافة - منذ العصر العباسي - إلى نوعين رئيسيين هما: الثقافة في علوم الشريعة، والثقافة في علوم العجم، كما يسميهما الخوارزمي^(١)، أو العلوم النقلية والعقلية، كما يسميهما الشهرستاني^(٢).

والعلوم النقلية أو علوم الشريعة هي: العلوم والفنون التي استحدثها المسلمون خدمة لكتاب ربهم وسنة نبيهم من تفسير، وحديث، ولغة، ونحو، وصرف، وتجويد وقراءات... الخ.^(٣)

(١) مفاتيح العلوم، لمحمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٣٨٠هـ)، دار المناهل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ص ١٣.
(٢) كتاب الملل والنحل، لأبي الفتح عبدالكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، مكتبة خياط، بيروت، انظر: على هامش الفصل لابن حزم ٣٢/١ و ٤٥/٢ - ٤٦.
(٣) العلوم النقلية: علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والأدب. انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ١٣، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف د. حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٧، ١٩٦٤م، ٣٢٣/٢.

أما علوم العجم أو العلوم العقلية فهي: العلوم التي استفادها المسلمون نتيجة احتكاكهم بثقافات الأمم المجاورة، كالطب، والرياضيات، والفلسفة، والموسيقى.. الخ.

وشكلت العلوم النقلية والعقلية رصيماً معرفياً حضارياً فريداً عنوانه: الحضارة الإسلامية.

وقد مرت هذه الحضارة في نقلها لعلوم الغير بمرحلتين أساسيتين متزامنتين هما:

١- مرحلة الترجمة ونقل معارف الأمم السابقة التي عنيت بالعلم، وهي سبع أمم: الهند والفُرس، والكِلدانيون (البابليون)، والعِبْرانيون، والروم، وأهل مصر، وأمة اليونان^(١)، التي كان لها التأثير الخطير في العلوم عند العرب.

٢- مرحلة التطوير، والتجريب، والإبداع.^(٢)

ويمكن تلخيص طريقة تعامل الحضارة الإسلامية مع الثقافات الأخرى في أربع نقاط:^(٣)

١- التفسير المباشر، أو غير المباشر لآثار العصر القديم.

٢- تنمية النظريات، والأفكار المأخوذة من الآثار القديمة، أو من شروحها، بل وتصحيح ما فيها من أخطاء، كاستدراك ابن رشد على أرسطو^(٤)، وتقييم أبي الحسن علي بن العباس لكتاب

(١) للتوسع في معارف هذه الأمم يراجع كتاب: تاريخ العلم ل: جورج سارتون (١٨٨٤-١٩٥٦م)، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م، ويعدُّونه في الغرب الأب الحقيقي لتاريخ العلوم. وانظر عن مكانة العلم العربي في تاريخ العلوم في كتاب: (العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي) ص ١٠.

(٢) كذلك الحضارة الحديثة مرت بمرحلتين أساسيتين: مرحلة النقل عن العرب، ومرحلة التطوير والإبداع، فهما كالدَّين والوفاء، لكن الفرق أن العرب لم ينكروا فضل الحضارات السابقة على علومهم، فهذا الزهراوي في كتابه العظيم: - التصريف لمن عجز عن التأليف، للطبيب أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت حوالي ٤٠٠هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج ٣١، طبع بالتصوير عن مخطوطة بشير آغا رقم (٥٠٢)، مكتبة السليمانية، استانبول، ل٥٤/أ - يعترف بمنزلة أبقراط وجالينوس في الطب العربي، بخلاف الأوربيين الذين أنكروا فضل العرب على العلم، هذا مع صطوهم على علمهم ومعارفهم، ولولا المنصفون منهم لما عرفنا ذلك.

(٣) العلم العربي وأثره في تطور العالمي لألدوميلي ص ١٤٣ بتصرف كبير.

(٤) كتاب تلخيص النفس، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت٥٥٩هـ)، تحقيق: الفردل. عبري، المكتبة العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٩٩.

أبقراط: الفصول^(١) ويعدُّ عمل البتّاني مثلاً مميّزاً للحضارة الإسلامية في تصحيح القديم، وأنها لم تكثف بنقل العلوم بشهادة الغربيين أنفسهم.^(٢)

٣- إنشاء صنوف الشروح، كشروح ابن رشد والفارابي على كتب أرسطو.^(٣)

٤- توسيع المبادئ والنظريات القديمة وبسطها، مع عرضها غالباً في صورة أكثر وضوحاً وحذفاً، وأعظم دقّة وعمقاً، كما هي أكثر إطناباً، كشرح الفارابي لكتاب أرسطو، بعد غموض أصله على ابن سينا، وقراءته له أكثر من مائة مرة.

أما خطوات التنمية والإنتاج التي خَطَّوها فقد ضاعت وتفرقت في الحشد الكبير من الكتب التي تركوها، وهذا حافظ كبير لبعث كتب التراث من مرقدها، فما يزال أغلبه مخطوطاً، والمنشور منه لا يتعدى سبعة في المائة فقط^(٤). كما أن المراجع التي أُرِّخت للعلم العربي ودَرَسَتْهُ ضئيلة جداً، وإلى الآن لا توجد - بشهادة المؤرخين للعلم - دراسة مفصلة يتجه اهتمامها بشكل خاص نحو المعارف الفعلية التي وصل إليها العلماء العرب، ونحو تطور النظريات التي وجَّهوها، وإنما جل الدراسات تتناول الجوانب الخارجية، دون دراسة المعارف ذاتها.^(٥)

(١) كامل الصناعة الطبية، لأبي الحسن عليّ بن العباس الجوسي (ت ٣٨٤هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، ١/٣ و ٦.

(٢) انظر دور البتّاني الريادي في علم الفلك في كتاب: العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي لألدوميلي ص ١٦٨.

(٣) تلخيص الخطابة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات بالكويت، ودار القلم، بيروت، فقد صهر فيه معارف أرسطو في قالب عربي أصيل، وانظر مصطلح: (الأخذ بالوجه) كمثال من أمثلة ذلك.

(٤) من كلام الدكتور يوسف زيدان خبير المخطوطات المصري من موقعه على الانترنت:

(<http://www.ziedan.com/awham/3.asp>).

(٥) ذكر ألدوميلي في كتابه: العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي ص ٥٦٣: أن أهم من بحث في المعارف الفعلية للعلم العربي جورج سارتون في كتابه: (المدخل إلى تاريخ العلوم). ويوسف هيرتل في كتابه: (المؤثرات العربية والعبرية في فن التشريح)، وهو يبحث في اصطلاحات فن التشريح الموجودة في الترجمات اللاتينية من العصور الوسطى وفي اصطلاحات عصر النهضة، وعلاقتها بالألفاظ العربية والعبرية، وقد صدر حديثاً كتاب بعنوان: موسوعة تاريخ العلوم العربية، فيه عدة من المقالات المترجمة لعلماء أوروبيين يتناولون فيه بعض المعارف العلمية عند العرب في علوم مختلفة. وانظر أيضاً: موقع: (<http://www.islamset.com>) على الانترنت، ففيه مقالات متخصصة عن دور علماء

ومن المميزات التي أدت إلى تلك النهضة الشاملة للحضارة الإسلامية أن توحيد الإسلام بين الأمم المتباينة الممالك التي ما كان لها أن تجتمع قبل مجيئة^(١) كان له الأثر الكبير في إبقاء الحضارات، وازدهار العلوم، والمزج بين الشعوب،^(٢) كما أن الروح التجريبية، والنزعة العقلية كانا سبباً مهماً في إذكاء علوم المسلمين.

تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الحديثة:

تمثل الحضارة الإسلامية بعلومها المتنوعة الركيزة الأساسية للحضارة الحديثة التي نشهدها اليوم، على الرغم من إخفاء بعض المستشرقين لهذه الحقيقة، ومحاولة الإيهام أن دور الحضارة الإسلامية يَكْمُنُ - فقط - في حفظه مصنفات الأولين، أو جزءاً منها^(٣)، كمصنفات أرسطو وجالينوس، وغيرهما من المتقدمين^(٤)، على أن هذه المزاعم ما لبثت أن تكشفت على ألسنة المنصفين منهم، " فقد ذكر (برنارد لويس) في أكثر من مكان في مؤلفاته: أن الحضارة الإسلامية لم تكن مجرد جمع آلي للثقافات القديمة؛ بل خلقاً جديداً، انبعثت فيه جميع هذه العناصر لتكوّن حضارة جديدة.

وقال المستشرق الأوروبي سيديو: لقد حاول الأوروبيون أن يقللوا من شأن العرب، ولكن الحقيقة ناصعة، وليس هناك من مفرّ إلا أن نرد للعرب ما يستحقون من عدل، إن عاجلاً أم آجلاً.

أما (دريبر) فيدين الحقد والزيغ بوضوح حين يقول: ينبغي على أن أنعي الطريقة

المسلمين في مجالات المعرفة وخاصة الطب. كما أن مكتبات العالم تزخر بألاف المخطوطات التي تطلب من ينشرها (١٦٨) فهرساً في كتاب: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١/٦٦ - ٩٠).

(١) الموسيقى الكبير، لأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (ت ٥٣٩هـ)، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبه، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص ١١٠ و ١٨٢ بتصرف.

(٢) بشهادة الغربيين أنفسهم، انظر: العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي لألدوميللي ص ١٢١ و ١٤٥ و ٣٣٩ و ٤٥٣.

(٣) العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي لألدوميللي ص ٢٣.

(٤) العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي لألدوميللي ص ٥٢. وحول هذا الزعم ألقى الدكتور عبد الرحيم حجازي محاضرة أمام المؤتمر العالمي للطب الإسلامي، فنّد فيها مزاعم المستشرقين والأوربيين، مبيناً بالشواهد العلمية فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية. انظر موقع: <http://www.islamset.com> على الانترنت.

المحكمة التي تحامل بها الأوروبيون لإخفاء مآثر المسلمين العلمية علينا. و يقيني أن هذه المآثر سوف لا تظل كثيراً بعد الآن مخفية عن الأنظار. إن الجور المبني على الحقد الديني والغرور، لا يمكن أن يستمر إلى الأبد" (١).

مميزات الحضارة الإسلامية:

تميزت الحضارة الغربية في أمور ثلاثة هي:

١- تنظيم علاقة الإنسان مع خالقه.

٢- تنظيم علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان.

٣- تنظيم علاقة الإنسان مع الكون من حوله.

فشلت الحضارة الغربية في تحقيق أي من هذه التوازنات الثلاثة، فقد أفسدت علاقتها مع ربها، بل حتى أنكرت وجوده.

وبالتالي أفسدت علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، فلم تحقق للإنسانية العدل المرجو من أي حضارة، بل العلاقة في مجملها تدور حول تحقيق المصالح وإشباع الرغبات. وأدى هذا إلى فساد علاقة الإنسان مع الكون بتسخير كثير من طاقاته لمزيد من شقاء وعبث البشرية.

أهم العوامل المؤثرة في نهضة العلم العربي:

١- الأعمال التنظيمية للدولة، كتعريب الدواوين، وبناء وتخطيط المدن التي غَدَتْ - فيما بعد - عواصم علمية كالبصرة والكوفة وبغداد.

٢- بناء المكتبات وتداول الكتب: ومن أمثلة ذلك دار الحكمة ببغداد، وابتياح الكتب واستنساخها من قِبَل الحكم الثاني. (٢)

٣- المناظرات العلمية التي كانت تُدْكَى العلم، فيما يعرف بمجالس العلماء، ومن أمثلة

(١) الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص ١٦٨ و ص ١٨٦.

(٢) العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي ص ٣٤٥.

ذلك المناظرة التي حدثت بين السيرافي وأبي بشر متى بن يونس. (١)

٤- تشجيع الخلفاء والأغنياء للعلماء وإحاطتهم بالرعاية، مما ينعكس بأثر إيجابي على العلم، ومتى حصل تشجيع للعلماء في بيئة ما وكان بها استقرار تذيب شهرة العالم ويعلو صيته. ومن أمثلة ذلك حماية الأمير مجاهد العامري للعلماء المبرزين كالمهدوي، والداني، وابن سيده، وابن عبد البر حيث عاشوا في كنفه في دانية من بلاد الأندلس. (٢)

٥- التزواج بين المسلمين والشعوب المغلوبة مهّد للتلاقح بين الثقافات. (٣)

٦- الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة البلاد الإسلامية أدى إلى تكوين حضارة علمية واحدة شاسعة الأطراف. (٤)

أسباب قوة العلم العربي العالمي:

١- كثرة الكتب المؤلفة في الفن الواحد، بل في الموضوع الواحد.

٢- الدين الإسلامي يَنْشُرُ ظلاله على الحياة المدنية والفكرية، مما يرسم العلم، ويجعل له حدوداً لا يتجاوزها، فيستشعر العالم أنه تحت ظل الرقابة السماوية، ويحصى ذلك العلم من أن يستعمل في أغراض الشر والعبث الذي نشاهد أمثلته اليوم، كالتفنن في اختراع أسلحة الدمار الهائلة، والاستنساخ وتغيير خلق الله. (٥)

(١) انظر: الإمتاع والمؤانسة ١/١٠٧.

(٢) شرح الهداية، لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي (ت نحو سنة ٤٤٠هـ)، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ص ٥٢، ومقدمة التحقيق لكتاب: الأمصار ذوات الآثار، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

(٣) انظر: العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي ص ٣٣٩.

(٤) انظر: العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي ص ٧٦.

(٥) من أمثلة الفرق الشاسع بين الغرض من صنع السلاح عند المسلمين وصنعه الحاضر قال إبراهيم بن أحمد في مقدمة كتابه: (العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع) الذي يعود للقرن العاشر الهجري: "ما قَصَدْتُ به نفعاً دنيوياً، بل الإخلاص لله تعالى راجياً أن يصل إلى جميع بلاد المسلمين؛ ليحصل به النفع، ويحصل لهم الأجر عند الله

٣- الوحدة الإسلامية متماسكة بين الشعوب بالرغم من الانفصالات السياسية أو الجغرافية. (١)

٤- التسامح الإسلامي كان له أثره في ازدهار العلوم، وإبقاء الحضارات، والمزج بين ثقافات الشعوب. (٢)

سبحانه وتعالى بتفريج المسلمين بإتقان أعمالهم، وتخويف أعدائهم الكافرين". من موقع
(www.Kuwait.net/~ioms/arabic/asc/fangry3.html).

(١) انظر: العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي ص ٣٣٨.

(٢) انظر: العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي ص ١٢١، و٣٣٩، و٤٥٣.

الباب الأول

التأثير في المصطلح الصوتي

المبحث الأول

تأثير العلوم النقلية

الباب الأول

التأثير في المصطلح الصوتي

هذا الباب يتناول العلاقات التي تربط بين العلوم المختلفة التي أُنّرت في المصطلح الصوتي من خلال دراسة أشهر العلماء الذين ساهموا في المعارف الصوتية، مظهراً بشكل جلي وواضح أن المعارف والمعلومات التي توصلوا إليها هي التي أفرزت عدداً كبيراً من المصطلحات. فيكون هذا الباب - على صغر حجمه مقارنة بالباب الثاني - بمثابة إرھاصة وتقدّمة لما وراءه من مصطلحات.

المدرستان الكبّريان في المصطلحات وعلومهما:

أ- المدرسة النقلية، وتمثلها:

١- العلوم اللغوية المعجمية.

٢- العلوم النحوية والبلاغية.

٣- علوم القراءات والتجويد.

وأشهر علمائها الصوتيين: الخليل بن أحمد، وسيبويه، والفراء، والجاحظ، والمبرد، وابن دريد، وابن مجاهد، وأبو سعيد السيرافي، وأبو علي الفارسي، وأبو علي الرماني، وابن جني، ومكي بن أبي طالب القيسي، والداني، وعبد الوهاب القرطبي، وابن الطحان الأندلسي.

ب- المدرسة العقلية (الفلسفية) المعتمدة على معارف الأمم السابقة، وتمثلها:

١- المدرسة المنطقية.

٢- المدرسة الطبية.

٣- المدرسة الموسيقية.

وأشهر علمائها الصوتيين: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد.

ولابد من التنبيه أيضاً إلى أن العلماء الذين ينصون تحت هاتين المدرستين وفروعها يمكن تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف:

١- مخترع مبتكر.

٢- منظم مستفيد وشارح لمعلومات من تقدّمه.

٣- مقلد مردّد.

هذه التقسيمات السابقة افتراضية وهمية لتسهيل عرض المعلومات، والأمر أعقد من هذا، فالتداخل الثقافي موجود قائم بين المدرستين، ومن أمثلة ذلك استعانة ابن جني في مقدمته الصوتية بما قاله الموسيقيون من أصحاب المدرسة العقلية ومصطلحاتهم كالعرض، وتبني ابن سينا لترتيب الخليل الصوتي وبعض مصطلحات سيويه كالإطباق. وسيكشف البحث - إن شاء الله - هذه النقطة من خلال المصطلحات.

المبحث الأول: تأثير العلوم النقلية:

المدرسة النقلية:

بدأت إرهابات العلم الصوتي لهذه المدرسة منذ عهد النبي ﷺ في تلقيه الدقائق الصوتية لصحابته ﷺ، ونقلهم ذلك إلى من بعدهم، فعن جبلة بن سحيم (ت ١٢٥هـ) قال: "قرأت على عبد الله بن عمر ﷺ: (لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) قال: فأخذها عليّ بالمدّ، ثم قال: قرأتها على رسول الله ﷺ كما قرأتها، فأخذها عليّ كما أخذتها عليك، وفَعَرَ فاه".^(١)

كان نقل القرآن صوتياً سنة يأخذها الآخر عن الأول جيلاً بعد جيل، وقام لحراسة هذا النقل علوم كثيرة، منها علوم النحو والصرف والبلاغة والتجويد والقراءات، وفي ظل هذه العلوم نشأ العلم الصوتي عند أصحاب هذه المدرسة.

وقد اقتضت حركة تاريخ هذا العلم أن يظهرَ في المشرق أولاً كحلقة أولى ضمن مباحث العلوم التي تقدمت، ثم اكتملت الحلقة الثانية في المغرب والأندلس، وذلك بظهور علم

(١) التمهيد في معرفة التجويد، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني (ت ٥٦٩هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار

عمار، الأردن، ط ١، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م، ١٦١.

التجويد القرآني كعلم مستقل، جُلِّ مباحثه تتعلق بأصوات الحروف في أحوالها المتعددة.

١ - العلم الصوتي في المشرق:

تنازع العلم الصوتي في المشرق مذاهب متعددة أشهرها مذهب البصرة والكوفة. وسيكون كلامي فيهما مركزاً فيما يخدم الجانب الصوتي منهما، فقد لاحظت من خلال دراستي للمصطلحات الصوتية في الكتب المنتقاة أنه من التحكم التحديد لبداية حركة فكرية أو نهاية أخرى، وأنَّ التحقيق لمعنى الانتساب لمذهب أهل البصرة أو الكوفة إنما هو بالنظر إلى اتجاه العالم في كتبه، فإذا كان العالم قد تعلم من مذهب ما وأخذ بمصطلحاته، وتكلم بآرائه حتى ولو خالفه في مسائل تابع فيها المذهب الآخر، كابن السراج في أصوله حيث استعمل مصطلحات الكوفيين مع اصطباغ الكتاب بمذهب أهل البصرة وآرائهم، أو كانت له استقلالته كالأخفش في كتبه، والمبرد في مقتضبه، فهذا لا يُخرجه عن بصريته أو كوفيته.

أما إذا كان العالم يخلط آراء المدرستين من غير تغليب، ويستعمل مصطلحات الفريقين بلا ترجيح، فهذا الذي يخلط فعلاً بين المذهبيين.

وقد استمر حال العلماء في ميلهم إلى أحد المذهبيين في كثير من العصور حتى بعد أن فقدت كُلُّ من البصرة والكوفة مكانتها العلمية والسياسية، وانتقل العلم إلى بغداد والقاهرة والأندلس والشام، بل ومن المتأخرين من تعصَّب لمذهب معين، وبالغ في رد رواية المذهب الآخر، والتشنيع عليه إلى درجة الطعن في دين علمائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.^(١)

وقد لخص ابن ولاد الخلاف بين المذهب البصري والكوفي بشكل عام، فذكر أن أنماط الخلاف تتلخص في فرع أو عبارة أو مسألة مركبة، وما عدا ذلك فهم متفقون^(٢)، ولذلك لا

(١) انظر تشنيع النحاس على الفراء في إعراب القرآن ١/٣٦٤، و١/٤٥٨، و٣/٦٠، و٤/١٦٦. ومن خلال قراءتي لإعراب القرآن للنحاس تبين لي أن أكثر المواضع التي تتبع النحاس فيها الكوفيين إنما تتبعها من قبله شيخة الزجاج في معاني القرآن وإعرابه فحذا النحاس حذوه.

(٢) انظر: كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد، لأحمد بن محمد بن ولاد التميمي (ت ٣٣٢هـ)، تحقيق: د. زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، ص ١٣٠. وذكر ابن جني في الخصائص

أرى داعياً إلى تعميق وتهيول الخلاف بين المذهبين؛ لأن التبادل الثقافي قائم بين المذهبين، ولا تجد حاجزاً يمنع البصري أن يتعلم من الكوفي أو العكس.^(١)

ولاحظت من خلال تتبعي لكتب النحو والقراءات أن أكثر كتب النُّحاة قد استأثرت بمصطلحات البصريين على حين أن أكثر كتب القراءات العراقية قد استأثرت بمصطلحات الكوفيين، وقد صرح بذلك ابن الباذش في كتابه حيث يقول: "وتجيء عبارة القراء على قول الكوفيين، وهو أكثر ما يوجد لهم".^(٢)

وقد يكون السبب في ذلك الرابطة الوثيقة بين شيوخ الكوفة وشيوخ القراء، فابن مجاهد يروي عن ثعلب عن سلمة عن أبي الحارث عن الكسائي.^(٣)

وهذا قبل ظهور كتب أهل مصر والأندلس كالتذكرة لابن غلبون وكتب مكّي والدايني وابن الباذش التي تعتمد في غالب أحكامها وتعليقاتها على علم البصريين وخاصة علم سيبويه والأخفش والمبرد وأبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني.

والذي يهمننا من ذلك في الجانب الصوتي أن هذا التعدد كَوْن نسيجاً علمياً رائعاً تمثل في كتبه علماء التجويد والقراءات في مصنفاتهم ابتداء من القرن الخامس، وحتى نهاية الفترة،

١/ ٢٠٥ أن المبرد رجح عن هذه المسائل. وللتوسع في معرفة أنماط الخلاف بين البصريين والكوفيين انظر: الخلاف بين النحويين، تأليف د. سيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م، ص ٢٧.

(١) لاحظت أن الخلاف بين المذهبين هو خلاف في الآراء ووجهات النظر، كما يختلف العالم مع زميله في الرأي، ولا يمنعه ذلك من أن يأخذ من علمه ويستفيد منه، على الرغم من شهرة أن البصريين يرفضون الأخذ عن الكوفيين، كما تذكر بعض كتب التراجم (أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٧١ وأبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين ص ١٤٣). وقد وُجد من البصريين من نقل عن الكوفيين كسيبويه في الكتاب ٤/ ٤٠٨، الأصول في النحو، لمحمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م، ١١٥/١، و ٢٩٠/١، و ٢٣٥/٢. وتعلمد ابن جني على ابن مقسّم، وسؤال السيرافي عن مذهب أبي طاهر بن أبي هاشم، كما ذكر الدايني في جامع البيان ٣/ ٨٦٣.

(٢) الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (ت ٥٤٠ هـ)، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٤٠٣ هـ، ١/ ٣٦٦.

(٣) انظر: التذكرة في القراءات الثمان، لطاهر بن عبدالمعمر بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ)، تحقيق: د. أيمن رشدي سويد، ط ١، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م، ١/ ٥٢.

وستكشف مصطلحات البحث هذا الأمر.

ومن الملاحظ على الكوفيين أنهم لا يشنّعون على البصريين رأيهم بخلاف البصريين.^(١)

ووجدت أن لفظ: (البغداديين) عند العلماء المتقدمين يُطلق في الغالب على الذين تبناوا

رأي الكوفيين لا على الذين خلطوا بين المذهبين.^(٢)

ونظراً لأنّ الخلاف بين علماء البصريين والكوفيين هو الذي انعكست آثاره على من

جاء بعدهم، فإنني أعرض في عجالة أبرز الفروق الصوتية بين الفريقين.

يتركز الخلاف الصوتي بين المذهبين البصري والكوفي في عدة نقاط، من أهمها:

١- المصطلحات، مما يدل على ذلك ما ذكره السيرافي أن الكوفيين لم يلقّبوا الحروف

كتلقيب سيويه^(٣)، وقول الزجاجي: "وإنما نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين، على

حسب ما سمعنا مما يحتج به عنهم من ينصر مذهبهم من المتأخرين، وعلى حسب ما

في كتبهم إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم، والمعنى واحد؛ لأننا لو تكلفنا حكاية

ألفاظهم بأعيانها لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة، بل لعل

ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم.

وكثير من ألفاظهم قد هدّتها من نحكي عنه مذهب الكوفيين، مثل ابن كيسان، وابن

(١) انظر أمثلة لذلك في: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري

النّحويّ (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ =

١٩٧١م، ١/٤١٧. وانظر التشنيع على الكوفيين في حكاية أبي على الفارسي مع أصحاب أبي بكر الخياط في الخصائص

٣/٣٠٠، ونقد أبي الطيب اللغوي للكوفيين في: مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغويّ (ت ٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط ٢، ص ٥١.

(٢) انظر: أدب الكتاب، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط ٢،

١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ٣٦٥، والمقتضب ١/٣٠٠، والأصول ١/٢٨٩، والمحتسب ١/١٦٦ و ٢/١٦٦ وقد صرح ابن

جني بذلك في سر صناعة الإعراب ٢/٥٤٩.

(٣) ما ذكره الكوفيون من الإدغام، لأبي سعيد السيرافيّ أيضاً (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: د. صبيح التميمي، دار البيان

العربي، جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ص ٥٩.

شقيق، وابن الخياط، وابن الأنباري، فنحن إنما نحكي علل الكوفيين على ألفاظ هؤلاء ومن جرى مجراهم، مع أنه لا زيادة في المعنى عليهم، ولا بنحس حظ يجب لهم".^(١)

٢- الجمع بين ساكنين في وسط الكلمة: منعه البصريون وأجازة الكوفيون.^(٢)

٣- إدغام الراء في اللام: منعه البصريون وأجازة الكوفيون^(٣)، مع أن أبا عمرو بن العلاء رأس المدرسة البصرية هو الذي رُوِيَ عنه الإدغام في ذلك.^(٤)

٤- الهمزة المسهَّلة: متحركة عند البصريين، ساكنة عند الكوفيين^(٥)، اللهم إلا عند أحمد بن يحيى الملقب بثعلب فهي لا ساكنة ولا متحركة.^(٦)

٥- أصل حركة همزة الوصل: الأصل عند الكوفيين الإثباع، وعند أكثر البصريين الكسر، وعند بعضهم كابن جني الإسكان.^(٧)

٦- أحكام النون الساكنة والتنوين: أربعة عند البصريين: الإظهار، والإدغام بغنة وبلا غنة، وقلب النون ميماً عند الباء، والإخفاء. وثلاثة عند الكوفيين: الإظهار، والإدغام المحض (بلا غنة)، والإخفاء (ويشمل: الإدغام بغنة، والقلب، والإخفاء).

٧- القياس حاكم عند البصريين - كما يقول المبرد^(٨) - وله سلطان عندهم حتى وصل

(١) الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، ط ٥، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) انظر: إدغام القراء للسيرافي ص ٤ و ٣٠ و ٣٧، وما ذكره الكوفيون من الإدغام، لأبي سعيد السيرافي أيضاً (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: د. صبيح التميمي، دار البيان العربي، جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ٨٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للقراء ٢٠٦/١.

(٤) انظر: إدغام القراء للسيرافي ص ٤٠.

(٥) انظر: كتاب الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٤٠٣هـ، ٣٦٦/١.

(٦) انظر: مجالس العلماء، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: أ. عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ط ٢، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ص ٩٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢٩٥/٥.

(٧) انظر: ابن الأنباري: الإنصاف في حل مسائل الخلاف ٧٣٧/٢.

(٨) المقتضب ١٧٣/٢. وانظر قول ابن أبي إسحاق ليونس بن حبيب بترك اللغات والتزام القياس في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٥/١. وانظر عدم اعتدادهم بالشواذ في العروض للأخفش ص ١٢٨ والحجة للفارسي ٣٧٧/٢.

الأمر بأحد علمائهم أن لحنَّ العربي الصريح في لغته ولقَّنه القياس^(١)، لكننا لا نجد ذلك الأمر عند الكوفيين، قال الزبيدي عن الإمام ثعلب: "لم يكن ثعلبٌ مُستخرجاً للقياس، ولا مطالباً له"^(٢)، غير أن عناية البصريين بالقياس وجمع النظير إلى النظير، جعلت علمهم الصوتي مجموعاً منظم المسائل بخلاف الكوفيين، وشيخُ الصنعة في ذلك سيويه بلا منازع.^(٣)

٨- مذهب الكوفيين الصوتي عام لا يلتفت لخصائص الحروف^(٤)، بخلاف مذهب البصريين الذي يتناول الدقائق الصوتية لأصوات الحروف.

٩- مذهب الكوفيين في الإدغام قليل لا يستوعب الحروف.^(٥)

١٠- لم يصنف الكوفيون الحروف على ما صنّفه سيويه، ولم يعرضوا لما قسّمه وهذّبّه.^(٦)

١١- لا تجد عند متقدمي الكوفيين كالكسائي والفراء شيئاً من صفات الحروف، كالجهر والهمس والاستعلاء والاستفال وغيرها، إنما وجدت هذه الصفات عند متأخري الكوفيين بعد ظهور كتاب سيويه.^(٧)

أهم العلماء في المشرق:

هم أصحاب هذا الفن وواضعوا أسسه، وإليك أبرز علمائهم.

(١) كتاب القوافي، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م، ص ٥٣.

(٢) طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٢، ص ١٤١.

(٣) انظر مصطلح: (التقريب) مثلاً على ذلك.

(٤) انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ص ٧١.

(٥) انظر: ما ذكره الكوفيون في الإدغام للسيرافي ص ٥٩.

(٦) انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ص ٥٩، والموضح في التجويد ص ٧٧.

(٧) يُعدُّ أبو بكر ابن الأنباري من علماء الكوفيين المتأخرين الذين استفادوا من معارف البصريين والكوفيين معاً، ففي كتابه إيضاح الوقف والابتداء استعمل مصطلحات صوتية انفرد بها البصريون دون الكوفيين، كالجهر والهمس. أما الشرح والتعليل للظواهر الصوتية فلا نجد أنه متعصب لأهل الكوفة على أهل البصرة- كما هو مشهور في كتب التراجم- وتظهر شخصيته المستقلة في الكتاب كإمام متميزٍ مُعتَبَرٍ.

الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ مذهبي البصرة والكوفة (١٠٠ - ١٧٠هـ):

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعظم علماء العرب من الصوتيين، وتخرنا كتب التراجم إجماع أهل الأمصار على أن الخليل هو مفتاح العلوم ومصرفها، وأنه لم يكن للعرب بعد الصحابة أدكى منه ولا أجمع، وأنه منقطع القرين، وأنه من شهرته ضرب العلماء والشعراء به الأمثال. (١)

كان - رحمه الله - مطلعاً على عدة علوم؛ الرياضيات والطب والموسيقى ناهيك عن النحو والصرف واللغة والعروض، مما يدل على ثقافته الواسعة، وقد وردت في معجمه شذرات تدل على ذلك. (٢)

ألف الخليل معجم العين بعيداً عن البصرة في خراسان، عند تلميذه الليث بن المظفر بن نصر بن سيار، راوي الكتاب، وظل هذا المعجم مطويماً مخبأً لم ير النور، وتأخر ظهوره في البصرة إلى سنة ٢٤٣هـ، أي بعد وفاة الخليل وسيبويه بما يقرب من ستين سنة.

كانت الدولة عند ظهور معجم العين لكتاب سيبويه الذي أرسى منهجاً كاملاً شاملاً للغة العربية بأصواتها ونحوها وصرفها.

وتخرنا كتب التراجم أن البصريين - ممن هم على منهج سيبويه - قد دفعوه أشد الدفع، وأنكروا أن يكون هذا المعجم للخليل، وكان من حُجَجِهِم أن في العين من القضايا والآراء والمصطلحات ما يخالف ما عندهم من كتاب سيبويه. (٣)

كان هذا الإنكار من علماء البصريين ضربة مؤلمة وُجِّهت للعين حجبت الناس زمناً من الاستفادة منه، غير أنه لقيته العلمية الكبيرة استعاد مكانته من جديد فاتخذه بعض كبار اللغويين أصلاً كابن دُرَيْدٍ في الجمهرة، والأزهري في تهذيب اللغة، وابن فارس في مقاييس اللغة.

(١) انظر: مراتب النحويين ص ٥٥ و ٦٧ - ٦٨.

(٢) انظر: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، ٣/٤٠٩ و ٤/٤٦٨ و ٥/٣٠٦ و ٦/٣ و ٨/٤٨ و ١١٥.

(٣) انظر: الخصائص ٣/٢٨٨ و ١٩٧، وسر صناعة الإعراب ٢/٥٦٨.

قال ابن دريد: "ولم أُجرِ في إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء بعلمائنا، ولا الطعن في أسلافنا، وأني يكون ذلك؟! وإنما على مثالهم نحتدي، وبسبلهم نقتدي، وعلى ما أصَّلوا نبتني". وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفَرَّهَوْدِي - رضوان الله عليه - كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وَعَنَى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده تبع، أقر بذلك أم جحد، ولكنه - رحمه الله - ألف كتاباً مُشاكِلاً لثقوب فهمه، وذكاء فطنته، وحده أذهان أهل دهره".^(١)

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - ترتيب الخليل للأصوات استفاد منه سيبويه في الكتاب، وابن دُرَيْدٍ في الجمهرة، والرازي في الزينة، وابن جني في كتابه: (سر صناعة الإعراب) حيث زواج بين كلام الخليل ومصطلحاته وألقابه وما ذكره سيبويه في كتابه، وتَبَعَ ابن جني بعد ذلك أهل التجويد كمكي في الرعاية، والدايني في التحديد، والقرطبي في الموضح، وأبي العلاء الهمداني في التمهيد. وستكشف مصطلحات البحث هذا التسلسل التاريخي.

٢ - اخترع علم العروض، ووضع نظامه وألقابه، ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الأخفش قال: "سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض: لم سميت الطويل طويلاً؟ قال: لأنه طال بتمام أجزائه، قلت: فالبسيط؟ قال: لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه: فَعِلُنْ وآخره: فَعِلُنْ... الخ".^(٢)

٣ - تبديل النظام العلاميّ النقطي الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي بنظام أسهل منه وأكثر تطوراً، لعلل صوتية أتخذها لذلك، فعلامه الهمزة، والحركات، والتشديد، والروم، والإشمام كلها من وضع الخليل.^(٣)

٤ - تضمن معجم العين لمصطلحات وشروحات تكشف عن أصول مصطلحات سيبويه

(١) جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزديّ البصريّ، الشهير بابن دريد (ت ٣٢١هـ)، دار صادر، بيروت ٣/١.

(٢) انظر هذا الخبر، وتمام الألقاب في العمدة لابن رشيقي ١٣٦/١.

(٣) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق:

محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص ١٢٩.

الصوتية الكتاب، ك: (الحروف المُشْرَبَة)، و(الاعتماد). وهذا يبين العلاقة الوثيقة بين كلام سيبويه في الكتاب وبين كلام الخليل في العين، مما يؤكد ضرورة أن يدرس الكتابان معاً إذا أريد معرفة أسرار العمل المعرفي المنظم بكامل مستوياته المعجمية، والصوتية، والنحوية، والصرفية، والدلالية عند المتقدمين.

٥- الخليل شق طرقاً في الاشتقاق وعلاقة الصوت بالمعنى، بنى عليها من بعده.^(١)

٦- وضع الخليل رسالتين في النغم والإيقاع، كما يقول ابن النديم^(٢)، وإلى الآن لم يُدرَس هذا الجانب عند الخليل، ويدخل ضمنه "الكشف عن العلاقات الوثيقة أو الجسور التي تصل علم العروض الذي اخترعه بالدراسات المنظمة التي قام بها في الموسيقى والغناء، وبالأصول التي وضعها في هذا المضمار، وكيف استفاد من خبرته ومعرفته وتجاربه العملية والنظرية لخدمة كلا العِلْمين، أعني العروض والموسيقى، وإعداد أول وأقدم الدراسات عن أصولهما وأحوالهما".^(٣)

٧- أشار الخليل إلى أن اللغة العربية تعتمد النظام المقطعي في نطق أصواتها، أي لا ينطق صوت صحيح مجرداً عن حركة أو حرف مد، وهذا النظام هو الذي استعمل في وصف الأصوات.

٨- من منهج العين أن الخليل كان يستخدم أكثر من مصطلح للشيء الواحد، فهو دائم الاختراع والتجريب، ويرجع ذلك إلى معرفته الواسعة باللغة، إضافة إلى عبقريته وذكائه النادر في وضع كل شيء في موضعه، ومن أمثلة ذلك: (الإدغام) استخدم له الخليل: (الأنحاء، واللفيف، والإدغام)، وكذلك في الإمالة استخدم مصطلح: (الإجناح، والإمالة)، وفي المخارج استعمل: (المخارج، والمواضع، والأحياز، والمبادئ، والمدارج).

(١) انظر من أمثلة علاقة الصوت بالمعنى في العين ١/٥٥، و٣/٣٤١، و٤/١٠٧، و٥/٧٠. وقد استفاد من ذلك ابن جني في بابين عملهما في الخصائص ٢/١٥٢ و١٦٨.

(٢) انظر: الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ص ٦٦. وانظر أيضاً شهادة إسحاق الموصلي شيخ الموسيقيين في عصره للخليل بمعرفته بهذه الصناعة (طبقات النحويين واللغويين ص ٤٩).

(٣) من مقالة الدكتور علي الزبيدي بعنوان "الخليل الموسيقار" بمجلة المورد ١٣٩٥-١٩٧٥ مج ٤ عدد ٤ ص ٢٣.

٩- في العين من الدقائق الصوتية ما لا تجده في غيره اللهم إلا عند سيبويه، كتعريفه للهمس الذي قارب فيه من مفهوم الهمس عند المعاصرين.

سيبويه شيخ المذهب البصري (١٤٨ - ١٨٠هـ):

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه، أعظم علماء العربية وصاحب السبق فيها، ومؤسس علم البصريين.

بلغ من مكانة كلامه أن بعض العلماء كان يتحرج من مخالفة مذهبه إلى غيره، فمن ذلك قول السهيلي: "ولولا الوحشة من مخالفة الإمام أبي بشر لنصرت قول الأخفش نصراً مؤزرًا، وجلوت مذهب في منصة التحقيق مفسراً، ولكن النفس إلى نصرة سيبويه أميل، والله الموفق للصواب".^(١)

كان لكتاب سيبويه ومصطلحاته تأثير طاع على غالب النحويين والقراء، وعلى الرغم من أن الغرض من تأليف كتابه هو إحياء علم الخليل^(٢) إلا أنه كان يتمتع بشخصية مستقلة، وقدرة لغوية فائقة مكنته أن يضع لكل مسمى ما يناسبه من ألفاظ.

ومن الملفت للنظر أن مؤسسي المذهب الكوفي وكبراءة قد درسوا كتابه، فالكسائي قرأه على الأخفش، ومات الفراء والكتاب تحت وسادته^(٣)، وثعلب كان مطلعاً عليه، وامتكناً منه، وله منه نسخة بخط يده^(٤)، فإذا كان هذا حال مؤسسي المذهب الكوفي وكبرائه، فكيف بمن دونهم؟!

انتشر الكتاب في العواصم العلمية انتشاراً واسعاً، ولم يعد محدوداً ببلده التي وجد فيها، وخرج من حدود المذهب البصري، ورضي عنه العلماء على مرّ العصور، واتخذوه إماماً

(١) نتائج الفكر ص ٢٣٦.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٥.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ٧١ - ٧٢.

(٤) انظر: الأصول لابن السراج ٢٢١/٣، ومجالس العلماء للزجاجي ص ٨٦، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي

ص ١٤٥.

ودستوراً؛ بل وكُتِبَتْ له العالمية، وأصبح تراثاً إنسانياً استفادت بعض الأمم الأخرى منه في إحياء ما مات من نحوها. ^(١)

قال صاعد بن أحمد القرطبي (ت ٤٦٢هـ) أحد مؤرخي العلم المشهورين من أهل الأندلس: "ولا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم، قديمها وحديثها، فاشتمل على ذلك العلم، وأحاط بجميع أجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب: أحدها: كتاب: (المجسطي)، هذا في علم هيئة الفلك وحركات النجوم ^(٢)، والثاني كتاب أرسطاطاليس في علم صناعة المنطق. والثالث: كتاب سيبويه البصري في علم النحو العربي، فإن هذه الكتب الثلاثة لا يشذ عن كل واحد منها من أصول علمه، ولا من فروعه إلا ما لا خطب له. والله تعالى وحده مزيد الإحاطة، وفضيلة التمام، لا رب غيره". ^(٣)

ومن عجيب الأمر أنه مع ما كتبه الله لسيبويه على خط الزمن من هذه المكانة والتوفيق، والإجماع والقبول من جهابذة العلماء، فإننا نجد من المعثرين من يُزري به ويتناول عليه، ويرميه تارة بالعجمة، وتارة بالاضطراب في منهجه، ولا نعلم لذلك سبباً علمياً وجيهاً يدعو إلى ذلك. ^(٤)!!

وإذا كان شيخه الخليل، وهو من صميم العروبة يقول عندما يدخل عليه سيبويه: "مرحباً بزائرٍ لا يُجَلُّ" ^(٥)، فهل ذلك إلا لثقته العلمية بهذا الشاب الذي سينقل علم كلام العرب بكل أمانة ودقة.

قال ابن جني عن فضل سيبويه الفارسي على اللغة العربية: "وإن إنساناً أحاط بقاصي هذه اللغات المنتشرة، وتحجز أذراءها المترامية، على سعة البلاد، وتَعَادِي ألسنتها اللداد، وكثرة التواضع بين

(١) انظر مقالة للدكتور حسن ظاظا بعنوان: (أثر سيبويه في نشأة النحو العربي) أعطى فيه من الأدلة التاريخية الموثقة على أثر كتاب سيبويه في إحياء النحو العربي. (مجلة اللسان العربي مج ١٢/ج ١ ص ٩١ - ١٠٦).

(٢) للفلكي الإغريقي بطليموس.

(٣) طبقات الأمم، لأبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ)، ضمن مجلة المشرق الكاثوليكية، بيروت، السنة الرابعة عشرة، ١٩١١م، ص ٦٧٦.

(٤) الأصوات عند سيبويه (بحث)، لعبدالرحمن أيوب، أبحاث ألقى في ندوة هيئة التدريس، قسم اللغة العربية، كلية عبدالله بايسيرو - كانو، ج ١، أيار، ١٩٧٥م، لعبد الرحمن أيوب، ص ٢٥.

(٥) طبقات النحويين واللغويين ص ٦٧.

أهلها من حاضر وباد، حتى أغترق جميع كلام الصرحاء والمهجناء، والعبيد والإماء، في أطرار الأرض، ذات الطول والعرض، وما بين منشور إلى منظوم، ومخطوب به إلى مسجوع، حتى لغات الرعاة الأجلاف، والرواعي ذوات صرار الأخلاف، وعقلائهم والمدخولين، وهذاتهم الموسوسين، في جدهم وهزلهم، وحرهم وسلمهم، وتغاير الأحوال عليهم، فلم يُجِلِّل من جميع ذلك - على سعته وانبثائه، وتناشره واختلافه - إلا بأحرف تافهة المقدار، متهافئة على البحث والاعتبار، ولعلها أو أكثرها مأخوذة عن فسد لغته، فلم تلزم عهدته، لجدير أن يعلم بذلك توفيقه، وأن يخلى له إلى غايته طريقه".^(١)

والأعمال الصوتية التي قام بها سيبويه، وكان لها تأثير على المصطلح الصوتي لا يمكن تلخيصها في نقاط؛ لأن منهجه في الأصوات ومصطلحاته، وآراءه وتعليقاته الصوتية المبنية في الكتاب تمثل - في غالبها - العلم الصوتي عند أصحاب المدرسة النقلية.

فمن أمثلة ذلك ترتيبه لمخارج الحروف وصفاتها، قال ابن جني: "فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتَصْعُدها... مما رتبته سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد له التأمل بصحته".^(٢)

وقال الداني: "اعلموا أن قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض وإن اشترك في المخرج. وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة؛ إذ هو الصحيح المعول عليه، إن شاء الله تعالى".^(٣)

وقال القرطبي: "أما تحقيق ذواتها وذكر مخارجها، وتبيين أجناسها، وذكر مراتبها في الاطراد فنذكره على ما ذكره سيبويه - رضي الله عنه - ورتبه... وتلاه أصحابه وغيرهم من المتأخرين

(١) الخصائص ٣/١٨٦.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٤٥ - ٤٦.

(٣) التحديد في الإتيان والتجويد، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار

عمار، عمّان - الأردن، ط ٢، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م، ص ١٠٢.

عليه؛ لأنه المعتمد".^(١)

وهذه النصوص توحى بأن هناك نظاماً أخرى في ترتيب المخارج لم يعتمدها أكثر العلماء كترتيب الخليل في العين، والكندي في اللثغة.

ومما تميز به سيويه في الجانب الصوتي أيضاً قدرته الفائقة على جمع النظر إلى النظر، وربط الأمثلة بعضها ببعض. ومن الأمثلة الصوتية التي تدل على ذلك: (مصطلح التقريب)، ومن الأمثلة النحوية مسألة (العشرون درهماً).^(٢)

وقد ورث سيويه من الخليل التغيير في المصطلحات، فمن ذلك تعبيره عن الصوتين المتماثلين ب: (المثلان)، و(الحرف الذي هو مثل ما بعده)، و(الحرفان اللذان تضع لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه)، و(الحرفان اللذان هما سواء)، وسيأتي ذكر في مظانه.

الفراء شيخ المذهب الكوفي (١٤٤ - ٢٠٧هـ):

أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي الملقب بالفراء، من شيوخ المذهب الكوفي إن لم يكن الأبرز فيه، وأشهر تلامذة الكسائي^(٣). سمع من يونس بن حبيب الضبي (شيخ سيويه)^(٤). ذكر الزبيدي أنه لولا الفراء ما كانت عربية؛ لأنه حصَّنَّها وضبطها، وأن كتبه لا يوازي بها كتاب^(٥)، ومدحه الزجاجي بأنه حسن النظر، وأورد عنه حكاية في ذلك^(٦).

(١) الموضح ص ٧٧.

(٢) في مصطلح: (التقريب) بين الأصوات، ربط سيويه سبعة مواضع من كتابه بمصطلح الإدغام بجامع الخفة والانسجام. ولمراجعة مسألة: (العشرون درهماً) انظر: مقالة في مجلة المورد مج ١٦ / ع ١٩٨٧ م، ص ١١٩ - ١٢٨، بعنوان: (عشرون درهماً في كتاب سيويه) للمستشرق الإنجليزي ميخائيل جورج كارتر، ترجمة وتعليق عبد اللطيف الجميلي وحاتم الضامن. دلت المستشرق من خلال اثنين وعشرين موضعاً في الكتاب استعمل فيها سيويه عبارة: (عشرون درهماً) لتكون مثلاً قياسياً لمختلف السمات النحوية التي تجسدها.

(٣) انظر: أخبار النحويين البصريين، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، ط ١، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م، ص ٥١، ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ١٣٩.

(٤) انظر: معاني القرآن ١/ ١٢٧.

(٥) طبقات النحويين ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٦) مجالس العلماء ص ١٩١.

وتعرض للنقد من أبي حاتم السجستاني^(١)، والنحاس^(٢). وزعم أبو الطيب اللغوي أنه كان زائد العصبية على سيويه^(٣).

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١- ذكر بعض العلماء أنه جعل مخارج الحروف أربعة عشر مخرجاً، وذلك بجعل اللام والنون والراء من مخرج واحد، ولم يجزنا العلماء هل تابع سيويه في ترتيب الحروف الأخرى أم لا؟^(٤).

لكن الملفت للنظر أنه في كتابه جعل اللام والنون قريبتين المخرج^(٥)، وهو قول ينقض الكلام المنقول عنه اللهم إلا إذا لاحظ المخارج الجزئية، أي: لكل حرف مخرج خاص به، بدليل قوله في موضع آخر أن الطاء أقرب إلى التاء في المخرج من الطاء والذال والتاء، مع العلم أن الطاء والتاء والذال من مخرج واحد، فهذا نظير ذلك^(٦).

٢- إشارته الواضحة إلى مخارج الحركات^(٧).

٣- ملاحظات الفراء الصوتية في معاني القرآن تركز على التناسب بين الأصوات، وقد استعمل مصطلحات لذلك، مثل: (الحرف العدل بين الحرفين)^(٨)، نحو إبدال التاء دالاً في مدَّكر أصلها: مُدَّتْكَر، فالذال هو الحرف الوسيط العدل الذي يقرب بين التاء والذال.

٤- قدم الفراء عدداً من النصوص النادرة ذكر فيها كيف كان الصحابة والتابعون ﷺ

(١) ذكر ذلك النحاس في: القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م، ١٠٠/١.

(٢) انظر إعراب القرآن ٢٧٣/١ و ٩١/٣.

(٣) مراتب النحويين ص ١٣٩.

(٤) ينسب هذا القول إلى ابن كيسان، انظر: التحديد للداني ص ١٠٤، والموضح للقرطبي ص ٧٩.

(٥) انظر: معاني القرآن ٣٥٣/٢.

(٦) انظر: معاني القرآن ١٧٢/١.

(٧) انظر: معاني القرآن ١٢/٢.

(٨) انظر: معاني القرآن ٢١٥/١ و ٣٧٩.

يعبرون عن قراءاتهم، فمن أمثلة ذلك: (تطويل الألف)، وهو من أقدم ما استعمل للتعبير عن المد، ويرجع إلى القرن الأول الهجري، قال الفراء: "حدثني عدة، منهم: المفضل الضبي، وقيس، وأبو بكر، كلهم عن جحش بن زياد الضبي عن تميم بن حذلم (ت ٩٨ هـ)، قال: قرأت على عبد الله بن مسعود: (وَكُلُّ أْتُوهُ دَاخِرِينَ)، بتطويل الألف. فقال: (وَكُلُّ أْتُوهُ) بغير تطويل الألف".^(١)

وهذا يفيد في الكشف عن الإرهاصات المبكرة للمصطلحات، وستأتي عدة أمثلة أخرى في البحث.

٥- قدم الفراء عدداً من القواعد الصوتية المهمة، فمن ذلك قاعدته الدقيقة في الإدغام والإظهار: (يُدْعَمُ مَا يَتَّقُلُ عَلَى اللِّسَانِ إِظْهَارُهُ، وَيُظْهَرُ مَا يَسْهَلُ فِيهِ الإِظْهَارُ)^(٢).

٦- قدم الفراء عدداً من المصطلحات الصوتية استعملها عدد من الذين جاءوا بعده من القراء في كتبهم كابن مجاهد وأصحابه، فمن ذلك مصطلح الإخفاء في النون حيث عني فيه كل ما يبقى معه غنة، فدخل فيه: الإدغام بغنة^(٣)، وقلب النون الساكنة ميماً عند الباء^(٤)، وإخفاء النون عند الخمسة عشر حرفاً، وزاد من بعده إخفاء الميم الساكنة عند الباء^(٥)، على حين أن سيبويه لم يعن ب: (الإخفاء) إلا إخفاء مخرج النون من اللسان عند الخمسة عشر حرفاً.

وترتب من جراء ذلك أن حمل بعض القراء - ممن لم يطلعوا على مفهوم عبارات الفراء ومن تابعه - العبارات التي عبر فيها عن هذه المعاني الأربعة بهذا المصطلح على ما أراده سيبويه من الإخفاء، فوقعوا في الوهم، وصاروا يخفون ذات الميم في نحو: (مِن بَعْد) و (ترميمهم بِحِجَارَةٍ) كإخفائهم النون عند الخمسة عشر. حصل هذا في القرن السادس الهجري، وما زلنا نلاحظ

(١) معاني القرآن ٣٠١/٢. والقراءاتان متواترتان: قرأ بالمد حفص وحمة وخلف، وقرأ الباقون بالقصر.

(٢) معاني القرآن ٣٥٣/٢.

(٣) معاني القرآن ١٧٢/٣.

(٤) نقل ذلك التعبير عنه السيرافي في: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٧.

(٥) انظر: الإقناع لابن الباذش ١٧٩/١ وما بعدها.

آثاره إلى اليوم في نطق بعض القراء.

٧- علم الفراء بسعة اللغة جعلته لا ينكر شيئاً من اللغة حتى لو لم يسمعه، قال: "وإن لم تسمعه فلا تُنكرته إن أتى".^(١)

وهذا يبرر ما أجازه الكوفيون دون البصريين من إدغام الراء في اللام، والجمع بين ساكنين في وسط الكلمة في نحو: (شهر رمضان) في قراءة أبي عمرو، والله أعلم.

٨- تفریق الفراء بين أعلى الأساليب الصوتية في قراءة القرآن- أعني: مرتبة التحقيق- وبين المستوى الذي كانت تتكلم به العرب في لهجة الخطاب، فالأول يعتمد على تحقيق الحروف والتأني، والثاني يعتمد على السرعة وكثرة الإدغام مما هو مناسب للهجة الخطاب، فمن ذلك قوله: "والعرب تدغم اللام من (هل) و (بل) عند التاء خاصة، وهو في كلامهم عالٍ كثير، يقول: (هل تدري وهتدري) ، فقرأها القراء على ذلك، وإنما أَسْتَحَبُّ في القراءة خاصة تبيان ذلك؛ لأنهما منفصلان ليسا من حرف واحد، وإنما بني القرآن على الترسل والترتيل وإشباع الكلام، فتبيناه أحب إليّ من إدغامه، وقد أدغم القراء الكبار، وكل صواب"^(٢).

وهذا يساعد على تفسير بعض الظواهر الصوتية التي تعتمد على التأني وتحقيق ذوات الحروف في الأداء القرآني كمثل إظهار القلقة في وسط الكلمة، والسكت على الساكت قبل الهمزة في بعض الكلمات.

٩- توضيحه الفرق بين من قرأ القرآن بالتعلم وبين من قرأه بالطبع، أي من نشأ في أكناف اللغة، قال: "لأن القراءة من المؤلّدين مصنوعة، لم يأخذوها بطباع الأعراب، إنما أخذوها بالصنعة. فالأعرابي ذلك جائز له لما يجري على لسانه من خفيف الكلام وثقيله".

ولو اقتست في القراءة على ما يخف على ألسن العرب فيخففون أو يدغمون لخففت

(١) معاني القرآن ١٤٩/٢.

(٢) معاني القرآن ٤٤١/١.

قوله: (قل أي شيء أكبر شهادة)، فقلت: (أَيْشِرُنْ أَكْبَرُ شَهَادَةً)، وهو كلام العرب. فليس القراءة على ذلك، إنما القراءة على الإشباع والتمكين.^(١)

ولهذا سُمِّي علم التجويد- في مرحلة مبكرة- علم التكلف، وهذا قبل ظهور مصطلح: (التجويد)، وانظر مصطلح: (التكلف).

الجاحظ مؤسس علم البلاغة والأدب (١٦٣-٢٥٥هـ):

أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، من أعظم علماء البلاغة والأدب، يُعَدُّ كتابه أحد الكتب الأربعة التي هي أصول فن الأدب وأركانه كما ذكر ابن خلدون.^(٢) أهم كتبه: البيان والتبيين.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١- قدّم الجاحظ عدداً من المصطلحات الصوتية نقلها من جاء بعده، فهو صاحب التعبير المشهور (إعطاء الحروف حقوقها)^(٣)، الذي نقله كبار أئمة التجويد والقراءات كالحاقاني^(٤)، وابن مجاهد^(٥)، والسعيد^(٦)، ومكي^(٧)، والدايني^(٨)، والقرطبي^(٩)، وصار التجويد يعرف به إلى يومنا هذا.

(١) معاني القرآن ٣٥٣/٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، ص ٥٥٤.

(٣) البيان والتبيين ١/١٤.

(٤) منظومة الإمام الحاقاني في التجويد، لأبي مزاحم الحاقاني (ت ٣٢٥هـ)، ضمن قصيدتان في تجويد القرآن، تحقيق: د. عبدالعزيز بن عبدالفتاح القاري، دار مصر للطباعة، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ١٩.

(٥) نقل ذلك عنه الدايني في التحديد ص ٨٩.

(٦) التنبيه على اللحن الجلي والخفي، لأبي الحسن علي بن جعفر السعيد (ت ٤١٠هـ)، مطبوع ضمن: رسالتان في تجويد القرآن، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، ص ١.

(٧) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: أحمد فرحات، دار عمار، عمان - الأردن، ط ٢، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص ٥٠ و ٥٣ و ١٤٤ و ٢٢١.

(٨) التحديد ص ٧٠ و ١٣٥ و ١٤١.

(٩) الموضح ص ٦١ و ١٠١ و ١٣٢ و ١٧٩ و ٢١٥.

٢- من الأوائل الذين أشاروا إلى أهمية التدريب النطقي في تصحيح الكلام، وعبر عن هذا التدريب الذي يحتاج إلى جهد بـ: (التكلف)، فذكر أنه بطول استعمال التكلف تَدُلُّ الجوارح، ومتى ترك الإنسان شمائله على حالها، ولسانه على سجيته كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه. (١)

ولعل هذا النص هو إرهاصة لكلام الداني الذي أصبح فيما بعد ركناً من أركان علم التجويد، أعنى قوله: "وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكه". (٢)

وهو يكشف عن العلاقة بين حديث البلاغين وما قاله أهل التجويد في كتبهم؛ حيث تعلقا بالاحترازمات الأدائية وتصحيح النطق في الكلام العربي عموماً والأداء القرآني خاصة، كما يؤدي إلى التأريخ الحقيقي والبداية الصحيحة لعلم التجويد الذي سُجِّلَتْ ظهور أول مصنفاة في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس. (٣)

٣- ذكر أن الميم والباء أول حرفين ينطقهما الطفل؛ لرؤيته عمل الشفتين بهما، قال: "والميم والباء أول ما يتهياً في أفواه الأطفال، كقولهم: (مَما) و (بَبا)؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين". (٤)

٤- يُعَدُّ الجاحظ أحد الرواد الأوائل الذين تعرضوا لعيوب النطق سواءً أكانت عيوباً فطرية كاللثغة التي تعرض للصبيان إلى أن يكبروا^(٥)، أو خلقية كالتأتأة والفأفة^(٦)، أو بحكم العادة النطقية والمنشأ كتعلم الأجنبي لغة غير لغته^(٧)، أو عيوباً يأتي النهي عنها من

(١) البيان والتبيين ١/٥٢.

(٢) التحديد ص ٦٨. وانظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، تأليف د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود،

١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م، ص ٦٠.

(٣) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٦٨.

(٤) البيان والتبيين ١/٥٣.

(٥) البيان والتبيين ١/٥١-٥٢.

(٦) البيان والتبيين ١/٥ و ١٢ و ٣٢.

(٧) البيان والتبيين ١/٥٣-٥٤.

باب تحميل النطق وتحسينه، كالنهى عن التشديق والتعير والتعيب في الكلام. (١)

٥- نبه إلى قصور الكتابة في تصوير النطق تصويراً صحيحاً فضلاً عن تصوير عيوبه، قال عن اللثغة بالشين: "فأما التي هي على الشين المعجمة، فذلك شيء لا يصوره الخط؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مخرج من المخارج، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها". (٢) وقال عن اللثغة بالراء التي كانت لوصل بن عطاء أحد أئمة المعتزلة: "وأما اللثغة الخاصة التي كانت تعرض لوصل بن عطاء... فليس إلى تصويرها سبيل. وكذلك اللثغة التي تعرض في السين... فإن تلك أيضاً ليست لها صورة في الخط تُرى بالعين، وإنما يصورها اللسان وتتأدى إلى السمع". (٣)

وهو بهذا يسجل سبقاً على الصوتيين المعاصرين الذين يعدون الأشكال الكتابية ثانوية بالنسبة إلى رموز الكلام الملفوظة. (٤)

المبرّد خاتمة البصريين (٢١٠ - ٢٨٥هـ):

أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي الملقب بالمبرّد، خاتمة النحويين من البصريين وأحد أئمة الأدب المبرزين.

يعد كتابه المقتضب شرحاً لكتاب سيبويه (٥)، وإن كان خالفه في مسائل يسيره رد أكثرها بعض العلماء (٦)، وهو أحد المراجع الهامة التي اعتمد عليها كثير من العلماء في الجانب الصوتي، كابن جني، ومكي، والدايني، وعبد الوهاب القرطبي.

(١) البيان والتبيين ١/١٢.

(٢) البيان والتبيين ١/٢٨.

(٣) البيان والتبيين ١/٣٠.

(٤) انظر: علم اللغة لمحمود سمران ص ٥٥.

(٥) جزى الله خيراً محقق المقتضب الشيخ عبد الخالق عزيمة - رحمه الله تعالى - فلقد دعم تحقيقه بأقوال سيبويه، ولا تكاد تخلو صفحة من المقتضب من نقل كلام سيبويه، ولا يعني هذا إغفال تمتع المبرّد بشخصيته العلمية المستقلة.

(٦) انظر: كتاب الانتصار لسيبويه على المبرّد، لأحمد بن محمد بن ولاد التميمي (ت ٣٣٢هـ)، تحقيق: د. زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م. وذكر جني في الخصائص ١/٢٠٥ أن المبرّد رجع عن هذه المسائل.

أهم كتبه: المقتضب والكامل.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١- قدّم عدداً من الرؤى الصوتية تبناها عدد من العلماء الذين جاؤوا بعده، فمن ذلك ما ذكره عن الحروف المتوسطة أنها أصوات شديدة يجرى فيها النفس [الصوت] لاستعانتها بصوت مجاورها. وهو أول من أدخل حروف المد واللين ضمنها.^(١) ومن ذلك إدخاله الكاف ضمن حروف القلقة^(٢)، ونُسب ذلك خطأً إلى سيبيويه. وسيأتي ذكر ذلك في مظانه.

٢- قدّم عدداً من القواعد الصوتية الهامة، منها قوله عن الإدغام: "الإدغام لا يبخرس الحروف ولا ينقضها".^(٣) والقاعدة الأخرى التي ذكرها أن من شرط الإدغام أن لا ينقض معنى ولا تلتبس بلفظ.^(٤)

٣- قدّم عدداً من المصطلحات الصوتية، كالتعبير عن صفات الحروف بـ: مصطلح: (الأعراض)، وتلقيه الحروف اللثوية، وهي الظاء والذال والطاء، بـ: (حروف النَّفث)، وسيأتي ذكر ذلك وغيره.

٤- ذكر أن صور الحروف ثمانية وعشرون صورة كتابية تعبر عن تسعة وعشرين تصويماً^(٥)، لكن العلماء الذين جاءوا بعده لم يذكروا إلا أنه جعل الحروف ثمانية وعشرين، ذكر ذلك ابن جني^(٦)، وتتابع العلماء في نقل ذلك دون تمحيص.^(٧)

(١) المقتضب ١/٣٣١.

(٢) المقتضب ١/٣٣٢.

(٣) المقتضب ١/٣٤٦.

(٤) المقتضب ١/٣٣٣.

(٥) انظر: كلام الشيخ عبد الخالق عزيمة على هامش المقتضب ١/٣٢٨ حيث بين أن المبرد لا يخالف البصريين في جعل أصوات الحروف تسعة وعشرين صوتاً.

(٦) انظر: سر صناعة الإعراب ١/٤١.

(٧) انظر: التمهيد لأبي العلاء الهمداني ص ٢٧٣.

ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ):

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي^(١)، أشهر لغوي عصره، ذكر أبو الطيب اللغوي أن علم لغة البصريين انتهى إلى ابن دريد^(٢)، وذكر الزبيدي أنه كان أعلم الناس باللغة وأيام العرب.^(٣)

وعلى الرغم من تعرض ابن دريد وكتابه الجمهرة للنقد^(٤) إلا أن هذا لم يمنع كبار علماء عصره من الاستفادة منه، فسمع منه السيرافي^(٥)، والفارسي^(٦)، وابن خالويه^(٧)، وأبو علي القالي.^(٨)

أهم كتبه: الجمهرة في اللغة.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - يُعَدُّ ابن دريد أول لغوي قدم مذهبين لمخارج الحروف؛ مذهباً مستقى من معجم العين، ومذهباً آخر مستقى من كتاب سيوييه.^(٩)

٢ - ضمّن كتابه بعض الألقاب التي ذكرها الخليل كالحروف المذلقة.^(١٠)

(١) انظر ترجمته في: مراتب النحويين ص ١٣٥ وطبقات النحويين واللغويين ص ١٨٣.

(٢) مراتب النحويين ص ١٣٥.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٤.

(٤) انظر نقد الأزهري له في معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبيد مصطفى درويش، دار المعارف، ط ١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ١/١٣٤، وتهكم ابن فارس به في معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، ٤/٣٠٧ و ٤٨٢، وانظر النقد لكتابه في الخصائص لابن جني ٣/١٩٧ و ٢٨٨ ودعا إلى إصلاحه في سر صناعة الإعراب ٥٦٨/٢.

(٥) انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٨٢، وأخبار النحويين البصريين ص ٦٩.

(٦) ذكر ذلك ابن جني في الصخائص ٣/٢٠٢.

(٧) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ٢٨.

(٨) انظر: طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٧ والأماي والنوادر ٢/١٠٢.

(٩) انظر: الجمهرة ١/٦ وما بعدها.

(١٠) الجمهرة ١/٧.

٣- كانت له رؤية في المخارج، فهو بعد ترتيب حروف الحلق - حسب الترتيب المعروف - لا يلتزم ترتيباً في المخارج، فمن ذلك أنه أورد الياء، ثم السين والصاد والزاي، ثم النون والراء، ثم التاء والذال والطاء، ثم الفاء، ثم الواو والباء والميم، ثم النون الخفية، ثم الظاء والذال والتاء، وبعد ذلك الضاد. (١)

٤- استعمل مصطلحات سيويه في الصفات كالحروف الرخوة والشديدة، والمجهورة والمهموسة وإن كان مخالفاً له في بعض تعريفاتها، فمن ذلك تعليقه للحروف المطبقة بقوله: "لأنك إذا لفظت بها أطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجرى معها". (٢)

وهذا مخالف لما ذكره سيويه عن الإطباق، كما سيأتي.

٥- انفرد ببعض المصطلحات الصوتية، كتعبيره عن صفات الحروف ب: أجناس الحروف، وعن المخارج ب: مجاري الحروف. (٣)

٦- قدم عدداً من التعريفات والملاحظات الصوتية - بغض النظر عن صحتها - نقلها من بعده، كمثل تعريفه للخيشوم الذي تابعه عليه من بعده، ومثل أن اللام تنقطع بغنة، وسيأتي ذكر ذلك في مآله. (٤)

ابن مجاهد (٢٥٤ - ٣٢٤هـ) :

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، إمام القراء وشيخ صنعة القراءة ومُسَبِّعُ السبعة، ذكر ابن النديم أن ابن مجاهد كان واحد عصره غير مدافع (٥). قال عنه ابن الجزري: "ولا أعلم أحداً من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه، ولا بلغنا ازدحام

(١) الجمهرة ٨/١.

(٢) الجمهرة ٨/١ وانظر تعليقه للحروف المجهورة والمهموسة في الصحيفة نفسها.

(٣) انظر: الجمهرة ٨/١.

(٤) انظر: الجمهرة ٧/١ و ٩.

(٥) الفهرست ص ٣١.

الطلبة على أحد كازدحامهم عليه" ^(١)، وقال عنه شيخه ثعلب: "ما بقي في عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد"، وهذه من شهادة الشيخ لتلميذه، والاعتراف بفضله.

وتخبرنا كتب التراجم أن الذي منعه من التتلمذ على الميرد شيخ المذهب البصري في زمنه وفاؤه لحق شيخه ثعلب، وعلمه بأن ذلك يؤذيه حيث كان بينهما من المنافرة ما لا يخفاء به ^(٢). لكن هذا لم يمنع ابن مجاهد أن يطّلع على علم البصريين، ونلاحظ ذلك في كتابه حيث ضمّنه بعض مصطلحاتهم وتعليقاتهم.

وقد بلغ من قدره وعلو مكانته أن تتلمذ عليه كبار علماء المذهب البصري في زمنه، فسمع منه السيرافي، وأبو علي الفارسي، وأبو علي القالي، وابن خالويه ناهيك عن أصحابه من القراء: أحمد بن نصر الشذائي، وأبو طاهر بن أبي هاشم، ومحمد بن عبد الله بن أشته وغيرهم من جهابذة القراء.

أهم كتبه: السبعة.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - شكّل مذهب ابن مجاهد مذهباً وسطاً بين علم البصريين والكوفيين، فهو من جهة امتداد لمذهب الفراء الصوتي، ومن جهة أخرى مذهب هضمّ كلام سيبويه، واستعمل تعليقاته الصوتية ^(٣)، ويدور في حناياه القياس والترجيح والموازنة بين الآراء، ومن أمثلة متابعته لمذهب الخليل وسيبويه أنه رجع - اختياراً واستحساناً - عن إدغام الراء في اللام إلى الإظهار قبل موته بست سنين. ^(٤)

وهو بهذا قد شكّل جسراً بين علم البصريين والكوفيين استفاد منه علماء الأندلس من أهل التجويد كمكي والدايني والقرطبي حيث ظهر علم الكوفيين في بعض أبحاثهم.

(١) غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، نشر ج .

برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، ١/١٤٢.

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٣) انظر: السبعة ص ١٠٧.

(٤) انظر: جامع البيان للدايني ٢/٦٩٢.

٢- مصطلحات ابن مجاهد الصوتية في غالبها مصطلحات كوفية، والتعبير عن القراءات في كتب العراقيين إنما هو بلغة الكوفيين كما قدمت في قول ابن الباذش وهذا الجانب لشكله الكلي لم يدرس إلى الآن، وأرجو أن تكون هذه الدراسة قد غطت شيئاً من هذا الجانب.

٣- قدّم ابن مجاهد عدة آراء تنمُّ عن حس صوتي دقيق، فمن ذلك تفضيله وجهاً على وجه في القراءة لعدة السهولة والتخفيف.^(١)

٤- ابن مجاهد صاحب فكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي: ترك إعطاء الحروف حقه من تجويد لفظه^(٢)، وقد نقل هذا التقسيم أكثر علماء التجويد الذين جاءوا بعده، وكان أصلاً كبيراً في علمهم.^(٣)

٥- من مميزات كتاب السبعة المهمة جداً نقله تعبيرات من سبقه من القراء في نقلهم الصوتي للقرآن المجيد، وهي تعبيرات لا نجد لها في كتب العربية، وهذه التعبيرات في غالبها ترجع إلى عهد التابعين وتابعيهم، بل ربما بعضها يصل إلى عصر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وأمثلة ذلك ماثلة في البحث.

٦- قدّم ابن مجاهد عدداً من القواعد الصوتية، منها قاعدته في الانسجام بين الأصوات: (لا يفر من ثقيل إلى ما هو أثقل منه)^(٤)، وقد استعملها الداني في أحد كتبه.^(٥)

٧- كان ابن مجاهد رائداً في الاستنباط واستخراج دقائق المسائل من نصوص الأئمة السابقين، فمن ذلك ما استنبطه من قواعد الهمز الساكن عند أبي عمرو بن العلاء فيما رواه أصحاب أبي عمرو عنه، قال الداني عن عمل ابن مجاهد: "وقد كان ابن

(١) السبعة ص ١٣٨.

(٢) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٥٠.

(٣) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٥١ وما بعدها.

(٤) السبعة ص ١٣٨.

(٥) جامع البيان ٢/٥٢٥.

مجاهد يخص بالهمز - اختياراً - ما كان سكونه علامة للحزم أو للبناء، وما تُرك همزة يوجب الثقل والاشتباه بما لا يُهمز أصلاً، والخروج من لغة من يهمز إلى لغة من لا يهمز... لأنه - رحمه الله - بناه على نص ما اجتمع عليه الرواة عن اليزيدي عن أبي عمرو... ففاس ببراءة فهمه، ولطيف حسه، ووفور معرفته - على ما ورد النص فيه - ما جرى مجراه، ودخل في معناه وجعل همزة فيه مطرداً^(١).

٨ - كان ابن مجاهد إماماً مدققاً في الأخذ على الناس ألفاظهم، فقد نقل الداني بسنده إلى الشذائي قوله: "كان ابن مجاهد - رحمه الله - لعلمه بتفاوت الناس في العلم بالقراءة وقصور أفهامهم يستثبت كثيراً ممن يقرأ عليه في قوله (قَمْطَرِيرًا) (١٠/٧٦) واشباهه؛ لأن منهم من يجعل الميم نوناً"^(٢).

٩ - قدّم ابن مجاهد عدداً من المصطلحات الصوتية، فمن ذلك جمعه، دال قد، ولام هل وبل، وتاء التأنيث، تحت لفظ (الحروف التي لا حركة لها)^(٣).

١٠ - ابن مجاهد من أقدم الذين قدّروا زمن المدود بالألفات، وتلاه أصحابه على ذلك، منهم: أحمد بن يعقوب التائب، أبو طاهر ابن أبي هاشم^(٤).

١١ - قدّم ابن مجاهد عدة آثار عن الصحابة والتابعين في تمسكهم بالرواية وعدم مخالفة الأثر، وذكر أنه لا يجوز مخالفة الرواية بوجه جائز من العربية، وخرج بأصل في ذلك هو أنه لا قياس في القراءة^(٥).

١٢ - يُعدُّ ابن مجاهد أحد الأئمة الذين نحووا عن الإقراء بالألحان، قال القرطبي: "وأما الإقراء به فلا يجوز، ولا بالتطريب ولا بالترقيص ولا بالتخزين و لا بالترعيد، قال الأهوازي - رضي الله عنه - : على ذلك وجدت علماء القراءة في سائر الأمصار، قال:

(١) جامع البيان ٥٧٢/٢.

(٢) التحديد ص ١١٧.

(٣) السبعة ص ١١٩ و ١٢٢.

(٤) انظر: التبصرة لمكي ص ٢٠٦ وجامع البيان ٤٥٤/٢ - ٤٥٥.

(٥) انظر: السبعة ص ٤٦ و ٨٧ و ١٥٠.

وسمعت أبا الفرج معافي بن زكريا الحلواني يقول: حضرت يوماً عند ابن مجاهد وقرأ عليه قارئ فطرب، فقال له ابن مجاهد: ما أطيب هذا... أخبئه لبيتكم".^(١)

أبو سعيد السيرافي (٢٨٠ - ٣٦٨هـ):

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي القاضي، أحد أئمة الأعلام من البصريين، سمع من ابن السراج، وابن دريد، وابن مجاهد، وأبي مزاحم الخاقاني.^(٢) قال عنه أبو حيان التوحيدي: "أبو سعيد السيرافي، شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة، معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة"^(٣)، ويشهد بذلك مناظرته الشهير لإمام وقته في المنطق مئى بن يونس^(٤)، وبلغ من مكانته أن ابن مجاهد شيخه كان يسأله عن توجيه بعض الكلمات القرآنية^(٥).

وكان من منهجه أنه لا يطعن في القراءات بل يدافع عنها.^(٦)

أهم كتبه: شرح كتاب سيبويه، وإدغام القراء، وما ذكره الكوفيون من الإدغام.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - كان شارحاً لدقائق كلام سيبويه في الكتاب، ومضيفاً إليها، وهذا سبب غير أبي علي الفارسي، كيف تسني للسيرافي أن يشرح الكتاب من أوله إلى آخره مع أن الفارسي هو من أعنى الناس بكتاب سيبويه^(٧).

(١) الموضح ص ٢١٣.

(٢) أخبار النحويين البصريين ص ٥٩.

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ، ٢٠٠٩م، ١/٥٠٧.

(٤) انظر: الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ١/١٠٧.

(٥) انظر: جامع البيان ٣/٨٦٣ والموضح لمذاهب القراء ل ٤٥/ب.

(٦) انظر: المطبوع من شرح كتاب سيبويه ٢/١٣١.

(٧) انظر: الإمتاع والمؤانسة ١/١٣١.

٢- نقل نصوصاً على غاية من الأهمية في شرح مراد سيبويه في بعض المواضع الصوتية، فمن ذلك حديث سيبويه مع الأخفش حينما سأله عن الفرق بين المجهور والمهموس، وسيأتي ذكر ذلك في مكانه.

٣- ذكر بأن سيبويه هو أول من فرق بين حركات البناء والإعراب، قال: "أعلم أن سيبويه لقب الحركات والسكون هذه الألقاب الثمانية...".^(١)

٤- شرح بعض مصطلحات الكوفيين، كلفظي: (المصوّت، والأخرس)، وهما من مصطلحات الفراء، وسيأتي ذكر ذلك.

٥- استفاد من شرحه للكتاب بعض أئمة علم التجويد كالقرطبي، فنقل كلامه في عدة مواضع.^(٢)

٦- قدم بعض التعريفات الصوتية، فمن تعريفه لحروف المد بأنها حركات مشبعة^(٣) وتقسيمه الكلام العربي إلى ملحون وغير ملحون.^(٤)

٧- قدم بعض المصطلحات الصوتية كتلقيبه ألف الإمالة ب: (ألف الترخيم)^(٥)، وجمعه الحروف التي تدغم فيها النون ب: (ويرمل).^(٦)

٨- قدّم عدة آراء صوتية، فمن ذلك ما ذكره عن وجه اختيار الضمة في الفاعل، والفتحة في المفعول به، فذكر أن الضم اختير في الفاعل لقوة النَّفَس في أول النطق، فاستعمل له أقوى الحركات، وجعل للمفعول به أخف الحركات^(٧). ومن ذلك ما ذكره من أن

(١) انظر: المطبوع من شرح كتاب سيبويه ٦٥/١.

(٢) انظر: الموضح ص ٨١-٨٣.

(٣) المطبوع من شرح كتاب سيبويه ١١٠/١.

(٤) انظر: المطبوع من شرح كتاب سيبويه ٩٢/٢.

(٥) نقل ذلك عنه القرطبي في الموضح دون أن يذكر اسمه ص ٨٢.

(٦) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٤.

(٧) المطبوع من شرح كتاب سيبويه ٢٦٥/٢.

جريان الغنة في الخيشوم يعادل جريان حروف المد. (١)

٩- مناقشته لآراء الكوفيين، فمن ذلك مناقشته لتسمية الفراء قلب النون ميماً عند الباء

إخفاء^(٢)، ومناقشته لحجة ثعلب على سيبويه في منع إدغام المستطيل وحرف الصغير. (٣)

١٠- تتلمذه على ابن مجاهد في القراءة جعله لا يرد إدغام الراء في اللام- كما هو مذهب

البصريين- بل علّل لها صوتياً بخفة اللام وصعوبة الراء. (٤)

١١- قدم بعض القواعد المهمة في المصطلح، فذكر أنه لا سبيل إلى إحداث لغة في لغة

مقررة بين أهلها. (٥)

وهو يعني أن تغيير المواضع لا يتم إلا بقبول لجماعة اللغوية بذلك، وقد تقدم ذكر ذلك.

١٢- قدم بعض القواعد الصوتية، فمن ذلك قاعدته في كثرة الاستعمال: (الحرف على

مقدار كثرة استعماله تُختار خفته وتُؤثر سهولته) (٦).

أبو علي الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧هـ):

الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الفسوي، أبو علي الفارسي

النحوي اللغوي. من أئمة الأعلام البصريين، وألصق الناس بكتاب سيبويه.

أخذ عن الزجاج، وابن السراج، وابن دريد، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش.

بلغ من مكانته أن عضد الدولة البويهية، حاكم بغداد في زمانه، كان يقول: "أنا غلام

أبي علي النحوي الفسوي في النحو". (٧)

وبلغ من مكانته- أيضاً- أن ابن دريد امتنع من تقيئه مقدمة كتابه الخاصة بمخارج

(١) المطبوع من شرح كتاب سيبويه ٧٠/١.

(٢) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٧.

(٣) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٤.

(٤) إدغام القراء ص ٤٠.

(٥) نقل ذلك عنه أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ١٢٢/١.

(٦) المطبوع من شرح كتاب سيبويه ١٠٧/١.

(٧) مجلة المجمع العلمي بدمشق ٧٤٧/٤ المجلد ٥٨.

الحروف، وقد ذكرت من قبل أن ابن دريد قد أورد فيها مذهبي الخليل وسيبويه، قال أبو علي: "لما هممت بقراءة رسالة هذا الكتاب على محمد بن الحسن قال لي: يا أبا علي: لا تقرأ هذا الموضوع عليّ، فأنت أعلم به مني".^(١)

ومن مميزات الفارسي أنه كان منصفاً في تعامله مع مخالفني مذهب سيبويه، فمن ذلك استحسانه هو وتلميذه ابن جني رأي الكسائي^(٢). وقوله عن توجيه الفراء لبعض القراءات: "فإذا أئجَّه قراءته على وجه صحيح لم يَجْزُ أن يُنسب إليه الخطأ، وقد قال عمر - رحمه الله - : لا تحمل فعل أخيك على القبيح ما وجدت له في الحسن مذهباً"^(٣)، ومن ذلك استشهاده بأقوال ثعلب في الصرف^(٤). وهذا كله يدل على تجرده وعدم عصبيته اللهم إلا في بعض المواقف.^(٥)

أهم كتبه: الحجة والتكملة.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١- انفراد بتلقيبه حروف طرف اللسان مع الثنايا ب: (حروف أصول الثنايا)، مخالفاً بذلك تلقيب سيبويه: (حروف طرف اللسان مع الثنايا)، وهذا يدل على أن أبا علي الفارسي - ومع كونه ألقى العلماء بكتاب سيبويه - لم يعترف بتقسيم سيبويه للثنايا، بل جعلها كلها تحت لفظ واحد هو: (أصول الثنايا)، وسيأتي ذكر ذلك.

٢- وضع بعض المصطلحات الصوتية، فمن ذلك تعبيره ب: (الخلَّة) عن صفة الحرف.^(٦)

٣- انفراد ببعض الآراء الصوتية، فمن ذلك ما ذكره من أن زمن الإخفاء في النون أكثر من

(١) الخصائص ٣/٢٨٨.

(٢) انظر: المختص ١/٥٢.

(٣) الحجة ٢/٣٣٢-٣٣٣.

(٤) الحجة ٣/٨٠.

(٥) من ذلك موقفه من شهر المتنبّي، واستهزأه بأصحاب أبي بكر الخياط. (الإمتاع والمؤانسة ١/١٣١، والخصائص ٣/٣٠٠).

(٦) الحجة ٦/٤٩.

زمن استطالة الضاد، وإن كانا يُعَدَّان في الوزن حرفاً واحداً. وأن زمن المد في الواو والياء اللينتين أقل منه في الواو والياء المديتين.^(١)

٤- قدم بعض القواعد الصوتية المهمة، منها قاعدته: (لا يُدَعَّمُ الحرف المزيد بالصفات فيما هو أنقص منه)^(٢)، وقاعدته الأخرى: (تُنزَلُ الحركات في التقريب منزلة الحروف في المجاورة).^(٣)

ويُعَدُّ أبو علي من المكثرين في صياغة كلام من تقدمه على هيئة قواعد، وهذا ما حد بابن جني أن يمدح قوة قياسه وجمعه النظير إلى النظير^(٤)، وحكى عنه ابن جني قوله: "أخطئ في مائة مسألة لغوية ولا أخطئ في واحدة قياسية"^(٥). وسيأتي عدد من الأمثلة في مظانه.

٥- من أوائل من بحث أن الحركة قبل الحرف أو معه أو بعده، مرجحاً أن تكون معه، ذكر ذلك ابن جني^(٦). وتابعه مكِّي^(٧)، والقرطبي.^(٨)

٦- ذكر أموراً مهمة في الأداء يختلف بعض القراء عليها اليوم، فمن ذلك قوله عن إشمام نون: (لا تأمنًا) إنها تعادل إشمام نون (معن) في الوقف^(٩). وهذا يدل على أن تحريك الشفتين بالضم يكون بعد إسكان الحرف لا معه، والله أعلم.

٧- استعار بعض مصطلحات الخليل في التعبير عن الإمالة بـ: (الإجناح)^(١٠). بل

(١) الحجة ١٩١/٣.

(٢) الحجة ٤٩/٦.

(٣) الحجة ١٧٠/٤.

(٤) الخصائص ٢٧٦/١.

(٥) انظر: بغية الوعاة ٤٩٧/١.

(٦) انظر: الخصائص ٤٢٣/٢.

(٧) الرعاية ص ٩٨.

(٨) الموضح ص ٧٤.

(٩) الحجة ٢١٢/١ و ٤٠٠/٤.

(١٠) انظر: الحجة ٣٩٩/١ و ٤٠٦.

- واستثمره فعبر عن الإمامة الكبرى ب: (المبالغة في الإجناح) أو (الإجناح الشديد).^(١)
- ٨- تتلمذه على ابن مجاهد في القراءة جعلته يستعمل بعض مصطلحات القراء، كتعبيرهم عن الفتح ضد الإمامة ب: (التفخيم).^(٢)
- ٩- من أوائل الذين قالوا بتجويز الابتداء بالسكان في لغة العجم، وامتناع ذلك في لغة العرب من جهة أن نظامها يفرض ذلك.^(٣)
- ١٠- لخص أوجه الخلاف بن النحاة والقراء بقوله: القراء تؤثر الآثار على ما يجوز في العربية^(٤)، لكنه في المقابل ذكر أصلاً دقيقاً، وهو أن الضبط والقياس وموافقة الأشباه أركان عند الاختلاف.^(٥)
- ١١- قدرته الفائقة على تنظيم معلومات سيبويه الصوتية، فمن ذلك تلخيصه باب الإدغام عند سيبويه في عدة وريقات.^(٦)

الرماني (٢٧٦ - ٣٨٤هـ):

- علي بن عيسى بن عبد الله الرماني أبو الحسن الوزّاق، أخذ من ابن السراج، وابن دريد، والزجاج.
- وهو من طبقة السيرافي وأبي علي الفارسي، وكان يقال عنهم: "النحويون ثلاثة: واحد لا يفهم كلامه وهو الرماني، وواحد يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسي، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافي".^(١)

(١) انظر: الحجة ٤٠٦/١ و ٢٢٩/٦.

(٢) انظر: الحجة ٥٢/١.

(٣) نقل ذلك ابن جني عنه في الخصائص ٩١/١.

(٤) الحجة ٢٤٦/٣.

(٥) الحجة ٢٨٨/١.

(٦) انظر: التكملة (وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي)، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق

د. حسن شاذلي فهدود، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ٢٧٣.

شَرَحَ كتاب سيويه، ويختلف تفسيره عن تفسير السيرافي في أنه - بعقله المنطقي - يلخص أبواب كتاب سيويه في نقاط، فهو لا يفسر كلامه حرفياً بل يعطيك نتيجة الباب، وماذا يريد سيويه منه، على حين أن السيرافي - بعقله النحوي التعليمي - يفسر كلام سيويه حرفاً حرفاً وكلمة كلمة وجملة جملة. ولكل من الشرحين فوائده.

أهم كتبه: شرح كتاب سيويه.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - براعته في تنظيم كلام سيويه، فمن ذلك تقسيمه لمخارج الحروف إلى ستة أقسام، ثم تفريع هذه الأقسام، كحروف اللسان تنقسم إلى أربعة أقسام: أقصى ووسط وحافة وطرف^(٢). وتابعه الداني في ذات التقسيم^(٣)، وهو من المتأثرين به في تقسيماته في باب الإدغام بدءاً من مخارج الحروف.. الخ^(٤)، وقد لاحظت ذلك في بعض كتبه. وستأتي أمثلة من ذلك في البحث.

٢ - كان يمزج كلامه بالمنطق وهذا أثر في مصطلحاته الصوتية، فمن ذلك تعبيره عن صفات الحروف ب: (الخواص)، وهو من المصطلحات المنطقية^(٥)، وقد استعمل بعض علماء التجويد مصطلحاته، كالقرطبي في الموضح، وستأتي أمثلة من ذلك في البحث.

٣ - قدم بعض الألقاب الصوتية، فمن ذلك تلقيبه الحروف التي يشترك في إخراجها طرف اللسان مع الحنك ب: (الحروف المفردة)، والحروف التي يشترك في إخراجها طرف اللسان مع الأسنان ب: (الحروف المتناسبة)، وسيأتي ذكر ذلك.

(١) انظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٩٣، ١٤/٧٥.

(٢) شرح كتاب سيويه ٢٠١/أ.

(٣) الإدغام الكبير في القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤هـ)، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ص ٥٤.

(٤) انظر: التحديد ص ١٠٢.

(٥) التعريفات للجرجاني ص ٩٥.

٤- من أوائل من جمع الحروف المهموسة في عبارة: (ستشحتك خصفهه)، وتابع عليها ابن جني وأهل التجويد، وسيأتي ذكر ذلك.

٥- قدّم عدّة آراء صوتية، من ذلك قوله عن القاف إنها أقوى حروف الاستعلاء؛ لأنها تستعلي بالمخرج والصفة على حين أن الباقية تستعلي بالصفة فقط.^(١)

٦- قدّم عدة تعليقات صوتية، منها ما ذكره عن علة لحروف التي وصفها سيبويه بأنه غير مستحسنة في تلاوة القرآن والأشعار بأنها تجرى مجرى الثلثة، والعجز عن إخراج الحرف على حقه.^(٢)

٧- ذكر أن علة إدغام المتقاربين والمتماثلين هو لتعديل الحروف والتشاكل؛ لما فيه من الحسن المنافي للتنافر.^(٣)

وهو بهذا قد قدّم أصلاً دقيقاً في الانسجام النطقي بين الأصوات.

٨- كشف عن مراد سيبويه في بعض المواضع التي يحيطها الغموض، ويختلف عليها بعض أهل الأداء اليوم، من ذلك وضع اللسان عند إخفاء النون وما يستتبع ذلك من اختلاف درجات الغنة، قال عن النون المنخفة: "ووجدوا لها مخرجاً من الخياشيم يخف إخراجها منه على نحو الخفة بالإدغام؛ لأن اللسان يرتفع رفعة واحدة للحرف في المدغم وفي النون التي تخرج من الخياشيم؛ لأنه ليس له عمل إلا في الحرف الذي بعدها، فالإخفاء فيها كالإدغام في رفع اللسان مرة واحدة".^(٤)

ومعنى: (يرتفع رفعة واحدة): هو تعبير عن انقلاع عضوي النطق عن مخرج الحرف المدغم فيه ومخرج المخفى فيه انقلاصاً واحداً بدلاً من انقلاعين إذا لم يدغما أو يخفيا، وسيأتي ذكر ذلك.

(١) شرح كتاب سيبويه لـ ٢٠٨/ب.

(٢) المرجع السابق لـ ١٩٠/ب.

(٣) المرجع السابق لـ ٢٠٣/ب.

(٤) المرجع السابق لـ ١٩٩/أ.

٩- قدم عدداً من المصطلحات الصوتية، منها تعبيره عن الانسجام بين الحروف ب: (تعديل الحروف)، وقد نقله الداني منه في بعض كتبه^(١)، ومنها تعبيره عن الحرف الذي يقرب بين الحرفين المتباعدين ب: (الحرف الوسط بين الحرفين)، وسيأتي ذكر ذلك في مظانه.

ابن جني (٣٢١ - ٣٩٢هـ):

خاتمة المبتكرين المحددين، ألف عدداً من الكتب احوت على معلومات صوتية هامة استفاد منها عدد كبير من العلماء، منهم: القرطبي^(٢)، والخفاجي^(٣)، وأبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة^(٤).

ويُعدُّ كتابه: (سر صناعة الإعراب) أول كتاب لأصحاب المدرسة النقلية يتعرض فيه صاحب للصوت وكيفية حدوثه، ولعله قد استفاد من أصحاب المدرسة العقلية؛ لأن تشبيهه جريان الصوت في الحلق بآلي العود والناي هو ذاته الموجود في كتاب الموسيقى الكبير للفارابي، وقد صرَّح بذلك في مقدمته حيث ذكر أن حدوث الصوت والتشبيه الذي ذكره مرجعهما إلى علم الموسيقى، قال: "وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب، وإن لم يكن هذا الفن مما لنا، ولا لهذا الكتاب به تعلق، ولكن هذا القبيل من هذا العلم - أعني: علم الأصوات والحروف - له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم"^(٥).

وقد تحدث أكثر أصحاب المدرسة النقلية من مخارج الحروف وصفاتها، وضمنوا ذلك الحديث عن آلات الكلام من حلق ولسان وشفة وخيشوم، ولم يفصلوا في أعضاء الصوت، على حين أن أكثر أصحاب المدرسة العقلية تحدثوا عن الصوت وأعضاء التصويت، ولم يذكروا الحروف ومخارجها، مما حدا بالخفاجي أن ينبه على ذلك بقوله: "وذلك أن المتكلمين وإن صنّفوا في الأصوات وأحكامها وحقيقة الكلام (ما هو؟)، فلم يبيّنوا مخارج الحروف، وانقسم

(١) الإدغام الكبير ص ٥٤.

(٢) انظر: الموضح ص ٧١ و ٧٢ و ٧٤ و ٧٦.

(٣) انظر: سر الفصاحة ص ١٦.

(٤) الحجة ص ٤٧٤.

(٥) سر صناعة الإعراب ٩/١.

أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها".

وأصحاب النحو وإن أحكموا بيان ذلك، فلم يذكروا ما أوضحه المتكلمون الذي هو الأصل والأس.

وأهل نقد الكلام، فلم يتعرضوا لشيء من جميع ذلك، وإن كان كلامهم كالفرد عليه.^(١)

ويُعدُّ ابن جني أول النحويين جمعاً بين المذهبين^(٢) من أصحاب المدرسة النقلية، وكذا الكندي وابن سينا من أصحاب المدرسة العقلية.^(٣)

أهم كتبه: الخصائص، وسر الصناعة، والمنصف، والمحتسب.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - براعته في ابتكار الأبواب وتنظيم المفرقات، فهو يجمع القضايا المفرقة التي أشار إليها من قبله ضمن أبواب، ويضع لها ألفاظاً من اختراعه، فمن ذلك: (باب هجوم الحركات على الحركات)^(٤)، و(باب تصاقب الألفاظ لتساقب المعاني)^(٥)، مما يدل على عقلية منظمة هضمت معارف من قبله. وقد أشار ابن جني إلى هذا الجمع الذي قام به في بعض المواضع.^(٦)

٢ - قدّم معياراً للحركات العربية في باب: (كمية الحركات)^(٧)، تناول فيه الحركات العربية الأصلية والفرعية، وسيأتي ذكر ذلك.

٣ - جمع التقريبات الصوتية بين الحروف في ظل باب أطلق عليه: (باب في الإدغام

(١) سر الفصاحة ص ٥، وأهل نقد الكلام هم أهل البلاغة.

(٢) في كتابه الشهير سر صناعة الإعراب.

(٣) في كتابه الشهير: أسباب حدوث الحروف.

(٤) الخصائص ٣/١٣٦.

(٥) الخصائص ٢/١٤٥.

(٦) الخصائص ١/١٦٢، وسر صناعة الإعراب ١/٥٦ و ٣٦٨، والمنصف ١/١٢٧.

(٧) الخصائص ٣/١٢٠.

الأصغر).^(١)

٤- يُعَدُّ ابن جني أحد الرواد الذين بحثوا علاقة الصوت بالمعنى وتوسعوا فيها، فبعد أن أورد الخليل عدداً من الأمثلة في حكاية الصوت، جاء ابن جني ليضع منهجاً متميزاً في عدد من الأبواب اختارها لذلك^(٢). وذكر أن أمثلة تقارب الألفاظ لتقارب المعاني لو جمعت لبلغت أكثر من ألف موضع^(٣).

٥- قدّم ابن جني عدداً من القواعد الصوتية، فمن ذلك قاعدة: (تدرج الحكم)^(٤)، وقاعدة: (تناهي الحرفين في البعد طريق إلى تلاقيهما في الحكم)^(٥).

٦- أشار إلى نظريات صوتية معاصرة، فمن ذلك: (نظرية الهدف أو التوقع النطقي)، وتقضي هذه النظرية بأن "الجهاز العصبي لا يحرك أعضاء النطق لإنتاج صوت ما، ثم إنتاج ما يليه، وما يليه، باعتبار كل منهما عملية مستقلة، ولكنه يأخذ الكل النطقي في الاعتبار، ويجدد هدفاً مسبقاً لحركة كل عضو"^(٦) أشار ابن جني إلى هذه النظرية في قلب النون ميماً عند الباء، وفي ضم همز الوصل إتباعاً، قال: "وذلك أنه لا يُنكّر أن يُؤثّر الشيء فيما قبله من قبل وجوده؛ لأنه قد علم أن سيرد فيما بعد، وذلك كثير... ومما غيّر متقدماً لتوقع ما يرد من بعده متأخراً ضمهم همزة الوصل لتوقعهم الضمة بعدها؛ نحو: اقتل...".^(٧)

٧- قدّم ابن جني عدداً من الأمثلة تستعين فيها العرب بنغمة الصوت لتفهم معنى

(١) الخصائص ١٣٩/٢.

(٢) الخصائص ١٣٢/٢ و ١٤٥ و ١٥٢.

(٣) المحتسب ٥٥/٢.

(٤) الخصائص ٣٥١/١. ومن أمثلتها أن قلب ذال: مذتكر دالاً: مذكر، درّجهم إلى قلب ذال: الذّكر: الذّكر.

(٥) المحتسب ٤١/٢. وذكرها ابن جني في كسر جيم: (جنيّاً) إتباعاً لكسرة النون، وتشبيهاً لها ب: شعير. فشبهت النون بالحرف الحلقي للقاعدة التي ذكرها فوق.

(٦) الكلام إنتاجه وتحليله، لعبد الرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ١٩٥.

(٧) الخصائص ٣٢٤/٢-٣٢٥.

الكلام.^(١)

٨- على الرغم من اعترافه بفضل أبي علي عليه إلا أن هذا لم يمنعه من مناقشة بعض آرائه الصوتية، فمن ذلك مناقشته في أن الحركة تحدث مع الحرف وإبطاله ذلك بكونها تحدث بعد الحرف.^(٢)

٢- العلم الصوتي في المغرب والأندلس:

هذه هي الحلقة الثانية والأخيرة من اكتمال العلم الصوتي عند أصحاب المدرسة النقلية، وذلك على يد علماء المغرب والأندلس، فقد أسلمت آراء وجهود ومصطلحات علماء اللغة والنحو والبلاغة والقراءات في المشرق إليهم فبشرت واذنت بولادة علم صوتي خالص هو علم التجويد الذي ظهرت أول ملامحه في المشرق في منظومة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (٣٢٥هـ)، وكتاب التنبيه على اللحن الجلي والخفي للإمام السعيد (٤١٠هـ) غير أنهما لا يبلغان مصنفات أهل المغرب والأندلس "الذين قاموا باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءة، وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم: (علم التجويد)، وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية"^(٣)

والذي يتميز به علماء التجويد عن سابقهم هو تنبيههم على العيوب النطقية التي تجري بها عادات الناس اللغوية عند قراءتهم لكتاب الله تعالى، وكذا تنبيههم على الاحترازات النطقية التي يجب استعمالها حتى لا يقع الإنسان في تلك العيوب، ومن هنا كانت حياة علم التجويد إلى عصرنا هذا، فكل عالم كان يرصد الأخطاء الأدائية التي تجري في عصره من قبل متعلمي القراءة، ويصف الدواء الشافي لها.

أهم العلماء في المغرب والأندلس:

(١) انظر الخصائص ٣٧٠/٢، والمحتسب ٥٥/١ و١٤٦ و٢٥٨ و٢٠٨/٢.

(٢) سر صناعة الإعراب ٣٢/١ والخصائص ٣٢٤/٢.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٠، وهو مرجع هام في تاريخ التجويد.

مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧هـ):

أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، أحد أئمة القراءات والقرآن والمنظور إليهم في هذا الشأن، لقبه ابن الحزري ب: أستاذ القراء والمجودين. أكثر مروياته يرويها عن أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبي نزيل مصر.

ويُعدُّ كتاب الرعاية لمكي من أوائل مصنفات علم التجويد وأحد أركانه قل صاحبه في أول الكتاب: "وما عَلِمْتُ أن أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جميع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها، ولا إلى ما أتبعْتُ فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى، والتنبيه على تجويد لفظه، والتحفظ به عند تلاوته".^(١)

أهم كتبه: الرعاية، والكشف في القراءات السبع، ورسالته في تمكين المدّ.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - توضيحه أهمية الصفات إضافة إلى مخارج الحروف، فمن ذلك ما ذكره بأن الصفات هي التي تفرق بين الحروف التي من مخرج واحد، وأنه لا يوجد حرفان اتفقا في الصفات والمخارج، وإلا اشتركا في السمع.^(٢)

وهو عين كلام المعاصرين حيث يقررون أن "أي حرف في النظام التشكيلي في أي لغة لا بد أن تكون بينهما جهة اختلاف واحدة على الأقل، وهذه الجهة إما أن تكون مخرجاً أو صفة، ولو اتفق حرفان في المخرج والصفة لما صح أن يُسمَّيا حرفين، بل إنما يكونان حرفاً واحداً".^(٣)

٢ - قدم عدداً كبيراً من الصفات والألقاب وصلت إلى اثنين وأربعين لقباً، أكثرها مأخوذ من ألقاب الخليل كالحروف الشجرية والأسلّية والهوائية والصتم... الخ، ومصطلحات سيويه كحروف الجهر والإطباق والاستعلاء والاستفال، وبعضها مجموع من ألفاظ

(١) الرعاية ص ٥٢.

(٢) الرعاية ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) مناهج البحث في اللغة، تأليف: د. تمام حسان، دار الثقافة الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م، ص ١٥٥.

سيبويه كالحروف الخفية، وبعضها مستل من ألفاظ المبرد في المقتضب كالحرف الراجع والمتصل، وبعضها لا أدرى هل هي من ألفاظه أم من غيره كالحرف الجرسى، وسيأتي ذكر ذلك.

٣- انفرد باستعمال عدة ألفاظ في بعض التعريفات، فمن ذلك استعماله لـ: (طائفة من اللسان) و(الريح) في تعريفه للإطباق.^(١)

٤- كان رائدَ وضع مقاييس القوة والضعف بين الحروف، "فهو أقدم من تكلم عن هذا الموضوع وأفاض في الحديث عنه وعرض تفصيلاته في أكثر من كتاب من كتبه، ويكاد كلام الذين جاءوا من بعده يكون اقتباساً منه"^(٢). وكذا المفاضلة بين صفات الحروف إذ أسرف فيه إسرافاً كبيراً.^(٣)

٥- كان رائداً في الحديث عن درجات التشديد في الحروف^(٤). وهو نوع من أنواع الارتكاز (Stress) الذي يدرسه علم الأصوات المعاصر.

٦- من فوائد كتابه الرعاية تثبيت دلالة أكثر مصطلحات التجويد التي نعرفها في شكلها الحاضر، فمثلاً كان مصطلحاً: (التفشي والاستطالة) يطلقان على الشين والضاد، فخص التفشي بالشين، والاستطالة بالضاد، وكذا تثبيته لمصطلح اللين وجعله خاصاً بالواو والياء الساكنتين بعد فتح بعد أن كانا يشملان حروف المد جميعاً بأحوالها المتعددة.

٧- قدم مكي بعض التعريفات الصوتية هي التي عرفت في كتب التجويد اليوم.

٨- حروف التفخيم عنده أربعة فقط هي حروف الإطباق. وبعض الحروف له حالات يفخم فيها.

(١) الرعاية ص ١٢٢.

(٢) الدراسات الصوتية ص ٣٢٨. وانظر الكشف ١٣٧/١ و ١٤١.

(٣) انظر أمثلة على ذلك في الرعاية ص ١٦٤ و ١٦٩ و ١٨٤ و ٢٠١ و ٢٢٤ وغير ذلك.

(٤) الرعاية ص ٢٤٥.

٩- انفرد ببعض التعريفات الصوتية كتعريفه للغنة بأنها حرف مجهور شديد لا عمل للسان فيها.

١٠- أرسى مكي منهج علم التجويد ومباحثه التي تبدأ بمقدمة عن القرآن وفضله وثواب قراءاته وتصحيحه، ثم حديث عن مخارج الحروف وصفاتها على مستوى الأفراد، ثم دراسة الأصوات على مستوى التركيب، ثم تبيين العيوب والاحتراقات النطقية. وقد تُتبع هذه المباحث بمبحث عن الوقف والابتداء. وهذه المباحث - في غالبها - هي التي يدرسها علم الأصوات المعاصر.

والمبحث الذي أغفله مكي ومن بعده من علماء التجويد هو الحديث عن الصوت وكيفية حدوثة وإدراكه.

١١- من أوائل من ذكر أن الكوفيين يسمون الروم إثمماً والإثممام روما.^(١)

وهذا فيه نظر، فمن خلال تتبعي للمصطلحات وجدت أن القراء من قبيل سيبويه، والكوفيون من بعده إلى عصر محمد بن كيسان كانوا يعبرون عن الروم والإثممام بلفظ واحد، وأن التفريق بينهما أتى على يد سيبويه الذي وضع لفظ: (الرّوم) للتعبير عن ضعف الصوت بالحركة، وأبقى لفظ: (الإثممام) للتعبير عن الإشارة بالشفقتين إلى الضمة من غير صوت يسمع، حتى أستاذه الخليل كان يستعمل مصطلح الإثممام. وقد بين الداني أن الكوفيين المتأخرين - بعد سيبويه - ومعهم ابن كيسان إنما ينقدون وضع سيبويه مصطلح الروم للكيفية المسموعة، والإثممام للكيفية المنظورة، ويرون أن العكس كان أولى.^(٢)

١٢- أول من طالب بإخفاء التكرير في الرء^(٣). ونشأ خلاف حول عبارته بين القراء المتأخرين: هل يقصد إخفاء التكرير جملة، أم يقصد النهي عن المبالغة في تكرير

(١) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د.

محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، ١/١٢٢ والتبصرة ص ١٠٥.

(٢) انظر: جامع البيان ٩٥٠/٣.

(٣) الرعاية ص ١٩٦.

الراء؟^(١)

١٣- أول من تبني أن حرفي الإنحراف هما اللام والراء من علماء التجويد^(٢)، وتابعه المتأخرون منهم خلافاً للداني والقرطبي وأبي العلاء الهمداني. وكان سيبويه قد ذكر انحراف الراء إلى اللام، لكنه لما عرف الحرف المنحرف لم يجعله إلا للام وتابعه أكثر العلماء على ذلك، وسيأتي ذكره.

١٤- ذكر في رسالته في تمكين المد أن الزمن لا يضبط، وأن تقدير المد بالألفات إنما هو تقريب للمبتدئين، قال: "والتقريب عندنا للمد بالألفات، إنما هو تقريب على المبتدئين، وليس على الحقيقة؛ لأن المد إنما هو فتح الفم بخروج النفس مع امتداد الصوت، وذلك قدر لا يعلمه إلا الله، ولا يدري قدر الزمان الذي كان فيه المد للحرف ولا قدر النفس الذي يخرج مع امتداد الصوت في حيز المد إلا الله تعالى.

فمن أدعى قدرًا للمد حقيقة فهو مدعى علم الغيب، ولا يدعى ذلك من له عقل وتمييز. وقد وقع في كتب القراء التقدير بالألف والألفين والثلاثة، على التقريب للمتعلمين. ألا ترى أنهم حين أرادوا التحقيق للمد ذكروا أنه لا يحكمه إلا المشافهة. وقسمه بعضهم على خمس رتب، وعلى أربع رتب، وبعضهم على ثلاث رتب.^(٣)

١٥- نبه على أهمية الدراية إضافة إلى الرواية، وأنه لا يكفي القارئ أن يقول: هكذا قرأت حتى يكون كلامه صواباً، بل لا بد أن يساعده النص في ذلك، قال: "وما نقل بتلاوة ولم يؤيده نص كتاب، فالوهم والغلط ممكن ممن نقله، إذ هو بشر، وإنما تعلق القراء بنصوص الكتب؛ لأنها عندهم أثبت في الحفظ، لأن الحفظ يدخله الوهم والشك، فليس رواية يصحبها النقل والنص في الكتب من تأليف المتقدمين والمتأخرين مثل رواية

(١) انظر تفصيل ذلك في الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣١٦.

(٢) الرعاية ص ١٣١.

(٣) تمكين المد في آتى وآمن وأدم وشبهه، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص ٣٦.

لا يصحبها غير أن يقول ناقلها: كذلك قرأت، ولا يدخل قوله بنص كتاب".^(١)

وسيكشف البحث في أكثر من موضع مدى إسهامات مكّي في الجانب الصوتي.

الداني (٣٧١ - ٤٤٤هـ):

عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي. قال عنه ابن الجزري: "الإمام العلامة الحافظ، أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين... ومن نظر كتبه علم مقدار الرجل وما وهبه الله تعالى فيه، فسبحان الفتاح العليم، ولا سيما كتاب جامع البيان فيما رواه في القراءات السبع".^(٢)

من الأمثلة على القيمة العلمية لكتبه أن كتابيه التيسير في القراءات السبع، والمقنع في رسم المصاحف هما اللذان نظمهما الإمام الشاطبي في منظومتيه: الشاطبية، وعقلية أتراب القصائد، ولا يستغنى طالب القراءات عنهما.

ويُعَدُّ كتابه التحديد من أهم مصنفات علم التجويد وأحد أركانه بعد كتاب الرعاية لمكّي.

أهم كتبه: جامع البيان، والتحديد في الإتقان والتجويد، والإدغام الكبير، والموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - نقله مصطلحات القراء الأوائل، وكيف كانوا يعبرون عن قراءاتهم، والأهم من ذلك حلُّ عُقْدِهَا وكشف مغلقاتها، ولولا تعليقاته لاستعصى كثير منها على الفهم، بل ربما أوهمت خلاف ما يريد القارئ، فمن ذلك تعبير بعض القراء عن إشماع: (قيل) بلفظ: (الضم).

هذا لو ترك بغير تعليق لأوهم أن بعض القراء ينطق: (قُول) بضم القاف، وهي لغة جائزة، وهنا يبرز دور الداني حيث يقول عن استعمال لفظ: (الضم) للتعبير عن الإشماع:

(١) تمكين المد ص ٤٨-٤٩.

(٢) غاية النهاية ١/٥٠٣.

"والعبارة عن ذلك بالرفع والضم، كالعبارة عن الإمالة بالكسرة والإمالة والإضجاع، وهي مجاز واتساع".^(١)

٢- مناقشته لآراء من سبقه من أئمة كبار، كمثّل مناقشته لابن مجاهد في إظهار اللام من قوله: (عَالَ لَوِطٍ) لقلّة حروفه، فحاجّة الداني بأن القراء أدغمت: (لكّ كيداً)، وهو أقلّ حروفاً منه. ورأي الداني هو المذكور في الشاطبية.^(٢)

٣- قدّم الداني عدداً من القواعد الصوتية، منها قاعدته المهمة في الإدغام: "الحرفان في الإدغام لارتفاع اللسان بهما ارتفاعه واحدة بمنزلة حرف وحد متحرك"^(٣). وقاعدته في كثرة الاستعمال: "يكثّر تغيير ما كثر استعماله ليخف".^(٤)

٤- كان لبعض أقواله التأثير الخطير في علم التجويد، فمن ذلك قوله عن التجويد: "فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف، وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكّه".^(٥)

هذا التعريف الطول للتجويد نظمه ابن الجزري في الجزرية وأعاد صياغته شعراً.

والعبارة الأخيرة من تعريفه: (وليس بين التجويد وتركه...) هي أحد أسس منهج علم التجويد، فهو يقوم على أربعة أركان: معرفة مخارج الحروف، ومعرفة صفاتها، ومعرفة أحكام التركيب، ورياضة اللسان وكثرة التدريب.^(٦)

٥- شارك في تثبيت دلالة أكثر المصطلحات الصوتية التي وصلت إلينا في كتب علم

(١) جامع البيان ل ١١٢/ب، وانظر له أيضاً: الموضح في الإمالة ل ١/ب.

(٢) جامع البيان ٣٩٥/٢.

(٣) جامع البيان ٤١٠/٢، و ٨٨١/٣.

(٤) جامع البيان ٩٠٥/٣.

(٥) التحديد ص ٦٨.

(٦) انظر: الدراسات الصوتية ص ٦٠.

التجويد، وأكثرها مصطلحات سيبويه.

٦- أورد في كتابه التحديد مذهبين لأحكام النون الساكنة والتنوين: مذهب سيبويه الذي يجعل الأحكام أربعة: إظهار وإدغام بغنة وبلا غنة، وقلب، وإخفاء، وهو المذهب الذي سار عليه أكثر النحويين والقراء، ومذهب القراء الذي يجعل الأحكام ثلاثة: إظهار، وإدغام محض، وإخفاء، ويشمل الإدغام بغنة وإخفاء النون وقلب النون ميماً، وهو المذهب الذي سار عليه الكوفيون وابن مجاهد وأصحابه من القراء. وقد تقدّم الحديث عنه وما حصل فيه من الوهم من بعض القراء نتيجة اختلاف الدلالة.

٧- قدم بعض المصطلحات الصوتية، منها تعبيره عن الحروف الصحيحة بـ: (الجامدة والساكنة)^(١).

٨- حلّ أموراً مهمة في الأداء يختلف بعض القراء عليها اليوم، فمن ذلك حكم الميم والنون عند الباء هل يتم بإظهار ذات الميم بإطباق الشفتين أم بإخفائها بانفراج بين الشفتين، مع جري الغنة في الحالتين؟

ذكر الداني أن الميم "أقوى من النون؛ لأن لفظها لا يزول، ولفظ النون قد يزول عنها، فلا يبقى منها إلا الغنة"^(٢).

ونقل القرطبي عبارته^(٣).

ومعنى هذه الملاحظة أن إطباق الشفتين في الميم ملازم لها في كل أحوالها بخلاف النون التي ينفصل فيها اللسان عن مخرجها في الإخفاء. وهذا النص فيه رد بليغ من يياعد بين الشفتين في الميم عند الباء، أعني في الإخفاء الشفوي.

وذكر أيضاً أن أحد أحوال النون الساكنة والتنوين "أن يقلبا ميماً خالصة من غير إدغام، وذلك عند الباء خاصة، وسواء كانت النون معها في كلمة أو كلمتين، نحو

(١) المطبوع من جامع البيان ٦٣٩/٢ - ٦٤٠. وانظر: ٤٢٤/٢.

(٢) التحديد ص ١٠٩.

(٣) الموضح ص ٩٧.

قوله: (وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ)، و (من بعد ذلك)، و (من بينهم)، و (أنبئهم)، و (أنبئوني)، و (أنبئكم)".^(١)

٩- أثبت التفاوت في إخفاء النون عند الحروف الخمسة عشر، بحسب قرب الحرف من النون وبعده عنه.^(٢)

١٠- عقليته المنظمة وتلخيصاته مذاهب القراء المتشعبة، فمن ذلك تلخيصه لأحكام الرء عند القراء من حيث التفخيم والترقيق.^(٣)

عبد الوهّاب القرطبيّ (٤٠٣ - ٤٤٦هـ):

أبو القاسم عبد الوهّاب بن محمد بن عبد الوهّاب الأنصاري القرطبي. وصفه ابن الجزري بأنه "مقرئ محرر أستاذ كامل متقن كبير رحال".^(٤)

من شيوخه أبو علي الأهوازي شيخ القراء في عصره المتوفى سنة ٤٤٦هـ.

وعلى الرغم من اعتماد القرطبي على من سبقه، وبالأخص كتاب الرعاية لمكي والتحديد للداني إلا أن كتابه جاء مميّزاً في كثير من أبحاثه.

وقد اعتمد ابن الجزري في بعض أبحاث كتابه التمهيد على الموضح للقرطبي.^(٥)

أهم كتبه: الموضح في التجويد.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:^(٦)

١- نجد للمؤلف نظرات عميقة في فهم الظواهر الصوتية، فكلامه عن ظواهر المد والتشديد

(١) جامع البيان ٧٣٤/٢. وفي قول الداني: (مميماً خالصة) رد واضح على الذين يقرؤون بلا إطباق للشفتين في النون عند الباء.

(٢) انظر: جامع البيان ٧٣٥/٢ والتحديد ص ١١٥.

(٣) انظر: التحديد ص ١٥٢.

(٤) غاية النهاية ٤٨٢/١.

(٥) انظر مقدمة محقق التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق

د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م، ص ٣٦-٣٧.

(٦) هذه الأعمال الصوتية أكثرها مستقى من مقدمة المحقق ص ٣٤.

والتليين والإظهار والإخفاء جاء واضحاً وعميقاً، وكذلك ذكره الشوائب الصوتية التي تدخل على الحروف بالتجاور في التركيب، وتنبيهه إلى ما يمتنع منها وما يجوز، وهي من دقائق علم الأصوات اللغوية، وسيأتي ذكر أمثلة على ذلك.

٢- أوّل القرطبي الحركات عناية كبيرة، وهي شيء يكاد ينفرد به من بين كتب علم التجويد القديمة، وهو حين يتحدث عنها كان يستند إلى فهم دقيق لهذه الأصوات، وإدراك صحيح للعلاقة بينها، فمن ذلك قوله: "فنقول: الذي ينبغي أن يعتمد القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يشبع الفتحة بحيث تصير ألفاً، ولا الضمة بحيث تخرج واواً، ولا الكسرة بحيث تتحول ياء، فيكون واضعاً للحرف موضع الحركة، ولا يوهنها ويختلسها ويبالغ فيضعف الصوت عن تأديتها ويتلاشى النطق بها وتتحوّل سكوناً".^(١)

٣- أعطى عناية خاصة بالسكون، فقال: "وكذلك السكون ينبغي ألا تستوفيه إشباعاً فيخرج إلى التشديد أو السكوت ومساواة حال قطع الكلام بوصله، ولا يزعجه وينفره فيصير حركة أو بعضها، بل يجعل الحركات والسكنات وزناً واحداً وقدرًا معلوماً وكلياً سواء، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة".^(٢)

٤- قدم القرطبي عدداً من المصطلحات الصوتية أوردها عن شيخه أبي علي الأهوازي، ولم أجدها مجموعة عند غيره، فقد نقل عنه رواية جعل فيه القراءة على عشرة أساليب، قال: "اعلم أن القرآن يقرأ على عشرة أضرب من القراءة: خمسة منها نهي أئمة القراءة عن الإقراء بها، وهي: الترعيد والترقيص، التطريب، والتلحين، والتحزين، إذ ليس فيها أثر ولا نقل عن أحد من السلف عليه السلام بل ورد عن بعضهم أنه كره القراءة بذلك... وخمسة منها أجاز الأئمة الإقراء بها، ونقلت عنهم على اختلاف فيها، وهي التحقيق،

(١) الموضح ١٩١.

(٢) الموضح ١٩١.

واشتقاق التحقيق، والتجويد، والتمطيط، والحدرد".^(١)

٥- إن المقدمة التي كتبها عبد الوهاب القرطبي لكتاب الموضح والمتمثلة في الفصول الخمسة التي تحدث بها عن اللحن في اللغة والاصطلاح، وعن اللحن الخفي والجلي، والأسباب التي أدت إلى ظهور اللحن الخفي شيء تميز به كتاب الموضح، فالبحت عن أسباب الانحرافات الصوتية المتمثلة بظاهرة اللحن الخفي لم يتناولها الباحثون قبله، ولم يدخلوها في كتبهم.

٦- قدّم عدة آراء تدل على فهمه الدقيق للأصوات، فمن ذلك ما ذكره عن طبيعة الواو والياء في حال المد وغيره، قال: "وذلك لأن الواو والياء حرفا مد والصوت يمتد بهما، وبالتشديد تخرجان عن المد للين ويتحيز مخرجهما، فيكون الواو من الشفتين والياء من الشجر، وبالتحيز يبطل المد ويلتحقان بغيرهما من الحروف الصالح".^(٢)

قوله: (ويتحيز مخرجهما... ويلتحقان بغيرهما من الحروف الصالح) فيه إدراك حقيقي لطبيعة هذين الصوتين.

ابن الطحان الأندلسي (٤٩٨ - ت حوالي ٥٦٠هـ):

أبو حميد (وأبو الأصبح) عبدالعزيز بن علي بن محمد السماقي الأندلسي المعروف بابن الطحان.

قال ابن الجزري عن كتابه مرشد القارئ: "لا يعرف قدره إلا من وقف عليه"^(٣)

وقد اعتمد عليه ابن الجزري في بعض أبحاث كتابه التمهيد، وصرح بذلك^(٤).

أهم كتبه: مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ.^(١)

(١) الموضح ص ٢١١. وقد دلنا ابن الباذش على أن أبا علي الأهوازي هو صاحب هذا التقسيم. (انظر: الإقناع

٥٥٤/١ - ٥٦٢)

(٢) الموضح ص ١٤٢.

(٣) غاية النهاية ٣٩٥/١.

(٤) انظر: غاية النهاية لابن الجزري ٣٩٥/١، ومقدمة محقق التمهيد ص ٣٦ - ٣٧.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١- جعل للحروف خمسة عشر مخرجاً، ولم يعتد بالنون الخفية كمخرجٍ سادسٍ عشر كما اعتد بها غيره. (٢)

٢- قدّم عدداً من المصطلحات مع تعريفاتها في أول كتابه مرشد القارئ، فمن ذلك تعريفه للتغليظ بأنه سمن يعتري الحرف فيمتلئ الفم بصداه. والترقيق عكسه، وهو نحول يدخل على جسم الحرف فلا يملأ صداه الفم (٣).

وهذان التعريفان هما اللذان تذكرهما بعض كتب التجويد المتأخرة للتفخيم والترقيق. (٤)

٣- فرّق بين السكون الحي والسكون الميت، فالسكون الحي جعله للحروف الصحيحة التي تنحيز في مخرجها وتقبل التحريك، أما السكون الميت فجعله لحروف المد (٥). وهو بهذا يخالف سيبويه ومن تابعه من علماء العربية؛ لأن سيبويه جعل كل سكون ميتاً، وكل حرف متحرك حياً بالحركة.

٤- أضاف إلى الصفات صفة النفخ مستلهماً تعريفها من كلام سيبويه، وسيأتي ذكر هذه الصفة.

٥- انفرد بوضع درجات لتفخيم الحرف حسب ما يجاوره من الحركات، فذكر أن أعلى مرتبة هي للمفتوح، ثم للمضموم، ثم للمكسور. وفرّع ابن الجزري على هذه المراتب مرتبتين أخريين حيث جعل المفتوح مرتبتين: مع ألف (قال)، ومن غير ألف (قد)، ثم المضموم، ثم الساكن، ثم المكسور فتصير خمس مراتب للحرف المفخم (٦). والمذهبان

(١) صدر كتاب لابن الطحان الأندلسي بعنوان: مخارج الحروف وصفاتها، لأبي الأصغ السُّمائيّ الإشبيليّ المعروف بابن الطحان، تحقيق: د. محمد يعقوب تركستاني، ط ٢، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، وتبين أنه جزء من كتاب مرشد القارئ.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٤.

(٣) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ، لأبي الأصغ عبد العزيز بن علي السُّمائي الشهير بابن الطحان (ت بعد ٥٦٠ هـ)، نسخة تشسرتيبي، ل ٨/ب.

(٤) انظر: التمهيد لابن الجزري ص ٧٢.

(٥) مرشد القارئ ل ٩/ب.

(٦) انظر: التمهيد لابن الجزري ص ١٢٧-١٢٨

مذكوران في كتب المتأخرين من أهل التجويد.

الخاتمة:

هذه باختصار رحلة العلم الصوقي عند أصحاب المدرسة النقلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري، بدأت بإرهاصة من تعليم النبي ﷺ حتى غدت علماً ناضجاً محدد المعالم والأركان، فهي رحلة بدأت وختمت بالقرآن الكريم، فهو النص الوحيد الذي تكفل الله بحفظه وأقسم على ذلك، وهو النص الحي المنقول نقلاً صوتياً على مرّ العصور من بدء نزوله إلى عصرنا هذا، من غير أن يصيب هذا النقل غائلة من فساد لسان أو تحريف نطق، نشهد الله على ذلك وندين به، فكان طبيعياً أن تصرف اهتمامات العلماء إليه وتصب الجهود فيه.

ولا أجد كلاماً أختتم به هذا الحديث سوى ما قاله صاحب الدراسات الصوتية عن أهمية علم التجويد في حياتنا اللغوية المعاصرة: "إن ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد أعطاه قوة معنوية تجعل المشتغلين به يقبلون على البحث فيه دون كلل، ويصبرون على متاعب البحث والتعليم حتى يتحقق لدى المتعلم المستوى النطقي المطلوب، ويحتسبون ذلك الجهد عند الله تعالى، وقد أثمرت تلك الجهود التي حظي بها علم التجويد في ترسيخ النطق العربي الفصيح على مدى العصور التي أعقبت نزول القرآن الكريم حتى عصرنا الحاضر، ولولا ذلك الارتباط بين اللغة العربية والقرآن، وبالتحديد بين علم التجويد والقرآن لكان حال اللغة العربية اليوم على غير ما هي عليه.

وثبات العربية الفصحى المستمر - خلاف كل اللغات الأخرى - لم يتحقق إلا بفضل تلك العلاقة بين علم التجويد، ممثلاً لجوهر النطق العربي الأصيل - وبين نص القرآن. وإن الواقع اليوم ليشهد أنه حيثما أهمل عمل التجويد انتكس نطق العربية الفصحى، ولو كان ذلك في قلب بلاد العرب، وحيثما نال هذا العلم العناية الكافية درساً وتطبيقاً صفاً ذلك النطق وسماً، ولو كان ذلك في أطراف آسيا أو في قلب أفريقيا. إنها حقيقة كبيرة ومهمة في حياتنا اللغوية المعاصرة، ولكننا نغفل عنها في كثير من الأحيان".^(١)

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٨٦.

المبحث الثاني: تأثير العلوم العقلية

المبحث الثاني: تأثير العلوم العقلية

المدرسة العقلية:

بدأت إرهاصات هذه المدرسة من عهد أبي جعفر المنصور حين أمر بترجمة علوم الأمم الأخرى، كالطب، والرياضيات، والهندسة، والفلسفة، والموسيقى... وغير ذلك من علوم الأمم الأخرى التي كانت ليست للعرب إلى العربية، كما تقدم في تاريخ العلم العربي، ثم منافسة الأندلس في المغرب لنظيرتها بغداد في المشرق في إكمال مسيرتها العلمية، مثلما حدث في المدرسة النقلية، واختتام ذلك بأن كانت الأندلس هي بوابة العلم العربي إلى أوروبا.^(١)

ودراسة المعارف الصوتية لهذه المدرسة تحتاج إلى بحث أطول من هذا بكثير؛ لأنها تتطلب عدة أشياء، منها:

١- دراسة المعارف السابقة على الحضارة الإسلامية بدقة وتفصيل.

٢- دراسة ما أضافته المعارف العربية الإسلامية على المعارف السابقة.

٣- مقارنة ذلك بالمعارف الحديثة.

أي على ثلاث مراحل، وهذا فوق طاقة الباحث في الوقت الحاضر، فالكشف عن هذه المعارف تحتاج إلى متخصصين جادين في فروع شتى من العلم؛ في الطب والموسيقى والمنطق والفلسفة والتاريخ القديم والفيزياء، قال ألدوميلي، وهو من الباحثين في تاريخ العلوم: "إن مقام العلم العربي (الذي نُطِّقُ عليه هذا الاسم على وجه غير دقيق...) هو بالمكانة الأولى من الأهمية في تاريخ العلوم؛ لأن هذا العلم العربي يُكوِّن حلقة الاتصال والاستمرار بين الحضارة القديمة وبين العالم الجديد. وإذا نحن لم نواجه ذلك العلم العربي ولم نَتَفَهَّمَهُ فسنجد فراغاً يتعذر تفسيره بين الحضارات القديمة وبين حضارتنا الحديثة. وإذا ينبغي أن نجتهد في دراسته بعناية".^(٢)

(١) تاريخ العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي لألدوميلي ص ٣٤٥ و ٤٢٣ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ١٠ - ١١.

ودراسة حركة العلم الصوتي لهذه المدرسة على خط الزمن من الأقدم إلى الأحدث يصعب عليّ جداً للاعتبارات السابقة، لكن حسبي أنني سألمحُ إلى جانب من هذه المعرفة في هذه الدراسة، عسى أن تكون فاتحة خير لمن يريد أن يدرس هذا الجانب، والله الموفق.

ويجب أن أشر هنا إلى أن علماء هذه المدرسة تميزوا بالموسوعية العلمية في شتى أنواع المعرفة النقلية منها والعقلية، ومن هنا كانت عالميتهم^(١). وسنجد من خلال مصطلحات الدراسة أن الموضوعات الأساسية التي بحثها أصحاب هذه المدرسة هي بعينها الموضوعات التي يدرسها علم الأصوات المعاصر في أول مباحثه، من كيفية حدوث الصوت وإدراكه، وشدته ودرجته، وما يتعلق منها بالنواح التشريحية والفيزيائية على السواء.

وسأعطى ملامح عامة إلى الأفكار الأساسية التي تقوم عليها هذه المدرسة، والتي انعكست آثارها على الجانب الصوتي، وذلك من خلال عدة نقاط:

١- نظرية العناصر الأربعة: وهي من النظريات الأساسية التي قامت عليها فكرة الطب العربي ومداواته وعلاجاته، سواء في عيوب النطق أو غيرها من الأمراض، وهي نظرية قديمة جداً، ترجع إلى ما قبل اليونانيين، وتأثر بها اليونانيون، ونقلها أطباء المسلمين منهم، واستمر القول بها حتى القرن التاسع عشر، إلى أن أبطلها علم الكيمياء المعاصر.

وهي تقوم على النظرة الكلية للأشياء، وتستند إلى أن الإنسان هو جزء من ناموس كلي في هذا العالم، وأن ما يحدث من حركات في الكواكب والأفلاك يؤثر على الكائنات الموجودة على سطح البسيطة فيتأثر به، ولذلك طبعت العلوم، ومنها العلوم الطبية، عند أصحاب هذه المدرسة بالمذهب الفلسفي.

وتقتضى هذه النظرية: أن العالم الذي نراه يتكون كله من أربعة عناصر أساسية هي: الماء والنار والهواء والتراب، تمتزج هذه الأربعة بنسب متفاوتة لتكوّن هذا العالم وما فيه، فإذا

(١) تعرّضت هذه المدرسة لكثير من النقد والمهجوم في جانبها العقائدي الفلسفي، ورمي أصحابها بالزندقة والإلحاد لكونهم أتوا بأمور تخالف ثوابت العقيدة الإسلامية من نظرة للإنسان والكون والحياة، أخذوها من مطالعاتهم في الجانب العقدي للأمم السابقة. وأهتم بهذه المدرسة بجانبها الصوتي البحت، ولا علاقة للبحث بغير ذلك من الجوانب.

تساوت هذه النسب الأربعة في جسم ما وصف بأنه: معتدل المزاج، وإذا اختلفت وصف بأنه: خارج عن الاعتدال، ومن هنا تكونت نظرية الطبائع الأربع المتممة للعناصر الأربعة، أعني: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، إذا غلب أحد هذه العناصر الأربعة على الباقيين سمي باسمه، فالمزاج الحار من غلبة العنصر الناري، والبارد من غلبة العنصر المائي، والرطّب من الهوائي، واليابس من الأرضي، وربما يتغلب عنصران، فيوصف المزاج بأنه: حار رطب، أو حار يابس، أو بارد رطب، أو بارد يابس.. وهكذا.

وتتفاوت هذه النسب من جسم لآخر بحسب امتزاج هذه العناصر، ومن هنا تكونت نظرية الأخلاط الأربعة: البلغم، والدم، والمرارة السوداء، والمرارة الصفراء.

كانت مهمة الطبيب في الماضي أن يصنف الجسم إلى أي الفئات ينتمي، بدلائل يعرفها من ذات الجسم، ثم يصف له ما يناسبه من العلاج، حتى يرده إلى طبيعته الذي هو عليه، فالعافية اعتدال، والمرض خروج عن الاعتدال.

ونلاحظ أثر هذه النظرية في كلامنا في قول أحدنا: إن مزاجي ليس معتدلاً اليوم.^(١)

٢- في عيوب النطق اهتم أطباء العرب بالعوامل العضوية التي تصيب أعضاء النطق، وكيفية مداواتها العلاجية، فمنها عيوب الجهاز السمعي والجهاز الكلامي، كالأضرار التي تصيب اللسان واللسان واللهاة والحنجرة والرئتين، من تشنج للعصب أو خلل في أصل الخلقعة، أو أورام أو قروح، أو استرخاء أو تشنج، أو قصر الوتر التي تحت اللسان، أو تشوّهه (عظمه أو قصره)، ويضمنون في هذه الفئة من الاضطرابات: اللججة، واللثمة، واضطرابات القراءة.

أما الموسيقيون منهم، فقد اهتموا بعيوب الحنجرة والحلوق والنفس لتأثيرها المباشر على الصوت.

(١) انظر للاستزادة عن هذه النظرية: كامل الصناعة الطبية للمجوسي ١٧/١، والتصريف لمن عجز عن التأليف، للطبيب أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت حوالي ٤٠٠هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج ٣١، طبع بالتصوير عن مخطوطة بشير آغا رقم (٥٠٢)، مكتبة السلیمانية، استانبول، ٤/١، وتاريخ العلم لجورج سارتون ٢٢١/٢ - ٢٢٢.

ولا شك أن هذا الجانب من العيوب النطقية قد أفرز عدداً كبيراً من المصطلحات والألفاظ والتعبيرات التي تستحق الدراسة والبحث مما هو مذكور في الفصل الخامس من الباب الثاني.

٣- الأطباء تناولوا هيئة الصوت بحثاً عن السبب الذي يجعل بعض أصوات الناس خشنة وصافية، ورفيعة وغلظية، وعظيمة وصغيرة، وذات بحة طبيعية ومرضية، ووجدوا أن أكثر ما يمثل الرئة والقصبه الهوائية والحنجرة في الطبيعة هو آلة المزمار الموسيقية، حيث تمثل الرئة القوة الدافعة للهواء، ويقابلها في المزمار قوة النفخ من الزامر، والقصبه الهوائية تمثل قصبه الزامر، والأوتار الصوتية في الحنجرة تمثل اللسان الذي يقطع الهواء في المزمار، ولذلك شبهت به فقيلاً لها: (الجسم الشبيه بلسان المزمار).

ومن الأمثلة على تشبيه الهوائية بالمزمار أن الأعراض والعلل التي تصيب آلة الزامر وتؤثر على نوعية الصوت جعلوها نفسها الأعراض التي تصيب الصوت الإنساني، فالمزمار إذا كان خشبه رطباً، فإن توزع الصوت على سطحه يكون بطيئاً، فيكون اهتزازه بطيئاً، وصوته مكتوماً. أما إذا كان خشبه جافاً فإن توزع الصوت على سطحه يكون سريعاً، ويكون اهتزاز جسمه سريعاً، وصوته صافياً، وهكذا علل بعض الأطباء لتكوين القصبه الهوائية، فقال أبو علي الجوسي عن القصبه الهوائية: "وجعل جواهر أجزائها جواهر غضروفي صلب؛ ليكون إذا قرعه الهواء الخارج كان الصوت لذلك صافياً؛ إذ كان الصوت الأبح إنما يكون من رطوبة قصبه الرئة".^(١)

٤- كشف الأطباء المسلمون عن دور الأوتار الصوتية في عملية التصويت، وهو أمر ما زال مجهولاً لدى كثير من الباحثين اليوم، "وهو يكشف لنا عن عظمة الطبيب العربي المسلم الذي استطاع هضم العلم اليوناني، وتمثل ذلك في عرضه الحسن للمادة العلمية وإتقان تصنيفها، وكذلك في إغناء هذه المادة العلمية بجهوده الشخصية وإسهاماته العبقريّة الكثيرة. ولا أدل على ذلك التقدير من أنه حينما عرفت أوروبا الطب العربي والطب اليوناني في نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة وضعت المؤلفين العرب

(١) الجوسي: كامل الصناعة الطبية ١/١١٩.

في مصاف المؤلفين اليونان.

وتشير إحدى الرسوم الأوروبية القديمة إلى الأساتذة الأربعة العظام في الطب: أبقراط وجالينوس وحنين بن إسحاق وابن سينا.

وتشير وثائق أخرى كثيرة يعود تاريخها إلى العصور الوسطى إلى المكانة الرفيعة التي كان يحتلها بعض المؤلفين العرب في عالم التدريس الطبي، كابن ماسويه، وابن سرايون، وأبو بكر الرازي، والجوسي، وابن الجزار، والزراوي، وابن سينا وغيرهم.

إن سبب زهد الغرب الأوروبي الحديث في التراث الطبي العربي يرجع إلى أن كثيراً من مؤرخي الطب الأوروبيين قد أتقنوا اللغتين اليونانية واللاتينية، وبالتالي عرفوا إسهامات اليونان فيه، وجعلوا اللغة العربية فلم يعرفوا كيف يتعاملون مع المخطوطات الطبية العربية، ويرجع أيضاً إلى موقف الحضارة الغربية من الحضارة العربية، وقد يرجع إلى اعتبارات أخرى أيضاً^(١).

٥- عرف المتقدمون الحدة والثقل في الأصوات بمفهوم مغاير لمفهوم المعاصرين، فالمعاصرون يعنون بالحدة والثقل التغير في طبقة الصوت (PICH)، والتي تعتمد بشكل أساسي على التغير في التردد، أما نظرة المتقدمين للحدة والثقل في الأصوات فهي نظرة عامة تتناول كل ما يحدث تغييراً في الموجه الصوتية، وهذه النظرة ترمى إلى البحث عن الأسباب التي تجعل الموجات الصوتية ذات ترددات عالية أو منخفضة، والخاصة بطبقات الصوت، وذات سعة اهتزازية أكبر أو أقل الخاصة بشدة الصوت، ومما يدخل فيها أيضاً قوة الصدم، ونوعية الجسم المصدوم، وقابليته لنقل الموجات الصوتية، والمقاومة التي تحدث بين الجسمين المتقاومين، وسرعة انتقال الموجه الصوتية في الوسط الناقل للصوت، وانعكاس الموجات الصوتية أو امتصاصها مما يعتمد على نوعية السطوح في الأجسام، وتجاوب الأجسام بالاهتزاز مع أجسام أخرى مهتزة، مما يعرف

(١) انظر: مقالة بعنوان: نظرة حديثة لفهم تاريخ الطب العربي للدكتور نشأت حمارة (بتصرف)، من مجلة التراث العربي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ص ٩٣- ١١٢ من العدد ٧٦ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ الموافق تموز- يوليو ١٩٩٩ م. السنة: ١٩، ناقش فيه صاحبها المقولة التي تقول: إن الطب العربي ما هو إلا الطب اليوناني القديم مكتوباً باللغة العربية.

بظاهرة الرنين، وسيأتي الحديث عن ذلك كله ضمن مصطلحات البحث.

٦- فرق الأطباء المسلمون بين الأعضاء المسؤولة عن التنفس والتصويت، وبين الأعضاء

المسؤولة عن الكلام وتقطيع الحروف، فذكر أبو الحسن علي بن العباس الجوسي أن

العضو الواحد يُستعمل آلة لفعلين أو ثلاث، ليُستغنى به عن كثرة الآلات.^(١)

ومثل ابن رشد لذلك باللسان والهواء، حيث استعمل اللسان في الذوق والكلام،

والهواء في التنفس والتصويت. وبيّن أن استعمال الكلام والتصويت إنما هو من جهة الأفضل،

يستطيع الإنسان العيش بدونهما.^(٢)

وهذا بعينه الذي تذكره كتب الدراسات الصوتية المعاصرة من تعدد الوظائف للعضو

الواحد، وأن عملية الكلام ثانوية.^(٣)

٧- علم النغمات التوافقية (Harmonics) علم عرفه العرب قبل الغرب بألف سنة، وقد

سماه الفارابي علم الاصطحاب، وسماه ابن سينا في كتابه الشفاء: "التضعيف"

و"التركيب على التناظر".^(٤)

قال الفارابي: "ونعني بعلم الاصطحاب اشتراك نغمتين، أي صوتين أو أكثر تنقر في آن

واحد. واشترك الأصوات المتألّفة بحسب وصولها إلى الأذن. واتفاق الاصطحاب والمؤالفة

متوقف على نسبة الأصوات بين بعضها"^(٥). يقول الدكتور يوسف شوقي في أول تحقيقه

لرسالة ابن المنجم في الموسيقى: "ويكشف (فارمر) لأول مرة، سنة ١٩٢٥ هـ عن دور العرب في

تطور فن الهارمونية الذي يشيع الاعتقاد، حتى يومنا هذا بأن العرب لم يعرفوه، ولم تكن لهم يد

في تطوره... ولعل أهم ما يكشف عنه فارمر من تأثير العرب في الفنون الموسيقية بأوروبا هو

(١) كامل الصناعة الطبية ١١٨/١ بتصرف.

(٢) كتاب تلخيص النفس ص ٨٣ و ١٥٢ و ١٥٣.

(٣) انظر: علم اللغة لمحمود سمران ص ٦١ و ١٣١، وعلم الأصوات العام لبسام بركة ص ٥٩.

(٤) رسالة ابن المنجم في الموسيقى وكشف رموز كتاب الأغاني، تأليف ابن المنجم، تحقيق يوسف شوقي، ١٩٧٦م،

ص ١٨.

(٥) نقل نص الفارابي دون أن يحدد مصدره الأستاذ سليم الحلو في كتابه تاريخ الموسيقى الشرقية، لسليم الحلو، منشورات

دار مكتبة الحياة، ص ٢٣٧.

دورهم في إبداع نظام التدوين الجدولي للآلات الوترية".^(١)

٨- طبعت علوم هذه المدرسة وآراؤها بالمنهج الفلسفي الذي يقوم على تعليل كل شيء، والبحث عن أجوبة وتفسيرات لكل شيء، وهذا الجانب امتد أثره إلى العلوم النقلية، كمثل العلل الثواني والثالث في النحو. وهذا المنهج أخذه أصحاب هذه المدرسة من رائد علم المنطق أرسططاليس.

أهم علماء هذه المدرسة:

فيلسوف العرب: الكندي (..... - ٢٦٠هـ):

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، "جده الأشعث بن قيس، صحابي جليل، وبقية أجداده ملوك في الجاهلية وأمراء في الإسلام".

تعلم الرياضيات والطبيعات، وأجاد معرفة الطب والمنطق والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك، وأحاط بالثقافتين اليونانية والفارسية. وقد تعمق في معرفة اليونانية حتى تخيره المأمون بين حكماء العرب الذين قاموا بترجمة المكتبة اليونانية وما اشتملت عليه من علوم وفنون.

وقد عد الكندي في صدر أربعة هم حذاق الترجمة وحملة لوائها".^(٢)

كان الكندي عالماً موسوعياً جمّاعاً للعلوم، وكثير من كتبه يتصل بالعلوم اتصالاً مباشراً، وقد أثرت كتبه المترجمة تأثيراً عميقاً في الشعوب اللاتينية.^(٣)

أهم كتبه: رسالة في اللثغة، وخبر صناعة التأليف، وفي أجزاء خبرية في الموسيقى.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١- من أوائل من اعتمد الترتيب الأبجدي في وصفه للأصوات في رسالته في اللثغة.

٢- تعد رسالته في اللثغة من أوائل الرسائل المتخصصة التي بحثت في عيوب النطق، وقد

(١) رسالة ابن المنجم في الموسيقى ص ١٨ و ٢٥.

(٢) انظر: تاريخ الموسيقى الشرقية ص ٢٤٧.

(٣) انظر: تاريخ العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي لألدومبيلي ص ١٤٩.

نُهج فيها نُهجاً فريداً في وصف حروف العربية، وتتبع هيئات النطق بها، ومما يدل على أهمية هذه الرسالة أن المجموع الذي وجدت فيه عليه تملُّكٌ منسوب إلى الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا، مما يوضح لنا مدى الصلة بين كلا الرجلين.^(١)

٣- قدم الكندي عدداً لا يستهان به من المصطلحات الصوتية، فمن ذلك المصطلحات التي قدمها في أعضاء النطق ومخارج الحروف، ولم يسبقه إليها أحد، وسيأتي ذكر ذلك.

٤- أشار الكندي إلى دور عضلات اللسان في التسبب في اللكنة في الكلام، قال: "وذلك أن العضل المحركة لهذا العضو لا تطبق حملة، وتحركه وتنقله عن الأماكن الواجبة للنطق، فيعرض من ذلك اللكن في الكلام".^(٢)

٥- جاء وصف الكندي كاملاً للحرف من حيث الهيئة التي يكون عليها وما يصاحبها عند نطق الحرف، فجاء الحديث عن المخارج والصفات معاً ضمن وصف الهيئة، وتابعه في ذلك ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف. واختار المعاصرون الصوتيون هذه الطريقة.

٦- كشف في رسالته: (في أجزاء خُبرية في الموسيقى) عن العلاقة بين الوزن الشعري والإيقاع النغمي، مما يستدعي دراسة خاصة حول هذا الجانب.^(٣)

المعلم الثاني أبو نصر الفارابي: (٢٦٠ - ٣٣٩هـ):

محمد بن محمد بن طَرْحان بن أوزلغ أبو نصر الفارابي، أكبر فلاسفة المسلمين.

كان يُعرَف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول). وكان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره، ويقال إن آلة القانون الموسيقية هي من اختراعه.

(١) انظر: مقدمة تحقيق رسالة في اللُغَة، ليعقوب الكندي (ت ٢٦٠هـ)، تحقيق: محمد حسان الطيان، ضمن مجلة مجمع

اللغة العربية بدمشق، مج ٦٠، ج ٣، شوال ١٤٠٥هـ = يوليو ١٩٨٥م، ص ٥١٦.

(٢) رسالة في اللُغَة ص ٥٣٠.

(٣) في خُبرِ صناعة التآليف، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠هـ)، تحقيق: د. يوسف شوقي، دار

الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٢٦١-٢٦٢.

وهو أول من ألف دائرة معارف - بالمعنى العلمي للكلمة - تمثلت في كتابه: إحصاء العلوم.

أهم كتبه: الموسيقى الكبير، وإحصاء العلوم، والحروف.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١- كشف الفارابي عن كيفية انتقال الموجات الصوتية عبر الهواء حتى تصل إلى الأذن بمثل مفهوم المعاصرين له، حتى إنك لتتساءل عن نوع المعرفة التي كانت سائدة في تلك العصور المتقدمة، على الرغم من عدم وجود أي أجهزة قياسية دقيقة، وسيأتي ذكر ذلك.

٢- أشار إلى تجويفات أعضاء النطق كغرف رنينية تؤدي إلى تضخيم الصوت، قال: "قد يتفق أن تكون الآلة التي فيها الأوتار لها في نفسها استعداد لأن تسمع منها نغم عندما تهز أوتارها، إما بأن يكون لها اهتزاز، أو أن يكون لها تجويفات قد انحصر فيها هواء ولها منافذ من خارج، فمتى تموج الهواء الذي حول الأوتار عندما تهتز، تأدى ذلك من المنافذ إلى تجويفاتها فيحدث من الهواء المنحصر فيها دوي".^(١)

٣- أشار إلى أن خروج هواء الزفير أثناء عملية التصويت يختلف عنه في عملية التنفس^(٢)، وهو عين ما تذكره الكتب الصوتية المعاصرة.^(٣)

٤- ذكر أن الحلوq الإنسانية هي أكمل الآلات الموسيقية، قال عنها: "وليس ها هنا ما هو أكمل من الحلوq، فإنها تجمع جل فصول الأصوات"^(٤)، وسائر ما توجد فيه النغم من الآلات تنقص عنها نقصاناً كبيراً، وهذه كلها إنما جعلت تكثيرات وتفخيمات وتزيينات ومحاكيات وحافظات لنغم الحلوq الإنسانية".^(٥)

(١) الموسيقى الكبير، ص ٥٨٤.

(٢) كتاب تلخيص النفس ص ٨٢.

(٣) دراسة السمع والكلام، لسعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م، ص ١٠٣.

(٤) فصول الأصوات: مقاطعها وأجزاؤها المصوتة.

(٥) الموسيقى الكبير ٧٩-٨٠.

٥- يعد الفارابي رائد نظرية الحدة والثقل في الأصوات، وما يتعلق فيها من درجة الصوت وشدته، قال الفارابي عن السبب الكلي العام فيهما: "وأما حدة الصوت وثقله، فإنما يكون بالجملة متى كان الهواء النابي شديد الاجتماع، أو كان في الحال الدون [الأقل] من الاجتماع. فإنه إن كان شديد الاجتماع كان الصوت أحَدًا، ومتى كان أقل اجتماعاً وتراصاً كان الصوت أثقل، وجميع ما يفعل الاجتماع الأشد في الهواء هو السبب في أن يفعل الصوت الأحَدًا، وما يفعل الاجتماع الدون فهو السبب في أن يفعل الصوت الأثقل"^(١)، وسيأتي تفصيل ذلك.

٦- أشار الفارابي إلى حقل السمع الذي تسمعه الأذن، يعنى الترددات الطبيعية التي تدركها الأذن الإنسانية، قال: "ونجد في طبقات الحدة طبقات ليست طبيعية للسمع، وكذلك في الثقل وطبقاته، ونجد فيها طبقات طبيعية للحس، فالنغم التي هي في طبقات من الحدة والثقل طبيعية للإنسان هي بين أول طبقة من الحدة غير طبيعية وبين أول طبقة من الثقل غير طبيعية، فإذا هو كذلك، فبيِّن أن النغم المختلفة الطبقات، أما في أنفسها، فإنها يمكن أن تتردُّ تزيُّداً بلا نهاية، وأما بحسب قياسها إلى سمع الإنسان فهي متناهية"^(٢).

٧- قسّم الفارابي الأجسام المؤهلة لنقل الموجه الصوتية إلى خمسة أنواع: مهتزة، ويزحف على وترها، ومجوفة نفخية، ورنانة، وعاكسة للموجات^(٣)، وسيأتي تفصيل ذلك.

٨- اشترط الفارابي الملامسة في الأجسام العاكسة والرنانة فيه، وهذا فيه إدراك خطير ودقيق لظاهرتي الرنين والصدى، فمهندسو الصوت يعلمون جيداً أن "أكثر الأسطح فعالية لعكس الصوت هي الأجسام الصلبة الملساء ذات الملمس القاسي، مثل الجدران والأسقف والأرضيات الصلبة. أما الأجسام الطرية، وتلك التي تكون ذات مسام كثيرة مثل السجاد والستائر وغيرها، فإنها تعتبر عاكسات رديئة للصوت، فهي تمتص نسبة

(١) الموسيقى الكبير ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) المرجع السابق ص ١١٢ - ١١٣.

(٣) المرجع السابق ص ٢١٤ - ٢١٥.

عالية من الصوت عبر مسامها. (١)

٩- حل الفارابي إشكالاً كبيراً يجده المعاصرون عن تسمية حروف المد بالساكنة مع أنها حركات طويلة، حيث بين كلامه أن هذه التسمية لها علاقة بالوزن الشعري العروضي والإيقاع النغمي، فقد عدّ الخليل الحرف المتحرك المختوم بساكن يعادل في العروض الحرف الممدود المختوم بحرف مد (أُنْ = نَأْ، نُؤْ، نِيْ)، وهكذا عده شيخ الموسيقيين الفارابي في الإيقاع الموسيقي حيث يقول: "وكل مقطع طويل، فإن قوته قوة السبب الخفيف، فلذلك يعد في الأسباب الخفيفة، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة... وكل سبب خفيف، فإنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة، وكذلك كل مقطع طويل". (٢)

فالعلاقة بين الساكن والمتحرك في علم العروض علاقة عرضية إيقاعية مقطعية بحتة.

١٠- فرّق بين الأصوات الانفعالية التي تخرج بالطبع وبغفوية من الإنسان والحيوان على السواء، كالأصوات التي تخرج عند الطرب والخوف والغضب، وبين تلك التي تخرج بقصد إرادة الإفهام، وتوصيل ما في الأذهان، وهي الحروف التي منها يتألف الكلام، وتخص الإنسان، قال: "فإن الإنسان وسائر الحيوان المصوتة، لها بالطباع في كل حال من أحوالها اللذيذة أو المؤذية نغم تستعملها، وهذه سوى الأصوات التي يستعملها الحيوان علامات يؤذن بها بعضها بعضاً بأمر من الأمور، وأكثر هذه هي في الإنسان، وهي الأصوات التي يركب الإنسان منها الألفاظ وهذه خاصة بالإنسان". (٣)

وما قاله الفارابي والتقسيم الذي أورده من أصوات لغوية واعتباطية انفعالية هو الذي تذكره كتب علم اللغة الغربي المعاصر في مقدمات حديثها في التفريق بين الأصوات

(١) الفيزياء للأدباء، تأليف د. خضر محمد عبدالرحمن الشيباني، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١،

١٤١٦هـ=١٩٩٦م، ص ٢٢٧.

(٢) الموسيقى الكبير ص ١٠٧٥-١٠٧٩.

(٣) الموسيقى الكبير ص ٦٢.

اللغوية والأصوات الاعتباطية. (١)

١١- كان رائداً في حديثه عن المقطع الصوتي بمفهومه المعاصر كوحدة صوتية تتكون من صحيح وحركة، وقال عن المقطع القصير والطويل: "وكل حرف غير مصوّت أُتبع بمصوت قصير قرن به، فإنه يسمى: (المقطع القصير)، والعرب يسمونه: (الحرف المتحرك)، من قِيلَ أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات. وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإننا نسميه: (المقطع الطويل)" (٢)، وسيأتي ذكر ذلك في المصطلحات.

١٢- استعمل الفارابي لفظ: (الأخذ بالوجه)، وعزاه إلى أرسطو، ويقصد به الأشياء المصاحبة التي تساعد الشاعر أو الخطيب أو المغنى على توصيل معاني ما يؤديه بواسطة الانفعالات الحركية الجسدية، أو التغيير في الطبقة الصوتية، فيما يعرف عند علم الأصوات المعاصر في هذا الأخير بـ: (التنغيم Intonation). وسيأتي تفصيل ذلك في مظاره.

١٣- قدم عدداً من المصطلحات المهمة، فمن ذلك تعبيره عن أعضاء النطق بـ: (آلات التصويت الإنساني)، (المقطع القصير والطويل)، و(الأخذ بالوجه)، و(المصوتات الطويلة والقصيرة) إلى غير ذلك من المصطلحات التي سيكشفها هذا البحث.

١٤- بشكل فريد جداً تحدث عن الحركات المعيارية التي لا تخلو منها لغة إنسانية، وجعلها اثنتي عشرة حركة، وهو بهذا يسبق دانيال جونز في مقياسه المعياري للحركات بحوالي ألف سنة، وسيكشف البحث هذه النقطة.

الطبيب الفيلسوف الرئيس أبو علي ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ):

الحسين بن عبد الله بن سينا، شَرَفُ المُلْك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات.

(١) انظر: علم اللغة لمحمود سمران ص ٥٨ وما بعدها.

(٢) الموسيقى الكبير ص ١٠٧٥.

أشهر كتبه: القانون في الطب، يسميه علماء الفرنج: (Canonmedicina)، بقي معولاً عليه في الطب ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم.^(١)
 "ولئن كان ابن سينا لقب في الشرق بالشيخ الرئيس، فقد لقب في الغرب بأمير الأطباء".

ويبلغ من مكانه ابن سينا أن شهد له الأطباء الغربيون بأن حلقة الطب قد اكتملت على يديه، قال الطبيب الأوروبي "دي بور" في تقييم الأطباء المسلمين وتقديرهم: "كان الطب معدوماً فأوجده أبقراط، وميتاً فأحياه جالينوس، ومشتتاً فجمعه الرازي، وناقصاً فأتمه ابن سينا".^(٢)

وإذا أردنا أن نعلم مكانه ابن سينا، فلنستعرض البرنامج الدراسي لمدرسة مونبلييه الطبية في فرنسا (من سنة ١٤٨٩ إلى سنة ١٥٠٠م)، وتعد هذه المدرسة من المدارس الكبرى التي قامت عليها النهضة الطبية الغربية الحديثة.

١٥٠٠	١٤٩٩	١٤٩٨	١٤٩٧	١٤٩٦	١٤٩٥	١٤٩٤	١٤٩٣	١٤٩٢	١٤٩١	١٤٩٠	١٤٨٩	
٣	٤	٥	٦	٤	٥	٥	٦	٤	٤	٣	٤	ابن سينا
٤	١	٢	٢	٢	٤	٢	٣	-	٢	-	٢	جالينوس
١	١	١	-	١	١	١	٢	١	-	-	١	أبقراط

ويمثل الجدول السابق الحصص المعطاة للكتب الطبية هذه المدرسة، لاحظ أن كتب ابن سينا كانت تحتل مركز الصدارة من بين كتب الأطباء الآخرين، وكانت لها حصة الأسد في برنامج الدروس، حتى إنها في بعض السنوات كانت تشكل المادة الوحيدة للدراسة كسنة ١٤٩٠.^(٣)

(١) انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م، ٢/٢٤١-٢٤٢.

(٢) انظر موقع: (<http://www.islamset.com>) على الانترنت.

(٣) انظر موقع: (<http://www.islamset.com>) على الانترنت.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١- وَصَف ابن سينا للحنجرة فاق كل ما قبله في الصحة والدقة، حيث أعطاهما صورة تشريحية لا تفترق كثيراً عما نعرفه اليوم عنها، حيث وصف غضاريفها وعضلاتها والأربطة التي تضمها، وتعرض لوظائف كل جزء منها، عند الكلام، والتنفس والبلع، وغير ذلك مما يعرف في يومنا هذا بعلم وظائف الأعضاء^(١)، وسيأتي تفصيل ذلك بالرسومات التوضيحية التي تبين عظمة هذا الرجل.

٢- يعتبر ابن سينا أول من وظف الرطوبة واليبوسة (المرونة وغير المرونة) هاتين الخاصيتين الفيزيائيتين في شرحه لأسباب حدوث الحروف، إما بذكره للأعضاء المرنة، كاللسان، وغير المرنة كالأسنان. وإما بذكره لمرونة الهواء الفاعل للصوت، المنضغط بين عضوي النطق في محاولته الانفلات وإحداث الصوت اللغوي. وسيأتي ذكر ذلك في مصطلح: (الرطوبة).

٣- إن تحديد ابن سينا لعضلات اللسان وجعل بعضها مسؤولاً عن بعض الأصوات أمر فريد لم أعرف إلى الآن من تحدث عنه أو قام بدراسته، وسيكشف البحث هذه النقطة في شرح عضلات اللسان.

٤- وظَّف ابن سينا معرفته التشريحية والفيزيائية والموسيقية في رسالته لشرح حدوث الحروف، حيث تناول الأعضاء في ذاتها، والهيئة التي تكون عليها بعد التقاء عضوي النطق، فيما يسميه ببيئات المخارج، والأجزاء الحابسة للصوت والمحبوسة، ونوعية الحبس والإطلاق، وعلى هذه الستة المتقابلة بعضها أو كلها جرى في وصف الحروف. وبهذا يكون قد وصف الصوت في مراحل بدءاً من إنتاجه، ثم مروره بالخرج ثم إطلاقه، فانضغاط عضوي النطق وحصر الهواء المدفوع من عضل الصدر والحجاب الحاجز بينهما يحدث مقاومة هي العلة الأولية لحدوث الصوت عنده.

(١) انظر موقع: (<http://www.islamset.com>) على الانترنت، فيه مقالة للدكتور مصطفى أحمد شحاته عن

الحنجرة وأمراضها في الطب الإسلامي.

وقد تكون هذه المقاومة عبارة عن هواء قابل للانخراق يقف حاجزاً في تيار الهواء المدفوع من الرئتين، فيحدث اهتزاز للهواء الفاعل للصوت أو قسر أو تفقع أو تفقؤ أو غير ذلك. وقد يكون هناك مقاومة من خلال أحد عضوي النطق كحبس تام للهواء ثم إطلاق كالهزمة، حيث يقاوم الغضروفان الطَّرْجَهائِيَّانِ الهواء المدفوع.

والخلاصة أن النظرية الصوتية لابن سينا عن كيفية حدوث الحروف تتلخص في ثلاث

نقاط:

١- قارع ومقروع.

٢- انضغاط الهواء وانفلاته بينهما.

٣- مقاومة أحدهما للآخر، وهي العلة الأولى لحدوث الصوت.

٤- قدم ابن سينا عدداً من المصطلحات الصوتية، كتعبيره عن صفة الشدة بـ: (الحبس التام) وتلقيب أصواتها بـ (المفردة)، وعن الرخاوة بـ: (الحبس غير التام) وتلقيب أصواتها بـ (المركبة) إلى غير ذلك من المصطلحات التي سيذكرها البحث.

٥- إن تقريب ابن سينا لوصفه للحروف بما يحاكيها من الأشياء الحسية والطبيعية - كتشبيه حدوث القاف بانشقاق الأجسام - فيه حرص ومعرفة على الواجب التعليمي الذي يحاول فيه المعلم تقريب المعلومات الصوتية إلى طلابه؛ لأن الرسالة أساسها قام على جواب عن سؤال.

وهو يريد أن يصل إلى أن ما يسمعه الإنسان من تصويتات في جهاز النطق الكلامي وما علل لها به من كيفية الحدوث، يمكن أن يوجد له نظير - من حيث علة الحدوث - في ما يتعامل به الإنسان من أشياء، إذ أنك تسمع الصوت نفسه كما ظن بعض المعاصرين^(١)؛ لأن ابن سينا مدرك بطبيعة الحال للتجويفات أثرها في تغيير سمات الصوت.

٦- من الأمور المهمة التي ذكرها أصحاب هذه المدرسة، ومنهم ابن سينا تعدد وظائف

(١) انظر: الأصوات اللغوية، تأليف: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٤٩ وما بعدها.

الأعضاء، فمن ذلك اللسان بيّن ابن سينا وظيفته الأساسية في الطعام، ثم وظيفته الثانوية في الكلام، مبيناً أنواع الألسنة القادرة على الكلام، قال: "هو من آلات تقليب الممضوغ، وتقطيع الصوت وإخراج الحروف، وإليه تمييز الذوق... وأفضل الألسنة في الاقتدار على جودة الكلام: المعتدل في طوله وعرضه، المستدق عند أسلته. وإذا كان اللسان عظيماً عريضاً جداً، أو صغيراً كالمتشنج لم يكن صاحبه قديراً على الكلام".^(١)

٧- أدرك ابن سينا دور الحنك اللحمي في كونه بوابة للصوت وفي تعديل الهواء، قال ابن سينا عن اللهاة بمعناها الواسع: "وأما اللهاة، فهي جوهر لحمي معلق على أعلى الحنجرة كالحجاب. ومنفعته: تدرج الهواء؛ لئلا يقرع ببرده الرئة فجأة، وليمنع الدخان والغبار، وليكون مقرعة للصوت يقوى بها. ويعظم كأنه باب موصل على مخرج الصوت بقدره".^(٢)

كلام ابن سينا هذا أحد الأمثلة التي تبين إدراك المتقدمين لدور الفراغات الرنينية في تقوية الصوت وتضخيمه، وإلى وظيفة اللهاة (الحنك اللحمي) التي تؤدي دور البوابة للصوت الخارج من الحنجرة. وهو بعينه ما تذكره كتب علم الأصوات المعاصر.

٨- حدد ابن سينا بدقة مكان خروج الهمزة والهاء حيث جعلهما من الحنجرة، ووصف كيفية حدوثهما بشكل لافت للأنظار.

٩- جاء وصف ابن سينا دقيقاً لحروف الإطباق حين ذكر التفاوت في انطباق اللسان على الحنك في هذه الأصوات على حين أن عبارة سيويه جاءت عامة، ولم تحدد لنا مقدار هذا الانطباق، وسيأتي تفصيل ذلك.

١٠- يلتقي ابن سينا مع المدرسة النقلية في بعض المصطلحات، فمن ذلك: مصطلحا الإطباق والصفير حيث استعملهما بنفس مفهومهم له مع اتساع في حروفهما.

(١) القانون في الطب، لأبي علي الحسين بن علي بن سينا (ت ٤٢٨هـ)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، تحقيق: إدوار القش، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ص ١٠٦١.

(٢) القانون في الطب ١١٠٣/٢.

١١- إن معرفة ابن سينا لكيفية تولد الصوت الحاد والثقيل في الحنجرة في قوله: "إذا تقارب غضروف الذي لا اسم له من الدرقي وضامه حدث منه تضيق الحنجرة، وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة، ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد والثقيل"^(١)، فيه إدراك صوتي دقيق لعملية شد الوترين الصوتيين وإرخائهما اللذين يسببان التغيير في الصوت.

١٢- تحدث ابن سينا عن كمية الهواء في الحروف، فمن ذلك ما ذكره بأن كمية الهواء مع الخاء هي مع القاف^(٢)، وأن كمية الهواء مع الغين هي مع الكاف^(٣). وهذا يستحث الباحثين إلى اختبار تدفق الهواء في كلا الأصوات التي تحدث عنها، وبواسطة الأجهزة الصوتية المعدة لذلك.

الفيلسوف القاضي الطبيب ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥هـ):

محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: أعظم فلاسفة العرب الأندلسيين وأبعدهم ذكراً. من أهل قرطبة. يسميه الإفرنج (Averroes). واشتهر عندهم بأنه أعظم شراح أرسططاليس، أو كما يقول دانتي: كان الشارح الأكبر عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة، وصنف نحو خمسين كتاباً. قال ابن الأبار: "كان يفرغ إلى فتواه في الطب كما يفرغ إلى فتواه في الفقه". ويلقب بابن رشد "الحفيد" تمييزاً له عن جده أبي الوليد محمد بن أحمد^(٤).

"ولابن رشد ثلاثة أنواع من الكتب تناول فيها مؤلفات أرسطو:

- ١- "جوامع صغار" فيها يتحلل من نص أرسطو ويتحدث بنفسه.
- ٢- "تلخيصات"، يبدأ الكلام فيها في كل فقرة بقوله: "قال" ثم يورد بضع كلمات من

(١) أسباب حدوث الحروف، لأبي عليّ الحسين بن عبدالله بن سينا (ت ٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسان الطيان وبجي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ٧٢.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ٧٣.

(٤) انظر: ترجمته في الأعلام ٣١٨/٥.

أوائل الفقرة، ويمضى بعد ذلك في الشرح دون أن يتميز ما لأرسطو مما لابن رشد، ويستطرد أحياناً، ويأتي بكثير من الأمثلة من عنده؛ ولكنه في هذا كله يتابع النص الأصلي لأرسطو ويتقيد به.

٣- "تفسيرات" أو "شروح" فيها يورد ابن رشد نص كلام أرسطو فقرة فقرة بحروفها، ثم يأخذ في تفسير عبارات هذه الفقرة عبارة عبارة. وكلام ابن رشد متميز بوضوح عن نص أرسطو".^(١)

وقد تُرجمت كتبه كلها إلى العبرية واللاتينية، وكان لها تأثير هام جدير بالاعتبار، وقد أدخلت كتب أرسططاليس في الغرب المسيحي - عن طريق العرب - مع شروح ابن رشد في وقت واحد، فكانت من مفاتيح النهضة الأوروبية الحديثة.^(٢)

وعلى الرغم من شهرة ابن رشد العالمية إلا أنه - في الجانب الصوتي - لم يأت بشيء جديد متميز يذكر له كأسلافه الكندي والفارابي وابن سينا اللهم إلا في زيادة شرح لبعض الظواهر رفع الصوت وخفضه للدلالة على معاني الكلام، ويبدو أن احتفاء العالم المسيحي به هو من حيث ارتباطه بأرسطو وكتبه. ولولا أنه يعد من الناقلين للعلم العربي إلى أوروبا عن طريق شروحه التي تعد خيطاً من خيوط علم الأصوات المعاصر لما ذكرته هنا.

أهم كتبه: الكليات في الطب، وتلخيص الخطابة، وتلخيص كتاب النفس، وتهافت التهافت.

ومن أهم الأعمال الصوتية التي قدمها:

١ - فسر ابن رشد بعض الظواهر الصوتية الفيزيائية كظاهرة انعكاس الصوت بقوله: "وأما الصدى فيحدث عن الهواء الواحد بعينه إذا انحصر في الشيء الذي يحويه، ومنعه من الخروج فيتردد مندفعاً في جوانب ذلك الشيء بمنزلة الكرة اندفاعاً متشابهاً، فيتكرر

(١) مقدمة عبد الرحمن بدوي على تلخيص الخطابة لابن رشد ص (ج).

(٢) العلم العربي لألدوميلي ص ٣٧٣.

الصوت الواحد بعينه على عدد ذلك الاندفاع، ويعود كأنه مجاوب للصوت الأول. وذلك يعرض كثيراً في المنازل التي لا تسكن".^(١)

٢- جاء حديثه متميزاً في شرحه للعوامل المساعدة التي تصاحب عملية الكلام من أفعال حركية ونغمات صوتية، وجاء حكمه حاسماً- وهو الخبر- بأن عادة العرب في استعمال هذا اللون قليل. وهو بهذا يبطل مزاعم كل من يحاول اليوم في أن يجعل لهذه الظاهرة أصلاً من نطق القراء، بل يدعى التواتر في ذلك، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن هذه الظاهرة.

٣- من مميزات ابن رشد أنه صهر معارف أرسطو في قالب عربي أصيل، وانظر الأمثلة التي أتى بها في مصطلح (الأخذ بالوجه).

٤- قدم ابن رشد عدداً من المصطلحات الصوتية، فمن ذلك تعبيره عن القصبه الهوائية بأنها: (آلة التنفس والتصويت) إلى غير ذلك من المصطلحات التي سترد في البحث.

الخاتمة:

هذه باختصار أهم معالم العلم الصوتي عند أصحاب المدرسة العقلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري، بدأت بترجمة علوم الأمم السابقة ومعارفها، ثم استثمرت هذه المعارف حتى غدت علماً ناضجاً نلاحظ آثاره فيما سجله المسلمون في كتبهم ومصنفاتهم، وفي امتداد فروعه- لا شك في ذلك- إلى علم الأصوات المعاصر.

ولئن كانت هذه المدرسة لم توفَّ حقها في عصرنا الحديث فيرجع ذلك إلى عدة أمور، منها أن أغلب ما كتب عن هذه المدرسة هو كتابات عامة لم تبحث في المعارف الفعلية لها. وأن أغلب ما كتب عنها هو بلسان المستشرقين الذين تتجمع أهدافهم في خدمة ثقافتهم الغربية، وأدعائهم بأن الحضارة العربية الإسلامية إن كان لها من فضل على العلم، فهو دور يقتصر على حفظ مصنفات العلم الإغريقي اليوناني، وتوصيله إلى أوروبا الحديثة، ليسلموك في النهاية- من غير أن تشعُر- إلى نتيجة مفادها أن المعارف الإنسانية ما هي إلا نتاج ثقافة غربية

(١) كتاب تلخيص النفس ص ٧٩.

وعقل غربي. وثالثاً هو شعور أبناء الحضارة الإسلامية بعقدة النقص والعجز عن إحياء تراثهم
والكشف عن الجوانب المضيئة فيه في قالب عربي أصيل.

الفصل الأول
أعضاء النطق والاستعمال
الصوتي لها

الباب الثاني

المصطلحات الصوتية

الفصل الأول

أعضاء الصوت والنطق واستعمالها الصوتي

أعضاء الصوت والنطق وأجزاؤهما هي الأساس لدارسي أصوات الحروف العربية، وهي الفاعلة في عمليتي التصويت والكلام، ولن أخوض كثيراً في التفاصيل التشريحية التي ذكرها الأطباء العرب عن أعضاء النطق - مع قيمتها التاريخية - إلا فيما يخدم الاستعمال الصوتي لها.

الألفاظ المستعملة لأعضاء التصويت:

استعمل العلماء لأعضاء الصوت والنطق مصطلحات عدة ناظرين إلى أمرين في تكوين الصوت:

أ- الجسم، استعملوا له:

١- (العضو، والأعضاء). ٢- (الآلة، والآلات). ٣- (الجُرم، والأجرام).

ب- الوظيفة، واستعملوا لها:

١- (المحابس). ٢- (الحابس والمحبوس). ٣- (القارع، والمقروع).

٤- (القالع والمقلوع). ٥- (الزاحم والمزحوم).

ملاحظة: استعمل أكثر هذه المصطلحات أيضاً للتعبير عن الأجسام في الطبيعة وحركتها.

الألفاظ الخاصة بجسم هذه الأعضاء:

١، ٢- المصطلح الأول والثاني لأعضاء الصوت والنطق: (العضو والآلة):

العضو في اللغة: واحد الأعضاء^(١)، يدل على تجزئة الشيء^(٢).
والآلة: الأداة، والجمع: الآلات^(٣). وعند المناطقة: هي الواسطة بين الفاعل والمنفعل في
وصول أثره إليه، كالمنشار للنجار^(٤).

استعمل العلماء مصطلحي: **العضو والآلة** مفردين ومركبين:

فالمفرد يوضحه سياق النص، كقول الكندي: "الحروف التي تعرض فيها اللثغة من
قبل زيادة **العضو**"^(٥)، يعني **بالعضو** اللسان. وكقول القرطبي: "الفتح من الألف، ولا آلة
للألف يدركها النظر"^(٦)، يعني **بالآلة** عضو النطق من لسان وشفة. وكقول السهيلي: "الحركة
عبارة عن تحريك **العضو** الذي هو الشفتان عند النطق بالصوت الذي هو الحرف"^(٧).

والمركب يوضحه في الغالب السياق والنسبة إلى الشيء، كآلات الكلام، وأعضاء
التنفس، وآلات الصوت والتصويت، وآلة السمع.

وإليك أمثلة من استعمالاتهم:

في النطق: سمي الكندي عضو النطق: (العضو الذي هو آلة للنطق)^(٨)، أو:
(العضو المنطقي)^(٩)، أو: (آلة النطق)^(١٠).

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي،
تحقيق علي شيري، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ٦٨٣/١٩ (ع ض و).

(٢) معجم مقاييس اللغة ص ٧٥٧.

(٣) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط ٣،
١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ٣٩/١١ (أ و ل).

(٤) التعريفات للجرجاني ص ٣٤.

(٥) رسالة في اللثغة، ليعقوب الكندي (ت ٢٦٠هـ)، تحقيق: محمد حسان الطيان، ضمن مجلة مجمع اللغة العربية
بدمشق، مج ٦٠، ج ٣، شوال ١٤٠٥هـ = يوليو ١٩٨٥م، ص ٥٢٩.

(٦) الموضح في التجويد ص ٢٠٩.

(٧) نتائج الفكر ص ٨٣.

(٨) رسالة في اللثغة ص ٥٢١.

(٩) المرجع السابق ص ٥٢٩ و ٥٣١.

(١٠) المرجع السابق ص ٥٢١ و ٥٢٩.

وذاع هذا الأخير، فاستعمله: أبو بكر ابن الأنباري^(١)، وإخوان الصفاء^(٢)، وابن جني^(٣)، وعبد الوهاب القرطبي^(٤).

وفي الكلام: عبر أبو بكر الرازي بـ (آلات الكلام) عن اللسان والأسنان والشفيتين والمنخرين^(٥).

وفي النفس والتنفس: عبّر أبو الحسن علي بن العباس الجوسي بـ: (آلات النفس) وبـ: (أعضاء التنفس)^(٦)، عن اللهاة، والحنجرة، والرئة، والقصبه الهوائية، والقلب، والحجاب^(٧).

واستعمل ابن سينا: (أعضاء النفس) في التعبير عن الحنجرة، والرئة، والقصبه، والعروق الخشنة، والشرايين، والحجاب، وعضل الصدر، والصدر نفسه^(٨).

وفي الصوت والتصويت: عبر ابن ماسويه بـ: (الآلة التي يكون بها القرع)، وبـ: (آلات الصوت عن الحنجرة)، والعضل المحرك لها، والجسم الشبيه بلسان المزمار [الوترين الصوتيين]، والعصب الراجع إلى فوق^(٩).

(١) الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م، ص ٢٩٥.

(٢) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، لإخوان الصفاء، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١١٨/٣ في قولهم: آلة المنطق.

(٣) الخصائص ٤٥٤/٢. استعملها بلفظ الجمع: آلات المنطق.

(٤) الموضح في التجويد ص ١٣٩ و ١٥٧ و ١٧٢.

(٥) الحاوي ٢١٦/٣. ولا أدري إن كان هذا المصطلح من كلام (اليهودي) آخر مذكور في نص الرازي أم هو له.

(٦) كامل الصناعة الطبية، لأبي الحسن علي بن العباس الجوسي (ت ٣٨٤ هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، ١٥/١.

(٧) كامل الصناعة الطبية ١١٨/١. وجعل القلب من أعضاء التنفس مفهوم قديم لجالينوس (الطبيب اليوناني)، تابعه عليه بعض علماء المسلمين، ونقضه الطب المعاصر.

(٨) القانون في الطب ١١٢٧/٢.

(٩) الحاوي ١٧٠/٣.

واستعمل الفارابي: (آلات التصويت الإنساني)^(١)، أو (آلا التصويت)^(٢)، و (أعضاء الصوت)^(٣) للتعبير عن كل عضو يصوت به.

واستعمل ابن الجزار: (آلات الصوت) للحلقوم والحنجرة والحلق.^(٤)

واستعمل الكندي: (آلة الطبيعة) للتعبير عن أعضاء النطق المسؤولة عن الكلام.^(٥)

واستعمل الفارابي: (الآلة الطبيعية) في التعبير عن الحنجرة، واللهاة وما فيها، ثم الأنف.^(٦)

٣- المصطلح الثالث لأعضاء الصوت والنطق: (الجرم والأجرام):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على القطع، ويقال لصِرام النخل: الجرام، وقد جاء زمن الجرام.

والجسد جرم؛ لأن له قدراً وتقطيعاً. ورجل جريم، وامرأة جريمة، أي: ذات جرم أي جسم. وجرم الصوت: جهارته تقول: ما عرفته إلا بجرم صوته. فأما قولهم لصاحب الصوت: إنه لحسن الجرم، فقال قوم: الصوت يقال له الجرم، وأصح من ذلك قول أبي بكر بن دريد: إن معناه حسن خروج الصوت من الجرم.^(٧)

(١) الموسيقى الكبير ٥٢.

(٢) إحصاء العلوم، لأبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) تحقيق د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨م، ص ٦٠.

(٣) الموسيقى الكبير ص ١٠٦٨.

(٤) زاد المسافر وقوت الحاضر (المقالات الثلاث الأولى)، للطبيب ابن الجزار (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق محمد سويس والراضي الجازي، نشر: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات - بيت الحكمة سنة ١٩٨٦م، ص ١٧١.

(٥) رسالة في اللغة ص ٥٣١. والطبيعة عند المناطقة: صفات موجودة في الشيء يوجد بها على ما هو عليه، ولا تعدم منه إلا بفساده، وسقوط ذلك الاسم عنه. (الإحكام في أصول الأحكام ٤٥/١).

(٦) إحصاء العلوم ص ١٠٥، والمشكل جعله اللهاة من أعضاء الصوت، وربما يقصد بها الحنك اللحمي؛ إذ هو المشارك في عملية النطق، والله اعلم.

(٧) العين ١١٨/٦، إصلاح المنطق، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط ٤، دار المعارف، ص ١٥، ومعجم مقاييس اللغة ص ١٩٣ - ١٩٤ (ج ر م).

استعمل: (الجرم) بمعنى الجسم، في أكثر من موطن صوتي، منها:
١- في تعريف الصوت. ٢- في التعبير عن عضو النطق.

١- الموطن الأول ل: (الجرم) = مشارك في تعريف الصوت:

استعمله إخوان الصفاء، وابن سينا^(١) في تعريف الصوت، قال إخوان الصفاء: "وكل هذه الأصوات، مفهومها وغير مفهومها، حيوانها وغير حيوانها، إنما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجرام"^(٢)

٢- الموطن الثاني ل: (الجرم) = عضو النطق:

استعمل ابن سينا: (الجرم، الأجرام) كناية عن أعضاء النطق أو أحدها، وجعل منها أجراماً رطبة، ويابسة، ولينة، وصلبة، قال عن اختلاف أصوات الحروف بسبب اختلاف الأعضاء وأنواعها: "فقد تختلف بسبب اختلاف الأجرام التي يقع عندها، وبها الحبس والإطلاق، فإنها ربما كانت ألين، وربما كانت أصلب، وربما كانت أيبس، وربما كانت أرطب"^(٣).

والبيوسة والرطوبة متعلقان بمرونة الجسم، والصلابة والليونة متعلقان بمقاومة سطوح الأجسام للضغط.

وصف ابن سينا انفصال طرف اللسان عن الأسنان، عند انفتاح مخرج الطاء والذال والتاء بقوله: "والثلاثة تشترك في أن القلع بجرم رطب لين عن جرم صلب"^(٤).

ف: (الجرم الرطب اللين) كناية عن اللسان أو جزء منه، فرطوبته من أجل قبوله الضغط إلى باطنه عند ملاقاته أصول الأسنان، ثم رجوعه إلى شكله بعد الانفصال عنها، فهو يشبه الجسم الإسفنجي. وتأتي ليونته من أجل ضعف مقاومته لذلك الضغط.

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٥٦-٥٧.

(٢) الرسائل ١٠٢/٣، ١٢٣/٣.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ٦٢.

(٤) المرجع السابق ص ١٢٢. ومن أمثلة ذلك أيضاً مخرج الباء ص ١٢٥.

و(الجرم الصلب) كناية عن الأسنان أو جزء منها، وممانعتها الغمز إلى الباطن،
لخلقتها العظمية الصلبة.

الألفاظ الخاصة بالوظيفة:

١- المصطلح الأول لأعضاء الصوت والنطق الخاصة بالوظيفة: (المحابس)

يدلُّ الأصل اللغوي على المنع حَبَسْتُهُ حَبْسًا، وهو حابس ومحبوس.^(١)

استعمل ابن سينا لفظ: (المحابس) للتعبير عن أعضاء النطق التي تحبس الصوت في
نقطة ما، ليتولد الحرف، قال: "وأما حال المتموج من جهة الهيئات التي يستفيدها من
المخارج والمحابس في مسلكه فيفعل الحرف"^(٢). وهذه النقطة التي ينحبس فيها الصوت
سماها: (المَحْبِس)^(٣)، وهو مرادف للمخرج والمقطع.

واستعمل ابن سينا أيضاً لفظي: (الحابس والمحبوس) على اعتبار أن التقاء أحد
عضوي النطق بالآخر أو أجزاءهما يحبسان الصوت عند مروره. وتختلف درجة الحبس بمقدار
مقاومة أحدهما للآخر.

كما بيّن ابن سينا أن من الحروف ما يكون حبس الصوت فيها بجزء كبير من عضو
النطق كالطاء، حيث "تحدّث عن انطباق سطح اللسان أكثره مع سطح الحنك"^(٤)، يعني
بالإطباق الذي فيها.

ومنها ما يكون بجزء أقل من اللسان كالتاء إذ هي مثل الطاء في الحبس لكن بطرف
اللسان فقط^(٥). ونظير ذلك أيضاً: السين والصاد.^(٦)

(١) المصباح المنير ص ١١٨، ولسان العرب ٤٤/٦ (ح ب س).

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق ص ٧٨ و ١١٥.

(٤) المرجع السابق ص ٧٩.

(٥) المرجع السابق ص ٧٩.

(٦) المرجع السابق ص ٧٧ و ص ١٢٢.

٢، ٣- المصطلح الثاني والثالث لأعضاء الصوت والنطق الخاصة بالوظيفة: (القارع والمقروع)، (القالع والمقلوع):

القرع والقلع مصطلحان كبيران من مصطلحات المدرسة العقلية، ولعلهما رأس المصطلحات التي استعملت للتعبير عن كيفية حدوث الصوت، وما يتعلق بذلك. القارع عكس القالع، والمقروع عكس المقلوع.

يدل الأصل اللغوي للقارع والمقروع على ضرب الشيء، يقال: قرعت الشيء أقرعه: ضربته. ومقارعة الأبطال: قرع بعضهم بعضاً.^(١)

أما القالع والمقلوع فيدلُّ أصلهما اللغوي على انتزاع شيء من شيء، ثم يفرِّع منه ما يقاربه. تقول: قلعت الشيء قلعاً، فأنا قالع وهو مقلوع.^(٢)

استعملت هذه المصطلحات في وصف كيفية حدوث الصوت، إذ يشترط لحدوثه وجود قوة صادمة، ومصدومة مع مقاومة ووسط بينهما، وكل أعضاء النطق تصلح لذلك، لكن هذه المصطلحات بالإضافة إلى مصطلح: (المحابس) تعبر عن هذا التحرك. والحديث عن القارع والمقروع والقالع والمقلوع هو حديث عن القرع والقلع، وسأبحثهما في النقطة التالية:

استعمل مصطلحا: (القرع والقلع) تعبيراً عن القوة الضاغطة لإحداث الصوت في أكثر من موطن صوتي، منها:

١- تعريف الصوت وحدوثه. ٢- في وصف خروج بعض أصوات الحروف.

١- الموطن الأول ل: (القرع والقلع) = تعريف الصوت وحدوثه:

تقدم أن ابن ماسويه عبّر ب: (الآلة التي يكون بها القرع)، عن الحنجرة، والعضل المحرك لها، والجسم الشبيه بلسان المزمار [الوترين الصوتيين]، والعصب الراجع إلى فوق^(٣). وهو

(١) معجم مقاييس اللغة ص ٨٥٠ (ق ر ع).

(٢) المرجع السابق ص ٨٣٠ (ق ل ع).

(٣) الحاوي ١٧٠/٣.

يعنى بشكل أكيد عملية التصويت التي تحدث في الحنجرة، وما يصاحب ذلك.

واستعمله أبو بكر الرازي الطيب، وذكر أن القرع يكون بانضغاط الريح في الحنجرة.^(١)

وعرّف الفارابي: (القرع)، فقال: "والقرع هو مماسة الجسم الصلب جسماً آخر صلباً مزاحماً له عن حركة".^(٢)

وذكر الفارابي أن مقاومة المقروع للقارع مع تماسك أجزائه تحدث الصوت.^(٣)

وعرّف إخوان الصفاء الصوت بأنه: قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام بعضها بعضاً، فتحدث بين ذينك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتاً، بأي حركة تحركت، ولأي جسم صدمت، ومن أي شيء كانت.^(٤)

وعرف ابن سينا القرع والقلع، فقال: "القرع: هو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له لمزاحمته؛ تقريباً تتبعه مماسة عنيقة لسرعة حركة التقريب وقوتها. ومقابل هذا تبعد جرم ما عن جرم آخر مماس له، منطبق أحدهما على الآخر، تبعداً ينقلع عن مماسته انقلاعاً عنيقاً لسرعة حركة التباعد، وهذا يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع".^(٥)

والقرع والقلع عند ابن سينا علتنا حدوث الموجات الصوتية، قال: "وللتموج علتان:

قرع وقلع".^(٦)

وبين ابن سينا تأثير القرع والقلع في الضغط على الوسط الناقل للصوت، وهو الهواء هنا، قال: "ولكنه إنما يلزم في كلا الأمرين شيء واحد، وهو تموج سريع في الهواء، أما في القرع فلاضطرار القارع الهواء إلى أن ينضغط وينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى

(١) الحاوي في الطب ١٦٦/٣.

(٢) الموسيقى الكبير ص ٢١٢.

(٣) المرجع السابق ٢١٣.

(٤) الرسائل ٩٥/٣.

(٥) أسباب حدوث الحروف ص ٥٧.

(٦) المرجع السابق ص ٥٨.

جنبتيها بعنف وقوة، وشدة وسرعة، وأما في القلع فلاضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذي أخلاه **المقلوع** منهما دفعة بعنف وشدة، وفي الأمرين جميعاً يلزم المتباعد من الهواء أن ينقاد للشكل والموج الواقع هناك".^(١)

وذكر ابن الطحان الموسيقي أنه لا يكون صوت إلا **بقرع**.^(٢)

وذكر ابن رشد أن الصوت يحدث عن القارع بضغطه وعن **المقروع** بمقاومته.^(٣)

٢- الموطن الثاني لـ: (القرع والقلع) = وصف خروج بعض أصوات الحروف:

فمن ذلك ما ذكره ابن سينا من أن الباء المشددة (P) "تحدث بشد قويّ للشفتين عند الحبس، وقلع بعنف، وضغط للهواء بعنف".^(٤)

وأن الواو تتم هيئتها ب**القلع**^(٥). وفي اللام يكون حبس بطرف اللسان رطب جداً ثم **قلع**.^(٦)

وأن الطاء من الحروف الحادثة عن **القلع** دون **القرع**. يعني بتباعد عضوي النطق.^(٧) وتأثر بعض أصحاب المدرسة النقلية بهذا المصطلح، فاستعمله الداني في وصف الإشمام في الحرف الساكن^(٨)، وفي الروم.^(٩)

واستعمله ابن الطحان الأندلسي في تعريف السكون الحي.^(١٠)

٤- المصطلح الرابع لأعضاء الصوت والنطق الخاصة بالوظيفة: (الزاحم والمزحوم):

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٥٧.

(٢) حاوي الفنون ص ١٨٣.

(٣) تلخيص كتاب النفس ص ٨١ و ص ٧٨.

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ٩٢ و ص ٨٦ عن الجيم الفارسية

(٥) المرجع السابق ص ١٢٤.

(٦) المرجع السابق ص ٨١. و ص ١٢٢.

(٧) المرجع السابق ص ٧٩.

(٨) التحديد ص ١٦٩ وجامع البيان ل ١٨٣/أ.

(٩) المطبوع من جامع البيان ٤٢٩/٢.

(١٠) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل ٩/ب.

يدل أصله اللغوي على الدفع بشدة، وأكثر ما يكون ذلك في مضيق. وزحم القوم بعضهم بعضاً، تضايقوا في المجالس. (١)

استعملت ألفاظ: (الزحم والتزاحم والمزاحمة)، في أكثر من معنى، منها:

١- القوة الضاغطة من أحد الجسمين على الآخر.

٢- تقارب الحرفين في المخرج واحد كالطاء والطاء.

٣- أخذ حُكْمٍ مكان حُكْمٍ.

المعنى الأول ل: (الزحم والمزاحمة) = القوة الضاغطة من أحد الجسمين على الآخر:

كما ساغ لبعض العلماء أن يستعمل القارع والمقروع في وصف القوة الصادمة والمصدومة في وصف كيفية حدوث الصوت استعمل بعض آخر (الزاحم والمزحوم) للتعبير عن ذلك أيضاً، فاستعمل الفارابي ألفاظ: (الزحم) في التعبير عن نوعية الجسمين الذي يصدم أحدهما الآخر، مشترطاً لحدوث الصوت فيهما صلابة الجسم المقاوم، قال: "إن من الأجسام ما إذا زحمه جسم آخر لم يقاوم الزاحم وإنقاذ له، إما أن يندفع إلى عمق نفسه مثل الأجسام الجامدة اللينة، أو أن ينخرق للزاحم مثل الأجسام الرطبة، أو أن ينتجى إلى الجهة التي إليها كانت حركة الزاحم من غير مقاومة أصلاً، فمتى كان كذلك لم يوجد في الجسم الذي زُحِمَ صوت أصلاً.

ومنها ما إذا زُحِمَ بجسم آخر قاوم الزاحم، فلم ينخرق له، ولم يندفع لا إلى عمق نفسه ولا إلى الجهة التي إليها حركة الزاحم، وذلك مثل جميع الأجسام الصلبة، متى كانت قوة الزاحم دون قوة الذي زُحِمَ وحينئذ يمكن متى قُرِعَ أن يوجد له صوت. " (٢)

وتابعه: ابن سينا، لكن بألفاظ: (المزاحمة)، ووظفه في شرحه لأسباب حدوث الحروف فمن ذلك: ما ذكره أن الألف المصوتة والفتحة مخرجهما مع إطلاق الهواء سلساً غير

(١) المصباح المنير ص ٢٥٢.

(٢) الموسيقى الكبير ص ٢١٢.

مزاحم^(١)، وأن الواو المدية والضممة تخرجان مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين... وأن الياء المدية والكسرة تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفل قليلاً.^(٢)

المعنى الثاني لـ: (التزاحم والمزاحمة) = تقارب الحرفين في المخرج الواحد كالطاء والتاء.

استعمل السعيدى لفظ: (التزاحم) في تعليقه للإخفاء والإدغام، قال: "ولا يكون الإخفاء والإدغام إلا لمقاربة الحرفين، أو لتزاحمهما في المخرج الواحد".^(٣) جعل الحرفين من مخرج واحد متضايقين في مخرجهما.

وتابعه: القرطبي واستعمله في موطن النصح لتعلم التجويد بترويض نفسه في الأحكام، قال: "فمن كان نفس سامية إلى التبحر في هذا الفن، والاتسام بهذا العلم، فليرض نفسه في قَصْر كل حرف من الحروف الأصول على مخرجه وحده، وقطعه عن مُزَاحِمِهِ وضده....".^(٤)

المعنى الثالث لـ: (المزاحمة) = أخذ حكم مكان حكم:

نبه القرطبي على العناية بتشديد الواو والياء المشددتين، وعدم تليينهما في نحو قوله تعالى: (بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ) و (بِالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)، قال: "فوجب المبالغة في التشديد؛ لئلا يزاحمه التليين".^(٥)

الألفاظ الخاصة بالأجزاء:

استعمل لأجزاء الأعضاء المستعملة في التصويت عدة مصطلحات، منها:
١ - (الجزء، والأجزاء).
٢ - (الطائفة).

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٨٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٦، و ص ٧٣.

(٣) اختلاف القراء في اللام والنون ص ٦٤.

(٤) الموضح ص ٩٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٤٤.

١ - المصطلح الأول لأجزاء أعضاء النطق: (الجزء والأجزاء):

من المشترك اللفظي.

في اللغة الجزء والجزء: البعض، والجمع أجزاء. وهو ما يتركب الشيء منه ومن غيره، جزء الشيء جزءاً وجزءاً، كلاهما: جعله أجزاء، وكذلك التجزئة. (١)

استعمل: (الجزء والأجزاء) في أكثر من معنى، منها:
أ- بعض الشيء، واستعمل بهذا المعنى في أكثر من موطن صوتي، منها:
١- أعضاء النطق. ٢- الحركات.
ب- الجزئيات = جزئيات: الهواء، الصوت، المواد.

أ- المعنى الأول ل: (الأجزاء) = بعض الشيء:

وذلك في موطنين:

١- الموطن الأول ل: (الأجزاء) = أبعاض أعضاء النطق للتعبير عن تأثيرها المباشر في التصويت:

استعمل الفارابي: (الأجزاء) تعبيراً عن صدم الهواء المصوّت جدران تجويفات أعضاء النطق وأجزائها، قال: "والتصويت الإنساني يحدث بسلوك الهواء في الحلق، وقرعه مقعرات أجزاء الحلق، وأجزاء سائر الأعضاء التي يسلك فيها، مثل أجزاء الفم، وأجزاء الأنف". (٢)
واستعمل ابن سينا: (الجزء والأجزاء) بإسراف كبير عند شرحه لكيفية حدوث أصوات الحروف. (٣)

واستعمل الداني: (الأجزاء) في تعريف صوت الألف، قال: "وهي: صوت لا يعتمد اللسان فيها على جزء من أجزاء الفم" (٤) وكذا استعمله ابن الطحان الأندلسي. (١)

(١) التعريفات للجرجاني ص ٧٥، ولسان العرب لابن منظور ٤٥/١ (ج ز أ).

(٢) الموسيقى الكبير ١٠٦٦.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ٧٩، و٧٥، و٧٧، و٨٢... إلى غير ذلك من المواضع.

(٤) التحديد ص ١٠٢. ص: ١٢٠.

واستعمله أيضاً في شرح إخفاء النون حيث يلغي مخرج النون اللساني ويبقى مخرجها الخيشومي، قال: "حقيقة الإخفاء أن يبطل عند النطق بالنون الجزء المُعْمَل لها من اللسان عند التحريك والبيان، فلا يُسْمَع إلا صوت مركب على الخيشوم".^(٢)

الموطن الثاني لـ: (الأجزاء) = أبعاد الحركات:

قال ابن جني عن علاقة الحركة بحرف المد: "الحركات أوائل لحروف المد وأجزاء منها".^(٣)

وذكر القرطبي أن الإشمام، الذي هو ضم الشفتين بعد سكون الحرف، "يشارك الروم في أنه إبقاء جزء من الحركة، لكن بعد قطع الصوت قبل الإتيان بهذا الجزء".^(٤)

ب- المعنى الثاني لـ: (الأجزاء) = جزئيات: الهواء، الصوت، المواد:

استعمل الفارابي: (الأجزاء) بمعنى الجزئيات في حديثه عن الروابط التي تربط بين هذه الجزئيات، وتأثير ذلك على الصوت، فمتى كانت الروابط بين الجزئيات (هواء، صوت، مواد) قوية متماسكة خرج الصوت - بعد الصدم - أجود، وإذا كانت الروابط بين الجزئيات متخلخلة ضعيفة خرج الصوت أقل جودة، قال الفارابي: "ومتى نبا [ابتعد بسرعة وحركة] الهواء من بين القارع والمقروع مجتمعاً متصل الأجزاء، حدث حينئذ صوت، وكلما كان الهواء النابي من بينهما أشد اجتماعاً، فحدوث الصوت فيه أمكن وأجود، وذلك مثل ما ينبو متى قُرِعَت الأجسام الصلبة الملس المتراسة الأجزاء، مثل النحاس والحديد، ومتى كان المقروع خشناً أو متخلخل الأجزاء، كان ذلك فيه أقل إمكاناً، وأقل ذلك إمكاناً الصوف والإسفننج".^(٥)

ويعنى ذلك فيزيائياً أن قوة الارتباط بين الأجزاء أو الجزئيات تسبب في زيادة ذبذبات

(١) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ لـ ٩/ ب.

(٢) المرجع السابق لـ ٧/ أ.

(٣) سر صناعة الإعراب ٢٣/١.

(٤) الموضح ص ٢٠٩.

(٥) الموسيقى الكبير ص ٢١٣، و ص ١٠٧٠.

الصوت (Frequency)، وضعف الارتباط بين الجزئيات تسبب في نقصان الذبذبات.

وقد استعمل ابن سينا: (الأجزاء) أيضاً في وصفه لكيفية حدوث الحاء، وأنها عبارة عن احتكاك جزئيات الهواء المقاوم بجدران تجويف الحلق، قال: "والحاء مثلها [مثل: العين] إلا أن فتح الذي لا اسم له أضيق [الغضروف الحلقي]، والهواء ليس يحفز [يدفع] على الاستقامة حفزاً، بل يميل إلى خارج، حتى يأسر [يغلب] الرطوبة [الهواء المقاوم]، ويهزّها إلى قُدّام، فَتَحُدُّ من إنزعاج [إزالة] أجزائها إلى قُدّام هيئة الحاء".^(١)

٢- المصطلح الثاني لأجزاء أعضاء النطق: (الطائفة):

في اللغة أن كل جماعة يمكن أن تُحَفَّ بشيء فهي عندهم طائفة، ولا يكاد يكون هذا إلا في اليسير.

ثم يتوسعون في ذلك من طريق المجاز فيقولون: أخذت طائفة من الثوب، أي: قطعة منه، وهذا على المجاز؛ لأن الطائفة من الناس كالفرقة والقطعة منهم.^(٢)

استعمل مكّي بن أبي طالب القيسي لفظ: (الطائفة) في تعليقه لتسمية حروف الإطباق، قال: "وإنما سميت بحروف الإطباق، لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى".^(٣) وتابعه ابن الطحان الأندلسي.^(٤)

الألفاظ المستعملة للتجويفات:

استعملت عدة ألفاظ للدلالة عليها، منها:
١- (الجوف). ٢- (الهواء). ٣- (الخرق). ٤- (التجويف
والتجويفات). ٥- (الفضاء). ٦- (المقعرات). ٧- (المُجْرَى والمجاري).
ويبين الشكل أدناه تجويفات أعضاء النطق.

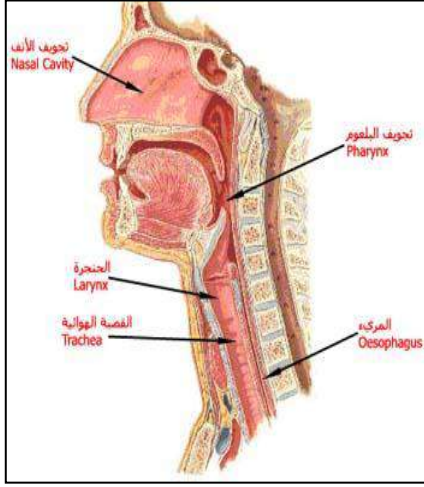
(١) أسباب حدوث الحروف ص ٧٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ص ٦٠٤ (ط و ف).

(٣) الرعاية ص ١٢٢.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣١.

١- المصطلح الأول من تجويفات أعضاء النطق: (الجوف):



يدل أصله اللغوي على الخلاء، قال الخليل: "والجوف: خلاء الجوف، كالقنطرة الجوفاء".^(١) وجوف كل شيء: قعره وداخله وباطنه، واستعمل في كل ما يقبل الشُّغْلَ والفرغ^(٢)، وعلى هذا كل تجويف من تجويفات أعضاء النطق هو جوف، فمن ذلك استعمال الخليل لفظ: (حجاب الجوف) تعبيراً عن الحجاب الحاجز، وعلى ذلك يصح أن نعد المجرى الهوائي جوفاً كلياً، والله أعلم.

نسب الخليل حروف المد والهمزة إلى الجوف؛ لأنه لم يجد اعتراضاً حقيقياً من أعضاء النطق على صوت هذه الحروف على طول مجرى النطق؛ فنسبها إليه، قال: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف".^(٣)

وفي موضع آخر من كتابه لقب هذه الحروف الأربعة ب: (الحروف الجوفية).^(٤)

وجعل الخليل الهمزة من الجوف يكون فقط عند إبدالها حرف مد؛ إذ أدرك الخليل مستويين لنطق الهمزة: محققة، ومخففة، بدليل قوله في موضعين آخرين: "وأما الهمزة فمُخرِجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"^(٥)، وقال: "ويقال: الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق؛ فإذا رُفِّه

(١) العين ١٨٩/٦.

(٢) الجمهرة ١٠٨/٢ و ٢٢٦/٣ والمصباح المنير ص ١١٥.

(٣) العين ٥٧/١. وقال في ٥٨/١: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء.

(٤) المرجع السابق ٩١/٨.

(٥) المرجع السابق ٥٢/١.

عن الهمز صار نفساً، تحول إلى مخرج الهواء".^(١) فالخليل أدرك بحسه الصوتي الدقيق أنه قد يتخلص من ضغط الهمزة بتحويلها نفساً إلى مخرج الهواء، أو تحويلها حرف مد، ولذلك جعلها في الهواء. ووصف الخليل أيضاً حرف اللين بأنه "خَوَّار أجوف".^(٢)

تابع مكِّي الخليل في التلقيب، لكن لحروف المد فقط، جاعلاً زيادة الهمزة ليس من عمل الخليل^(٣). ولقب الداني حروف المد والهمزة ب: (حروف الجوف).^(٤)

واستعمل أبو حاتم الرازي: (جوف الحنك) للتعبير عن خروج حروف المد منه.^(٥)

٢- المصطلح الثاني من تجويفات أعضاء النطق: (الهواء):

من المشترك اللفظي، يدل أصله اللغوي على خلو وسقوط، أصله: الهواء بين الأرض والسماء، سمي الخلو، قالوا: وكل حال هواء.^(٦)

استعمل: (الهواء) في أكثر من معنى، منها:

١- الفراغ. ٢- الهواء الذي يُجَدُّ الصوت. ٣- هواء التنفس.

١- المعنى الأول ل: (الهواء) = الفراغ والشيء الخالي:

نسب الخليل حروف المد إلى الهواء، وهو الفراغ؛ لاتساع مخارجها، ولقبها ب: (الهوائية).

نقل الليث عن الخليل: "وكان يقول كثيراً: الألف اللينة، والواو، والياء هوائية، أي: أنها في الهواء".^(٧)

(١) العين ٣/٣٤٩.

(٢) المرجع السابق ٣/٣٥٢.

(٣) الرعاية ص ١٤٢، قال: سماهن الخليل بذلك؛ لأنه آخر انقطاع مخرجهن، وهو الجوف، وزاد غيره معهن الهمزة؛ لأن مخرجها من أقصى الحلق، وهو يتصل بالجوف اهـ.

(٤) التحديد ص ١٠٩.

(٥) الزينة ص ٦٤.

(٦) مقاييس اللغة ص ١٠١٧.

(٧) العين ١/٥٧.

وفي موضع آخر أضاف الهمزة^(١) ، وقد تقدم أن الهمزة تنسب إلى الفراغ في حالتها المخففة.

وتابعه: مكّي.^(٢)

ولقب الهمداني حروف المد ب: (الجوف الهوائية).^(٣)

وذكر الخليل - أيضاً - أن الألف هافية في الهواء^(٤).

واستعمل الجاحظ: (الهواء) في حديثه عن اللسان، وأهمية حجمه في عملية الكلام، قال: "وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئاً يَفْرَعُهُ وَيَسْكُكُهُ، ولم يمر في هواء وسع المجال، وكان لسانه يملاً جَوْبَةً فَمِه، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المغتفر والجزء المحتمل"^(٥) وكلام الجاحظ يحتاج إلى اختبار، وسؤال مُحْتَصِّي التخاطب عن ذلك.

واستعمل السعيدى: (هواء الجوف) لوصف الواو والياء، قال: "وهما هوائيتان

يخرجان من هواء الجوف".^(٦)

واستعمل مكّي: (هواء الحلق)^(٧) و(هواء الفم)^(٨) للتعبير عن خروج الألف

منهما.

وتابعه السهيلي على هذا الأخير.^(٩)

واستعمل مكّي - أيضاً - (هواء الفم) للتعبير عن جريان حروف المد فيه.^(١٠)

وتابعه الهمداني.^(١١)

(١) قال في ٥٨/١: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء.

(٢) الرعاية ص ١٢٦.

(٣) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٩.

(٤) العين ٩٥/٤. وفسر الخليل المُفَوِّهَ هناك ب: الذهاب في الهواء.

(٥) البيان والتبيين ٤٦/١.

(٦) اختلاف القراء في اللام والنون ص ٦٦.

(٧) الرعاية ص ٩٤.

(٨) المرجع السابق ص ١٣٩ و ١٦٠.

(٩) نتائج الفكر ص ١٨٠.

(١٠) الرعاية ص ١٢٦.

(١١) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٩.

وهكذا الأمر عند المُحدِّثين يُعَدُّون فراغ الفم مخرجاً لحروف المد لكن بشرط اتخاذ اللسان وضعاً معيناً في كل حرف منها. ^(١)

وذكر الداني عن الألف أنها صوت في الهواء. ^(٢)

٢- المعنى الثاني ل: (الهواء) = الهواء الذي يُحدِّثُ الصوت:

استعمل سيويوه: (هواء الصوت) للتعبير عن حرية مرور صوت حروف المد في مخرجها المتسعة له. ^(٣) وتابعه: الداني. ^(٤)

واستعمل ابن سينا: (الهواء) بمعنى الهواء المُحدِّثُ للصوت في كل حديثه عن الحروف، وكيفية خروجها ^(٥)، ونبه على أن المقصود من الهواء في حديثه هو: (الهواء الفاعل للصوت). ^(٦)

٣- المعنى الثالث ل: (الهواء) = هواء التنفس:

استعمل: (الهواء) في شرح عمليتي التنفس ^(٧) التي تتم بهواء الشهيق، وأطلقوا عليه: (الهواء البارد)، وهواء الزفير وأطلقوا عليه: (البخار الدخاني) أو: (الفضل الدخاني). ^(٨)

٣- المصطلح الثالث من تجويفات أعضاء النطق: (الخرق):

يدل أصله اللغوي على مَزِق الشيء وجَوِّبه، واخترقت الرِّيح الأرض، إذا جابتها، والمخرق: الموضوع الذي يخترقه الرياح. ^(٩)

استعمل الفراء (خرق الفم) كتعبير عن التجويف الفموي في مخرج الفتحة، قال: "والفتحة

(١) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص ٢٣٥ وما بعدها.

(٢) التحديد ص ١٢٠.

(٣) الكتاب ٤/١٧٦، و٤٣٥.

(٤) التحديد ص ١٠٨.

(٥) أمثلة من ذلك في رسالة أسباب حدوث الحروف ص ٧٢، و٧٤، و٧٧.... الخ.

(٦) أسباب حدوث الحروف ص ٦٠.

(٧) كامل الصناعة الطبية ١/١٢٣، التصريف لمن عجز عن التأليف ١/١٥، القانون في الطب ٢/١١٠٣، وابن

ملكاً: المعتر في الحكمة ٢/٢٦٢، وابن رشد: تلخيص كتاب النفس ص ٨٢.

(٨) الحاوي في الطب ٣/٢٨٢، كامل الصناعة الطبية ١/١١٨ و ١٢٣.

(٩) مقاييس اللغة ص ٢٩٣.

تخرج من خرق الفم بلا كُلفة".^(١)

واستعمله الهمذاني كمنخرج لحروف المد، قال: "والهاوي: الألف، والياء والواو إذا سكتنا بعد حركتيهما، سميت بذلك لأنها تحوى في خرق الفم إلى ما بين الهمزة والهاء".^(٢)

واستعمل ابن فارس: (خرق الأذن) في تعريفه للصّماخ.^(٣)

واستعمل الداني: (خرق الأنف) كعبير عن التجويف الفموي في تعريفه للخيشوم،

قال: "الخيشوم: خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم".^(٤)

٤- المصطلح الرابع من تجويفات أعضاء النطق: (التجويف والتجويفات):

استعمل الفارابي: (التجويفات) للتعبير عن غُرف الرنين التي تُقرع بالصوت، وتؤدي إلى تضخيم الصوت، فقال: "وأما الذي يقرعه العضو الدافع لهواء التنفس، فهو إما المزامير، وإما تجويفات الحلوق وآلات التصويت الإنساني".^(٥)

وقال: "قد يتفق أن تكون الآلة التي فيها الأوتار لها في نفسها استعداد لأن تسمع منها نغم عندما تهتز أوتارها، إما بن يكون لها اهتزاز، أو أن يكون لها تجويفات قد انحصر فيها هواء ولها منافذ من خارج، فمتى تموج الهواء الذي حول الأوتار عندما تهتز، تأدى ذلك من المنافذ إلى تجويفاتها فيحدث من الهواء المنحصر فيها دوي"^(٦)

وهذا بعينه هو الذي تذكره كتب الأصوات المعاصرة من أن وظيفة تجويفات أعضاء النطق أن تكو بمثابة غرف رنينية للصوت.^(٧)

واستعمل ابن سينا: (تجويف آخر المنخر) للتعبير عن التجويف الأنفي.^(٨)

واستعمل الطبيب ابن مَلْكا البغدادي: (تجويف الأذن) للتعبير عن "الصماخ

(١) معاني القرآن ١٢/٢.

(٢) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٨٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٥٣ (ص م خ).

(٤) التحديد ص ١٠٩ و ١١٥.

(٥) الموسيقى الكبير ص ٥٢.

(٦) المرجع السابق ص ٥٨٤.

(٧) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص ١٧٣.

(٨) أسباب حدوث الحروف ص ٩٢.

المُعَشَّى بالعَصَبَة الحاملة للقوة الحساسة"^(١) التي بها يُسمع الصوت.

٥- المصطلح الخامس من تجويفات أعضاء النطق: (المقعرات):

يدل أصلها اللغوي على غَمَزٍ وكسر في الشيء ذاهب سُفْلاً.^(٢)

استعمل الفارابي لفظ: (المقعرات) تعبيراً عن تجويفات أعضاء النطق ذات الطبيعة الرنينية للصوت، قال: "والتصويت الإنساني يحدث بسلوك الهواء في الحلوق، وقرعه مقعرات أجزاء الحلوق، وأجزاء سائر الأعضاء التي يسلك فيها، مثل أجزاء الفم، وأجزاء الأنف"^(٣)

٦- المصطلح السادس من تجويفات أعضاء النطق: (الفضاء):

يدل أصله اللغوي على انفساح في شيء واتساع. من ذلك: الفضاء: المكان الواسع.^(٤)

استعمل ابن سينا: (فضاء الخيشوم) تعبيراً عن التجويف الأنفي الذي يحدث فيه رنين الغنة، قال عن كيفية حدوث الميم: "وأما إذا كان حبس تام غير قوي، وكان ليس الحبس كله عند المخرج بين الشفتين، ولكن بعضه إلى ما هناك، وبعضه إلى ناحية الخيشوم حتى يُجَدِّثُ الهواء عند اجتيازه بالخيشوم والفضاء الذي في داخله دويّاً حَدَثَ الميم"^(٥). وكذلك استعمل (الفضاء) في تعريف الحلق، كما سيأتي.

٧- المصطلح السابع في تجويفات أعضاء النطق: (المجرى والمجري):

من المشترك اللفظي، يدل أصله اللغوي على انسيّاح الشيء، يقال: جرى الماء يجري جَرِيَةً وجرياً وجرياناً^(٦)، والمجري: مكان الجري.

(١) المعتبر في الحكمة ٣٢٩/٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٦٥ و ١٠٣١.

(٣) الموسيقى الكبير ١٠٦٦.

(٤) مقاييس اللغة ص ٨١٩.

(٥) أسباب حدوث الحروف ص ٨٣.

(٦) مقاييس اللغة ص ١٩٥ (ج ر ي)

استعمل: (المجري والمجاري) في أكثر من معني، منها:

١- مجري النطق والطعام والشراب. وهو المقصود هنا.

٢- أواخر الكلمات التي هي أماكن للحركات.

٣- قياس الشيء على الشيء. ٤- مخارج الحروف.

١- المعنى الأول ل: (المجرى والمجاري) = مجرى النطق والطعام والشراب:

استعمله كثير من العلماء، منهم: الخليل^(١)، والأصمعي^(٢)، والكندي^(٣)، وابن

دريد^(٤)، والخوارزمي^(٥)، والجوسي^(٦)، وابن فارس^(٧)، وابن سينا^(٨).

٢- المعنى الثاني ل: (المجرى والمجاري) = أواخر الكلمات التي هي أماكن للحركات:

استعمل الخليل: (المجرى) في الشعر، بمعنى حركة حرف الرّويّ المطلق في قافية الشعر

(أي: حركة المتحرك الذي يعقبه حرف مد)^(٩)، قال ابن جني: "سمّي بذلك، لأن الصوت

يبتدئ بالجريان في حروف الوصل منه، ألا ترى أنك إذا قلت:

فَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ مَصْرَعًا

فالفتحة في العين هي ابتداء جريان الصوت في الألف^(١٠)، وهي علة صوتية.

واستعمل سيويه: (المجاري)، لتبيين أحوال أواخر الكلمات، فيما اصطلح عليه

بعد ذلك ب: علامات الإعراب والبناء، قال سيويه: "هذا باب مجاري أواخر الكلم من

(١) العين ٦٨/٥، و ٢٩٩/٨.

(٢) الغريب المصنف لأبي عبيد ل ١/أ.

(٣) رسالة في اللغّة ص ٥٣١.

(٤) الجمهرة ١/٢٣٦.

(٥) مفاتيح العلوم ص ١٥٢.

(٦) كامل الصناعة الطبية ١/١٢٠.

(٧) مقاييس اللغة ص ١٤٨ (ب ل ع م).

(٨) القانون في الطب ٢/١١٢١.

(٩) العين ٣/٣٤٨.

(١٠) لسان العرب ١٤/١٤١.

العربية، وهي تجرى على ثمانية مجازٍ: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف^(١).

واستعمله الكسائي بمعنى آخر الكلمة، الذي هو محل الإعراب والصرف. ذكر الفراء أن الكسائي نوّن: (ثمود) في كل القرآن إذا كانت منصوبة، ومنع المرفوعة والمجرورة إلا في موضع واحد، من قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودِ)، فلما سأله عن سبب صرفها أجاب: "قُرِبت - في الحفض - من المُجْرَى، وقبيح أن يجتمع الحرف مرتين في موضعين ثم يختلف، فأجريت له لقربه منه"^(٢).

٣- المعنى الثالث ل: (المجري) = قياس الشيء على الشيء:

أن يجري الشيء مجرى الشيء، استعمله بهذا المعنى كثير من العلماء، منهم: الخليل^(٣)، وسيبويه^(٤)، والأخفش^(٥)، والمازني^(٦)، والفارسي^(٧)، والرماني^(٨)، وابن جني^(٩)، والقرطبي^(١٠).

٤- المعنى الرابع ل: (المجرى والمجاري) = مخارج الحروف:

(١) الكتاب ١/١٣.

(٢) معاني القرآن ٢/٢٠. وقد أُثبت في المطبوع مكان (قُرِبت): (قُرِئت)، ولا معنى له. و إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص ٣٦٦. وقال الداني في جامع البيان ل ١٦٨/١ تنبيهاً على اختيار الكسائي: "وذلك بعد أن روى الإجراء عن سلفه، وتلقاه عن أئمة" اهـ. والسبب في تنبيه الداني حتى لا يتوهم متوهم أن الكسائي يقرأ بالتشهي. ولا بد أن الكسائي قد وصل إليه القراءة بصرف (ثمود)، فاختره للعلة التي ذكرها، والله أعلم.

(٣) العين ٨/١٩٧.

(٤) الكتاب ٤/٤٤٦ و ٤٥١.

(٥) القوافي ص ٧٨، ومعاني القرآن ١/٢٣٥.

(٦) المنصف لابن جني ٢/٢٥٤.

(٧) الحجة ٤/٤١٢، و ٦/٣١ و ٤٦٠.

(٨) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٠ ب.

(٩) سر صناعة الإعراب ١/٢٦، والخصائص ٢/٣١٦، و ٣/٩٣، والمنصف ٢/١٢٢، و ٣/١٥٠.

(١٠) الموضح في التجويد ص ٦٠ و ١٥٣.

استعمل ابن دريد: (المجرى)، و(المجاري)، و(مجاري الحروف)، للتعبير عن المخارج، قال: "ذكر قوم من النحويين أن هذه التسعة والعشرين حرفاً لها ستة عشر مجرى... فهذا جميع مجاري الحروف... وإنما عرّفْتُك المجاري، لتعرف ما يأتلف منها مما لا يأتلف"^(١).

وتابعه: الهمذاني.^(٢)

الأعضاء المستعملة في التصويت:

الأعضاء المستعملة في التصويت هي:

- | | | | |
|---|----------------------|-------------|---------------------|
| ١- الصدر. | ٢- الحجاب الحاجز. | ٣- الرئتان. | ٤- القصبة الهوائية. |
| ٥- الحنجرة. | ٦- الوتران الصوتيان. | ٧- الحلق. | |
| ٨- الفم (ويضمُّ: الحنك، واللسان، والأسنان). | ٩- الشفتان. | | |
| ١٠- الخيشوم. | ١١- الأذن. | | |

(١) الجمهرة ٨/١.

(٢) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٣.

العضو الأول من أعضاء الصوت والنطق: الصدر:

في اللغة: الصدر من الإنسان وغيره معروف، وصدر النهار: أوله. وصدر المجلس: مُرْتَفَعُهُ. وصدر الطريق: متسعه. وصدر السهم: ما جاوز من وسطه إلى مستدقة، سمي بذلك؛ لأنه المتقدم إذا رُمِيَ به. (١)

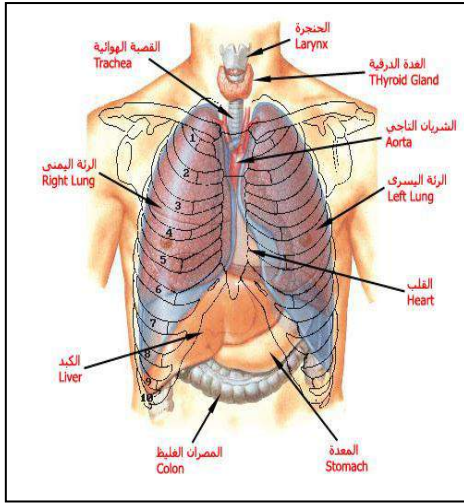
المواطن الصوتية التي استعمل فيها الصدر:

استعمل: (الصدر) صوتياً في أكثر من موطن صوتي، منها:

١- تجويف رئبي للصوت. ٢- مخرج لبعض الأصوات.

٣- في التعبير عن تسهيل الهمزة. ويمثل الشكل أدناه تجويف الصدر بما يحتويه من الرئتين والحجاب الحاجز والقصبة الهوائية.

١- الموطن الأول ل: الصدر = تجويف رئبي للصوت:



نسب الخليل وسيبويه إليه الرنين الذي يحدثه اهتزاز الأوتار الصوتية في عملية الجهر، وسمياه: (صوت الصدر). (٢)

وتابع العلماء سيبويه فيما قاله عنه، كابن جني (٣)، والقرطبي. (٤)

وسماه ابن جني في موضع آخر: (الصدى المنبعث من الصدر). (٥)

٢- الموطن الثاني: الصدر مخرج لبعض الأصوات، ومشاركة عضله في ذلك:

(١) المصباح المنير ص ٣٣٥ (ص د ر).

(٢) العين ١٠/٤ والكتاب ١٧٤/٤. ويعد الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله تعالى - أول من نبه إلى ذلك في كلام

سيبويه. الأصوات اللغوية ص ١٢٢.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٦٣.

(٤) الموضح في التجويد ص ٩٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/٨.

فمن ذلك مخرج الهمزة والهاء والألف، فنسب سيويه إليه مخرج الهمزة المحققة في قوله:
"نبرة في الصدر تخرج باجتهاد".^(١)

وتابعه: المبرد^(٢)، وابن جني^(٣)، وأبو زرعة^(٤)، والمالكي^(٥)، والقرطبي^(٦)، والزخشي^(٧)،
والسهيلي^(٨).

ونبه السعيدي على إخراج الهمزة إخراجاً سهلاً من الصدر.^(٩)

وذكر ابن سينا أن الدفع القوي للهواء من الحجاب الحاجز وعضل الصدر يحدث
الهمزة.^(١٠)

ولقب مكّي الهمزة ب: (الحرف المهتوف) لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى
ظهور صوت قوي شديد.^(١١)

ونبه ابن ذكوان على إخراج الهاء من الصدر.^(١٢)

وتابعه القرطبي.^(١٣)

وأرجع الداني إليه صوت الألف، في قوله: "الألف صوت يهوى إلى الصدر، ولا مُعْتَمَد
لها في الفم".^(١)

(١) الكتاب ٥٤٨/٣.

(٢) المقتضب ٢٩٢/١.

(٣) سر صناعة الإعراب ٤٣/١.

(٤) الحجة ص ٨٥.

(٥) الروضة ٢٦٩/١.

(٦) الموضح في التجويد ص ١٢٤.

(٧) أساس البلاغة ص ٧٠٨.

(٨) نتائج الفكر ص ٢١٩.

(٩) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٠.

(١٠) أسباب حدوث الحروف ص ٧٢.

(١١) الرعاية ص ١٣٧. والهتف: الصوت الشديد، وسيأتي في فصل: الألقاب الصوتية.

(١٢) نص على ذلك السخاوي في كتابه: (جمال القراء وكمال الإقراء) ٥٢٦/٢.

(١٣) الموضح في التجويد ص ٦٦.

وذكر إخوان الصفاء أن الصدر من مخارج الصوت. ^(٢)

واستعمله عدد من العلماء في تحديد مخرج أول الأصوات كإخوان الصفاء ^(٣) ، ومكي ^(٤) ، والداني ^(٥) ، وابن الطحان الأندلسي ^(٦) ، وأبي البركات الأنباري ^(٧) .

واستعمل مكي أيضاً لفظ: (آخر الصدر الأعلى) ^(٨) للتعبير عن ذلك.

ونسب ابن الطحان الموسيقي (الصوت الجهير) إلى الخنجرة، و(الدقيق) إلى الصدر، وعبر بـ: (الأصوات الصدرية) عن بعض الأصوات التي تخرج من الرئة ^(٩) . ولعله لاحظ أثر اهتزاز الأوتار الصوتية في الجهور دون المهموس.

وعدّ ابن حزم الصدر من المخارج الرئيسة. ^(١٠)

٣- الموطن الثالث: الصدر مشارك في التعبير عن تسهيل الهمزة:

استعمله الفراء في التعبير عن تسهيل الهمزة المفتوحة في أول إرهاصه للمصطلح المشهور في كتب القراءة: (الإشارة إلى الهمزة بالصدر)، قال: "وقوله: (إنا بُرءوا منكم)، إن تركت الهمز من (بُرءوا) أشرت إليه بصدرك، فقلت: (بُرأا)". ^(١١)

وذاع هذا المصطلح عند علماء القراءة، فمَنَّ استعمله: ابن مجاهد ^(١٢) ، وأبو علي

(١) الإدغام الكبير ص ٤٩ .

(٢) الرسائل ١٠١/٣ .

(٣) المرجع السابق ١١٤/٣ .

(٤) الرعاية ص ١٤٥ .

(٥) التحديد ص ١٠٢ .

(٦) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٤ .

(٧) أسرار العربية ص ٢٠٨ .

(٨) الرعاية ص ٥٠ .

(٩) حاوي الفنون ص ٢٢ .

(١٠) التقريب لحد المنطق ص ٤ .

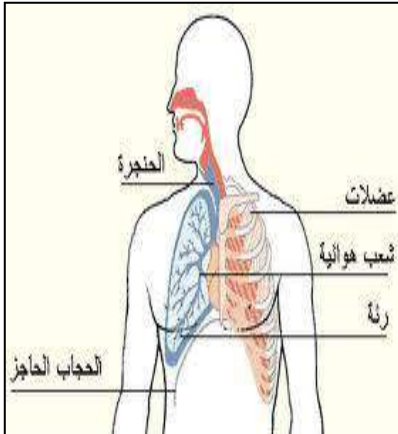
(١١) معاني القرآن ١٤٩/٣ . والمعني: همزة مسهلة مفتوحة بعدها ألف .

(١٢) السبعة ٣٢٩/٣ .

الفارسي^(١)، وعبد المنعم بن غلبون^(٢)، وابنه طاهر^(٣)، وأبو الفضل جعفر بن محمد المدني^(٤)، وأبو طاهر ابن أبي هاشم^(٥)، وأبو الفضل الخزاعي^(٦)، والدايني^(٧)، والقرطبي^(٨)، وأبو معشر الطبري^(٩)، وابن بليمة^(١٠).

وهنا ملاحظة توفيقية بين مخرجي الهمزة والألف المنسوبين إلى الصدر - فيما تقدم - وبين مصطلح (الإشارة إلى الهمزة بالصدر)، وهي: إذا كانت الهمزة من الصدر، والألف التي لا مخرج لها على الحقيقة قد نُسبت أيضاً إلى الصدر، والفتحة جزء منها، فطبيعي أن ينسب تسهيل الهمزة المفتوحة إلى ذات المنطقة، ويؤيده قول الدايني: "والهمزة إذا سهلت وجعلت بين أشير إليها بالصدر إن كانت مفتوحة، وإن كانت مكسورة جعلت كالياء المختلصة الكسرة، وإن كانت مضمونة جعلت كالواو المختلصة الضمة من غير إشباع"^(١١)

العضو الثاني من أعضاء الصوت والنطق: الحجاب الحاجز:



يدل أصله اللغوي على المنع، يقال: حجبتة عن كذا، أي: منعتة^(١٢).

اتفق اللغويون والأطباء على أنه يفصل بين تجويف الصدر الذي يضم القلب والرئة، وبين تجويف البطن الذي

- (١) الحجة ٣١٤/٤.
- (٢) الاستكمال ص ٤٠١.
- (٣) التذكرة ١/١٧٥.
- (٤) المنتهى لأبي الفضل الخزاعي ص ١٧٨.
- (٥) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٢/٥٩٩، والموضح ل ٤٢/ب.
- (٦) المنتهى ص ٢١٨ و ٥٠٧.
- (٧) التحديد ص ٩٧.
- (٨) الموضح في التجويد ص ٨٢.
- (٩) التلخيص ص ٣٥٠.
- (١٠) تلخيص العبارات ص ١٣٠.
- (١١) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٩٧.
- (١٢) مقاييس اللغة ص ٢٨٠ (ح ج ب).

يضم أحشاء كالمعدة والكبد والكلى والمرارة، غير أنهم اختلفوا في وصفه.

ف عند الخليل، والخوارزمي، وابن فارس أنه جلدة^(١)، أو عضو شبيه بالجلد^(٢)، أو جُلْدَة لحم^(٣).

وعند الأطباء، كعلي بن العباس المجوسي^(٤)، وابن سينا^(٥)، وابن ملكا^(٦) هو عضلة، وهو الصحيح طبيًا.

وذكر بعض الأطباء^(٧) أن للحجاب منفعتين:

إحدهما: أنه ييسط الصدر ويقبضه مع سائر العضل المحرك للصدر في عمليتي الشهيق والزفير.

والأخرى: أنه يَفْصِلُ بين أعضاء التنفس وأعضاء الهضم.

ويبين الشكل السابق الحجاب الحاجز باللون الأزرق.

وذكر ابن سينا أن الدفع القوي للهواء من الحجاب وعضل الصدر يحدث الهمزة، وقد تقدم.

وفي نص دقيق له وصف الدور الخطير الذي يقوم به الحجاب الحاجز، وما يستعين به من عضلات أعصاء النطق، بدءاً من التنفس ثم التصويت، فالكلام، قال: "وحركة النفس المعتدل الطبيعي الخالي عن الآفة، الضم بحركة الحجاب.

فإن احتيج إلى زيادة قوة لما ليس يدخل إلا بمشقة^(٨)، أو لتقوي النفس لتخرج نفخة،

(١) الخليل في العين ٨٦/٣.

(٢) الخوارزمي في مفاتيح العلوم ص ١٥٢.

(٣) ابن قارس في كتاب مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ص ٢٠.

(٤) كامل الصناعة الطبية ١٢٥/١.

(٥) القانون في الطب ٦٦/١.

(٦) المعترف في الحكمة ٢٦٢/٢.

(٧) كامل الصناعة الطبية ١٢٦/١، والقانون ٦٧/١.

(٨) صعوبة التنفس تحتاج إلى جهد كبير في استنشاق الهواء. (القانون لابن سينا ١١٢٨/٢).

شارك الحجاب في هذه المعونة عضل الصدر كلها حتى أعاليها، أو لا بد فبعض السافلة منها فقط.

فإن احتيج إلى أن يكون صوتاً لم يكن بدُّ من استعمال عضل الخنجر. فإن احتيج إلى أن يُقَطَّع حروفاً، ويؤلف منه كلام، لم يكن بدُّ من استعمال عضل اللسان. وربما احتيج إلى استعمال عضل الشفة".^(١)

الألفاظ المستعملة للحجاب الحاجز:

استُعمل للحجاب الحاجز عدة ألفاظ، منها:

- | | |
|----------------------|----------------------|
| ١ - حجاب الجوف). | ٢ - (الحجاب). |
| ٣ - (الحجاب الحاجز). | ٤ - (الحجاب الفاصل). |

أطلق الخليل^(٢) عليه: (حجاب الجوف). وتابعه: ابن فارس.^(٣)

واستعمل الخوارزمي^(٤)، وعلي بن العباس الجوسي^(٥)، وابن سينا^(٦)، وابن ملكا البغدادي^(٧) لفظ: (الحجاب).

وذكر الجوسي أنه (يحجز) بين آلات التنفس وآلات الغذاء^(٨). وكذلك عرفه ابن فارس: أنه جليدة لحم (يحجز) بين الصدر والبطن.^(٩) فاشتق ابن سينا لفظ: (الحجاب الحاجز).^(١٠)

(١) القانون في الطب ١١٢٧/٢.

(٢) العين ٨٦/٣.

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٨٠.

(٤) مفاتيح العلوم ص ١٥٢.

(٥) كامل الصناعة الطبية ١٢٥/١.

(٦) أسباب حدوث الحروف ص ٦٧.

(٧) المعترف في الحكمة ٢٦٢/٢.

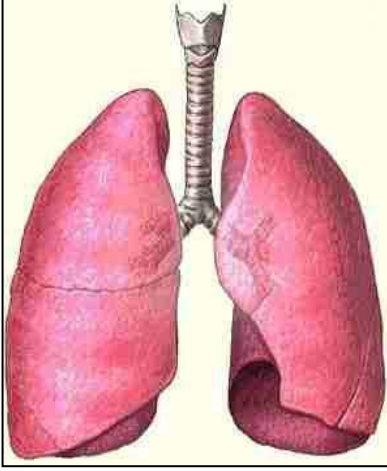
(٨) كامل الصناعة الطبية ١٢٦/١.

(٩) كتاب: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ص ٢٠.

(١٠) القانون في الطب ٦٦/١.

وسماه الزهراوي: (الحجاب الفاصل).^(١)

العضو الثالث من أعضاء الصوت والنطق: الرئتان:



هي المولد لهواء النفس الفاعل في عمليتي التنفس والتصويت، وشبهها المتقدمون بقم نافخ الناي الذي يدفع الهواء في آلة المزمار، وذكروا أنها خلقت من "لحم رخو متخلخل هوائي، خلق من أرق دم وأطفه، وذلك أيضاً غذاؤها، وهو كثير المنافذ لونه إلى البياض... وخلق متخلخلاً، ليتسع الهواء، وينضج فيه، ويندفع فضله عنه"^(٢).

الألفاظ المستعملة للرئتين:

استعمل ل: (الرئتين) عدة ألفاظ منها:

١- الرئة. ٢- (موضع الريح والنفس). ٣- (آلة النفس والصوت). ٤- (آلة النفس).

وصف الخليل الرئة بأنها: (موضع الريح والنفس).^(٣)

وجعلها علي بن العباس الجوسي من (أعضاء التنفس)، ومن (آلات النفس)، و(آلة

النفس والصوت).

وتابعه ابن جني على تسمية الرئة ب: (آلة النفس)، وابن سينا على جعلها مع القضبة

من: (أعضاء النفس)، وعلى الوظيفة.

وتقدّمت هذه المصطلحات جميعاً في أعضاء النطق.

وشبه الجوسي الرئة "بالحزان يجتمع فيها الهواء"^(٤)، ويخرج في "حركتين متضادتين، وهما:

حركة الانبساط الذي به يكون اجتذاب الهواء البارد، وحركة الانقباض الذي به يكون خروج

(١) التصريف لمن عجز عن التأليف ١٥/١.

(٢) القانون في الطب ١١٢٢/٢.

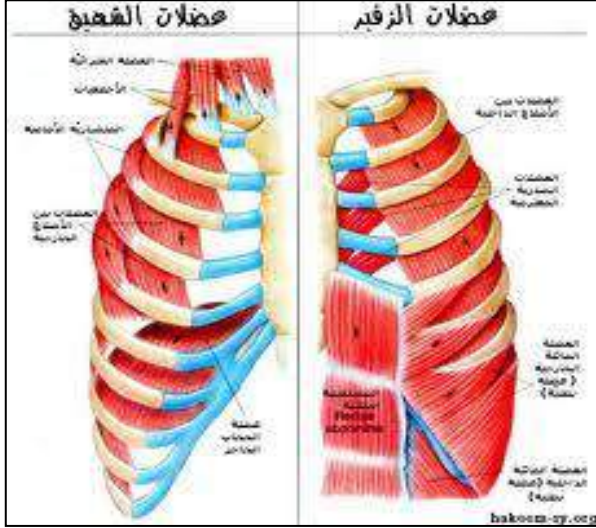
(٣) العين ٣٠١/٨.

(٤) كامل الصناعة الطبية ١٢٣/١.

البخار الدخاني".^(١)

قال الزهراوي يصف هاتين العمليتين: "الصدر إذا انبسط بما جعل فيه من العضل

جذب الرئة وبسطها، فإذا انبسطت الرئة اجتذبت الهواء من خارج، وكان ذلك أحد أجزاء التنفس. ثم إن الصدر ينقبض فتنبض الرئة، فيكون بانقباضها إخراج التنفس، وهو الجزء الثاني"^(٢)، وشبههما بكبير الحداد، "فإنه إذا بسطه امتلأ من الهواء، ثم إذا قبضه تفرغ منه".^(٣) ويمثل الشكل بجانبه الشهيق والزفير.



وقد نسب إليها بعض المتقدمين بعض الأصوات، فذكر الكندي أن الهاء نفس يخرج

من عمق الرئة^(٤)، وعد إخوان الصفاء الرئة من (مخارج الصوت).^(٥)

عملية التنفس واستعمال هواء الزفير في التصويت:

نبه المتقدمون إلى أن التصويت يحدث بهواء الزفير، قال أبو الحسن الجوسي الطبيب:

"وجعلت الهواء الداخل بالاستنشاق لثُرُوحَ به الحرارة الغريزية عن القلب، وجعلت خروجه

لمنفعتين: لدفع الفضول الدخانية التي تجتمع في القلب، والثانية: جعلته مادة للصوت".^(٦)

(١) المرجع السابق ١٢٣/١. وهو يتحدث عن الشهيق والزفير، فالهواء البارد هواء الشهيق (الأكسجين)، والبخار

الدخاني هواء الزفير (ثاني أكسيد الكربون).

(٢) التصريف لمن عجز عن التأليف ١٥/١.

(٣) المرجع السابق ١٥/١.

(٤) رسالة في اللثة ص ٥٢٤.

(٥) الرسائل ١٠١/٣.

(٦) كامل الصناعة الطبية ١١٩/١. وجعل القلب من أعضاء التنفس مفهوم قديم لجالينوس (الطبيب اليوناني)، تابعه عليه

بعض علماء المسلمين، ونقضه الطب المعاصر.

وكذلك ذكر علم الأصوات المعاصر أن التصويت والكلام يحدثان بهواء الزفير إلا في بعض أصوات انفعالية، أو في أصوات لغوية قليلة في بعض اللغات استخدم فيها هواء الشهيق، لكن هذه الحالات تبقى استثناء من القاعدة العامة، وهي أن الكلام في جوهره نوع من الاستغلال لهواء الزفير والتحكم فيه.^(١)

ونبه المتقدمون أيضاً إلى أن خروج هواء الزفير أثناء عملية التصويت يختلف عنه في عملية التنفس، وأشار الفارابي إلى ذلك بقوله: "وهذا الهواء الذي يجذبه الإنسان إلى رئتيه وداخل صدره من خارج لِيُرَوِّحَ به عن القلب، ثم يدفعه منها إذا سَخُنَ إلى خارج، فإذا دفع الإنسان هواء التنفس إلى خارج جملة واحدة وترفق لم يَحْدُثْ صوت محسوس، وإذا حصر الإنسان هذا الهواء في رئتيه وما حولها من أسفل الحلق، وسرَّبَ أجزاءه إلى خارج شيئاً فشيئاً على اتصال، وزحم به مُقَعَّرَ الحلق وصدَمَ أجزاءه حدثت حينئذ نغم بمنزلة ما تَحْدُثُ في سلوك الهواء في المزامير".^(٢) وأشار ابن رشد إلى ذلك أيضاً.^(٣)

وهكذا ذكر علم الأصوات المعاصر أن "حدوث الكلام في طور الزفير يقتضى ضرورة التحكم في عملية الزفير، وذلك بأن تنشط عضلات البطن لتنظم عملية التصرف في الهواء، بحيث تحتفظ بقدر من الضغط تحت الحنجرة يكفى لإتمام عملية التصويت"^(٤)

العضو الرابع من أعضاء الصوت والنطق: القصبة الهوائية:

خلقت القصبة الهوائية على هيئة المزمار، ويجرى على جميعها من باطن غشاء صلب أملس للتصويت، كما ذكر ابن ملكا البغدادي.^(٥)

(١) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص ١٠١.

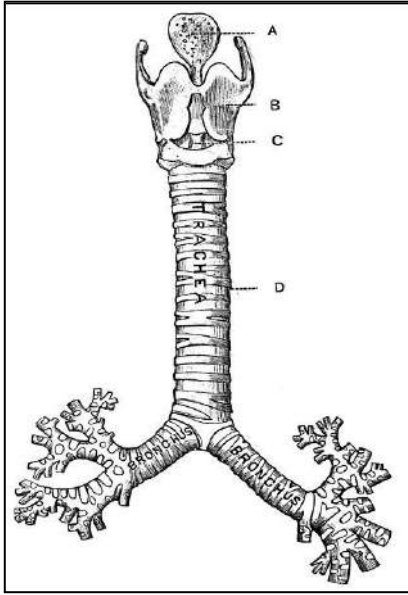
(٢) الموسيقى الكبير ص ١٠٦٦.

(٣) تلخيص كتاب النفس ص ٨٢.

(٤) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص ١٠٣.

(٥) المعتر في الحكمة لأبي البركات هبة الله ابن علي بن ملكا البغدادي (ت ٥٤٧هـ)، جمعية دائرة المعارف العثمانية،

حيدر آباد، ط ١، ١٣٥٨هـ، ص ١٣.



وذكر علي بن العباس الجوسي أن منفعة تركيب القصبة من غضاريف تكمن في أن الغضروف "دون العظم في الصلابة، ودون سائر أعضاء البدن في اللين، وذلك أنه اوفق فيما يُحتاج إليه من الصوت".^(١)

وتابعه ابن سينا على ذلك، وذكر أن "تأليفها من غضاريف كثيرة مربوطة بأغشية، ليتمكنها الامتداد والاجتماع عند الاستنشاق والنفس".^(٢)

وقال علي بن العباس الجوسي أنه "لو كانت

القصبة من غضروف واحد لم يمكن فيها الحركة؛ إذ كانت الحركة تحتاج إلى أن يتمدد معها العضو، ولذلك جعل مع الغضروف أغشية، لتتحرك القصبة بالحركات التي ذكرناها".^(٣)

ويوافق الطب المعاصر على هذا.

الألفاظ المستعملة للقصبة الهوائية:

واستعملت للقصبة الهوائية عدة ألفاظ، منها:

- ١- قصبة الرئة. ٢- الحلقوم. ٣- أنابيب الرئة.

١- المصطلح الأول: قصبة الرئة:

القصب في أصله اللغوي يدل على امتداد في أشياء مجوفة.^(٤)

عرف الخليل (قصبة الرئة) بأنها: مخارج النفس ومجاريه.^(٥)

(١) كامل الصناعة الطبية ١/١٢٢.

(٢) القانون في الطب ٢/١١٢١.

(٣) كامل الصناعة الطبية ١/١٢٢.

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٥٩ (ق ص ب).

(٥) العين ٥/٦٨.

واستعمل ذات اللفظ عند علي بن العباس المجوسي^(١)، والزهرراوي^(٢)، وابن الطحان الموسيقي^(٣)، وابن ملكا البغدادي^(٤).

وذكر أبو الحسن المجوسي أن "الحاجة كانت إليها في الرقبة بسبب استنشاق الهواء وإخراجه بالتنفس، وبسبب الصوت والنفخ"^(٥).
ويمثل الشكل السابق القصبه الهوائية.

٢- المصطلح الثاني: الحلقوم:

يدل أصله اللغوي على شيء من الآلات مستدير^(٦).

اختلف أهل المعاجم في تحديد المراد بـ: (الحلقوم)، فجعله بعضهم لـ: القصبه^(٧)، وآخرون مرادفاً لـ: الحلق^(٨)، وآخرون لمجموعهما، فيكون حده الأدنى عند هؤلاء في الرئة، وحده الأعلى في أصل اللسان^(٩).

استعمل ابن رشد لفظ (الحلقوم) للتعبير عنها. ووصفه أنه: (آلة التنفس

(١) كامل الصناعة الطبية ٣٤/١.

(٢) التصريف لمن عجز عن التأليف ١٥/١.

(٣) حاوي الفنون وسلوة المحزون، لأبي الحسين محمد بن الحسن الشهير بابن الطحان الموسيقي (ت بعد ٤٤٩ هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج ٥٢، طبع بالتصوير عن مخطوطة فنون جميلة ٥٣٩، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م، ص ٢٢.

(٤) المعترف في الحكمة ٢٦٤/٢.

(٥) كامل الصناعة الطبية ١٢١/١.

(٦) مقاييس اللغة ص ٢٦١ (ح ل ق)، وص ٢٨١ (ح ل ق م).

(٧) العين ٣/٤٨ و ٨/٢٩٩، ومفاتيح العلوم ص ١٥٢، ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: د. فيصل دبدوب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م، ص ١٧.

(٨) الصّحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٢، بيروت، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م، ٥/١٩٠٤، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن عليّ المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ص ١٤٦، ولسان العرب ١٢/١٥٠.

(٩) المحكم لابن سيده ٣٤/٤، قال: "والحلقوم: مجرى النفس والسعال من الجوف، وهو أطباق غراضييف، ليس دونه من ظاهر باطن العنق إلا جلد، وطرفه الأسفل في الرئة، وطرفه الأعلى في أصل عكدة اللسان، ومنه مخرج النفس والريح والبصاق والصوت" ١ هـ.

والتصويت).^(١)

٣- المصطلح الثالث: أنابيب الرئة:

الأنبوب في أصله اللغوي يدل على ما بين كل عقدتين.^(٢)

استعمل ابن حزم الأندلسي لفظ: (أنابيب الرئة)، للتعبير عن القصبة الهوائية، وعدها من المخارج المشاركة في العملية النطقية.^(٣)

العضو الخامس من أعضاء الصوت والنطق: الحنجرة:

الحنجرة في أصلها اللغوي تدل على المنع، والإحاطة على الشيء.^(٤)



وهي تقع في أعلى القصبة الهوائية، نقل الرازي عن أبقراط (الطبيب اليوناني المشهور) قوله: "الحنجرة: طرف قصبة الرئة. وطرف المريء يتصل بها إلى ناحية القفا... فإذا فتحت الفم نَعْمًا، وغمزت [ضغطت] اللسان ظهر لك طرف الحنجرة والمريء".^(٥)

ويمثل الشكل بجانبه موقع الحنجرة من العنق.

وذكر ابن ملكا البغدادي أن الحنجرة هي منفذ القصبة الهوائية، قال: "ويفضى الفم إلى منفذين: أحدهما: قصبة الرئة للهواء.

والآخر: المريء للغذاء.

ورأس قصبة الرئة يتلقى الهواء من الأنف، وينتهي به إليها، ويسمى: الحنجرة".^(٦)

(١) تلخيص كتاب النفس ص ٨٣.

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٥ (أ ن ب).

(٣) التقريب لحد المنطق ص ٤.

(٤) مقاييس اللغة ص ٢٧٨ (ح ج ر) لأنها على وزن: فعلة، النون زائدة.

(٥) الحاوي في الطب ٢٥٤/٣.

(٦) المعتمر في الحكمة ٢٦٢/٢.

ومن حيث تركيبها:

ذكر الأطباء أنها ركبت من ثلاثة غضاريف رئيسة هي:

١- الغضروف الشبيه بالترس، والذي لا اسم له، والشبيه بالطَّرْجِهَالَة، عند علي بن العباس الجوسي.^(١) واستعمل ابن سينا للأول: التُّرْسِي والدَّرْقِي.

وللثاني: عديم الاسم.

وللثالث: الطَّرْجِهَالِي والمَكِّي.^(٢)

أما الغضروف المسمي حديثاً بلسان المزمار، فسماه ابن سينا: (الغضروف المتكئ على المجرى).^(٣) وذكر من وظيفته تسهيل عملية البلع كما هو معروف طيباً. وسماه ابن ملكا البغدادي: (الغضروف المكبي)، قال عن الحنجرة: "وهي آلة التصويت كُرس المزمار... وينطبق عليها غضروف مكبي عند البلع حتى لا يدخل إليها شيء مما يتلوع من الطعام والشراب".^(٤)

وذكر الجوسي أن حاصل تركيب هذه الثلاثة مجوف كتجويف المزمار.^(٥)

وقال الزهراوي: "الحنجرة مؤلفة من ثلاثة غضاريف تأليفاً موافقاً للصوت".^(٦)

ويمثل الشكل أدناه غضاريف الحنجرة .

(١) كامل الصناعة الطبية ١/١٠٠، و١١٩.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص٦٤.

(٣) القانون في الطب ٢/١١٢١.

(٤) المعترف في الحكمة ٢/٢٦٤.

(٥) كامل الصناعة الطبية ١/١١٩.

(٦) التصريف لمن عجز عن التأليف ١/١٥.

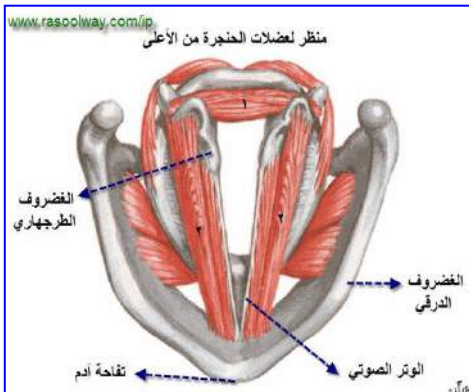


وذكر ابن سينا أنه "إذا تقارب غضروف الذي لا اسم له من الدرقي وضامه حدث منه تضيق الحنجرة. وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة. ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد والثقيل.

وإذا انطبق الطرجهالي على الدرقي حصر النفس وسد الفوهة، وإذا انقلع عنه انفتحت الحنجرة".^(١)

وطبيعي أن يكون هذا الانفتاح والانطباق بواسطة عضلات في الحنجرة تقوم بهذا الدور، وعددها ست عشرة عضلة عند الأطباء.^(٢)

وخروجاً عن التطويل، فقد اكتفيت بشرح العضلات الفاتحة والمطبقة للحنجرة التي ذكرها ابن سينا في كتابيه "أسباب حدوث الحروف، والقانون في الطب" على الرسم وبمثل الشكل بجانبه غضاريف الحنجرة وعضلاتها.



من ملاحظات الطبيبين على كلام ابن سينا أنه جعل للحنجرة ست عضلات فاتحة لها هي:

١- العضل الخلفية التي بين الذي لا اسم له والطرجهالي (Posteriorh Cricoarytenoid).

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) كامل الصناعة الطبية ١/١٠٠، والتصريف لمن عجز عن التأليف ١/١٢.

٢- العضل الجانبية التي بين الذي لا اسم له والطرجهالي (Lateral Cricoarytenoid).

٣- العضلات المائلة والمستعرضة الطرجهالية (Transverse & Oblique arytenoids muscle).

أما في الطب الحديث فالعضلات الخلفية فقط هي الفاتحة للحنجرة، والعضلات الأربعة الأخرى مطبقة لها عكس ما ذكر.

الألفاظ المستعملة للحنجرة:

استعملت عدة ألفاظ للتعبير عنها، منها:

- ١- (الحنجرة).
- ٢- (الالة التي يكون بها القرع).
- ٣- (آلة الصوت).
- ٤- (الآلة المصوّتة).
- ٥- (آلة التصويت).

وصف ابن ماسويه الحنجرة بـ: (الآلة التي يكون بها القرع)، وعدها من: (آلات الصوت).^(١)

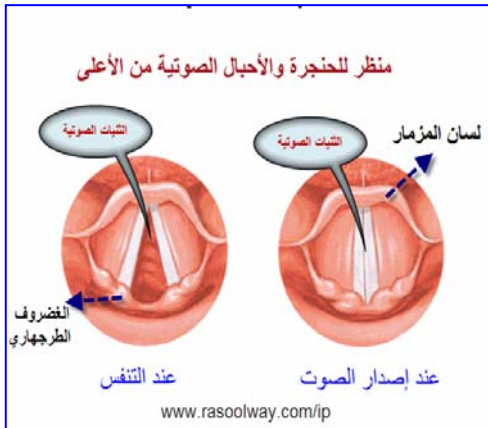
ووصفها الخوارزمي بـ: (آلة الصوت).^(٢)

وابن الطحان الموسيقي بـ: (الآلة المصوتة).^(٣)

وابن ملكا بـ: (آلة التصويت).^(٤)

العضو السادس من أعضاء الصوت والنطق: الوتران الصوتيان:

كشف المتقدمون عن دور الوترين الصوتيين في عملية التصويت، وجاء وصفهم لهما دقيقاً للغاية، ولا أعلم أحداً من الدارسين المعاصرين قد تناول هذا



(١) الحاوي ٣/١٧٠. هذا كلام ابن ماسويه، وبداية كلامه في ٣/١٦٨، وآلات الصوت ذكرها أبقراط لكن اللفظ

للرازي، وأيضاً ٣/١٦١.

(٢) مفاتيح العلوم ص ١٥٢.

(٣) حاوي الفنون وسلوة الخزون ص ٢٢.

(٤) المعتبر في الحكمة ص ١٣.

الأمر من قبل؛ بل نفى بعضهم معرفة المتقدمين لهذا الدور، ويرجع السبب في ذلك إلى النظرة الجزئية للتراث التي ذكرتها في أول الدراسة.

وسأسوق نصوصهم لقيمتها العلمية:

قال علي بن العباس المجوسي: "فأما صفة تجويف الحنجرة الذي يخترقه الهواء إلى داخل وإلى خارج، فإن فيه جسماً شبيهاً في شكله بلسان المزمار... وهذا الجسم في جوهره ليس يشبه شيئاً من أعضاء البدن. وذلك أن جوهره كأنه ممتزج من الشحم والغشاء والغدد.

وهذا الشحم يسمى (طبق الحنجرة ولسانها)، وهو الآلة الأولى من آلات الصوت... فإذا انطبق مجرى الهواء، وبقي محصوراً اندفع الهواء إلى جانبي طبق الحنجرة، ففتح الثقبين اللذين كانا مطبقين بانضمام شفاههما بعضهما إلى بعض.

وهذان الثقبان اللذان في جانبي طبق الحنجرة ممدودان بالطول من فوق إلى أسفل، كأنهما خطان صغيران شبيهان بالغشاءين مطبقين لازمين التجويف".^(١)

وقال ابن سينا: "وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمى: (لسان المزمار)، يتضايق عنده طرف القصبه ثم يتسع عند الحنجرة، فيبتدىء من سعة إلى ضيق، ثم إلى فضاء واسع، كما في المزمار، فلا بد للصوت من تضيق المحبس".

وهذا (الجِرم الشبيه بلسان المزمار) من شأنه أن ينضم وينفتح؛ ليكون بذلك قرع الصوت".^(٢)

وقال ابن ملكا البغدادي عن الحنجرة والأوتار الصوتية: "وهي آلة التصويت كراس المزمار، ولها لسان كلسان المزمار؛ ليقطع الهواء في التصويت".^(٣)

(١) كامل الصناعة الطبية ١/١٢٠.

(٢) القانون في الطب ١١٢١/٢ - ١١٢٢. ومع وضوح النص، فقد استشرت طبيين استشاريين، وأجمعاً أن ابن سينا إنما يتحدث عن الأوتار الصوتية. أما الغضروف الذي يسمى حديثاً "لسان المزمار"، فقد سماه ابن سينا: الغضروف المتكئ على الجرى، وذكر من وظيفته تسهيل عملية البلع كما هو معروف طبياً. (القانون لابن سينا ١١٢١/٢).

(٣) المعتبر في الحكمة ٢/٢٦٤.

هذه الأوصاف الدقيقة لا نستطيع أن نقيمها حق التقييم حتى نتعرف على ما قاله أطباء اليونان كأبقراط وجالينوس وغيرهما، ممن اعتمد عليهم أطباء المسلمين في أصول مادتهم العلمية، وهذا متعذر في الوقت الحالي.

ووصف علي بن العباس المجوسي ثلاث هيئات تكون عليها الأوتار الصوتية، وهي:

١- وضع التنفس العادي.

٢- وضع التنفس العميق.

٣- وضع التصويت.

قال عن هذه الأوضاع الثلاثة: "والصوت لا يمكن أن يكون حتى ينطبق مجرى الحنجرة، ولذلك متى كان مجرى الحنجرة مفتوحاً لم يمكن أن يكون صوتاً البتة؛ بل إن كان خروج الهواء قليلاً قليلاً كان من ذلك النفس الذي لا يكون معه صوت.

وإن كان خروجه شديداً دفعةً كان منه النفس الشديد الذي يقال له الصُعْدَاء.

فأما كون الصوت فيحتاج فيه إلى أن يصعد من الصدر هواءً كثير دفعته، وأن يكون مسلكه في الحنجرة مع ضيقٍ؛ يتدنى من سعة المجرى إلى ضيق، ثم إلى سعة، قليلاً قليلاً".^(١) وهذه الأوضاع هي التي تذكرها الكتب الطبية المعاصرة وتضيف إليها وضعاً رابعاً لم يشر إليه علي بن العباس المجوسي، هو وضع الوشوشة.

ويبقى في نهاية الحديث عن الأوتار الصوتية ملاحظة جديرة بالانتباه، أن هذه المعرفة لم تُستثمر في معرفة الجهر والهمس إلا عند الخليل بن أحمد وتلميذه النجيب سيويه حيث أدركا الأثر الصوتي لاهتزاز الأوتار الصوتية مع الصوت المجهور وانعدامه في الصوت المهموس.

الألفاظ المستعملة للوترين الصوتيين:

(١) كامل الصناعة الطبية ١/١٢٠.

استعمل للوترين الصوتيين عدة ألفاظ، منها:

- ١ - (الجسم الشبيه بلسان المزمار).
٢ - (الآلة الأولى للصوت).
٣ - (الآلة التي يكون بها الصوت).
٤ - (طبق الحنجرة ولسانها).
٥ - (لسان المزمار).

استعمل الرازي لفظ: (الجسم الشبيه بلسان المزمار) للتعبير عن الأوتار الصوتية. ووصفها بأنها: (الآلة الأولى للصوت).^(١)

وسماها علي بن العباس الجوسي: (طبق الحنجرة ولسانها).^(٢)

وتابعه ابن ملكا على تسميتها ب: (لسان المزمار).^(٣)

ووصفها الزهراوي ب: (الآلة التي يكون بها الصوت)، وعدّها: (أشرف آلات الصوت).^(٤)

وأما من حيث دور الحنجرة في مخارج الحروف:

فذكر ابن سينا أن الهمزة والهاء يحدّثان في الحنجرة، فالهمزة "تحدّث من حفز" قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرّجها لي الحاصر زماناً قليلاً لحفز الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً"^(١)

(١) الحاوي ١٦٢/٣. ولا أدري إن كان المصطلح للرازي أم لا: (تياذوق) - طبيب الحجاج المتوفى سنة ٩٠هـ كما في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص ١٦٢؛ لأنه آخر مذكور في نص الكتاب.

(٢) كامل الصناعة الطبية ١/١٢٠. وذكر الدكتور محمد عبد الرزاق استشاري طب الأنف والأذن والحنجرة عند قراءة هذا الموضوع أن أبا الحسن الجوسي إنما يتكلم بشكل أكيد عن الطيات الصوتية الحقيقية والكاذبة معاً ولا يتكلم عن الغضروف المعروف طبيياً ب: (لسان المزمار). وإثبات أن حديثه ليس عن لسان المزمار مأخوذ من قوله: (وهذا الجسم في جوهره ليس يشبه شيئاً من أعضاء البدن وذلك أن جوهره كأنه ممتزج من الشحم والغشاء والغدد)، ولسان المزمار عضو غضروفي يشبه غضاريف الحنجرة الأخرى.

(٣) المعترف في الحكمة ٢/٢٦٤.

(٤) التصريف لمن عجز عن التأليف ل ١٥/أ.

(٥) مادة (ح ف ز) في اللغة تدل على الحث وما قرب منه، فالحفز: حثك الشيء من خلفه. (مقاييس اللغة ص ٢٥٦).

وأظهر منظار الحنجرة أن الهمزة هي الحرف الوحيد من بين حروف النطق الأخرى التي تشترك في نطقها الأوتار الصوتية الحقيقية والكاذبة مع الغضروفين الطرجهاليين حيث تقوم هذه الثلاثة بغلاق فتحة الحنجرة تماماً مسببة الجهد العضلي الذي نعرفه في نطق الهمزة، ومن هنا كانت أشق الحروف في النطق، وخففت بأنواع التخفيف من إبدال وحذف وتسهيل، وجاء النهي من القراء عن المبالغة في إخراجها.

وقال ابن سينا عن الهاء: "وأما الهاء فإنها تحدث عن مثل ذلك الحفز في الكم والكيف [يعنى: الذي في الهمزة] إلا أن الحبس لا يكون حبساً تاماً، بل تفعله حافات المخرج، وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاع يُماسُّ حافته بالسواء غير مائل إلا إلى الوسط".^(١)

وأظهر منظار الحنجرة أن هناك اختلافاً في شكل الوترين الصوتيين بين نطق القراء للهاء عند تلاوة القرآن - حسب ما تلقَّوه أداءً - وبين ما اعتاده الناس من نطقها، على الرغم من تدفق الهواء فيها في كلا النطقين:

في نطق القراء يكاد الوتران الصوتيان يقتربان من وضع الجهر؛ بل تهمز الأوتار الصوتية، ومن هنا كان وضوح الهاء السمعي في نطق القراء.^(٢)

أما في النطق الاعتيادي للهاء فإن الأوتار الصوتية تكون مفتوحة، ويندفع الهواء بكل راحة، ومن هنا كانت الهاء أضعف الحروف وأهشها في النطق، ولذلك نبه القراء على تقويتها.

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٧٢.

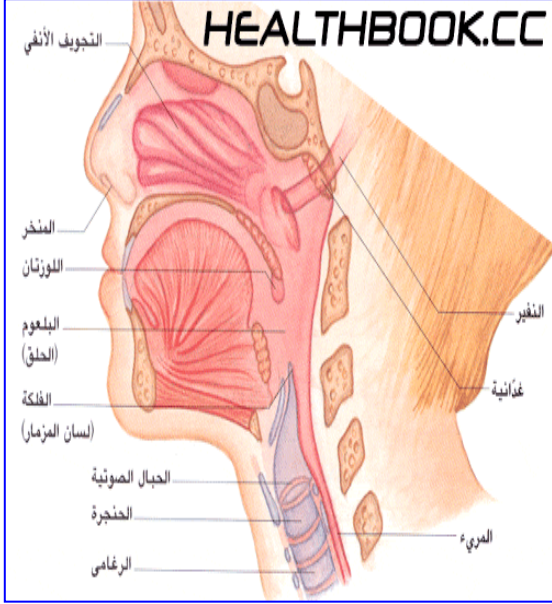
(٢) المرجع السابق ص ٧٢.

(٣) هذا الصوت محير في تصنيفه إلى مجهور أو مهموس، فتدقق النفس يجعله في دائرة المهموسات، واهتزاز الأوتار يقربه إلى دائرة المجهورات، ولك أن تحكم عليه بالجهر أو الهمس منحيث الجهة التي تنظر إليها. وفي اللغة الإنجليزية صوت شبيه بالهاء التي ينطقها القراء، وذلك حينما تقع / H / بين حركتين في نحو الكلمتين الإنجليزيتين: (ahead & behined)، قال لادي فوجد (Ladefoged): "ولدى معظم المتحدثين الذين أخضعتهم للمراقبة؛ حرف /h / في هاتين الكلمتين يلفظ على نحو تكون فيه الأوتار الصوتية منفصلة عن بعضها انفصلاً طفيفاً على طول حافتها، ولكنها تواصل الاهتزاز، كما لو كانت تلوح في النسيم. مصطلح (الهاء المجهورة) يستخدم في بعض الأحيان للتعبير عن هذا الصوت، ولكنه يحير إلى حد ما بالنظر لعدم وجود أي جهر بالمعنى المعتاد للكلمة، ومصطلح (الهاء المهموسة) يفضل استعماله" (Acourse in phonetics) (ص ١٢٨ - ١٢٩).

وجعل الهمزة والهاء تحديداً من الحنجرة هو الذي تذكره كتب الدراسات الصوتية

المعاصرة اليوم.^(١)

العضو السابع من أعضاء الصوت والنطق: الحلق:



يدل أصله اللغوي على شيء من

الآلات مستدير.^(٢)

واختلف أصحاب المعاجم في

تحديده: فمنهم من جعله مرادفاً للحلقوم،

ومنهم من حدّه ب: مجرى الغذاء ومخرج النفس

من القصبة الهوائية، فيشمل الحنجرة عندئذ؛

لأن النفس يخرج عبر فتحتها، وهذا هو حد

أقصى الحلق.^(٣)

وحدّه الأعلى عند من جعله مرادفاً

للحلقوم إلى أصل عكدة اللسان، يعنى الجزء الخلفي منه^(٤)، ويقابله من فوق الحنك اللحمي،

والذي يدل على ذلك هو تسمية مكّي بن أبي طالب للحنك: (غار الحلق الأعلى)^(٥).

وهكذا حدوده عند الأطباء، فقد ذكر أبو الحسن أحمد الطبري أن "الحلق: اسم

لجميع الحنجرة، والحلقوم، والمرئ، والعضلات الموضوعه عليه حتى يتصل ذلك باللوزتين،

وأصول اللسان، والعضلات الموضوعه على الحلق من خارج، وأصول الأذنين من داخل

وخارج.

(١) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص ٨٩-٩٠، وعلم اللغة للسعران، ص ١٧٨-١٧٩، ومناهج البحث في اللغة لتمام حسان ص ١٣١.

(٢) مقياس اللغة ص ٢٦١ (ح ل ق)، و ص ٢٨١ (ح ل ق م).

(٣) العين ٤٨/٣، والصحاح ١٤٦٢/٤، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لعلي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وحسين نصّار، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ٢/٣، والمصباح المنير ص ١٤٦.

(٤) ابن سيده في المحكم ٣٤/٤.

(٥) الرعاية ص ٢٤٠.

وكل مرض يحدث في هذه المواضع سمي وجع الحلق".^(١)

وقال ابن سينا: "الحلق: الفضاء الذي فيه مجريا النفس والغذاء، ومنه الزوائد التي هي اللهاة واللوزتان، والغلصمة"^(٢)، وقد عرفت تشريح المريء، وتشريح الحنجرة. وأما اللهاة...".^(٣)
فالحاصل المتفق عليه مما سبق أن منطقة الحلق تبدأ من الحنجرة، وتنتهي في الفم عند الحنك اللحمي. ويمثل الشكل السابق الحلق عند المتقدمين.

ومن المعلوم أن الحنك اللحمي (الملون باللون الأحمر في الرسم) من وظيفته قفل مجرى الغذاء والصوت إلى الخيشوم برجوعه إلى الخلف، ولذلك لونت ما فوقه ليشمل الحلق جزءاً من الخياشيم.

المواطن الصوتية التي استعمل فيها:

استعمل الحلق في أكثر من موطن صوتي، منها:
١ - مخرج رئيس من مخارج النطق.
٢ - مخرج خاص لبعض الأصوات.
٣ - تجويف ربيبي للصوت.
٤ - آلة موسيقية مصوتة للغناء.

١- المواطن الأول: الحلق مخرج رئيس من مخارج النطق:

انظر المخارج الرئيسة للنطق.

٢- المواطن الثاني: الحلق مخرج خاص لبعض الأصوات:

لقب الخليل الحروف التي تخرج منه ب: (الحلقية)، قال: "لأن مبدأها من الحلق"^(٤). ونقل ذلك

(١) المعالجات البقراطية للطبيب أبي الحسن الطبري (القرن الرابع الهجري)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج ٤٧/١، طبع بالتصوير عن مخطوطة ملك مليّ ٤٤٧٤، مطبعة شتراوس - ألمانيا، ٣٨/٢.

(٢) قال ابن سينا في القانون ١١٠٣/٢: "أما الغلصمة: فهي لحم صفاقي لاصق بالحنك تحت اللهاة، متدل منطبق على رأس القصبه اه. قال الدكتور محمد عبد الرازق استشاري أمراض الأنف والأذن والحنجرة: إن وصف ابن سينا للغلصمة ينطبق على الحنك اللين".

(٣) القانون في الطب ١١٠٣/٢.

(٤) العين ٥٨/١.

مكي^(١) والهمداني^(٢)"

ولقبها سيويوه ب: (حروف الحلق)^(٣) . وتابعه عليه كثير من العلماء، منهم:

ابن السكيت^(٤)، وابن قتيبة^(٥)، والمبرد^(٦)، وثعلب^(٧)، والزجاج^(٨)، وابن السراج^(٩)، وابن دريد^(١٠)، والحقاني^(١١)، وابن خالويه^(١٢)، والفارسي^(١٣)، وطاهر بن غلبون^(١٤)، ومكي^(١٥)، وأبو معشر الطبري^(١٦)، وغيرهم.

نسب الخليل حروف الحلق الستة إليه، مرتباً إياها، قال: "فأقصى الحروف كلها: العين ثم الحاء... ثم الهاء... فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد، بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيز واحد، كلهن حلقيه".^(١٧)

(١) الرعاية ص ١٣٩.

(٢) التمهيد ص ٢٧٨ و ٢٩١.

(٣) الكتاب ٤/٤٥٤، و ٤٨٠.

(٤) إصلاح المنطق ص ٢١٧.

(٥) أدب الكاتب ص ٤٨٢.

(٦) المقتضب ١/٢٠٩ و ٢٣٦ و ٣٥٠.

(٧) مجالس ثعلب، لأبي العباس يحيى بن أحمد بن ثعلب، إمام الكوفيين (ت ٢٩١هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٦٠م، ٢/٣٦٠.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٦٢، و ٣/٤١١.

(٩) الأصول ١/١١١.

(١٠) الجمهرة ١/٦.

(١١) منظومة الإمام الخاقاني في التجويد، لأبي مزاحم الخاقاني (ت ٣٢٥هـ)، ضمن قصيدتان في تجويد القرآن، تحقيق: د. عبدالعزيز بن عبدالفتاح القاري، دار مصر للطباعة، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ٢٧.

(١٢) الحجة في القراءات السبع ص ١٩٥.

(١٣) التكملة ص ٢١٢.

(١٤) التذكرة في القراءات الثمان ١/١٨٧.

(١٥) الرعاية ص ١١٦.

(١٦) التلخيص في القراءات الثمان، لأبي معشر عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: د. محمد حسن عقيل موسى، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط ١، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، ص ١٣٥.

(١٧) العين ١/٥٧ - ٥٨. وسيأتي ذكر الهمزة في: (أقصى الحلق).

وأشار سيوييه إلى حرية مرور الصوت في حروف المد، وأن أعضاء النطق، ومنها الحلق، لا تعترض طريقه. ^(١)

أقسام الحلق:

قسم الحلق إلى ثلاثة أجزاء:

- ١- أقصى الحلق، وهي أبعد نقطة فيه عند الحنجرة.
- ٢- وسط الحلق، وهي تقع عند الغضروف المسمى حديثاً بلسان المزمار.
- ٣- أدنى الحلق، وهي تقع في الجزء الخلفي من اللسان وما يقابلها من الحنك اللحمي.

الألفاظ المستعملة لأبعد نقطة فيه:

أ- أقصى الحلق:

استعملت أبعد نقطة في الحلق مخرجاً للهمزة، والهاء باتفاق، والألف والفتحة عند أكثرهم، واستعمل لها خمسة ألفاظ:

- ١- أقصى = (أقصى الحلق)، (أقصى مخارج الحلق)، (أقصى الحلق مما يلي أعلى الصدر)، (أقصى الحلق مما يلي الصدر)، (أقصى مخارج الصوت).
- ٢- أسفل: (أسفل الحلق).
- ٣- ٤ - أول، آخر = (أول الحلق)، (المخرج الأول)، (أول الصدر وآخر الحلق)، (آخر الحلق)، (آخر الحلق مما يلي الصدر).
- ٥- (منتهى الصوت).

١- المصطلح الأول: أقصى:

استعمل الخليل لفظ: (أقصى الحلق) كمخرج للهمزة المحققة، قال: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة". ^(٢)

(١) الكتاب ٤/١٧٦.

(٢) العين ١/٥٢.

وتابعه على اللفظ: المبرد^(١)، والزجاج^(٢)، وابن جني^(٣)، والسعيدي^(٤)، ومكي^(٥)،
والخفاجي^(٦)، وأبو البركات ابن الأنباري^(٧).

وتابع هؤلاء سيبويه في نسبة الهمزة والألف والهاء إلى هذه المنطقة.

واستعمل سيبويه: **(أقصى الحروف مخرجاً)** لتعيين مخرج الهمزة والألف والهاء.^(٨)

وتابعه: ابن السراج^(٩)، والزجاجي^(١٠)، والرماني^(١١)، والداني^(١٢).

ورتب سيبويه الهمزة والألف والهاء في هذا المخرج، قال: "لأن الهمزة أقصى الحروف وأشدّها
سفولاً، كذلك الهاء؛ لأنه ليس في الستة الأحرف أقرب إلى الهمزة منها، وإنما الألف
بينهما".^(١٣)

وذكر الأخفش أن الهمزة والهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها.^(١٤)

وأشار سيبويه إلى أن مخرج الفتحة من مخرج الألف، قال عن سبب فتح عين الفعل
المضارع إن كان حرفاً حلقياً: "وإنما فتحوا هذه الحروف، لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن

(١) المقتضب ١/٣٢٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٥٠ و ١٢٦.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٤٦.

(٤) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٣.

(٥) الرعاية ص ١٤٢.

(٦) سر الفصاحة ص ١٩.

(٧) أسرار العربية، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية،

ط ١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، ص ٣٤.

(٨) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٩) الأصول ٣/٤٠٠.

(١٠) شرح جمل الزجاجي، لأبي محمد ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. علي محسن مال الله، عالم الكتب،

ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ٤٤٥.

(١١) شرح كتاب سيبويه ١/١٩١.

(١٢) التحديد ص ١٠٢.

(١٣) الكتاب ٤/١٠٢.

(١٤) سر صناعة الإعراب ١/٤٦.

يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها، وهو الألف".^(١)

وتابعه: المبرد^(٢)، والسيرافي^(٣)، والرماني^(٤)، وابن جني^(٥)، وأبو البركات الأنباري^(٦). وصرحوا أن مخرج الفتحة من مخرج الألف، وهي من الحلق.

وأشار إخوان الصفاء إلى أن أبعد مخارج الحروف هو: (أقصى الحلق مما يلي أعلى الصدر).^(٧)

واستعمل ابن خالويه: (أقصى مخارج الحروف).^(٨)

وابن فَوْزَك: (أقصى مخارج الصوت).^(٩)

وابن الأنباري: (أقصى الحلق مما يلي الصدر).^(١٠)

وتقدم كيفية حدوث الهمزة والهاء في الحنجرة عند ابن سينا.

وينسبُ علم الأصوات المعاصر الهمزة والهاء إلى الحنجرة- كابن سينا- والألف إلى منطقة الفم بحيث لا يتدخل اللسان في إنتاج هذا الصوت، بل يكون في وضع الراحة^(١١). ويعيب بعضهم على سيبويه جعله الألف من أقصى الحلق.^(١)

(١) الكتاب ١٠١/٤.

(٢) المقتضب ٢٩٢/١ و ١١٠/٢.

(٣) المطبوع من شرح كتاب سيبويه ٢٦٥/٢.

(٤) معاني الحروف، لعلي بن عيسى الرماني النحويّ (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: د. عبدالفتاح شليبي، دار الشروق، جدة، ص ٤١.

(٥) سر صناعة الإعراب ٥٣/١، والخصائص ١٤٣/٢.

(٦) أسرار العربية ص ٣٢ و ٤٨.

(٧) رسائل إخوان الصفاء ١١٤/٣.

(٨) الحجّة في القراءات السبع ص ١٥٢.

(٩) نتائج الفكر ص ٢٢٥.

(١٠) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(١١) الكلام إنتاجه وتحليله لعبد الرحمن أيوب ص ٩١، دراسة الصوت اللغوي ل أحمد مختار عمر ١٤١١هـ-١٩٩١م، عالم الكتب - القاهرة، ص ٣٤٥.

ولا حجة لهم في ذلك، لأن خلافهم معه خلاف نسبة لا وصف؛ إذ أكد سيبويه في أكثر من موضع أن الألف بمنزلة النفس، وأن اللسان لا يتدخل في إنتاجها^(٢)، وأنه لا يُعترض فيها على صوتها على طول المجرى الهوائي^(٣)، ولذلك سمها: الحرف الهاوي، فنسبها إلى بدء تصويتها من أقصى الحلق، أي: الحجرة.

٢- المصطلح الثاني: أسفل:

استعمل ابن جني: (أسفل الحلق).^(٤)

٣، ٤- المصطلح الثالث والرابع: أول وآخر:

استعمل المبرد لفظ: (أول الحلق)^(٥). وتابعه: مكى^(٦).

واستعمل أبو بكر ابن الأنباري: (أول المخارج).^(٧)

واستعمل مكى أيضاً: (آخر الحلق)^(٨) أو (آخر الحلق مما يلي الصدر).^(٩)

واستعمل الداني لفظي: (أول الصدر وآخر الحلق)^(١٠)، و(المخرج الأول).^(١١)

ولفظ: (آخر الحلق) من المشترك اللفظي، استعمل بمعنى أقصى الحلق إذا نظرت إلى مخرج أقصى الأصوات، وبمعنى أقرب مخارج الحلق إلى الفم إذا نظرت إلى اللسان كما سيأتي.

٥- المصطلح الخامس: منتهى:

(١) دراسة الصوت اللغوي ٣٤٦.

(٢) الكتاب ٢٣٥/٤ - ٢٣٦.

(٣) المرجع السابق ١٧٦/٤.

(٤) سر صناعة الإعراب ٤٦/١.

(٥) المقتضب ٣٤١/١.

(٦) الرعاية ص ١٦٠.

(٧) إيضاح الوقف والابتداء ٤٠٦/١.

(٨) الرعاية ص ١٣٦.

(٩) المرجع السابق ص ١٤٥.

(١٠) التحديد ص ١٠٢.

(١١) المرجع السابق ص ١٠٢.

استعمل السهيلي له لفظ: (منتهى الصوت).^(١)

الألفاظ المستعملة للوسط:

ب - وسط الحلق:

استعمل وسط الحلق مخرجاً لصوتي العين والحاء، واستعمل له عدة ألفاظ، منها:

١ - أوسط = (أوسط الحلق)، (وسط الحلق).

٢ - (المخرج الثاني من الحلق)، (المخرج الثاني من الحلق مما يلي الفم).

٣ - (الموضع الذي يناله هواء التهوع).

٤ - (الموضع الذي يناله هواء التنحنح).

استعمل سيويوه لفظي: (أوسط الحلق)^(٢) ، و: (المخرج الثاني من الحلق)^(٣) ، كمخرج

للعين والحاء على الترتيب: العين ثم الحاء، قال: "لأن العين أقرب إلى الهمزة من الحاء".^(٤)

وتابعه أكثر العلماء على تصنيفه، وتعددت ألفاظهم:

فتابع سيويوه على لفظ: (أوسط الحلق): المبرد^(٥) ، وابن السراج^(٦) ، والسعيدي^(٧) ،

والهمذاني^(٨) .

واستعمل المبرد^(٩) : (وسط الحلق).

(١) نتائج الفكر ص ٣٢٢.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٥١.

(٤) المرجع السابق ٤/١٠٢.

(٥) المقتضب ٢/١٣٨.

(٦) الأصول ٣/٤٠٠.

(٧) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٣.

(٨) التمهيد ص ٢٧٧.

(٩) المقتضب ١/٣٤١.

وتابعه: مكّي (١)، والداني (٢)، والقرطبي (٣)، والخفاجي (٤)، وابن الطحان الأندلسي (٥)، وأبو البركات ابن الأنباري. (٦)

وتابع سيوييه على: (المخرج الثاني من الحلق): المبرد (٧)، وابن دريد (٨)، ومكّي، وزاد: (مما يلي الفهم). (٩)

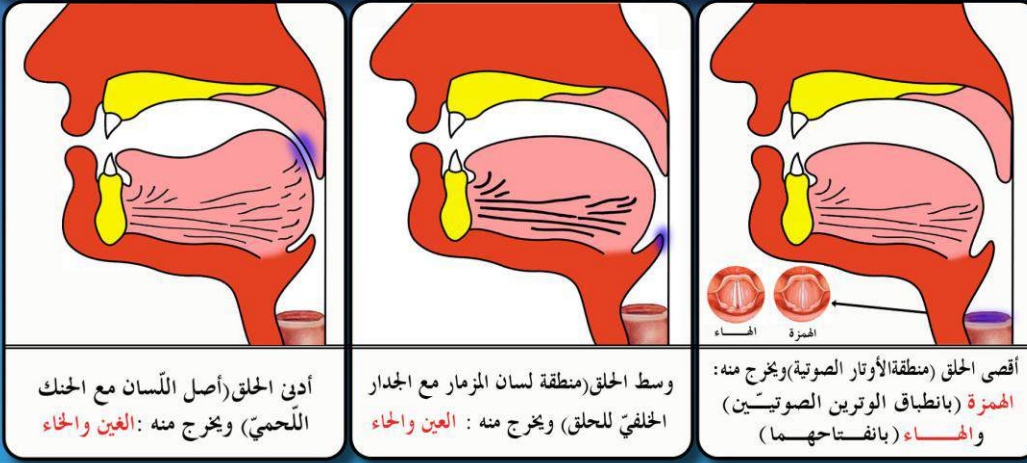
وقال ابن سينا عن العين أنها في (الموضع الذي يناله هواء التهوع أدخل إلى الحلقوم)، وعن الحاء أنها في (الموضع الذي يناله هواء التنحنح) (١٠)، وهذا ترتيب حرفين من مخرج واحد.

وأظهر منظار الحنجرة أن العين والحاء يخرجان من منطقة الغلصمة (Epiglottis) في إحدى معانيها وذلك برجوع الغلصمة إلى الجدار الخلفي للحلق عند نطقهما.
وبيين الشكل أدناه مواضع أقصى الحلق ووسطه وأدناه.

-
- (١) الرعاية ص ١٦٢.
 - (٢) التحديد ص ١٠٢.
 - (٣) الموضح في التجويد ص ٧٨.
 - (٤) سر الفصاحة ص ١٩.
 - (٥) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٤.
 - (٦) أسرار العربية ص ٢٠٨.
 - (٧) المقتضب ١/٣٢٨ و ٢/١١٠.
 - (٨) الجمهرة ١/٨.
 - (٩) الرعاية ص ١٦٢.
 - (١٠) أسباب حدوث الحروف ص ١١٦.

الحلق : وفيه ثلاثة مخارج

ثانياً



أدنى الحلق (أصل اللسان مع الحنك اللحمي) ويخرج منه: **الفين والحاء**

وسط الحلق (منطقة لسان المزمار مع الجدار الخلفي للحلق) ويخرج منه: **العين والحاء**

أقصى الحلق (منطقة الأوتار الصوتية) ويخرج منه: **الهمزة** (بانطباع الوترين الصوتيين) و**الهواء** (بانفتاحهما)

الألفاظ المستعملة لأقرب نقطة فيه إلى الفم:

ج- أدنى الحلق:

- استعمل أقرب مواضع الحلق إلى الفم (من الحنك اللحمي) مخرجاً لبعض الأصوات، واستعملت له عدة ألفاظ، منها:
- ١- أدنى = (أدنى الحلق مخرجاً من الفم)، (أدنى مخارج الحلق إلى اللسان)، (أدنى مخارج الحلق إلى الفم)، (أدنى الحلق مما يلي الفم)، (أدنى الحلق).
 - ٢- (المخرج الثالث من الحلق).
 - ٣- آخر = (آخر مخرج الحلق وأقربها إلى الفم)، (آخر الحلق مما يلي الفم).
 - ٤- (موضع التفرغ).
 - ٥- (من فوق وسط الحلق مع أول الفم)، (مما فوق وسط الحلق دانياً إلى الفم).
 - ٦- أول = (أول الفم)، (أول الحلق مما يلي اللسان).
 - ٧- (أعلى الحلق).

استعمل سيبويه لفظي: (أدنى الحلق مخرجاً من الفم)^(١) ، و: (المخرج الثالث من الحلق: أدنى مخارج الحلق إلى اللسان)^(٢) ، كمخرج للغين والحاء وفي نص دقيق

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٥١.

جعلهما في منطقة متوسطة بين الحلق والفم قال: "والحاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق".^(١) وتابعه أكثر العلماء على تصنيفه، وتعددت ألفاظهم:

تابعه المبرد^(٢)، ومكي^(٣) على لفظ: (المخرج الثالث من مخارج الحلق).

ابن دريد زواج بين عبارتيه.^(٤)

تابعه على لفظ: (الأدنى): المبرد، وابن السراج، وابن الأنباري، وابن الطحان الأندلسي، حيث استعمل المبرد: (أدنى حروف الحلق إلى الفم)^(٥)، وتابعه: السعيدي.^(٦) وابن السراج على لفظ سيويوه^(٧)، واستعمل مرة: (أدنى مخارج الحلق إلى الفم)، وتابعه: الداني^(٨). أبو البركات ابن الأنباري: (أدنى الحلق مما يلي الفم).^(٩) وابن الطحان: (أدنى الحلق).^(١٠)

واستعمل المبرد مرة: (أول الحلق مما يلي اللسان) ناظراً إلى المخارج بدءاً من الشفتين.^(١١)

واستعمل الفارسي: (آخر مخرج الحلق وأقربها إلى الفم).^(١٢)

(١) المرجع السابق ٤/٤٨٠.

(٢) المقتضب ١/٣٤٣.

(٣) الرعاية ص ١٦٨.

(٤) الجمهرة ١/٨.

(٥) المقتضب ١/٣٤٤.

(٦) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٣.

(٧) الأصول ٣/٤٠٠.

(٨) التحديد ص ١٠٢.

(٩) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(١٠) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٤.

(١١) المقتضب ٢/١٣٨.

(١٢) الحجة ٦/٣٠٣.

واستعمل ابن جني: (من فوق وسط الحلق مع أول الفم)^(١) ، وتابعه: الخفاجي.^(٢)
وجعل ابن سينا مخرج الغين والخاء من الحنك، وذكر أن (موضع التفرغر موضع
حدوث الغين).^(٣)

وحده القرطبي بأنه: (مما فوق وسط الحلق دانياً إلى الفم)^(٤) . وهي تشبه في أولها
عبارة ابن جني.

واستعمل الخفاجي: (أول الفم).^(٥)

واستعمل سبط الخياط: (أعلى الحلق) كعضو مشارك مع (أصل اللسان) في خروج
الغين والخاء والقاف، قال: "وثلاثة تخرج من أعلى الحلق وأصل اللسان متوالية، وهي: الغين
والخاء، والقاف"^(٦)

وتابعه الهمذاني على استعمال لفظ: (أعلى الحلق)^(٧) للغين والخاء فقط.

واستعمل ابن الطحان مرة: (آخر الحلق مما يلي الفم).^(٨)

وتختلف كتب علم الأصوات المعاصر في نسبة الغين والخاء، فبعضهم تابع سيبويه^(٩) ،
وبعضهم تابع سبط الخياط^(١٠) ، وأكثرهم تابع ابن سينا.^(١)

(١) سر صناعة الإعراب ٤٧/١.

(٢) سر الفصاحة ص ١٩.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ١١٦.

(٤) الموضح ص ٧٨.

(٥) سر الفصاحة ص ١٩.

(٦) المبهج في القراءات الثمان، لأبي محمد عبدالله بن علي البغدادي، المعروف بسبط الخياط (ت ٥٤١ هـ)، تحقيق: د.
وفاء قزمار، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٤ هـ ، ٢١٧/١.

(٧) التمهيد ص ٢٧٧.

(٨) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٤.

(٩) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص ١١٣.

(١٠) دروس في علم الأصوات العربية، جان كاتينو، نقله إلى العربية صالح القرمادي، نشر مركز الدراسات النحوية
الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦ م، ص ٣١.

قواعد في الحروف الحلقية:

- الفعل الرباعي المشدد الآخر يعتمد بالضرورة على حرف من حروف الحلق، كاذلعب الجمل، أي أسرع: الخليل. (٢)
- الغين والخاء من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق: سبيويه. (٣)
- حروف الحلق لا يدغم منها شيء إلا ما تماثل في اللفظ: الداني. (٤)

٣- الموطن الثالث: الحلق تجويف رنيني للصوت:

تقدم الحديث عنه في تجويفات أعضاء النطق.

٤- الموطن الرابع: الحلق آلة موسيقية مصوتة للغناء:

شبه الفارابي الحلق [جمع: حلق] كأنها مزامير طبيعية، والمزامير كأنها حلق صناعية^(٥)، وقال عن الحلق الإنسانية: "وليس ها هنا ما هو أكمل من الحلق، فإنها تجمع جُلَّ فصول الأصوات^(٦)، وسائر ما وجد فيه النغم من الآلات تنقص عنها نقصاناً كبيراً، وهذه كلها إنما جعت تكثيرات وتفخيمات وتزيينات ومحاكيات وحافظات لنغم الحلق الإنسانية".^(٧)

الأوصاف التي توصف بها الحلق الإنسانية:

وعدّد ابن الطحان الموسيقي - بعد ذكره لكيفية اختبار الحلق، وطبقاتها الصوتية -

(١) دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٨، وا المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، تأليف د. رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م، ص ٢٢٣، ومناهج البحث في اللغة ص ١٢٤ و ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) العين ٣٢٦/٢.

(٣) الكتاب ٤٨٠/٤.

(٤) التحديد ص ١٢٦.

(٥) الموسيقى الكبير ١٠٦٦.

(٦) فصول الأصوات: مقاطعها وأجزاؤها المصوتة.

(٧) الموسيقى الكبير ٧٩ - ٨٠.

الأوصاف التي وصف بها الخلق الإنسانية بحسب ما تصدره من أصوات، ذاكراً صفاتها الحسنة والقبیحة، ومعرفةً لكل نوع منها، فقال^(١) :

- ١- الأَبْحُ: على ثلاثة أوجه: خِلْقَةٌ، وتعبٍ، وعليةٍ، وهو خِلْقَةٌ أحسن.
- ٢- الأَجْسُ: هو الجهير بِيُحُوحةٍ مليحةٍ ونغم مفحمة.
- ٣- الأَخْنُ: هو الذي كأن أنف صاحبه مسدود.
- ٤- الأَغْنُ: هو الذي فيه الغنة والحلاوة والنغم.
- ٥- الأَمْلَسُ: هو المعتدل الصافي، الخالي من النغم والترجيع.
- ٦- الجاسي: الذي ينبو عن السمع لجسائه.
- ٧- الجَهِيْزُ: هو الغليظ الذاهب في الأسماع.
- ٨- الحَرْقُ: هو الذي يتبدد ويذهب كل مذهب.
- ٩- الخادميُّ: ما كان غريب (الموقع)، كحلق الخدم.
- ١٠- الراحميُّ: هو الدقيق الناعم، المتوسط الندي.
- ١١- الراونديُّ: هو الذي يكون ذا نغم زائدة عن مقادير الغناء.
- ١٢- الرِّخْوُ: هو الذي (يتعجَّن) فيه النغم (ويتفرغ).
- ١٣- الرِّطْبُ: هو ما كان كالماء الجاري بلا كلفة، وفيه حلاوة.
- ١٤- الشَّجِيُّ: هو أحسن الخلق، وأصفاها، وأكثرها نغماً.
- ١٥- الشَّعْثُ: هو الذي يصفو مرة ويشعث أخرى، ولا يُخَلِّصُ نغمه.
- ١٦- الصَّدِيُّ: هو الذي يكون فيه ما (يغطي) نغمه ويكدره.
- ١٧- الصَّرْصُورِي: هو الدقيق الحاد العادي (...). الموقع.

(١) حاوي الفنون ص ٤٩ - ٥٥. وقد رتبتُ المصطلحات فيها هجائياً، ولذلك جعلت الإحالة هنا.

- ١٨- الصَّيَّاحِيُّ: هو الذي ينفر عن (الوزن) إلى زيادة ونقصان.
- ١٩- الطَّلِيُّ: هو قريب من الرطب الدقيق، الذي يضعف ويكاد يخفى.
- ٢٠- القطيع: هو الذي لا يكاد يسمع بالجملة.
- ٢١- الكَرَوَانِي: هو يشبه الكروانات دقة، وصفاء، وتسلسلاً.
- ٢٢- اللُّقْمِيُّ: هو الذي كأنَّ في فم صاحبه لقمة من الطعام.
- ٢٣- المُبْلِل: هو الذي تختلف فيه النغم، وتزول عن أماكنها.
- ٢٤- المتيسر: هو الذي يتدنى (معدوراً) ثم يتيسر.
- ٢٥- المختنق: هو الذي كأنَّ صاحبه يَخْنَق ويكثر تنحنحه.
- ٢٦- المخلخل: وهو العالي الحاد النغم بحلاوة وجهارة.
- ٢٧- المرتعد: هو الذي كأن صاحبه مقررور بالحمى.
- ٢٨- المصلصل: هو الدقيق اليابس الجيد بغير شحى.
- ٢٩- المصهرج: الصيِّت الثقيل بلا ترجيع ولا نغمة.
- ٣٠- المظلم: هو الذي ليس فيه نغمة، ولا يكاد يسمع.
- ٣١- المغتصُّ: هو الذي يمنع بلع ريقه، ويتغير فيه الغناء.
- ٣٢- المققع: هو الذي يشبه كلام البادية بلا حلاوة.
- ٣٣- المنطفيء: الذي ليس له صوت لتضاؤله وانقطاعه.
- ٣٤- المنعصر: هو الذي يشبه حلوق (الخدب).
- ٣٥- النابي: هو الذي ينبو عن الحلوق في المراسلات.
- ٣٦- الناعم: الصوت المليح الموقع، الصافي النغم.
- ٣٧- النطفيء: هو الذي يقوى تارة ويضعف تارة.

العضو الثامن من أعضاء الصوت والنطق: الفم:

الفم: من المشترك اللفظي. يدلُّ أصله اللغوي على تفتُّح في شيء^(١)، فمنه: فم الإنسان، وفم الإبريق...

استعمل: (الفم) في أكثر من معنى، منها:

أ- الشفتان على اعتبار أنها الجزء الخارجي المتحرك من الفم.

ب- تجويف يحتوى على أعضاء ثابتة ومتحركة، كالحنك واللسان.

وبهذا المعنى استعمل في أكثر من موطن صوتي، منها:

١- مخرج رئيس من مخارج النطق.

٢- مخرج خاص لبعض الحروف بما يحتويه من الحنك واللسان والأسنان والشفتين.

٣- مكان لانتشار صوت الحروف.

٤- فراغ رنيني للصوت.

٥- جزء مشارك في رسم حدود المخارج.

المعاني التي استعمل فيها لفظ: (الفم):

أ- المعنى الأول من معاني الفم = الشفتان:

استعمل أبو الأسود الدؤلي: (الفم) بمعنى الشفتين عند وضعه لعلامات الإعراب:

الفتحة، والضمة، الكسرة، في حديثه للكاتب: "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف"^(٢).

ففتُّح الفم، أو ضمُّه، أو كسره هو عمل من أعمال الشفتين؛ لأنها هي الجزء المتحرك من الفم، لأن حركة الفك السفلي ثلاث حركات: تباعد عن الفك العلوي، وإطباق عليه، وحركة إلى اليمين وإلى اليسار.

(١) مقاييس اللغة ص ٨٠٢ (ف و هـ).

(٢) طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٩. وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٣٥.

وتشترك الحركات الثلاث في تباعد الفك السفلي، والتمييز بينها إنما هو من عمل الشفتين.

واستعمل الخليل: (الفم) بمعنى الشفتين في تلقيبه للميم بـ: (المطبقة)، قال الليث: "وكان الخليل يسمي الميم: مُطْبِقَةً؛ لأنها تطبق الفم إذا نُطِقَ بها"^(١). فأطبقت الميم الشفتين والفكين.

وكذلك استعمله مكّي، قال عن حروف المد: "ألا ترى أن النطق بهذه الحروف إنما هو فتح الفم، أو ضمُّه بصوت ممتد أو غير ممتد حتى ينقطع مخرجه في الحلق"^(٢).

ب- المعنى الثاني من معاني الفم = تجويف يحتوى على أعضاء ثابتة ومتحركة، كالحنك واللسان.

المواطن الصوتية للفم:

١- المواطن الأول من استعمالات الفم: مخرج رئيس من مخارج النطق:

انظر المخارج الرئيسة للنطق.

٢- المواطن الثاني من استعمالات الفم: مخرج خاص لبعض الحروف بما يحتويه من الحنك واللسان والأسنان والشفيتين:

نسب سيويه إليه الحروف التي يشارك اللسان في إنتاجها مع الحنك أو مع الأسنان ولقبها بـ: (حروف الفم واللسان)^(٣)، أو: (حروف الفم)^(٤).

وذكر سيويه أن أصل الإدغام لحروف الفم واللسان، وأن كثرة الإدغام في حروف الفم^(٥).

تابع سيويه على اللقبين: ابن السراج^(٦)، والداني^(١).

(١) العين ٥٨/١.

(٢) الرعاية ص ١٢٧.

(٣) الكتاب ٤/٤٤٨ و ٤٦٢.

(٤) المرجع السابق ٤/٤٤٨ و ٤٥٤.

(٥) المرجع السابق ٤/٤٤٨.

(٦) الأصول ٣/٤١٣ و ٤١٧ و ٤٢٨.

وتابعه على: (حروف الفم): المازني^(٢)، والمبرد^(٣)، والزجاج^(٤)، والسيرافي^(٥)، والفارسي^(٦)، وابن جني^(٧)، والسعيدي^(٨)، والقرطبي^(٩).

ومن ألقاب سيبويه لحروف الفم والشفيتين أيضاً: (الحروف المرتفعة)، قالها في معرض حديثه عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً، قال: "وإنما فتحو هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها، وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والياء والواو".

وكذلك حرّكوهن إذا كن عَيْنَات، ولم يُفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء؛ لأنهما من الحروف التي ارتفعت، والحروف المرتفعة حيز على حدة، فإنما تتناول للمرتفع حركة من مُرتفع، وكره أن يتناول الذي قد سفل حركةً من هذا الحيز.^(١٠)

وذكر أبو بكر ابن الأنباري - وهو من البغداديين - أن للفم أحد عشر مخرجاً، قال: "وذلك أن من الفم أحد عشر مخرجاً، المخرج الخامس منها للأم، والسادس للنون".^(١١) وبين مكّي أن المخرج الحادي عشر هو للفاء.^(١٢)

(١) المطبوع من جامع البيان ٧١٤/٢، والإدغام الكبير ص ٤١.

(٢) نقل ذلك عنه الفارسي في التكملة ص ٢٧٨.

(٣) المقتضب ٣٤٤/١ و ٣٥١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٧٥/٥.

(٥) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٤.

(٦) الحجة ٤٤٥/٤ و ١٣٦/٥ و ٣٠٣/٦، والتكملة ص ٢٧٨.

(٧) الخصائص ٣٦٥/١ و ٣٢٤/٢.

(٨) اختلاف القراءة في اللام والنون، لأبي الحسن عليّ بن جعفر السعيديّ (ت ٤١٠هـ)، مطبوعٌ ضمن: رسالتان في تجويد القرآن، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمّار - الأردن، ط ١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م، ص ٦٥.

(٩) الموضح في التجويد ص ٨١.

(١٠) الكتاب ١٠١/٤.

(١١) إيضاح الوقف والابتدا ١٤٦/١ و ٢٢٠/١.

(١٢) الرعاية ص ٢٢٧.

وزاد عليها مخرجين هما: مخرج الباء والميم والواو^(١)، ومخرج الغنة^(٢)، ليصير للفم ثلاثة عشر مخرجاً.

وقد يصح من مكّي جَعْلُهُ الميم والباء والواو من الفم، وهي من مخارج الشفتين؛ لأن الشفتين جزء من الفم، لكن لا يصح له أن يجعل مخرج الغنة المخرج الثالث عشر من مخارج الفم، حتى وإن كانت الغنة تابعة للنون والميم.

وذكر الفارسي أن النون المتحركة تخرج من الفم، والساكنة من الخيشوم.^(٣)

ولقب ابن جني الحرف الذي يخرج من الفم بـ: (الحرف الفموي).^(٤)

وذكر أن أكثر الحروف يخرج من الفم.^(٥) ولقب ابن سفيان القيرواني الحروف التي تخرج بعد مخرج الراء بـ: (الحروف التي هي أقرب إلى مخارج الفم من الراء)، "وهي: النون المتحركة، والصاد والزاي والسين، والطاء والذال والتاء، والظاء والذال والتاء، والفاء، والميم والباء والواو".^(٦)

وتقييده النون بالمتحركة احترازاً عن الساكنة التي جعلها بعض المتقدمين من الخيشوم.

(٧)

وعلل مكّي بن أبي طالب لتسمية الخليل الحروف التي ليست من الحق بـ: (الحروف

الصُّنْم)، قال: "وإنما سميت صُنْمًا، لتمكنها في خروجها من الفم، واستحكامها فيه".^(٨)

وقد تقدم استعمال تجويف الفم كمخرج لحروف المد.

(١) الرعاية ص ٢٢٩ و ٢٣٢ و ٢٣٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٠.

(٣) نقل ذلك عنه ابن جني في الخصائص ٢/٣٢٤.

(٤) الخصائص ١/٣٦٣.

(٥) المنصف ٢/٢٠٩.

(٦) الهادي في القراءات السبع، لأبي عبدالله محمد بن سفيان الهواري القيرواني المقرئ (ت ٤١٥هـ)، د. يحيى عبدالرزاق

غوثناني، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن والعلوم الإسلامية، السودان، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ١/١٩٧.

(٧) المقتضب ١/٣٥٠، وسر صناعة الإعراب ١/٤٣.

(٨) الرعاية ص ١٣٧.

ومن المتقدين من نبه إلى عدم وجود أي دور لأعضاء الفم في إخراج صوت الألف، وإليك بعض أوصافهم:

الألف لا يعتمد اللسان فيها على عضو من أعضاء الفم: مكى. (١)

الألف: صوت لا يعتمد اللسان فيها على شيء من أجزاء الفم: الداني. (٢)

الألف لا ينقطع لها في الفم جزء تتحيز إليه: ابن الطحان. (٣)

وقد تقدم أن من المحدثين من ذكر مثل ذلك عن الألف.

أقسام الفم:

بعض المتقدمين رأى من الأسهل عليه - بدل أن يذكر عضوي النطق عند ذكر مخرج الحرف - أن يكتفي بذكر المخرج العام من الفم.

قسم بعض العلماء الفم إلى مناطق، نسبوا إليها بعض الأصوات اللغوية، وهذه المناطق هي:

- ١- الجزء الخلفي: أ- (أقصى الفم). ب- (أدنى إلى مقدّم الفم). ج- (أول الفم).
- ٢- الجزء الأوسط: أ- (وسط الفم).
- ٣- الجزء الأمامي: أ- (أدنى الفم). ب- (بين يدي الفم). ج- (مقدم الفم).
- ٤- الجزء المحصور بين عظمي الفك السفلي: أ- (شجر الفم).
- ٥- الجزء الأسفل: أ- (قاع الفم).
- ٦- الجزء الجانبي: أ- (الشّدق). ب- (الشّق).

القسم الأول: الألفاظ المستعملة للجزء الخلفي:

مصطلحاته: أ- (أقصى الفم). ب- (أدنى إلى مُقدّم الفم). ج- (أول الفم).

(١) المرجع السابق ص ١٢٧.

(٢) التحديد ص ١٠٢ و ١٢٠، والإدغام الكبير ص ٤٩، والموضح لمذاهب القراء في الإمالة ل ١/٣٩ و ب.

(٣) مرشد القارئ ٩/ب.

ذكر الخليل أن الجيم والقاف والكاف، تخرج من أقصى الفم.^(١)

وتابعه ابن دريد مضيفاً إليها الشين في مجموعة لقبها ب: (حروف أقصى الفم من أسفل اللسان).^(٢)

وذكر ابن جني أن الغين والخاء يخرجان مما فوق العين والحاء مع أول الفم.^(٣)

وذكر أن الكاف تخرج من أسفل القاف وأدنى إلى مقدم الفم^(٤)، يعني أدنى إلى الأمام.

وتابعه: القرطبي^(٥)، والخفاجي^(٦)، والهمذاني^(٧)، وأبو البركات ابن الأنباري لكن بلفظ: (وأقرب إلى مقدم الفم).^(٨)

القسم الثاني: الألفاظ المستعملة للجزء الأوسط:

مصطلحاته: (وسط الفم):

ذكر ابن دريد أن السين تخرج من وسط الفم مطمئنة على ظهر اللسان.^(٩)

ولعل هذه النسبة مستنتجة من بعض أقوال الخليل^(١)، أو لعله يقصد مسلك السين يضيق من وسط الفم، وهذا تظهره الرسومات الحنكية من وجود نقاط تلامس للسطح العلوي للسان على الحنك على، والله أعلم بمراده.

(١) العين ٥٢/١.

(٢) الجمهرة ٦/١.

(٣) سر صناعة الإعراب ٤٧/١.

(٤) المرجع السابق ٤٧/١.

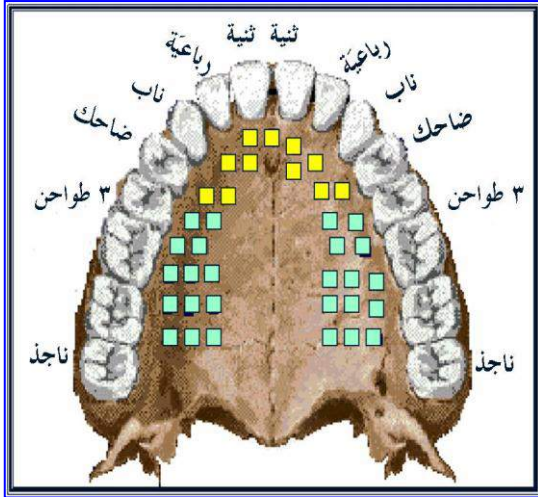
(٥) الموضح في التجويد ص ٧٨.

(٦) سر الفصاحة ص ١٩.

(٧) التمهيد ص ٢٧٧.

(٨) أسرار العربية ٢٠٨.

(٩) الجمهرة ١٢/١.



و يمثل الشكل المجاور نقاط تلامس سطح اللسان بالحنك.

وذكر ابن جني أن الياء تخرج من وسط الفم.^(٢)

ولقب الصاد والسين والزاي بـ: (حروف وسط الفم).^(٣)

وذكر أبو البركات الأنباري أن حركة (الجر) تخرج من وسط الفم.^(٤) لكونها جزءاً من الياء.

القسم الثالث: الألفاظ المستعملة للجزء الأمامي:

مصطلحاته: أ- (أدنى الفم). ب- (بين يدي الفم). ج- (مقدم الفم).

استعمل ابن دريد: (أدنى الفم)، في مجموعة لقبها: (جنس حروف أدنى الفم)، قال: "ومن جنس حروف أدنى الفم: التاء، والطاء، والذال. وأدنى منها أيضاً مما هو شاخص إلى الغار الأعلى: وهو الظاء، والتاء، والذال، والضاد".^(٥)

وقال السهيلي إن الميم يخرج صوتها من بين: (يدي الفم)، وهو يريد الشفتين.^(٦)

(١) قال الخليل في العين ٥٢/١: "وأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج السين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان، ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن".

(٢) المنصف ١٩٦/١.

(٣) سر صناعة الإعراب ٨١٦/٢. ولعله أخذه من تلقيب ابن دريد لهذه الحروف بـ: (حروف وسط اللسان مما هو منخفض) اهـ. الجمهرة ٧/١.

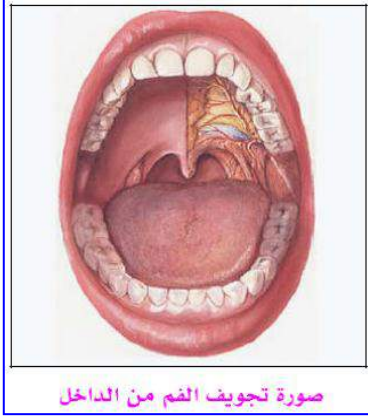
(٤) أسرار العربية ص ٤٨ و ٣٢.

(٥) الجمهرة ٧/١.

(٦) نتائج الفكر ص ١٤٢.

القسم الرابع: الألفاظ المستعملة للجزء المحصور بين عظمي الفك السفلي:

(شجر الفم).



صورة تجويف الفم من الداخل

مصطلح غامض الدلالة في الاستعمال الصوتي.

من أصل: (الشجر) اللغوي أن يدل على تداخل الشيء بعضه في بعض.

واختلف أصحاب المعاجم في تحديده، فقيل: الفم، وقيل: هو مفرج الفم، وقيل: ما انفتح من منطبق الفم، وقيل: هو ما بين

اللَّحْيَيْن [عظمي الحنك اللذين فيهما الأسنان]، وقيل: ما بين أعلى اللَّحْيَيْن إلى أسفلهما، وقيل: ما بين لحية من اللحم من ظاهر ومن باطن، وقيل: مؤخر الفم، وقيل: ملتقى اللهزمتين [أصل عظمي الحنك]، وقيل هو الذقن.^(١)

والجامع بين هذه المعاني أن أكثرها يتعلق بالمنطقة الواقعة بين عظمي الفك السفلي، المركب عليه الأسنان السفلية. والصورة المختارة هي صورة خلفية لتجويف الفم تظهر الفكين العلوي والسفلي بعد إزالة الحنك اللحمي، وفيها يظهر الحنك العظمي، ولعله من هذه الصورة يمكن تصور مفادهم بشجر الفم حسب الأوصاف اللغوية السابقة، لأن إطباق الأسنان على بعضها يوحي بالتداخل، وهو يرجح ما ذكرته آنفاً عن هذه المنطقة. والشكل أعلاه صورة لتجويف الفم.

وإليك استعماله الصوتي:

بعد أن ذكر الخليل الحيز اللهوي وما يضمه من مخرجي القاف والكاف، نسب مخرج الجيم والشين والضاد إلى: (شجر الفم)، في مجموعة لقبها بـ: (الشجرية)، قال: "والجيم والشين والضاد شجرية؛ لأن مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم".^(١)

(١) مقاييس اللغة ص ٥٢٧ - ٥٢٨، والصحاح ٢/ ٦٩٤، و البارع في اللغة، لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق هاشم الطغّان، مكتبة النهضة، بغداد، ودار الحضارة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م، ص ٦٠٦، والمحكم لابن سيده ٧/ ١٧٣، ولسان العرب ٤/ ٣٩٠.

ظاهر النص يُفهم أن الخليل يريد بـ: (شجر الفم): أول ما بين اللحين، لأنه مفرج الفم، ويقابله من فوق الحنك العظمي، أو منطقة وسط الفم التي تخرج منها هذه الثلاثة.

وهكذا فهم منه من جاء بعده، فتابعه: الرازي^(٢)، ومكي^(٣)، والزمخشري^(٤).

واستبدل القرطي مكان الضاد الياء.^(٥)

وتابع القرطي: الهمداني^(٦)؛ ليتفق ذلك مع كلام سيبويه في المخارج، ومعلوم أن سيبويه يجعل مخرج الجيم والشين والياء من وسط اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، وهي منطقة وسط الفم.

غير أن الخليل في موضع آخر نسب الظاء إلى شجر الفم، قال: "والظاء من فحام حروف الشجر".^(٧)

فأوقعنا في حيرة إذا حملناه على التفسير الأول - أعنى وسط الفم - لأن الظاء من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا.

وهنا يبرز السؤال التالي: هل مصطلح: (شجر الفم) عند الخليل مصطلح واسع يشمل جميع الحروف التي تكون ضمن جوف الفم بعد القاف والكاف، أم نسبة الظاء إلى شجر الفم بسبب تفخيمها الذي يستلزم تقعر وسط اللسان معه، وهذا التقعر يتم في وسط الفم؟ الله أعلم.

واستعمل ابن سينا: (الشجر) في أكثر من موضع استعمالاً لا يتصل بالحنك الأعلى،

(١) العين ٥٨/١.

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢هـ)، علّق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٧م، ص ٦٤.

(٣) الرعاية ص ١٣٩ - ١٤٠. وبين أن مفرج الفم في قول الخليل هو مفتاح الفم.

(٤) أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، ص ٣٢١.

(٥) الموضح ص ١٤٢، و ٢٠٨.

(٦) التمهيد ص ٢٧٨.

(٧) العين ١٦٧/٨.

فzادنا حيرة على حيرة.

استعمله مع الحنك في وصفه للصاد، والطاء، والزاي^(١)، وبدونه مع الشين الزائية^(٢).
قال في وصف الإطباق في الصاد: "حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثي
السطح المفروش تحت الحنك والشجر"^(٣).

وقال عن إطباق الطاء: "وإنما تحدث عن إنطباق سطح اللسان أكثره مع سطح الحنك
والشجر، وقد يبرأ شيء منهما عن صاحبه"^(٤).

كان يمكن أن يفهم: (الشجر) عند ابن سينا ب: أقصى الحنك لو أنه اكتفي بوصف
حروف الإطباق، لكن باستعماله له في الزاي، والشين الزائية قد ضيع فرصة الفهم لدي، ولأمر
ما استعمل ابن سينا هذا المصطلح مع الحنك جنباً إلى جنب، فهل هو من قبيل المترادف، أم
هو ذو دلالة محددة عنده؟ الله اعلم.

ولأجل هذا الغموض الدلالي جعلتُ منطقة شجر الفم منطقة واسعة محصورة بين
عظمي الفك السفلي، وهو ما يتفق مع التفسيرات اللغوية التي قدمها العلماء للشجر، ولا
يخالف الاستعمال الصوتي له مع غموضه.

القسم الخامس: الألفاظ المستعملة للجزء الأسفل:

استعمل له لفظ واحد هو (قاع الفم).

يدل أصل (القاع) اللغوي على تبسط في مكان. من ذلك القاع: الأرض الملساء.^(٥)

وهكذا استعمل للجزء المقابل للحنك الأعلى من الفم.

استعمل مكّي: (قاع الفم) في حديثه عن الحروف المستفلة، قال: "بل يستفل اللسان

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٩.

(٣) المرجع السابق ص ٧٧.

(٤) المرجع السابق ص ٧٩.

(٥) مقاييس اللغة ص ٨٣٨ (ق و ع).

بما إلى قاع الفم - عند النطق بها - على هيئة مخارجها"^(١). وتابعه: ابن الطحان الأندلسي^(٢).

القسم السادس: الألفاظ المستعملة للجزء الجانبي:

المصطلح الأول للجزء الجانبي من الفم: (الشّدق):

يدل أصله اللغوي على انفراج في شيء. من ذلك: الشدقان للإنسان، وهما جانباً الفم، أو هما لحم باطن الخدين من جانبي الفم، وقيل: هما ملتقى الشفتين؟ والشّدق: سعة الشدق، ورجل أشدق، وخطيب أشدق.^(٣)

استعمل هذا المصطلح في تبين مخارجي الكسرة والضاد.

ذكر الفراء أن ثقل الكسرة ناشيء من أن أحد الشدقين يمال إليها، قال عن ثقل الضمة والكسرة وخفة الفتحة: "فإنما يستثقل الضم والكسر؛ لأن لمخارجيهما مؤونة على اللسان والشفتين؛ تنضم الرفعة بهما فتثقل الضمة، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة، فتري ذلك ثقيلًا، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفه"^(٤)

هذا أحد النصوص النادرة عن الكوفيين الذي يبين مخارج الحركات، ومع قيمته العلمية إلا أن مخرج الكسرة فيه بعض الغموض؛ إذ كيف يمال أحد الشدقين إلى الكسرة؟ ولماذا خصص أحد الشدقين بالكسرة دون الآخر؟ وما مفهوم الشدق عنده؟

لعل الشدقين هنا بمعنى الشفتين؛ لأن الشفتين منهما، والشدقان - بمعنى جانبي الفم - إلى الشفتين ينتهيان، وعلى هذا الفهم يسهل تفسير إمالة أحد الشدقين إلى الكسرة؛ لأن الشفة السفلى - وهي أحد الشدقين - في الكسرة تخفض إلى تحت، وهو معنى قوله: إمالة إلى الكسرة.

يضاف إلى ذلك أن مقصود الفراء تبين ثقل الضمة والكسرة، ولا شك أن هذا يظهر

(١) الرعاية ص ١٢٤.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ١٣٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٣١ (ش د ق) ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان ص ١٦. والعين ٣٤/٥، والجمهرة ٢/٢٦٩، والصحاح ٤/١٥٠٠، والمحكم ٦/٩٥، ولسان العرب ١٠/١٧٢.

(٤) معاني القرآن ٢/١٣.

في عمل الشفتين، والله أعلم.

ونسب الجاحظ مخرج الضاد إلى الشدق الأيمن، قال: "فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن، إلا أن يكون المتكلم أعسرَ يسيراً، مثل عمر بن الخطاب - رحمه الله - فإنه كان يخرج الضاد من أي شذقيه شاء، فأما الأيمن والأعسر والأضبط فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد".^(١) يعنى: لا يمكن لهؤلاء الذين ذكروهم حرية إخراج الضاد من أحد جانبي الفم إلا بمشقة.

وتابعه المبرد، قال: "ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجرى له في الأيمن، وبعضهم تجرى له في الأيسر".^(٢)

ونقل الداني عبارة المبرد.^(٣)

وجمع الهمداني بين عبارتي الجاحظ والمبرد مبيناً أن "الضاد يتكلف إخراجها من أحد الشدقين، وهو عسرُ المخرج".^(٤)

واستعمل الكندي: (جانبي الشدق) كجزء مشارك مع الأضراس ووسط اللسان في كيفية خروج الضاد^(٥). وظاهر أن الشدق هنا بمعنى الفم.

المصطلح الثاني للجزء الجانبي من الفم: (الشَّق):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على انصداع في الشيء، ثم يُحمَل عليه ويشتق منه على سبيل الاستعارة. تقول: شققت الشيء أشقه شقاً. ويقال لنصف الشيء: الشق. والشق أيضاً: الناحية من الجبل. ويقال: اشتق في الكلام في الخصومات يميناً وشمالاً مع ترك القصد، كأنه يكون مرة في هذا الشق، ومرة في هذا.^(٦)

(١) البيان والتبيين ٤٧/١.

(٢) المقتضب ٣٢٨/١.

(٣) التحديد ص ١٠٣.

(٤) التمهيد ص ٢٧٧.

(٥) رسالة في اللثة ص ٥٢٨.

(٦) مقاييس اللغة ص ٤٩٨ (ش ق ق).

استعمل: (الشق) في أكثر من معنى، منها:

١- الجزء الجانبي من الفم. ٢- الفرجة بين الثنايا وطرف اللسان.

١- المعنى الأول ل: (الشق) = الجزء الجانبي من الفم:

استعمل الأخفش: (الشق) في مخرج اللام، قال: "إلا أن اللام بالشق الأيمن أدخل في الفم".^(١)

واستعمله ابن دريد في وصف النون، قال: "ثم النون تحت حافة اللسان من الشق الأيمن، واللام قريبة من ذلك".^(٢)

واستعمله أبو جعفر النحاس في وصف الضاد، ناسباً ذلك إلى الخليل وسيبويه، قال: "وزعم الخليل وسيبويه أن الضاد تخرج من الشق اليمين، ولبعض الناس من الشق الشمال".^(٣)

٢- المعنى الثاني ل: (الشق) = الفرجة بين الثنايا وطرف اللسان:

استعمله ابن الطحان الأندلسي في وصف مخرج الصاد والسين والزاي، قال: "ومن طرفه [طرف للسان]، وما يليه من الشق بين الثنيتين من العليين تخرج الصاد، والسين، والزاي".^(٤)

٣- الموطن الثالث من استعمال الفم: مكان لجريان صوت الحروف وانتشاره:

من أوضح الأمثلة على هذا استعمالهم لمصطلح: (الهوي) بمعنى انتشار الصوت وجريانه لحروف المد واللين، وللميم والنون، وجعلوا الفم أحد أماكن هذا الانتشار، وسيأتي الحديث عن ذلك.

(١) معاني القرآن ٧٣٥/٢.

(٢) الجمهرة ٨/١.

(٣) إعراب القرآن ١٧١/٤. وهذا القول أصله لا ألفاظه في كتاب سيبويه ٤٣٢/٤، ومن عادة أبي جعفر النحاس أن يجمع أسم الخليل مع سيبويه إذا كان القول لسيبويه على اعتبار أن الكتاب من علم الخليل.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٨.

واستعمل الخليل: (الفم) في تعريفه الدقيق الخطير للصوت المهموس، حيث نبه على خلو الصوت من أي أثر لاهتزاز الأوتار الصوتية المسببة للجهر، وأنه لأجل ذلك يحس به في الفم، أي: في مخرج الحرف، قال: "الهمس: حس الصوت في الفم، مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهارة في المنطق، ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر".^(١) ومن إحساس الصوت في الفم استعمل سيبويه: (صوت الفم) في موضعين:

موضع تابع فيه مفهوم الخليل للهمس، وذلك في حديثه عن الحرف المهموس الساكن، حيث نبه إلى أن حالة في الوقف - من توفر الصوت عليه - ليس كحاله في الوصل، للتأهب في نطق الحرف الذي يليه، وسمي صوت الحرف المهموس بـ: (صوت الفم)، قال: "وكذلك المهموس؛ لأنك لا تدع صوت الفم يطول حتى تبتدئ صوتاً".^(٢)

وهذا أحد الأمثلة التي تبين العلاقة الوثيقة بين كلام الخليل في العين وكلام تلميذه سيبويه في الكتاب.

والثاني في الإدغام بغنة، حيث نبه إلى أن الصوت الممتد الناشئ عن الإدغام بغنة ليس خالصاً من الأنف، إنما هو صوت المدغم فيه خالطته غنة من الأنف، قال عن النون: "وهي مع الراء واللام والياء والواو إذا دغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أشرب غنة".^(٣)

ومن ذلك الانتشار في الفم: ما ذكره سيبويه من أن الظاء أفشى في الفم من الثاء، قال عن الثاء: "لأنها ليست كالظاء في الجهر والفُشُوُّ في الفم".^(٤)

(١) العين ١٠/٤.

(٢) الكتاب ١٧٥/٤.

(٣) المرجع السابق ٤٥٤/٤. والإدغام بغنة في اللام والراء مقروء به في رواية حفص عن عاصم وغيرها من طريق طيبة النشر، وأنت ترى في نص سيبويه أنه مذهب معروف عند العرب. (إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م، ١/١٤٤ - ١٤٥).

(٤) الكتاب ٤٨٠/٤.

ويبدو لي أنه يريد ب: الفشو في الفم: الإطباق في الظاء؛ فهو الذي يزيد -بعد الجهر- على الثاء، لأن حصر الصوت في الحرف المطبق يكون على طول اللسان، ولأنه قال في موضع آخر أن المطبق أفشي في السمع من غير المطبق.^(١)

وعلل ابن جني لإدغام اللام في الصاد والسين في نحو: (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ)، و(قُلْ سِيرُوا) إلى فشوهما في الفم، قال: "علة جواز ذلك فشو هذين الحرفين، أعنى الصاد والسين، في الفم، وانتشار الصدى المنبث عنهما، فقاربتا بذلك مخرج اللام، فجاز إدغامها فيهما".^(٢)

٤- الموطن الرابع من استعمالات الفم: فراغ رنيني للصوت:

تقدم حديث الفارابي عنه عند الحديث عن تجويفات أعضاء النطق.

وذكر ابن جني أن اختلاف شكل الحلق والفم في حروف المد غيّر من أصداؤها.^(٣)

٥- الموطن الخامس من استعمالات الفم: جزء مشارك في رسم حدود المخارج:

تقدمت أمثلة منه في تعيين مخرج: (أدنى الحلق).

ومن أمثله -أيضاً- تعيين المبرّد لمخرج القاف بقوله: "ثم أول مخارج الفم مما يلي الحلق مخرج القاف".^(٤)

وقال الفارسي عن الظاء والذال والطاء: إنها (أخرج من الفم)، أي: إلى خارج الفم؛ لأن جزءاً من طرف اللسان يكون إلى الخارج.

وعن الطاء والذال والطاء والصاد والسين والزاي: (إنها أدخل في الفم).^(٥) فرسم حدود هذه المخارج.

واستعمل مكّي الفم في رسم حدود العين والحاء، والغين والخاء، قال عن العين مثلاً:

(١) الكتاب ٤/٤٦٠. و ٤/٤٧٨.

(٢) المحتسب ١/١٦٥. وهما قراءتان شاذتان لا يقرأ بهما اليوم.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٨.

(٤) المقتضب ١/٣٢٨.

(٥) الحجة ٥/٢٠٣.

"العين تخرج من أول المخرج الثاني من مخارج الحلق الثلاثة مما يلي الفم".^(١)

أعضاء الفم:

يضم تجويف الفم أجزاء متعددة أستعملها العلماء صوتياً، هي: الحنك، واللسان، والأسنان.

العضو الأول من أعضاء الفم: الحنك:

والمقصود به إذا أطلق: الحنك الأعلى، وهو سقف الفم.

استعمل الحنك في موطنين:

١- مع الصوت: بتصعده إلى الحنك، أو التسفل عنه، أو الانحصار به.

٢- جزء مشارك مع اللسان في مخارج أكثر الحروف.

١- الموطن الأول من استعمالات الحنك الأعلى = مشاركته في الصفات:

استعمله كثير من العلماء في الاستعلاء والاستفال، والإطباق والانفتاح. وسيأتي الحديث عن ذلك في مظانه.

٢- الموطن الثاني من استعمالات الحنك الأعلى = جزء مشارك مع اللسان في مخارج أكثر الحروف:

استعمله كثير من العلماء كجزء مشارك مع اللسان في مخارج الحروف، فيما سيأتي ذكره.

الألفاظ المستعملة للحنك الأعلى:

استعمل للحنك الأعلى عدة ألفاظ، منها:

١- (الغار الأعلي). ٢- (غار الحلق الأعلى).

٣- (الحنك). ٤- (الحنك الأعلى).

(١) الرعاية ص ١٦٢. وص ١٦٤ و ١٦٨-١٦٩.

١-٢- المصطلح الأول والثاني للحنك الأعلى: (الغار الأعلى، غار الحلق الأعلى).

من أصله اللغوي أن يدل على خفوض في الشيء وانحطاط وتطامن، يقال لقعر الشيء: عَوَّزُهُ. ^(١) ومنه غار الفم، لأنه لما كان غائراً إلى فوق سمي كذلك، ومثله الغار بمعنى الكهف.

استعمل الخليل: (الغار الأعلى) في حديثه عن الفرق بين اللام والنون والراء، وبين باقي الحروف (من الشين إلى التاء). ^(٢)

واستعمل ابن دريد لفظ: (الغار الأعلى) في تعيين مخرج الظاء، والثاء، والذال، والضاد. ^(٣)

واستعمله أيضاً في تعريف الخيشوم. ^(٤)

وتابعه: الهمذاني. ^(٥)

ونقل مكّي تعريف ابن دريد للخيشوم مستبدلاً بـ: (الغار الأعلى) لفظ: (غار الحلق الأعلى). ^(٦)

وتابعه: ابن الطحان الأندلسي. ^(٧)

٣-٤- المصطلح الثالث والرابع للحنك الأعلى: (الحنك، الحنك الأعلى):

يدل أصله اللغوي على عضو من الأعضاء، ثم يحمل عليه ما يقاربه من طريقة الاشتقاق. فأصل الحنك حنك الإنسان، أي: أقصى فمه، ويطلق على سقف الفم. ^(٨)

استعمل سيبويه: (ما فوق أقصى اللسان من الحنك الأعلى) كجزء مشارك في مخرجي القاف،

(١) مقاييس اللغة ص ٧٧٨ (غ و ر).

(٢) العين ٥٢/١.

(٣) الجمهرة ٧/١.

(٤) المرجع السابق ٧/١.

(٥) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٨٢.

(٦) الرعاية ص ٢٤٠.

(٧) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٤.

(٨) مقاييس اللغة ص ٢٦٧ (ح ن ك)، والمحكم لابن سيده ٣١/٣.

الكاف. (١)

وتابعه: الداني (٢) وابن الطحان كلاهما في القاف (٣)، والقرطبي في الكاف. (٤)

وتابع سيبويه بلفظ: (الحنك) في القاف والكاف: ابن السراج (٥)، والسعيدى (٦)، ومكي (٧)،
والداني.

وتابعه في الكاف: القرطبي (٨)، والهمداني (٩)، وأبو البركات ابن الأنباري (١٠) في القاف فقط.

وذكر الكندي أن اللسان يُسَطَّ على: (الحنك) كله عند خروج التاء. (١١)

وذكر الرازي أن: (الحنك) حيز للطاء والداد والتاء.

وقد تقدم استعماله ل: (جوف الحنك) كمخرج لحروف المد.

وذكر ابن سينا أن الضاد تقع في: (الجزء الأملس من الحنك). (١٢) ولا أدري هل يقصد به
جانبي الحنك أم جزءاً آخر منه؟

ونسب إلى الحنك مقاومة الهواء التي تُحدث صوت الغين فيما سماه ب: (الرطوبة الحنكية)، قال
عن الغين: "وليس تجد من الرطوبة، ولا من قوة انخفاض الهواء ما تجده الخاء. والحركة فيه إلى
قرار الرطوبة أميل منها إلى دفعها إلى خارج؛ لأن الحركة فيها أضعف، وهواؤها يُحدث في

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) الإدغام الكبير ص ٥٤. وفي موضع آخر استعمل: (الحنك) كما سيأتي.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٦.

(٤) الموضح ص ٧٨.

(٥) الأصول ٣/٤٠٠.

(٦) التنبيه على اللحن والخفي ص ٥١.

(٧) الرعاية ص ١٧١.

(٨) الموضح ص ٧٨.

(٩) التمهيد ص ٢٧٧.

(١٠) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(١١) رسالة في اللثغة ص ٥٢٧.

(١٢) أسباب حدوث الحروف ص ٧٦.

الرتوبة الحنكية كالغليان والاهتزاز".^(١)

الألفاظ المستعملة للحنك الأسفل:

استعمل للحنك الأسفل لفظ واحد: (الحنك الأسفل).

الحنك الأسفل:

استعمل ابن البناء البغدادي: (الحنك الأسفل) في تنبيه قارئ القرآن على بعض الاحترازات.^(٢)

استعمل ابن الطحان الأندلسي: (الحنك الأعلى) و (الحنك الأسفل) في وصف مخرج الكاف، قال: "ومن ذلك الأقصى [أقصى اللسان]، منفرجاً عن الحنك الأعلى، مسفلاً إلى الحنك الأسفل تخرج الكاف".^(٣)

واستعمل ابن الطحان الأندلسي: (الحنك الأعلى) كجزء مشارك مع طرف اللسان في النون.^(٤)

الألفاظ المستعملة لسطح الحنك الأعلى:

واستعمل لسطح الحنك الأعلى لفظان: ١- (النَّطْع). ٢- (سطح الحنك).

١- المصطلح الأول لسطح الحنك الأعلى: (النَّطْعُ النَّطْعُ):

يدل أصله اللغوي على بسط في شيء وملاسة^(٥). واتفق أصحاب المعاجم على أنه سقف الحنك الأعلى^(٦)، وحدده الخليل بسطح الحنك الصلب، قال: "والنطع مثل فنخذ

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٧٤.

(٢) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، لأبي علي الحسن بن أحمد بن البناء، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م، ص ٤١.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٧.

(٤) المرجع السابق ص ١١٩.

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٩٥ (ن ط ع).

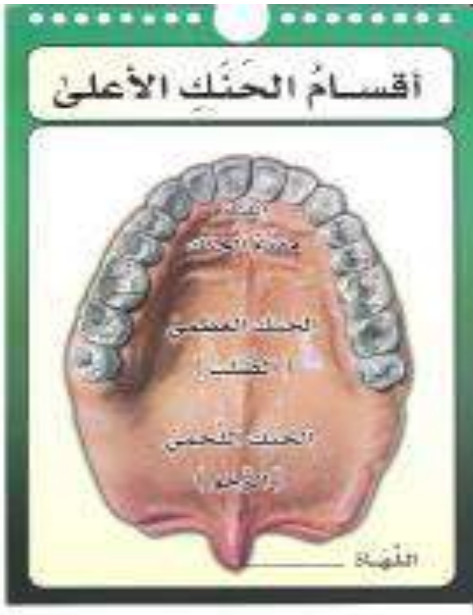
(٦) الصحاح ١٢٩١/٣، والمحكم ٣٤٥/١، وأساس البلاغة ص ٦٣٩.

وَفَخذ: ظهر من الغار الأعلى، وهي الجلدة الملتصقة بعظم الخليقاء، وفيها آثار كالتحزير. وَيُجمَع على نُطوع^(١)، عظم الخليقاء: باطن الغار الأعلى.^(٢)

لَقَب الخليل الطاء والذال والتاء ب: (النَّطْعِيَّة)، قال: "الطاء والتاء والذال نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى"^(٣)

ونقل ذلك: مكي^(٤)، والزحشري^(٥)، والهمذاني.^(٦)

٢- المصطلح الثاني لسطح الحنك الأعلى: (سطح الحنك):



ذكر ابن سينا أن الهواء في الخاء يتدحرج على: (سطح الحنك) كله عند خروجها^(٧). والتدحرج للهواء: وصف لاحتكاك هواء الخاء بسطح الحنك محدثاً صوتاً.

واستعمله أيضاً في تكوين صوت الزاي.^(٨)

ويمثل الشكل بجانبه سطح الحنك الأعلى كما هو مفهوم المتقدمين.

(١) العين ١٦/٢.

(٢) المرجع السابق ١٥٢/٤.

(٣) المرجع السابق ٥٨/١.

(٤) الرعاية ص ١٤٠.

(٥) أساس البلاغة ص ٦٣٩.

(٦) التمهيد ص ٢٧٩.

(٧) أسباب حدوث الحروف ص ١١٦.

(٨) المرجع السابق ص ١٢٠.

أقسام الحنك الأعلى:

قسّم العلماء الحنك الأعلى إلى مناطق نسبوا إليها بعض الأصوات، وهي:

- ١- الجزء الخلفي:
 - أ- (اللّهارة، اللّهوات).
 - ب- (ما فوق أقصى اللسان من الحنك الأعلى)
 - ج- (الحد المشترك بين اللّهارة والحنك).
 - د- (صفاق المنخر الداخل).
 - ٢- الجزء الأوسط:
 - أ- (وسط الحنك الأعلى).
 - ب- (وسط الحنك).
 - ج- (سطح الحنك لمختلف الأجزاء في التثؤ والانخفاض).
 - ٣- الجزء الجانبي:
 - أ- (جانبا الحنك).
 - ٤- الجزء الأمامي:
 - أ- (طرف غار الفم).
 - ب- (مقاديم الحنك).
 - ج- (طرف الحنك).
 - د- (صدر الحنك).
 - هـ- (رأس الحنك).
 - و- (مقدم الغار الأعلى).
 - ي- (مقدم السطح الممتد على الحنك).
- ويمثل الشكل السابق أقسام الحنك الأعلى.
ملاحظة: استعمل للحم المركب فيه الأسنان مصطلح واحد هو (اللثة).

القسم الأول: الألفاظ المستعملة للجزء الخلفي:

١- المصطلح الأول للجزء الخلفي من الحنك: (اللّهارة واللّهوات):

اشتقاقه اللغوي من: اللّهوة، وهو ما يطرّحهُ الطاحن في ثقبه الرّحى بيده. كأنها شُبّهت بثُقبة الرّحى، وسميت لهاة لما يُلقى فيها من الطعام^(١). وفي حديث الشاة المسمومة قول أنس: "فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ".

قال ابن الأثير شارحاً: اللّهوات جمع لهاة، وهي اللحمتان في سقف أقصى الفم.^(٢)

(١) مقاييس اللغة ص ٩٠٥ (ل ه و).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق د. محمود الطناحي وزميله، دار الفكر، بيروت، ٢٨٤/٤.

وهو ما يشير إلى أنه لا يقصد باللهة-فقط- تلك اللحمة المتدلّية المشرفة على الحلق، وإن ذكرت بعض المعاجم ذلك^(١)، بل تمتد لتشمل جزءاً لا بأس به من الحنك اللحمي.

عرفها الخليل بأنه أقصى الفم^(٢)، وجعلها مشاركة لُعكدة اللسان في إنتاج: القاف والكاف والجيم، لكنه نسب إليها القاف والكاف فقط دون الجيم في مجموعة لقبها بـ: (اللهوية)؛ مما يدل على حيزها الواسع.

ومما يدل على ذلك أيضاً أن الخليل جعل اللهة إحدى المخارج الرئيسة، قال عن حروف المد: "فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهة"^(٣).

ومما يدل على مخرجها الواسع قول مكّي بن أبي طالب بعد أن ذكر تلقيب الخليل للقاف والكاف باللهوية: "واللهة: ما بين الفم والحلق"^(٤).

تابع الخليل على نسبة القاف والكاف إلى اللهة: الرازي^(٥).

وعلى التلقيب بـ: (اللهوية): مكّي^(٦)، والهمذاني^(٧).

واستعمل الكندي: (اللهة، واللهوات، والنغانغ) في وصفه للحاء والعين، والغين والحاء، وأوصافه في الغالب تنطبق على اللهة وما يحيط بها من الحنك اللحمي:

قال عن الحاء: إنها "تحتاج إلى نفس يخرج مع الحنك بتنحنح مسرع مضغوط بأصل اللسان واللهوات مع رأس المريء"^(٨).

(١) البارغ ص ١١٣، والصحاح ٦/٢٤٨٧.

(٢) العين ٤/٨٨.

(٣) المرجع السابق ١/٥٧.

(٤) الرعاية ص ١٣٩.

(٥) الزينة ص ٦٤.

(٦) الرعاية ص ١٣٩.

(٧) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٨.

(٨) رسالة في اللثغة ص ٥٢٥.

وقال عن العين: إنها "تحتاج إلى نعمة مع نفس يمتد إلى اللهاة ويقف معها، فهمزة اللسان إلى اللهوات وفتحة بالغلصمة".^(١)

وذكر أن الخاء نفس يخرج مع إلزام وسط اللسان تفريج الحنك واللهوات".^(٢)

وقال عن الغين أنها "تحتاج إلى إخراج نفس مع النغانغ ووسط اللسان".^(٣) والنغانغ: لحمات تكون عند اللهوات.^(٤)

وذكر بعض الأطباء أن للهاة ثلاث منافع: تضخيم الصوت، وتسخين الهواء، ومنع الغبار.^(٥)

قال ابن سينا عن هذه المنافع الثلاثة: "وأما اللهاة، فهي جوهر لحمي معلق على أعلى الحنجرة كالحجاب".

ومنفعته: تدرج الهواء؛ لئلا يقرع ببرده الرئة فحأة، وليمنع الدخان والغبار، وليكون مقرعة للصوت يقوى بها.

ويعظم كأنه باب موصل على مخرج الصوت بقدره".^(٦)

كلام ابن سينا هذا أحد الأمثلة التي تبين إدراك المتقدمين لدور الفراغات الرينية في تقوية الصوت وتضخيمه، وإلى وظيفة اللهاة (الحنك اللحمي) التي تؤدي دور البوابة للصوت الخارج من الحنجرة. وهو بعينه ما تذكره كتب علم الأصوات المعاصر.

ومن هذه المعرفة للدور الخطير التي تؤديه اللهاة- بالمفهوم الواسع- ذكر الرازي الطبيب

(١) رسالة في اللثة ص ٥٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٥٢٧.

(٣) رسالة في اللثة ص ٥٢٨.

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ٢٩/١.

(٥) كامل الصناعة الطبية ١/١١٨. وقد تقدم أنه جعلها من آلات النفس.

(٦) القانون في الطب ٢/١١٠٣.

أن قطع اللهاة ربما أضر بمخارج الحروف^(١). وذكر ابن زهر وابن سينا أن قطعها ربما أضر بالصوت^(٢).

وحدا ذلك بالعالمين في صناعة النغم والألحان أن يجعلوا لها منزلة خاصة، فجعلها الخليل إحدى المدرج الرئيسة للنطق كما تقدم، وجعلها الفارابي من أعضاء الصوت الرئيسة حيث قال: الآلة الطبيعية: الحنجرة، واللهة وما فيها، ثم الأنف^(٣).

وعلل مكي لتسمية حروف اللين، فقال: "لأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات"^(٤).

٢- المصطلح الثاني للجزء الخلفي من الحنك: (ما فوق أقصى اللسان من الحنك الأعلى):

تقدم استعمال سيويه ل: (ما فوق أقصى اللسان من الحنك الأعلى) كجزء مشارك في مخرجي القاف، والكاف^(٥).
وتقدم من تابعه في ذلك.

٣- المصطلح الثالث للجزء الخلفي من الحنك: (الحد المشترك بين اللهة والحنك):

ذكر ابن سينا أن الخاء والقاف تحدّثان في: (الحد المشترك بين اللهة والحنك)^(٦).
لعله يقصد ب: (الحد المشترك): الحنك اللحمي.

٤- المصطلح الرابع للجزء الخلفي من الحنك: (صفاق المنخر الداخل):

قال ابن منظور: "الصفاق: جلدة رقيقة تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم"^(١).

(١) الحاوي في الطب ٢١٨/٣.

(٢) التصريف لمن عجز عن التأليف ٢٥/١، والقانون في الطب ١١٠٣/٢.

(٣) إحصاء العلوم ص ١٠٥.

(٤) الرعاية ص ١٢٦.

(٥) الكتاب ٤٣٣/٤.

(٦) أسباب حدوث الحروف ص ٧٣.

استعمل ابن سينا أيضاً: (صفاق المنخر الداخِل) في وصف الرء الغينية، ولعله يقصد به الحنك اللحمي، لأن له قابلية الاهتزاز، قال عنها: "وتحدُّث بأن يتغرغر بالهواء التغرغر الفاعل للغين، ثم يُرَعَّد طرف اللسان، أو يحدث في صفاق المنخر الداخِل ذلك الارتعاد، فتحدث راء غينية"^(٢).

القسم الثاني: الألفاظ المستعملة للجزء الأوسط:

١- المصطلح الأول للجزء الأوسط من الحنك: (وسط الحنك الأعلى أو وسط الحنك):

استعمل سيويه: (وسط الحنك الأعلى) كجزء مشارك مع وسط اللسان في مخرج الجيم، والشين، والياء.^(٣)

وتابعه: ابن جني^(٤)، والقرطبي^(٥)، والخفاجي^(٦)، والهمداني.^(٧)

وتابعه لكن بلفظ: (وسط الحنك) لهذه المخارج: ابن السراج^(٨)، وابن خالويه^(٩)، والسعيد^(١٠)، ومكي^(١١)، والدايني^(١٢)، وابن الطحان.^(١٣)

وتابعه بلفظ: (وسط الحنك) في الياء فقط: ابن دريد.^(١)

(١) لسان العرب ٢٠٣/١٠.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) الكتاب ٤٣٣/٤.

(٤) سر صناعة الإعراب ٤٧/١.

(٥) الموضح ص ٧٨.

(٦) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٧) التمهيد ص ٢٧٧.

(٨) الأصول ٤٠٠/٣.

(٩) الحجة ص ٧٣.

(١٠) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٥١.

(١١) رسالة في اللثة ص ٥٢٧.

(١٢) التحديد ص ١٠٣.

(١٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٧.

وذكر الرماني أن الكسرة من الياء، وأن مخرجها: (وسط الحنك).^(٢)

٢- المصطلح الثاني للجزء الأوسط من الحنك: (سطح الحنك المختلف الأجزاء في التثؤ والانهفاض):

استعمل ابن سينا: (سطح الحنك المختلف الأجزاء في التثؤ والانهفاض) في مخرج الجيم.^(٣)

ولا أتبين المقصود بذلك، هل هو لمقدم الحنك أو وسطه؟

القسم الثالث: الألفاظ المستعملة للجزء الجانبي:

١- المصطلح الأول للجزء الجانبي من الحنك: (ما يلي حافة اللسان من الحنك الأعلى):

استعمل سيبويه: (ما يلي حافة اللسان من الحنك الأعلى) كجزء مشارك في مخرج اللام.^(٤)

وتابعه: ابن السراج^(٥)، والداني^(٦)، والقرطبي^(٧)، والخفاجي^(٨)، والهمداني^(٩).

وتابع سيبويه بزيادة لفظ: (الحنك): مكّي.^(١٠)

٢- المصطلح الثاني للجزء الجانبي من الحنك: (جانبا الحنك):

(١) الجمهرة ١/٨.

(٢) معاني الحروف ص ٤١.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ٧٥.

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٥) الأصول ٣/٤٠٠.

(٦) التحديد ص ١٠٤.

(٧) الموضح ص ٧٨-٧٩.

(٨) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٩) التمهيد ص ٢٧٧.

(١٠) الرعاية ص ١٧١.

استعمل الكندي: (جانبي الحنك) كجزء مشارك في كيفية خروج الجيم والشين.^(١)

القسم الرابع: الألفاظ المستعملة للجزء الأمامي:

١- المصطلح الأول للجزء الأمامي من الحنك: (طرف غار الفم):

استعمل الخليل: (طرف غار الفم) في حديثه عن اللام والنون والراء، قال: "منها ثلاثة

ذليقة: (ر ل ن)، تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم".^(٢)

٢- ٥- المصطلحات للجزء الأمامي من الحنك: (مقاديم الحنك، طرف الحنك، رأس الحنك، صدر الحنك):

استعمل الكندي: (مقاديم الحنك^(٣)، وطرفه^(٤)، ورأسه^(٥)، وصدره^(٦))، يعني:

الجزء المتقدم منه، كعضو مشارك مع طرف اللسان والأسنان في خروج التاء، والبدال واللام، والنون.

٦- المصطلح السادس للجزء الأمامي من الحنك: (مقدم الغار الأعلى):

استعمل ابن دريد: (مقدم الغار الأعلى) كجزء مشارك مع أسلة اللسان في إنتاج الراء

والنون واللام.^(٧)

وتابعه: مكّي^(٨)، والهمذاني.^(٩)

٧- المصطلح السابع للجزء الأمامي من الحنك: (مقدم السطح الممتد على الحنك):

(١) رسالة في اللتعة ص ٥٢٤ - ٥٢٥.

(٢) العين ٥١/١.

(٣) رسالة في اللتعة ص ٥٢٧.

(٤) المرجع السابق ص ٥٢٤. للبدال واللام.

(٥) المرجع السابق ص ٥٢٦. واستعمله للنون.

(٦) المرجع السابق ص ٥٢٦ للنون، واستعمله في ص ٥٢٧ للام.

(٧) الجمهرة ٧/١.

(٨) الرعاية ص ١٣٦.

(٩) التمهيد ص ٢٧٩.

ذكر ابن سينا أن: (مقدم السطح الممتد على الحنك) مخرج للطاء والذال والتاء. ^(١)

الجزء الملحق بأقسام الحنك: اللحم المركب فيه الأسنان:

استعمل للحم المركب فيه الأسنان لفظ واحد هو: (اللثة).

اللثة:

اللحم الذي فيه منابت الأسنان ^(٢)، أو المركب فيه الأسنان. ^(٣)

نسب الخليل إليها الظاء والذال والطاء في مجموعة لقبها ب: (اللثوية)، قال: "الطاء والذال والطاء لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة". ^(٤)

تابع الخليل على نسبة الظاء والذال والطاء إلى اللثة: الرازي. ^(٥)

وعلى التلقيب ب: (اللثوية): مكّي ^(٦)، والهمذاني. ^(٧)

وقد ظن بعض الناس أن الخليل يقصد وضع طرف اللسان على اللثة لإخراج هذه الأصوات، فصاروا يتكلفون وضع ألسنتهم عليها معتمدين على ظاهر كلام الخليل.

والخليل لا يقصد هذا بل يرمى إلى أن هواء هذه الثلاثة يصدم اللثة، أما المخرج فيكون بطرف اللسان مع الأسنان، وقد بين ابن سينا ذلك بوضوح حين قال عن الطاء: "وأما الطاء فتخرج باعتماد الهواء عند موضع التاء بلا حبس، وبحس عند طرف الأسنان، ليصير الخلل أضيّق" ^(٨).

وسيويوه كان واضحاً حين ذكر طرف اللسان وأطراف الثنايا في إخراج هذه الثلاثة، فما بالهم تابعوا سيويوه في كل المخارج، وخالفوه في هذا المخرج!؟

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٢١.

(٢) الجمهرة ٥١/٢.

(٣) الرعاية ص ١٤٠.

(٤) العين ٥٨/١.

(٥) الزينة ص ٦٤.

(٦) الرعاية ص ١٤٠.

(٧) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٩.

(٨) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٢.

وذكر الجاحظ أن ارتخاء اللثة من عيوب النطق.^(١)

العضو الثاني من أعضاء الفم: اللسان:

أعظم أعضاء النطق مرونة، وأكثرها مخارجاً وحروفاً، ولأهميته وعظم شأنه سميت اللغة باسمه، قال تعالى: (بلسان عربي مبين).

وقد اهتم به علماء العلوم؛ النقلية منها والعقلية على تنوع أغراضهم في ذلك.

ذكر أبوبكر الرازي الطبيب أن "أجود الألسن المعتدل في طوله، والعريض الدقيق الطرف، الشبيه بلسان الطير في دقة طرفه"^(٢).

وبين ابن سينا وظيفة اللسان الأساسية في الطعام، ثم وظيفته الثانوية في الكلام، مبيناً أنواع الألسنة القادرة على الكلام، قال: "هو من آلات تقليب الممضوغ، وتقطيع الصوت وإخراج الحروف، وإليه تمييز الذوق... وأفضل الألسنة في الاقتدار على جودة الكلام: المعتدل في طوله وعرضه، المستدق عند أسلته. وإذا كان اللسان عظيماً عريضاً جداً، أو صغيراً كالمتشنج لم يكن صاحبه قديراً على الكلام"^(٣).

تشرح عضلات اللسان:

أشار الكندي إلى دور عضلات اللسان في التسبب في اللكنة في الكلام، قال: "وذلك أن العضل المحركة للعضو لا تطيق حمله، وتحركه وتنقله عن الأماكن الواجبة للنطق، فيعرض من ذلك اللكنة في الكلام"^(٤).

وأشار الأطباء كالمجوسي^(١)، والزهرابي^(٢)، وابن سينا^(٣) إلى عضلات اللسان، إلا أن ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف فصل فيها، وفي تميز واضح جعل بعض عضلات اللسان مسؤولاً عن خروج بعض هفوات الحروف، وهذا شيء لا أعلم إلى اليوم من تناوله.

(١) البيان والتبيين ١/٥٢.

(٢) الحاوي في الطب ٣/٢٠٨.

(٣) القانون في الطب ص ١٠٦١.

(٤) رسالة في اللثة ص ٥٣٠.

وقد استعنت بطبيين مختصين استشاريين في شرح حديث ابن سينا عن عضلات اللسان، وبالرسومات التي مثَّلتُ عليها مصطلحات ابن سينا، وما يقابلها حديثاً من ألفاظ عربية وأجنبية؛ ليكون ذلك أقرب إلى فهم كلامه، ولتعطي القيمة العلمية لهذه النصوص.

ذكر ابن سينا أن الذي يحرك اللسان على التحقيق ثماني عضلات، اتفق الطبيبان الاستشاريان معه في تحديد ست عضلات (ثلاثة أزواج) منها، وهي: المعرَّضتان، والمورَّبتان، والباطحتان، واختلفا في المطوَّلتين للسان، فالتى اتفقا عليها هي:

١-٢ - العضلة المعرَّضة للسان التي تأتي من الزوائد السهمية، وتسمى حديثاً: العضلة الإبرية اللسانية (Styloglossus muscle).

٣-٤ - العضلة المورَّبة للسان التي تأتي من الضلع السافل من أضلاع العظم اللامي، وتسمى حديثاً: العضلة اللامية اللسانية (Hyoglossus muscle).

وهذه الأربعة السابقة جعلها ابن سينا مسؤولة - أيضاً - عن تميل اللسان إلى فوق وداخل.

٥-٦ - العضلة الباطحة للسان، تحت العضلتين الموربتين، وتسمى حديثاً: العضلة الضرسية اللامية (Mylohyoid muscle).

وهذه جعلها ابن سينا مشاركة في الزاي^(٤)، والسين الزائفة، في لغة أهل خوارزم^(٥)، ويكون ذلك بارتعادهما.

٧-٨ - العضلتان المطولتان للسان اللتان قال عنهما: "ومنها عضلتان تأتيان من أعالي العظم الشبيه باللام، وتنفذان في وسط اللسان، فإذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان إلى قدام، فتبعهما جرم اللسان وامتد وطال"^(١)، اختلف في تحديدهما الطبيبان على ما يلي:

(١) كامل الصناعة الطبية ١/١٠٠.

(٢) التصريف لمن عجز عن التأليف ١/١٢.

(٣) رسالة أسباب حدوث الحروف ٧٠-٧١ و ١١٢-١١٣.

(٤) المرجع السابق ص ١٢٩.

(٥) المرجع السابق ص ٨٩.

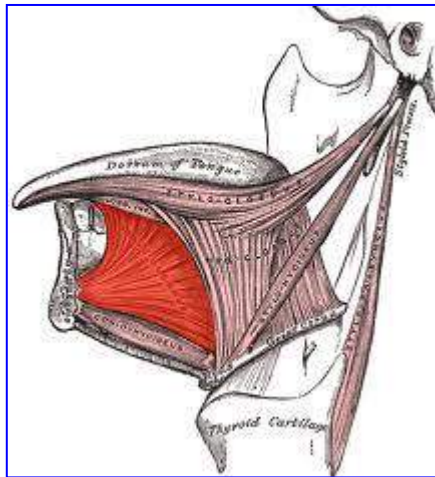
يرى الدكتور محمد عبد الرازق أن ابن سينا عدَّ العضلتين: العضلة الذقنية اللسانية (Genioglossus muscle)، والعضلة الذقنية اللامية (Geniohyoid muscle) عضلة واحدة، جعلهما مسؤولتين عن تطويل اللسان على اعتبار أن العضلة الذقنية اللسانية هي المسؤولة فعلاً عن تطويل اللسان، وهي من الوضوح بحيث استبعد أن تغيب عن ابن سينا، وإن كانت غير مرتبطة بالعظم اللامي.

ويرى الدكتور محمد أمين الكسم أن العضلة المطولة للسان، والعضلة الموربة له هما عضلة واحدة، هي العضلة اللامية اللسانية (Hyoglossus muscle) - التي ذُكرت من قبل - وترتبط بين العظم اللامي واللسان، لكن ابن سينا اعتبرها هنا عدَّة عضلات؛ لوجود عدة أقسام لها حسب مرتكزها على العظم اللامي.

وقد رجحت في الرسم التوضيحي رأي الدكتور محمد عبد الرازق؛ لأنه يستوعب العضلات المحركة للسان.

وقد جعل ابن سينا هاتين العضلتين المطولتين جزءاً مشاركاً في إنتاج الرء، وذلك بتعريضهما لحافتي طرف اللسان.^(٢)

وكذلك جعل لهما دوراً في إنتاج الرء اللامية، بإرخاء العضلات المتوسطة للسان وتشنج



الطرفية^(٣) وعند سؤال الطبيب المختص عن المقصود من العضلات المتوسطة والطفية في كلام ابن سينا، رجح أن يكون مراده هاتين العضلتين المطولتين، والله أعلم.

ويمثل الشكل المجاور العضلات التي ترتبط باللسان في مفهوم ابن سينا.

(١) رسالة أسباب حدوث الحروف ٧٠-٧١ و ١١٢-١١٣

(٢) المرجع السابق ص ١٢٣.

(٣) المرجع السابق ص ٩٠.

الألفاظ المستعملة للسان:

استُعمِلت للسان أوصاف عدة، منها:

- ١ - (موضع أكثر الحروف). - ٢ - (مجمع الحروف).
- ٣ - (آلة لحاسّي المذاق والكلام). - ٤ - (آلة الكلام). - ٥ - (الجِزْمُ الرَّطْبُ اللَّيِّن).

١ - المصطلح الأول للسان: (موضع أكثر الحروف):

لقبه المبرّد بذلك، وهو ظاهر. ^(١)

٢ - المصطلح الثاني للسان: (مجمع الحروف):

لقبه المبرّد بذلك ^(٢)، ولعله يعنى أنه اجتمع فيه أكثر الحروف، والله أعلم.

٣-٤ - المصطلح الثالث والرابع للسان: (آلة لحاسّي المذاق والكلام)، (آلة الكلام):

عرف المجوسي أيضاً اللسان بأنه: (آلة لحاسّي المذاق والكلام). ^(٣)

وسماه ابن مَلْكَا ب: (آلة الكلام)، قال: "وأما اللسان... وهو في الإنسان آلة الكلام، ولذلك جُعِلَ عريضاً رقيقاً، قصير الرباط منطلقاً؛ ليتشكّل بالأشكال الموافقة لذلك". ^(٤)

٥ - المصطلح الخامس للسان: (الجِزْمُ الرَّطْبُ اللَّيِّن):

من ألقاب ابن سينا للسان. ^(٥)

ولقبه بذلك لقبول اللسان الضغط إلى باطنه عند التقاء عُضْوَي النطق؛ بسبب تكوينه

العضلي.

(١) المقتضب ٣١٠/١.

(٢) المقتضب ٣٥٦/١.

(٣) كامل الصناعة الطبية ١١٧/١.

(٤) المعترف في الحكمة ٢٦٢/٢.

(٥) أسباب حدوث الحروف ص ١٢١.

المواطن الصوتية التي استعمل فيها اللسان:

استعمل اللسان في أكثر من موطن صوتي، منها:

- ١ - أحد المخارج الرئيسة للنطق. والإطباق، والتفخيم.
- ٢ - جزء مشارك في الاستعلاء،
- ٣ - جزء مشارك في تركيب الحروف كالإدغام. مشاركته في الرياضة والتدريبات النطقية.
- ٤ - مشاركته في الرياضة والتدريبات النطقية.
- ٥ - مسؤوليته عن بعض العيوب النطقية. وسهولة المنطق.
- ٦ - جزء مشارك في صحة المخارج
- ٧ - عضو مشارك مع الحنك والأسنان في مخارج الحروف.

١ - المواطن الأول من استعمالات اللسان: أحد المخارج الرئيسة للنطق:

انظر المخارج الرئيسة للنطق.

٢ - المواطن الثاني من استعمالات اللسان: جزء مشارك في الاستعلاء، والإطباق، والتفخيم:

انظرها في الصفات.

٣ - المواطن الثالث من استعمالات اللسان: جزء مشارك في تركيب الحروف كالإدغام:

انظر تركيب الحروف.

٤ - المواطن الرابع من استعمالات اللسان: الرياضة والتدريبات النطقية:

انظره في الاحترافات النطقية.

٥ - المواطن الخامس من استعمالات اللسان: في العيوب النطقية:

انظره في عيوب النطق.

٦- الموطن السادس من استعمالات اللسان: جزء مشارك في صحة المخارج وسهولة النطق:

استعمل لذلك عدة مصطلحات، منها:
١- (بَلَّةُ اللسان). - ٢- (انطلاق اللسان). - ٣- (مَذْلُ اللسان).
٤- (اللسان الصحيح). - ٥- (جَرِيُّ اللسان).

١- المصطلح الأول لمشاركة اللسان في صحة المخارج: (بَلَّةُ اللسان):

من أصله اللغوي أن يدل على النَّدى، يقال: بَلَّتُ الشيءَ أَبْلُهُ، والبَلَّةُ: البلب، ثم استعير، يقال للإنسان إذا حسنت حاله بعد الهزال: قد ابتل وتبلل، ومنه: بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام.^(١)

عرف الخليل: (بَلَّةُ اللسان) فقال: "وقوعه على مواضع الحروف، واستمراره على المنطق، يقال: ما أحسن بلة لسانه، أو ما يقع لسانه إلا على بلته".^(٢)

٢- المصطلح الثاني لمشاركة اللسان في صحة المخارج: (انطلاق اللسان):

يدل أصله اللغوي على التخلية والإرسال. يقال: انطلق الرجل ينطلق انطلاقاً. ثم ترجع الفروع إليه؛ تقول: أطلقت الأسير إطلاقاً، إذا حللت إسهاره وخلت عنه، ومن هنا قيل: أطلقت القول، إذا أرسلته من غير قيد ولا شرط. ورجل طلق اللسان وطيقة، أي فصيح عذب المنطق.^(٣)

استعمله من العلماء: الخليل، قال: "وفي النهي: (لا تَمِّهْ) على تقدير: (عِهْ، ولا تَعِهْ) ولما تمت (تع) حرفين انطلق اللسان بهما في الوقوف، فإن شئت اعتمدت على الهاء، وإن شئت لم تفعل، وكذلك كل مجزوم إذا كان آخره ياءً أو واواً أو ألفاً نحو: يرمي، ويعدو،

(١) مقاييس اللغة ص ٩٢ (ب ل ل).

(٢) العين ٣١٩/٨.

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٩٩ (ط ل ق) والمصباح المنير ص ٣٧٦ (ط ل ق).

ويسعى".^(١)

لعله يقصد استراحة اللسان في الوقف بالسكون على المحروم بحذف حرف العلة، أو بإحاقه هاء السكت؛ لأن الوقف موضع استراحة، والله أعلم.

٣- المصطلح الثالث لمشاركة اللسان في صحة المخارج: (مَدُّ اللسان):

يدل أصله اللغوي على استرخاء وقلة تشدد في الشيء.^(٢)

استعمله من العلماء: الخليل، قال عن حروف الذلاقة (ف، ر، م، ن، ل، ب): "وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً؛ لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفيتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة... فلما ذلقت الحروف الستة، ومَدُّ بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها".^(٣)

٤- المصطلح الرابع لمشاركة اللسان في صحة المخارج: (اللسان الصحيح):

عرّف إخوان الصفاء: (اللسان الصحيح)، فقالوا: "اللسان الصحيح: المتحرك إلى جهة كل حرف بعينه بلا خلط".^(٤)

٥- المصطلح الخامس لمشاركة اللسان في صحة المخارج: (جَزِي اللسان):

يدل أصله اللغوي على انسياح الشيء، يقال: جرى الماء يجرى جرية وجرياً وجریاناً.^(٥) استعمله من العلماء: عبد القاهر الجرجاني، قال عن صاحب الفصاحة: "وأن يكون المتكلم في ذلك جهير الصوت، جاري اللسان، لا تعترضه لُكْنَه، ولا تقف به حُبْسَه".^(٦)

(١) العين ٤٤٢/٨.

(٢) المرجع السابق ١٨٨/٨ ومقاييس اللغة ٣٠٩/٥ (م ذ ل).

(٣) العين ٥٢/١.

(٤) الرسائل ١٤٥/٣.

(٥) مقاييس اللغة ص ١٩٥ (ج ر ي).

(٦) دلائل الإعجاز ص ٧.

٧- الموطن السابع من استعمالات اللسان: عضو مشارك مع الحنك والأسنان في مخارج الحروف:

لقب سيبويه الحروف التي تخرج منه بـ: (حروف اللسان)، وتبدأ هذه الحروف من القاف والكاف^(١)، وتنتهي عند النون؛ لأنه آخر حرف يشترك فيه اللسان مع الحنك.

واستثنى سيبويه من حروف اللسان الحروف التي يشترك فيها طرف اللسان مع الأسنان الأمامية، وهي التي لقبها بـ: (حروف الثنايا)، قال: "وأكثر حروف اللسان من طرف اللسان وما يخالط طرف اللسان، وهي أكثر من حروف الثنايا"^(٢).

والذي يدل على أن النون هي آخر الحروف الملقبة بـ: (حروف اللسان) قول الأخفش: "لأن النون ليست من حروف الثنايا كالتاء"^(٣).

تابع سيبويه على التلقيب بـ (حروف اللسان): ابن السراج^(٤)، وطاهر ابن غلبون^(٥).

وزاد الرماني إليها الحروف التي يشارك فيها اللسان مع الأسنان، قال: "الحروف التي تنسب إلى اللسان أربعة أقسام: حروف أقصى اللسان، وحروف وسط اللسان، وحروف طرف اللسان"^(٦)، وحروف حافة اللسان"^(٧) وتابعه الداني مفصلاً جميع هذه الحروف، ومشاركاً حروف الثنايا معها، وملخصاً لكل ما قاله سيبويه في مخارج اللسان، قال: "أعلم أن حروف اللسان ثمانية عشر حرفاً، ولها عشرة مخارج، وينقسم جميعاً على أربعة أقسام: أقصى اللسان، ووسطه، وطرفه، وحافته.

(١) الكتاب ٤/٤٥٢.

(٢) الكتاب ٤/٤٦٢.

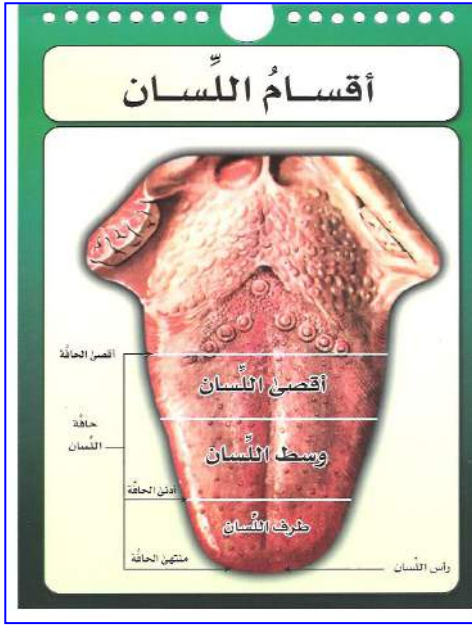
(٣) معاني القرآن ١/٢٣٨.

(٤) الأصول ٣/٤١٥.

(٥) التذكرة ١/١٨٧.

(٦) قال الرماني: "وحروف طرف اللسان اثنا عشر: تسعة متناسبة، وثلاثة متفرقة، فالتسعة المتناسبة: الطاء والذال والطاء، والصاد والسين والزاي، والطاء والذال والشاء. والثلاثة المتفرقة: النون واللام والراء. اهـ". (شرح كتاب سيبويه ل ٢٠١/أ). وهذا الذي جعلني أقول إنه أشرك الحروف التي تخرج مع الأسنان.

(٧) شرح كتاب سيبويه ل ٢٠١/أ.



فأقصى اللسان له مخرجان وحرفان...
 ووسط اللسان له مخرج واحد وثلاث أحرف...
 وطرف اللسان له خمسة مخارج وأحد عشر حرفاً...
 وحافة اللسان له مخرجان وحرفان".^(١)
 وتابعه: ابن الطحان الأندلسي.^(٢)
 واستعمل الكندي: (اللسان) كجزء مشارك في
 النون.^(٣)

(١) الإدغام الكبير ص ٥٤.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٦.

(٣) رسالة في اللثغة ص ٥٢٦ و ٥٢٨.

أقسام اللسان:

قسم أكثر العلماء اللسان إلى مناطق نسبوا إليها بعض الحروف، وهي:

- ١- **السطح العلوي للسان المقابل للحنك الأعلى:** أ- (ظهر اللسان). ب- (سطح اللسان).
 - ٢- **الجزء الخلفي:** أ- (أقصى اللسان). ب- (أصل اللسان). ج- (عُكْدَة اللسان). د- (الغصمة).
 - ٣- **الجزء الأوسط:** أ- (وسط اللسان). ب- (أوسط اللسان).
 - ٤- **الجزء الجانبي:** أ- (حافة اللسان). ب- (جانبا اللسان). ج- (جَنْبًا اللسان).
 - ٥- **الجزء الأمامي:** أ- (طرف اللسان). ب- (صدر اللسان). ج- (مقدم اللسان).
 - د- (رأس اللسان). هـ- (ذلق اللسان). و- (حرف اللسان). ي- (عَدْبَة اللسان).
 - ل- (أَسَلَة اللسان).
 - ٦- **نهاية الجزء الأمامي:** أ- (منتهي طرف اللسان). ب- (مستدق اللسان).
ج- (دُوَيْن طرف اللسان). د- (أدنى طرف اللسان).
- ملاحظة: قد يستعمل أحد مصطلحات الجزء الأمامي من اللسان، ويراد به نهاية الجزء. ويمثل الشكل السابق أقسام اللسان حسب ما توفر لدي من نصوص المتقدمين.

القسم الأول: الألفاظ المستعملة للسطح العلوي المقابل للحنك:

١- المصطلح الأول للسطح العلوي للسان: (ظَهْر اللسان):

يدل أصله اللغوي على قوة وبروز، من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، والأصل في الباب كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة. ^(١)

استعمل الخليل: (ظهر اللسان) في تعليل صوتي لتمييز اللام والنون والراء عن غيرها من حروف اللسان، واختصاصها بالذلاقة في المنطق، قال: "وأما سائر الحروف، فإنها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين، بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان. ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن، ولم ينحرفن عن ظهر

(١) مقاييس اللغة ص ٦١٨ (ظ هـ ر).

اللسان انحراف الراء واللام والنون".^(١)

واستعمله سيبويه في تبيين أن الراء من مخرج النون، لكنها تشارك اللام في المخرج، قال:
"ومن مخرج النون غير أنه أدخل في **ظهر اللسان** قليلاً؛ لانحرافه إلى اللام مخرج الراء".^(٢)
وتابعه: الزجاجي^(٣)، وابن جني^(٤)، ومكي^(٥)، والداني^(٦)، والقرطبي^(٧)، والخفاجي^(٨)،
وابن الطحان^(٩)، والهمذاني^(١٠).

وتابع سيبويه أيضاً: ابن دريد، واستبدل بلفظ: **(أدخل في ظهر اللسان)**: (أدخل
بطرف اللسان).^(١١) وتابع أبو البركات ابن الأنباري ابن دريد في ذلك.^(١٢)
وذكر ابن دريد أن السين تخرج مطمئنة على **ظهر اللسان**.^(١٣)
ولعل هذه النسبة مستنتجة من قول الخليل السابق.

واستعمل ابن جني: **(ظهر اللسان)** في تعريف الإطباق.^(١٤)
وتابعه: القرطبي^(١)، والهمذاني^(٢)، غير أن القرطبي استعمله أيضاً في تعريف الإنفتاح،
وهو عكس الإطباق.

(١) العين ٥٢/١.

(٢) الكتاب ٤٣٣/٤.

(٣) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

(٤) سر صناعة الإعراب ٤٧/١.

(٥) الرعاية ص ١٩٥.

(٦) التحديد ص ١٠٣، والإدغام الكبير ص ٥٤.

(٧) الموضح ص ٧٩.

(٨) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٩) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٩.

(١٠) التمهيد ص ٢٧٧.

(١١) الجمهرة ٨/١.

(١٢) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(١٣) الجمهرة ١٢/١.

(١٤) سر صناعة الإعراب ٦١/١.

٢- المصطلح الثاني للسطح العلوي للسان: (سطح اللسان):

يدل أصله اللغوي على بسط الشيء ومدّه، وسطح كل شيء: أعلاه الممتد معه. (٣)

استعمل ابن سينا: (سطح اللسان) في وصف حدوث الرء والزاي. (٤)

القسم الثاني: الألفاظ المستعملة للجزء الخلفي من اللسان:

١- المصطلح الأول للجزء الخلفي من اللسان: (عُكْدَة اللسان):

يدل الأصل اللغوي على تجمع وغلظ (٥). وأكثر المعاجم تعرّف عكدة اللسان على أنها أصله. (٦)

يعد الخليل أول من استعملها صوتياً، وتعريفها عنده كالتالي:

قال الخليل: "العكدة: أصل اللسان وعقدته" (٧)، ومعنى (عقدته): غلظ في وسطه (٨).

استعمل الخليل: "عكدة اللسان" في تحديد مخرج الجيم والقاف والكاف، فقال: "وأما

مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم" (٩).

وتابعه ابن دريد مضيفاً إليها الشين في مجموعة لقبها ب: (حروف أقصى الفم من أسفل

اللسان).

وذكر أن الشين تتجاوز عكدة اللسان إلى الفم، ولذلك فهي الوحيدة التي تأتلف مع

أخواتها (القاف والكاف والجيم)؛ لتفشيها وقربها من العكدة في نحو: (شَقَّ وَقَشَّ)، (شَكَّ،

(١) الموضح ص ٩٠.

(٢) التمهيد ٢٨١.

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٥٨ (س ط ح).

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٠ - ١٢١.

(٥) مقاييس اللغة ص ٦٥٥ (ع ق د) و ص ٦٦١ (ع ك د) و ص ٦٦٢ (ع ك ر).

(٦) العين للخليل ١/١٩٣، وإصلاح المنطق لابن السكيت ص ٤١، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ١٤٧، والجمهرة لابن

دريد ٢/٢٨٠، والأمازي والنوادر للقيالي ٢/١٧٨، ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس ص ١٧.

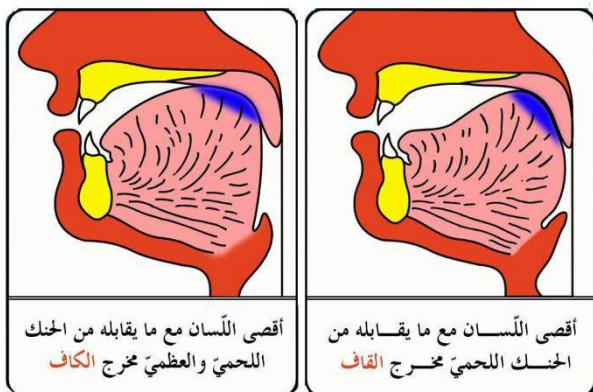
(٧) العين ١/١٩٣.

(٨) العين ١/١٤٠.

(٩) العين ١/٥٢.

وكشّ)، (وشجّ وجشّ).^(١)

٢- المصطلح الثاني للجزء الخلفي من اللسان: (أقصى اللسان):



بعد أن ذكر سيبويه حروف الحلق، بدأ بمخارج اللسان، فاستعمل: (أقصى اللسان) في تحديد مخرجي القاف والكاف، فقال: "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف"^(٢)

ونقل عبارته كثير من العلماء أو داروا حولها، منهم:

ابن السراج^(٣)، والرماني^(٤)، والزجاجي^(٥)، وابن جني^(٦)، والسعيدي^(٧)، ومكي بن أبي طالب^(٨)، والبدائي^(٩)، والخفاجي^(١٠)، والقرطبي^(١١)، والهمذاني^(١٢)، وابن الطحان الأندلسي^(١٣)، وابن الأنباري.^(١)

(١) الجمهرة ٦/١.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ و ٤/٤٥٢.

(٣) الأصول ٣/٤٠٠.

(٤) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ.

(٥) الجمل ص ٤٤٥.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٤٧.

(٧) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٣.

(٨) الرعاية ص ١٧١.

(٩) التحديد ص ١٠٢ والإدغام الكبير ص ٥٤.

(١٠) سر الفصاحة ص ١٩.

(١١) الموضح ص ٧٨.

(١٢) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٧.

(١٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٦.

وجعل ابن السراج المخرج الرابع للقاف، والخامس للكاف.

وزاد ابن جني في الكاف: (وأدنى إلى مقدّم الفم).

وتابعه: الخفاجي، والقرطبي، والهمذاني، وأبو البركات ابن الأنباري مستعملاً: (وأقرب)

بدلاً من: (أدنى).

وتقدم تلقيب ابن دريد القاف والكاف والجيم والشين بـ: (حروف أقصى الفم من

أسفل اللسان).

ولقب الرماني القاف والكاف اللتين تخرجان منه بـ: (حروف أقصى اللسان).^(٢)

وتابعه ابن جني مضيفاً الجيم إليها.^(٣)

ولقب الداني القاف والكاف بـ: (حرفي أقصى اللسان).^(٤)

ويمثل الشكل السابق مشاركة أقصى اللسان مع الحنك الأعلى في مخرجي القاف

والكاف، حيث تمثل المنطقة الزرقاء منطقة التقاء عضوي النطق فيهما.

٣- المصطلح الثالث للجزء الخلفي من اللسان: (أصل اللسان):

استعمل الكندي: (أصل اللسان) كجزء مشترك في خروج الحاء حيث "تحتاج إلى نفس

يخرج مع الحنك بتنحنح مسرع مضغوط بأصل اللسان واللهوات مع رأس المريء".^(٥)

واستعمله ابن سينا في وصف خروج الظاء حيث تحتاج إضافة إلى مخرجها الأمامي إلى

"أن يكون ما يلي أصل اللسان متعرضاً للهواء برطوبته".^(٦) ولعله يصف عملية حصر الصوت

في الإطباق ومقاومة الهواء في الظاء.

(١) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(٢) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ و ل ٢٠١/أ.

(٣) سر صناعة الإعراب ٨١٤/٢. وابن جني متأثرٌ في هذا بوصف ابن دريد في الجمهرة ٦/١-٧ ومن قبله الخليل في العين ٥٢/١.

(٤) التحديد ص ١١١ والمطبوع من جامع البيان ٧١٤/٢.

(٥) رسالة في اللثغة ص ٥٢٥.

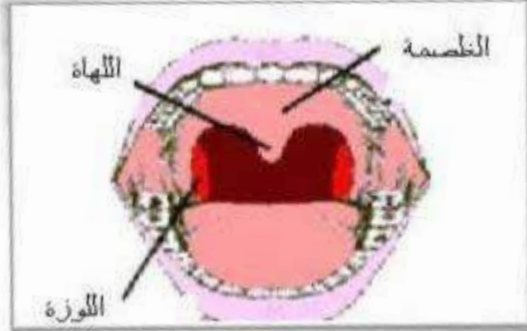
(٦) رسالة أسباب حدوث الحروف ص ١٢٢.

وذكر ابن جني أن القاف تخرج من أصل اللسان. ^(١)

وتقدم استعمال سبط الخياط لهذا المصطلح كجزء مشارك مع أعلى الحلق في القاف

والغين والحاء.

٤- المصطلح الرابع للجزء الخلفي من اللسان: (الغليصة):



مصطلح غامض الدلالة.

اختلف اللغويون والأطباء في تحديد المراد بالغلصمة على خمسة آراء:

١- الهيكل الخارجي للحنجرة مع ما يحيط بها ^(٢): الخليل.

٢- رأس المريء (الغضروف المسمى حديثاً: لسان المزمار): الأصمعي. ^(٣)

٣- اللحم الذي بين الرأس والعنق: أبو عبيدة. ^(١)

(١) سر صناعة الإعراب ٢/٨١٦.

(٢) قال الخليل في العين ٢/٤٦٢: "الغلصمة: رأس الحلقوم بشواربه وحرّقدته" اهـ. يعني بالحلقوم القصبة الهوائية، كما مر في البحث. والشوارب كما ذكر في ٦/٢٥٨: هي "عروق محدقة بالحلقوم وفيها يقع الشَّرْق، ويقال: بل هي عروق تأخذ الماء ومنها يخرج الريق". اهـ. والحرقدة: هي عقدة الحنجور كما ذكر في ٣/٣٢١، ولعله يعني بها: غضروف لسان المزمار، والله أعلم.

(٣) نقل القالي في البارع ص ٤٥٩ عن الأصمعي: "والغلصمة: العُجْرَةُ التي على ملتقى اللهاة والمريء إذا ازدرد الأكلُ للقمّة فزلّت عن الحلق دخلت في فم الغلصمة" اهـ. ونقل أيضاً عن ثابت قوله: "الغلصمة من الإنسان: متصل الحلقوم بالحلق إذا ازدرد الأكلُ لقمته فزلت عن الحلقوم دخلت فم الغلصمة" اهـ. فالواضح أنهما يصفان عملية البلع وانطباق الغضروف المسمى بلسان المزمار على فم القصبة الهوائية لتدخل إلى المريء.

٤ - الحنك اللحمي: ابن سينا. (٢)

٥ - أصل اللسان: الثعالبي. (٣)

استعمل الكندي: (الغليصة) في وصف انفتاح مخرج العين المتحركة من كلمة: (عين)، قال: "نقول في نعت العين: تحتاج إلى نغمة مع نفس يمتد إلى اللهاة ويقف معها، بهمزة اللسان إلى اللهوات وفتحة بالغليصة". (٤) وكذلك استعملها في وصف مخرج القاف حيث "تحتاج إلى إلزام الغليصة الخياشيم لزوماً شديداً، وتفرّق فيما بين ذلك بدفع النفس بقوة". (٥)

أظن أن الغليصة منطقة واسعة تشمل الغضروف المسمى حديثاً بلسان المزمار وما فوقه إلى أصل اللسان، وبهذا الاعتبار تتفق مع كل التعريفات التي تقدمت، وكذلك مع وصف الكندي؛ لأن المراد منها في كلامه يتجه - من بين الأوصاف الخمسة التي مرت - إلى رأس المريء - الغضروف المسمى حديثاً بلسان المزمار - وإلى أصل اللسان، والذي يقوي أن كون المراد: رأس المريء ما تقدم من وصفه للحاء، وهي من مخرج العين، قال: "تحتاج إلى نفس يخرج مع الحنك بتنعنح مسرع مضغوط بأصل اللسان واللهوات مع رأس المريء". (٦)

ويمثل الشكل السابق منطقة الغليصة كما أتصورها من واقع النصوص السابقة ومن الدلالة المعجمية للكلمة.

والمشكل في نص الكندي هو إلغاؤه عمل اللسان في مخرج القاف، وغموض قوله: (إلزام الغليصة الخياشيم لزوماً شديداً). صحيح أن غضروف لسان المزمار يشترك في القاف من ناحية التفخيم فيها إلا أن أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك له الدور الرئيس في إخراجها.

(١) البارع للقبلي ص ٤٥٨.

(٢) قال ابن سينا في القانون في الطب ١١٠٣/٢: "أما الغليصة: فهي لحم صفاقي لاصق بالحنك تحت اللهاة، متدل منطبق على رأس القصبة" اهـ. قال الدكتور محمد عبد الرازق استشاري أمراض الأنف والأذن والحنجرة عند قراءته هذا النص: إن وصف ابن سينا ينطبق على الحنك اللين.

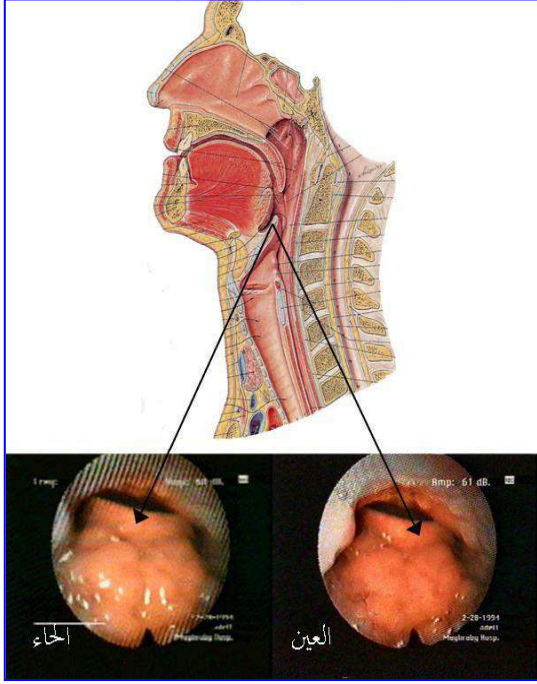
(٣) فقه اللغة ص ١١٧، والقاموس المحيط ص ١٤٧٥.

(٤) رسالة في اللغثة ص ٥٢٦.

(٥) المرجع السابق ص ٥٢٦.

(٦) رسالة في اللغثة ص ٥٢٥.

وإذا كان المراد بـ: (الغليصة) أصل اللسان، فإن حدوث القاف يكون باعتماد أصل اللسان على الحنك اللحمي الذي يكون بدوره راجعاً إلى الجدار الخلفي للأنف ساداً مجرى الصوت إلى الخياشيم، فكأن أصل اللسان اعتمد على الخياشيم، وهو معنى قوله: (إلزام الغليصة الخياشيم لزوماً شديداً).



وأما قوله في العين: (وفتحة بالغليصة)، فهو يصف انفصال أصل اللسان عن اللهوات (اللهاة وما يحيط بها من الحنك اللحمي).

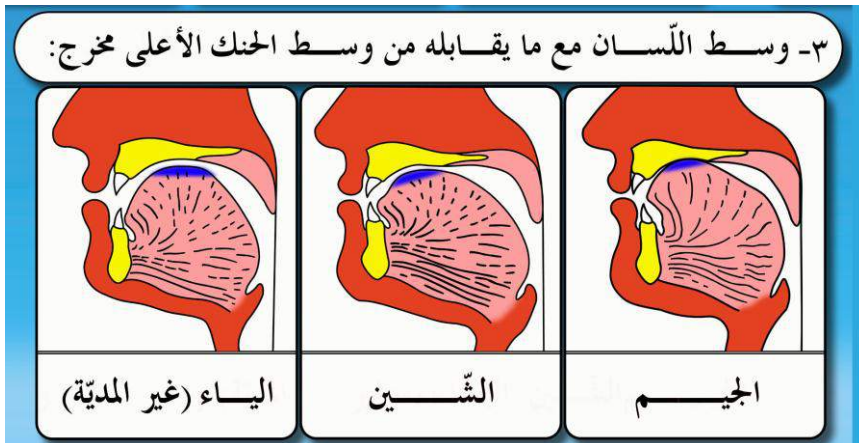
ولأجل كلام الكندي رجّحت اتساع هذه المنطقة لتشمل رأس المريء وما فوقها إلى أصل اللسان، ولعل هذا هو الذي جعل أبا عبيدة يعرف الغليصة بـ: اللحم الذي بين الرأس والحنق، والله أعلم.

ويمثل الشكل السابق دور رأس المريء في مخرجي العين والحاء كما أظهرته تجاربي النطقية بواسطة منظار الحنجرة، حيث يلاحظ رجوع رأس المريء (Epiglottis) إلى الجدار الخلفي للحلق.

القسم الثالث: الألفاظ المستعملة للجزء الأوسط:

١-٢- المصطلح الأول والثاني للجزء الأوسط من اللسان: (وسط اللسان)، (أوسط

اللسان):



استعمل سيبويه: (وسط اللسان) كجزء مشارك مع الحنك في مخرج الجيم والشين والياء. ^(١)

وتابعه: المبرد^(٢)، وابن السراج، وجعله المخرج السادس^(٣)، وابن خالويه^(٤)، وابن جني^(٥)، والسعيدي^(٦)، ومكي^(٧)، والدايني^(٨)، والقرطبي^(٩)، والخفاجي^(١٠)، وابن الطحان. ^(١١)
وتابعه: الرماني^(١٢)، والهمداني^(١٣) لكن يلفظ: (أوسط اللسان).

وهذه الياء التي نسبتها سيبويه إلى وسط اللسان تشمل الياء المدية وغير المدية، مع علم سيبويه التام بطبيعة كل منهما من اتساع المخرج في المدية، وتحيزه في غير المدية، وإشارته إلى ذلك في أكثر من موضع. ^(١٤)

وقد نبّه بعض أهل التجويد إلى هذا الفرق، قال القرطبي: "ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، إلا أن الياء تهوي في الحلق، وتنقطع عند مخرج الألف". ^(١٥)

-
- (١) الكتاب ٤/٤٣٣.
 - (٢) المقتضب ١/٣٥٦.
 - (٣) الأصول ٣/٤٠٠.
 - (٤) الحجة ص ٧٣.
 - (٥) سر صناعة الإعراب ١/٤٧.
 - (٦) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٥١.
 - (٧) الرعاية ص ١٧٥.
 - (٨) التحديد ص ١٠٣.
 - (٩) الموضح ص ١١٨.
 - (١٠) سر الفصاحة ص ٢٠.
 - (١١) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٦.
 - (١٢) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ.
 - (١٣) التمهيد ص ٢٧٧.
 - (١٤) الكتاب ٤/١٧٦.
 - (١٥) الموضح ص ٧٨.

ويمثل الشكل السابق دور وسط اللسان في مخرج الجيم والشين والياء حيث توضح المنطقة الزرقاء المظللة من اللسان في كل نقاط التقاء عضوي النطق في إنتاج هذه الأصوات.

واستعمل الكندي: (وسط اللسان) كجزء مشارك مع الأضراس في كيفية خروج الضاد، حيث تتم "بإخراج النفس من وسط اللسان على الأرحية وجانبي الشدق".^(١)
وتابعه ابن دريد، والفارسي^(٢) في خروج الضاد من وسط اللسان، قال ابن دريد: "ثم الضاد من وسط اللسان مما يليه إلى الحافة اليمني".^(٣)

واستعمل الكندي: (وسط اللسان) كجزء مشارك في خروج الخاء والغين.^(٤)

ولقب سيوييه الجيم والشين بأنها من: (حروف وسط اللسان).

وتابعه: الرماني وزاد الياء.^(٥)

وذكر ابن دريد أن الياء تخرج من وسط اللسان.^(٦)

وضم السين والصاد والزاي في مجموعة لقبها بـ: (حروف وسط اللسان مما هو منخفض).^(٧)

وذكر ابن سينا أن وسط اللسان يتقعر عند خروج الطاء دون أن يحدث ذلك لأختيها في المخرج، أعني: التاء والذال.^(٨)

ولعله يصف ما يصاحب الحروف المفخمة من تقعر لوسط اللسان.

القسم الرابع: الألفاظ المستعملة للجزء الجانبي:

(١) رسالة في اللثة ص ٥٢٨.

(٢) الحجة ٤٩/٦.

(٣) الجمهرة ٨/١.

(٤) رسالة في اللثة ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٥) شرح كتاب سيوييه ل ٢٠١/أ.

(٦) الجمهرة ٨/١.

(٧) المرجع السابق ٧/١.

(٨) شرح أسباب حدوث الحروف ص ١٢١.

١ - المصطلح الأول للجزء الجانبي من اللسان: (حافة اللسان):

الحافة من أصلها اللغوي أن تدل على طواف الشيء بالشيء. حفَّ القوم بفلان: إذا أطافوا به. ومن ذلك حفافا كل شيء: جانباه. ^(١)

استعمل سيبويه: (أول حافة اللسان) بعد ذكره لمخرج الجيم والشين والياء، كجزء مشارك مع الأضراس في مخرج الضاد، قال: "ومن بين أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس نخرج الضاد". ^(٢)

فحدود أول حافة اللسان في الضاد تبدأ بما يقابلها من الأضراس من فوق، وقد تقدم - في وسط اللسان - أن الكندي وابن دريد والفارسي يجعلون الضاد من وسط اللسان، وهذه المعرفة مهمة جداً؛ إذ ندرك منها أن الضاد تخرج من أول حافة وسط اللسان، خاصة وأن أكثرهم متفقون على جانبيتها.

تابع سيبويه: ابن السراج، وجعله المخرج السابع ^(٣)، والزجاجي ^(٤)، وابن جني ^(٥) ومكي ^(٦)، والقرطبي ^(٧)، والخفاجي ^(٨)،
والهمداني ^(٩)، وأبو البركات ابن الانباري. ^(١٠)

واستبدل الرماني: (أول حافة اللسان) بـ: (أقصى حافة اللسان) ^(١). وتابعه:
السعيدى ^(٢)، والداني. ^(٣)

(١) مقاييس اللغة ص ٢٢٦ (ح ف ف).

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) الأصول ٣/٤٠٠.

(٤) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/٤٧.

(٦) الرعاية ص ١٨٤.

(٧) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٨) سر الفصاحة ص ٢٠.

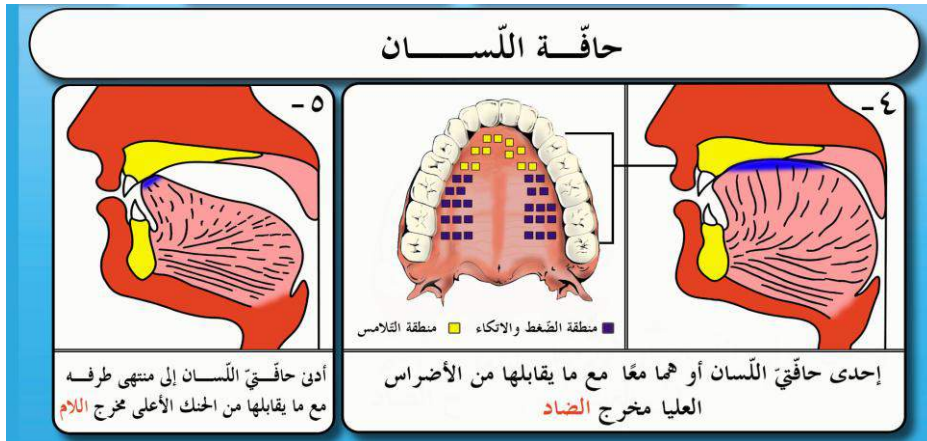
(٩) التمهيد ص ٢٧٧.

(١٠) أسرار العربية ص ٢٠٨.

وتابع سيبويه: ابن الطحان الأندلسي، وزاد: (إلى منتهي طرفه) (٤)، وهي إشارة دقيقة منه - رحمه الله تعالى - لأن طرف اللسان يشارك الحافة في مخرج الضاد، وهو الذي ذكره سيبويه في غير مخرج الحروف. (٥)

واستعمل سيبويه بعد وصفه للضاد لفظ: (أدنى حافة اللسان إلى منتهي طرفه) كجزء مشارك في مخرج اللام، قال: "ومن حافة اللسان من أذناها إلى منتهي طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضاحك والنباب والرباعية والثنية مخرج اللام". (٦)

يوضح سيبويه أن حدود أدنى حافة اللسان في اللام تبدأ بما يقابلها من الضاحك من فوق، وهي حافة طرف اللسان لقوله في موضع آخر عن النون: "وتدغم في اللام؛ لأنها قريبة منها على طرف اللسان". (٧)



- (١) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ.
- (٢) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٥١.
- (٣) الإدغام الكبير ص ٥٤.
- (٤) مخرج الحروف وصفاتها ص ١١٦.
- (٥) الكتاب ٤/٤٦٥.
- (٦) المرجع السابق ٤/٤٣٣.
- (٧) المرجع السابق ٤/٤٥٢. ومن العلماء من نسب اللام إلى طرف اللسان، منهم الخليل والكندي وابن سينا، ومصطلح: (طرف اللسان).

تابع سيبويه: ابن السراج، وجعله المخرج الثامن^(١)، وابن خالويه^(٢)، وابن جني^(٣)،
والسعيد^(٤)، ومكي^(٥)، والخفاجي^(٦)، والهمذاني^(٧)، وأبو البركات ابن الأنباري^(٨).

وتابعه: الرماني، واستبدل^٩ (منتهى طرفه) ب: (أطراف الشنايا).^(٩)

وتابعه: القرطبي، واستبدل^{١٠} (منتهى طرفه) ب: (مستدق طرفه).^(١٠)

ويمثل الشكل السابق دور حافة اللسان في مخرجي الضاد واللام. ويبين بشكل تقريبي
المساحة التي تشغلها منهما.

وذكر ابن الوزان النحوي أن اللام والراء تخرجان من (حافة اللسان).^(١١)

واستعمل ابن سينا: (حافتي طرف اللسان) في وصفه لحدوث الراء، حيث تشارك
العضلتين المطولتين في تعريض حافتي طرف اللسان.^(١٢)

٢- المصطلح الثاني للجزء الجانبي من اللسان: (ناحيته مستدق اللسان):

استعمل سيبويه: (ناحيته مستدق اللسان) في وصفه للمكان الذي يخرج منه صوت اللام^(١٣)،
وتابعه: القرطبي.^(١٤)

(١) الأصول ٤٠٠/٣.

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، دار المنار، ص ٦.

(٣) سر صناعة الإعراب ٤٧/١.

(٤) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٥١.

(٥) الرعاية ص ١٨٨.

(٦) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٧) التمهيد ص ٢٧٧.

(٨) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(٩) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ.

(١٠) الموضح ص ٧٨.

(١١) نقل ذلك عنه الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين ص ٢٤٩.

(١٢) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٣.

(١٣) الكتاب ٤/٤٣٥.

(١٤) الموضح ص ٩٢.

٣-٤- المصطلح الثالث والرابع للجزء الجانبي من اللسان: (جانِبَا اللسان)، (جَنِبْنَا اللسان):

من أصله اللغوي أن يدل على الناحية، ومنه الجُنْبُ للإنسان وغيره. وقعد فلان جَنْبَةً، إذا اعتزل الناس. (١)

استعمل سيويوه: (الجانِب الأيمن والأيسر) من اللسان في شرحه للضاد الضعيفة. (٢)
واستعمل الكندي: (جانِبِي اللسان) كجزء مشارك في كيفية خروج الجيم والكاف والياء. (٣)

واستعمل ابن جني: (جَنِبَتِي اللسان) في وصفه للياء، قال: "أما الياء فتجد معها الأضراس سفلاً وعلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعداً هناك، فلأجل الفجوة ما استطال". (٤)

٥- المصطلح الخامس للجزء الجانبي من اللسان: (ضِلْعَا اللسان):

يدل أصله اللغوي على ميل واعوجاج، ومنه سميت أضلاع الإنسان؛ للإعوجاج الذي فيها. (٥)

استعمله ابن سينا كجزء مشارك في حدوث الطاء. (٦)

القسم الخامس: الألفاظ المستعملة للجزء الأمامي:

١- المصطلح الأول للجزء الأمامي من اللسان: (ذلق اللسان):

يدل أصله اللغوي على حدة، قال الخليل: "حد كل شيء ذلُّقه وتقول: كأنه ذلق

(١) مقاييس اللغة ص ٢٠٨ (ج ن ب).

(٢) الكتاب ٤/٤٣٢.

(٣) رسالة في الثلثة ص ٥٢٤ - ٥٢٥.

(٤) سر صناعة الإعراب ٨/١.

(٥) مقاييس اللغة ص ٥٧٧ (ض ل ع).

(٦) أسباب حدوث الحروف ص ١٢١.

سنان"، والذلق: طرف اللسان^(١). وعند ابن جني ذلق اللسان: صدره وطرفه^(٢). وعند القرطبي: منتهى صدره وطرفه^(٣).

استعمل الخليل: (ذلق اللسان) في التعبير عن مخرج اللام والنون والراء، ولقّبها بـ: (الذليقة أو الذولقية)، وبـ: (الذليقية)، وبـ: (حروف الذلق)^(٤)، وأخيراً بـ: (الحروف الذلق)^(٥)، وهذا الأخير من المشترك اللفظي استعمله الخليل - أيضاً - كلقب لحروف الإذلاق الستة (ف ب م ل ن ر).^(٦)

قال الخليل: "منها ثلاثة ذولقية: ر ل ن، تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم".^(٧)

وقال: "والراء واللام والنون ذليقية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان".^(٨)

ويشعرنا هذا النص الأخير بأمرين: جانبية هذه الأحرف، وخاصة في قوله: (طرفي ذلق اللسان)، والثاني: أنها تخرج بنهاية الجزء الأمامي من اللسان، لاستعماله لفظ: (تحديد)، يعني بعبارة أخرى: تخرج اللام والنون والراء من حافتي نهاية الجزء الأمامي.

تابعه الرازي على أن مخرج اللام والنون والراء من ذلق اللسان.^(٩)

تابعه على اللقبين: مكّي.^(١٠)

(١) العين ١٣٤/٥، ومقاييس اللغة ص ٣٦٨ (ذ ل ق).

(٢) سر صناعة الإعراب ٦٤/١.

(٣) الموضح ص ٩٤.

(٤) العين ٥٢/١.

(٥) المرجع السابق ٥١/١.

(٦) المرجع السابق ٥٣/١.

(٧) المرجع السابق ٥١/١.

(٨) المرجع السابق ٥٨/١.

(٩) الزينة ص ٦٤.

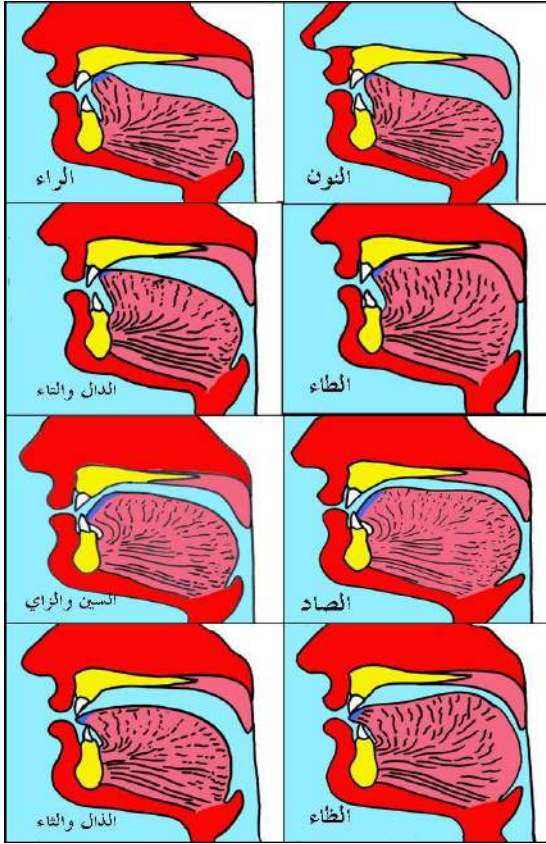
(١٠) الرعاية ص ١٤٠.

وتابعه السعيدي في خروج النون من ذلق اللسان.^(١)

٢- المصطلح الثاني للجزء الأمامي من اللسان: (طرف اللسان):

من أصله اللغوي أن يدل على حد الشيء وحرفه، فمنه طرف الشيء والثوب والحائط.^(٢)

استعمل الخليل: (طرف اللسان) استعمالاً طريفاً في شرحه لمعنى: (النقر)، وهو التصويت للدابة، قال: "النقر: صوت اللسان يُلْزَقُ طرفه بمخرج النون فيصَوِّتُ به، فيُنْقَرُ بالدابة لتسير".^(٣)



واستعمل سيويه: (طرف اللسان) كجزء مشارك مع الحنك أو الأسنان في خروج الأصوات التالية:

النون، والراء، والطاء والذال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والتاء.^(٤) وتابعه: الزجاجي^(٥)، وابن جني^(٦)، ومكي^(٧)، والداي^(٨)، والقرطبي^(٩)، والخفاجي^(١٠).

(١) اختلاف القراء في اللام والنون ص ٦٤.

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٠٩ (ط ر ف).

(٣) العين ١٤٤/٥.

(٤) الكتاب ٤٣٣/٤.

(٥) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

(٦) سر صناعة الإعراب ٤٧/١.

(٧) الرعاية، ومظان هذه الحروف على الترتيب: ص ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٥، و ٢٢٠،

و ٢٢٣، ٢٢٤ و ٢٢٦.

(٨) التحديد ص ١٠٣.

(٩) الموضح ص ٧٩.

(١٠) سر الفصاحة ص ٢٠.

وعند مكّي: **طرف اللسان**: أسلته. ^(١)

تابع المبرد سيبويه في: الطاء والذال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والتاء. ^(٢)

تابع ابن الطحان سيبويه في: الصاد والسين والزاي، والظاء والذال والتاء. ^(٣)

وذكر سيبويه أن اللام أدغمت في الراء للمقاربة في **طرف اللسان**، وأن النون أدغمت مع الراء لقرب المخرجين على **طرف اللسان**، وجعل هذا القرب بين النون والراء العلة الصوتية في إدغام النون في الياء؛ لأنه ليس مخرج من **طرف اللسان** أقرب إلى مخرج الراء من الياء، وكذلك إلى اللام؛ إذ الياء أقرب الحروف إليهما، فساغ لذلك إدغام النون في الياء. ^(٤)

وتعليل سيبويه يعد من القواعد الصوتية. وعنوانها: (إدغام الحرف في الحرف بسبب قرب المجاور).

ولقب سيبويه الحروف التي يشترك فيها **طرف اللسان** مع الحنك والأسنان بـ: (حروف **طرف اللسان**)، عد منه أحد عشر حرفاً، وهي: النون والراء، والطاء والذال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والتاء. ^(٥)

وتابعه: ابن السراج ^(٦)، والقرطبي ^(٧)، وأبو البركات ابن الأنباري. ^(٨)

وزاد الرماني: اللام.

ولقب اللام والنون والراء منها بـ: (الحروف المتفرقة)، ولقب التسعة الباقية بـ:

(١) الرعاية ص ١٤٠.

(٢) المقتضب ٣٠٩/١.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٨-١١٩.

(٤) الكتاب ٤٥٢/٤ - ٤٥٣.

(٥) المرجع السابق ٤٥٧/٤.

(٦) الأصول ٤٢١/٣.

(٧) الموضح ص ٩٧.

(٨) أسرار العربية ص ٢١١.

(الحروف المتناسبة).^(١)

وعند ابن دريد: (حروف طرف اللسان) هي الحروف الذلق، وهي: اللام والنون والراء الميم والباء والفاء.^(٢)

ولقب سيبويه الحروف التي يشترك فيها طرف اللسان مع الأسنان الأمامية بـ: (حروف طرف اللسان والثنايا)، وهي تسعة أحرف: الطاء والذال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والتاء.^(٣)

وتابعه: ابن السراج^(٤)، وأبو علي الفارسي.^(٥)

ويمثل الشكل السابق دور طرف اللسان في مخارج أكثر الحروف الأمامية.

ولقبها أبو علي الفارسي في مواضع أخرى كثيرة بـ: (حروف طرف اللسان وأصول الثنايا).^(٦)

واستعمل الكندي: (طرف اللسان) كجزء مشارك في خروج الدال، واللام والزاي والطاء، والسين والتاء والذال، والضاد والظاء.^(٧)

واستعمله ابن سينا كجزء مشارك في مخرج الحرف الذي يشبه الجيم^(٨)، والجيم والشين^(٩)، واللام والراء^(١٠)، والطاء والتاء^(١)، والنون^(٢)، والراء الغينية.^(٣)

(١) شرح كتاب سيبويه ل ٢٠١/أ.

(٢) الجمهرة ٣١٦/٢.

(٣) الكتاب ٤٦٥/٤.

(٤) الأصول ٤٢٢/٣.

(٥) الحجة ٥١/١.

(٦) الحجة ٣٦٧/٢ و ١١٩/٣ و ٣٤١/٥ و ٤٩/٦، والتكملة ص ٢٧٩.

(٧) رسالة في اللغة: الدال ص ٥٢٤، واللام والزاي والطاء ص ٥٢٥، والسين ص ٥٢٦، والتاء والذال ص ٥٢٧، والضاد والظاء ص ٥٢٨.

(٨) أسباب حدوث الحروف ٨٦.

(٩) المرجع السابق كلاهما ص ١١٨ - ١١٩.

(١٠) أسباب حدوث الحروف كلاهما ص ٨١ و ١٢٣.

وذكر ابن سينا أن الهواء - ونتيجة للمقاومة التي تحصل - يقوم بالتأثير على طرف اللسان فيكسبه خاصية الاهتزاز، وذلك في الزاي، والزاي الظائية، والراء، والراء الغينية. (٤)

وذكر مكي أن طرف اللسان كأنه يرتعد عند النطق بالراء. (٥)

٣- المصطلح الثالث للجزء الأمامي من اللسان: (رأس اللسان):

يدل أصله اللغوي على تجمع وارتفاع، فالرأس: رأس الإنسان وغيره. (٦)

استعمل الكندي: (رأس اللسان) بمعنى الطرف كجزء مشارك في مخرج الراء واللام والبدال والثاء. (٧)

واستعمل القرطبي: (رأس اللسان) بمعنى نهاية الجزء الأمامي من اللسان في الدال والراء، حيث حذر من استعمال رأس اللسان في الدال، في تلاوة القرآن الكريم، قال: "وربما لفظ به بعض الناس برأس لسانه لا بطرفه، فصار أدخل في اللهاة، وهو خفي". (٨)

ولعل أشبه الناس بوصفه - اليوم - نطق أهل الباكستان والهند للدال، ينطقونها برؤوس ألسنتهم إلى داخل الحنك، والله اعلم.

وذكر أن الراء إذا كانت مرفقة كان العمل فيها برأس اللسان بخلاف المفخمة التي يعمل فيها طرف اللسان. (٩)

٤- المصطلح الرابع للجزء الأمامي من اللسان: (صدر اللسان):

(١) المرجع السابق ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤.

(٣) المرجع السابق ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) المرجع السابق: الزاي ص ٧٧، والزاي الظائية ص ٩١، والراء ص ١٢٣، والراء الغينية ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٥) الرعاية ص ١٣١.

(٦) مقاييس اللغة ص ٤١٤ (رأس).

(٧) رسالة في اللغاة: الراء واللام والثاء ص ٥٢٧، والبدال: ص ٥٢٨.

(٨) الموضح ص ١٠٣.

(٩) المرجع السابق ص ١٠٦.

في اللغة: الصدر من الإنسان وغيره معروف، وصدر النهار: أوله. وصدر المجلس: مرتفعه. وصدر الطريق: متسعه. وصدر السهم: ما جاوز من وسطه إلى مستدقة، سمي بذلك؛ لأنه المتقدم إذا رمي به. ^(١)

ذكر ابن جنى أن الصاد تخرج من صدر اللسان وأسلته. ^(٢)

٥- المصطلح الخامس للجزء الأمامي من اللسان: (أَسَلَة اللسان):

يدل أصل (أ س ل) اللغوي على حدة الشيء وطوله في دقة، وكل نبت له شوك طويل فشوكه أسل، والأسلة: مستدق اللسان. وكل شيء محدد فهو مُؤَسَّل ^(٣)، وقال الخليل: "وأسلة اللسان: طرف شبته أي: مستدقه". ^(٤)

استعمل الخليل: (أسلة اللسان) حين علل لتسمية: اللام والنون والراء والفاء والباء والميم ب: الحروف الذلقية، فقال: "لأن الذلاقة في المنطق تكون بطرف أسلة اللسان والشفيتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة". ^(٥)
وتابعه: ابن دريد. ^(٦)

وذكر ابن دريد أن الراء واللام تخرج بين أسلة اللسان إلى مقدّم الغار الأعلى. ^(٧)

ونقل عبارته: مكي ^(٨)، والهمداني. ^(٩)

ولقب الخليل الصاد والسين والزاي ب: (الحروف الأسلية)؛ "لأن مبدأها من أسلة

اللسان، وهي مستدق طرف اللسان. ^(١)

(١) المصباح المنير ص ٣٣٥ (ص د ر).

(٢) سر صناعة الإعراب ٨١٦/٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٦٠ (أ س ل).

(٤) العين ٣٠١/٧.

(٥) المرجع السابق ٥١/١.

(٦) الجمهرة ١١/١.

(٧) المرجع السابق ٧/١.

(٨) الرعاية ص ١٣٦.

(٩) التمهيد ص ٢٧٩.

وتابعه: مكّي^(٢)، والهمذاني^(٣).

وذكر الرازي أن أسلة اللسان إلى أطراف الثنايا حيز للصاد والسين والزاي^(٤).

وجعلها القرطي مخرجاً للزاي والسين^(٥).

٦- المصطلح السادس للجزء الأمامي من اللسان: (حرف اللسان):

من معانيه في اللغة أن يدل على حد الشيء وحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره^(٦).

استعمل المبرد: (حرف اللسان) في التعبير عن مخرج اللام، قال: "ومخرجه من حرف اللسان متصلاً بما يحاذيه من الضاحك والثنايا والرباعيات"^(٧).

لعله يعني بحرف اللسان: طرف اللسان، أو حافة اللسان، وكلاً محتمل.

٧- المصطلح السابع للجزء الأمامي من اللسان: (عذبة اللسان):

قال الخليل: عذبة السوط: طرفه. والعذبة في قضيب البعير أسلته. أي: المستدق من مقدمه ويجمع على عذّب^(٨)، وعذبة اللسان: طرفه^(٩).

استعمل السهيلي: (عذبة اللسان) في الإشارة إلى مخرجي الذال والطاء^(١٠).

القسم السادس: الألفاظ المستعملة لنهاية الجزء الأمامي:

(١) العين ٥٨/١.

(٢) الرعاية ص ١٤٠.

(٣) التمهيد ص ٢٧٩.

(٤) الزينة ص ٦٤.

(٥) الموضح ص ١٦٢.

(٦) مقاييس اللغة ص ٢٣٧ (ح ر ف).

(٧) المقتضب ٣٤٨/١ و ٣٢٩/١.

(٨) العين ١٠٣/٢.

(٩) الجيم، لأبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي وزميله، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥ هـ =

١٩٧٥ م، ٢/٢٦٢، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ١٤٧، والجمهرة لابن دريد ٢٥١/١.

(١٠) نتائج الفكر ص ٣٢٧.

١- المصطلح الأول لنهاية الجزء الأمامي من اللسان: (مستدق اللسان):

يدل أصله اللغوي على صغرٍ وحقارة^(١)، وهنا هو رأس طرف اللسان.

تقدم في حافة اللسان استعمال سيويوه ل: (ناحيته مستدق اللسان)، واستعمال القرطي ل: (مستدق طرف اللسان) بدلاً من: (منتهى طرف اللسان).

٢- المصطلح الثاني لنهاية الجزء الأمامي من اللسان: (منتهى طرف اللسان):

قال الخليل: "ومنتهى كل شيء: طرفه".^(٢)

تقدم استعماله في حافة اللسان.

٣- المصطلح الثالث لنهاية الجزء الأمامي من اللسان: (دُوَيْنَ طرف اللسان).

استعمل الزجاج: (دوين طرف اللسان) كجزء مشترك في مخرج الذال.^(٣)

٤- المصطلح الرابع لنهاية الجزء الأمامي من اللسان: (أدنى طرف اللسان):

استعمل ابن الطحان الأندلسي: (أدنى طرف اللسان) كجزء مشترك في التعبير عن

مخرج: النون والتنوين، والراء، والطاء والذال والتاء.^(٤)

العضو الثالث من أعضاء الفم: الأسنان:

أدرك المتقدمون - منذ عهد النبوة - أهمية بعض أجزاء الأسنان في الكلام، فمن ذلك

"قول عمر بن الخطاب في سهيل بن عمرو الخطيب رضي الله عنهما: يا رسول الله: **إِنْزَعْ ثَنِيَّتَيْهِ السُّفْلَيْنِ حَتَّى يَدْلَعَ [يُخْرِجَ] لِسَانَهُ، فَلَا يَقُومُ خَطِيئاً أَبَداً**".

قال الحاجظ: وإنما قال ذلك لأن سهيلاً كان أعلمَ (مشقوقاً) من شفته السفلى".^(٥)

(١) مقاييس اللغة ص ٣٢٩ (د ق ق).

(٢) العين ٤١٤/٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٤/٤.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٨ - ١١٩.

(٥) البيان والتبيين ٤٤/١.

كان المتقدمون يعتنون بصحة الأسنان، ويعيرون المختل منها، ويعلمون تأثيرها الخطير في الكلام، قال يونس بن حبيب عن أهمية الأسنان: "وهي التي إذا تمت الحروف، وإذا نَقَصَتْ نَقَصَتْ الحروف".^(١)

ومن علماء التجويد والقراءات من جعل صحة الأسنان من شروط كمال القراءة، كالمذاني.^(٢)

وكانت عناية الأطباء بالغة كذلك، قال أبو علي الجوسي في تعليمه للطبيب: "ثم تَنْظُرُ بعد ذلك إلى الأسنان، هل فيها شيء متساقط، لاسيما الثنايا والأنياب، فإنها قبيحة تمنع جودة الكلام".^(٣)

الأسنان اثنان وثلاثون سنناً، فصلَّتها العربُ بأسماء مختلفة ذكرها الخليل مفرَّقة في معجمه^(٤)، وجمعها أبو زيد اللغوي، فقال: "للإنسان أربع ثنايا، وأربع رباعيات - الواحدة رباعية مخففة - وأربعة أنياب، وأربعة ضواحك، واثننا عشرة رحي: ثلاث في كل شق، وأربعة نواجذ، وهي أقصاها".^(٥)

استعمل المقدمون أجزاء الأسنان في تعيين المخارج وحدودها، أما عند أصحاب الدرس الصوتي المعاصر فالغالب عليهم استعمال لفظ: (الأسنان) دون أجزائها.^(٦)

(١) نقل ذلك عنه الجاحظ في البيان والتبيين ١/٤٥ و ٤٨.

(٢) التمهيد في معرفة التجويد ص ١٨٨.

(٣) كامل الصناعة الطبية ١/٤٦.

(٤) الثنايا والرباعية في العين ٢/١٣٣، والأنياب في ٨/٣٨١، والضواحك في ٣/٢٦٦، والأرحاء في ٣/٢٩٠.

(٥) نقل ذلك عنه ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ١٤٩.

(٦) علم اللغة للسعران ص ١٤٠، والأصوات لبشر ص ٧١.

المواطن الصوتية التي استعملت فيها الأسنان ومصطلحاتها الكبرى:

استُعملت الأسنان وأجزاؤها في موطنين:

١- أجزاء مشاركة في تعيين مخارج وحدود بعض الحروف.

٢- منافذ لأصوات بعض الحروف وهوائها.

والمصطلحات الكبرى التي استعملت لهذين الموطنين، هي:

١- (الأسنان). ٢- (الجِرم الصلب). ٣- (الثنايا).

٤- (الرباعيات). ٥- (الأنياب). ٦- (الضواحك).

٧- (الأضراس). ٨- (الأرحية أو الأرحاء).

واستعملت أجزاء هذه الألفاظ أيضاً، ويصعب حصرها في هذا الإطار، وهي مثبتة تحت كل مصطلح.

ملاحظة: الأضراس تشمل الضواحك والأرحاء والنواجذ.

كما أن النواجذ هي الأسنان هي الأسنان الوحيدة التي لم تستعمل صوتياً.

ويمثل الشكل التالي الأسنان ومصطلحاتها.

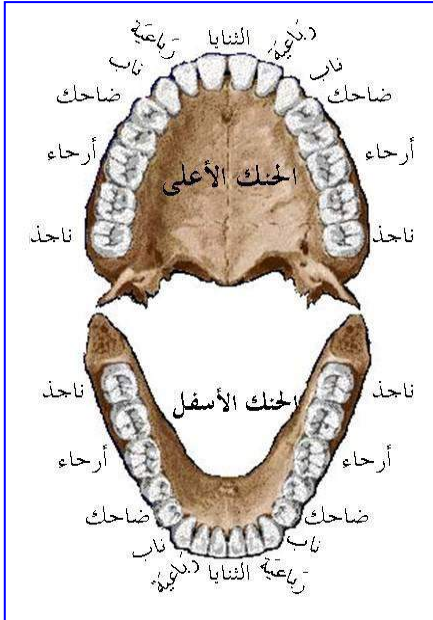
١- المصطلح الأول للأسنان: (الأسنان):

استعمل سيويوه: (أصول ما اللام فوقه من

الأسنان)، يعني مَنَابِتَ الأسنان العليا الأمامية، في التعبير عن استئالة مخرج الضاد إلى مخرج الطاء والبدال والتاء، قال: "وقد تدغم الطاء والتاء والبدال في الضاد؛ لأنها اتصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت فوقه أصول ما اللام من الأسنان، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها؛ لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مُطَبَّقة".^(١)

ودار أبو علي الفارسي حول عبارة سيويوه

مستعملاً لفظ: (أصول الثنايا).^(١)



(١) الكتاب ٤/٦٥.

استعمل الكندي: (مقاديم الأسنان)، و(مُقَدَّم الأسنان)، و(الأسنان العليا)، و(مقاديم الأسنان العليا) و(صُعْدَ مقاديم الأسنان) كأجزاء مشاركة مع طرف اللسان في إنتاج أكثر الأصوات الأمامية، وهي: الدال والطاء، والصاد والزاي والسين، والظاء والذال والطاء، والنون.^(٢)

واستعمل: (مقاديم الأسنان) كجزء مشارك في الضاد، قال: "نقول في نعت الضاد: تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الأسنان، وإخراج النفس من وسط اللسان على الأرحية وجانبي الشدق".^(٣)

وهذا الوصف الدقيق للضاد يلتقي مع وصف سيويه- الذي تقدم فوق- من حيث وضع طرف اللسان، ويلتقي معه في أنه جعل الضاد يخرج صوتها من جانب وسط اللسان، أي من حافة اللسان.

واستعمل: (الأسنان العليا) كجزء مشارك مع الشفة السفلى في إنتاج الفاء.^(٤) وذكر أن نَفَسِي السين والزاي يخرجان من: (بين الأسنان)، في السين خفياً يسيراً، وفي الزاي خروجاً يسيراً بزمزمة.^(٥)

والزمزمة في أحد معانيها اللغوية: الصوت البعيد تسمع له دويّاً، والعصفور يَزُمُّ بصوت له ضعيف، وكبار الزنابير تزم أيضاً.^(٦)

كل هذا يرجح أن الكندي لاحظ أثر اهتزاز الأوتار الصوتية في الزاي دون السين.

وذكر الكندي أن نَفَسِي الصاد والفاء يخرجان من: (بين الأسنان العليا).^(٧)

(١) الحجة ٤٩/٦ - ٥٠.

(٢) رسالة في اللثغة ص ٥٢٤ - ٥٢٨.

(٣) المرجع السابق ص ٥٢٨.

(٤) المرجع السابق ص ٥٢٦.

(٥) المرجع السابق ص ٥٢٥ - ٥٢٦.

(٦) لسان العرب ٢٧٤/١٢ (ز م م).

(٧) رسالة في اللثغة ص ٥٢٦.

واستعمل ابن سينا: (طرف الأسنان) كعضو حابس للثاء عند خروجها. ^(١)

واستعمل: (خلل الأسنان) في نفاذ هواء الشين، وهواء حروف الصفير (الصاد والسين والزاي)، وهواء الحروف اللثوية (الطاء والثاء والذال)، وكجزء مشارك في هواء الزاي الشينية، وهواء الجيم التي تضرب إلى شبه السين. ^(٢)

واستعمل: (مضايق خلل الأسنان) في إطلاق هواء الجيم بعد الحبس التام. ^(٣)

واستعمل: (المنافذ الضيقة بين خلل الأسنان) في نفاذ هواء الزاي. ^(٤)

والخلل في أصله اللغوي يدل على دقة، أو فرجة بين الشيئين. ^(٥)

واستعمل ابن سينا أيضاً: (الفرج التي بين الأسنان) في نفاذ هواء السين. ^(٦)

والفرج في أصلها اللغوي تدل على تفتح في شيء، من ذلك الفرجة في الحائط: الشق. ^(٧)

واستعمل: (ما بين تماس أطراف الأسنان) في نفاذ هواء الثاء. ^(٨)

٢- المصطلح الثاني للأسنان: (الجِرمُ الصلب):

استعمل ابن سينا: (الجرم الصلب) كناية عن الأسنان الأمامية عندما وصف خروج الطاء والذال والثناء. ^(٩)

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٢.

(٢) المرجع السابق: الشين ص ٧٤، وحروف الصفير واللثة ص ٧٧-٨١، والزاي الشينية ص ٨٩، والجيم التي تضرب إلى شبه السين ص ١٢٨.

(٣) المرجع السابق ص ١١٩.

(٤) المرجع السابق ص ٧٧-٧٨.

(٥) مقاييس اللغة ص ٢٨٦-٢٨٧ (خ ل ل).

(٦) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٠-١٢١. واستعمله لهواء السين.

(٧) مقاييس اللغة ص ٨١٥ (ف ر ج).

(٨) أسباب حدوث الحروف ص ٨٠. واستعمله لهواء الثاء.

(٩) المرجع السابق ص ١٢٢.

الألفاظ المستعملة لأجزاء الأسنان:

١ - القسم الأول من أجزاء الأسنان: (الثنايا):

عددها أربع اثنان من فوق واثنان من تحت:

الثنايا لفظ واسع كبير يقرب أن يكون مرادفاً للأسنان الأمامية، استعمله أصحاب المدرسة النقلية ليدلُّوا على مخارج الأصوات الأمامية وكيفية خروج هواء الحروف، واستعمل للثنايا عدة مصطلحات، منها:

١ - (الثنايا).
٢ - (أصول الثنايا).

١ - المصطلح الأول للثنايا: (الثنايا):

ذكر سيبويه أن اللام والنون "ارتفعتا عن الثنايا، فلم تجدا منفذاً".^(١) يعني سُدَّ مجرى الصوت لاعتماد طرف اللسان فيهما على الحنك.

وذكر الأخفش أن "أكثر الحروف تكون بين الثنية والضرس، وإنما يجاوز الثنية من الحروف أقلُّها".^(٢)

وذكر ابن كيسان أن "اللام مائلة إلى حافة اللسان عن موضع النون، تنحرف عن الضاحك والناب والرباعية، حتى تخالط الثنايا".^(٣)

٢ - المصطلح الثاني للثنايا: (أصول الثنايا):

من المشترك اللفظي، سيأتي ذكره في الألفاظ المستعملة لمنابت الثنايا العليا.

(١) الكتاب ١٧٥/٤.

(٢) القوافي ص ٦.

(٣) نقل ذلك عنه مكِّي في الرعاية ص ٢٤٤.

أقسام الثنايا العليا والسفلى والألفاظ المستعملة لذلك:

فُسِّمَت الثنايا العليا والسفلى إلى عدة أجزاء استعملها العلماء صوتياً، منها:

١- السطح الداخلي للثنايا: (باطن الثنايا).

٢- منابت الثنايا العليا:

أ- (بين السنتين). ب- (أصول الثنايا). ج- (أصول ما اللام فوقه من الأسنان).

د- (أصول الثنايا العُلَى). هـ- (أصول الثنايا العليا).

و- (أصول الثنايا العليا مصَعَّداً إلى الحنك). ز- (أصول الثنايا العُلَى مصَعَّداً إلى الحنك).

ح- (أصول الثنيتين). ط- (أصول الثنيتين من العليين).

ي- (أعلى الثنيتين). ك- (أطراف الثنايا). وهو من المشترك اللفظي.

٣- رأس الثنايا العليا: (أطراف الثنايا).

٤- بين الثنايا العليا والسفلى: أ- (بين الثنايا). ب- (حروف الثنايا). ج- (فويق الثنايا).

د- (مما بين الثنايا). هـ- (أسفل من أصول الثنايا قليلاً مما بين الثنايا).

٥- رأس الثنايا السفلى: (طرف الثنايا السفلى).

٦- منابت الثنايا السفلى: (أصول الثنايا)، وهو من المشترك اللفظي.

القسم الأول من أقسام الثنايا: الجدار الداخلي للثنايا:

استعمل للجدار الداخلي للثنايا لفظ واحد هو: (باطن الثنايا).

استعمل الخليل: (باطن الثنايا)، أي: الجدار الداخلي لها، في رسم حدود الحروف التي

ارتفعت فوق ظهر اللسان، في تعليل صوتي لتمييز اللام والنون والراء عن غيرها من حروف

اللسان، واختصاصها بالذلاقة في المنطق. (١)

القسم الثاني من أقسام الثنايا: منابت الثنايا العُلَى:

١- المصطلح الأول لمنابت لثنايا العليا: (بين الثنيتين):

(١) العين ٥٢/١.

استعمل سيبويه: (بين الثنيتين) في وصف أين يوضع اللسان في مخرج الطاء، قال: "لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين"^(١)، وقد ذكر سيبويه في المخارج أن الطاء تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وعليه فإنني أرحح أن يكون المقصود ب: (بين الثنيتين) أصول الثنايا العليا.

٢- المصطلح الثاني لمنابت لثنايا العليا: (أصول الثنايا):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على أساس الشيء^(٢)، وكثير حتى قيل أصل كل شيء: ما يستند لوجود ذلك الشيء إليه، فالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول.^(٣)

١- المعنى الأول ل: (أصول الثنايا) = منابت الثنايا العليا:

استعمل: (أصول الثنايا) في أكثر من معنى، منها:

١- منابت الثنايا العليا: وشاركه في هذا المعنى عدة مصطلحات مرتبطة به، منها: (أصول الثنايا العُلَى) - (أصول الثنايا العليا) - (أصول الثنايا العليا مصعداً إلى الحنك) - (أصول الثنايا العُلَى مصعداً إلى الحنك) - (أصول الثنيتين) - (أصول الثنيتين من العليين).

٢- الثنايا، وبهذا المعنى نسبت إليها كل حروف الثنايا: (الطاء والذال والتاء)، و(الصاد والسين والزاي)، و(الظاء والذال والتاء).

استعمل سيبويه: (أصول الثنايا) كعضو مشارك مع طرف اللسان في إنتاج الطاء والذال والتاء، قال: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والتاء"^(٤). ويعنى بها منبتي الثنيتين العليين.

(١) الكتاب ٤/٤٦٥. و مصطلح: (التطأطؤ).

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٢ (أ ص ل).

(٣) المصباح المنير ص ١٦.

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣.

تابعه: ابن دريد^(١)، والزجاجي^(٢)، وابن جني^(٣)، والسعيدي^(٤)، ومكي^(٥)،
والخفاجي^(٦).

وزاد المبرد على لفظ سيويه: (مُصَعَّدًا إِلَى الحنك).^(٧)

وزاد الزجاج على لفظ سيويه: (العليا).^(٨)

وتابع الزجاج على زيادته: النحاس^(٩)، والداني^(١٠)، وأبو البركات ابن الأنباري^(١١).

وجمع الداني في موضع آخر بين زيادتي المبرد والزجاج، يعنى: (أصول الثنايا العليا
مصعداً إلى الحنك).^(١٢)

وتابع القرطبي الداني بلفظ: (أصول الثنايا العُلَى مُصَعَّدًا إِلَى الحنك).^(١٣)

وزاد المبرد على لفظ سيويه: (العُلَى).^(١٤)

وتابعه: الزجاج^(١٥)، والهمداني^(١٦).

(١) الجمهرة ٨/١.

(٢) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

(٣) سر صناعة الإعراب ٤٧/١.

(٤) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٣.

(٥) الرعاية ص ١٩٨ و ٢٠١ و ٢٠٤.

(٦) سر الفصاحة ص ١٩.

(٧) المقتضب ٣٢٩/١.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١٥٥/٢.

(٩) إعراب القرآن ١٠/٢.

(١٠) الإدغام الكبير ص ٥٤.

(١١) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(١٢) التحديد ص ١٠٣.

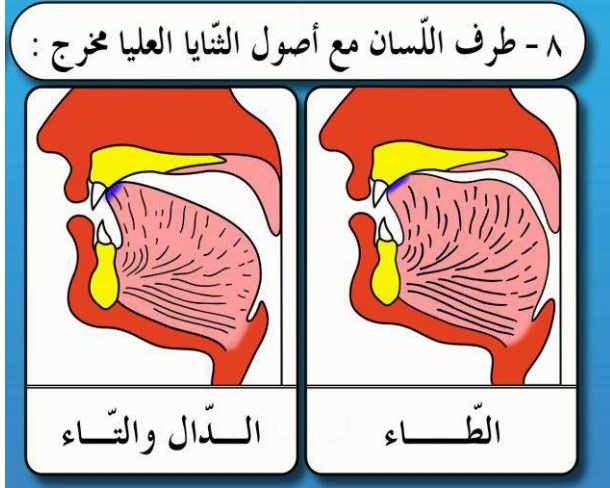
(١٣) الموضح في التجويد ص ٧٩.

(١٤) المقتضب ٣٠٩/١.

(١٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٤/٤.

(١٦) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٧.

واستعمل سيبويه: (أصل الثنايا) كمخرج للطاء والذال والتاء، في محاولة لتحديد مكان خروج الصاد والسين والزاي، قال: "والطاء والذال والتاء يدغمن كلهن في الصاد والزاي والسين، لقرب المخرجين؛ لأنهن من الثنايا وطرف اللسان، وليس بينهن في الموضع إلا أن الطاء وأختيها من أصل الثنايا، وهن من أسفله قليلاً مما بين الثنايا".^(١)



واستعمل الأخفش: (أصول الثنيتين) كجزء مشارك مع طرف اللسان في مخرج التاء.^(٢)

وزاد ابن الطحان: (من العليين) في وصف مخرج الطاء والذال والتاء.^(٣)

وهذه الألفاظ مع كثرتها إنما تصف مكاناً واحداً، ويمثل الشكل المجاور دور منابت الثنايا العليا في مخرج الطاء والذال والتاء، والمنطقة المظللة الزرقاء من طرف اللسان هي منطقة التقاء عضوي النطق. قارن هذا الرسم بالألفاظ التي جاءت لوصفه.

وذكر الأخفش أن مخرج اللام بطرف اللسان قريباً من أصول الثنايا.^(٤)

واستعمل المبرد: (أصول الثنايا) في تحديد مخرج اللام، قال: "وتخرج اللام من حرف اللسان معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات".^(٥)

واستعمل ابن دريد: أصول الأضراس إلى أصول الثنايا العليا مع جنب اللسان الأيمن

(١) الكتاب ٤/٤٦٢ - ٤٦٣.

(٢) معاني القرآن ١/٢٣٨.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٦.

(٤) معاني القرآن ٢/٧٣٥.

(٥) المقتضب ١/٣٢٩. ومعنى: (حرف اللسان): طرفه، و(المعارض) هي المقابلة. وكلام المبرد يجعل اللسان في مخرج اللام معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات فقط دون ما ذكره سيبويه من اشتراك الضواحك والأنياب معها. (الكتاب ٢/٤٠٥ بولاق).

في التعبير عن مخرج الصاد والسين والزاي. ^(١) ومن خلال تجاربي الصوتية على جهاز راسم الحنك الكهربائي (Palatometer) أظهرت النتائج في هذه الحروف تلامس حواف اللسان مع حواف الحنك عند الأضراس، ويمتد هذا التلامس إلى أن يصل إلى اللثة عند الأسنان الأمامية. فإذا كان هذا مقصود ابن دريد فيعدُّ سبقاً له، غير أن المشكل في كلامه خصُّه الجنب الأيمن من اللسان، والله أعلم بمراده.

واستعمل مكّي: (أصول الثنايا العليا) في وصف سبب ضعف الإطباق في الظاء. ^(٢)

ونقل عبارته القرطبي مستعملاً: (العَلِي). ^(٣)

٢- المعنى الثاني لـ (أصول الثنايا) = الثنايا:

استعمل أبو علي الفارسي: (أصول الثنايا) في نسبة التاء، والصاد، والذال، والتاء إليها. ^(٤)

ولقب كل الحروف التي تخرج من الثنايا بـ: (حروف طرف اللسان وأصول الثنايا). ^(٥) والذي يؤيد أنه يعنى الثنايا دون منطقة محددة منها أنه أثبت في موضع آخر التفاوت في مخارج هذه الحروف، فقال عن الظاء والذال والتاء: إنها (أخرج من الفم)، أي: إلى خارج الفم؛ لأن جزءاً من طرف اللسان يكون إلى الخارج. وقال عن الطاء والذال والتاء والصاد والسين والزاي: (إنها أدخل في الفم). ^(٦)

وقال عن السين والتاء إنهما يشتركان في طرف اللسان وأصول الثنايا. ^(٧)

(١) الجمهرة ١/٨.

(٢) الرعاية ص ١٢٣.

(٣) الموضح ص ٩٠.

(٤) الحجة ٣/٢٧٥ و ٤٩/٦.

(٥) المرجع السابق ٢/٣٦٧ و ٣/١١٩ و ٥/٣٤١ و ٦/٤٩، والتكملة ص ٢٧٩.

(٦) الحجة ٥/٢٠٣.

(٧) المرجع السابق ٣/١١٩.

وهذه يدل على أن أبا علي الفارسي - ومع كونه ألقى العلماء بكتاب سيوييه - لم يعترف بتقسيم سيوييه للثنايا، بل جعلها كلها تحت لفظ واحد هو: (أصول الثنايا)، والله أعلم.

٣- المصطلح الثالث لمنابت الثنايا العليا: (أعلى الثنيتين):

استعمل سيوييه: (انفراج أعلى الثنيتين) كمنفذٍ لصوت الشين التي يُضَارَعُ بها الزاي في: (أشدد).^(١) وهو يعني بهذا أصول الثنايا العليا؛ لأنه قال في موضع آخر عن الشين: "والشين لا تُدغم في الجيم؛ لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء".^(٢) ومن المعلوم أن الطاء عند سيوييه تخرج من أصول الثنايا العليا.

وذكر الفارسي في أن الشين يستطيل صوتها حتى يخالط أعلى الثنيتين^(٣). وهو حاصل كلام سيوييه.

٤- المصطلح الرابع لمنابت الثنايا العليا: (أطراف الثنايا):

من أصله اللغوي أن يدل على حد الشيء وحرفه، فمنه طرف الشيء والثوب والحائط^(٤)، وطرف الشيء ناحيته، والجمع أطراف.^(٥)

استعمل: (أطراف الثنايا) في معنيين:

أ- رأس الثنايا العليا، وبهذا المعنى استعمل في أكثر من موطن صوتي، منها:

١- جزء مشارك في مخرج الطاء والذال والطاء.

٢- جزء مشارك في مخرج الفاء.

٣- جزء مشارك في مخرج الصاد والسين والزاي.

ب- منابت الثنايا العليا، واستعمل في اللام.

(١) الكتاب ٤/٤٧٩.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٤٨.

(٣) الحجة ١/٥٥، و١٣٣.

(٤) مقاييس اللغة ص ٦٠٩ (ط ر ف).

(٥) المصباح المنير ص ٣٧١.

١- المعني الأول لـ (أطراف الثنايا) = رأس الثنايا العليا:

١- الموطن الأول لأطراف الثنايا = جزء مشارك في مخرج الظاء والذال والثاء.

استعمل سيويه: (أطراف الثنايا) كعضو مشارك مع طرف اللسان في إنتاج الظاء والذال والثاء.^(١)

وقول سيويه عام ربما يشمل الثنايا جميعاً، العليا والسفلى؛ فظَهَرُ طرف اللسان يلامس العليا، وبطن طرفه يلامس السفلى.

ولا يظن ظان أن الأطراف عند سيويه هي من جهة اللثة، فهذه تسمى: (أصول الثنايا) عنده، وهي مخرج للطاء والذال والثاء، وقد أثبت سيويه التفاوت بين: حروف الأصول، وحروف فويق الثنايا، وحروف أطراف الثنايا، كما سيأتي في مصطلح: (فويق الثنايا).^(٢)

وفي موضع آخر ذكر أن الظاء والذال والثاء من أطراف الثنايا، وقاربن من المخارج مخرج الفاء^(٣) وليس بعد هذا بيان.

تابع سيويه: ابن دريد^(٤)، والرماني^(٥)، وابن جني^(٦).

وخصص المبرد لفظ سيويه، وزاد: (العليا).^(٧)

وتابع المبرد: الخفاجي^(٨)، والسعيد^(٩)، والبدائي^(١)، وأبو البركات ابن الأنباري^(٢).

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) من الغريب أن يفهم بعض الدارسين ذلك مجرد أن الخليل لقب الظاء والذال والثاء بالثوية، فظن أن مخرجها من جهة اللثة. قال الفارسي في الحجة ٢٠٣/٥ عن الظاء والذال والثاء: إنها (أخرج من الفم)، أي: إلى خارج الفم؛ لأن جزءاً من طرف اللسان يكون إلى الخارج. وقال عن الظاء والذال والثاء والصاد والسين والزاي: (إنها أدخل في الفم).

(٣) الكتاب ٤/٤٥٨.

(٤) الجمهرة ١/٨.

(٥) شرح كتاب سيويه ل ١٩١/ب.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٤٧.

(٧) المقتضب ١/٣٢٩.

(٨) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٩) التنبيه على اللحن والجلي والخفي ص ٥١.

وخصص الزجاج لفظ سيويه، وزاد: (العلی).^(٣)

وتابع الزجاج: ابن خالويه^(٤)، ومكي^(٥)، والقرطبي^(٦).

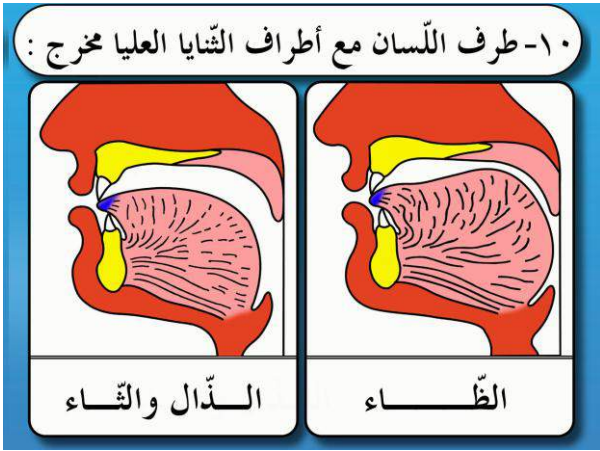
وقيد ابن الطحان الأندلسي لفظ سيويه بقوله: "ومن طرفه وما يليه من أطراف

الثنایا، علیها وسفلاها، تخرج الظاء والثناء والذال".^(٧)

وهذا الوصف بهذا التقييد من أدق النصوص التي أطلعت عليها عند المتقدمين؛ إذ ذكر

فيه دور الثنایا جميعاً في مخرج هذه الحروف، دون أن يقتصَر هذا الدور على الثنایا العليا فقط

كما فعل الباقون.



ويمثل الشكل المجاور دور رأسی الثنایا العليا والسفلی في مخرج الظاء والذال والثناء.

وذكر سيويه انحراف طرف اللسان

إلى أطراف الثنایا في الظاء والذال والثناء.^(٨)

وتابعه: مكي، واستبدل بأطراف

الثنایا: (أصول الثنایا العليا).^(٩)

وتابع القرطبي مكيًا، واستبدل بأطراف الثنایا: (أصول الثنایا العلی).^(١٠)

(١) التحديد ص ١٠٣، والإدغام الكبير ص ٥٤.

(٢) أسرار العربية ٢٠٨.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٤/٤.

(٤) الحجة ص ٢٩٢.

(٥) الرعاية ص ٢٢٠.

(٦) الموضح ص ٧٩.

(٧) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٩.

(٨) الكتاب ٤٦٢/٤.

(٩) الرعاية ص ١٢٢.

(١٠) الموضح ص ٩٠.

وعبارة سيويه ظاهرة لم يعد ما قاله في المخارج عن هذه الحروف. ولا أدري ما الذي حمل مكياً القرطبي من بعده على استعمال: (أصول الثنايا العليا أو العلى) بدلاً من: (أطراف الثنايا) مع متابعة كل منهما لوصف سيويه عند الحديث عن مخرج الظاء والذال والهاء؟!

يبدو لي - على سبيل التخمين لا التحقيق - أن مكياً قد تأثر في ذلك بأبي علي الفارسي، الذي لم يلتزم بتقسيم سيويه للثنايا (أصول، ومما بين، وأطراف)؛ بل اختزل هذه الثلاثة في لفظ: (أصول الثنايا)، مكان مكى متابعاً، ونقل القرطبي ذلك منه؛ لأن كتاب الرعاية من أصول كتاب القرطبي، والله أعلم.

١- الموطن الثاني لأطراف الثنايا=جزء مشارك في مخرج الفاء

استعمل سيويه^(١) أيضاً: (أطراف الثنايا العلى) كعضو مشارك مع باطن الشفة السفلى في الفاء.

وتابعه: المبرد^(٢)، والرماني^(٣)، وابن جني^(٤)، والقرطبي^(٥)، والهمداني^(٦).

واستبدل المبرد في موضع آخر: (العلى) ب: (العليا).

وتابعه: ابن دريد^(٧)، والفارسي^(٨)، والزجاجي^(٩)، والسعيدي^(١٠)، ومكي^(١١)،

والداني^(١٢)، والخفاجي^(١)، وأبو البركات ابن الأنباري^(٢).

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) المقتضب ١/٣١٠، و٣٤٣.

(٣) شرح كتاب سيويه ل ١٩١/أ.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٤٨.

(٥) الموضح في التجويد ص ٧٩.

(٦) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٨.

(٧) الجمهرة ١/٨.

(٨) الحجة ٦/٨.

(٩) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

(١٠) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٥١.

(١١) الرعاية ص ٢٢٧.

(١٢) التحديد ص ١٠٩، والإدغام الكبير ص ٧٨.

وتابع ابن الطحان سيويه، واستبدل ب: (الثنايا العلى): (الثنيتين العليين).^(٣)

٣- الموطن الثالث لأطراف الثنايا = جزء مشارك في مخرج الصاد والسين والزاي:

استعمل المبرد: (أطراف الثنايا) في مخرج الصاد والزاي والسين، منبهاً على ترك فرجة بينهن وبين الثنايا، ومُفَرِّقاً في الوقت نفسه بينها وبين الظاء والذال والشاء، التي تشترك معها في أطراف الثنايا، لكن تختلف بوضع طرف اللسان، قال: "وحروف الصفيير من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ولهن انسلال عند التقاء الثنايا؛ لما فيهن من الصفيير. وتجاورهن الظاء والذال والشاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا، إلا أن هذه الحروف [الطاء والذال والشاء] يلصق اللسان لها بأطراف الثنايا".^(٤)

٢- المعنى الثاني لـ (أطراف الثنايا) = منابت الثنايا العليا:

استعمل الرماني: (أطراف الثنايا) بمعنى أصول الثنايا من جهة اللثة في شرحه لمخرج اللام، قال: "ومن أدها [حافة اللسان] إلى أطراف الثنايا مخرج اللام".^(٥)

القسم الثالث من أقسام الثنايا: رأس الثنايا العليا:

استعمل لرأس الثنايا العليا لفظ واحد هو: (أطراف الثنايا):

وهو من المشترك اللفظي. تقدم.

القسم الرابع من أقسام الثنايا: بين الثنايا العليا والسفلى:

استعمل للمنطقة الواقعة بين الثنايا العليا والسفلى عدة ألفاظ، منها:

١- (بين الثنايا). ٢- (فويق الثنايا). ٣- (حروف الثنايا).

١- المصطلح الأول لما بين الثنايا العليا والسفلى: (بين الثنايا):

(١) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٢) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٢٠.

(٤) المقتضب ١/٣٠٩.

(٥) شرح كتاب سيويه ل ١٩١/أ.

استعمل: (بين الثنايا) بمعنى بين الثنايا العليا والسفلى في موطنين:
١ - منفذٍ لهواء بعض الأصوات. ٢ - جزء مشارك في مخرج الصاد والسين والزاي.

١ - الموطن الأول ل (بين الثنايا) = منفذٌ لهواء بعض الأصوات:

ذكر سيويه أن الصاد والزاي والطاء والذال تجد المنفذ لصوتها من بين الثنايا^(١)،
وكذلك السين والشين ينسلان من بين الثنايا.^(٢)

٢ - الموطن الثاني ل (بين الثنايا) = جزء مشارك في مخرج الصاد والسين والزاي:

استعمل سيويه لفظ: (بين الثنايا) لتبيين مخرج الصاد والسين والزاي، قال في تحديدها:
"وليس بينهن في الموضع إلا أن الطاء وأختيها من أصل الثنايا، وهن من أسفله قليلاً مما بين
الثنايا".^(٣)

فقوله: (من أسفله) يدل دلالة واضحة على أنه لا يعني مكاناً من الحنك يكون فوق
الثنايا، بل من أسفل أصول الثنايا، من أسفل مخرج الطاء والذال والطاء، وهذا الأسفل هو فوق
الثنايا السفلى أو بين الثنايا العليا والسفلى.

وقد ذكر سيويه في موضع ثان أن الصاد والسين والزاي، والطاء والذال والطاء أخوات
من حيز واحد، "والذي بينهما من الثنيتين يسير".^(٤)

وأشار إشارة خفية في موضع ثالث إلى أن مخرج الصاد والسين والزاي يقع بين مخرجي
الطاء والذال والطاء، والطاء والذال والطاء، قال: "والطاء والذال والطاء أخوات الطاء والذال
والطاء، لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام؛ لأنهن من حيز واحد، وليس بينهن إلا ما بين
طرف الثنايا وأصولها".^(٥) فالذي يقع بينهن هو مخرج الصاد وأختيها، والله أعلم.

(١) الكتاب ١٧٤/٤.

(٢) المرجع السابق ٣٠٦/٤.

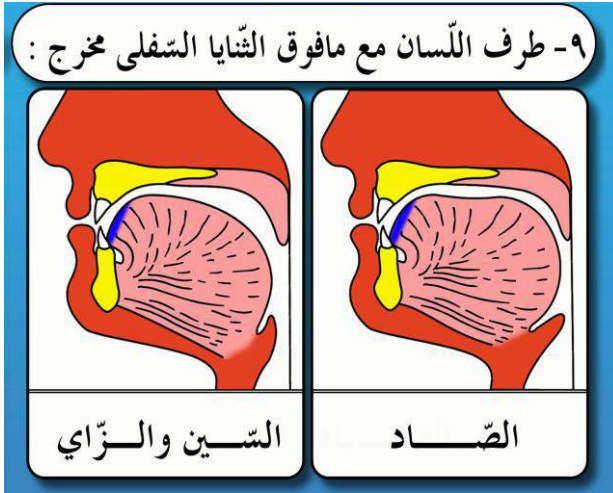
(٣) المرجع السابق ٤٦٢/٤ - ٤٦٣.

(٤) المرجع السابق ٤٦٤/٤.

(٥) المرجع السابق ٤٦٤/٤.

تابع سيوييه على (مما بين الثنايا): الأزهري^(١)، وابن جني^(٢)، والخفاجي^(٣)،
والهمداني^(٤).

وذكر الداني أن الصاد والسين والزاي تخرج من الفرجة التي بين طرف اللسان والثنايا
العليا^(٥).



ويمثل الشكل المجاور دور المنطقة الواقعة بين الثنايا العليا والسفلى في مخرج الصاد والسين والزاي، والمنطقة المظلمة الزرقاء من طرف اللسان هي منطقة التقاء عضوي النطق. في مخرج الصاد والسين والزاي إنما هو بالنظر إلى المخرج من زاوية معينة، لكن المعنى واحد.

٢- المصطلح الثاني ل بين الثنايا العليا والسفلى: (فويق الثنايا):

(فويق) تصغير (فوق)، ويعنى بها القرب الشديد أو المحاذاة الشديدة.

استعمل سيوييه: (فويق الثنايا)، وهو من المشترك اللفظي، بمعنيين:

١- فوق الثنايا السفلى، أو بين الثنايا العليا والسفلى، وهذا جعله لوصف مخرج الصاد والسين والزاي.

٢- فوق الثنايا العليا من جهة اللثة، وهذا جعله لوصف مخرج النون واللام، وبعض العلماء استعمله للراء.

(١) معاني القراءات ١/١١١.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٤٧.

(٣) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٤) التمهيد ص ٢٧٧.

(٥) التحديد ص ١٠٣.

١- المعنى الأول لـ (فويق الثنايا) = فوق الثنايا السفلى، أو بين الثنايا العليا والسفلى:

دارت عبارات العلماء في مخرج الصاد والزاي والسين على لفظي سيبويه، أعنى: (فويق الثنايا) أو: (مما بين الثنايا). وتقدم استعمال: (بين الثنايا)، وحنان دور (فويق الثنايا).

استعمل سيبويه أيضاً لفظ: (فويق الثنايا) كجزء مشارك مع طرف اللسان في مخرج الصاد والسين والزاي، قال: "ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الصاد والزاي والسين".^(١)

تابعه على (فويق الثنايا): الرماني.^(٢)

تابع ابن السراج سيبويه، وزاد: (السفلى).^(٣)

وتابع ابن السراج: الزجاجي^(٤)، والسعيدى^(٥)، ومكي^(٦)، وأبو البركات ابن الأنباري.^(٧)

٢- المعنى الثاني لـ (فويق الثنايا) = فوق الثنايا العليا من جهة الحنك الأعلى:

قال سيبويه في وصف مخرج النون: "ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون".^(٨) يعنى: فوق الثنايا العليا من الحنك.

وتابعه: الزجاجي^(٩)، والرماني^(١٠)، وابن جني^(١١)، ومكي^(١)، والداني^(٢)، والقرطبي^(٣) والقرطبي^(٣)، وأبو البركات ابن الأنباري.^(٤)

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ.

(٣) الأصول ٣/٤٠٠.

(٤) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

(٥) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٥١.

(٦) الرعاية ص ٢٠٩.

(٧) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(٨) الكتاب ٢/٤٠٥ نسخة بولاق.

(٩) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

(١٠) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ.

(١١) سر صناعة الإعراب ١/٤٧.

وتابع الخفاجي سيبويه، واستعمل: (ما فوق الثنايا).^(٥)

وتابع الهمذاني سيبويه، وزاد: (العُلَى).^(٦)

واستعمل سيبويه: (فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية) في وصف مخرج اللام.^(٧)

ويعنى بـ: (فويق الضاحك.. الخ): ما يجاور هذه الأسنان من جلدة الحنك الأعلى.

وتابعه: القرطبي^(٨)، والهمذاني.^(٩)

واستعمل الداني: (فويق الثنايا) كجزء مشارك مع طرف اللسان في مخرج الراء.^(١٠) وهو

حاصل كلام سيبويه؛ لأن سيبويه قال في وصف الراء: "ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان...".

٣- المصطلح الثالث لـ بين الثنايا العليا والسفلى: (حروف الثنايا):

من المشترك اللفظي.

استعمل لفظ: (حروف الثنايا) بمعنيين:

١- الحروف التي تشترك الثنايا مع طرف اللسان في خروجها. ٢- بين الثنايا العليا والسفلى.

(١) الرعاية ص ٢٦٧.

(٢) التحديد ص ١٠٣.

(٣) الموضح في التجويد ص ٧٩.

(٤) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(٥) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٦) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٧.

(٧) الكتاب (بولاق) ٤٠٥/٢.

(٨) الموضح في التجويد ص ٧٨.

(٩) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٧.

(١٠) التحديد ص ١٠٣.

١- المعنى الأول لـ حروف الثنايا = الحروف التي تشترك الثنايا مع طرف اللسان في خروجها:

لقب سيبويه الحروف التي تخرج من الثنايا بـ: (حروف الثنايا)، وهي: (الطاء والذال والتاء)، و(الصاد والسين والزاي)، و(الطاء والذال والتاء).^(١)
وتابعه: الأخفش^(٢)، والرماني.^(٣)

٢- المعنى الثاني لـ حروف الثنايا = بين الثنايا العليا والسفلى:

ذكر المبرد أن الصاد والسين والزاي يخرجن من طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا، وهي حروف تنسلُّ انسلالاً.^(٤)

يعنى بـ: ملتقى حروف الثنايا: ما بين أطراف الثنايا العليا والسفلى. وهو بذلك يتفق مع أحد قولي سيبويه في مخرج الصاد والسين والزاي، كما سيأتي. وقد صرح المبرد بلفظ: (أطراف الثنايا) في موضع آخر، كما تقدم في: (أطراف الثنايا).

القسم الخامس من أقسام الثنايا: رأس الثنايا السفلى:

استعمل القرطبي: (طرف الثنايا السفلى) كجزء مشارك مع طرف اللسان في إنتاج الصاد والسين والزاي.^(٥)

القسم السادس من أقسام الثنايا: منابت الثنايا السفلى:

استعمل لمنابت الثنايا السفلى لفظ واحد هو (أصول الثنايا السفلى).

(١) الكتاب ٤/٤٦٢ و ٤٦٥، و٤٦٦.

(٢) معاني القرآن ١/٢٨٣.

(٣) شرح كتاب سيبويه لـ ٢٠٢/أ.

(٤) معاني القرآن ١/٢٨٣.

(٥) الموضح في التجويد ص ٧٩.

استعمل الداني: (أصول الثنايا السفلى) كجزء مشارك مع طرف اللسان في خروج الصاد والسين والزاي^(١) وهذا بالنظر إلى وضع رأس اللسان حيث يلصق بالثنايا السفلى كما في الشكل الذي تقدم عن الصاد والسين والزاي.

٢- القسم الثاني من أجزاء الأسنان: الرباعيات:

بعد الثنايا، أربع: اثنان من فوق واثنان من تحت.

واحدة: (الرباعية)، بلا تشديد للياء.^(٢)

مضى استعمال سيبويه والمتابعين له ل: (فويق الرباعية) كجزء مشارك في مخرج اللام في (فويق الثنايا).

واستعمل ابن سينا: (خلل الرباعيات) كمنفذ لهواء الجيم بعد انحباسه.^(٣)

٣- القسم الثالث من أجزاء الأسنان: الأنياب:

بعد الرباعيات، أربع: اثنان من فوق واثنان من تحت.

مضى استعمال سيبويه والمتابعين له ل: (فويق الناب) كجزء مشارك في مخرج اللام في مصطلح: (فويق الثنايا).

٤- القسم الرابع من أجزاء الأسنان: الأضراس:

الأضراس يدل أصلها اللغوي على قوة وخشونة، وبهذا تعلق على باقي الأسنان.^(٤)

عدد الأضراس ستة عشر ضرساً، الأربعة الأولى تسمى: الضواحك، اثنان من فوق واثنان من تحت. وما بقى منها وهي اثنا عشر ضرساً؛ فيقال لها الأرحاء، ستة من فوق، وستة من تحت. واستعملت جميعها صوتياً.

(١) الإدغام الكبير ص ٥٤.

(٢) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٨٠، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣٧٧.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ١١٧.

(٤) مقاييس اللغة ص ٥٨٨ (ض ر س).

استعمل سيويه: (الأضراس) كجزء مشارك مع حافة اللسان في وصف مخرج الضاد.^(١)

وتابعه: الزجاجي^(٢)، وابن جني^(٣)، ومكي^(٤)، والدايني^(٥)، والقرطبي^(٦)، والخفاجي^(٧)، والهمذاني^(٨).

وذكر سيويه أن الضاد تجد المنفذ لصوتها من بين الأضراس.^(٩)

وتقدم استعمال ابن دريد لـ: (أصول الأضراس) كجزء مشارك مع أصول الثنايا وجانب اللسان، في التعبير عن مخرج الصاد والسين والزاي.

وذكر ابن جني أن الأضراس العليا والسفلى تشارك في مخرج الياء، قال: "أما الياء فتجد معها الأضراس سُفْلاً وَعُلُوّاً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته...".^(١٠)

القسم الأول من الأضراس: الضواحك:

بعد الأنياب، أربع: اثنان من فوق واثنان من تحت:

أول الأضراس التي تبدو عند الضحك، ومن هنا اسمها، وهي أربعة أسنان بعد الأنياب، اثنان من فوق واثنان من أسفل.^(١١)

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٤٧.

(٤) الرعاية ص ١٨٤.

(٥) التحديد ص ١٠٣.

(٦) الموضح ص ٧٨.

(٧) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٨) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٧.

(٩) الكتاب ٤/١٧٤.

(١٠) سر صناعة الإعراب ١/٨.

(١١) العين ٣/٥٨، والجمهرة ٢/١٦٧.

وتسمى: النواجد^(١) أيضاً، قال الخليل: "النجد: شدة العض بالناجد وهو السن بين الأنياب والأضراس. وقول العرب: بدت نواجذه، إذا ظهر ذلك منه ضحكاً أو غضباً".^(٢)
مضى استعمال سيوييه والمتابعين له ل: (فويق الضاحك) كجزء مشارك في مخرج اللام في (فويق الشايبا).

٢- القسم الثاني من الأضراس: الأرحاء والأرحية:

بعد الضواحك، اثنا عشر رحي: ستة من فوق وستة من تحت.
الأرحاء، على التشبيه بجحر الرحي؛ لما كانت تطحن الطعام، يقال: رحا ورحيان، وثلاث أرح، وأرحاء كثيرة، والأرحية كأنها جمع الجمع.^(٣)
استعمل الكندي: (الأرحية) في الضاد كجزء مشارك مع وسط اللسان وجانبي شدة الفم.^(٤)

واستعمل: (جانبي الأرحية) كجزء مشارك مع اللسان في مخرج الجيم والياء والشين.^(٥)
و(أول الأرحية) كجزء مشارك مع جانبي اللسان في الكاف.^(٦)

العضو التاسع من أعضاء الصوت والنطق: الشفتان:

يدل أصلهما اللغوي على الإشراف على الشيء؛ لأن الشفتين تشفيان على الفم.^(٧)
تقدم أن الرازي عددهما من آلات الكلام.

(١) تطلق النواجد في اللغة على آخر الأضراس، وعلى الضواحك، وعلى كل الأضراس، والأول هو الأكثر الأشهر. العين ٩/٦، والجيم للشيباني ٢٧١/٣، والضحاح ٥٧١/٢، ولسان العرب ٥١٣/٣، والمصباح المنير ص ٥٩٣.

(٢) العين ٩٥/٦.

(٣) العين ٢٨٩/٣ - ٢٩٠، ومقاييس اللغة ص ٤٢٥ (رح ي).

(٤) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨.

(٥) المرجع السابق ص ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٧.

(٦) المرجع السابق ص ٥٢٥.

(٧) مقاييس اللغة ص ٥٠٩ (ش ف ي).

استعمل للشفيتين عدة ألفاظ، منها:

١- (الفم). ٢- (الشفتان). ٣- (آلة المرفوع). ٤- (الجرمان اللينان).

وقسمت إلى قسمين:

١- ظاهر الشفتين، يعنى ما التقى منهما عند الإطباق:

أ- (مما بين الشفتين). ب- (طرف الشفتين).

٢- السطح الداخلي الأملس للشفة السفلى:

أ- (باطن الشفة السفلى). ب- (الأجزاء اللينة من الشفة).

ج- (سطح الشفة). د- (سطح باطن الشفة). هـ- (أسفل الشفتين).

الألفاظ المستعملة للشفيتين:

١- المصطلح الأول للشفيتين: (الفم):

تقدم الحديث عن ذلك في: (الفم).

٢- المصطلح الثاني للشفيتين: (الشفتان).

٢- المصطلح الثاني للشفيتين: (الشفتان):

استُعملت الشفتان صوتياً، في أكثر من موطن صوتي، منها:

١- مخرج رئيس من مخارج النطق.

٢- جزء مشارك في الإشمام.

٣- مخرج خاص لبعض الحروف، وهي: الفاء، والباء، والميم، والواو.

٤- جزء مشارك في مخرج الحركات وحروف المد.

١- الموطن الأول للشفيتين = مخرج رئيس من مخارج النطق:

انظر المخارج الرئيسة للنطق.

٢- الموطن الثاني للشفيتين = جزء مشارك في الإشمام:

وهو الإشارة إلى الحركات المضمومة بضم الشفتين.

٣- الموطن الثالث: للشفتين = مخرج خاص لبعض الحروف:

لقب الخليل الفاء والباء والميم من الحروف الصحيحة ب: (الشفهية)^(١) مرة، ومرة ب: (الشفوية)، ونبه أن الشفتين لا تعمل في غير هذه الثلاثة من الصحاح، قال: "وثلاثة شفوية": (ف ب م)، مخرجها من بين الشفتين خاصة، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط".^(٢)

وما يفعله بعض القراء اليوم من إشراك عمل الشفتين في نطق بعض الأصوات كالصا د والسين والراء المفحمة شيء لا أساس له من الصحة بمقتضى نص الخليل، وبالله التوفيق.

تابع على التلقيب ب (الشفهية)، و(الشفوية) للثلاثة الأحرف: مكى.^(٣)

ولقب سيبويه الأصوات اللغوية التي تخرج من الشفتين ب: (حروف الشفتين)، وهي: الميم والباء والفاء والواو.

وتابعه: الرماني^(٤)، والداني.^(٥)

وب: (حروف الشفة): القرطبي.^(٦)

وذكر الداني أن ما يدغم من حروف الشفتين عند أبي عمرو بن العلاء البصري هو:

الفاء في الفاء. والباء في الباء والميم والفاء. والميم في الميم، وإخفاؤها عند الباء. والواو في الواو.^(٧)

وذكر الخليل أن الميم "آخر الحروف من الحيز الأول، وهو الحيز الشفوي".^(٨)

(١) العين ٥٨/١.

(٢) المرجع السابق ٥١/١.

(٣) الرعاية ١٤١-١٤٢.

(٤) شرح كتاب سيبويه ل ٢٠١/أ.

(٥) الإدغام الكبير ص ٧٨.

(٦) الموضح ص ١١٦.

(٧) الإدغام الكبير ص ٧٨.

(٨) العين ٤٢١/٨.

أظن أن الخليل يعد الجهاز النطقي طرفاً له نهايتان، أيهما افترضت أوله فطرفه الثاني نهايته، والعكس صحيح، فهو قد ابتدأ ترتيبه الصوتي في المخارج بالحلقة على أنه الحيز الأول فتكون الشفتان نهاية الأحياز، وافترض الشفتين هنا الحيز الأول، فيكون الحلقة نهايتها.

وذكر الجاحظ أن الميم والباء أول حرفين ينطقهما الطفل؛ لرؤيته عمل الشفتين بهما، قال: "والميم والباء أول ما يتهياً في أفواه الأطفال، كقولهم: (ماما) و(بابا)؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين".^(١)

٤- الموطن الرابع: الشفتان = جزء مشارك في مخرج الحركات وحروف المد:

ذكر سيوييه أن تحريك الشفتين بالضممة كتحريك الجسد.^(٢)

يعنى عمل عضو ظاهر للعين، بخلاف الكسرة والفتحة.

وذكر الفراء أن لمخرجي الكسرة والضممة إجهاداً وثقلاً على اللسان والشفتين بخلاف الفتحة، قال: "فإنما يستثقل الضم والكسر؛ لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين، تنضم الرفعة بهما فتثقل الضمة، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة، فتري ذلك ثقيلاً. والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة".^(٣)

وذكر الرماني أن حركة المرفوع من الشفتين.^(٤)

وتابعه: القرطبي^(٥)، والهمذاني.^(٦)

وذكر ابن سينا أن الواو والضممة يخرجان "مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين".^(٧)

(١) البيان والتبيين ١/٤٧.

(٢) الكتاب ٤/١٧١.

(٣) معاني القرآن ٢/١٢.

(٤) معاني الحروف ص ٤١.

(٥) الموضح ص ٢٠٨.

(٦) التمهيد ص ٢٨٨.

(٧) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٦.

وذكر مكي أن الواو تخرج من الشفتين وينقطع آخرها في مخرج الألف^(١). وسيأتي معنى هذا الانقطاع.

وعرف السهيلي الحركة فقال: "الحركة: عبارة عن تحريك العضو الذي هو الشفتان عند النطق بالصوت الذي هو الحرف"^(٢).

وهذا من أدق تعريفات الحركة، وسيأتي الحديث عن ذلك في الحركة.

أقسام الشفتين:

القسم الأول: الألفاظ المستعملة لظاهر الشفتين:

١ - المصطلح الأول لظاهر الشفتين: (مما بين الشفتين):

استعمل سيويه: (مما بين الشفتين) كمخرج للميم والباء والواو.^(٣)

وتابعه كثير من العلماء، منهم: ابن السراج^(٤)، وابن دريد^(٥)، وابن جني^(٦)،
والرمامي^(٧)، والسعيدى^(٨)، ومكي^(٩)، والبدائي^(١٠)، والقرطبي^(١١)، والخفاجي^(١٢)،
والهمداني^(١٣)، وأبو البركات ابن الأنباري.^(١٤)

(١) الرعاية ص ٢٣٥.

(٢) نتائج الفكر ص ٨٣.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٤) الأصول ٣/٤٠١.

(٥) الجمهرة ١/٨.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٤٨.

(٧) شرح كتاب سيويه ١٩١/أ.

(٨) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٥١.

(٩) الرعاية ص ١٤١.

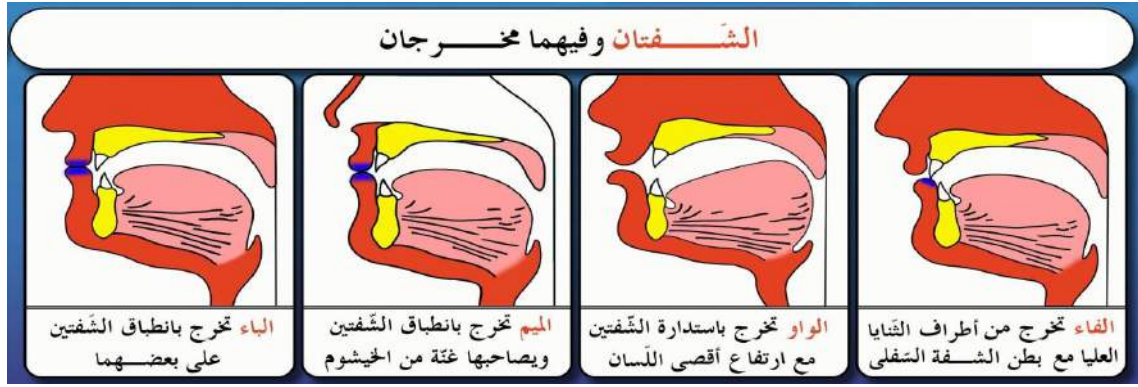
(١٠) التحديد ص ١٠٤، والإدغام الكبير ص ٧٨.

(١١) الموضح ص ٧٩.

(١٢) سر الفصاحة ص ٢٠.

(١٣) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٧.

(١٤) أسرار العربية ص ٢٠٨.



ويمثل الشكل أعلاه دور ظاهر الشفتين في مخرجي الباء والميم.

٣- المصطلح الثاني لظاهر الشفتين: (طرف الشفتين):

ذكر الزجاج أن الواو تخرج من طرف الشفتين.^(١)

القسم الثاني: الألفاظ المستعملة للسطح الداخلي الأملس للشفة السفلى:

استعمل: السطح الداخلي الأملس للشفة السفلى مخرجاً للفاء، واستعمل لذلك عدة ألفاظ، منها:

- ١- (باطن الشفة السفلى).
- ٢- (الأجزاء اللينة من الشفة).
- ٣- (سطح الشفة).
- ٤- (سطح باطن الشفة).
- ٥- (أسفل الشفتين).

١- المصطلح الأول للسطح الداخلي الأملس للشفة السفلى: (باطن الشفة السفلى):

استعمل سيبويه: (باطن الشفة السفلى) كجزء مشارك مع الثنايا العليا في مخرج

الفاء.^(٢)

وتابعه كثير من العلماء، منهم: الزجاجي^(٣)، والرماني^(١)، والسعيدى^(٢)، ومكي^(٣)،

والداني^(٤)، والقرطبي^(٥)، والخفاجي^(٦)، وابن الطحان الأندلسي^(٧)، والهمداني^(٨)، وأبو

البركات ابن الأنباري.^(٩)

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤٣٢/١.

(٢) الكتاب ٤٣٣/٤.

(٣) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.

واستعمل القرطبي أيضاً: (الشفة السفلى) في التنبيه على كيفية خروج صوت ونفس الفاء. (١٠)

ويمثل الشكل السابق دور السطح الداخلي للشفة السفلي في مخرج الفاء.

٢- المصطلح الثاني للسطح الداخلي الأملس للشفة السفلى: (أسفل الشفتين):

ذكر ابن دريد أن الفاء والباء والميم "عملهن في التقاء الشفتين، وأسفلهن الفاء، ثم الباء، ثم الميم" (١١)

٣- المصطلح الثالث للسطح الداخلي الأملس للشفة السفلى: (الأجزاء اللينة من الشفة):

استعمل ابن سينا: (الأجزاء اللينة من الشفة) تعبيراً عن باطن الشفة السفلى عند وصفه لكيفية خروج الفاء. (١٢)

٤-٥- المصطلح الرابع والخامس للسطح الداخلي الأملس الشفة السفلى: (سطح الشفة)، (سطح باطن الشفة):

(١) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ.

(٢) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ص ١٣.

(٣) الرعاية ص ٢٢٧.

(٤) التحديد ص ١٠٤، والإدغام الكبير ص ٧٨.

(٥) الموضح ص ٧٩.

(٦) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٧) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٢٠.

(٨) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٧.

(٩) أسرار العربية ص ٢٠٨.

(١٠) الموضح ص ١١٦.

(١١) الجمهرة ٧/١.

(١٢) اسباب حدوث الحروف ص ٨٢.

استعمل ابن سينا: (سطح الشفة) للتعبير على أن مخرج الفاء والواو غير المدية واحد، غير أن انضغاطه في الواو غير المدية أقل من انضغاطه في الفاء، وبالتالي يضعف دفع الهواء فيها.^(١)

وذكر أن (سطح باطن الشفة) في الفاء التي تشبه الباء (V) "يكاد يحدث منه اهتزاز".^(٢)

وواضح أنه يشير إلى تجاوب سطح الشفة مع اهتزاز الأوتار الصوتية فيما يعرف بظاهرة الرنين.

٣- المصطلح الثالث للشفتين: (آلة المرفوع):

ذكر ابن السراج أن للمرفوع آلة هي الشفتان، قال: "إنما لم يكن الإشمام في النصب والجر عند الوقف؛ لأنه لا آلة للألف والياء يمكن فيها ذلك، بينما للمرفوع آلة، وهي الشفتان".^(٣)

٤- المصطلح الرابع للشفتين: (الجِرمان اللينان):

كنى ابن سينا ب: (الجرمين اللينين) عن الشفتين.^(٤)

العضو العاشر من أعضاء الصوت والنطق: التجويف الأنفي:

التجويف الأنفي:

الوظيفة الأساسية للأنف هي استنشاق هواء الشهيق عبر فتحتي الأنف، وإخراج هواء الزفير عن طريقهما.

ومن وظائفه الثانوية أنه يستعمل في الأصوات، قال ابن سينا بعد ذكر وظائف الأنف الأساسية من الاستنشاق، وترطيب الهواء: "وأما الثانية فإنه يُعين في تقطيع الحروف، وتسهيل

(١) المرجع السابق ص ٨٤ و ١٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ٩١-٩٢.

(٣) نقل ذلك الداني في جامع البيان ٩٤٩/٣.

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٥.

إخراجها في التقطيع، لئلا يزدحم الهواء كله عند المواضع التي يحاول فيها تقطيع الحروف بمقدار، فهاتان منفعتان في واحدة. ونظير ما يفعله الأنف في تقدير هواء الحروف هو ما يفعله الثقب المثقوب مطلقاً إلى خلف المزمار فلا يتعرض له بالسد".^(١)

المواطن الصوتية التي استعمل فيها تجويف الأنف:

استعمل باطن الأنف في أكثر من موطن صوتي، منها:
تجويف رنيني للصوت، ومخرج رئيس من آلات النطق، ومخرج خاص لغنّي النون والميم.

١- الموطن الأول: تجويف الأنف = تجويف رنيني للصوت:

عبر عن تجويفه ب: (مقعرات أجزاء الأنف)، (فضاء الخيشوم)، (تجويف آخر المنخر)، (خرق الأنف)، وتقدمت جميعها في الجوف.

٢- الموطن الثاني: تجويف الأنف = مخرج رئيس من مخارج النطق:

انظر المخارج الرئيسة للنطق.

٣- الموطن الثالث: تجويف الأنف = مخرج خاص لبعض الأصوات:

وهذا يمكن ملاحظته من خلال الألفاظ التي استعملت للتجويف الأنفي.

الألفاظ المستعملة لتجويف الأنف:

استعمل لتجويف الأنف عدة ألفاظ مترادفة، منها:
١- (الخيشوم). ٢- (الأنف). ٣- (المنخر). وأشهرها: الخيشوم.

١- المصطلح للتجويف الأنفي: (الخَيْشُومُ والخَيْاشِيمُ):

(١) القانون في الطب ١/٤٥ - ٤٦.

يدل الأصل اللغوي على ارتفاع^(١)، واختلف أصحاب المعاجم في تعريفه، على أقوال، منها: غراضيف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، أو عروق في باطن الأنف.^(٢) أو أقصى الأنف^(٣) أو الأنف.^(٤)

وأشهر تعريفٍ تعريفُ ابنِ دُرَيْدٍ، قال: "لأن الغنة صوت من أصوات الخيشوم، والخيشوم مركب فوق الغار الأعلى، وإليه يسمو هذا الصوت".^(٥) وتابعه: الهمذاني.^(٦)

ونقل مكي تعريف ابن دريد مستبدلاً ب: (الغار الأعلى) لفظ: (غار الحلق الأعلى).^(٧) وتابع مكياً: ابن الطحان الأندلسي.^(٨)

وعرفه الدايني بأنه: "حرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم".^(٩)

وأكثر هذه الأقوال يدل على باطن الأنف.

استعمل الخليل: (الخياشيم) استعمالاً طريفاً عند تشبيهه نخير الحمار بالخاء المضطربة، قال: "نخر الحمار بأنفه نخيلاً، أي: مد نفسه في الخياشيم كأنه نغمة خاء مضطربة".^(١٠) وبعيداً عن طرافة هذا النص، فإنه يوسع من مفهوم منطقة أدنى الحلق التي هي مخرج للخاء والغين.

(١) مقاييس اللغة ص ٢٩٨ (خ ش م).

(٢) المحكم لابن سيده ٢٢/٥.

(٣) الصحاح ١٩١٢/٥.

(٤) المصباح المنير ص ١٧٠.

(٥) الجمهرة ٧/١.

(٦) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٨٢.

(٧) الرعاية ص ٢٤٠.

(٨) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٤.

(٩) التحديد ص ١٠٩ و ١١٥، وفي المطبوع من جامع البيان ٧١٤/٢: "والخيشوم: الحرف المنجذب إلى داخل الفم".

(١٠) العين ٢٥١/٤.

استعمل: (الخيشوم) في أكثر من موطن صوتي، منها:

١ - مشاركته في صناعة الألحان. ٢ - مخرج للنون الخفية أو الخفيفة (العُنة).

٣ - في وصف النون إذا جاء بعدها أحد حروف الإخفاء الخمسة عشر.

٤ - جزء مشارك في مخرجي القاف والحاء. ٥ - في تشخيص بعض عيوب النطق: (الأحن).

٦ - في بيان عُنتي الميم والنون.

١ - الموطن الأول: الخيشوم مشارك في صناعة الألحان:

استعمله الخليل في تعريف اللحن الأَجَش، قال: "قال الخليل: الأصوات التي تصاغ منها الألحان ثلاثة: الأَجَش صوت من الرأس يخرج من الخياشيم فيه غَلَطٌ وَجُتَّةٌ، فَيُتْبَعُ بِحَدْرٍ موضوع على ذلك الصوت بعينه يقال له الوشي، ثم يعاد ذلك الصوت بعينه، ثم يتبع بوشي مثل الأول فهي صياغته، فهذا الصوت الأَجَش".^(١)

وهذا من النصوص النادرة التي تؤكد إطلاع الخليل على علم الألحان.

٢ - الموطن الثاني: الخيشوم جزء مشارك في تشخيص بعض أمراض الكلام:

قال الخليل: "والْحُنَّةُ كالغنة كأن الكلام يرجع إلى الخياشيم، يقال: امرأة خناء وغناء، وفيها مخنة أي: حُنَّة".^(٢)

ووضَّح الكندي ذلك، فقال: "وأما الأحن فإن النفس يسبق إلى الخياشيم".^(٣)

وذكر القرطبي أن النون "لأجل جريان الغنة فيها وفي الميم إذا طرأت على الخيشوم آفة تمنع الجريان رأيت النون أقرب إلى التاء، والميم أَمَسَّ بالباء".^(٤) أي إذا ألغى عمل الخيشوم يصير النون والميم حرفين شديدين.

٣ - الموطن الثالث: الخيشوم مخرج للنون الخفية أو الخفيفة:

(١) العين ٣/٦.

(٢) المرجع السابق ١٤٢/٤.

(٣) رسالة في اللثغة ص ٥٣٠.

(٤) الموضح ص ١٢٠.

استعمل سيويه لفظ: (الخياشيم) كمنخرج للغنة، قال: "ومن الخياشيم منخرج النون الخفية".^(١)

وعلة اختياره للفظ: (النون الخفية) لَمَّا لم يجد حرفاً يستقل بهذا المنخرج غير النون أطلق عليه هذا اللفظ، حتى الميم لا تستقل بالخيشوم كما تستقل النون، قال الرماني عن النون: "ودليل كونها نوناً إذا خرجت من الخياشيم دون الفم، أنه منخرج يخصها دون جميع الحروف سواها، وإن وافقتها الميم في الغنة، فليس للميم منخرج من الخياشيم؛ لأنه لا يُعتمد لها إلا مُماس الشفتين، وليس كذلك النون؛ لأنه يمكن أن يُعتمد لها من طرف اللسان، ويمكن أن يعتمد لها من الخياشيم، وهو منخرج يخصها دون غيرها".^(٢)

ولعل العلة في استعماله لهذا اللفظ في موضع منخرج الحروف دون التصريح بلفظ الغنة؛ لأن الغنة تكون أبداً تابعة للنون والميم، فلا تؤدي وظيفة دلالية بنفسها في نظام اللغة العربية.

تابع سيويه على لفظ: (النون الخفية) كثير من العلماء، منهم: الأخفش^(٣)، وابن السراج^(٤)، وابن مجاهد^(٥)، وابن جني^(٦)، والداني^(٧)، والقرطبي^(٨)، والخفاجي^(٩)، والهمداني.^(١٠)

٤- الموطن الرابع: الخيشوم مشارك في وصف النون إذا جاء بعدها أحد حروف الإخفاء الخمسة عشر:

(١) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٢) شرح كتاب سيويه ل ١٩٩/أ. وفي هذا النص دليل على أن إطباق الشفتين لا ينفك عن الميم في جميع حالاتها.
(٣) العَرُوض، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: أحمد محمد عبدالدايم عبدالله، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ص ١١٤.

(٤) الأصول ٣/٤٠١.

(٥) السبعة ص ٤٣٠.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٤٨.

(٧) التحديد ص ١٠٤.

(٨) الموضح ص ٧٩.

(٩) سر الفصاحة ص ٢٠.

(١٠) التمهيد ص ٢٧٨.

النون عند سيبويه تستقل بمخرج الخيشوم إذا سكنت وجاء بعدها أحد حروف الفم الخمسة عشر المعروفة، وسيأتي ذكر ذلك في : (الإخفاء).

وذكر الأَخْفَش أن النون المتحركة تخرج من الفم، والساكنة من الخيشوم^(١) يَعْنُون بالنون الساكنة نون الإخفاء، وبالمتحركة: غير ذلك من النونات.

وتابعه: المبرد^(٢) ، والسيرافي^(٣) ، والفارسي^(٤) ، وابن جني^(٥) ، والداني^(٦) . والقرطبي^(٧).

وتابعه الداني، وزاد التنوين، فقال: "ومخرج النون والتنوين مع هذه الحروف من الخيشوم فقط، ولاحظْ لهما معهن في الفم؛ لأنه لا عمل للسان فيهما كعمله فيهما مع ما يَظْهَران عنده، وما يدغمان فيه بغنة"^(٨).

٥- الموطن الخامس: الخيشوم مشارك في مخرجي الميم والنون:

ذكر سيبويه أن النون والميم لهما مخرجان: مخرج من الفم، ومخرج من الخيشوم، قال: "النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخيشوم، فتصير فيهما غنة"^(٩).

وتابعه: ابن جني^(١٠) ، والقرطبي^(١١).

وذكر المبرد أن حرف الميم يخالط الخيشوم بما فيه من الغنة^(١) ، وفي موضع آخر ذكر أن الميم ترجع إلى الخيشوم بما فيها من الغنة، فلذلك تسمعا كالنون^(٢).

(١) العروض ص ١١٤

(٢) المقتضب ١/٣٥٠.

(٣) المطبوع من شرح كتاب سيبويه ٧٧/٢.

(٤) نقل ذلك عنه ابن جني في الخصائص ٣٢٤/٢.

(٥) سر صناعة الإعراب ٤٢/١، والخصائص ٣٢٤/٢.

(٦) التحديد ص ١٠٤.

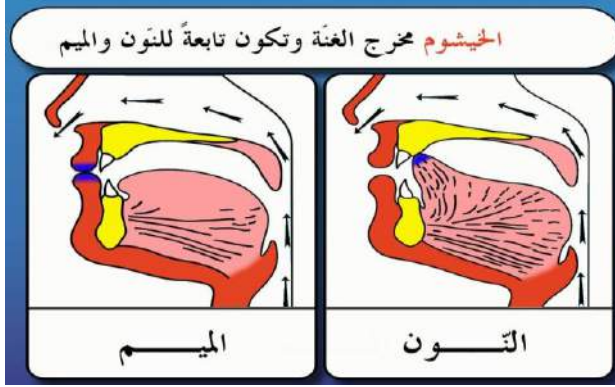
(٧) الموضح ص ٩٣.

(٨) المطبوع من جامع البيان ٧٣٥/٢، والتحديد ص ١٠٤.

(٩) الكتاب ٤٣٤/٤.

(١٠) سر صناعة الإعراب ٦٠/١.

(١١) الموضح ص ٨٨.



ومن كلام المبرد لَقَّب مكي الميم
بـ: (الحرف الراجع)، قال: "الحرف
الراجع، وهو الميم الساكنة، سميت
بذلك؛ لأنها ترجع في مخرجها إلى
الخياشيم، لما فيها من الغنة، ويجب أن
يشاركها في هذا اللقب النون الساكنة؛

لأنها ترجع أيضاً إلى الخياشيم للغنة التي فيها".^(٣)

وتابعه الداني، إلا أنه لم يطلب مشاركة النون في اللقب.^(٤)

وذكر ابن سينا أن حبس هواء الميم بعضه في الشفتين، "وبعضه إلى ناحية الخيشوم
حتى يحدث الهواء عند اجتيازه بالخيشوم والفضاء الذي في داخله دويًا".^(٥) هو دوى الميم.

ولقب مكي الميم والنون بـ: (حرفاً الغنة)، قال: "لأن فيهما غنة تخرج من الخياشيم
عند النطق بهما".^(٦)

وتابعه: الداني.^(٧)

ويمثل الشكل السابق دور الخيشوم في مخرجي الميم والنون. والمنطقة الزرقاء السماوية هي
منطقة انتشار الصوت.

٦- الموطن السادس: الخيشوم جزء مشارك في مخرجي القاف والخاء:

استعمل الكندي: (الخياشيم) كجزء مشارك في مخرجي القاف والخاء، وتقدم.^(١)

(١) المقتضب ١/٣١٠.

(٢) المقتضب ١/٣٣٠.

(٣) الرعاية ص ١٣٨.

(٤) التحديد ص ١٠٩.

(٥) أسباب حدوث الحروف ص ٨٣.

(٦) الرعاية ص ١٣١.

(٧) التحديد ص ١٠٩.

٢- المصطلح الثاني للتجويد الأنفي: (الأنف):

من المشترك اللفظي، أنف كل شيء أوله، ومنه العضو المعروف.^(٢)

استعمل لباطن الأنف وظاهره، لكن غالباً ما يطلق الأنف على الظاهر الذي تمسكه اليد، والخياشيم على الباطن، بدليل قول سيبويه: "إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم، فتصير فيهما غنة. والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك، ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أحل بهما".^(٣)

تابع سيبويه على تجربة إمساك الأنف لاختبار الغنة: المبرد^(٤)، وابن السراج^(٥)، وابن خالويه^(٦)، وابن جني^(٧)، ومكي^(٨)، والداني^(٩)، والقرطبي^(١٠)، وابن الطحان الأندلسي^(١١).
استعمل ابن مجاهد: (الأنف) كمكان لخروج الغنة، قال: "لأن الميم لها غنة من الأنف".^(١٢)

واستعمله أبو علي الفارسي في مخرج النون الساكنة (الخفية في أحد معانيها).^(١٣)

وتابعه: ابن جني.^(١٤)

(١) رسالة في اللغثة ٥٢٦ - ٥٢٧. وتقدم ذكر ذلك في: الغلمصة.

(٢) مقاييس اللغة ٧٦ (أ ن ف).

(٣) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٤) المقتضب ١/٣٢٩.

(٥) الأصول ٣/٤٠١.

(٦) الحجة ص ٦٧.

(٧) سر صناعة الإعراب ١/٤٨.

(٨) التبصرة ص ١١٧.

(٩) التحديد ص ١٠٩.

(١٠) الموضح ص ٨٨.

(١١) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٤.

(١٢) السبعة ص ١٢٦/ وص ٣٥٢.

(١٣) نقل ذلك عنه ابن جني في الخصائص ٢/٣٢٤.

(١٤) الخصائص ٢/٣٢٤.

وذكر الداني أن الأنف موضع الغنة. (١)

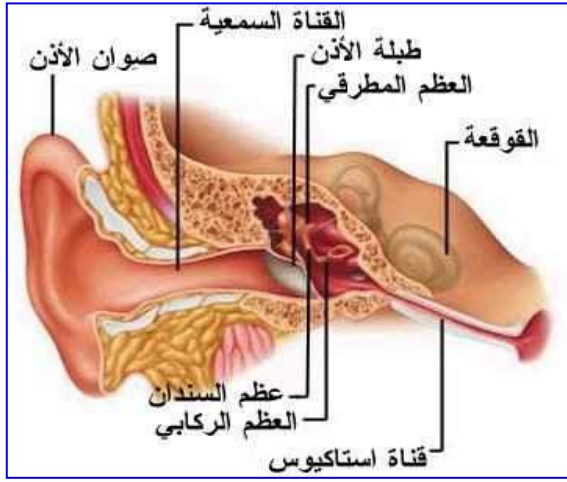
٣- المصطلح الثالث للتجويف الأنفي: (المنخر):

يدل أصله اللغوي على صوت من الأصوات، ثم يُفَرَّع منه. فالنخير: صوت يخرج من المنخرين، وسمياً: المنخران من جهة النخير الخارج منهما، وفُرِّع منه فقيل لخرقي الأنف: النُّخْرَتَان. (٢)

استعمله ابن سينا في وصف حدوث النون، قال: "وأما النون فإن الحبس فيها أرفع قليلاً من الحبس الطبيعي للباء، وبطرف اللسان، إلا أن جل الهواء فيها يصرف إلى غنة المنخر، فتكون النون أرطب وأدخل حبساً، وأكثر دويماً وغنة". (٣)

العضو الحادي عشر من أعضاء الصوت والنطق: الأذن:

"الأذن أداة تتلقى الصوت اللغوي فتحوله من إشارات مادية (الذبذبات في الهواء) إلى إشارات عصبية تنتقل إلى الدماغ الذي يفسرها".



وتنقسم الأذن إجمالاً إلى ثلاثة أجزاء، لكل منها وظيفة خاصة به، وهي الأذن الخارجية التي تلتقط الذبذبات الهوائية، والأذن الوسطى التي تحول الضغط الصوتي إلى ذبذبات ميكانيكية، والأذن الداخلية التي تحول الذبذبات الميكانيكية إلى واقع عصبي وترسله نحو الدماغ. (٤)

عرّف علي بن العباس المجوسي ثلاثة أجزاء من الأذن هي: غضروف الأذن الخارجية، والقناة السمعية الخارجية، وغشاء طبلة الأذن (١). أما ابن سينا فقد تجاوز هذه إلى حدود الأذن

(١) التحديد ص ١٠٥.

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٨١ (ن خ ر).

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٤.

(٤) علم الأصوات العام لبسام بركة ص ٥١.

الوسطى فذكر الجوبة التي فيها الهواء الراكد (جوف طبلة الأذن)، ويعنى بها الأذن الوسطى فيما
فسره لي الطبيبان الاستشاريان.

ولم يصل المجوسي وابن سينا إلى الأذن الداخلية فيما يظهر من كلامهما.

ويمثل الشكل السابق التركيب الداخلي للأذن.

الألفاظ المستعملة للأذن وأقسامها:

الأذن:

عَبَّرَ الفارابي عن الأذن: ب: (العضو الذي فيه القوة التي بها يُسْمَع).^(٢)

وعبر علي بن العباس المجوسي عنها وعن أجزائها ب: (آلة السمع).^(٣) وتابعه ابن ملكاً

البغدادي.^(٤)

القسم الأول من أقسام الأذن: الأذن الخارجية (Auricle= Ear Pinna):

١- الغضروف الخارجي للأذن:

عَبَّرَ علي بن العباس المجوسي عنه ب: (الجسم الغضروفي المحيط بالثقب)^(٥)، أما

ابن سينا فقد عبَّرَ عنه - (الصَّدْفُ الْمُعَوَّجُ)، وذكر من فائدته حبس الصوت وتجميعه.^(٦)

٢- القناة السمعية الخارجية (External auditory canal):

استعمل الفارابي (الصَّمَاخ) في وصف كيفية سماع الصوت، قال: "حتى يكون آخر ما

يتأدَّى إليه هو الهواء الموجود في الصماخين. وهواء الصماخ ملاق للعضو الذي فيه القوة التي

بها يُسْمَع، فيتأدَّى ذلك إلى القوة فيسمعه الإنسان".^(١) واستعمله: ابن حزم.^(٢)

(١) كامل الصناعة الطبية ١/١١٧.

(٢) الموسيقى الكبير ص ٢١٤.

(٣) كامل الصناعة الطبية ١/١١٧.

(٤) المعتمر في الحكمة ٢/٢٦٢ و ٣٤٣.

(٥) كامل الصناعة الطبية ١/١١٧.

(٦) القانون في الطب ٢/١٠١٥.

وعبر علي بن العباس المجوسي عنه بـ: (ثُقْبُ الْعِظْمِ الْحَجْرِيِّ)^(٣) ، وتابعه: ابن
سينا.^(٤)

واستعمل ابن فارس: (خَرْقُ الْأُذُنِ) في تعريفه للصَّمَاخ.^(٥)

واستعمل ابن سينا: (ثُقْبُ الْأُذُنِ).^(٦)

القسم الثاني من أقسام الأذن: الأذن الوسطى (Middle Ear):

عبر ابن سينا عنها بـ: (الجَوْبَةُ الَّتِي فِيهِ الْهَوَاءُ الرَّائِدُ).^(٧)

(١) الموسيقي الكبير ص ٢١٤.

(٢) التقريب لحد المنطق ١١٧/١.

(٣) كامل الصناعة الطبية ١١٧/١.

(٤) القانون في الطب ١٠١٥/٢.

(٥) مقاييس اللغة ص ٥٥٣ (ص م خ).

(٦) القانون في الطب ١٠١٥/٢.

(٧) المرجع السابق ١٠١٥/٢.

نتائج الفصل الأول:

- ١- كشف الفصل الأول عن معرفة المتقدمين لدور الأوتار الصوتية في عملية التصويت.
- ٢- نسب أصحاب المدرسة العقلية الحروف الحلقية إلى مكان واحد من الحلق (أقصى، وسط...)، وإلى مكانين في المخارج اللسانية والشفوية (طرف اللسان مع ما يليه..). على حين أن أصحاب المدرسة العقلية نسبوا جميع المخارج إلى مكانين.
- ٣- المخارج الجزئية المتقاربة التي من مخرج واحد لها أهمية بالغة عند أصحاب المدرسة العقلية.
- ٤- إن معرفة المتقدمين لدور هواء الزفير في عملية التصويت يكشف عن حسٍّ صوتيٍّ دقيق.
- ٥- كشف الفصل الأول عن أمور يختلف حولها المعاصرون كحدود الحلق، وهل يشمل الحنجرة؟ وبين أن حدود الحلق تبدأ من الحنجرة وحتى أصل اللسان وما يقابله من الحنك اللحمي.
- ٦- بين أن المتقدمين من أصحاب المدرسة العقلية يعدُّون تجويفات أعضاء النطق بمثابة غرف رنينية للصوت.
- ٧- من أصحاب المدرسة العقلية من أدرك دور الحنك اللحمي (اللهاة بمفهومها الواسع) في قفل وفتح مجرى الصوت إلى الخيشوم.
- ٨- تعد مخارج اللسان مع الحنك ومع الأسنان من أخصب المناطق التي دار الحديث حولها من أصحاب المدرسة العقلية.
- ٩- إن استعمال بعض العلماء لعضلات اللسان كأجزاء مشاركة في بعض الحروف فيه سبق علمي لا أعلم من استعمله إلى الآن.
- ١٠- كشف هذا الفصل عن معرفة المتقدمين للظواهر الطبيعية، وضم النظائر إلى بعضها. كمثل تشبيههم القصبة الهوائية بقصبة المزمار.
- ١١- أرجو أن يكون هذا الفصل قد حقق الهدف المرجو منه، أعنى: تقريب كلام المتقدمين إلى عصرنا الحاضر، من خلال ما استعِين به من صور توضيحية.

الفصل الثاني
الأسس الفيزيائية والنطقية
للصوت والحرف

الفصل الثاني

الأسس الفيزيائية والنطقية للصوت والحرف

العلم الطبيعي (الفيزيائي) عند المتقدمين

ذكرت فيا تقدم أعضاء النطق وما يتعلق بها من نواح عضوية وتشريحية، واستعمالات صوتية، وأعرض في هذا الفصل إلى الأسس الصوتية التي ينبغي على دارس أصوات الحروف معرفتها مما يتعلق بالنواحي الفيزيائية للصوت من كيفية حدوثه وإدراكه، وتردده ورنينه، وشدته ودرجته. والتي تدرس اليوم تحت علم الأصوات السمعي.

وهذا المبحث من أشق فصول الدراسة، ويعلم الله ك عانت من أبحاثه؛ إذ جله متعلق بفيزيائية الصوت، وهو أمر ما كنت لأبحثه لولا أن بعض علماء المسلمين قد تناولوه في الأصوات اللغوية، وقدم مصطلحات جديدة بالمبحث.

والأمر الثاني الذي حثني على ذلك إظهار نوع المعرفة الصوتية التي كانت في تلك العصور، مما هو مشابه في كثير من جوانبه للقضايا المتعلقة بعلم الأصوات السمعي التي يُدرّسها علم الأصوات المعاصر في أول مباحثه.

وقد اهتم بهذه القضايا الفيزيائية أصحاب المدرسة العقلية، وعلى الأخص الموسيقون والأطباء، كالفارابي وابن سينا وابن الطحان، مما ولّد صعوبة أخرى في فهم كلامهم ومصطلحاتهم، فاقتضى ذلك كله أن أطلع على مباحث علم الفيزياء المتعلقة بالصوت مع الاستعانة بالمتخصصين في ذلك. واجتهدت في ذلك ما أمكن، فإن وُجد تعقيد في العبارة فراجع إلى التقصير وعدم الاختصاص، والله ولي التوفيق.

كيفية حدوث الصوت وإدراكه:

ذكر الفيزيائيون المعاصرون "أنَّ أيَّ صوت (لُغويٌّ كان أم غير لغوي) ينتج عن تموجات تحدث في الهواء المحيط، وهذه التموجات أو الاهتزازات تُولِّد تغيرات في الضغط (تتراوح بين القوة والضعف) تنتشر انطلاقاً من مصدرها وتتلاشي شيئاً فشيئاً كلما ابتعدت

عنه، كالحجر الذي يُلقَى في الماء الراكد، وتتولد عنه دوائر وتموجات تنطلق من موقع الحجر لتتسع بعيداً عنه في الضفاف".^(١)

وهذا الكلام السابق ذكره المتقدمون، قال إخوان الصفاء في شرحهم لحدوث الصوت، قالوا: "وذلك أن الهواء لشدة لطافته، وصفاء جوهره وسرعة حركة أجزائه، يتخلل الأجسام كلها، ويسرى فيها، ويصل إليها، ويجرك بعضها إلى بعض.

فإذا صدم جسم جسمًا، انسل ذلك الهواء من بينهما، وتدافع وتموج إلى جميع الجهات، وحدث من حركته شكل كروي يتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج. وكلما أتسع ذلك الشكل ضُعفت قوة ذلك الصوت إلى أن يسكن.

ومثال ذلك: إذ رميت في الماء الهادئ- الواقف في مكان وسع- حجراً، فيحدث في ذلك الماء دائرة من موضع وَقَع الحجر، فلا تزال تتسع فوق سطح الماء وتموج إلى سائر الجهات. وكلما اتسعت ضعفت حركتها حتى تتلاشي وتذهب.^(٢)

ويعرف الفيزيائيون المعاصرون الموجة بأنها عبارة عن انتقال الطاقة بين نقطتين بدون أن يواكبها انتقال للمادة.

ويمثل ذلك اللعبة الفيزيائية المنتشرة في الأسواق، وهي عبارة عن عدد من الكرات الصلبة المتلاصقة مدلاة بخيوط من حامل، فإذا رفعنا آخر كره على يمين الحامل وتركناها لنضرب الكرة التي تجاورها سنجد أن آخر كرة على اليسار هي التي تتحرك فقط إلى الأعلى، ثم يرجع لتضرب الكرة التي تجاورها لتعاود الكرة نفسها بحركة دورية منتظمة.

معنى ذلك أن الطاقة انتقلت عبر الكرات المتلاصقة دون أن تنتقل الكرات معها، وهو ما يحدث تماماً في الموجة الصوتية من انتقال الصوت عبر جزيئات المادة.

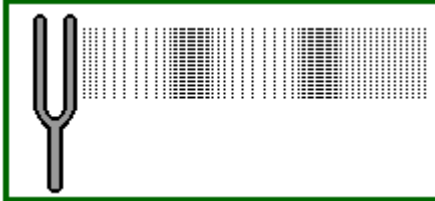
"فعندما يتحدث أحدنا يهتز الوتران الصوتيان مما يؤثر على جزيئات الهواء المحيطة بهما، فتتحرك هذه الجزيئات، وتقوم بدورها بتحريك الجزيئات المجاورة لها؛ فنتشر الموجة

(١) علم الأصوات العام لبسام بركة ص ٣٠.

(٢) الرسائل ١٠٢/٣.

الصوتية عبر تضاعفات وتخلخلات الهواء المتعاقبة حتى تصل إلى أذني المستمع. ويقوم الجزء الخارجي للأذن بتجميع هذه الذبذبات وتوجيهها إلى داخل الأذن حيث تصطدم بطلبة الأذن التي تحتز بدورها ناقلة هذه النبضات إلى الأذن الداخلية، ومن ثم إلى العصب السمعي، ثم إلى الدماغ حيث يتم تفسيرها".^(١)

وقد ذكر الفارابي كيفية انتقال الموجات الصوتية عبر الهواء حتى تصل إلى الأذن بمثل هذا الذي نقلته من عبارة المعاصرين، حتى إنك لتساءل عن نوع المعرفة التي كانت سائدة في تلك العصور المتقدمة، على الرغم من عدم وجود أي أجهزة قياسية دقيقة، قال عن الصوت: "وأما كيف يتأدى إلى السمع، فإن الهواء الذي ينبو (يبتعد بسرعة وحركة) من المقروع هو الذي يحمل الصوت، فيحرك بمثل حركته الجزء الذي يليه، فيقبل الصوت الذي كان قبله الأول، ويحرك الثاني ثالثاً يليه فيقبل ما قبله الثاني، والثالث رابعاً يليه، فلا يزال هذا التداول من واحد إلى واحد حتى يكون آخر ما يتأدى إليه هو الهواء الموجود في الصماخين. وهواء الصماخ ملاق للعضو الذي فيه القوة التي بها يُسمع، فيتأدى ذلك إلى القوة فيسمعه الإنسان".^(٢)



ويبين الشكل المجاور كيفية حدوث الصوت بالتضاعف والتخلخل بين الجزئيات وانتقال الموجات الصوتية عند قرع شوكة رنانة واهتزاز طرفيها الموجة الصوتية.

(١) الفيزياء للأدباء ص ٢٠٧ و ٢١٦ بتصرف.

(٢) الموسيقى الكبير ص ٢١٤.

اشترط المتقدمون لحدوث أي صوت وجود ثلاثة أشياء:

- ١- صادم أو قوة ضاغطة، ويشترط فيه: السرعة في اتجاه المصدوم.
 - ٢- مصدوم، ويشترط فيه مقاومة الصادم، على أساس مبدأين: القصور الذاتي، ومبدأ رد الفعل. وتعتمد قوة المقاومة وضعفها على نوعية مادتي الجسمين المتقاومين، وعلى نوعية سطحيهما.
 - ٣- وسط منضغط بين الجسمين المتقاومين، والمؤهل لنقل الموجة الصوتية، وقد يكون ماء أو هواء أو غير ذلك.
- ولكل من هذه الثلاثة تفصيلاتها الكثيرة، ومصطلحاتها المتعددة.

صاغ ابن سينا هذه الثلاثة الماضية في قانون نستطيع تسميته: (قانون حدوث الصوت)، قال:

"الصوت يحدث من تموج الجسم الرطب السيلال منضغطاً بين جسمين متساكين متقاومين من حيث هو كذلك".^(١)

فالجسمان المتساكان المتقاومان: هما جسمتا التقياء وضغط أحدهما على الآخر بعنف، فقاوم الآخر هذا الضغط على مبدأ رد الفعل.

ويعنى بتموج الجسم الرطب السيلال المنضغط بين الجسمين: الوسط المرن المؤهل لنقل الصوت، فالصوت يمكن أن ينتقل في أي وسط مادي- مثل الهواء والماء- تتمتع جزئياته بخاصية المرونة التي سماها: (الرطب)، وخاصية الاهتزاز التي سماها: (التموج)، وخاصية الرجوع إلى وضعه الأصلي بعد زوال التأثير عليه، والتي سماها: (السيلال).^(١)

(١) الشفاء، لأبي عليّ الحسين بن عبدالله بن سينا (ت ٤٢٨هـ)، الجملة الأولى في المنطق: الفن الأول: المدخل، مراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق قنواقي وآخرين، المطبعة القومية ١٣٧١هـ=١٩٥٢م، الفن الثامن: الخطابة، مراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق محمد سليم سالم، وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٤م. الفن التاسع: الشعر، تحقيق عبدالرحمن بدوي، القاهرة ١٩٦٦م. القسم الخاص بالطبيعات، مراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق محمود قاسم، قسم الطبيعات الجزء السادس الخاص بالنفس ص ٧٤-٧٥.

وقبل أن أحوض في مصطلحات القوة الضاغطة فإنني أشير إلى أنواع الأجسام المتصادمة:

نوعية الأجسام المتصادمة في الطبيعة:

أنواع الأجسام في الطبيعة ثلاثة: صلبة كالمعادن، وسائله كالماء، وغازية كالهواء: فقد يصدم الصلب الصلب، كضربك بيدك على الطاولة، وقد يصدم الصلب السائل، كضربك براحة يدك على صفحة الماء. وقد يصدم الصلب الغاز، كضرب السوط أو عصا الخيزران في الهواء.

وقد يصدم السائل السائل، كصب الماء على الماء. وقد يصدم السائل الصلب، كصب الماء على المعادن. وقد يصدم السائل الغاز، كرش الماء في الهواء.

وقد يصدم الغاز الغاز، كصوت الريح القوية. وقد يصدم الغاز الصلب، كصدم الهواء تجويفات أعضاء النطق. وقد يصدم الغاز السائل، كالنفخ في الماء بقوة لتخرج فقاعات.

ويشترط لحدوث الصوت أو الموجة الصوتية في ذلك كله: السرعة^(٢) في الجسم الصادم، والمقاومة في الجسم المصدوم، وانضغاط الوسط بينهما.

وقد أشار المتقدمون إلى هذا التصادم بين الأجسام، فمثلاً الرثتان والحجاب الحاجز يعدان من الأعضاء القارعة حيث تستعملان الهواء ويدفعانه إلى أعلى ويقرعان به تجويفات أعضاء النطق، قال الفارابي: "والعضو القارع، إما يد الإنسان، وإما العضو الذي يدفع هواء

(١) الشفاء في القسم الخاص بالطبيعات ص ٢٤٥: "السيال لا يحفظ الجسم إلا زماناً يجب ضرورة بين كل حركتي مختلفتين، وفي ذلك الزمان يكون ملاقياً لفاعل الحجم، ولا يمكن أن يحفظ الحجم والشكل مع مفارقة الفاعل أليته".

(٢) السرعة لها علاقة بالقوة، ويمثل هذه العلاقة قانون نيوتن الثاني للحركة، ونصه: "إذا أثرت قوة على جسم ما فإنها تسبب تسارع الجسم في اتجاه القوة المؤثرة، ويتناسب مقدار التسارع تناسباً طردياً مع مقدار القوة وتناسباً عكسياً مع كتلة الجسم" ١هـ. فالقوة- وفقاً لهذا القانون- تحدث تسارعاً أقل في الجسم الأكبر كتلة، وبالتالي تكون مقاومته أكبر لأي تغير في حركته. والكتلة هي كمية المادة الموجودة في الجسم. (الفيزياء للأدباء ص ٨١).

التنفس من داخل الصدر إلى خارج الفم، واليد إما أن تقرع بنفسها أو بجسم آخر، وأما الذي يدفع هواء التنفس فهو إنما يقرع بالهواء الذي يدفعه.

والجسم المقروع باليد هو ما جانس العيدان والمعازف، وأما الذي يقرعه العضو الدافع لهواء التنفس فهو إما المزامير وإما تجويفات الحلوق وآلات التصويت الإنساني".^(١)

إذ الصوت يحدث نتيجة لاهتزاز مسموع من جسم من الأجسام على نحو يؤثر على العلاقات بين جزيئات الهواء المحيطة بهذا الجسم، وهذه الجزيئات تحيط بكل الأشياء، وتتخلل كل الفراغات على سطح الأرض، والخاصية الأساسية لها هي قابليتها لاقتراب بعضها من بعض فيما يعرف بـ: التضاغط، ولتباعدها عن بعض فيما يعرف بـ: التخلخل^(٢)، ولكي يحدث هذا الاهتزاز المسموع بفعل التضاغط والتخلخل لا بد من وجود جسم ضاغط (قارع)، ومضغوط (مقروع مقاوم)، ووسط بينهما؛ فالقارع بضغطة، والمقروع بمقاومته، والوسط بينهما هو الذي تتحرك فيه الجزيئات، قال ابن سينا شارحاً هاتين الظاهرتين واهتزاز جزيئات الهواء اللازمة لحدوث الصوت: "ولكنه إنما يلزم في كلا الأمرين شيء واحد، وهو تموج سريع في الهواء".

أما في القرع فالاضطرار القارع الهواء إلى أن ينضغط وينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف وقوة، وشدة وسرعة.

وأما في القلع فالاضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذي أخلاه المقلوع منهما دفعة بعنف وشدة.

وفي الأمرين جميعاً يلزم المتباعد من الهواء أن ينقاد للشكل والموج الواقع هناك".^(٣)

وقد تكون أعضاء النطق هي القارعة، كالشفتين عندما يقرعان بعضهما في مخرج

الباء.

(١) الموسيقى الكبير ص ٥٢.

(٢) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص ٢٥ وما بعدها.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ٥٧. وتلخيص كتاب النفس لابن رشد ص ٨١.

وتقدم الحديث عن أعضاء الصوت والنطق كأعضاء قارعة ومقروعة، واستعمالاتها الصوتية.

المصطلحات الصوتية المتعلقة بالأصوات اللغوية:

تتعلق هذه المصطلحات بالأصوات اللغوية الخاصة بدءاً من الصوت المجرد المسموع إلى المخرج والمقطع والحرف مما تعد أساساً للباحثين في الأصوات. وكذلك ما يتعلق برفع الصوت وخفضه، فيما يعرف في علم الأصوات المعاصر ب: الوحدات فوق المقطعية.^(١)

الألفاظ المتعلقة بالصوت المجرد المسموع:

استعمل للصوت المجرد المسموع عدة ألفاظ، منها:
١ - (الصوت).
٢ - (الجرس).
٣ - (النعمة).
٤ - (الهواء).
٥ - (التصويت).

١ - المصطلح الأول للصوت المجرد المسموع: (الصوت والأصوات):

من المشترك اللفظي. وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع. يقال: هذا صوت زيد.^(٢)

استعمل في أكثر من معني، منها:
١ - الصوت المجرد المسموع.
٢ - صوت الحرف اللغوي.
٣ - اللحن في الموسيقي.

١ - المعنى الأول ل(الصوت) = الصوت المجرد المسموع:

عرف الجاحظ الصوت بأنه: "آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع".^(١) وقدم أصحاب المدرسة العقلية وبعض أصحاب المدرسة النقلية عدة تعريفات للصوت من حيث التموج، هي:

(١) علم الأصوات العام لبسام بركة ص ٩٩.

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٥٦ (ص و ت)

- **الصوت:** قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام بعضها بعضاً، فتحدث بين ذينك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتاً، بأي حركة تحركت، ولأي جسم صدمت، ومن أي شيء كانت: إخوان الصفاء. (٢)
- **الأصوات:** أعراض حادثة، والجواهر أجسام حاملة لها: إخوان الصفاء. (٣)
- **الصوت:** شكل كروي، ونقش عرضي يأخذه الهواء فيؤديه... إخوان الصفاء. (٤)
- **الصوت:** عَرَض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً... ابن جني. (٥)
- **الصوت:** دفع الرئة الهواء المحتبس فيه بقوة، فيصدم الهواء الساكن، فيحدث الصوت من قرع الهواء في الهواء المندفع من الرئة، فالفاعل له: القوة الدافعة، والمنفعل: الهواء الساكن: أبو الحسن أحمد الطبري الطيب. (٦)
- **الصوت:** هواء يخرج من الرئة، فيصدم اللسان والحنك والأسنان، ويرتقي في باطن المناخر، ويجرى نحو اللسان والشفة، فيصير نغماً مؤلفة، فما كان جهيراً فهو منسوب إلى الحنجرة، وما كان دقيقاً نسب إلى الصدر: قول الحكماء. (٧)

٢- المعني الثاني ل: (الصوت) = صوت الحرف اللغوي:

استُعملت عدة ألفاظ تمثلها المجموعة التالية:	
١- (الأصوات).	٢- (الأصوات التي يركب الإنسان منها الألفاظ).
٣- (الأصوات المتقطعة في مخارج الحروف).	٤- (الأصوات الدالة).
٥- (الأصوات المقطعة).	٦- (أصوات الحروف المقطعة المسموعة في الكلام).

(١) البيان والتبيين ٥٨/١.

(٢) الرسائل ٩٥/٣.

(٣) المرجع السابق ٩٨/٣.

(٤) المرجع السابق ٩٨/٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ٦/١.

(٦) المعالجات البقرافية ٤٢/١.

(٧) نقل ذلك عنهم ولم يسمهم ابن الطحان الموسيقي في حاوي الفنون ص ٢٢.

جاء استعمال سيبويه لـ: (الأصوات) في معرض حديثه عن كيفية نطق حروف المعجم. (١)

واستعمله ابن دريد في التنبيه على أن الهمزة تخرج من مخرج أقصى الأصوات (٢) ، يعنى: أقصى الحلق.

وفرق الفارابي بين الأصوات الانفعالية التي تخرج بالطبع وبغفوية من الإنسان والحيوان على السواء، كالأصوات التي تخرج عند الطرب والخوف والغضب، وبين تلك التي تخرج بقصد إرادة الإفهام، وتوصيل ما في الأذهان، وهي الحروف التي منها يتألف الكلام، وتخص الإنسان، قال: "فإن الإنسان وسائر الحيوان المصوتة، لها بالطباع في كل حال من أحوالها اللذيذة أو المؤذية نغم تستعملها، وهذه سوى الأصوات التي يستعملها الحيوان علامات يؤذن بها بعضها بعضاً بأمر من الأمور، وأكثر هذه هي في الإنسان، وهي الأصوات التي يركب الإنسان منها الألفاظ، وهذه خاصة بالإنسان". (٣)

وقسم إخوان الصفاء الأصوات إلى أصوات خاصة بالحيوان سموها: (أصواتاً غير منطقية)، وأصوات خاصة بالإنسان سموها: (أصواتاً منطقية)، ثم قسموا الأصوات المنطقية إلى: دالة، وغير دالة، ويقصدون من: (الدالة): أصوات حروف الهجاء، قالوا: "والحيوانية أيضاً نوعان: منطقية، وغير منطقية:

فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوان التي ليست بناطقة (٤) ، "وهي نغمات تسمى أصواتاً، ولا تسمى منطقاً". (٥)

"وأما المنطقية فهي أصوات الناس، منها دالة، ومنها غير دالة:

فغير الدالة: الضحك، والبكاء، والأنين، والأصوات التي لا هجاء لها.

(١) الكتاب ٢٦٥/٣.

(٢) الجمهرة ٦/١.

(٣) الموسيقى الكبير ص ٦٢.

(٤) الرسائل ١٢٣/٣.

(٥) المرجع السابق ١٠١/٣.

وأما الدالة: فهي الكلام، والقول الذي له هجاء".^(١)

وما قاله الفارابي وإخوان الصفاء، والتقسيم الذي أورده من أصوات دالة وغير دالة، أو أصوات لغوية واعتباطية انفعالية هو الذي تذكره كتب علم اللغة الغربي المعاصر في مقدمات حديثها في التفريق بين الأصوات اللغوية والأصوات الاعتباطية.^(٢)

وعرف الفارسي حروف المعجم بأنها: (الأصوات المتقطعة في مخارج الحروف).^(٣)، وابن جني: بأنها أصوات غير معربة^(٤)، ولقبه في موضع آخر بـ: (الأصوات المقطعة)^(٥)، أو: (أصوات الحروف المقطعة المسموعة في الكلام).^(٦)

وسمي ابن جني العلم الذي يبحث في أحوال الحروف بـ: (علم الأصوات والحروف).^(٧)

٣- المعنى الثالث لـ(الصوت) = اللحن في الموسيقى:

قال الخليل: "وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات".^(٨)

المصطلح الثاني للصوت المجرد المسموع: (الهواء):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٣- المصطلح الثالث للصوت المجرد المسموع: (الجرس، الجروس، الأجراس):

من المشترك اللفظي، يدل أصله اللغوي على الصوت، وما بعد ذلك فمحمول عليه.

(١) الرسائل ١٢٣/٣.

(٢) علم اللغة لمحمود سمران ص ٥٨ وما بعدها.

(٣) الحجة ٢٤٤/٤.

(٤) سر صناعة الإعراب ٧٨٤/٢. وهو يريد أنها مبنية على السكون. واستعمل أيضاً: (الأصوات) في الخصائص ٢٢٧/٢.

(٥) سر صناعة الإعراب ٥/١.

(٦) الخصائص ٤٥٤/٢.

(٧) سر صناعة الإعراب ٩/١.

(٨) العين ١٤٦/٧.

قالوا: الجرس: الصوت الخفي.

استعمل: (الجرس، الجروس، الأجراس) في أكثر من معنى، منها:

١- الصوت المجرد المسموع.

٢- صوت الحرف اللغوي.

١- المعنى الأول ل: (الجرس، الجروس، الأجراس) = الصوت المجرد المسموع:

قال الخليل: "الجرس مصدر الصوت المجروس. والجرس: الصوت نفسه..."

وأجروا الجرس، أي: ضربوا. وأجرس الخلي ونحوه: إذا صوّت كصوت الجرس".^(١)

وتابعه: ابن السكيت^(٢)، وابن قتيبة^(٣)، وابن جني^(٤).

٢- المعنى الثاني ل: (الجرس، الجروس، الأجراس) = صوت الحرف اللغوي:

استعمله من العلماء: الخليل، وابن دريد، وابن جني، وابن سينا^(٥)، والجرجاني.

قال الخليل: "وجرست الكلام: تكلمت به. وجرس الحرف: نغمة الصوت.

والحروف الثلاثة الجوف لا صوت لها ولا جرس، وهي الواو والياء والألف اللينة،

وسائر الحروف مجروسة".^(٦)

وأشار الخليل إلى: (جروس الحروف) أيضاً في معرض حديثه عن الفرق بين الحروف

الصحيحة والمعتلة، قال: "والحروف الصحاح مستغنية بجروسها".^(٧)

(١) العين ٥١/٦.

(٢) إصلاح المنطق ص ٨٣.

(٣) أدب الكاتب ص ١٦٠.

(٤) سر صناعة الإعراب ٨/١.

(٥) أسباب حدوث الحروف ص ٨٦.

(٦) العين ٥١/٦.

(٧) المرجع السابق ٣/٣٥٢.

وقال عن العين والقاف: "ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه؛
لأنهما أطلقا الحروف وأضخمها جرساً".^(١)

ولعل معنى قوله عن حروف المد أنه لا جرس لها؛ لما كان معنى الجرس يوحي بمعنى
قرع الصوت وصدمه - وهو ما يتفق مع المعنى اللغوي: وأجرسوا الجرس، أي: ضربوا - ونظراً
لاتساع مخارج حروف المد، وعدم وجود اعتراض حقيقي من أعضاء النطق عليها ذكر لها
ذلك، وإلا فهي أوضح الأصوات في السمع، والله أعلم.

وتابعه: ابن جنى^(٢)، والجرجاني^(٣) بلفظ: (أجراس الحروف)، وزاد الجرجاني:
(المسموعة).^(٤)

وعرف ابن دريد الألف بأنها "جرس بلا صرف، يريد أنه ساكن لا تصرف في
الإعراب".^(٥)

ولقب القرطبي الألف المدية ب: (الجرس).^(٦)

٤ - المصطلح الرابع للصوت المجرد المسموع: (الغممة):

من المشترك اللفظي، يدل على الصوت، وعلى جرس اللام وحسن الصوت بالقراءة
وغيرها، وعلى الكلام الخفي.^(٧)

(١) المرجع السابق ٥٣/١.

(٢) الخصائص ٦٤/١، و١٦٣/٣.

(٣) أسرار البلاغة ص ٣، ودلائل الإعجاز ص ٣٥٩.

(٤) أسرار البلاغة ص ٣٥٦.

(٥) جمهرة ابن دريد ٧/١.

(٦) الموضح في التجويد ص ٩٦.

(٧) النوادر ص ٥١٠ ومقاييس اللغة ص ١٠٠٠ (ن غ م).

استعمل: (النعمة) في أكثر من معنى، منها:

- ١- الصوت المجرد المسموع.
- ٢- صوت الحرف اللغوي.
- ٣- التوافق الموسيقي بين الأصوات (من مصطلحات الموسيقى).
- ٤- معنى مجهول.
- ٥- التلوين الصوتي (التنغيم).

١- المعنى الأول ل: (النعمة) = الصوت المجرد المسموع:

استعمله من العلماء: الخليل، وإخوان الصفاء.^(١)

استعمل الخليل: (النعمة) في حديثه عن حكاية الصوت بان تحكي اللفظة ما يحاكيها من الأحداث، وهو بهذا يتحدث عن علاقة الصوت بالمعنى مقررراً أن الحكاية جائز ابتداعها عند العرب؛ لأنها مرتبطة بالأحداث الصوتية والحركية، قال الخليل: "واعلم أن ابتداء الحكاية المضاعفة جائز ابتداعها عند العرب لأن كلاً يحكى على ما توهم من جرس نعمة أو حس حركة".^(٢)

ومن الأمثلة التي ضربها الخليل على ذلك (القهقهة)، قال: "والقهقهة في قَرَب الوِرْد مشتق من اصطدام الأحمال لعجلة السير، كأنهم توهموا لحس ذلك جرس نعمة فضاعفوه".^(٣)

٢- المعنى الثاني ل: (النعمة) = صوت الحرف اللغوي:

استعمل الخليل: (النعمة) استعمالاً طريفاً عند تشبيهه نخير الحمار بالخاء المضطربة، قال: "نخر الحمار بأنفه نخيراً، أي: مد نفسه في الخياشيم كأنه نعمة خاء مضطربة".^(٤)

٣- المعنى الثالث ل: (النعمة، النغم) = الصوت الموسيقي المفرد الذي يؤلف اللحن بالضم إلى غيره.

(١) الرسائل ١٠١/٣.

(٢) العين ١٠٧/٤.

(٣) المرجع السابق ٣٤١/٣.

(٤) المرجع السابق ٢٥١/٤.

استعمله من العلماء: الفارابي^(١)، وابن جني^(٢)، وابن فارس^(٣)، وأبو الحسن الطبري
الطبيب، وابن الطحان الموسيقي^(٤).

ذكر الفارابي أن الأنغام التي تؤلف الألحان كالحروف التي تؤلف الكلام^(٥). فهي
بمثابة الوحدات البسيطة الأولى قبل تركيب اللحن. ومن هنا عرف الخوارزمي النغمة بأنها:
"صوت غير متغير إلى حدة ولا ثقل، مثل مطلق البيمّ أو غيره إذا نُقِر، أو مثل البيمّ وغيره من
الأوتار إذا وُضعت إصبع على أحد دساتينه ثم نقر. والنغم للحن بمنزلة الحروف للكلام، منه
يتركب وإليه يَنْحَلُّ"^(٦).

وعرف أبو الحسن الطبري الطبيب النغم بأنها "أصوات تخرج على تأليف، يكون
الأقل والأكثر فيه والأشد والأخف، فيقع التطريب لأجل التأليف والنظام"^(٧). وهو يعنى
الألحان المؤتلفة في السمع أو التوافقيات (Concordance).

٤- المعنى الرابع لـ: (النغمة، النغم) = التلوين الصوتي للدلالة على بعض معاني
الكلام:

ما يعرف عند المعاصرين بـ: (التنغيم Intonation) و (النغم Melody)، ويطلقان
"على تغير ارتفاع الصوت في السلسلة الكلامية، وهو تغير يرتبط بتذبذب الوترين الصوتيين،
ويقوم أساساً على تواترات منخفضة (أقل من ٣٠٠ هرتز). فالنغم، بوجه عام، يقوم من
المنظار (الفيزيولوجي) بنظم النفس الخارج من الرئتين مما يؤدي إلى ارتفاع تدريجي في علو
الصوت يتبعه انخفاض فيه، وهو بهذا مرتبط بتتابع الكلام".

(١) الموسيقى الكبير ص ٥٨٤، و ١٠٨٥.

(٢) سر صناعة الإعراب ٩/١.

(٣) الصحاح، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الباني الحلبي
وشركاه، القاهرة، ص ٤٦٧.

(٤) حاوي الفنون ص ١٨٣.

(٥) الموسيقى الكبير ص ١٢٠.

(٦) مفاتيح العلوم ص ٢١٢. والبيم: هو أول أوتار العود كما ورد في ص ٢١٠.

(٧) المعالجات البقراتية ٤٢/١.

ويقوم النغم أو التنغيم بوظيفة تحديد الوحدات المعنوية الكبيرة في الخطاب؛ وذلك بربط المقاطع التركيبية للجملة (أو الجمل المتتالية في ما بينها)، وهو بذلك يميز في الجملة الواحدة بين الصيغة الإخبارية، مثلاً، والصيغة الاستفهامية، أو التعجبية، أو الأمرية، أو الانفعالية... الخ.^(١)

كان ما سبق هو مفهوم المعاصرين للنغم أو التنغيم، وإليك ما يقارب هذا المفهوم، بل لعله عينه، من لغة المتقدمين، قال ابن رشد: "وأما النغم فإنها تستعمل في القول الخطي لثلاثة أوجه:

أحدها: عندما يريد المتكلم أن يخيل أنه بذلك الانفعال والخلق عند الساعين، مثل: أنه إذا أراد أن يخيل فيه الرحمة رقق صوته، وإذا أراد أن يخيل فيه الغضب عظم صوته، وذلك في الأخلاق. وإنما كان ذلك؛ لأن هذه الأصوات توجد بالطبع صادرة من الذين ينفعلون أمثال هذه الانفعالات.

والوجه الثاني: أن يكون قصده تحريك السامعين نحو انفعال ما أو خلق ما إما لأن يصدر عنهم التصديق الحاصل عن ذلك الانفعال أو الخلق أو الفعل الصادر عنه.

والوجه الثالث: عندما يقتض عن مخبرين بأن يضعهم بذلك الانفعال أو الخلق.

ومنها أيضاً: أنها تستعمل بضرب من الوزن في الكلام الخطي على ما سيقال بعد. وهذا الضرب من النغم ضروري في أوزان أشعار من سلف من الأمم ما عدا العرب، فإن من سلف من الأمم كانوا يزنون أبياتهم بالنغم والوقفات، والعرب إنما تزنه بالوقفات فقط، ومنها أيضاً أن تستعمل أشعاراً في افتتاح القول وختمه ومواضع الوقف.^(٢)

٥- المعنى الخامس ل: (النغمة) = معنى غامض؟؟؟

هناك معنى خامس ذكره الكندي في أصوات الحروف دون أن يظهر المقصود منه، ففي أصوات: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) اختار من هذه الأصوات:

(١) علم الأصوات العام لبسام بركة ص ١٠٠ "بتصرف".

(٢) تلخيص الخطابة ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(أبجد، وز، ي، لمن، ع) ذكر فيها أنها تحتاج إلى نغمة فمن ذلك ما قاله عن العين: إنها "تحتاج إلى نغمة مع نفس يمتد إلى اللهاة ويقف معها".^(١)

٥- المصطلح الخامس للصوت المجرد المسموع: (التصويت):

من المشترك اللفظي، يدل على الصوت.

استُعمل: (التصويت) في أكثر من معنى، منها:
١- الصوت المجرد المسموع. ٢- صفة من صفات الحروف.

١- المعنى الأول ل: (التصويت) = الصوت المجرد المسموع:

استعمله من العلماء: سيويه^(٢)، وابن السراج، والفارابي، وأبو العلاء الهمداني^(٣)، وابن رشد.

عرف ابن السراج عن الإشمام: "الإشمام: وإنما هو أن تضم شفتيك بغير تصويت"^(٤). يعني: بغير صوت يسمع.

وقال الفارابي: "والتصويت الإنساني يحدث بسلوك الهواء في الحلق، وقرعه مقعرات أجزاء الحلق، وأجزاء سائر الأعضاء التي يسلك فيها، مثل أجزاء الفم، وأجزاء الأنف".^(٥)
وعرف ابن رشد التصويت بقوله: "هو صوت ما من مُتَنَفِّسٍ، وهو الذي يوجد فيه نغم وإيقاع ولفظ، ولذلك سميت كثير من الألفاظ مُصَوِّتَةً على جهة التشبيه بالحيوان، مثل المزمار وأشباهه".^(٦)

(١) رسالة في اللغثة ص ٥٢٦.

(٢) الكتاب ١٦٥/٤.

(٣) التمهيد ص ٢٨١.

(٤) الأصول ٣٧٢/٢.

(٥) الموسيقى الكبير ١٠٦٦.

(٦) تلخيص كتاب النفس ص ٨٢. ومعنى الحيوان في عرف المناطقة: الكائن الحي.

وتقدم استعمال: (التصويت) مضافاً في الألفاظ المستعملة لأعضاء النطق، ك:
(آلات التصويت الإنساني)، و(آلات التصويت)، و(آلة التنفس والتصويت).

٢- المعنى الثاني ل: (التصويت) = صفة من صفات الحروف:

استعمله من العلماء: القرطبي، حيث عد: (التصويت) صفة من صفات الحروف^(١)، وهو يعنى بها اللقب الذي لقيت به حروف المد الثلاثة، قال: "وأما المصوِّتة فالألف والواو والياء، وإنما سميت مصوِّتة لأن النطق بهن يصوِّت أكثر من غيرهن؛ لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن".^(٢)

المخارج النطقية الرئيسة وعدد المخارج الفرعية:

المخارج الرئيسة عند العلماء، هي:

١- (الحلق، واللسان، واللهاة): الخليل.

ضمّن الخليل هذه الثلاثة ثمانية أحياز فرعية نسب إليها الحروف الصحيحة، ونسب الألف والواو والياء إلى الفراغ (الجوف).^(٣)

٢- (الحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم): سيبويه.^(٤)

ضمّنها سنة عشر مخرجاً نسب إليها الحروف الهجائية، ونسب حروف المد إلى مخارجها: الألف من الحلق، والياء بحالتيها من وسط اللسان، والواو بحالتيها من الشفتين.

وتابعه: ابن جني^(٥)، ومكي^(١)، والداني^(٢)، والقرطبي^(٣)، وأبو العلاء الهمداني.^(٤)

(١) الموضح ص ٩٩.

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ - ٩٨.

(٣) العين ١٦٧/٨. ولن ترتقي المخارج التي أوردها الخليل في كتابه بحال لتصل إلى سبعة عشر مخرجاً، كما هي في كتب المتأخرين من علماء التجويد كالتمهيد لابن الجزري، والذي يبدو لي أن مذهب السبعة عشر مخرجاً مذهب مركب من مذهب الخليل وسيبويه؛ إذ أخذ من الخليل فقط نسبه الألف والواو والياء إلى الجوف، وترك الباقي كترتيب سيبويه، فتكملت المخارج سبعة عشر، وذلك بإضافة الجوف إلى الستة عشر مخرجاً، والله أعلم.

(٤) الكتاب ٤/١٧٦ و ٤٣٤. وأضفت الخيشوم لأنه جعل المخرج السادس عشر للنون الخفية، وهو يريد الخيشوم.

(٥) سر صناعة الإعراب ٤٦/١.

٣- (الحلق، والفم، والشفطان، والخيشوم): ابن دريد. وتابع- في أحد مذهبيه-

سيبويه في عدّ مخارجها الفرعية. (٥)

٤- (الحلق، والفم، والأنف): الفارابي. (٦)

٥- (الحلق، والفم، والشفطان): الخفاجي. وتابع سيبويه في عدّ مخارجها الفرعية. (٧)

٦- (الحلق، والفم، واللسان، والشفطان): عبد القاهر الجرجاني. (٨)

٧- (الحلق، واللسان، والشفطان): ابن الطحان الأندلسي. (٩)

ضمنها خمسة عشر مخرجاً بإسقاط مخرج النون الخفية من الخيشوم، وتابع سيبويه في ترتيب الباقية. من خلال هذه الآراء السبعة نجد أن ابن دريد قد استوعب المخارج الرئيسة كلها: الحلق، والفم (بما يضمُّه من الحنك واللسان والأسنان)، والشفطان، والخيشوم.

الألفاظ المستعملة في المخارج:

سأتناول ألفاظ المخارج من ثلاث جهات:

١- الألفاظ المستعملة في تحديد مخرج الحرف.

٢- الألفاظ المستعملة للتعبير عن مخرج الحرف.

٣- الألفاظ المستعملة في اختبار مخرج الحرف.

أولاً: الألفاظ المستعملة في تحديد المخارج:

(١) الرعاية ص ١٤٤.

(٢) التحديد ص ١٠٢.

(٣) الموضح ص ٧٧.

(٤) التمهيد ص ٢٧٧.

(٥) الجمهرة ٨/١.

(٦) الموسيقى الكبير ص ١٠٦٦.

(٧) سر الفصاحة ص ١٢.

(٨) دلائل الإعجاز ص ٤٥٥.

(٩) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٣.

أصبح من المعلوم أن الترتيب الصوتي هو الذي اعتمده أكثر العلماء، ولأجل ذلك استعملوا ألفاظاً عدة في تحديد أماكن خروج الحروف وفقاً لهذا الترتيب، ويحكم هذه الألفاظ ثلاثة أمور:

١- القرب والبعد من الشفتين:

من ألفاظ القرب باتجاه خروج الصوت: (أدنى، أقرب، أقدم، أخرج، أرفع، تحت، مقدم)، ومن ألفاظ البعد بعكس اتجاه الصوت: (أقصى، أبعد، آخر، فوق، فوق، أدخل، وراء، خلف).

٢- بحسب افتراض البداية والنهاية والوسط:

فمثلاً قد يطلق بعضهم على أقصى الحلق: (أول الحلق)، وعلى أدنى الحلق: (آخر الحلق)، وعلى ما بينهما: (وسط الحلق). وقد يعكس الأمر عند بعض آخر، فيطلقون على أدنى الحلق: (أول الحلق مما يلي الفم)، وعلى أقصى الحلق: (آخر الحلق).

٣- بحسب مجاورة المخارج:

من الألفاظ التي تدل على ذلك استعمالهم: (مما يليها...، مما يجاورها، مما يحاذيها).

وقد تقدمت هذه الألفاظ وأصحابها في استعمالات أعضاء النطق، فلا داعي لتكرارها هنا.

ثانياً: الألفاظ المستعملة لمخرج الحرف:

استعمل لمخرج الحرف عدة ألفاظ، منها:	
١- (المقطع، المقاطع). ٢- (الموضع). ٣- (الحيز، الأحياز، الأحواز).	
٤- (المخرج، المخارج). ٥- (المدرج). ٦- (المبدأ).	
٧- (المكمن). ٨- (المعتمد). ٩- (المنفذ).	
١٠- (المحل). ١١- (الأماكن الواجبة للنطق). ١٢- (المكان).	
١٣- (المجري، المجاري). ١٤- (مستقر الحرف). ١٥- (المسلك).	
١٦- (السييل). ١٧- (المحبس). ١٨- (المواطن).	
ملاحظة: تعددت ألفاظ العلماء بسبب الزاوية التي ينظر إليها لمخرج الحرف.	

١ - المصطلح الأول لمخرج الحرف: (المقطع، المقاطع):

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على صرم وإبانة شيء من شيء، يقال: قطعت الشيء أقطعه قطعاً، والمقطع: موضع قطع الشيء، ومنقطع الشيء، حيث ينتهي إليه طرفه، نحو: منقطع الوادي والطريق. (١)

استعمل: (المقطع، المقاطع) في أكثر من معنى، منها:

- ١- مواضع الوقف في الكلام. ٢- المقطع الصوتي.
- ٣- مخرج الحرف. ٤- الصوت اللغوي.

١ - المعنى الأول ل: (المقطع، المقاطع) = مواضع الوقف في الكلام:

كان تحسس العرب لمواضع الوقف في كلامهم من عناوين بلاغتهم، فقد كانوا يمدحون الخطيب والمنفوة منهم بمعرفة لمقاطع الكلام، قال معاوية لبعض الناس: "فَسَلِّ لسانك، وجُل في ميادين البلاغة وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال، فإني شهدت رسول الله ﷺ أُملى على علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتاباً، وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المُصْرَم صرِمته". (٢)

وقال الأحنف بن قيس: "ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده، إلا عمرو بن العاص رضي الله عنه كان إذ تكلم تفقد مقاطع الكلام، وأعطى حق المقام، وغاص في استخراج المعاني بالطف مخرج، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعيته من الألفاظ". (٣)

(١) مقاييس اللغة ص ٨٦٢ (ق ط ع)، والمصباح المنير ص ٥٠٩.

(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص ٤٩٨. ومعنى تفقد المصرم صرِمته: تفقد صاحب النخل نخله عند أوان نضجه.

(٣) الصناعتين ص ٤٩٧.

وذكر الفارابي أن من علم قوانين تصحيح القراءة العلامات التي توضع "المقاطع الأقاويل، وتميز علامات المقاطع الصغرى من علامات المقاطع الوسطى والكبرى، فتبين علامات رداءة الألفاظ والأقاويل المرتبطة، والتي ينقض بعضها بعضاً وخاصة إذا تباعد ما بينها".^(١)

وأظنه يتحدث عن علامات الترقيم بين فواصل الكلام.

ويعد علم الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل من أوائل العلوم التي ظهرت فيها المصنفات، فكان من أوائل المصنفين فيه: حمزة بن حبيب الزيات، ونافع بن أبي نعيم، والكسائي، ويعقوب الحضرمي، والفراء، وأبو عبيدة، والأخفش، وأبو حاتم السجستاني، ثم توالى فيه المصنفات بعد ذلك^(٢)، وكانت بعض هذه المصنفات تحمل اسم: (المقاطع) كمرادف للوقف، ككتاب: (المقاطع والمبادي) لابن مهران.^(٣)

وذكر الزمخشري أن معنى مقاطع القرآن: أماكن الوقف منه.^(٤)

ومما يدل على عناية العرب بمقاطع الكلام عنايتهم بالقافية؛ لأنها آخر البيت، قال ابن جني: "والعناية بالمقاطع أقوى منها بمدرج الألفاظ. ألا تراهم يتسمّحون بحشو البيت في اختلافه، فإذا وصلوا إلى القافية راعوها ووقفوا بين أحكامها، أعني في الروي، والوصل، والخروج، والردف، والتأسيس، والحركات، وسبب ذلك أنه مقطع، والمعول في أكثر الأمر عليه".^(٥)

وكانت هذه العناية من المتقدمين بمواضع الوقف تقوم في الخطب والأشعار مقام النبرات والنغمات عند سائر الأمم فيما يعرف عند المعاصرين بـ: (التنغيم Intonation)، قال

(١) إحصاء العلوم ص ٦٤.

(٢) الفهرست ص ٣٦، والقطع والانتاناف ٢/١.

(٣) الميسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط ٢، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ص ١٠٣.

(٤) أساس البلاغة ص ٥١٤.

(٥) المحتسب ٣٠٢/١، والخصائص ٨٣/١.

ابن رشد: "وهذا الضرب من النغم ضروري في أوزان أشعار من سلف من الأمم ما عدا العرب، فإن من سلف من المم كانوا يَزِنُون أبياتهم بالنغم والوقفات، والعرب إنما تزنها بالوقفات فقط. ومنها أيضاً أن تُستعمل أشعاراً في افتتاح القول وختمه ومواضع الوقف".^(١) ويدرّس علم الأصوات المعاصر مواضع الوقف في الكلام تحت ما يسمى بـ: (الوحدات فوق المقطعية).^(٢)

٢- المعنى الثاني لـ: (المقطع) = المقطع الصوتي (Syllable):

المقطع هو وحدة صوتية أكبر من الصوت اللغوي، ويتكون من حرف غير مصوّت (جامد) مع حرف مصوت قصير أو طويل (ذائب).

قال الفارابي عن المقطع القصير والطويل: "وكل حرف غير مصوت أُتبع بمصوت قصير قرن به، فإنه يسمى: (المقطع القصير)، والعرب يسمونه: (الحرف المتحرك)، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات.

وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإننا نسميه: (المقطع الطويل).^(٣)

وقال ابن رشد: "وذلك أن الحروف منها مصوت وغير مصوت، والمصوت منه ممدود ومقصود، والمقطع هو الذي يأتلف من حرفين: مصوت وغير مصوت".^(٤)

وأظهر ابن رشد أن المقطع الصوتي هو وحدة مركبة جديدة، وليس الجامد والذائب، قال: "فإن المقطع ليس هو اجتماع الحروف التي تولّد منها، بل هو شيء زائد على الحروف".^(٥)

(١) تلخيص الخطابة ص ٢٥٠ - ٢٥١. وانظر مصطلح: (الأخذ بالوجه).

(٢) علم الأصوات العام لبسام بركة ص ٩٩.

(٣) الموسيقى الكبير ص ١٠٧٥.

(٤) تفسير ما بعد الطبيعة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رُشد الأندلسي، تحقيق: مورييس بوجاس، بيروت،

١٩٦٧م، ٢/١٩١ - ١٩٢.

(٥) المرجع السابق ٢/١٠١٦.

ومن الغريب أنه قد أُطرد لدى الدارسين عموماً أن العرب لم يعرفوا المقطع بهذا المفهوم الذي سبق، وهو حكم كاد يصبح مقررأ لدى كل الناظرين في علم الأصوات. والسبب الجوهرى هو الحاجز الاعتباطى الذى قام على أيديهم بين مشارب التراث ومصادره المتنوعة بتنوع الاختصاصات فيه. (١)

والمقاطع فى اللغة العربية عند علم الأصوات العربى المعاصر تتكون من متحرك قصير أو طويل (ب، با)، أو متحرك قصير أو طويل بعده ساكن (لن، لأن)، أو متحرك قصير وساكنين عند الوقف (يُسْر)، ولا سادس لهذه المقاطع.

أما عند المتقدمين فالمقطع الصوتى يتألف من الأسباب والأوتاد فى عروض الشعر (٢)، وله ارتباط بعلم الإيقاع النغمى فى الموسيقى، ولا تكفى هذه العجالة لتفصيل هذا الارتباط. (٣)

لكن جملة القول أن العلاقة بين الوزن الشعرى والإيقاع النغمى وثيقة جداً، قال الفارابى: "فنسبه وزن القول إلى الحروف، كنسبة الإيقاع المفصّل إلى النغم، فإن الإيقاع المفصل: هو نقلة منتظمة على النغم ذوات فواصل، ووزن الشعر: نُقْلَةٌ منتظمة على الحروف ذوات فواصل". (٤) وقال ابن فارس: "أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع، إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة". (٥)

(١) التفكير اللسانى فى الحضارة العربية ص ٢٦١ بتصرف.

(٢) السبب فى علم العروض: مقطع مؤلف من حرف متحرك وساكن (خفيف مثل: لم، لا)، أو حرفين متحركين (ثقل مثل: من). أما الوند فمقطع مؤلف من سبب ثقل متبوع بساكن أو متحرك (وند مجموع: أخل، أو متوالى: جبلن، سمكئن)، أو سبب خفيف متبوع بمتحرك أو ساكن (وند مفروق مثل: ظهْر، أو مفرد مثل: يُسر).

(الموسيقى الكبير ص ١٠٧٥).

(٣) الموسيقى الكبير ص ١٠٧٥ وما بعدها، ومقالة الدكتور على الزبيدى بعنوان "الخليل الموسيقىار" مجلة المورد ١٣٩٥ - ١٩٧٥ مج ٤ عدد ٤، ص ٢٩.

(٤) الموسيقى الكبير ص ١٠٨٥.

(٥) الصحاح ص ٤٦٧.

وهذا المفهوم من أهميته معرفة سبب إطلاق السكون على حروف المد عند الخليل ومن جاء بعده، فالخليل - وهو واضع علم العروض، وواضع كتابي النغم والإيقاع - قد عد الحرف المتحرك المختوم بساكن يعادل في العروض الحرف الممدود المختوم بحرف كد (أن = نا، نو، ني)، وهكذا عده شيخ الموسيقيين الفارابي في الإيقاع الموسيقي حيث يقول: "وكل مقطع طويل، فإن قوته قوة السبب الخفيف، فلذلك يعد في الأسباب الخفيفة، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة... وكل سبب خفيف، فإنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة، وكذلك كل مقطع طويل".^(١)

فالعلاقة بين الساكن والمتحرك في علم العروض علاقة عروضية إيقاعية مقطعية بحتة.

وذكر الفارابي أن الأسباب والأوتاد في علم العروض عند العرب يقابلها المقاطع والأرجل عند اليونانيين.^(٢)

وأريد أن أنبه في ختام هذا المعنى إلى أن المقاطع الصوتية والنبر والتنغيم ليست معانٍ حديثة؛ بل هي قديمة جداً ذكرها (أرسطو) في كلامه الخاص عن الشعر والخطابة، وفصلها أصحاب المدرسة العقلية من فلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد، ومن أجل هذا أدعو الباحثين المعاصرين للكشف عن أصول هذا المصطلح، مع الدراسة العميقة لمقاطع الشعر العربي ومقارنتها بعلم الإيقاع الموسيقي، وتفقد نظام الأسباب والأوتاد في عروض الشعر؛ لأنها هي المعول عليها في قياس الأصوات وكميتها، ولأن الحروف تكال بميزان العروض، فهو عيار الحس، وحاك القسمة والوضع، كما يقول ابن جني.^(٣)

٣- المعنى الثالث ل: (المقطع) = مخرج الحرف:

استعمل ابن جني: (المقاطع) للتعبير عن أماكن قطع الصوت، التي عندها يتولد الصوت اللغوي، ويكون مخرج الحرف في قوله الشهير: "أعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تنبيه عن امتداده

(١) الموسيقى الكبير ص ١٠٧٥-١٠٧٩.

(٢) إحصاء العلوم ص ٦٥.

(٣) الخصائص ٢/٣٢٨.

واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها... ألا ترى أنك تبتدىء الصوت من أقصى حلقك. ثم تبلغ به أيّ المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما".^(١)

وحام حول عبارته: القرطبي^(٢)، والخفاجي^(٣).

٤- المعنى الرابع ل: (المقطع) = الصوت اللغوي:

إذا كان الصوت ينقطع في أماكن معينة تعد منقطعات وحدوداً لهذا الصوت على طول مجرى النطق، وكان معنى الحرف في اللغة هو الحد، ساغ حينئذ لابن جني أن يستعمل: (المقطع) بمعنى الحرف، في قوله الذي تقدم آنفاً: "أعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً"^(٤)

وهذا الذي جعل القرطبي والخفاجي^(٥) يعرفان الحروف بأنها مقاطع، قال القرطبي: "فالخروف هي مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النفس ممتداً مستطيلاً، فتمنعه عن اتصاله بغايته".^(٦)

٢- المصطلح الثاني لمخرج لحرف: (الموضع):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على الخفض للشيء وحطه. وضعت بالأرض وضعاً. واسم المكان: الموضع والموضع بالفتح نادر. وقد يأتي الموضع بمعنى الوضع أي المصدر، فتقول: وضعت الشيء موضعاً واحداً لا يتزحج عنه، أي وضعاً ثابتاً.^(٧)

(١) سر صناعة الإعراب ٦/١.

(٢) الموضح ص ٧١.

(٣) سر الفصاحة ص ١٢.

(٤) سر صناعة الإعراب ٦/١.

(٥) سر الفصاحة ص ١٢.

(٦) الموضح ص ٧١.

(٧) مقاييس اللغة ص ١٠٥٥ (و ض ع) ولسان العرب ٣٩٦/٨ (و ض ع).

استعمل: (الموضع) في أكثر من معنى، منها:

١- المخرج.

٢- المكان بالنظر إلى الدلالة الأصلية.

٣- مشارك في التعبير عن تحقيق الانسجام بين الأصوات.

٤- الحركة التي يعتمد عليها الحرف وتقلبه إلى جنسها، ويتعلق هذا بالمقطع الصوتي، وانظر مصطلح الاعتماد على الحركة.

١- المعنى الأول ل: (الموضع) = المخرج:

استعمل الخليل: (الموضع) بمعنى مخرج الحرف في أكثر من مكان، فمن ذلك تعريفه ل: (بلة اللسان) فقال: "وقوعه على مواضع الحروف، واستمراره على المنطق، يقال: ما أحسن بلة لسانه، أو مايقع لسانه إلا على بلة".^(١)

وقال في تفسير التمتمة: "والتمتمة في الكلام: الأبيّن اللسان... يخطئ موضع الحرف، فيرجع إلى لفظ كأنه التاء والميم".^(٢)

وتابعه سيبويه فقال عن الهاء مرة: إنها من مخرج الألف^(٣)، ومرة إنها من موضع الألف.^(٤)

وقال في موضع آخر: "ألا ترى أن الحرفين إذا تقارب موضعهما فتحركا، أو تحرك الأول وسكن الآخر لم يدغموا...".^(٥)

وقوله: "والتاء والبدال سواء، كل واحدة منهما تدغم في صاحبتهما حتى تصير التاء دالاً والبدال تاء؛ لأنهما من موضع واحد".^(٦)

(١) العين ٣١٩/٨.

(٢) المرجع السابق ١١١/٨.

(٣) الكتاب ١٩٣/٤.

(٤) المرجع السابق ١٩٥/٤.

(٥) المرجع السابق ٣٦٧/٤.

(٦) الكتاب ٤٦١/٤. وانظر في هذا المعنى: ٤٤٨/٣، ٤٧١/٣، ٤١١/٤، ٣٣٥/٤، ٤٦٠/٤، و ٤٧٧/٤.

ومنه أيضاً ما تقدم في مصطلح: (الاعتماد) من إشباع الاعتماد في الموضع وضعفه فيه وانقضائه.

وتابعهما كثير من العلماء، منهم: الأخفش^(١)، والمبرد^(٢)، والزجاج^(٣)، وابن السراج^(٤)، والنحاس^(٥)، والفارسي^(٦)، والسعيدي^(٧)، ومكي^(٨)، والدايني^(٩) والقرطبي^(١٠)، والهمداني^(١١)، وغيرهم.

وتوسع بعض العلماء فيه، ليتناول مواطن أخرى غير مخارج الحروف، فمن ذلك ما ذكره الدايني من أن "الأنف موضع الغنة"^(١٢).

ملاحظة: هذا المعنى لا يُغَيَّب الدلالة الأصلية للكلمة أي المكان، بل يسيران جنباً إلى جنب. فلو استبدلت الألفاظ السابقة ب: (المكان أو المخرج) لصحاً.

٢- المعنى الثاني ل: (الموضع) = المكان بالنظر إلى الدلالة الأصلية:

كقول سيويه عن الحرفين المتماثلين المدغمين في كلمة وكلمتين، قال: "هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه"^(١٣). أي: مكاناً واحداً.

(١) معاني القرآن ٥٩٢/٢.

(٢) المقتضب ٣١٠/١، و٣٣٠.

(٣) معاني القرآن وإعرايه ١٣٣/٥.

(٤) الأصول ١٦٧/٣.

(٥) إعراب القرآن ٣٧١/٤.

(٦) الحجة ٩٧/١، والتكملة ص ٢٢٧.

(٧) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٢.

(٨) الرعاية ص ١٢٦، و١٤٠-١٤١.

(٩) التحديد ص ٧٨ و ٩٥، و ١٠٩.

(١٠) الموضح ص ٦٦، ٩٦.

(١١) التمهيد ص ٢٨٢.

(١٢) التحديد ص ١٠٥.

(١٣) الكتاب ٤٣٧/٤، و ٥٢٩/٣، و ١٧٤/٤.

وقول ابن جني عن آخر الكلمة: إنه موضع الوقف، ومكان الاستراحة. ^(١)

وقول ابن سينا عن العين أنها في (الموضع الذي يناله هواء التهوع أدخل إلى الحلقوم)، وعن الحاء أنها في (الموضع الذي يناله هواء التنحنح). ^(٢) أي: في المكان الذي... وعرف الداني المخرج بأنه: "الموضع الذي ينشأ منه الحرف". ^(٣) يعني المكان.

٣- المعنى الثالث لـ: (الموضع) = مشارك في التعبير عن تحقيق الإنسجام بين الأصوات:

في الانسجام في الإدغام:

١- (رفع اللسان من موضع واحد): سيويه، ونسبه في أحد نصوصه للخليل. ^(٤)

٢- (لزوم اللسان موضعاً واحداً): الداني. ^(٥)

وفي تقريب الصوت من الصوت مطلقاً استعملت التعبيرات التالية:

١- (الانتظام من موضع واحد): الخليل. ^(٦)

٢- (العمل من موضع واحد): ابن السراج ^(٧)، وابن خالويه ^(٨)، ومكي ^(٩)، والقرطبي ^(١٠).

٣- (اللفظ من موضع واحد): ابن خالويه. ^(١)

(١) الخصائص ٢٣٣/١.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ١١٦.

(٣) التحديد ص ١٠٢.

(٤) الكتاب ٥٢٩/٣ و ١١٧/٤، و ٢٣٧/٤.

(٥) التحديد ص ٩٩، والإدغام الكبير ص ٤٠.

(٦) العين ٢٤٣/٤.

(٧) الأصول ٣٧٢/٣.

(٨) الحجة ص ٧١.

(٩) الرعاية ص ١٠٩.

(١٠) الموضح ص ١٥٣، و ١٨٣.

٤- المعنى الرابع: الموضع = الحركة التي يعتمد عليها الحرف وتقلبه إلى جنسها:

استعمل الأخصف العبارتين التاليتين: (جعل الهمزة على موضعها) و (جعل الهمزة في موضعها)^(٢)، لتبين اعتماد الهمزة على حركتها، فإن كان قبلها فتحة قلبت ألفاً، وإن كانت ضمة قلبت واواً، وإن كانت كسرة قلبت ياء.

وهو يشبه إلى حد كبير ما جاء عند الخليل في استعمال لفظ: (الاعتماد) من أنه اعتماد الصوت على الحركة، وتسلسلها عليه، وقلبها له إلى ما يجانسها، ويتعلق هذا بالمقطع الصوتي. والله أعلم.

٣- المصطلح الثالث لمخرج الحرف: (الحيز، الأحياء، الأحواز):

يدل أصله اللغوي على الجمع والتجمع. يقال لكل مجمع وناحية حوز وحوزة^(٣)، قال الخليل: "حيز الدار: ما انضم إليها من المرافق والمنافع، وكل ناحية حيز على حدة... والتحيز في الحرب، أن ينضم قوم إلى قوم".^(٤)

استعمل الخليل: (الحيز، الأحياء) كأماكن في مجرى النطق نسب إليها مجموعة من الحروف^(٥). وهو بهذا المعنى أوسع من المخرج، لأن المخرج ربما ضم حرفاً واحداً فقط وربما أكثر، أما الحيز فلا بد أن يحتوى على مجموعة من الحروف حتى يطلق عليه هذا الاسم.

والأحياء عند الخليل ثمانية هي:

١- الشفتان. ٢- ذلق السان.

٣- اللثة. ٤- نطع الغار الأعلى.

٥- أسلة اللسان. ٦- شجر لقم.

(١) الحجة ص ٩٢، و ١١٤.

(٢) كلتا العبارتين في معاني القرآن ١/١٩٩، و ١/٢٠٣. وانظر مصطلح الاعتماد، وما أثبتته هناك من كلام للأخصف.

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٧٠ (ح و ز).

(٤) العين ٣/٢٧٥.

(٥) العين ١/٥٧، و ٨/٤٢١.

وكل من هذه الثمانية نسب إليه مجموعة من الأصوات، كالحلقية والشجرية... الخ، وقد تقدم الحديث عنها في أعضاء النطق.

وقد أشار الخليل إلى بعض من هذه الأحياز، على الترتيب الذي ذكرته، عند حديثه عن الميم، قال: "والميم من الحروف الصحاح الستة المذلقة التي في حيزين: حيز الشفتين، وحيز ذلوق اللسان... وهي آخر الحروف من الحيز الأول، وهو الحيز الشفوي".^(١)

أما حروف المد لما كانت لا تنتمي إلى حيز نسبها الخليل إلى الجوف أو الهواء (الفراغ)، قال عنها: "فلم تكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف".^(٢)

ومن هذا المعنى للحيز ونسبة الحروف الصحيحة إلى أحياز محددة دون حروف المد ذكر عبد الوهاب القرطبي أن الواو والياء "تكونان تارة من حروف المد واللين بأن تسكنا ويكون ما قبلهما منهما، وتارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الوضع بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما. ومتى وُجد ذلك زال عنهما معظم المد وبقي اللين وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة سائر الحروف الجامدة".^(٣)

وهذا فيه إدراك دقيق لهذين الصوتين وطبيعتهما الدائرة بين المد واللين.

تابع الخليل على استعمال: (الحيز، الأحياز): سيويه^(٤)، وثعلب^(٥)، والزجاج^(٦)، والرازي^(٧)، وأبو علي الفارسي^(٨)، وابن جني^(٩)، والسعيدي.^(١)

(١) العين ٤٢١/٨.

(٢) المرجع السابق ٥٧/١.

(٣) الموضح ص ١٢١. وص ١٤٢.

(٤) الكتاب ٤/٤٦٤، و٤٦٨ و٤٨١.

(٥) نقل ذلك السيرافي في كتاب: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٠.

(٦) معاني القرآن وإعراجه ١٣٣/٥.

(٧) الزينة ص ٦٤.

(٨) الحجة ١/٩٦، و٢/٧٥، و٣/١٧٣، و٥/٣٠٧.

(٩) الخصائص ٣/١٣، والمنصف ٢/٣٢٦.

استعمل أبو العلاء الهمذاني لفظ: (الأحواز).^(٢)

٤- المصطلح الرابع لمخرج الحرف: (المخرج):

من أصله اللغوي أن يدل على النفاذ عن الشيء، يقال: خرج من الموضع خروجاً ومخرجاً.^(٣)

استعمله كثير من العلماء، منهم: سيبويه^(٤)، والأخفش^(٥)، والجاحظ^(٦)، والمبرد^(٧)، وقدامة بن جعفر^(٨)، وابن دريد^(٩)، وابن خالويه^(١٠)، والفارسي^(١١)، وابن جني^(١٢)، وابن سينا^(١٣)، ومكي^(١٤)، والدايني^(١٥)، والقرطبي^(١٦)، وأبو العلاء الهمذاني^(١٧)، وغيرهم. وهو أشهر من أن يذكر له مثال.

٥- المصطلح الخامس لمخرج الحرف: (المدرج، المدارج):

(١) اختلاف القراءة في اللام والنون ص ٦٦.

(٢) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٩، و ٢٨٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٩٥ (خ ر ج) ز

(٤) الكتاب ٤/١٦٣، و ١٧٦.

(٥) القوافي ص ٤٣.

(٦) البيان والتبيين ١/٥٢.

(٧) المقتضب ١/٢٩٢ و ٣٢٨.

(٨) نقد الشعر ص ٢٨.

(٩) الجمهرة ١/٤.

(١٠) الحجة ص ١٥٢.

(١١) التكملة ص ٢٧٩.

(١٢) سر صناعة الإعراب ٢/٨١٥.

(١٣) أسباب حدوث الحروف ص ٦٠، ٦٢.

(١٤) الرعاية ص ٥٠.

(١٥) التحديد ص ١٠٢.

(١٦) الموضح ص ٦٦.

(١٧) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٩١.

يدل أصله اللغوي على مضي الشيء، والمضي في الشيء. من ذلك قولهم، درج الشيء، إذا مضي لسبيله. ومدارج الأكمة: الطرق المعترضة فيها^(١). قال الخليل: "والمدرجة: ممر الأشياء على مسلك الطريق ونحوها"^(٢).

استعمله من العلماء: الخليل، وابن دريد^(٣)، والرازي^(٤)، وابن جني^(٥)، وأبو العلاء الهمداني^(٦).

قال الخليل: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"^(٧).

نلاحظ - من خلاف النص - أن المخارج الرئيسية عند الخليل ثلاثة: الحلق، واللسان، واللهة. وهذه المخارج الكلية الثلاثة تضم الأحياء الثمانية - التي تقدمت في الحيز - وهذه الأحياء تضم مخارج الحروف التي هي مدارج، أي: يرتقي فيها الصوت من مخرج إلى مخرج أعلى منه بحسب الترتيب الصوتي من الداخل إلى الخارج، بدليل قوله في موضع آخر عن بعض حروف الحلق والقاف والكاف: "فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض... ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع"^(٨)، فهي في ذلك كمثله درجات السلم التي يرتقى فيها الإنسان، وهذا يحقق اختياره الدقيق للمدرجة والمدارج، والله أعلم.

٦- المصطلح السادس لمخرج الحرف: (المبدأ):

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٢) العين ٧٨/٦.

(٣) الجمهرة ٤/١، ٨.

(٤) الزينة ص ٦٤.

(٥) سر صناعة الإعراب ٤/١ - ٥.

(٦) التمهيد في معرفة التحويد ص ٢٧٣.

(٧) العين ١٦٧/٨.

(٨) المرجع السابق ٥٧/١ - ٥٨.

يدل أصله اللغوي على افتتاح الشيء، يقال: بدأت بالأمر وابتدأت، والمبدأ: مكان البدء. (١)

استعمله الخليل في حديثه عن علة نسبته الحروف إلى الأحياز الثمانية التي تقدمت في الحيز، فمثلاً، قال: "والجيم والشين والضاد شجرية؛ لأن مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم". (٢) ومثل ذلك جاء في جميع الألقاب الباقية. وأظن أن الخليل يعنى به مكان ابتداء التصويت بالحرف والاستهلال به.

وكذلك استعمله الكندي في وصف بعض الحروف، قال عن الهاء: "إنها تحتاج إلى نفس يخرج من عمق الرئة، ففتحة، وهمزة اللهوات بمبدأ نغمة ووقفة". (٣)

واستعمله الفارابي - أيضاً - في ذكره لأوائل الألحان، وهي أوائل نغمها واستهلالاتها عند الدخول إليها، حيث سماها (مبادئ الألحان). (٤)

وهؤلاء العلماء الثلاثة الذين استعملوا هذا المصطلح - من المطلعين على علم النغم والألحان - مما يرجح أن يكون هذا المصطلح خاصاً بتك الصناعة، والله أعلم.

٧- المصطلح السابع لمخرج الحرف: (المَكْمَنُ):

يدل أصله اللغوي على استخفاء. يقال: كمن الشيء كمنواً، واشتقاق الكمين في الحرب من هذا. (٥)

استعمله من العلماء: الخليل، قال: "ولكل حرف إذا مر به الصوت أثاره". (٦)

وهذا كأنه تشبيه لطيف بالحية في حجرها، ويعنى الخليل اعتراض أعضاء النطق على الصوت لإحداث صوت الحرف.

(١) مقاييس اللغة ص ١٠٢ ((ب د أ)).

(٢) العين ٥٨/١.

(٣) رسالة في اللغفة ص ٥٢٤.

(٤) الموسيقى الكبير ص ١١٦٠.

(٥) مقاييس اللغة ص ٨٧٦ (ك م ن).

(٦) العين ٣٨٦/٥.

٨- المصطلح الثامن لمخرج الحرف: (المُعْتَمَد):

يدل أصله على الاستقامة في الشيء منتصباً أو ممتداً، والعمد: أن تعمد الشيء بعماد يمسكه ويعتمد عليه. ^(١) وعمدت الحائط عمداً: دعمته، والعماد ما يسند به، والجمع عمد، واعتمدت على الشيء: اتكأت. ^(٢)

استعمل سيويوه: (المعتمد) للتعبير عن خروج القاف من الحنك الأعلى، قال عن القاف: "وذلك أنها من أقصى اللسان فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى.

والدليل على ذلك أنك لو جافيت بي حنكك فبالغت ثم قلت: قَقْ قَقْ لم تر ذلك محلاً بالقاف. ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أحل ذلك بهن، فهذا يدل على أن معتمدها الحنك الأعلى". ^(٣)

واستعمله بعض العلماء في وصف الألف، فقد ذكر علي بن سليمان الملقب بالأخفش الأصغر "أن الألف لا معتمد لها في الفم". ^(٤)
وتابعه: أبو علي الفارسي ^(٥)، وأبو الفضل الخزاعي ^(٦)، ومكي ^(٧)، والبدائي ^(٨)، والقرطبي. ^(٩)

(١) مقاييس اللغة ص ٦٧٤ (ع م د).

(٢) المصباح المنير ص ٤٢٨.

(٣) الكتاب ٤/٤٧٩ - ٤٨٠.

(٤) النوار في اللغة، لأبي زيد الأنصاري اللغوي (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: د. محمد عبدالقادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ٢٦٩.

(٥) الحجة ٥/٣٦٤. والنص هو: "وفي الألف خفاء شديد من حيث لم تعتمد في إخراجها على موضع، فصارت لذلك بمنزلة النَّفْس من أنه لا يُعْتَمَد له على موضع" اهـ. وهو حاصل كلام سيويوه في الكتاب ٤/٣٣٥.

(٦) المنتهي ص ١٥٥.

(٧) الرعاية ص ١٢٧، وص ٩٤.

(٨) التحديد ص ١٠٢، و ١٢٠، والإدغام الكبير ص ٤٩، والموضح لمذاهب القراء في الإمالة ل ١/أ و ٣٩/ب.

(٩) الموضح ص ٧٨.

وذكر القرطبي في تفخيم الراء أن "معتمد اللسان أخرج في الحنك الأعلى يسيراً، فينبسط حينئذ اللسان، وينحصر الصوت بينه وبين الحنك، فيحدث التفخيم لذلك".^(١) وهو إدراك دقيق لعملية التفخيم، وما يحدث فيها من انحصار للصوت بسبب تقعر اللسان.

وقال عن الراء المرققة: "وكان العمل فيها برأس اللسان، ومعتمدها أدخل إلى جهة الحلق في الحنك الأعلى يسيراً وأخذ اللسان من الحنك أقل مما يأخذ مع المفخمة، فينخفض اللسان حينئذ، فلا ينحصر الصوت بينه وبين الحنك فتجيء الرقة".^(٢)

وعرف أبو البركات ابن الأنباري التنوين، فقال: "ألا ترى أنه غنة في الخيشوم، وأنه لا معتمد له في الحلق، فأشبهه الألف إذا كان حرفاً هوائياً".^(٣)

وأظنه يعني إذا جاء بعده أحد حروف الإخفاء الخمسة عشر، وإلا فالتنوين في ذاته نون ساكنة لها معتمدان في الفم والخيشوم.

٩- المصطلح التاسع لمخرج الحرف: (المنفذ):

يدل أصله اللغوي على مَضَاءٍ في أمر وغيره، ونفذ السهم الرمية نفاذاً، وأنفذته أنا، وهو نافذ: ماض في أمره.^(٤)

استعمله من العلماء: سيبويه^(٥)، وابن جني^(٦)، والقرطبي.^(٧)

مثال: قال سيبويه عن علة إخراج نحو النفخة في الضاد والطاء والذال والزاي بأنها وجدت مخرجاً لصوتها، قال عن هذه الأربعة: "لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر

(١) الموضح في التجويد ص ١٠٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦.

(٣) أسرار العربية ص ٣٩.

(٤) مقاييس اللغة ص ١٠٠٢ (ن ف ذ).

(٥) الكتاب ١٧٤/٤ - ١٧٥.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٦٤.

(٧) الموضح ص ٩٣.

انسئل آخره وقد فتر من بين الثنايا؛ لأنه يجد منفذاً فتسمع نحو النفخة... والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس".^(١)

١٠- المصطلح العاشر لمخرج الحرف: (المحلُّ):

يدل على مكان الحلول، والمحل بفتح الحاء، وبالكسر لغة، والمحلَّة، بالفتح، المكان ينزله القوم.^(٢)

استعمله من العلماء: المبرد، قال: "فمحلُّ اللام والنون والراء متقارب بعضه من بعض".^(٣)

١١-١٢- المصطلح الحادي عشر والثاني عشر لمخرج الحرف: (الأماكن الواجبة للنطق)، (المكان):

استعمله الكندي: (الأماكن الواجبة للنطق)، في تعليل اللثغة: قال: "واعلم يا أخي أن اللثغة إنما تعرض من سبيين: إما لنقصان آلة المنطق، وإما لزيادتها فلا تقدر على تسريح الأماكن الواجبة للنطق مقل: مقاديم الأسنان وجميع الأماكن الواجبة للنطق... وقد تعرض اللثغة أيضاً من جهة أخرى من ضعف العضو المنطقي، وليس هذا مما يجري في الأكثر، وإنما يجد الشيء بالحد الأكثر".^(٤)

واستعمل: (المكان) تعبيراً عن المخرج: ابن زنجلة^(٥)، وعبد القاهر الجرجاني.^(٦)

١٣- المصطلح الثالث عشر لمخرج الحرف: (مُسْتَقَرُّ الحرف):

من أصله اللغوي أن يدل على تمكن، يقال: قرَّ واستقرَّ، والاستقرار: التمكن.^(٧)

(١) الكتاب ١٧٤/٤.

(٢) المصباح المنير ص ١٤٨.

(٣) المقتضب ٣٢٩/١.

(٤) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨.

(٥) الحجة ص ٢٧٩.

(٦) دلائل الإعجاز ص ٤٥٥.

(٧) مقاييس اللغة ص ٨٢٤ - ٨٢٥.

استعمله من العلماء: الأخفش الأصغر^(١)، وأبو جعفر النحاس^(٢)، وابن جني، ومكي^(٣)، وابن رشيق القيرواني^(٤)، والقرطبي^(٥).

مثال: قال ابن جني: "وسيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحركاً؛ لأن الحركة تفلق الحرف عن موضعه ومُسْتَقَرُّه".^(٦)

١٤ - المصطلح الرابع عشر المخرج الحرف: (المسلك):

يدل أصله اللغوي على نفوذ شيء في شيء. يقال: سلكت الطريق أسلكه، وسلكت الشيء في الشيء: أنفذته.^(٧)

استعمله من العلماء: ابن مهران^(٨)، وابن سينا.^(٩)

مثال: قال ابن مهران عن مذهب أبي عمرو البصري في الإدغام: "فأما الذي يختار إدغامه ولا يرى إظهاره، وهو جائز فالحروف الساكنة المتقاربة في المسلك".^(١٠)

وقال ابن سينا عن الفرق بين الثاء والسين: "وكأن الثاء سين تُلُوفِيَتْ بحبس وتضييق فُرَج مسلك هوائها الصقار"^(١١). يعنى حبس الثاء بطرف اللسان مع أطراف الثنايا منعها من أن يكون كالسين في طبيعة المخرج.

١٥ - المصطلح الخامس عشر لمخرج الحرف: (السييل):

(١) النوادر ص ٢٦٩.

(٢) إعراب القرآن ١/٢٢٧.

(٣) الرعاية ص ١٣٦.

(٤) العمدة ١/١٣٧.

(٥) الموضح ص ٧٢.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٦.

(٧) مقاييس اللغة ص ٤٦٨ (س ل ك).

(٨) المسبوط ص ٨٩.

(٩) أسباب حدوث الحروف ص ٦١ و ٧٥ و ١١٧.

(١٠) المسبوط ص ٨٩.

(١١) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٢.

يدل أصله اللغوي على إرسال شيء من علو إلى سفلى، وعلى امتداد شيء. فمن الأول: أسبلت الستر، أسبلت السحابة ماءها. ومن الثاني: السبيل، وهو الطريق، سُمي بذلك لامتداده. (١)

استعمله من العلماء: ابن سينا، قال عن الهاء: "وأما الهاء فإنها تحدث عن مثل ذلك الحفز في الكم والكيف [يعنى: الذي في الهمزة] إلا أن الحبس لا يكون حبساً تاماً، بل تفعله حافات المخرج، وتكون السبيل مفتوحة، والانفعال يماس حافته بالسواء غير مائل إلا إلى الوسط". (٢)

١٦- المصطلح السادس عشر لمخرج الحرف: (المَحْبِس):

نظير المقطع. وتقدم الحديث عنه في: (المحابس) في أعضاء النطق.

١٧- المصطلح السابع عشر لمخرج الحرف: (المَجْرَى، المَجَارِي):

من المشترك اللفظي، تقدم.

١٨- المصطلح الثامن عشر لمخرج الحرف: (المَوَاطِنُ):

يدل على محل الإنسان، أي ما يقيم فيه. وأوطان الغنم: مرابضها. وأوطنت الأرض: اتخذتها وطناً. (٣)

استعمله من العلماء: ابن الطحان الأندلسي، قال: "ومخارج الحروف... خمسة عشر مخرجاً في ثلاثة مواطن". (٤) يعنى: في ثلاثة مخارج رئيسية.

ثالثاً: الألفاظ المستعملة لاختبار مخرج الحرف:

ذكر الليث الكيفية التي كان يختبر بها الخليل الحروف، وذلك بإدخال همزة من قبل الحرف، فقال: "وإنما كان ذَوَاقُهُ إياها أنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف، نحو: اب،

(١) مقاييس اللغة ٤٨٢ (س ب ل).

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ٧٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ١٠٥٦ (و ط ن).

(٤) مخارج الحروف وصفاتها ص ١١٣.

ات، اخ، اغ، اغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها، الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها، وهو الميم".^(١)

وجرى على هذه الطريقة أكثر العلماء الذين جاؤوا بعده. ويجب أن نلاحظ أن هذه الطريقة تجرد الحرف مما يلحقه من أصوات كالقلقلة، وهي تستعمل فقط لاختبار المخرج، أي: نقطة التقاء عضوي النطق، لا لكيفية نطق الحرف الساكن عند العرب.

وقد عاب الدارسون المحدثون من الصوتيين العرب هذه الطريقة، وحذروا من استعمالها؛ لأنها- في نظرهم- لا تحقق للحرف استقلالته التامة. وكلامهم هذا قد يصح في نطق بعض الأصوات، كالزاي والشين، لكنه يتعذر في نطق بعض الأصوات الأخرى كالمهزة والتاء، إذ لا بد لها من صوت يلحقها، إما نفخ وإما حركة، فلا تتحقق للصوت الاستقلالية التامة التي يرجونها له.

استعمل للاختبار الصوتي عدة مصطلحات مترادفة، منها:
١- (الدُّوقُ، والدُّواقُ).
٢- الاعتبار.
٣- الامتحان.
٤- التطعم.

١- المصطلح الأول لاختبار مخرج الحرف: (الدُّوقُ والدُّواقُ):

من المشترك اللفظي، يدل أصله اللغوي على اختبار الشيء من جهة تطعم، ثم يشتق منه مجازاً، فيقال: ذقت المأكول أذوقه ذوقاً، وذقت ما عند فلان: اخترته. وكل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه. ويقال: ذاق القوس، إذا نظر ما مقدار إعطائها وكيف قُوَّتْها.^(٢)

استعمل: (الدوق، والدواق) في أكثر من معنى، منها:
١- الاختبار.
٢- بيان أن تسهيل الهمزة على قياس تحقيقها. ٣- التقدير.

(١) العين ٤٧/١.

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٧٠ (ذ و ق).

١- المعنى الأول لـ: (الذوق، الذواق، المذاق، مذاقة الحروف) = اختبار مخرج الحرف:

استعمله الليث بن المظفر في حديثه عن ترتيب الخليل الصوتي للحروف بدءاً من الحلق وانتهاءً بالشففتين، فقال: "فأعمل فكره فيه، فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول: أ ب ت ث، وهو الألف؛ لأن الألف حرف معتل، فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني، وهو الباء، إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق".^(١)

وتقدم استعمال الليث لـ: (الذواق) في حديثه عن الكيفية التي كان يختبر بها الخليل الحروف، في قوله: (وإنما كان ذواقه إياها...).

تابع الليث على هذا المعنى: ابن جني مستعملاً: (الذوق، والمذاق)،^(٢) وعبد القاهر الجرجاني^(٣)، مستعملاً: (مذاقه الحروف)، والهمذاني ناقلاً إحدى عبارات ابن جني.^(٤)

٢- المعنى الثاني لـ: (الذوق والذواق) = تسهيل الهمزة على قياس تحقيقها:

حكى داود بن أبي طيبة، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن، وأبو يعقوب يوسف بن عمرو الأزرق مذهب ورش عن نافع في الكلمة القرآنية: (هأنتم)، قالوا: "يسهلها على مذاق الهمز لو كان فيها"^(٥)

(١) العين ٤٧/١. وحكى السيوطي في المزهر ٩٠/١ عن ابن كيسان: "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين انصع الحرفين، فابتدأت به؛ ليكون أحسن في التأليف" اهـ.

(٢) سر صناعة الإعراب ٤٥/١، و٤٠٩، و٨١٤/٢، والخصائص ٧٥/١.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٣٨٦، ٥١٨.

(٤) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٣. وهو ناقل لعبارة ابن جني في سر صناعة الإعراب ٤٥/١.

(٥) نقل الداوي عبارتهم في جامع البيان ل ١٣٢/١ أ.

وقال ابن مجاهد: "وقرأ نافع: (أرءيتكم)، (أرءيتم)، (أرءيت) من غير همز، والألف على مقدار ذوق الهمز".^(١)

فسر أبو علي الفارسي عبارة ابن مجاهد- وبها تفسر عبارة رواة ورش- فقال: "وقوله: قرأ نافع بألف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمز، يريد: أن نافعاً كان يجعل الهمزة بين بين، وقياسها إذا خففت أن تجعل بين بين، أي: بين الهمزة والألف، فهذا التخفيف على قياس التحقيق".^(٢)

فذوق الهمز هنا هو من جهة القياس بالهمزة المحققة، قال الداني: "والهمزة ها هنا وإن كانت مسهلة قد أضعف الصوت بها ولم تتم... فإنها في تقدير المحققة التامة الصوت، وفي وزنها، فلذلك جرت مجراها في الاعتداد بها".^(٣)

ونظير العبارة التي تقدمت عن رواة ورش وابن مجاهد العبارة التي اشتهرت على لسان سيوييه، وتابعه عليها كثير من العلماء، وهي قوله عن الهمزة المسهلة: "والمخففة بزنتها محققة".^(٤)

٣- المعنى الثالث ل: (الذوق والذواق) = التقدير:

قدر أبو طاهر بن غلبون مقدار المد في الكلمة الأولى من قوله تعالي: (ترءا الجمعان) عند الإمام حمزة وقفاً، فقال: "فيكون المد في مذاق ألفين ونصف، وهي الألف التي لبناء (تفاعل)، والهمزة المجعولة بين بين، والألف المنقلبة عن الياء التي رجعت".^(٥)

٢- المصطلح الثاني لاختبار مخرج الحرف: (الاعتبار):

(١) السبعة ص ٢٥٧.

(٢) الحجة ٣/٣٠٦.

(٣) جامع البيان ل ١٣٣/أ.

(٤) الكتاب ٣/٥٥٠، ٥٤١، ٥٤٨، والمقتضب ١/٢٩٢، والأصول ٢/٤٠٤، والحجة للفارسي ١/٢٨٥، وسر صناعة الإعراب ١/٤٨، وتذكرة ابن غلبون ١/١٢٢، والهادي لابن سفيان ٢/٤١٧، والرعاية ص ١١٠، والتحديد ص ٩٧.

(٥) التذكرة ١/١٧٦.

من المشترك اللفظي. مأخوذ من عبري النهر، وهما جانباه؛ لأن كل واحد منهما عبر مساوٍ صاحبه فذاك عبر لهذا، وهذا عبر لذاك، فإذا قلت: اعتبرت الشيء، فكأنك نظرت إلى الشيء فجعلت ما يعينك عبراً لذاك، فتساويا عندك. (١)

والاعتبار يكون بمعنى الاختبار والامتحان، مثل: اعتبرت الدراهم فوجدتها ألفاً.

ويكون بمعنى الاتعاض نحو قوله تعالى: (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

ويكون بمعنى الاعتداد بالشيء في ترتب الحكم. (٢)

استعمل: (الاعتبار) صوتياً في أكثر من معنى، منها:
١ - الاختبار. ٢ - الاعتداء بالشيء في ترتب الحكم.
٣ - اسم مرادف للمد الطبيعي.

١ - المعنى الأول ل: (الاعتبار) = الاختبار:

استعمله سيويه ف موطنين:

الأول: عند حديثه عن كيفية اختبار الجمهور والمهموس، قال: "وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه". (٣)

والثاني: في حديثه عن سبب امتناع حروف الصفير من الإدغام في غيرها مقارنة بقربياتها في المخرج (الطاء والذال والتاء، والظاء والذال والتاء)؛ قال: "وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع، وهؤلاء الحروف إنما هي شديدة ورخو لسن في السمع كهذه الحروف لخفائها، ولو اعتبرت ذلك وجدته هكذا". (٤)

(١) مقاييس اللغة ص ٧٠٢ - ٧٠٣ (ع ب ر).

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٣٩٠.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٤، وسيأتي معنى التردد في الجهر والهمس.

(٤) الكتاب ٤/٤٦٤.

تابع سيبويه على هذا المعنى: ابن جني^(١)، وعبد الوهاب القرطبي^(٢).

٢- المعنى الثاني ل: (الاعتبار) = الاعتداد بالشيء في ترتب الحكم:

استعمله ابن سفيان القيرواني في حديثه عن أحكام تفخيم الرء وترقيقها لورش عند الوقف، فمن ذلك قوله: "وأما المرفوع: فأصحاب الروم والإشمام يقفون عليه بالتفخيم كما يصلون، ولا يعتبرون ما قبله. وأصحاب الإسكان يعتبرون ما قبله؛ فإن كان قبله كسرة أو ياء ساكنة وقفوا بالترقيق، وما سوى ذلك بالتفخيم، مثل: (خير)، و(ذكر)، فلا يعتدُّون بالسكان الذي بين الكسرة والرء إلا أن يكون من حروف الاستعلاء، فإنهم يفخمون فيه".^(٣)

تابع ابن سفيان على اللفظ: الداني^(٤)، وإسماعيل بن خلف الأندلسي^(٥).

٣- المعنى الثالث ل: (الاعتبار) = اسم مرادف للمد الطبيعي:

قال ابن الطحان الأندلسي معرفاً: (القصر والاعتبار): "وأما القصر فهو عبارة عن صيغة حرف المد واللين، وهو المد الطبيعي.

وأما الاعتبار فهو عبارة عنه في بعض القراءات، وذلك أن بعضهم يعتبر المد واللين مع الهمزة، فإن كانا منفصلين لم يزد شيئاً على الصيغة".^(٦)

الملاحظ على ابن الطحان في كلامه - وبغياب من نقل عنه ذلك - أنه مارس نوعاً من تحريف الدلالة، لأنني أظن أن الاعتبار في نصه معناه الاعتداد الذي تقدم عند ابن سفيان

(١) سر صناعة الإعراب ٦/١ و ٦٠ و ٣٤٦. والمنصف ٢/٢٥٣.

(٢) الموضح ص ٨٨. وهو ناقل لعبارة سيبويه عن كيفية اختبار الجمهور من المهموس، لكن بمزيد من الإيضاح.

(٣) الهادي ١/١٨١، و ١٨٢.

(٤) جامع البيان ٣/٨٩١. ووافق الداني بن سفيان في الروم، وخالفه في الإشمام؛ لأن الإشمام كالسكون. (جامع البيان ٣/٨٩٠).

(٥) العنوان ص ٤٩ و ٥٣.

(٦) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل٦/ب، ونقله ابن الجزري في التمهيد ص ٦٨.

وأصحابه؛ لأن من القراء من يعتد بالمد مع الهمزة إذا كانت في كلمة أو في كلمتين، فيتفاوت مدّه تبعاً لذلك، ومنهم من لا يعتدُّ بذلك فيبقى مده واحداً في الحالين.

ومما يؤيد ذلك قول ابن خلف الأندلسي عن ذلك: "قرأ الحرَمِيَّانِ إلا ورشاً، وأبو عمرو بإشباع المد في حروف المد واللين إذا كانت مع الهمزة في كلمة واحدة، نحو: (أولئك)، و(الملائكة)، (خائفين)، وما أشبه ذلك، ويتركون مدَّهُنَّ إلا بمقدار ما فيهن من المد واللين إذا لم تكن مع الهمزة في كلمة واحدة، نحو: (ومالنا ألا نتوكل) (وقالوا ءامنا) (وفي أنفسكم)، ونحو ذلك، لا يمدون كلمةً لأخرى. (١) الباقون بالمد المشبع في ذلك كله من غير اعتبار كلمة أو كلمتين". (٢)

٣- المصطلح الثالث لاختبار مخرج الحرف: (الامْتِحَانُ وَالْمِخْنَةُ):

من أصله اللغوي أن يدل على الاختبار، يقال: مَحَّهْ وَامْتَحَنَهْ. (٣)

استعمل الفراء: (امْتِحَانُ الْمَخْرَجِ) في حديثه عن قرب مخرج الطاء من التاء أكثر من قرب الطاء والذال والتاء منها، قال: "والتاء والذال مخرجهما ثقيل، فأنزل الإدغام بهما لثقلهما؛ ألا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان، وكذلك الطاء تشاركهن في الثقل.

فما أتاك من هذه الثلاثة الأحرف فأدغم، وليس تَرْكُكَ الإدغام بخطأ، إنما هو

استئصال.

والطاء والذال يدغمان عند التاء أيضاً إذا أسكنتا كقوله: (أحطت بما لم تحط به)، تخرج الطاء في اللفظ تاء، وهو أقرب إلى التاء من الأخرى الأولى، تجد ذلك إذا امتحنت مخرجيهما". (٤)

(١) يعني لا يزيدون في مد المنفصل.

(٢) العنوان ص ٤٣.

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٤١ (م ح ن).

(٤) معاني القرآن ١/١٧٢.

واستعمل القرطبي: (المِحْنَةُ) بمعنى الاختبار في حديثه عن تكلف إخراج النون من الفم عند حروف الإخفاء، قال: "ولو تكلف متكلف إظهارها وأخرجها من الفم لأمكن، ولكن بعلاج، وهذا يبين بالمِحْنَةُ".^(١)

٤ - المصطلح الرابع لاختبار مخرج الحرف: (التَّطْعُم):

يدل أصله اللغوي على تذوق الشيء. يقال: طَعِمْتُ الشيءَ طَعْمًا، ثم يُجْمَلُ على باب الطعام ما ليس من باب التذوق، فيقال: استطعمني فلان الحديث: إذا أَرَادَكَ على أن تحدّثه. والتطعم: التذوق، يقال: تَطَعَّمَ تَطْعَمًا، أي: ذق الطعام تشتهه وتأكله.^(٢)

استعمله ابن جني بمعنى الاختبار في حديثه عن الحركة المشمّة ضمًّا في نحو قاف: (قيل)، قال: "ولو تَطَعَّمَتِ الحركة في قاف لوجدت حصة الضم فيها أكثر من حصة الكسر، أو أدون حالها أن تكون في الذوق مثلها".^(٣)

الميزان الصوتي للحروف العربية:

كشف المتقدمون أن الوزن العروضي في الشعر هو الميزان الصوتي والمعيار الحقيقي الذي يقوم عليه اختبار الحروف وكمياتها، لا الخط الإملائي، قال الأخفش: "وليس يحسب الحروف على الكتاب في الشعر؛ لأن الكتاب في الشعر إنما يحسب ما جرى على اللسان في الإدراج، لا في الوقف؛ لأن كل حرف تقف عليه فهو ساكن في الوقف متحرك في الإدراج، ثم احتسب به على ذلك. ألا ترى أن التنوين يحسب به في الشعر، ولا يكون في الكتاب؛ لأن حروف الشعر الأذن والسمع، بما تعرف استقامته من انكساره، وحروف الكتاب العين".^(٤) يعني الأخفش بالكتاب: الكتابة.

(١) الموضح ص ١٧٠.

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٩٤ - ٥٩٥ (ط ع م).

(٣) الخصائص ٣٥١/٢.

(٤) العروض ص ١١٥.

وذكر ابن جني أن "الحروف تكال بميزان العروض، فهو عيار الحس، وحاكم القسمة والوضع".^(١)

وفهم هذا الميزان الصوتي يحل إشكالاً كبيراً يراه الدارسون المعاصرون في قضية الساكن والمتحرك والمقطع في اللغة العربية، واعتبار حروف المد من السواكن، لأن ميزان العروض هو حاكم وعيار على الساكن والمتحرك كما يقول ابن جني.^(٢)

والعلاقة بين الوزن الشعري والإيقاع النغمي وثيقة جداً، "فنسبة وزن القول إلى الحروف، كنسبة الإيقاع المفصّل إلى النغم، فإن الإيقاع المفصل: هو نقلة منتظمة على النغم ذوات فواصل. ووزن الشعر: نقله منتظمة على الحروف ذوات فواصل".^(٣) وتقدم الحديث عن ذلك في مصطلح المقطع.

ترتيب الحروف العربية:

١- الترتيب الهجائي (الألفبائي):

وهو الترتيب القديم بدليل قول الليث عن الخليل حينما رتب الحروف صوتياً: "فَأَعْمَلَ فِكْرَهُ فِيهِ، فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول: أ ب ت ث، وهو الألف؛ لأن الألف حرف معتل، فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني، وهو الباء، إلا بعد حجة واستقصاء النظر".

٢- الترتيب الصوتي:

وهو الترتيب الذي يبدأ من أول الحلق إلى الشفتين، بالنظر إلى خروج الصوت. وكان الخليل أول من استعمل هذا الترتيب، وتبعه سيبويه، وجرى على ترتيب سيبويه أكثر العلماء الذين جاءوا بعده، وسأتناولهما بشيء من التفصيل:

(١) الخصائص ٢/٣٢٨.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٥٦.

(٣) الموسيقى الكبير ص ١٠٨٥.

أ- ترتيب الخليل: قسم الخليل منطقة الحلق إلى أقسام سماها: أحيازاً، كل حيز يحتوى على صوتين أو أكثر، وكان ابتداءه بصوت العين، وضمه الهمزة إلى حروف المد مثار تساؤل ونقد قديماً وحديثاً، ولأن هذا الأمر قد عولج وبُحث كثيراً، فإنني أعرض إلى أهم ما تُوصّل إليه من نتائج:

١- أن الخليل مدرك أن الهمزة هي أول الأصوات مخرجاً بدليل قوله: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة".^(١)

٢- أن البدء بالعين كان لغاية معجمية بحتة، بدليل قوله: "لم أبدأ بالهمزة؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين انصع الحرفين، فابتدأتُ به، ليكون أحسن في التأليف".^(٢)

ب- ترتيب سيبويه:

رتب سيبويه الحروف صوتياً، فقال: "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة والألف والهاء، والعين والحاء، والغين والحاء، والقاف والكاف، والضاد، والجيم والشين والياء، واللام، والراء والنون، والطاء والذال والتاء، والصاد والزاي والسين، والطاء والذال والتاء، والفاء والباء والميم والواو".^(٣)

هذا الترتيب الصوتي للحروف هو الذي سار عليه أكثر العلماء الذين جاؤوا بعد سيبويه من أصحاب المدرسة النقلية، وابن سينا من أصحاب المدرسة العقلية في رسالته أسباب حدوث الحروف.

٣- الترتيب الأبجدي: استعمله الكندي في وصف الحروف في رسالته في اللغة.

عدد الحروف العربية:

(١) العين ٥٢/١.

(٢) نقل ذلك عنه السيوطي في المزهري ٩٠/١.

(٣) الكتاب ٤٣١/٤.

في عددها خلاف بين المتقدمين، ربما يرجع إلى أواخر القرن الأول الهجري، فقد ذكر التابعي الجليل مجاهد بن جبر (تلميذ ابن عباس رضي الله عنه) أن عددها ثمانية وعشرون حرفاً. ^(١) ومشى على ذلك: الفراء ^(٢)، والكندي ^(٣)، وابن قتيبة ^(٤)، والرازي ^(٥)، وإخوان الصفاء ^(٦)، وابن فارس ^(٧).

وذكر الربيع بن أنس البكري ^(٨) أنها تسعة وعشرون حرفاً ^(٩) - بإدخال ألف المد- وهو الذي سار عليه أكثر المصنفين، منم: الخليل ^(١٠)، وسيبويه ^(١١)، وأكثر أهل النحو ^(١٢)، وأكثر أهل التجويد ^(١٣).

والملاحظ أن تعداد الحروف الأبجدية (أبجد هوز...) ثمانية وعشرون، والهجائية (أ ب ت ...) تسعة وعشرون بإدخال حرف المد.

(١) التمهيد في معرفة التجويد للهمداني ص ٢٧٤.

(٢) معاني القرآن ١/٣٦٨.

(٣) رسالة في اللغة ص ٥٢١.

(٤) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ١٤.

(٥) الزينة ص ٦٤.

(٦) الرسائل ٣/١٧٥.

(٧) الصاحبي ص ١٢٣. ونقل ص ١٦٢ عن قوم أنها تسعة وعشرون حرفاً.

(٨) الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي، البصري، ثم الخرساني. صدوق روى عن أنس بن مالك، والحسن البصري، وربيع بن أبي العالية الرياحي. روى عنه: الحسين بن واقد المروزي، وسفيان الثوري، وسليمان الأعمش. توفي سنة ١٣٩هـ، أو ١٤٠هـ كما ذكر الذهبي (تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزني، نسخة المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة، ٦٠/٩).

(٩) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، ٢٠٨/١.

(١٠) العين ١/٥٨.

(١١) الكتاب ٤/٤٣١.

(١٢) الأصول ٣/٣٩٩، شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥، سر صناعة الإعراب ١/٤١، سر الفصاحة ص ١٦، أسرار العربية ص ٢٠٧.

(١٣) الرعاية ص ٩٣، والتحديد ص ١٠٢، والموضح ص ٧٧، والتمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٣.

وأظن أن الخلاف ليس صوتياً، إنما هو في الرسم الكتابي^(١)، والذي أتصوره أن الحروف قد صورت في الخط في مرحلة قديمة جداً ثمانية وعشرون حرفاً، وكان مصطلح الألف يوم مقام حرفين هما: الألف والهمزة، كما أن الواو والياء يقومان مقام المدّيين وغير المدّيين. ثم أفردت الهمزة بمصطلح قام مقامها صورة أول حروف الهجاء، فكان ينبغي أن تصور الألف بصورة خاصة عُبرَ عنها ب: لام أَلَف، وبقيت صورتا الواو والياء كما هي.

وقد جُمعت الحروف الهجائية- مع تكرار بعض الحروف- في آيتين من كتاب الله تعالى، وهما قوله: (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً) [آل عمران: ١٥٤] وقوله: (محمد رسول الله) [الفتح: ٢٩]. وقد جُمعت أيضاً في قول الشاعر:

صِفْ خَلَقَ خَوْرٍ كَمِثْلِ الشَّمْسِ إِذْ بَزَعَتْ يَحْطَى الضَّجِيعُ بِهَا بَجَلَاءُ مِعْطَارُ^(٢)

الألفاظ المستعملة لأصوات الحروف:

استُعملت للأصوات اللغوية عدة مصطلحات، منها:	
١- الحرف، والحروف.	٢- نَفَس الحرف.
٣- هواء الحرف.	٤- نغمة الحرف.
٥- جَرَسُ الحرف.	٦- صوت الحرف الأصوات.
٧- التصويتات، التصويتات الأول.	٨- أصداء الحروف.
٩- صُعَاقُ الحروف.	١٠- المقطع.

١- المصطلح الأول لأصوات الحروف: (الحرف والحروف):

الحرف من المشترك اللفظي. من معانيه في اللغة أن يدل على حد الشيء. وحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره.

(١) فالذين عدّوا الحروف تسعة وعشرين نظروا إلى اللفظ، والذين عدوها ثمانية وعشرين نظروا إلى صورها في الخط، قال ابن دريد في الجهرة ٤/١: "اعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها... تسعة وعشرون حرفاً مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفاً".

(٢) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٤.

استُعمل الحرف في أكثر من معنى، منها:
١- الحرف المكتوب. ٢- الصوت المنطوق.

١- المعنى الأول ل: (الحرف) = الحرف المكتوب:

استُعمل للحرف المكتوب عدة ألفاظ تمثلها المجموعة التالية:

١- (المعجم - حروف المعجم - الحروف المعجمة).

٢- (الهجاء - حروف الهجاء - حروف التهجي).

٣- (المقطَّع - حروف المقطَّع - الحروف المقطَّعة).

ألفاظ هذه المجموعة استُعمل أكثرها من القديم، ويصعب الكشف عن أول من استعملها.

روى الطبري بإسناده "عن ابن عباس في قوله (الم)، (حم)، (ن)، قال: اسم مقطَّع".^(١)

وفي خبر دُكر عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - ذكرت فيه لفظ: (الهجاء).^(٢)

وقال الشعبي: "لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور".^(٣)

وفي نص للخليل ذكر فيه "أن العرب يشتقون من هجاء الحروف أفعالاً فيقولون: دالٌّ مُدَوَّلَةٌ".^(٤) وهو يشعرنا بقدم هذا المصطلح.

وقد ضمن الخليل هذه المصطلحات عند تعريفه للمعجم، فقال: "المعجم: حروف الهجاء المقطَّعة؛ لأنها أعجمية. وتعجم الكتاب: تنقيطه كي تستبين عجمته ويصح".^(١)

(١) تفسير الطبري ٢٠٧/١.

(٢) المحتسب ٩٥/٢.

(٣) معاني القرآن وإعراجه للزجاج ٥٦/١.

(٤) العين ٤٤٤/٨.

معنى الهجاء في قول الخليل: تهجئة الحروف، تقول: تهجيت وتهجأت. (٢)

ومعنى المقطع في اللغة يدل على صرم، وإبانة شيء من شيء، واستعمل بمعنى الفصل والوقف.

روى عن السيدة أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يقطع قراءته آية آية (٣)، يعنى: يقف على كل آية.

قال الهمداني: "وأما التقطيع فإنه تفعيل من القطع، وهو الفصل. وجميع ما تصرف منه فمعنى الفصل فيه ظاهر". (٤)

ومن شأن حروف الهجاء أن تُقرأ حرفاً حرفاً، بقطع كل حرف عن صاحبه، وذلك لأن هذه الحروف لما كانت ساكنة الأواخر، مبنية على الوقف استعمل لها هذا المصطلح؛ لأنك تلفظها هكذا: ألف باء تاء ثاء جيم... الخ، قال المبرد: "لأن حق الحروف في التهجي التقطيع". (٥)

وربما يكون سبب تسميتها بذلك؛ "أنها أسماء لما يلفظ به من الأصوات المتقطعة في مخارج الحروف"، كما يقول الفارسي. (٦)

ومعنى الأعجم: الذي لا يفصح. (٧)

وهكذا الحروف إذا كانت مفردة لا تدل على معنى، ويؤيد ذلك قول ابن فارس عن تعريف الخليل السابق: "وأظن أن الخليل أراد بالأعجمية أنها ما دامت مقطعة غير مؤلفة تأليف

(١) العين ٢٣٨/١.

(٢) المرجع السابق ٦٥/٤.

(٣) التمهيد للهمداني ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٤) المرجع السابق ص ١٨٦.

(٥) المقتضب ٣/٣٥٦. ونقل الزجاج في معاني القرآن ١/٥٦، قول قطرب عن هجاء فواتح السور: "حروف المعجم ذكرت لتدل على أن هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف المقطعة التي هي حروف: أ ب ت ث، فجاء بعضها مقطعة، وجاء تمامها مؤلفاً؛ ليدل القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه بحروفهم التي يعقلونها لا ريب فيه" اهـ.

(٦) الحجة ٤/٢٤٤.

(٧) العين ١/٢٣٧.

الكلام المفهوم، فهي أعجمية؛ لأنها لا تدل على شيء؛ فإن كان هذا أراد فله وجه، وإلا فما أدري أي شيء أراد بالأعجمية".^(١)

ويحتمل - أيضاً - أن يكون الخليل أراد بقوله (أعجميته): أي: التي من شأنها أن تنقط، ويستأنس لذلك بإتباعه التعريف ب: تعجيم الكتاب. وسيأتي بعد قليل قول العلماء في: (حروف المعجم).

وهاك بعض العلماء الذين استعملوا هذه المصطلحات:

استعمل: (حروف الهجاء): الشعبي^(٢)، كما تقدم، وأبو عبيدة^(٣)، والفراء^(٤)، وابن زنجلة.^(٥)

استعمل (الهجاء): الفراء.^(٦)

واستعمل ثعلب^(٧)، والزجاج^(٨)، والنحاس^(٩)، والفارسي^(١٠)، والدايني^(١١): (حروف التهجي).

استعمل لفظ: (الحروف المقطعة) في موطنين: في حروف الهجاء، وفي هجاء فواتح السور خاصة، ك: (الم)، (الر).

(١) مقاييس اللغة ص ٧١٥ (ع ج م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥٥/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥٥/١.

(٤) معاني القرآن ٣٦٨/١.

(٥) الحجة ص ٣٢٧.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥٧/١.

(٧) مجالس ثعلب ٢١٦/١.

(٨) معاني القرآن ٩/١.

(٩) إعراب القرآن ٣٨١/٣.

(١٠) الحجة ٣٥٦/٥.

(١١) جامع البيان ٤٨٨/٢.

ومن الذين استعملوا هذا المصطلح: الفراء^(١)، وقطرب^(٢)، وابن قتيبة^(٣)، والمبرد^(٤)،
وأبو علي الفارسي^(٥)، وإخوان الصفاء^(٦) وابن جني^(٧)، وابن حزم^(٨)، والسهيلي^(٩)،
وغيرهم.

واستعمل الخليل أيضاً: (حروف المعجم).^(١٠)

وتابعه: سيبويه^(١١)، وقطرب^(١٢)، والفراء^(١٣)، والأخفش^(١٤)، والزجاجي^(١٥)، وابن
خالويه^(١٦)، وطاهر بن غلبون^(١٧)، والداي^(١٨)، وغيرهم.

وأسهب النحاة وأهل اللغة في التعليل لمعنى إضافة الحروف إلى المعجم؛ بحجة أن
المعجم هو الحروف، فكيف يضاف الشيء إلى نفسه؟

والذي خلص إليه المبرد، وتابع عليه كثير من العلماء أن المعجم هنا بمعنى الإعجام،
وهو النقط؛ لأنه لما كان من شأن هذه الحروف أن تنقط، سميت كذلك.^(١)

(١) معاني القرآن ١/٣٦٨.

(٢) المرجع السابق ١/٣٦٨.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٩.

(٤) المقتضب ٣/٣٥٦.

(٥) الحجة ٤/٢٤٤.

(٦) الرسائل ٣/١١٤.

(٧) الخصائص ٢/٤٥٤.

(٨) التقريب لحد المنطق ص ٤.

(٩) نتائج الفكر ص ٢٢٤.

(١٠) العين ٣/٣١٥.

(١١) الكتاب ٣/٢٦٦، و٤/١٣٥، و٤٣٦.

(١٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٥٦.

(١٣) معاني القرآن ١/٣٦٨.

(١٤) القوافي ص ١٠، و٢٣.

(١٥) الإيضاح في علل النحو ص ٥٤.

(١٦) الحجة ص ١٧٩.

(١٧) التذكرة ١/١٨٨.

(١٨) التحديد ص ٦٨.

ومما يستأنس به لذلك قول ابن دريد: "وهذا الخط الذي يكتب به اليوم يسمى المعجم والمعجم، والجزم".^(٢)

وقول ابن فارس: "والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المعجم: حروف الخط المعجم، وهو الخط العربي؛ لأننا لا نعلم خطاً من الخطوط يعجم هذا الإعجام حتى يدل على المعاني الكثيرة".^(٣)

والذي يظهر لي، ولا يخالف ما مضي أن "الهجاء"، و"المعجم"، و"المقطع" أسماء مترادفة لشيء معروف، فيه صورة حروف الهجاء في الخط، ويؤيد ذلك قول سيوييه عن الخليل: "واعلم أن الخليل كان يقول: إذا تمجيت فالحروف كحالتها في المعجم والمقطع، تقول: لام ألف، وقاف لام".^(٤)

وقد جمع الفراء هذه الألفاظ الثلاثة في نص واحد عند إجابته عن سبب رفع ما بعد: (المص)، فقال: "رفعته بحروف الهجاء التي قبله، كأنك قلت: (الألف، واللام، والميم، والصاد، من حروف المقطع كتاب أنزل إليك مجموعاً).

فإن قلت: كأنك قد جعلت الألف، واللام، والميم، والصاد يؤدين عن جميع حروف المعجم، وهو ثلاثة أحرف أو أربعة؟

قلت: نعم، كما أنك تقول: أ ب ت ث ثمانية وعشرون حرفاً، فتكتفي بأربعة أحرف من ثمانية وعشرين".^(٥)

واستعمل ابن دريد أيضاً: (الحروف المعجمة) وتابعه: الفارابي^(١)، والهمذاني.^(٢)

(١) سر صناعة الإعراب ٣٣/١، ولسان العرب (ع ج م). وقال القلقشندي عن الحروف: "وتسمى أيضاً: حروف المعجم، إما لأنها مقطعة، لا تفهم إلا بإضافة بعضها إلى بعض، وإما لأن منها ما ينقط النقط المعروف، أو تنقيط كلها، أي تشكل؛ إذ النقط قد يكون بمعنى الشكل" اهـ. (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٦/٣).

(٢) الجمهرة ١٠٤/٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٧١٦ (ع ج م).

(٤) الكتاب ٢٦٦/٣.

(٥) معاني القرآن ٣٦٨/١.

٢- المعنى الثاني ل: (الحرف) = الصوت المنطوق:

لما كان الصوت ينقطع في أماكن محددة على طول مجرى النطق، ويتولد عند كل نقطة ينقطع فيها صدى معيناً تدركه الأذن، سمي المتقدمون الأوائل هذه الأصداء **حروفاً**؛ لأنها تمثل حدوداً ينقطع الصوت عندها، وتقدم تعريف **الحروف** عند ابن جني ومن تابعه بأنها مقاطع تعرض للصوت. (٣)

وعرف ابن سينا **الحرف** بأنه: هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع". (٤)

أما معرفة من سماها بالحروف، فالروايات تتضارب، ولا يوجد رواية واحدة يمكن أن تطمئن إليها النفس في أصل تسميتها، ويشبه الحديث فيه الحديث عن أصل اللغة، وكذلك معرفة من سمي الألف ألفاً، والباء باء... أمر دونه **خَرَطُ الْقَتَادِ**. (٥)

ثم بعد ذلك صُوِّرت هذه الأصداء بصور كتابية مبنية على اللفظ؛ لأن الخط يأتي في مرحلة لاحقة عن اللفظ (٦)، واستعمل لها ذات المصطلح الذي استعمل للصوت المنطوق، فعدا الحرف مشتركاً لفظياً استعمل في معنيين: الصوت المنطوق، والرسم المكتوب.

ويعيب المحدثون هذه الأزواجية، ويرون التفريق واجباً بين المنطوق والمكتوب، لكن بعض المصطلحات العربية التي قدموها أوقعتهم فيما هربوا منه، ومن أشهر هذه المصطلحات **مصطلح: الصوت**، وهو يطلق على أكثر من معنى، منها الصوت المجرد، ومنها صوت

(١) إحصاء العلوم ص ٦٠.

(٢) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٣.

(٣) انظر مصطلح: (المقطع).

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ٦٠.

(٥) مثل من أمثال العرب. القتاد: شجر له شوك أمثال الأبر. والخراط: قشرك الورق عن الشجر اجتذاباً بكفك.

(لسان العرب ٣/٣٤٢، و٧/٢٨٤).

(٦) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/٤٤.

الحرف، ولم يخلُ هذا المصطلح من نقد^(١). أما المصطلحات الأجنبية كالفونيم فهي مصطلحات غريبة على اللغة، وليست في مجال البحث هنا، وإن أخذت بعداً صوتياً معيناً في علم الأصوات المعاصر.

ومع هذا فإن المتقدمين استعملوا بعض الألفاظ التي تدل على إدراكهم الفرق بين الصوت المنطوق والرسم المكتوب، كما سنلاحظه في بعض المصطلحات المستعملة لحروف الهجاء.

٢- المصطلح الثاني لأصوات الحروف: (النفس):

يدل أصله اللغوي على خروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه، منه التنفس:

خروج النسيم من الجوف، ونَفَسَ اللهُ كَرْبَهُ. وذلك أن في خروج النسيم رَوْحاً وراحة، والنَّفَسُ: كل شيء يُفْرَجُ به عن مكروب، وفي الحديث: "لا تسبوا الريح فإنها من نَفَسِ الرحمن"، يعني أنها رَوْحٌ يُتَنَفَّسُ به عن المكروبين، وجاء في ذكر الأنصار: "أجد نَفَسَ رِيكَمٍ من قبل اليمن"، يُراد أن بالأنصار نَفَسٌ عن الذين كانوا يُؤَدُّون من المؤمنين بمكة.^(٢)

استعمل: (التنفس) في أكثر من معنى، منها:

١- الهواء الذي يتنفس.

٢- الهواء الفاعل لصوت الحرف.

١- المعنى الأول ل: (النفس) = الهواء الذي يتنفس:

وهو الأصل فيه.

وصف الخليل الهاء بأنها "نَفَسٌ لا اعتياص فيها".^(٣)

(١) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تأليف: د. محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١،

١٩٨٨م، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٢) مقاييس اللغة ص ١٠٠٣ (ن ف س).

(٣) العين ١/٥٤ و ٣/٣٤٨، و ٣٥٥، و ٤/١٠٢.

ومثل ذلك وصفها الكندي حيث ذكر أن الهاء نفس يخرج من عمق الرئة. (١)

وشبه سيوييه الألف بمنزلة النفس. (٢)

ونقل هذا التشبيه: الفارسي (٣)، وابن جني (٤)، والدايني (٥)، والقرطبي. (٦)

وجعل سيوييه: (جَرِي النفس) من خصائص الصوت المهموس، كما سيأتي في مصطلح الهمس.

وتقدم ذكر (آلات النفس) و (أعضاء التنفس) عند الجوسي وابن سينا. (٧)

وحذر القرطبي من إجراء النفس مع الألف، وعدّه عيباً من عيوب النطق فيها. (٨)

٢- المعنى الثاني ل: (النفس) = الهواء الفاعل لصوت الحرف:

كما استعمل بعض العلماء: (الهواء) تعبيراً عن الهواء الفاعل للصوت ساغ لبعض آخر أن يستعملوا: (النفس) في ذلك أيضاً، فقد عرّف المبرد الحروف الرخوة بأنها "التي يجري النفس فيها من غير ترديد، والشديدة على خلافها. وذلك أنك إذا لفظت بها لم يتسع مخرج النفس معها". (٩)

وعرف الحروف المتوسطة بين الشديدة والرخوة بأنها: "يجري فيها النفس؛ لاستعانتها

بصوت ما جاورها من الرخوة". (١٠)

(١) رسالة في اللغّة ص ٥٢٤.

(٢) الكتاب ٣٣٥/٤.

(٣) الحجة ٣٦٤/٥.

(٤) المنصف ٤٤/٢.

(٥) التحديد في الإتيان والتجويد ص ١٢٠.

(٦) الموضح في التجويد ص ٩٧.

(٧) انظر الألفاظ المستعملة لأعضاء النطق.

(٨) الموضح ص ١٣٤.

(٩) المقتضب ٣٣١/١.

(١٠) المقتضب ٣٣١/١.

وعرّف الرماني الشديد بمضمون تعريف سيبويه، فقال: "الشديد: حرف قوي لزومه لموضعه حتى منع النفس أن يجري معه".^(١)

أخذه من تعريف سيبويه للشديد: "ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه".^(٢) فاستبدل بالصوت النفس.

وكذلك ذكر مكّي أن الرء جرى معه النفس؛ لانحرافه إلى اللام.^(٣)

أخذه من قول سيبويه عن الرء: "وهو حرف شديد يجري فيه الصوت؛ لتكريره وانحرافه إلى اللام".^(٤)

فالنفس في هذه الأقوال جميعاً- والله اعلم- هو الهواء الفاعل لصوت الحرف.

٣- المصطلح الثالث لأصوات الحروف: (هواء الحروف):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٤- المصطلح الرابع لأصوات الحروف: (نغمة الحرف):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٥- المصطلح الخامس لأصوات الحروف: (الجرس والجروس والأجراس):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٦- المصطلح السادس لأصوات الحروف: (الصوت والأصوات):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٧- المصطلح السابع لأصوات الحروف: (التصويتات، التصويتات الأولى).

(١) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/ب.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٣) الرعاية ص ١٩٥. وص ١٢٧ عن انقطاع نفس وصوت الألف في آخر الحلق، وص ٢٣٢ عن جريان النفس مع الميم.

(٤) الكتاب ٤/٤٣٥.

استعمل الفارابي: (التصويّات)، و(التصويّات الأوّل) في شرحه لكيفية نشأة ألفاظ اللغة، واختلاف ألسنة الأمم في التصويّات بالحروف، وعرف: (التصويّات الأوّل) بأنّها: (الحروف المعجمة).^(١)

٨- المصطلح الثامن لأصوات الحروف: (أصداء الحروف).

من المشترك اللفظي، تقدم.

٩- المصطلح التاسع لأصوات الحروف: (صُعاقُ الحروف):

يدل أصله اللغوي على شدة صوت. من ذلك الصَّعْقُ، وهو الصوت الشديد. ومنه الصاعقة، وهي الوقع الشديد من الرعد.^(٢)

استعمله ابن المنادي في وصف علاج اللثغة، قال: "وليس تعمل صاحب كل حرف من الحروف المنقلبة طرف لسانه، مُسْنِدَه بجنكه وفكيه فيحركهما ليتبعه صُعاقُ الحروف المفقودة فيه".^(٣)

١٠- المصطلح العاشر لأصوات الحروف: (المقطع):

من المشترك اللفظي، تقدم.

الانفعالات المصاحبة للكلام من صوت وحركة وألفاظها:

أشار المتقدمون من أصحاب المدرسة النقلية إلى العوامل المساعدة التي تصاحب عملية الكلام من أفعال حركية ونغمات صوتية، فقد أشار سيبويه إلى تغيّر دلالة الكلمة بسبب تغير نغمة الصوت.

أما الأفعال الحركية فقد تقدم أن الجاحظ قال عنها: "وقد يتهدد رافع السيف والسُّوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً. والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن

(١) الحروف ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) مقاييس اللغة ٥٤٣ (ص ع ق).

(٣) بيان العيوب ص ٥٥ - ٥٦.

الخط... وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاصّ الخاصّ، ولجهلوا هذا الباب البتة".^(١)

وقد أشار ابن جني في أكثر من موضع إلى أن العرب تستعين بنغمة الصوت في إفهام معاني الكلمات^(٢)، غير أن أصحاب المدرسة العقلية هم الذين بحثوا وفصلوا هذا الأمر كظاهرة لها تقسيماتها.

وسنرى أن قضية رفع الصوت وخفضه للدلالة على معاني الكلام إنما هو أمر قديم عرفته الأمم السابقة قبل العرب، وتحدثت عنه، وإن الادّعاء بأنه قضية صوتية حديثة أمر بجانب للصواب بدليل ما سيأتي.

استعمل عدة ألفاظ للتعبير عن العوامل المساعدة المصاحبة للكلام من تمثيل صوتي وحركي، ومن هذه الألفاظ:

١- الأخذ بالوجوه. ٢- النبرات، النبرة. ٣- توابع الألفاظ. ٤- الألفاظ المزينة.

١- المصطلح الأول للانفعالات المصاحبة للكلام: (الأخذ بالوجوه):

استعمل الفارابي لفظ: (الأخذ بالوجوه)، وعزاه إلى أرسطو، ويقصد به الأشياء المصاحبة التي تساعد الشاعر أو الخطيب أو المغني على توصيل معاني ما يؤدونه بواسطة الانفعالات الحركية الجسدية، أو التغيير في الطبقة الصوتية، فيما يعرف عند علم الأصوات المعاصر في هذا الأخير بـ: (التنغيم Intonation).

ولفظ: (الأخذ بالوجوه) هو ترجمة لكلمة يونانية، بمعنى: (التمثيل، الإلقاء، العمل الخطابي).

(١) البيان والتبيين ٥٧/١.

(٢) الخصائص ٣٧٠/٢، والمختضب ٥٥/١، و١٤٦، و٢٥٨، و٢٠٨/٢.

قال الفارابي مبيناً أثر تغيير طبقة الصوت في تفهيم معنى الكلام إن كان للسؤال أو التضرع أو غير ذلك: "فإن كل صنف من أصناف الأقاويل لها أصوات خاصة إذا قُرِنت بها قامت مقام بعض أجزاء القول في تحييل ما يُقصد تحيُّله بالقول.

مثال ذلك: التضرع، والحث، والسؤال، وما جانس ذلك، فإن كل واحد من هذه تقرن بحروفه أصوات مأخوذة بأحوال، فيفهم عن تلك الأصوات ما يفهم بالقول أو ببعض أجزائه.. وهذه الأقاويل، ليس إنما تقرن بها هذه الفصول من فصول الأصوات فقط، لكن تقترن بها أيضاً وقوفات وسكنات وتوصيلات عند مقصود من المقصودات بالقول، فتكون تلك إما مُخَيَّلَة أو مُعِينَة على التخيل. وهذه الوقوفات هي جزء من الذي يسميه (أرسطو طاليس): (الأخذ بالوجه)^(١).

وكان ابن رشد أكثر وضوحاً حين أسهب في شرح لفظ: (الأخذ بالوجه) - وهو يشرح كلام أرسطو في الخطابة - قال: "وقبل أن نقول في الألفاظ فينبغي أن نقول في الأمور المستعملة مع الألفاظ على جهة المعونة في جودة التقسيم، وإيقاع التصديق، وبلوغ الغرض المقصود، وهي التي جرت عادة المتقدمين أن يسموها: (الأخذ بالوجه).

وذلك أن هذه الأشياء لما كان من شأنها أن تُمِيل السامعين إلى الإصغاء، والاستماع، والإقبال على المتكلم بالوجه، وتفريغ النَّفس لما يورده استُعيِر لها هذا الاسم"^(٢).

ويُقَسِّمُ ابن رشد هذه الأمور المساعدة إلى أفعال حركية يقوم بها البدن أو جزء منه كاليدنين، وأنغام صوتية^(٣)، كترقيق الصوت وتغليظه، وذكر أن هذه الأمور أكثر ما تستعمل في الخطب والإلقاء^(٤)، وسأسوق النص على طوله لأهميته.

قال ابن رشد: "وهذه الأشياء صنفان: إما أشكال، وإما أصوات ونغم.

(١) الموسيقى الكبير ١١٧٥ - ١١٧٦.

(٢) تلخيص الخطابة ص ٢٥٠.

(٣) ويسمى "Intonation" في علم الأصوات المعاصر، والغريب أنه قد اطرَّد لدى الدارسين المُحدَثين من العرب أن العلماء المتقدمين لم يعرفوا هذا النوع، ولم يبحثوه، ويرجع هذا التقرير إلى الفصل بين أجزاء التراث.

(٤) أصحاب الفن والتمثيل هم الذين يجسّدون التمثيل الحركي والصوتي في زمننا الحاضر.

والأشكال منها ما هي أشكال للبدن بأسره، ومنها ما هي أشكال لأجزاء البدن، كاليدين والوجه والرأس، وهذه هي أكثر استعمالاً عند المخاطبة.

والأشكال - بالجملة - يُقصد بها أحد أمرين:

١ - إما تفهيم المعنى وتخيله المُوقِع للتصديق، كما روى عن النبي ﷺ أنه قال في آخر خطبة: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، وأشار بإصبعيه يقرئهما.

٢ - وإما تخيل لانفعال ما أو خُلُقٍ ما:

أ - وذلك إما في المتكلم، أعني: أن يتخيل فيه أنه بذلك الانفعال والخلق، مثل: أن يتكلم مصفراً الوجه منفِعلاً بانفعال الخوف إذا أراد أن يخبر أنه خائف، أو بتؤدّة تُوهِم أنه عاقل.

ب - وإما في المخبر عنه إذا أراد أن يصوره بصورة الخائف أو العاقل.

ج - وإما أن يوقع ذلك الانفعال في نفس السامع أو ذلك الخُلُق حتى يستعد بذلك إما نحو لتصديق الواقع عن ذلك الانفعال أو الخُلُق، وإما نحو لفعل الصادر عنه.

وأما النغم فإنها تستعمل في القول الخطبي لثلاثة أوجه:

أحدها: عندما يريد المتكلم أن يخيل أنه بذلك الانفعال والخلق عند السامعين، مثل: أنه إذا أراد أن يخيل فيه الرحمة رقق صوته، وإذا أراد أن يخيل فيه الغضب عظم صوته، وكذلك في الأخلاق.

وإنما كان ذلك؛ لأن هذه الأصوات توجد بالطبع صادرة من الذين يفعلون أمثال هذه الانفعالات.

والوجه الثاني: أن يكون قصده تحريك السامعين نحو انفعال ما أو خلق ما إما لأن يصدر عنهم التصديق الحاصل عن ذلك الانفعال أو الخلق أو الفعل الصادر عنه.

والوجه الثالث: عندما يقتض عن مخبرين بأن يضعهم بذلك الانفعال أو الخلق.

ومنها أيضاً: أنها تستعمل بضرب من الوزن في الكلام الخطبي على ما سيقال بعد. وهذا الضرب من النغم ضروري في أوزان أشعار من سلف من الأمم ما عدا العرب، فإن من سلف من الأمم كانوا يزنون أبياتهم بالنغم والوقفات، والعرب إنما تزنها بالوقفات فقط. ومنها أيضاً أن تستعمل أشعاراً في افتتاح القول وختمه ومواضع الوقف".^(١)

ثم يمضي ابن رشد ليقرر أن هذه التلوينات الصوتية لا تصلح في الخطب المكتوبة لكن المتلوة، كما يقرر بكل وضوح أنها خاصة بالسالفين من الأمم، قليلة الاستعمال عند العرب، بل لم تجر به عادتهم، قال: "وينبغي أن تعلم أن: (الأخذ بالوجوه) ليس له غناء في الخطب المكتوبة، وإنما غناؤه في المتلوة. وإن عادة العرب في استعمالها قليلة. وأما من سلف من الأمم، فربما أقاموها في الأشعار مقام الألفاظ، أعني: التشكيلات، ويحذفون اللفظ الدال على ذلك المعنى، إما إرادة الاختصار، وإما طلباً للوزن والإلذاذ. وهذا لم تجر به عادة العرب. ولهذا صار ما يقول أرسطو في كثير من هذه الأشياء، كما يقول أبو نصر^(٢)، غير مفهوم عندنا ولا نافع".^(٣)

وقد حاول بعض المعاصرين أن يُخضع أداء القرآن الكريم لهذه التلوينات الصوتية مدعياً التواتر في ذلك، وأنت ترى أن نص ابن رشد واضح تمام الوضوح، ومؤداه أن العرب لا تعرف مثل هذه التلوينات في لغتها. وما وُجدَ من نصوص قليلة لبعض المتقدمين تُظهر أن هذا الأمر لا يشكل ظاهرة أدائية كانت من قبل ثم افتقدت، وأن الذي اهتمت به العرب منذ الصدر الأول هو مواضع الوقف والوصل كما تقدم في مصطلح: (المَقَطَع) في أحد معانيه.

وإذا كانت هذه التلوينات الصوتية جائزة في القرآن الكريم، أو قرئ بها، فلماذا لا تُتبع بالتمثيل الحسي لبعض أساليب الخطاب في القرآن الكريم، من حملٍ للعصا والتلويع بها عند قراءة قوله تعالى: (وأهشُّ بها على غنمي)، أو بتقطيب الحاجبين وإظهار الغضب

(١) تلخيص الخطابة ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) أبو نصر الفارابي.

(٣) تلخيص الخطابة ص ٢٥١ - ٢٥٢.

والأسف على الوجه عند قراءة قوله تعالى: (فَرَجَعَ موسى إلى قومه غضبين أسفاً) فنقوم بتمثيل القرآن؟!!

إننا نُنَزِّهُ كتاب الله عن قراءته بالأساليب الكلامية التي يتعامل بها البشر؛ لأنه خطاب إلهي مطلق صالح لكل زمان، فلا نأتي نحن ونقيده بأسلوب تنغيمي معين نُلْزِمُ به الناس، وندّعي أنه من المتواتر.

وإذا كان النبي ﷺ قد استخدم التلوين الحركي مما هو مناسب لأسلوب الخطاب، لزيادة التفهيم أو التأثير في قلوب السامعين، كقوله: التقوى ها هنا.. التقوى ها هنا.. التقوى ها هنا" يعيدها ثلاث مرات، ويشير بيده إلى صدره، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل ذلك الفعل منه ﷺ، ولم يُغفلوه، وهو حديثه اليومي، فكيف الحال بهم إذا قرئ بتلك الكيفية الوحي المنزل من عند الله!؟..!

إنهم- لا شك- سيكونون أشد حرصاً على نقل ذلك، لكن لم يصل إلينا عن واحد من الأئمة أن النبي ﷺ كان يرفع صوته في موضع ويخفضه في موضع آخر، ولأنهم نقلوا عنه ما هو أدق من ذلك وأخطر، مما هو متعلق بمقادير المدات الذي لا يكاد يُضبط.

٢- المصطلح الثاني للانفعالات المصاحبة للكلام: (النُّبْرَات، النَّبْرَةُ):

استعمله من العلماء: ابن سينا، وابن رشد. ^(١)

استعمل ابن سينا مصطلح: (النُّبْرَات) إشارة إلى النغمات الصوتية التي تصاحب عملية الكلام، لتخدم أغراضاً معينة يريدتها المتكلم، قال: "ومن أحوال النغم: (النُّبْرَات)، وهي هيئات في النغم مدية غير حرفية بيتدى [يخص كل من يتكلم] بها تارة، وتَحَلُّلُ الكلام تارة، وتَعَقُّبُ النهاية تارة.

وربما تكثر مطلقة للإشباع، ولتعريف القَطْع، ولإمهال السامع ليتصور، ولتفخيم الكلام.

(١) تلخيص الخطابة ص ٢٨٣، و ٢٨٥.

وربما أُعْطِيَتْ هذه النبرات بالحدة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال لقائل أنه متحير، أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك.

وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها مثل أن النبوة قد تجعل الخبر استفهاماً والاستفهام تعجباً وغير ذلك.

وقد تُورَد للدلالة على الأوزان والمعادلة، وعلى أن هذا شرط، وهذا جزاء، وهذا محمول، وهذا موضوع".^(١)

إن إشارة ابن سينا إلى أهمية النبرات في الدلالة على معاني الكلمات بهذه الدقة يشير إلى هضم وإحاطة كاملة بهذه القضية.

٣- المصطلح الثالث للانفعالات المصاحبة للكلام: (الزينة، والألغاز المزيّنة):

ذكر ابن سينا أهمية الزينة في الكلام، فبين أن الكلام يكون مركباً من الحروف ومما يقتزن به إلى جانب الحروف "من هيئة ونعمة ونبرة".^(٢)

وعرف ابن رشد: (الألغاز المزيّنة)، فقال: "وذلك أن المزيّنة هي ألفاظ تجعل [أي: أرسطو] بعض أجزائها نغماً، حتى صارت بتلك النغم مُزيّنة، وهذا غير موجود في لسان العرب".^(٣)

٤- المصطلح الرابع للانفعالات المصاحبة للكلام: (توابع الألفاظ):

استعمله ابن رشد في شرح مصطلح: (الأخذ بالوجه).^(٤)

(١) الشفاء جزء المنطق قسم الخطابة ص ١٩٨ والموضوع في لغة المناطقة هو المسند إليه في عرف النحاة، والمحمول و المسند. والتفكير اللساني للمسدي ص ٢٦٦.

(٢) الشفاء جزء المنطق الفن المرسوم بالشعر ص ٦٧. والتفكير اللساني للمسدي ص ٢٦٥.

(٣) تلخيص الخطابة ص ٢٥٨.

(٤) المرجع السابق ص ٢٥٢.

نتائج الفصل الثاني:

- ١- كشف هذا الفصل عن الجوانب الفيزيائية المتعلقة بالصوت وحدوثه عند المتقدمين مما هو متعلق بعلم الأصوات المعاصر.
- ٢- أبرز هذا الفصل قانون حدوث الصوت عند المتقدمين من خلال حديثه عن القوة الصادمة والمصدومة والوسط المقاوم.
- ٣- التشبيه الذي قدمه بعض العلماء في تشبيه الصوت بآلي الناي والعود فيه تقريب لأذهان المتعلمين وتبسيط لهم في كيفية حدوث الصوت فيما يروه من أدوات حسية لمقارنته بالصوت الإنساني.
- ٤- كشف هذا الفصل عن مفهوم: (الحرف) عند المتقدمين، وأنه يستعمل للصوت المنطوق كما الرسم المكتوب، وأن استعماله يناظر استعمال مصطلح: (الصوت اللغوي).
- ٥- قدم هذا الفصل مصطلحات جديدة في كل موضوع من موضوعاته.
- ٦- أظهر معرفة المتقدمين لمصطلح: (المقطع الصوتي) بمعناه الحديث.
- ٧- أظهر بعض المتقدمين تفريقهم الواضح بين الأصوات الاعتبارية الانفعالية وبين الأصوات اللغوية مما يدرس في أول مباحث علم الأصوات المعاصر. مصطلح: (الصوت والأصوات).
- ٨- كشف عن الألفاظ المستعملة في تحديد المخارج، وهي ألفاظ دقيقة، ويبيّن مواطن استعمالها عند المتقدمين.
- ٩- كشف عن الميزان الصوتي الذي توزن به الحروف العربية، وأنه ميزان العروض في الشعر.
- ١٠- أظهر أن تعدد المصطلحات للموضوع الصوتي الواحد ربما يرجع إلى الزاوية التي ينظر إليها هذا العالم إلى هذا الموضوع، فاختلف اللفظ تبعاً لذلك.

١١- كشف هذا الفصل عن أنواع ترتيب الحروف العربية.

١٢- وأخيراً كشف هذا الفصل عن معرفة المتقدمين للانفعالات المصاحبة لعملية الكلام سواء أكانت انفعالات حركية أو صوتية وبين الألفاظ المستعملة لذلك وهذا الجانب مجهول لدى كثير من الباحثين المعاصرين بل منهم من أنكر معرفة المتقدمين له.

الفصل الثالث

صفات الحروف

الفصل الثالث

صفات الحروف

صفات الحروف:

هي الأشياء التي تصاحب الحرف أثناء نطقه في مخرجه كوضوح صوته وخفائه، واحتباسه وإطلاقه، وقوته وضعفه، ونحو ذلك.

الألفاظ المستعملة لصفات الحروف:

استُعملت لها عدة ألفاظ، منها:
١ - الصفات.
٢ - الأعراض.
٣ - أجناس الحروف.
٤ - الخَلَّة.
٥ - (خواص الحروف، الخاصة).
٦ - أصناف الحروف.
٧ - (انقسامات الحروف، أقسام الحروف).

١ - المصطلح الأول لصفات الحروف: (الصفات):

يدل أصله اللغوي على تحلية الشيء. والصفة: الأمانة اللازمة للشيء. (١)

استعمل سيبويه لفظ: (الصفات). (٢)

وتابعه: ابن دريد (٣)، والسيرافي (٤)، والرماني (٥)، ومكي (٦)، والبدائي (٧)، وابن الطحان الأندلسي. (٨)

(١) مقاييس اللغة ص ١٠٥٤ (و ص ف)، والمصباح المنير ص ٦٦١.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٣) الجمهرة ١/٦.

(٤) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٢.

(٥) شرح كتاب سيبويه ١٩٢/ب.

(٦) الرعاية ص ٥٠، ١٤٣.

(٧) التحديد ص ١٠٢.

(٨) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٠٩.

٢- المصطلح الثاني لصفات الحروف: (الأعراض):

تقدم.

٣- المصطلح الثالث: (أصناف الحروف):

يدل أصله اللغوي على معنيين: أحدهما الطائفة من الشيء، والآخر تمييز الأشياء بعضها عن بعض. فمن الأول قولك للشيء: هذا صنف من الأصناف، أي: نوع. ومن الآخر تصنيف الكتاب، كالغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام، كأنه ميزت أبوابه، فجعل لكل باب حيزه. ^(١)

استعمل ابن السراج لفظ: (أصناف الحروف) للتعبير عن الصفات. ^(٢)

وتابعه: الروماني، وعرفها بأنها خواص الحروف من غير جهة مخارجها ^(٣)، وابن جني ^(٤)، والداني ^(٥)، والخفاجي. ^(٦)

٤- المصطلح الرابع لصفات الحروف: (أجناس الحروف):

يدل أصله اللغوي على الضرب من الشيء ^(٧). قال الخليل: كل ضرب من الشيء، والناس، والطير، وحدود النحو، والعروض، والأشياء، ويجمع على أجناس. ^(٨)
استعمل ابن دريد لفظ: (أجناس الحروف) للتعبير عن الصفات. ^(٩)

(١) مقاييس اللغة ص ٥٥٤ (ص ن ف).

(٢) الأصول ٤٠١/٣.

(٣) شرح كتاب سيبويه ١٩١/ب.

(٤) سر صناعة الإعراب ٤/١.

(٥) التحديد ص ١٠٥.

(٦) سر الفصاحة ص ٤.

(٧) مقاييس اللغة ص ٢١٠ (ج ن س).

(٨) العين ٥٥/٦.

(٩) الجمهرة ٦/١.

وتابعه: ابن جني^(١)، والسعيدى^(٢)، والداني^(٣)، والقرطبي^(٤)، والهمداني^(٥).

واستعمل في الموسيقى أيضاً^(٦).

٥- المصطلح الخامس لصفات الحروف: (الخلة):

يدل على الخصلة، يقال: في فلان خَلَّةٌ صالحة وخلة سيئة، والجمع: خلال. ويقال:

فلان كريم الخلال ولئيم الخلال، وهي الخصال^(٧).

استعمل أبو علي الفارسي لفظ: (الخلة) للتعبير عن الصفة^(٨).

٦- المصطلح السادس لصفات الحروف: (خواص الحروف، الخاصة، الخاصة):

يدل أصله اللغوي على الفرجة والثلمة، خَصَصْتُ فلاناً بشيء خصوصية- بفتح

الخاء وضمها- إذا جعلته له دون غيره؛ لأنه إذا أفرد واحد فقط أوقع فرجه بينه وبين غيره،

والعموم بخلاف ذلك^(٩).

وخاصة الشيء بالمفهوم المنطقي هي: ما لا يوجد بدون الشيء، والشيء قد يوجد

بدونها، كاللام المعرفة لا توجد بدون الاسم، ويوجد هو بدونها كما في: زيد^(١٠).

استعمل الرماني لفظ: (خواص الحروف) مرة، و: (الخاصة) ومعناها الصفة^(١١).

(١) سر صناعة الإعراب ٤/١.

(٢) التنبيه على اللحن الجلي ص ١٢.

(٣) الإدغام الكبير ص ٤٨.

(٤) الموضح ص ٧٧.

(٥) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٧٣.

(٦) في خُبْر صناعة التأليف، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠هـ)، تحقيق: د. يوسف شوقي، دار

الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٦٤، الموسيقى الكبير ص ١٤٣، ١٦١، ١٦٣، مفاتيح العلوم ص ٢١٣.

(٧) لسان العرب ٢١٦/١١ (خ ل ل).

(٨) الحجة ٤٩/٦.

(٩) مقاييس اللغة ص ٢٨٥ (خ ص)، والمصباح المنير ص ١٧١.

(١٠) التعريفات ص ٩٥.

(١١) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/أ و ١٩٢/ب، و ٢٠١/أ، و ٢٠٨/ب.

وتابعه: القرطبي بلفظ: (الخاصية).^(١)

٧- المصطلح السابع لصفات الحروف: (انقسامات الحروف، أقسام الحروف):

من أصله اللغوي أن يدل على تجزئة الشيء وفرزه أجزاء. قسمت الشيء قسماً، والجمع أقسام. والاسم منه قسم، بكسر القاق، ثم أطلق على الحصة والنصيب. وانقسم الشيء انقساماً.^(٢)

استعمل ابن جني لفظ: (انقسامات الحروف) سارداً تحت هذا العنوان صفات الحروف.^(٣)

وتابعه: القرطبي^(٤)، وابن الأنباري بلفظ: (أقسام).^(٥)

قواعد في التأليف بين المخارج والصفات:

- اختلاف الحرفين في المخرج أحف من كونهما من مخرج واحد: سيويه.^(٦)
- الصفات هي التي تفرق بين الحروف التي من مخرج واحد: مكّي القيسي.^(٧)
- تباين المخارج والصفات مؤثر على الحروف: مكّي القيسي.^(٨)
- لا يوجد حرفان اتفقا في الصفات والمخارج، وإلا اشتركا في السمع: مكّي القيسي.^(٩)
- اختلاف الصفات والمخرج واحد أو العكس هو الذي فرق بين الحروف: مكّي

(١) الموضح ص ١٦٣، وص ٢٠٣.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٥٦ (ق س م)، والمصباح المنير ص ٥٠٣.

(٣) سر صناعة الإعراب ٦٠/١.

(٤) الموضح ص ٩٠.

(٥) أسرار العربية ص ٢٠٧.

(٦) الكتاب ٤/٤١٧.

(٧) الرعاية ص ١٥٥.

(٨) المرجع السابق ص ١٥٦.

(٩) المرجع السابق ص ١٥٦.

القيسي. (١)

مدخل عام إلى صفات الحروف:

نظر العلماء إلى صفات الحروف من جهات متعددة، واختلفت ألفاظهم تبعاً للغرض الذي يتناولونه:

١- الخليل: نظر إلى صفات الحروف من حيث علاقتها بالأبنية، وكيف أن بعض الحروف يُحسَّنُ البناء، وبعضها يعرف منه العربي من الدخيل، وهكذا وجاءت أغلب صفات الحروف التي ذكرها في كتابه تتناول هذه القضية، فمن ذلك: (الصحيح والمعتل، الحروف الدُّلِق، الحروف الطُّلِق، الحروف الصُّتَم، النَّصَاعَة، الكَزَاة، الطَّلَاة... الخ).

٢- سيبويه: نظر إلى صفات الحروف من حيث علاقتها بالإدغام، قال: "وإنما وصفتُ لك حروف المعجم بهذه الصفات؛ لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تُبدلُه استثقلاً كما تُدغم، وما تُخفيه وهو بزنة المتحرك". (٢) وقد قسّمها في هذا الباب ناظراً إلى علاقتها بالإدغام من عدة جهات:

أ- الوضوح والخفاء في السمع: ويمثلهما صفتا: (الجهر والهمس).

ب- مرور الصوت في المخرج بدءاً من الانحباس التام في الحروف الشديدة إلى حرية المرور في الألف، وهو صاحب رؤية في ذلك. ومثل هذا المرور عدة صفات، منها: (الشديدة والرخوة وما بينهما)، (المنحرف)، (التكرير)، (اللين)، (الهاوي).

ج- تفخيم الصوت وترقيقه في انحصار الصوت من مكانين وعدمه، ويمثلهما: (الانفتاح والإطباق).

وجاءت بعض الصفات الأخرى منثورة في كتابه، بحسب الموضوع والباب المعقود لها، ففي باب الإمالة ذكر أن هناك حروفاً تمنع الإمالة، فجاء بصفتي: (الاستعلاء والتسفل). وفي باب

(١) الرعاية ص ٢١٨.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٦.

ما يلحق الحروف المتحركة في الوصل من متممات لها عند الوقف ذُكر: (القلقلة، والنفخ، ونحو النفخ). وله القدحُ المعلى في الصفات المعروفة المتداولة في كتب العربية والتجويد.

٣- الكندي وابن سينا: من أصحاب المدرسة العقلية كان وصفهم كاملاً للحرف من حيث الهيئة التي يكون عليها وما يصاحبها عند نطق الحرف، فجاء الحديث عن الصفات ضمن وصف الهيئة.

٤- بعض أهل العربية كابن جني وأهل التجويد: جماعون ومقسّمون لكلام الخليل وسيبويه وابن دريد في الصفات، إذ رأوا أن كتبهم تبحث في الحروف في ذاتها ولذاتها، فجمعوا كل ما يتعلق بها من تقسيمات من كلام من سبقهم، وجاءت كتبهم متفاوتة في إيرادها ما بين موجز ومسهب، فابن جني أورد في كتابه سر الصناعة ما يقرب من أربعة وعشرين انقساماً للحروف، منها ما هو زوج ومنها ما هو مفرد. ومكي أوصلها في الرعاية إلى أربعة وأربعين، والداني والهمداني إلى ستة عشر، والقرطبي إلى ستة وثلاثين.

وسأستعرض في هذا الفصل أشهر الصفات التي جاءت بها كتب العربية والتجويد بحسب الترتيب الموضوعي لها.

تتوزع الصفات التي ذكرها المتقدمون على الأقسام التالية:

- ١- الصفات المتعلقة بالوضوح والخفاء في السمع.
- ٢- الصفات المتعلقة بمرور الصوت في المخرج.
- ٣- الصفات المتعلقة باتجاه الصوت وانحصاره وما يتبع ذلك من أثر تفخيمي.
- ٤- الصفات الخاصة ببعض الحروف.
- ٥- الصفات الخاصة بقوة الحرف وضعفه.

الصفتان المتعلقةتان بالوضوح والخفاء في السمع:

(الجهر والهمس):

أود أن أنبّه قبل الخوض في هذين المصطلحين الخطيرين إلى ما نبهت عليه في أول

الدراسة أن المناهج والدراسات والآراء الصوتية عبر تاريخ العلم الطويل ما هي إلا انفعالات أذكى الناس إزاء ما يرونه من ظواهر تحيط بهم. وقد تتفق بعض هذه المناهج، وقد تختلف تبعاً لتنوع الرؤى وتطور التفكير، وتبعاً للمنحى العلمي السائد على مر العصور.

وإن أي ظاهرة صوتية درست في القديم يجب أن تفهم أولاً على النحو الذي أرادها لها أصحابها، فنحن لا نستطيع أن نخترق سحُفات الغيب ونلوم المتقدمين على عدم وجود حواسب آلية في عصورهم، وكذلك لا نستطيع أن نحاكم مناهجهم على ما يقرره المعاصرون؛ لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل فريق.

والمتقدمون من علمائنا- وتبعاً للارتباط المقدس بالقرآن الكريم- لم يعنهم إلا دراسة الخصائص الصوتية للغة التي تكلمت بها العرب أثناء نزول القرآن، وذلك لغرض تعبدي تعليمي بحت، هو مساعدة الداخلين في الإسلام من أبناء الشعوب على كيفية تعلم اللغة العربية وتلاوة القرآن الكريم، وكان المعين على فهم ذلك هو تمثُّل العرب في كلامها.

الجههر يدل أصله اللغوي على إعلان الشيء وكشفه وعلوه. يقال: جهرت بالكلام، أي: أعلنت به. ورجل جهير الصوت، أي: عاليه. ^(١)

الهمس: يدل أصله اللغوي على خفاء صوت وحس. منها الهمس: الصوت الخفي. وهمس الأقدام: أخفى ما يكون وطء القدم. ^(٢)

(١) مقاييس اللغة ص ٢١٠ (ج ه ر).

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣٦ (ه م س).

الجهر والهمس مصطلحان هدَفَ منهما المتقدمون من أصحاب المدرسة النقلية الوصول إلى العلة في وضوح بعض الأصوات في السمع وخفائها في البعض الآخر، وتناولوهما من عدة جهات:

١- الأثر الذي يحدثه اهتزاز الأوتار الصوتية في المجهور دون المهموس (صوت الصدر، صوت الفم) على الوضوح السمعي.

٢- تعلق الجهر والهمس بحال التحرك (الاعتماد، إشباع الاعتماد، انقضاء الاعتماد، ضعف الاعتماد).

٣- جريان النفس الكثير في المهموس وانحباسه في المجهور.

٤- الوقف على الحرف المجهور والمهموس.

٥- حروف الجهر والهمس.

٦- قواعد تأليف المجهور والمهموس.

٧- الجهر والهمس عند أصحاب المدرسة العقلية.

وأزيد عليهما جهتين اثنتين؛ لأهميتهما البالغة، وهما:

١- الجهة الأولى: الأثر الذي يحدثه اهتزاز الوترين الصوتيين في المجهور دون المهموس:

عبر الخليل في تعريفه للهمس عن الأثر الذي يحدثه اهتزاز الوترين الصوتيين في الصوت المجهور في نص واضح جداً، يبين الحس الصوتي الدقيق الذي كان يتمتع به هذا العالم، قال: "الهمس: حس الصوت في الفم، مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهازة في المنطق، ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر"^(١).

فنبه إلى أن الصوت المهموس يكون خالياً من صوت الصدر، وهو الأثر الرنيني الذي يحدثه اهتزاز الوترين الصوتيين، ويصحب عادة الأصوات المجهورة. ويعنى ذلك في المقابل أن الأصوات المجهورة مشربة بصوت الصدر، وأنه من مميزات هذه الأصوات.

انتقلت هذه المعرفة الدقيقة من الخليل إلى تلميذه الأثير سيبويه، ففي نص نقله السيرافي عن حديث سيبويه مع الأخفش حينما سأله عن الفرق بين المجهور والمهموس، فأجابه سيبويه بقوله: "وإنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن تدخله

(١) العين ١٠/٤.

الصوت الذي يخرج من الصدر... وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، وذلك مما يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة، فأخرج الصوت من الفم ضعيفاً. والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في المجهور. فإذا قلت شخص، فإن الذي أزجي هذه الحروف صوت الفم، ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجها صوت الفم؛ ليلبغ ويُفهم بالصوت".^(١)

فهو وضح بشكل أكيد عن دور صوت الصدر في إعطاء الأصوات صفة الوضوح السمعي، وبغيابه تنتفي هذه الصفة، وتغيب معالم الصوت.

وبات من المعروف الآن عند أكثر الدارسين المعاصرين أن صوت الصدر الذي تحدّث عنه الخليل وسيبويه يعنى الأثر الرنيني الذي يحدثه اهتزاز الأوتار الصوتية في الأصوات المجهورة، ويعطى الوضوح السمعي لهذه الأصوات، وأول من تنبه إلى ذلك في كلام سيبويه الدكتور إبراهيم أنيس، رحمه الله تعالى.^(٢)

وأثر اهتزاز الأوتار الصوتية يمكن أن يُحس بوضع اليد على العنق عند نطق الحروف المجهورة، وهو يظهر على هيئة إشارات ذبذبية منتظمة على شاشة المرسم الطيفي.

٢- الجهة الثانية: تعلق الجهر والهمس بحال التحرك:

عرف سيبويه الجهور والمهموس بقوله: "فالمجهورة: حرف أُشيع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجرى الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أن النون والميم قد يُعتمد لهما في الفم والخياشيم، فتصير فيهما غنة. والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك، ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أدخل بهما.

وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه".^(٣)

تقدم حديث الخليل عن لغة العرب أنها لغة مقطعية، أي أن نظامها يُحتم أن لا ينطق

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٣٠ نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسيرافي.

(٢) الأصوات اللغوية ص ١٢٢.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٤.

الصوت خِلوا من الحركة، ومن هذا المنطلق كانت طريقة اختبار سيبويه للأصوات عند التصنيف إلى مجهورة ومهموسة، فإذا خرج المقطع الصوتي (الحرف مع الحركة) متكيفاً كله بصوت جهري حُكِمَ على الصوت المرافق للحركة بالجهر (بَبَب، ءَءَء، ظَظَّظ، فَفَقَق) وكان مشبع الاعتماد، وإذا تسلل هواء النفس مع المقطع الصوتي حكم على الصوت المرافق للحركة بالهمس (فَفَف، صَصَص، كَكَك) وكان مُضَعَف الاعتماد، وقد ذكرت ذلك في مصطلح: (الاعتماد)، وبينت هناك معنى الألفاظ التالية: (الاعتماد، إشباع الاعتماد، انقضاء الاعتماد، ضعف الاعتماد)، وأنها ألفاظ متعلقة بحال التحرك بالدرجة الأولى.

تابعه على التعريفين بضمونه العام أكثر العلماء، منهم: الزجاج، ونسبهما إلى الخليل كما هي عادته^(١)، وابن السراج^(٢)، وأبو بكر ابن الأنباري^(٣)، والزجاجي^(٤)، والرماني^(٥)، وابن جني^(٦)، ومكي^(٧)، والدياني^(٨)، والقرطبي^(٩)، والخفاجي^(١٠)، وابن الطحان الأندلسي^(١١)، وأبو العلاء الهمداني^(١٢)، وأبو البركات ابن الأنباري^(١٣)، ونخالفه: المبرد^(١٤)، وابن دريد^(١٥)، والسعيدى^(١).

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤١٤/١. ومن عادة الزجاج فيه أن ينسب ما في كتاب سيبويه إلى الخليل أو إلى الخليل وسيبويه، ولعل ذلك يرجع إلى أن هدف سيبويه من تأليف كتابه هو إحياء علم الخليل كما هو مشهور في كتب التراجم فساغ للزجاج أن ينسب ما في كتاب سيبويه للخليل، والله أعلم.

(٢) الأصول ٤٠١/٣ - ٤٠٢.

(٣) الأضداد ص ٤١٠.

(٤) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٧ - ٤٤٨.

(٥) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/ب.

(٦) سر صناعة صناعة الإعراب ٦٠/١.

(٧) الرعاية ص ١١٦ - ١١٧.

(٨) التحديد ص ١٠٥.

(٩) الموضح ص ٨٨.

(١٠) سر الفصاحة ص ٢٠.

(١١) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣١.

(١٢) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٨٠.

(١٣) أسرار العربية ص ٢٠٩.

(١٤) المقتضب ٣٣٠/١.

(١٥) الجمهرة ٨/١.

والدليل على ارتباط الجهر والهمس بحال التحرك قول سيبويه بعد التعريفين: "وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت (اختبرت) فرددت الحرف مع جرى النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه".^(٢)

وقول الأخفش: "سألت سيبويه عن الفصل بين المجهور والمهموس، قال: المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك. وأما المجهور فلا يمكن ذلك فيه، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى، فقال: ألا ترى كيف يمكن، وكرر الطاء والذال، وهما من مخرج التاء، فلم يمكن، وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل".^(٣)

والترديد والتكرير اللذان ذكرهما لا يكونان إلا مع الحركة، والذين جاؤوا بعد سيبويه لم يفهموا إلا هذا، قال القرطبي: "وأنت تعتبر ذلك بأن تردد كل واحد من المهموس والمجهور، ولا يتأتى ذلك مع سكونه، فتأتى به متحركاً أو تتبعه أحد حروف المد واللين، كقولك: سَسَسَ، كَكَّكَ، سَاسَاسَا، قَقَّقَّقَ، قَاقَاقَا، فتجد الصوت في المهموس يضعف لأجل جريان النفس معه، وفي المجهور يقوى لامتناع جريان النفس معه".^(٤)

وقال الشنتمري: "واعلم أن ترديد الحروف الذي يُعَلَّم به المجهور من المهموس لا يمكن إلا بتحريكه".^(٥)

وقال الزمخشري: "والذي يُتَعَرَف به تباينهما أنك إذا كررت القاف قلت: (قَقَّ)، وجدت النفس محصوراً لا تحس معها بشيء منه، وتُردد الكاف فتجد النفس مقاوداً لها ومساوقاً لصوتها".^(٦)

(١) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٢.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٣٠ نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسيرافي.

(٤) الموضح ص ٨٨-٨٩.

(٥) النكت في تفسير كتاب سيبويه، للشنتمري، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١، الكويت، ١٤٠٧هـ، ١٢٤٦/٢، سر صناعة الإعراب ٦٠/١.

(٦) المفصل في علم اللغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، ص ٤٦٦.

ووضح سيبويه أهمية الحركات وحروف المد في عملية التكلم بالحروف سواء رفع الصوت أو أسر به، وأشار إلى أثر اهتزاز الأوتار الصوتية الزائد عند رفع الصوت، قال: "فإذا أردت إجراء الحروف، فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها، وإن شئت أخفيت"^(١) وبينه في موضع آخر بقوله: "ألا ترى أنك تقول: قام فإن شئت أخفيت، وإن شئت رفعت صوتك، فإذا رفعت صوتك فقد أحدثت صوتاً آخر"^(٢).

والدارسون المعاصرون يرفضون هذا المنهج وهذه الطريقة في التصنيف، أعني: نطق الصوت مع الحركة، ويرون أن الصوت عند تصنيفه إلى مجهور ومهموس يجب أن يكون مجرداً عن كل ما يسبقه ويلحقه، وقد يصح هذا في بعض الأصوات الرخوة كالفاء والذال، لكن ماذا يفعلون ببعض الأصوات الشديدة كالمهزة والقاف؟

أظن أن منهمم لن يساعدهم في ذلك كثيراً.. وعلى كلٍ فهذا أمر خاص بنظرهم إلى الظواهر الصوتية المشتركة في لغات الشعوب، ومحاولتهم تقديم منهج يشرح الخصائص الصوتية في اللغات الإنسانية.

٣- الجهة الثالثة: جريان النفس الكثير في المهموس وانحباسه في المجهور:

الشق الثاني من تعريف سيبويه يتعلق بجريان النفس مع الحرف المهموس وانحباسه في الحرف المجهور سواء كان الصوت متحركاً أو ساكناً، وهذا الجانب من تعريف سيبويه شكلاً أهمية كبرى عند من جاء بعده، بل قام عليه مفهوم الجهر والهمس عند دارسي التجويد إلى يومنا هذا، وتمثل ذلك في الأداء القرآني الذي نسمعه من مجيدي القراءة، وما يعرفه دارسو التجويد والقراءات اليوم.

فالأصوات التي يقرؤها القراء ويجرون معها هواء النفس وصلاً ووقفاً هي المجموعة في قول: (فحثة شخص سكت). ويمنعون هواء النفس الكثير من الجريان في باقي الأصوات.

ومع الأسف لم يلتفت الدارسون من أصحاب الدرس الصوتي المعاصر إلى هذا

(١) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٣٠ نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسيرافي.

الجانب النفسى، وترتب من جرّاء ذلك أن اختلفوا مع سيبويه في ثلاثة أصوات شديدة عدها من المجهورات، ولا يشكّل عنصر النفس جزءاً منها؛ لأنه لمّا جرّبها مع الحركة لم يجر معها هواء النفس - بحسب ما سمعه من نطق العرب - فحكم عليها بالجر، وهي القاف والطاء والهمزة.

أما الدارسون المعاصرون فلأنهم لا يعتدون بالحركة ويطلبون الاستقلالية التامة للصوت وجدوا أن هذه الثلاثة الأصوات لا تهمز معها الأوتار الصوتية أثناء انقباسها، فحكموا عليها بالهمس كما سيأتي في معنى مصطلح: (الهمس) عند المعاصرين.

٤ - الجهة الرابعة: الوقف على الحرف المجهور والمهموس:

تحدث سيبويه عن الوقف على الأصوات المجهورة والمهموسة في موضع استعمله لبيان ما يلحقها من متممات عند الوقف وما لا يلحقها منها، وجعل ذلك ملحقاً بالباب الكبير الذي سماه: (هذا باب الوقف في آخر الكلم المتحركة في الوصل).^(١) واستعمل لذلك مصطلح: (المشربة).

ومن الأهمية بمكان لفهم هذا الموضوع استصحاب قوله في العنوان: (المتحركة في الوصل)، وإليك القصة: أظن أن فكرة سيبويه تقوم في هذا الموضوع على مبدأ ماذا يلحق أصوات حروف اللغة العربية من متممات طبيعية لها عند الوقف، وذلك بعد أن ذكر الوقف بالسكون والروم والإشمام ونقل الحركة... الخ، وهذه المتممات تلحق الأصوات المجهورة والمهموسة على السواء، وإليك البيان:

١ - الحروف المجهورة عند الوقف:

استعمل سيبويه في هذا الموضوع مصطلح: (المشربة). وقد تقدم أن الخليل استعمل: (الإشراب) في تعريف الهمس، وقال فيه إن المهموس "لا إشراب له من صوت الصدر".^(٢)

(١) الكتاب ٤/١٦٦. وفرع سيبويه عن هذا الباب - وقبل الحديث عن الحروف المشربة - بابين هما: (باب الوقف في آخر الكلم المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف)، و(باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين).

(٢) العين ٤/١٠.

ويعنى ذلك في المقابل أن الأصوات المجهورة مشربة بصوت الصدر.

ومن هنا لقب سيبويه الأصوات المجهورة بـ: (المشربة)، وجعل ذلك ملحقاً بالباب الكبير الذي سماه (هذا باب الوقف في آخر المتحركة في الوصل).^(١) وهو من المواضع الدقيقة التي تكشف عن علاقة كلام سيبويه في الكتاب مع كلام أستاذه الخليل في العين الذي تقدم قبل في تعريفه للهمس.

قال سيبويه: "واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها... وذلك القاف والجيم والطاء والذال والباء... ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة... وهي الزاي والطاء والذال والضاد... ومنها حروف مشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئاً مما ذكرنا... وذلك اللام والنون... وكذلك الميم... وكذلك العين والغين والهمزة... والراء نحو الضاد".^(٢)

فذكر ستة عشر صوتاً صحيحاً مجهوراً لقبها بالمشربة، وذكر من هذه الستة عشر تسعة أصوات لها متممات يستعملها العرب عند الوقف عليها؛ خمسة منها تُضَعَطُ في مخارجها ويلحقها صويت، وهي حروف القلقل (ق ط ب ج د)، وأربعة أصوات تجد منفذاً لصوتها سماه: نحو النفخة، وهي: (ظ ذ ز ض). أما باقي الأصوات الصحيحة المجهورة فلا يلحقها شيء من صويت أو شبه نفخ عند الوقف عليها.

وهذه الأصوات تهتز معها الأوتار الصوتية إذا أخذنا بالاعتبار كل مراحل الصوت، إلا في صوت واحد نبه عليه سيبويه وهو الهمزة، فهي من الحروف الشديدة لكنها لا تملك مرحلة اطلاق بعد الحبس عند الوقف عليها كما ملكته حروف القلقل، ولذلك وصفها سيبويه بأنها أخفى الحروف في الوقف.^(٣) مما يزيد تأكيداً بأن جعله إياها من المشربة (المجهورة) محمول على حال التحرك.

(١) الكتاب ٤/١٦٦. وفرغ سيبويه عن هذا الباب - وقبل الحديث عن الحروف المشربة - بابين هما: (باب الوقف في آخر الكلم المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف)، و(باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكرهيتهم التقاء الساكنين).

(٢) الكتاب ٤/١٧٤ - ١٧٥.

(٣) المرجع السابق ٤/١٧٧.

ويشهد كلام سيبويه في الهمزة لنطق القراء المجيدين اليوم في كونهم لا يُتبعون الهمزة الساكنة في الوصل أو الوقف بشيء من قلقلة أو نفس، بل يُقوون الضغط على ما قبلها حتى يظهر صوتها.

بقى على سيبويه كيفية الوقف على حروف المد واللين ذكره بعد ذلك بقول: "هذا باب الوقف في الواو والياء والألف، وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها؛ فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة".^(١)

مما يزيد تأكيداً على تأكيد أنه يتحدث عن عنصر الجهر فيما مضى وفي هذا، غير أن الملفت للنظر أنه لم ينعت حروف المد بـ: (المشربة)؟

ويرجع ذلك - في نظري - إلى أن حديثه عن الإشراب في الأصوات الصحيحة المجهورة مرتبط عند بتصور اقتران الصوت الصحيح بالحركة، أي: في حال التحرك بدليل الباب الرئيس المعقود لها، وإن استصحاب قوله في العنوان: (المتحركة في الوصل) عند قراءة هذا الموضع هو المعين على فهم كلامه؛ لأنه قد سبق أن الجهر والهمس مرتبطان عنده بحال التحرك.^(٢)

والذي خلصت إليه في مصطلح: (المشربة) هو أن الأصوات الصحيحة المجهورة - عند اقترانها بالحركة - مشربة صوت الصدر بنفسها أو بالحركة التي تصحبها، أما حروف المد - وهي من جنس الحركات - فهي عين صوت الصدر، فلا يحتاج إلى وصفها بالمشربة، والدليل على ذلك إطلاق سيبويه على الحركات لفظ: (صوت الصدر) في قوله للأخفش: "فإذا قلت شخص، فإن الذي أزجى هذه الحروف صوت الفم، ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجها صوت الفم؛ ليلغ ويُفهم بالصوت"^(٣)، والله أعلم.

(١) الكتاب ٤/١٧٦.

(٢) لأخذ صورة كاملة عن هذا الموضع انظر المصطلحات التالية: (الاعتماد)، (المقطع)، (النفخ)، (شبة النفخ).

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٣٠ نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسرياني.

ذكر سيبويه عن هذه الحروف أنها ممتدة للصوت، فليس لها مقطع تقف عنده، ولا ينقطع الصوت إلا في مكان الهمزة، أي مكان بدء التصويت، وذلك بكف الأوتار الصوتية عن الاهتزاز.

٢- الوقف على الحروف المهموسة:

ذكر سيبويه أن الوقف على الحروف المهموسة يكون مع نفخ، وأن هذا النفخ يشبه نفس الحرف أثناء ارتباطه مع الحركة، فنفس الفاء والكاف في قولك: (فا و كا) هو كالنفخ في: (اف، واك)، مما يزيد من أهمية استصحاب قوله في العنوان: (المتحركة في الوصل) لفهم هذا الموضوع.

قال سيبويه: "وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ؛ لأنهم يخرجون مع التنفس لا صوت الصدر، وإنما تنسل معه، وبعض العرب أشد نفخاً، كأهم الذين يرومون الحركة، فلا بد من النفخ؛ لأن النفس تسمعه كالنفخ".^(١)

وهذا من المواضع التي تشهد بصحة ما يقرؤه القراء اليوم من إتباع جميع الحروف المهموسة بنفخ أثناء الوقف، بل والساكن في الوصل.

وقول سيبويه عن الحروف المهموسة إنها تنسل مع صوت الصدر يذكرنا بقوله الذي تقدم: "فإذا قلت شخص، فإن الذي أزعجى هذه الحروف صوت الفم، ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزيحها صوت الفم؛ ليلبغ ويُفهم بالصوت"^(٢)، والله أعلم.

وهذه المتممات للحروف أعنى: القلقلة وشبه النفخ والنفخ تعد من مشخصات الصوت اللغوي ولوازمه عند المتقدمين لا أمراً خارجاً عنه، قال ابن جني: "فإن قلت: فقد نجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت، وهو مع ذلك ساكن... قيل: هذا القدر من الصوت إنما هو متمم للحرف ومؤفٌ له في الوقف، فإذا وصلت ذهب أو كاد... ومع ذلك فإن هذا الصوت اللاحق... إنما هو بمنزلة الإطباق في الطاء، والتكرير في الراء،

(١) الكتاب ١٧٥/٤.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٣٠ نقلاً عن شرح سيبويه للسيرافي.

والنفشي في الشين، وقوة الاعتماد في اللام.

فكما أن سواكن هذه الأحرف إنما تكال في ميزان العروض الذي هو عيار الحس وحاكم القسمة والوضع بما تكال به الحروف السواكن غيرها، فكذلك هي أيضاً سواكن. بل إذا كانت الراء- لما فيها من التكرير- تجرى مجرى الحرفين في الإمالة، ثم لا تعد في وزن الشعر إلا حرفاً واحداً، كانت هذه الأحرف التي إنما فيها تمام وتوفيةً لهذا أحجى بأن تُعدَّ حرفاً لا غير".^(١)

٥- الجهة الخامسة: حروف الجهر والهمس:

عدَّ سيويه حروف الجهر والهمس، فقال: "فأما المجهورة: فالهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والذال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفاً".

وأما المهموسة: فالهاء، والحاء، والحاء، والكاف، والشين، والسين، والثاء، والصاد، والثاء، والفاء، فذلك عشرة أحرف.^(٢)

وتفنن العلماء من بعده في جمع هذه الحروف في كلمة أو عبارة تسهياً للحفظ، فالرمانى جمع الحروف المهموسة في قول: (سَتَشْحُتْكَ خَصَفَةٌ).^(٣)

وتابعه: ابن جنى^(٤)، ومكي^(٥)، والقرطبي^(٦)، والخفاجي^(٧)، وأبو العلاء الهمداني، وأبو البركات ابن الأنباري.^(٨)

(١) الخصائص ٣٢٨/٢ - ٣٢٩.

(٢) الكتاب ٤٣٤/٤.

(٣) شرح كتاب سيويه ١٩١/ب.

(٤) سر صناعة الإعراب ٦٠/١.

(٥) الرعاية ص ١١٦.

(٦) الموضح ص ٨٨.

(٧) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٨) أسرار العربية ص ٢٠٩.

وزاد مكّي: (سَكَتَ فَحَثَّهُ شَخْصٌ) ^(١)

وتابعه القرطبي ^(٢)، والخفاجي ^(٣)، وابن الطحان الأندلسي ^(٤).

وزاد مكّي أيضاً: (كست شخصه فحث) ^(٥)

وجمعها الداني في: (كسف شخصه تحث). ^(٦)

وقال أبو العلاء الهمداني: "فالمهموس عشرة يجمعها قولك: سَتَشْحُكُكَ خَصْفَهُ، وإن شئت: شَخْصَ فَسَكَتَ حَثُّهُ، وإن شئت: شَخْصَكَ فَاسْتَحَثُّهُ، وإن شئت: حَثُّهُ شَخْصٌ فَسَكَتَ" ^(٧)

وجمع الداني الحروف المجهورة في عبارة: (ظل قيد بضغم زر بطا وإذ نعج). ^(٨)

وجمعها أبو العلاء الهمداني في عبارة: (زَادَ ظَيِّيْ غَنَجٌ لِي ضُمُوراً إِذْ قَطَعَ). ^(٩)

وجمعها أبو البركات ابن الأنباري في عبارة: (مد غطاء جعظ وقل ند ضيزن). ^(١٠)

٦- الجهة السادسة: قواعد في الجهر والهمس:

- (بعض العرب أشد نفحاً عند الوقف على المهموس): سيويه. ^(١١)

- (بعض العرب أشد صوتاً عند الوقف على حروف القلقلة وشبه النفخ): سيويه.

(١٢)

(١) الرعاية ص ١١٦.

(٢) الموضح ص ٨٨.

(٣) سر الفصاحة ص ٢٠.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٢٤.

(٥) الرعاية ص ١١٦.

(٦) التحديد ص ١٠٥.

(٧) التمهيد ص ٢٨٠.

(٨) التحديد ص ١٠٥.

(٩) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٨٠.

(١٠) أسرار العربية ص ٢٠٩.

(١١) الكتاب ٤/١٧٥.

(١٢) المرجع السابق ٤/١٧٤.

- (المهموس أخف من المجهور): سيبويه^(١)، أوب جعفر النحاس^(٢)، الرماني^(٣).
 - (تكرير الحرف مع الحركة أو مع حرف المد يكشف المجهور من المهموس):
المبرد^(٤)، وابن جني^(٥)، والقرطبي^(٦)، وأبو العلاء الهمذاني^(٧).
 - (التقاء المهموسين أخف من التقاء المجهورين): المبرد^(٨).
 - (المجهور مع المجهور أخف على اللسان منه مع المهموس): أبو بكر ابن الأنباري^(٩) (من رأى الكوفيين).
 - (ينخفي المهموسان بالإدغام فيضعفان): ابن خالويه^(١٠).
 - (يغلب القوى على الضعيف والمجهور على المهموس): ابن خالويه^(١١).
 - (تبدل تاء الافتعال دالاً إذا كانت الفاء حرفاً مجهوراً): أبو علي الفارسي^(١٢).
- مثال: الكلمة القرآنية (تَدَّخِرُونَ) أصلها تَدَّخِرُونَ على وزن تَفْتَعِلُونَ: أبدلت تاء الافتعال دالاً حتى تناسب الذال في الجهر، ثم أدغمت الذال في الدال.
- (المهموس يُقَرَّبُ من المجهور بأن يُبدَل مجهوراً لا العكس): أبو علي الفارسي^(١٣).

-
- (١) الكتاب ٤/٤٤٩.
 - (٢) إعراب القرآن ٢/١٩٧.
 - (٣) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٧/ب.
 - (٤) المقتضب ١/٣٣١.
 - (٥) سر صناعة الإعراب ١/٦٠.
 - (٦) الموضح ص ٨٨.
 - (٧) التمهيد ص ٢٨٠.
 - (٨) المقتضب ١/٣٤٤.
 - (٩) الأضداد ص ٤١٠.
 - (١٠) الحجة ص ١٥٦.
 - (١١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ٢١٤.
 - (١٢) التكملة ص ٢٤٤.
 - (١٣) الحجة ٢/٧٥.

- (المجهور أزيد وأقوى صوتاً من المهموس): أبو علي الفارسي^(١)، وابن جني^(٢).
- (المجهورة أقوى من المهموسة، وبعضها أقوى من بعض): مكّي^(٣).
- (بعض المهموسة أضعف من بعض، وأقواهما الصاد والخاء): مكّي^(٤).
- (الجهر من علامات قوة الحرف، والهمس من علامات ضعفه): مكّي^(٥).
- (المهموس أضعف من المجهور في النطق والمخرج): مكّي^(٦).
- (تخليص الأصوات المهموسة إذا لقيت المجهورة، والمجهورة إذا جاورتها المهموسة؛ لئلا ينقلب المجهور إلى المهموس، ويدخل المهموس على المجهور): الداني^(٧)، وعبد الوهاب القرطبي^(٨).
- (الفرار من الجمع بين المهموسين): القرطبي^(٩).
- (المجهور أولى بالبيان من المهموس): السهيلي^(١٠).

٧- الجهة السابعة: الجهر والهمس عند أصحاب المدرسة العقلية:

عرّف أصحاب المدرسة العقلية شكل الأوتار الصوتية أثناء التصويت وهو وضع الجهر، وأثناء التنفس ويُشبهه وضع الهمس، فوصف على بن العباس المجوسي الطبيب تلك الهيئتين، فقال: "والصوت لا يمكن أن يكون حتى ينطبق مجرى الحنجرة، ولذلك متى كان مجرى الحنجرة مفتوحاً لم يمكن أن يكون صوتُ البتة؛ بل إن كان خروج الهواء قليلاً قليلاً

(١) الحجة ٥/٤.

(٢) المحتسب ٥٩/١.

(٣) الرعاية ص ١١٦.

(٤) المرجع السابق ص ١١٦.

(٥) المرجع السابق ص ١١٨.

(٦) المرجع السابق ص ١٠٩.

(٧) التحديد ص ١٣١.

(٨) الموضح ص ١٩٠.

(٩) المرجع السابق ص ١٨٧.

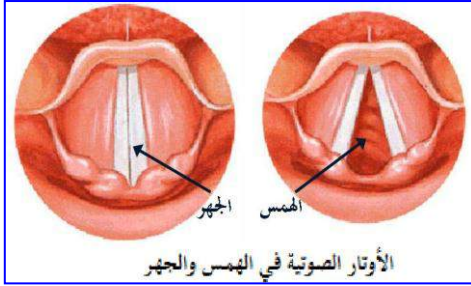
(١٠) نتائج الفكر ص ٢٢٧.

كان من ذلك النَّفَس الذي لا يكون معه صوتٌ...

فأما كَوْنُ الصوت فيحتاج فيه إلى أن يَصْعَدَ من الصدر هواءً كثيرًا دفعةً، وأن يكون مسلكه في الحنجرة مع ضيق؛ يبتدئ من سعة المجرى إلى ضيق، ثم إلى سعة، قليلاً قليلاً. (١)

ويمثل الشكل أدناه الأوتار الصوتية في الجهر والهمس في أكثر الأصوات.

وإذا كنا قد عرفنا أن وظيفة الأوتار الصوتية ذكرها المتقدمون، في قول ابن سينا: "وخلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمّى: (لسان المزمار)، يتضايق عنده طرف القصبة ثم يتسع عند الحنجرة، فيبتدئ من سعة إلى ضيق، ثم إلى فضاء واسع، كما في المزمار، فلا بد للصوت من تضيق المحبس. وهذا الجرم الشبيه بلسان المزمار من شأنه أن ينضم وينفتح؛ ليكون بذلك قرع الصوت". (٢)



وقول ابن ملكاً البغدادي عن الحنجرة والأوتار الصوتية: "وهي آلة التصويت كراس المزمار، ولها لسان كلسان المزمار؛ ليقتطع الهواء في التصويت". (٣)

وعرفنا أيضاً أن تفسير نظرية اهتزاز الأوتار الصوتية حديثاً يقوم في أحد أجزائه على ذات التشبيه الذي ذكره المتقدمون، أعنى التشبيه بلسان الآلات الموسيقية الهوائية (كالمزمار، والناي). وتندرج معظم الأبحاث والتجارب والملاحظات الاختبارية على نطاقه. (٤)

وأنهم أدركوا كثيراً من الجوانب الفيزيائية للصوت كما قدّمْتُ في الفصل الثاني، فلا أدري ما الذي منعهم أن لا يخطو الخطوة الكبرى فيذكروا شيئاً عن العلة في الوضوح السمعي لبعض الأصوات دون البعض الآخر!؟

(١) كامل الصناعة الطبية ١/١٢٠.

(٢) القانون في الطب ١١٢١/٢ - ١١٢٢.

(٣) المعبر في الحكمة ٢/٢٦٤.

(٤) علم الأصوات العام لبسام بركة هامش ص ٦٣-٦٤.

سؤال ما زلت لا أجد له جواباً إلى الآن، غير أنني أظن أن نظريتهم العامة في الحدة والثقل في الأصوات قد حلت لهم هذا الأمر، والله أعلم.

٨- الجهة الثامنة: الخلاف بين المتقدمين والمعاصرين في الجهر والهمس:

إن سبب خلاف المعاصرين مع المتقدمين من أئمة العربية والتجويد في الجهر والهمس يكمن في الأخذ بشيء من كلام المتقدمين وإهمال شيء آخر، فمما مضي ندرك أن المتقدمين يعنون بالصوت المهموس: الصوت الذي يصاحبه هواء النفس ويكون خالياً من صوت الصدر (الأثر الرنيني لاهتزاز الأوتار الصوتية)، وبالصوت المجهور: الصوت الذي يجري بصوت الصدر، ولا يصاحبه هواء النفس.

مفهوم المستشرقين والدارسين المعاصرين من العرب لمصطلح: (الهمس) يعنى عدم اهتزاز الأوتار الصوتية، سواء جرى هواء النفس مع الحرف أم لم يجز، وهذا المفهوم يتحقق في نوعين من أصوات الحروف.

١- الحرف الرخو النفسى الخالي من اهتزاز الأوتار الصوتية (aspirated): (ف ح ث هـ ش خ ص س).

٢- الحرف الشديد (الوقفى) الذي لا تحتوى حبسته على أي طاقة صوتية (pause)، وتظهر على المرسم الطيفي على هيئة فراغ تنعدم فيه الطاقة الصوتية، وبدهي أن هذا الاحتباس خال من اهتزاز الأوتار الصوتية، ويكون ذلك في خمسة أصوات فقط هي: (ق ط ء ك ت). أما باقي الأصوات الشديدة، وهي الجيم والداد والباء فتحتوى حبساتها على طاقة صوتية وتمتاز خلالها الأوتار الصوتية.

أخذ المستشرقون والدارسون المعاصرون فكرة المتقدمين عن صوت الصدر؛ لأنها توافق مفهومهم (اهتزاز الأوتار الصوتية)، وبنوا عليه تصورهم الكبير في المجهور والمهموس دون أن يُعيروا اهتماماً للجانب النفسى وأهميته عند المتقدمين في الجهر والهمس، ولم يعتدوا في التصنيف بما يصاحب هذه الحروف من الحركات أو ما يلحقها من متمات مجهورة

كأصوات القلقلعة؛ لأنهم اسقطوا في البداية فكرة التصنيف بحسب المقطع الصوتي.

فاتفق المعاصرون مع المتقدمين - نتيجة لا مفهوماً - في جميع الأصوات المهموسة التي يُشكّل عنصر النفس جزءاً منها، وتكون خالية بالطبع من اهتزاز الأوتار الصوتية، وهي: (فحثة شخص سكت).

واختلفوا معهم في ثلاثة أصوات شديدة لا يشكل عنصر النفس جزءاً منها، حسب وصف المتقدمين ونطق مجيدي القراءة اليوم، وهي القاف والطاء والهمزة؛ لأن المعاصرين - كما ذكرت - ينظرون إلى حبسة الأصوات الشديدة فقط كمرحلة حاسمة عند التصنيف إلى مجهور ومهموس، ولا يعتدّون بمرحلة إطلاق الصوت، مع تنبيههم بأنها عنصر مهم من عناصر نطق الأصوات الشديدة!!^(١)

وكان اتفاقهم معهم في الكاف والتاء، مع أنّ حبستهما مشابهة لحبسة الثلاثة، أعني القاف والطاء والهمزة، لَمَّا كان هواء النفس يشكل جزءاً منهما، فظهر الأمر على الاتفاق في الحكم، وإن كان كل من الفريقين ينظر من زاوية.

لاحظ أن المعاصرين يطلقون لفظ (الهمس) على الفراغ الذي يمثل حبسة الكاف - وقس عليها حبسة الهمزة والقاف والطاء والتاء - على حين أن المتقدمين يأخذون بمحمل الصوت بحبسته وإطلاقه معتدّين بالجانب النفسى منه عند التصنيف إلى صوت مهموس، والصوتي عند التصنيف إلى مجهور، والأصل في ذلك كله مبني على حال التحرك ووجود الصوت مع الحركة، كما أسفلت.

ومن هذا الاختلاف في المفهوم يُعرف - بكل وضوح - أصل الخلاف الذي أدى بالمحدثين إلى التشكيك في النقل الصوتي للقرآن المجيد، وكَدَّ الذهن واختراع التفسيرات في افتراض أصل لهذه الأصوات. وخلاصة الأمر أن مصطلح الهمس غدا من المشترك اللفظي بين المتقدمين والمعاصرين من أصحاب الدراسات الصوتية، كل ينظر إليه من زاوية، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(١) مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان ص ١١٢.

الصفات المتعلقة بمرور الصوت في المخرج:

مرور الصوت في المخرج والحبس ونوعيته:

الصوت عند مروره في المخرج له ثلاث حالات:

١- الاحتباس الكامل للصوت: نتيجة المقاومة العنيفة من عضوي النطق، وفي هذه

الحالات لا يلبث الصوت أن يحتال لأمره في كيفية الخروج، فيتهدي إلى إحدى طريقتين:

أ- أن يضطر الصوت عضوي النطق وتحت تأثير ضغط هواء الحرف المحبوس خلفهما

إلى الانفتاح بقوة، واندفاع الهواء فجأة، وذلك في حروف (أجد قط بكت) اللهم إلا

في صوت الهمزة عند السكون.

ب- أن يجد الصوت منفذاً غير نقطة الحبس ينفذ منه، وذلك في حروف: نرْمُل.

٢- الاحتباس الجزئي للصوت: أن يمر مع وجود مقاومة تعاوقه من عضوي النطق، لكنها

تسمح بمروره، وذلك في كل الحروف الرخوة ومعها العين مع شدّة في ذلك.

٣- حرية مرور الصوت: أن يمر بحرية شبه تامة دون اعتراض معتبر من عضوي النطق في

الواو والياء المديتين، وباعتراض لين في غير المديتين. أو يمر بحرية تامة دون أي اعتراض

حقيقي من عضوي النطق، وذلك في الألف والغنة.

ودارت مصطلحات العلماء على وصف هذه الحالات:

الحالة الأولى: الصفات الدالة على الاحتباس الكامل للصوت:

استعمل للتعبير عن هذا الحبس الشديد عدة مصطلحات، منها:

(الشدّة)، (الاحتباس التام)، (الحصر)، (اللزوم).

ولُقِّبت حروفه بعدة ألقاب، منها: (الشديدة)، و(الأخرس) في فهم بعض العلماء، و(الحروف

المفردة).

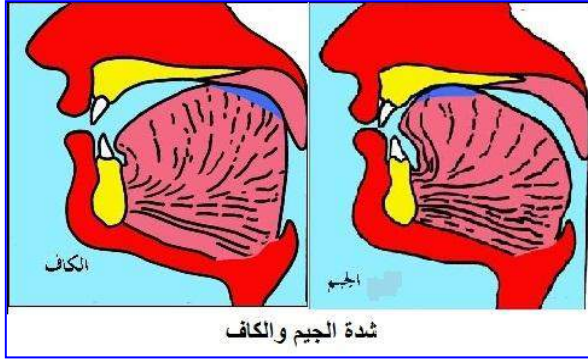
١- المصطلح الأول للاحتباس الكامل للصوت: (الشديد، الشدة):

يدل أصله اللغوي على قوة في الشيء. (١)

استعمله من العلماء: سيويوه، والمازني (٢)، والمبرد، وابن دريد (٣)، والرماني (٤)، وابن جني (٥)، ومكي (٦)، والدايني (٧)، والقرطبي (٨)، وابن الطحان الأندلسي (٩)، وأبو العلاء الهمداني (١٠).

قال سيويوه: "ومن الحروفِ الشديّد: وهو الذي يمنع الصوت أن يجرى فيه، وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والذال، والباء، وذلك أنك لو قلت: الحج، ثم مددت صوتك لم يجر ذلك". (١١)

نلاحظ من التعريف أن سيويوه استعمل لحبس الصوت في المخرج لفظ (منع الصوت)، وفي مواضع أخرى من كتابه استعمل: (الحصر)، و(الاعتراض على الصوت) (١٢)، و(اللزوم)، ويعنى بهذا الأخير لزوم العضو الناطق مخرجه بحيث يقف كالسد والجدار في وجه



الصوت، ودارت أكثر تعريفات العلماء الذين ذكروا على ألفاظه. وقد تقدم الحديث عن مصطلح (اللزوم) واستعمالاته، وسيأتي الحديث عن مصطلح (الحصر) بعد هذا المصطلح.

(١) مقاييس اللغة ص ٥٠١ (ش د د)

(٢) نقل ذلك عنه مكي في الرعاية ص ١٤٣.

(٣) الجمهرة ٨/١.

(٤) شرح كتاب سيويوه ل ١٩١/ب.

(٥) سر صناعة الإعراب ٦١/١.

(٦) الرعاية ص ١١٧.

(٧) التحديد ص ١٠٥.

(٨) الموضح ص ٨٩.

(٩) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣١.

(١٠) التمهيد ص ٢٨٠.

(١١) الكتاب ٤/٤٣٤.

(١٢) المرجع السابق ٤/٤٣٥.

وبقراءة هذه المصطلحات جميعاً نخلص إلى أن الصوت الشديد عنه سيبويه لا بد أن يتوفر فيه شرطان:

١- لزوم العضو الناطق موضعه، بحيث يقف كالسد والجدار أمام الصوت.

٢- منع الصوت من الجريان.

ويوضح الشكل السابق شدة الجيم والكاف، ولاحظ منع المخرج للصوت من المرور. ونلاحظ أن المثال الذي أتى به سيبويه لوصف هذا الاحتباس- في التعريف- هو صوت الجيم، فلا يدخل في هذه المرحلة صفة القلقل، ولا صفة التركيب التي يريد بها بعض المعاصرين له؛ لأن هاتين الصفتين إنما توجدان لحظة انفتاح مخرج الجيم.

وقال المبرد عن الحروف الشديدة بأنك "إذا لفظت بها لم يتسع مخرج النفس معها".^(١) وقد ذكرت في مصطلح: (النفس) أن من العلماء من استعمله بمعنى الهواء الفاعل للصوت، فلعله كذلك، والله أعلم.

وذكر مكي أن الشدة من علامات قوة الحرف.^(٢)

وعرف أبو البركات ابن الأنباري الحروف الشديدة بأنها: "حروف صُلْبَة لا يجرى فيها الصوت".^(٣) فاستعمل مصطلح (الصلابة)، وسيأتي الحديث عنه.

عد سيبويه ثمانية أصواب شديدة- كما في تعريفه- جمعها بعض العلماء في عبارات ليسهل حفظها، ولخصها أبو العلاء الهمداني بقول: "وهي ثمانية أحرف يجمعها قولك: أَجَدَتْ طَبَّقَكَ، وَأَجْدُكَ طَبَّقَتْ، وَأَطْبِقُ جَدَّكَ، وَأَطْبِقْتُكَ جَدًّا، وَأَطَقْتُ جَدْبَكَ".^(٤)

وذكر سيبويه- غير هذه الثمانية- أربعة أصوات أخرى قال عنها إنها شديدة لكنها تجد

(١) المقتضب ٣٣١/١.

(٢) الرعاية ص ١١٧.

(٣) أسرار العربية ص ٢١٠.

(٤) التمهيد ص ٢٨٠.

منفذاً لصوتها، وهي اللام، والراء، والميم، والنون،^(١) وسيأتي ذكرها في الحروف التي بين الشدة والرخوة.

وقد ذكر بعض المتقدمين اختلاف أصوات الشدة في درجة الحبس، فذكر ابن دريد أن التاء تنقطع بجرس قوى، والذال تنقطع بجرس لين.^(٢)

وتابعه: ابن جني^(٣). وقال في موضع آخر: "وكذلك الطاء والتاء: هما أقوى من الدال؛ وذلك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال".^(٤)

وكذلك ذكر ابن سينا أن الطاء مثل التاء في الشدة، وأن حبس الدال مثل التاء في الكم وأضعف منه في الكيف.^(٥)

ولعل هؤلاء أحسوا بأن الأصوات التي لا تهتز معها الأوتار الصوتية أثناء الحبس ينقطع الصوت فيها فجأة ويكون الضغط قوياً على المخرج كالطاء والتاء والهمزة، على حين أن ذلك الضغط يخف في الدال والباء والجيم على الرغم من وضوحها بسبب اهتزاز الأوتار الصوتية في ذلك الحبس، فوصفوها بذلك الوصف.

وهذه النصوص تشهد لنطق القراء الحالي بالطاء، وتقف حجة في وجه من يقول إن أصلها ضاد أسنانية؛ لأن الضاد الأسنانية مثل الدال في الحبس.

٢- المصطلح الثاني للاحتباس الكامل للصوت: (الحصر)

يدل أصله اللغوي على الحبس والمنع.^(٦)

استعمل: (الحصر) في وصف انحصار الصوت، وذلك في عدة مواطن، منها:

-
- (١) الكتاب ٤/٤٣٥.
 - (٢) الجمهرة ١/٩.
 - (٣) سر صناعة الإعراب ٢/٤١٨.
 - (٤) الخصائص ١/٥٤-٥٥.
 - (٥) أسباب حدوث الحروف ص ٧٩.
 - (٦) مقاييس اللغة ص ٢٤٩ (ح ص ر).

١- الموطن الأول: شدة الحرف، وهي صفة من صفاته:

استعمله من العلماء: سيويه، وابن جني^(١)، وابن سينا^(٢)، وأبو العلاء الهمداني^(٣).
مثال: قال سيويه عن الطاء: "الطاء مع الدال: كقولك: اضبَدَّهْمَا؛ لأنهما من موضع واحد، وهي مثلها في الشدة إلا أنك قد تدع الإطباق على حاله فلا تذهب؛ لأن الدال ليس فيها إطباق، وإنما تغلب على الطاء؛ لأنها من موضعها، ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال".^(٤)

٢- الموطن الثاني: انحصار الصوت في الإطباق:

استعمله من العلماء: سيويه، وابن جني^(٥)، ومكي^(٦)، والقرطبي^(٧).
قال سيويه: "فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف... فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّنَ ذلك بحصر الصوت".^(٨)

٣- الموطن الثالث: وصف من أوصاف حروف القلقة:

استعمله من العلماء: المبرد، والقرطبي^(٩).
مثال: وصف المبرد حروف القلقة بأنها "حروف محصورة في مواضعها".^(١٠)

٣- المصطلح الثالث للاحتباس الكامل للصوت: (اللزوم):

من المشترك اللفظي، تقدم.

(١) سر صناعة الإعراب ٧/١.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ١١٧ - ١١٩.

(٣) التمهيد ص ٢٨٢.

(٤) الكتاب ٤/٤٦٠.

(٥) المحتسب ٥٥/٢.

(٦) الرعاية ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٧) الموضح ص ٩٠.

(٨) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٩) الموضح ص ٩٣.

(١٠) المقتضب ١/٣٣٢.

٤ - المصطلح الرابع للاحتباس الكامل للصوت: (الأخرس)

من أصله اللغوي أن يدل على ذهاب النطق، ويُحْمَل على ذلك فيقال: كتيبة خرساء، إذا صممت من كثرة الدروع، فليس لها قعقعة سلاح، قال الخليل: "وعَلِمَ أخرس أي: لا يُسَمَع فيه صوت صدى، يعني: الأعلام التي يهتدى بها".^(١) ويقال: لبن أخرس: خائر لا صوت له في الإناء عند الحلب، وسحابة خرساء: ليس فيها رعد.^(٢)

استعمل: (الأخرس) في أكثر من معنى، منها:

- ١- عيب من عيوب النطق.
- ٢- الشدة، وهي صفة من صفات الحروف.
- ٣- نقيض الحروف التي لها فضيلة ومزية من غنة وإطباق.

١- المعنى الأول ل: (الأخرس) = عيب من عيوب النطق:

قال الخليل: "والخرس: ذهاب الكلام حلقة أوعياً".^(٣)

وقال ابن دريد: "وهو انعقاد اللسان عن الكلام".^(٤)

وربط أبو بكر الرازي الطيب بين الخرس في اللسان والصمم في الأذن، فقال: "الخرسُ عظيمو الألسن، لا تدور ألسنتهم في أفواههم، وإذا عظم اللسان ضعفت المادة التي تكون منها الأذن وعضلتها فيكون أصم".^(٥)

٢- المعنى الثاني ل: (الأخرس) = الشدة، وهي صفة من صفات الحروف:

عرف السيرافي مصطلح: (الأخرس) عند الفراء، قال: "وأراد بالأخرس الحروف الشديدة التي يلزم فيها اللسان مكانه".^(٦)

(١) العين ١٩٥/٤.

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٩١ (خ ر س).

(٣) العين ١٩٥/٤.

(٤) الجمهرة ٢٠٦/٢.

(٥) الحاوي في الطب ٢٠٨/٣.

(٦) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٥٩.

وقد جعل السيرافي هذا المصطلح في مقابل: (المصوّت) الذي فسره أيضاً بأنه الرخو من الحروف. (١)

وقد بينت في مصطلحي: (المصوت) و (غير المصوت) أن الفراء لا يريد ذلك الذي أراده السيرافي، وإنما قصد الحروف التي لها فضل صوت في مقابل الحروف التي ليست لها تلك الفضيلة، وأعطيت من الشواهد والبراهين ما يدل على ذلك، والله أعلم. (٢)

٣- المعنى الثالث لـ: (الأخرس) = نقيض الحروف التي لها فضيلة ومزية من غنة وإطباق:

مرادف لمصطلح: (غير المصوت) وانظر الملاحظة السابقة في المعنى الثاني لـ (الأخرس).

٥- المصطلح الخامس للاحتباس الكامل للصوت: (الجبسات التامة)

قال ابن سينا عن الحروف التي لا يسمح بمرور الصوت فيها بأن "حدوثها عن جَبَسَاتٍ تَامَةٍ للصوت أو الهواء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة". (٣)
فوصف كل مراحل الصوت الشديد، أعنى: الحبس ثم الإطلاق.

٦- المصطلح السادس للاحتباس الكامل للصوت: (الحروف المفردة):

لقبها ابن سينا بذلك، قال: "والحروف بعضها في الحقيقة مفردة، وحدوثها عن جبسات تامة للصوت أو الهواء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة" (٤)

وذكر ابن سينا في تمييز واضح أن هذه الحروف "تتشارك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس و زمان الإطلاق؛ وذلك لأن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحدث فيه صوت حادث عن الهواء وهو مسكن بالحبس. و زمان الإطلاق ليس يسمع فيه

(١) المرجع السابق ص ٥٩.

(٢) انظر: مصطلح: (المصوت)، و(غير المصوت).

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ٦٠. وانظر أمثلة على ذلك للحروف ص ٨٢، و ١١٧، و ١٢٥.

(٤) المرجع السابق ص ٦٠.

شيء من هذه الحروف؛ لأنها لا تمتد البتة، إنما هي مع إزالة الحبس فقط" (١)

والحروف المفردة التي تحدث بحبس تام عند ابن سينا هي: "الباء ، والتاء، والجيم، والداد، والضاد من وجه، والطاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم والنون أيضاً من وجه". (٢)
نلاحظ أن النص أخرج صوتي الهمزة والراء، وهو بهذا يخالف حروف سيبويه، لكنّ وصف الهمزة عنده- فيما بعد- يوحي بأن الهمزة ساقطة من النص السابق.

ونلاحظ أنه أدخل الضاد ضمن هذه الأصوات، وضمها إلى الأصوات المتوسطة (التي تجد منفذاً لصوتها)، وهذا يعطى إضاءة جديدة حول هذا الصوت الفريد الذي اعتنى العلماء به على مر العصور. ولا يتسع مجال الدراسة لشرح هذا الصوت وما قيل فيه وكيفية نطقه؛ لأنه يحتاج إلى دراسة تاريخية خاصة يضيق المقام عنها هنا.

الحالة الثانية: الصفات الدالة على الاحتباس الجزئي للصوت:

استعمل للتعبير عن هذا المرور المَعُوق عدة مصطلحات، منها:
(الرخاوة)، (الإرخاء)، (الحبس غير التام).
ولُقِّبَتْ حروفه بعدة ألقاب، منها: (اللينّة) و(الرخوة)، و(المصوت) في فهم بعض العلماء، و (الحروف المركبة).

١- المصطلح الأول للاحتباس الجزئي للصوت: (اللينّة)

ضد الخشونة، ويقال: هو في لَيَانِ عَيْشٍ، أي: نغمة، وفلان مَلِينة، أي: لين الجانب. (٣)

(١) المرجع السابق ص ٦١-٦٢.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ٦١.

(٣) مقاييس اللغة ص ٩١٠ (ل ي ن).

استعمل لفظ: (الليّنة) في أكثر من معنى، منها:

١- لقب للألف والواو والياء.

٢- صفة للواو والياء.

٣- لقب للحروف الرخوة.

١- المعنى الأول ل(الليّنة)= لقبٌ للألف والواو والياء:

استعمله من العلماء: الخليل، وأبو علي الفارسي، وابن جني^(١)، وأبو العلاء
المهماني^(٢).

قال الخليل: "وإذا جاءت الحروف الليّنة في كلمة، نحو: (لَو) وأشباؤها تُقَلَّتْ".^(٣)

وقال الفارسي: "والحروف الليّنة: الألف والياء والواو".^(٤)

٢- المعنى الثاني ل: (الليّنة)= صفة للواو والياء:

استعمله من العلماء: سيبويه، وابن السراج.

قال سيبويه في معرض حديثه عن صفات الحروف: "ومنها (الليّنة)، وهي الواو
والياء؛ لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما".^(٥)

وعدها ابن السراج الصنف الثامن من أصناف الحروف.^(٦) يعني صفاتها.

٣- المعنى الثالث ل(الليّنة)= لقبٌ للحروف الرخوة:

استعمله من العلماء: أبو العباس أحمد بن ولّاد، قال عن تصنيف سيبويه للهمزة
والألف: "ولما تكلم في الشديدة والليّنة جعل الهمزة في حيز الشديدة، والألف في حيز

(١) الخصائص ٣/١٢٤.

(٢) التمهيد ص ٢٨٥.

(٣) العين ٣/٣٥٢.

(٤) التكملة ص ٢٤.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٥.

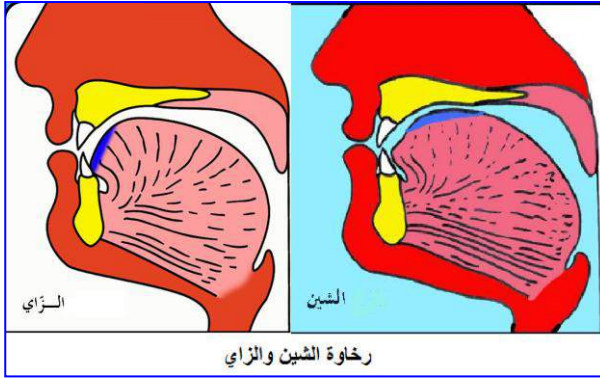
(٦) الأصول ٣/٤٠١.

الليننة".^(١)

٢- المصطلح الثاني للاحتباس الجزئي للصوت: (الرخاوة):

يدل أصله اللغوي على اللين والسهولة والانتساع. والراء مثلثة، يقال: رَحُوٌّ وَرُحُوٌّ وَرَحُوٌّ.^(٢)

استعمله من العلماء: سيبويه، وتابعه: المبرد، وابن السراج،^(٣) وابن دريد، وأبو علي الفارسي^(٤)، وابن جني^(٥)، ومكي^(٦)، والدايني^(٧)، والقرطبي^(٨)، وأبو العلاء الهمداني^(٩). قال سيبويه: "ومنها الرخوة، وهي: الهاء، والحاء، والغين، والحاء، والشين، والصاد، والضاد والزاي والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. وذلك إذا قلت: الطَّسَّ وَأَنْقَضَّ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ أُجْرِيَتْ فِيهِ الصَّوْتُ إِنْ شِئْتَ".^(١٠)



ونلاحظ في التعريف أن سيبويه استعمل لفظ: (إجراء الصوت)، وفي مواضع أخرى من كتابه استعمل مصطلح: (التجافي) بين عضوي النطق الذي يسمح بمرور الصوت، وتقدم الحديث عنه.

وبقراءة هذه المصطلحات فإن الصوت الرخو عند سيبويه لا بد أن يتوفر فيه شرطان هما

- (١) الانتصار لسيبويه على المبرد ص ٢٣٨.
- (٢) مقاييس اللغة ص ٤٢٦ (ر خ و) المصباح المنير ص ٢٢٤.
- (٣) الأصول ٣/٤٠١.
- (٤) الحجة ١/١٣٠.
- (٥) سر صناعة الإعراب ١/٦١.
- (٦) الرعاية ص ١١٨ - ١١٩.
- (٧) التحديد ص ١٠٦.
- (٨) الموضح ص ٨٧.
- (٩) التمهيد ص ٢٨٠.
- (١٠) الكتاب ٤/٤٣٤.

عكس لشرطي الصوت الشديد:

١- تجافي العضو الناطق عن مخرجه، بحيث يكون هناك منفذ أمام الصوت.

٢- السماح للصوت بالجريان.

ويمثل الشكل السابق رخاوة الشين والزاي واعتراض الصوت في المخرج والسماح له بالمرور من خلاله عبر مجال عضوي النطق. ويجب أن نعلم أن التجافي لا يعنى انفصال المخرج عن المخرج، هذا لم يدر في خلد سيبويه، لأن الذال مثلاً تتم بتلامس طرف اللسان للأسنان العليا والسفلى، ومع هذا تسمح بمرور الصوت.

ولم يخرج أحد من الذين تقدموا عن معنى هذا التعريف حتى المبرد وابن دريد، فإن المبرد عرّف الرخوة بأنها "التي يجرى النفس فيها من غير ترديد"^(١).

ذكرت في مصطلح: (النفس) أن من العلماء من استعمله بمعنى الهواء الفاعل للصوت، وربما يقصد بقوله (بغير ترديد)، أي: بلا حبس؛ لأن (ر د د) بمعناها اللغوي كلمة تدل على المنع، وقد تقدم أن سيبويه استعمل لفظ: (الرد) بمعنى الحبس في وصف الحروف الرخوة، فلعل المبرد أخذه منه، والله أعلم.

وأما ابن دريد فإنه وصف طبيعة هذا المرور فقال: إن الحروف الرخوة هي التي تسترخي في المجاري.^(٢)

ويعد مكّي بن أبي طالب القيسي من أوائل من استعمل لفظ: (ضعف الاعتماد) في تعريف الرخاوة، قال عن الرخو أنه: "حرف **ضَعْفَ** الاعتماد عليه في موضعه...".^(٣) وتابعه عليه: ابن الطحان الأندلسي^(٤)، ونقله المتأخرون إلى يومنا هذا.

و(ضعف الاعتماد) ذكره سيبويه في مصطلحي الجهر والهمس، وبينت معناه هناك، ولا علاقة له بالشدة والرخاوة، ويعد نوعاً من التوسع الدلالي عند مكّي.

(١) المقتضب ٣٣١/١.

(٢) الجمهرة ٨/١.

(٣) الرعاية ص ١١٩.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣١.

عد سيبويه ثلاثة عشر صوتاً- كما في نصه- وجمعها بعض العلماء في عبارات ليسهل حفظها، منها:

- (تُخَذُ ظَعَشُ زَحَفِ صَهْ ضَسْ): مكي. (١)
- (حَسَ حَظْ شَصْ هَزْ ضَغْثَ فَدْ): الدايني. (٢)
- (حِسُّ شَخْصٍ هَزُّ فَظُّ غَضُّ ثَدُّ): أبو العلاء الهمداني. (٣)

ومن خلال الأمثلة التي قدمها سيبويه فإن اختبار الرخاوة في هذه الحروف يكون حال سكون الحروف بخلاف الجهر والهمس اللذين يكون اختبارهما في حال التحرك، كما تقدم.

وقد أثبت سيبويه التفاوت بين الحروف الرخوة، من حيث مرور الصوت في المخرج؛ إذ يختلف ذلك من مخرج حرف إلى حرف وإن سُيِّحَ لهما جميعاً بالمرور. ذكر أن رخاوة الظاء والذال والطاء أشد من رخاوة الصاد والسين والزاي؛ بسبب أن مخرج الظاء وأختيها يسمح بمرور الصوت أكثر منه في الصاد وأختيها، ولذلك حُسِّنَ الإظهار فيها، قال عنها: "والبيان فيهن أمثل منه في الصاد والسين والزاي؛ لأن رخاوتهن أشد من رخاوتهن، لانحراف طرف اللسان إلى طرف الثنايا، ولم يكن له رد [حبس]". (٤)

٣- المصطلح الثالث للاحتباس الجزئي للصوت: (الإرخاء):

استعمله من العلماء: المازني. (٥)

٤- المصطلح الرابع للاحتباس الجزئي للصوت: (الجبس غير التام):

استعمله من العلماء ابن سينا، حيث صنف الحروف من حيث الاحتباس في المخرج إلى حروف مفردة ويعنى بها الشديدة، وحروف مركبة ويعنى بها الرخوة، وقال عن الحروف

(١) الرعاية ص ١١٩.

(٢) التحديد ص ١٠٦.

(٣) التمهيد ص ٢٨٠.

(٤) الكتاب ٤/٤٦٢.

(٥) نقل ذلك عنه مكي في الرعاية ص ١٤٣.

المركبة: إنها تحدث عن **حسبات غير تامة**؛ ويكون الحسب مع الإطلاق معاً. ^(١)

وهذا فهم دقيق منه - رحمه الله تعالى - في توضيح زمنية حدوث الحروف الرخوة، ويوضح الشكل المعطى هذا الأمر.

٥- المصطلح الخامس للاحتباس الجزئي للصوت: (المصوّت):

من المشترك اللفظي: يدل أصله اللغوي على ما يدل عليه الصوت.

استعمل مصطلح: (المصوّت) في أكثر من معنى، منها:

١- الحروف التي لها فضل صوت من غنة وإطباق.

٢- الحروف الأصلية الذائبة.

٣- الرخو من الحروف.

١- المعنى الأول لـ (المصوّت) = الحروف التي لها فضل صوت من غنة وإطباق:

استعمل الفراء لفظ: (المصوّت) للحروف التي لها فضل صوت كغنة النون وإطباق الطاء، قال عن علة إبدال تاء الافتعال طاء في نحو: اصطبر: "لأن التاء حرف أحرص لا يخرج له صوت، إذا بلوت ذلك وجدته، فكروهوا إدغام مصوّت في حرف أحرص، فلما فاتهم الإدغام وجدوا الطاء معتدلة في المخرج بين التاء والصاد، لتكون غير ذاهبة بواحد من الحرفين". ^(٢)

والذي يدل على أن الفراء يقصد بهذا المصطلح هذا المعنى قول ابن مجاهد: "وعادة القراء أن لا يظهروا الغنة عند الراء واللام؛ لأن في إظهارها كلفة؛ لتداخل الحرفين... وإظهار الغنة جائز؛ لأن الراء واللام لا صوت لهما، فلا يدغم مصوّت في غير مصوّت؛ فيخل به، وإنما تبقى منه غنة كما يبقى من المطبق - إذا رمت إدغامه في غير مطبق - أثر من الإطباق". ^(٣)

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٦١. وانظر أمثلة على ذلك للحروف ص ٨٠، و ١١٩.

(٢) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٣، ص ٥٩، و ٦٧.

(٣) نقل ذلك السيرافي في إدغام القراء ص ٥٧.

ومما يؤيد كلام الفراء قول سيبويه عن إدغام الطاء في الدال: "والمطبق أفشى في السمع، ورأوا إجحافاً أن تغلب الدال على الإطباق، وليست كالطاء في السمع. ومثل ذلك: إدغامهم النون فيما تدغم فيه بغنة".^(١)

فَالْفُشُوُّ فِي السَّمْعِ فِي قَوْلِ سَيْبَوِيهِ هُوَ نَظِيرُ الْمَصَوْتِ فِي لَفْظِ الْفَرَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وهذا من الأمثلة الدقيقة التي تشترك فيها مذهباً البصرة والكوفة في الحكم على بعض الأصوات.

٢- المعنى الثاني ل: (المصوت) = الحروف الذائبة:

استعمله الفارابي للتعبير عن حروف المد والحركات، قال عن المقطع القصير والطويل: "وكل حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به، فإنه يسمى: (المقطع القصير)، والعرب يسمونه: (الحرف المتحرك)، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات. وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإننا نسمية: (المقطع الطويل)".^(٢)

٣- المعنى الثالث ل(المصوت) = الرخو من الحروف:

عرف السيرافي مصطلح: (المصوت) عند الفراء، بأنه ما جرى فيه الصوت.^(٣)
يعنى: الرخو من الحروف. وهو فهم خاص منه ولا أظن أن الفراء يريد، وارجع إلى المعنى الأول لهذا المصطلح.

٦- المصطلح السادس للاحتباس الجزئي للصوت: (الحروف المركبة):

لقب ابن سينا الحروف الرخوة بهذا الاسم.^(٤)

قواعد الشديد والرخو:

- الخروج عن الحروف الرخو إلى غيره أسهل من خروج الشديد إلى غيره: الرماني.^(١)

(١) الكتاب ٤/٤٦٠.

(٢) الموسيقى الكبير ص ١٠٧٥ وإحصاء العلوم ص ٦١.

(٣) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٥٩.

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ٦١. وانظر أمثلة على ذلك للحروف ص ٨٠، و ١١٩.

- الشديد أو المجهور أولى بالبيان من المهموس أو الرخو: السهيلي. (٢)

الحالة الثالثة: الصفات الدالة على ما بين الحالتين:

استعمل للحروف الملحقة بالرخوة والشديدة أكثر من مصطلح، منها:

١- الحروف التي بين الرخوة والشديدة.

٢- الشديد الذي يجرى فيه الصوت.

ملاحظة: اختلف العلماء في جملة حروفها: (العين فقط)، أو حروف: (لم يرو عننا)، أو حروف (لن عمر)، أو حروف (نولي عمر).

بعد أن انتهى سيبويه من وصف الحروف الشديدة والرخوة- فيما تقدم ذكره- بقي عليه عدة حروف لم يتحدث عن حالات مرورها في المخرج، وهي العين، واللام، والراء، والنون والميم، والواو والياء، والألف. أعطى سيبويه لكل منها اسماً، كما يلي:

١- العين: (بين الرخوة والشديدة).

٢- اللام: (المنحرف).

٣- النون والميم: (الشديد الذي يجرى فيه الصوت).

٤- الراء: (المكرر).

٥- الواو والياء: (اللينة).

٦- الألف: (الهاوي).

وسأناقش فقط الحروف التي تتعلق بما مضى من الأصوات الشديدة والرخوة بوجه من الوجوه، كما هو مفهوم سيبويه لها، وأترك الحديث عن الواو والياء والألف إلى ما بعد هذه النقطة.

(١) شرح كتاب سيبويه ل٢٠٢/أ. قالها للتدليل على أن إدغام الصاد وأختيها أدنى في الحسن من الطاء وأختيها لرخاوتن، وأن البيان فيهن أحسن. وانظر الكتاب ٤/٤٦٢.

(٢) نتائج الفكر ص٢٢٧.

١- (بين الرخوة والشديدة): العين: أطلق سيبويه لفظ: (بين الرخوة والشديدة) على صوت العين فقط، "ومنها الرخوة... أجريت فيه الصوت إن شئت. وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى التردد فيها لشبهها بالحاء... ومنها المنحرف"^(١).

جعل سيبويه صوت العين صوتاً مستقلاً عن الحروف الرخوة؛ وذلك من حيث تعرض صوته للضغط والعصر، ويبقى معنى قوله (تصل إلى التردد فيها لشبهه بالحاء) غامضاً عندي إلا إن كان المراد- (الترديد) في كلامه: المنع في إحدى معانيه اللغوية.

وجاء معنى جعلها بين الرخوة والشديدة أن صوت العين يملك أحد شرطي الحروف الرخوة من حيث التجافي عن الموضع، وأحد شرطي الشديدة في أنه لا يمتد به الصوت كباقي الرخوة؛ للعصر الذي يتعرض له في المخرج، ولأجل ذلك جاء استثناءؤه للعين بعد قوله عن الرخوة: (أجريت فيه الصوت إن شئت)، وقبل الحديث عن الحرف المنحرف الذي صدره بقوله: (ومنها).

ومن الشواهد القوية التي تدل على صحة هذا الكلام- أعنى مخالفة العين لباقي الرخوة- قوله في موضع آخر عن علة امتناع إدغام الهاء في العين: "ولم يدغموها في العين إذ كانتا من حروف الحلق؛ لأنها خالفتها في الهمس والرخاوة"^(٢). فالعين تخالف الهاء- إذن- في الرخاوة.

ومما يستأنس به في هذا المقام قول ابن سينا عن العين: "وأما العين فإن الحبس غير تام إلا أنه قوى"^(٣).

وكذلك تشبيهه كيفية حدوث العين "عند اندفاع الهواء بقوة في الماء"^(٤). أي إن هناك مقاومة شديدة في مجرى النطق تعاوقه عن الجريان، والله أعلم.

٢- المنحرف: اللام.

(١) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٢) الكتاب ٤/٤٤٩.

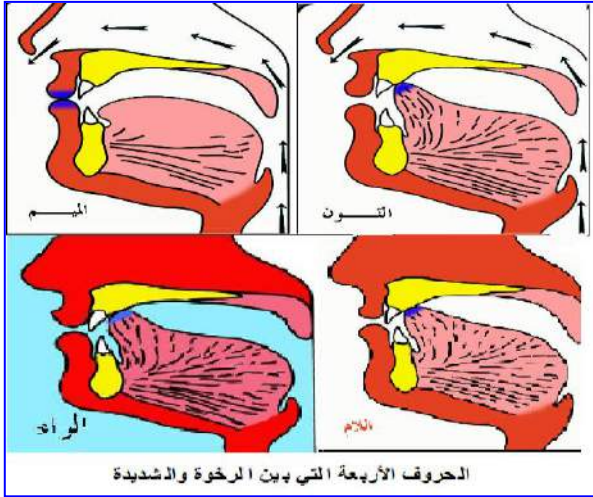
(٣) أسباب حدوث الحروف ص ١١٤.

(٤) المرجع السابق ص ١٣٣.

٣- المكرر: الراء.

٤- حرف شديد يجرى معه الصوت من الأنف: النون والميم.

الأقسام الثلاثة الماضية هي التي بدأ سيبويه كلاً منها بقوله: "ومنها حرف شديد". لكنه جعلها بين الرخوة والشديدة- وإن لم يصرح بهذا اللفظ- من حيث إنها وافقت أحد شرطي الأصوات الشديدة في لزوم العضو الناطق مخرجه، لكنها خالفتها في أنها وجدت



لصوتها منفذاً تخرج منه في غير نقطة الحبس، فوافقت بذلك أحد شرطي الرخوة، أعنى الجريان، وإن كانت خالفتها -أيضاً- في عدم تحافي العضو الناطق عن مخرجه، فهي عكس العين في ذلك. وهذا الذي يجعلني أرحح أن حروف (بين الرخوة والشديدة) عند سيبويه لا تقتصر

على العين وحدها، بل تشمل هذه الأقسام الثلاثة. ولك أن تختبر صحة هذا من كلام سيبويه نفسه، قال عن هذه الأقسام الثلاثة بادئاً باللام، ثم الميم والنون، ثم الراء: "ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت.

وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافي عن موضعه.

ومنها حرف شديد يجرى معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. وهو النون، وكذلك الميم.

ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافي للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء".^(١)

ويمثل الشكل السابق الحروف الأربعة التي بين الرخوة والشديدة بشكل تقريبي، وتمثل

(١) الكتاب ٤/٤٣٥.

المنطقة الزرقاء الفاتحة منطقة انتشار الصوت.

حافظ العلماء بعد سيبويه على لفظ (بين الرخوة والشديدة) أو قريب منه، لكنهم توسعوا في حروفه ومفهومه كما يلي:

١- الفريق الأكثر جمع كل الحروف التي ذكرها سيبويه بعد الرخوة والشديدة جميعاً في سلة واحدة، (وهي العين واللام والنون والميم والراء والألف والواو والياء)، على أساس أنها قسم ثالث ملحق بالشديدة والرخوة، منهم: المبرد، وعدها شديدة في الأصل، لكن يجرى فيها الصوت لكونها تستعين بصوت ما جاورها من الرخوة.^(١)

وهذا من المواضيع المشككة؛ إذ كيف تكون حروف المد شديدة، وكيف تستعين بصوت ما جاورها؟ وكيف تستعين العين بصوت الحاء؟ واللام والراء بأي شيء يستعينان؟ أما الميم والنون فقال عنهما إنهما يستعينان بصوت الغنة، وهذا متَّجِهٌ وصحيح. وغالب كلامه وتعليقاته في هذا الموضوع ترجع إلى كلام سيبويه.

وإذا كنا في موضوع الاستعانة فإن عبد الوهاب القرطبي لقب الميم والنون والعين بـ: (المستعينة).^(٢)

أخذ الميم من قول سيبويه عنها: "لاستعانتها بصوت الخياشيم".^(٣)

وأخذ العين والنون من قول المبرد عنهما: "كالعين التي يستعين المتكلم عند اللفظة بها بصوت الحاء... وكانون التي تستعين بصوت الخياشيم لما فيها من الغنة".^(٤)

تابع المبرد: ابن جني، وجمعها في (لَمْ يَرَوْ عَنَّا)، أو (لَمْ يُرَوْعْنَا)، أو (لَمْ يَزَعُونَ)^(٥)، ومكي^(٦)، والقرطبي^(٧)، والخفاجي^(١)، وأبو العلاء الهمداني، وجعل هذا المذهب كأنه

(١) المقتضب ٣٣١/١.

(٢) الموضح ص ٩٧.

(٣) الكتاب ٤٦١/٤.

(٤) المقتضب ٣٣١/١.

(٥) سر صناعة الإعراب ٦١/١.

(٦) الرعاية ص ١١٨ - ١١٩.

(٧) الموضح ص ٨٩.

الأصل، قال: "وما بين الشديد والرخوة ثمانية... وذكر بعض أصحابنا أن الحروف التي بين الشديدة والرخوة الشديدة والرخوة خمسة يجمعها قولك: لِنْ عُمَر" (٢)، وابن الأنباري، وجمعها في: (نوري لامع)، وعَرَّفَهَا بأنها "حروف لا مفرطة في الصلابة ولا ظاهرة الضعف، بل هي في اعتدال بينهما، ولذلك كانت بين الشديدة والرخوة". (٣) قلت: فلماذا أدخل حروف المد من جملتها؟

٢- ابن السراج ألحق صوت العين بالرخوة، وهي الصنف الرابع عنده، والخامس: المنحرف، والسادس: الشديد الذي يخرج معه الصوت، يعنى الميم والنون، والسابع: المكرر، والثامن: اللينة، والتاسع: الهاوي (٤). فعدد ما ذكره سيبويه.

٣- الداني وافق سيبويه في الأصوات الخمسة (ع، ل، ن، م، ر)، لكنه جعلها كلها شديدة في الأصل، ولقبها ب: (الشديد الذي يجرى فيه الصوت)، فذكر أن الأصوات الخمسة "اشتد لزومها لموضعها، ثم تحافى بها اللسان عن موضعها فجرى فيها الصوت لتجافيتها". (٥) وغالب كلامه في هذا الموضع يرجع إلى سيبويه والمبرد. ولا يتجه لي في كلامه كيف يتحافى اللسان عن العين، وهو لا يتدخل في إنتاجها؟!
٤- فريق رابع أخرج الألف من جملة هذه الحروف، ومن هؤلاء: ابن الطحان الأندلسي، وجمعها في (نُؤَلِّي عمر). (٦)

٤- الحالة الرابعة: الصفات الدالة على حرية مرور الصوت:

بقي على سيبويه - بعد أن ذكر الأصوات التي تتعلق بالحروف الشديدة والرخوة بوجه من الوجوه - ثلاثة أحرف فقط، وهي الواو والياء والألف هي التي ختم بها الحديث عن حالات مرور الصوت في المنخرج.

(١) سر الفصاحة ص ٢٠-٢١.

(٢) التمهيد ص ٢٨١.

(٣) أسرار العربية ص ٢٠٩-٢١٠.

(٤) الأصول ٣/٤٠٢-٤٠٤.

(٥) التحديد ص ١٠٦.

(٦) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٢٦.

وهي تمثل المرحلة الأخيرة التي تسمح بحرية مرور الصوت. وبهذا ندرك ترتيب سيوييه الدقيق لحالات مرور الصوت بدءاً من الانحباس الكامل للصوت في الأصوات الشديدة إلى الحرية الكاملة للصوت في الحرف الهاوي وهو الألف.

ومن دقة سيوييه في هذا الموضوع أن قام بترتيب هذه الأصوات: الواو والياء، ثم الألف؛ لأنه وجد انضماماً للشفتين في الواو، وارتفاعاً لوسط اللسان في الياء فعد ذلك نوعاً من الاعتراض على الصوت، فأعطاهما لقب (الليننة)، ولقب الصوت الأخير الحر الطليق الذي لا يعترض فيه على الصوت ب: (الهاوي)، أعنى الألف، قال سيوييه: "ومنها (الليننة)، وهي الواو والياء؛ لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما... ومنها (الهاوي)، وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف. وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوضعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو".^(١)

استعمل للتعبير عن حرية مرور الصوت عدة مصطلحات، منها:
(الهُوِيُّ)، (اللين). ولقبت حروفه ب: (الليننة)، (الهاوية)، (الهاوي)، (حروف اللين).

١- المصطلح الأول لحرية مرور الصوت: (الهُوِيُّ)

من المشترك اللفظي. وأصل مادة (ه و ي) في اللغة تدل على خلو وسقوط، أصله: الهواء بين الأرض والسماء، سمي لخلوه، قالوا: وكل حال هواء. ويقال: هوى الشيء يهوي: سقط، والهاوية: كل مَهْوَاة، ويقولون: الهُوِيُّ: ذهاب في انحدار، والهُوِيُّ: في الارتفاع.^(٢)

استعمل مصطلح: (الهُوِيُّ) للتعبير عن اتساع المخرج في حروف المد، وفي غنتي الميم والنون.

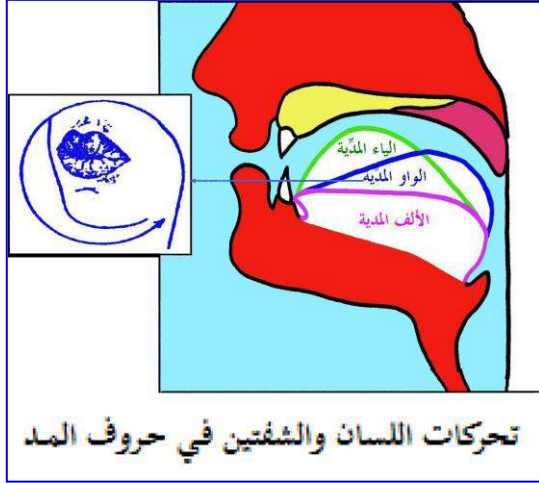
لقَّب الخليل حروف المد ب: (الهاوية)، كناية عن اتساع مخرجها وحرية مرور الصوت

(١) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٢) مقاييس اللغة ص ١٠١٧ (ه و ي).

فيها. (١)

ترجم سيبويه ما قاله أستاذه عن طبيعة هذه الحروف بشكل مفصل، فقال: "وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقف عندها لن تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها، فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع



الهمزة، وإذا تفتنت وجدت مس ذلك. وذلك قولك: ظلموا ورموا وعمى وحبلى. وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا: ظلموا ورموا، فكتبوا بعد الواو ألفاً. وزعم الخليل أن بعضهم يقول: رأيت رجلاً، فيهمز، وهذه حبالاً^(٢)، وتقديرهما: رجلع وحبلع، فهمز لقرب الألف من الهمزة، حيث علم أنه

سيصير إلى موضع الهمزة، فأراد أن يجعلها همزة واحدة، وكان أخف عليهم". (٣)

ومعنى كلام الخليل وسيبويه أن حروف المد تجرى في فراغ الحلق والفم دون اعتراض من أعضاء النطق إلى أن ينقطع صوتها بكف الأوتار الصوتية عن الاهتزاز، أي في منطقة بدء التصويت عند مخرج الهمزة، هذا مع ما في نص سيبويه من دقة في قوله (كضم غيرها)، فهو قد لاحظ استدارةً للشفنتين في الواو، وارتفاعاً لوسط اللسان في الياء غير أنها تحركات لا تعيق مرور الصوت.

ويمثل الشكل السابق تحركات اللسان والشفنتين في حروف المد، ونلاحظ من خلال الرسم أن الشيء الوحيد الذي لم يذكره المتقدمون عن هذه التحركات - وذكره الصوتيون المعاصرون - هو ارتفاع أقصى اللسان في الواو المدية.

(١) العين ٥٧/١. وقال في ٥٨/١: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء.
(٢) قال الخليل في العين ٤٥٦/٧: المدات الثلاث منوطات بالهمز، ولذلك قال بعض العرب في الوقوف: أفعليء، وافعللاء، وافعلوواء، فهمزوا الياء والألف والواو حين وقفوا. اهـ.
(٣) الكتاب ١٧٦/٤.

ومن وحى قولي الخليل وسيبويه عن اتساع مخارج حروف المد وانقطاع أصواتها في مخرج الهمزة ذكر المبرد أن الواو تهوي من الشفة للفم؛ لما فيها من اللين حتى تتصل بأختيها الألف والياء. (١)

وفي موضع آخر ذكر أن الواو من الشفة ثم تهوي إلى الفم؛ لما فيها من المد واللين حتى تنقطع عند مخرج الألف. (٢)

وتابعه: مكّي (٣)، والداني (٤)، والقرطبي. (٥)

وذكر الداني عن الألف أنها صوت يهوي إلى الصدر، ولا معتمد لها في الفم (٦)، وأن الياء تخرج من وسط اللسان ثم تهوي إلى الحلق (٧). وتابعه القرطبي. (٨)

وذكر القرطبي أيضاً أن الألف يفتح لها الفم، فخرج بالنفس مستطيلة، وتهوي في الفم إلى ما بين الهمزة والهاء في الحلق. (٩)

أما عن سبب استعمال لفظ: (الهوي) للميم والنون فالن جريان الغنة في الخيشوم يعادل جريان حروف المد في مخارجها، وقد نبه على هذه المشابهة كثير من العلماء، قال السيرافي عن النون: "وذلك أنها غنة في الخيشوم، تجرى فيه كما تجرى حروف المد واللين في مواضعها... وهي أقرب الحروف وأشبهها بحروف المد واللين". (١٠)

ومن هنا ذكر المبرد أن "الميم تهوي في الفم حتى تتصل بالخياشيم لما فيها من

(١) المقتضب ١/٣١٠.

(٢) المرجع السابق ٣/١٥٨. بغض النظر عن غموض الهوي من الشفة إلى الفم؛ لأن الأصوات تخرج بمواء الزفير، فكيف انعكس الأمر عنده؟!

(٣) الرعاية ص ١٣٨.

(٤) التحديد ص ١٦٧.

(٥) الموضح ص ٩٥.

(٦) الإدغام الكبير ص ٤٩.

(٧) التحديد ص ١٣١. وانظر: ص ١٦٧.

(٨) الموضح ص ٧٨.

(٩) المرجع السابق ص ٩٦.

(١٠) المطبوع من شرح كتاب سيبويه ١/٧٠ - ٧١ و ٢/٧٦، والانتصار لسيبويه على المبرد ص ٢٦٨، والخصائص ١/٣٦٤، وسر صناعة الإعراب ٢/٤٣٨.

الغنة"^(١)

وتابعه ابن جني.^(٢)

وذكر ابن جني أن النون تبدل ميماً؛ لاشتراكهما في الغنة والهوي.^(٣)

وتابعه القرطبي ذاكراً ذات العلة في إدغام النون في الميم.^(٤)

٢- المصطلح الثاني لحرية مرور الصوت: (الهاوية):

تقدم أن الخليل ذكر عن حروف المد بأنها هاوية في الهواء^(٥)، كناية عن حرية مرور

الصوت.

٣- المصطلح الثالث لحرية مرور الصوت: (الهاوي):

من المشترك اللفظي.

يطلق لفظ: (الهاوي) على أكثر من معنى، منها:

١- لقب للألف.

٢- لقب لحروف المد.

١- المعنى الأول ل: (الهاوي) = لقب لصوت الألف:

استحقَّ الألف لقب: (الهاوي) عند سيبويه، لأنه الحرف الوحيد الذي لا اعتراض فيه مطلقاً على الصوت من أي من أعضاء النطق، قال: "ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف"^(٦) وقد تقدم أن هذا الصوت يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل مرور الصوت في المخرج.

(١) المقتضب ١٥٨/٣.

(٢) سر صناعة الإعراب ٤١٤/١.

(٣) المرجع السابق ٤٢٢/١.

(٤) الموضح ص ١٤٤.

(٥) العين ٥٧/١. وقال في ٥٨/١: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء.

(٦) الكتاب ٤٣٥/٤ - ٤٣٦.

وارتضى كثير من العلماء اختيار سيبويه، منهم: المبرد^(١)، وابن السراج^(٢)، والرماني^(٣)، وابن جني^(٤)، ومكي^(٥)، والداني^(٦)، والقرطبي^(٧).

٢- المعنى الثاني ل: (الهاوي) = لقب لصوت حروف المد:

لقَّب أبو العلاء الهمذاني حروف المد ب: (الهاوي)، قال: "والهاوي: الألف، والياء والواو إذا سكنتا بعد حركتيهما، سميت بذلك لأنها تهوي في خرق الفم إلى ما بين الهمزة والهاء".^(٨)

وأغلب الظن أنه مأخوذ من تلقيب الخليل حروف المد ب: (الهاوية)، والله أعلم.

٤- المصطلح الرابع لحرية مرور الصوت: (اللين):

ضد الخشونة، ويقال: هو في لسان عيش، أي: نعمة، وفلان مَلِينَةٌ، أي: لين الجانب.^(٩)

(١) المقتضب ٢٩٢/١.

(٢) الأصول ٤٠٤/٣.

(٣) شرح كتاب سيبويه ١٩١/ب.

(٤) سر صناعة الإعراب ٦٢/١.

(٥) الرعاية ص ٩٤.

(٦) التحديد ص ١٠٨.

(٧) الموضح ص ٩٦.

(٨) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٨٢.

(٩) مقاييس اللغة ص ٩١٠ (ل ي ن).

استعمل لفظ: (اللين) في أكثر من معنى، منها:

١- وصف لسهولة بعض الحروف.

٢- وصف لطبيعة جريان الصوت السهلة في حروف المد الثلاثة، ولقبت حروفه، فيما يخص هذا الجانب، ب: (اللين)، و(حروف اللين).

٣- صفة خاصة بالواو والياء الساكنتين بعد فتح. وهذا من معاني تخصيص الدلالة للنقطة السابقة.

٤- وصف لضعف مقاومة سطوح الأجسام للضغط الحاصل عليها.

١- المعنى الأول ل: (اللين) = لين بعض الحروف:

استعمله الخليل في وصف ضعف بعض الحروف ولينها، فقد عقد مقارنة بين الطاء وال달 وذكر أن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها^(١). ولعله يقصد أن اهتزاز الأوتار الصوتية في مرحلة الحبس أبقى شيئاً من صوتها بخلاف الطاء التي ينقطع فيها الصوت انقطاعاً تاماً فوصفت بالصلابة تبعاً لذلك، والله أعلم.

ووصف الخليل الهاء باللين، فقال عن علة وجود الهاء في نحو: (دهداق): " وإنما استحسنا الهاء في هذا الضرب؛ للينها وهشاشتها، وإنما هي نفس لا اعتياص فيها"^(٢). وقال: "الهاء حرف هش لين، قد يجيء خلفاً من الألف التي تبني للقطع"^(٣).

٢- المعنى الثاني ل: (اللين)، (اللين)، (حروف اللين) = وصف لحروف المد واللين:

اللين في هذا المعنى وصف لطبيعة جريان الصوت السهلة التي يتمتع بها حروف ثلاثة هي: الألف والواو والياء في كل حالاتها.

لقب الخليل هذه الحروف الثلاثة ب: (الحروف اللينة)^(٤)، وهو من المشترك اللفظي، وتقدم.

(١) العين ٥٣/١.

(٢) العين ٥٤/١.

(٣) المرجع السابق ١٠٢/٤.

(٤) العين ٣٥٢/٣.

تابعه سيبويه، لكن بلفظ: (حروف المد واللين)^(١) وب: (حروف اللين)، قال: "وحروف اللين: هي حروف المد التي يمد بها الصوت، وتلك الحروف: الألف والواو والياء".^(٢)

ولم يفرق الخليل وسيبويه في اللفظ بين الواو والياء إذا كانتا حرفي مد في مثل: يقول وقيل، وبينهما إذا كانتا حرفي لين ك: خوف وبيت، مع أن هذا لا يعنى - أبداً - أن سيبويه غير مدرك لطبيعة تلك الحالتين، بل تدل نصوصه على معرفة تامة بهما، قال: "وإذا قلت وأنت تأمر: (احشَي يَأْسِرًا، واحشُوا وَأَقْدًا) أدْعَمْتَ؛ لأنهما ليسا بحرفي مد كالألف، وإنما هم بمنزلة قولك: أحمد داود، واذهب بنا. فهذا لا تصل فيه إلا إلى الإدغام؛ لأنك إنما ترفع لسانك من موضع هما فيه سواء، وليس بينهما حاجز".^(٣)

وقوله: "ولو كانت مع هذه الياء التي ما قبلها مفتوح، والواو التي ما قبلها مفتوح ما هو مثلهم سواء لأدغمتهما... لأن فيهما لنا وإن لم يبلغا الألف، ولكن فيهما شبه منها".^(٤) فهو يعدهما كالحروف الصحيحة في جواز الإدغام في مثليهما.

تابع أهل العربية سيبويه دون التفريق في اللفظ بين حروف المد وحرفي اللين، إلا أبا علي الفارسي فإنه في بعض المواضع فرق بين الواو والياء بتسميته الواو والياء المديتين ب: (حرف اللين المجانس له ما قبله)، وبغير المديتين ب: (حرف اللين غير المجانس له ما قبله).^(٥)

تابع سيبويه على لفظ (حروف المد واللين): الأخفش، وابن قتيبة^(٦)، والمبرد^(٧)، والزجاج^(٨)، وابن السراج^(١)، وابن دريد^(٢)، والزجاجي^(٣)، والسيرافي^(٤)، والرمانى^(٥)، وظاهر

(١) الكتاب ١٧/١ و ١٧٦/٤ واستعمله معكوساً بتقديم اللين على المد في ٤/٤٣٤.

(٢) المرجع السابق ٦٢٤/٣ و ١٨/١، و ٤٢١/٢، و ٦١٣/٣، و ١٨٩/٤.

(٣) الكتاب ٤/٤٤٢.

(٤) الكتاب ٤/٤٤٦.

(٥) الحجة ٣/١٩١.

(٦) أدب الكاتب ص ٢١٤.

(٧) المقتضب ١/١٧٦ و ١٩٩.

(٨) معاني القرآن وإعراجه ١/١١٨.

وطاهر بن غلبون^(٦) ، وابن جني^(٧) ، ومكي القيسي^(٨) ، والداني^(٩) ، وابن الطحان الموسيقي^(١٠) ، وابن رشيق القيرواني^(١١) ، والقرطبي^(١٢) ، وابن بليمة^(١٣) ، وأبو العز القلانسي^(١٤) ، وأبو العلاء الهمداني^(١٥) ، وأبو البركات الأنباري^(١٦) ، والسهيلي^(١٧) ، وغيرهم.

تابعه على لفظ (حروف اللين): الأخفش^(١٨) ، والمبرد^(١٩) ، والزجاج^(٢٠) ، وابن السراج^(٢١) ، والخاقاني^(٢٢) ، وابن دريد^(٢٣) ، وأبو سعيد السيرافي^(٢٤) ، وأبو علي الفارسي^(١) ،

-
- (١) الأصول ٣٩١/٢.
 - (٢) الجمهرة ١٠/١.
 - (٣) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٩.
 - (٤) المطبوع من شرح كتاب سيويه ٧٠/١ - ٧١.
 - (٥) شرح كتاب سيويه ل ١٩١/ب.
 - (٦) التذكرة ١٠٥/١.
 - (٧) سر صناعة الإعراب ١٧/١.
 - (٨) الكشف ٤٥/١.
 - (٩) جامع البيان ٥٩٥/٢ و ٦٣٩ والمقنع ص ٦٨ والتيسير ص ٣٠ والإدغام الكبير ص ٥١.
 - (١٠) حاوي الفنون ص ٤٨.
 - (١١) العمدة ٢٧٣/٢.
 - (١٢) الموضح ص ٨١ و ٩٦.
 - (١٣) تلخيص العبارات بلطف الإشارات في القراءات السبع، لأبي علي الحسن بن خلف بن عبدالله ابن بليمة، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م، ص ٣١.
 - (١٤) إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي (ت ٥٢١ هـ)، تحقيق : عمر حمدان الكبيسي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م، ص ١٨٣.
 - (١٥) التمهيد ص ٢٨١.
 - (١٦) أسرار العربية ٣٣ و ٢١٠.
 - (١٧) نتائج الفكر ص ٨٧.
 - (١٨) معاني القرآن ٣٤٠/١، والقوافي ص ١٢ و ٧٨ و ٩٧.
 - (١٩) المقتضب ٢٥٨/١ و ٢٧١ و ٢٩٤ و ٣٤٥.
 - (٢٠) معاني القرآن وإعراجه ٥٢/٢ و ٢٢٢/٣.
 - (٢١) الأصول ٣٧٩/٢ و ١١/٣ و ٣٢٦.
 - (٢٢) منظومة الخاقاني ص ٢٦.
 - (٢٣) الجمهرة ٨/١.
 - (٢٤) إدغام القراء ص ٤٣.

وابن جني^(٢) ، وطاهر بن غلبون.^(٣)

٣- المعنى الثالث لـ: (اللين، حرفا اللين، حرف اللين)= صفة خاصة بالواو والياء الساكنتين بعد فتح:

تقدم أن سيبويه جعل الواو والياء يمثلان المرحلة قبل الأخيرة من حرية مرور الصوت، للاعتراض الذي يمران به في المخرج، وأطلق عليهما لقب: (الليننة)، ولم يفرق سيبويه في اللفظ بين الواو والياء المديتين وغير المديتين إذا سُبِقتا بفتح، وجرى العلماء بعده في إيراد هذه الصفة في كتبهم، فمنهم من نقل كلام سيبويه وتلقيبه، كابن السراج^(٤) ، ومنهم من خصها بالواو والياء الساكنتين بعد فتح، كمكي بن أبي طالب القيسي، والداني، والقرطبي، وإسماعيل بن خلف^(٥) ، وسأذكر بعض نصوصهم لما تحتويه من قيمة علمية كبيرة:

قال مكي: "حرفا اللين وهما: الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة، وإنما سميتا بذلك؛ لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما. فنقصتا المد الذي في الألف، وبقي فيهما اللين لسكوهما فسميت بحرفي اللين".^(٦)

وقال الداني: "فإن كان الساكن الواقع قبل الحرف المدغم حرف مد ولين، أو حرف لين فقط، وهو أن يفتح ما قبل الياء والواو فلا خلاف في مد الصوت؛ لأنه يزداد في مد الصوت لأجله".^(٧)

ذكر عبد الوهاب القرطبي أن الواو والياء "تكونان تارة من حروف المد واللين بأن

(١) التكملة ص ٧ و ١٧٣ والحجة ١/٩٤ و ٤/٣١٣ و ٦/٩٩.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٢١ و ٢/٥٠١ والخصائص ١/٢٣٢.

(٣) التذكرة ١/١٠٦.

(٤) الأصول ٣/٤٠٣.

(٥) العنوان في القراءات السبع، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (ت ٤٥٥هـ)، تحقيق: د.

زهير زاهد وزميله، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م، ص ٤٢.

(٦) جامع البيان ٢/٤١١ و ٤٨٣، والإدغام الكبير ص ٥١.

(٧) جامع البيان ٢/٤١١.

تسكنا ويكون ما قبلهما منهما، وتارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الوضع بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما. ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المد وبقي اللين وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة سائر الحروف الجامدة".^(١) وانظر إلى دقة قوله: (يتحيز مخرجهما).

وقال أبو العلاء الهمداني: "فإن لم يكن قبل الياء والواو حركتاها خرجتا عن مضارعة الألف، ودخلتا في شبه الحروف الصحاح في خلو المد".^(٢) تأمل قوله الأخير (ودخلتا في شبه الحروف الصحاح)، وقارنه بتسميات المعاصرين في آخر هذه النقطة.

بقي فريق ثالث جمع بين الحالتين - مديتين وساكتين بعد فتح - مثله ابن الطحان الأندلسي، قال: "والمد واللين، امتداد لصوت ولينه: صفتان مرتبطتان، واتساع الصوت في الألف أكثر، كما أنه في الياء بعد الكسر وفي الواو بعد الضم أظهر، وهو فيهما بعد الفتح أحط وأندر".^(٣)

وفي نص دقيق آخر قال: "اللين: عبارة عن ما يجرى من الصوت في حرف المد ممزوجاً بالمد طبيعة وارتباطاً، لا ينفصل أحدهما في ذلك عن الآخر، وهو أجرى في الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما، كما أن المد أجرى فيهما إذا انكسر ما قبل الياء، وانضم ما قبل الواو".^(٤)

والخلاصة أن معاملة الواو والياء (مديتين وساكتين بعد فتح) بدأت دون تفريق في اللفظ، ثم إلى تفريق بينهما ثم إلى جمع بينهما.

وغالب كلام المعاصرين عن هذين الصوتين لا يخرج عما تقدم، واختلف المعاصرون في تسميتهما، فمن هذه التسميات: (أنصاف الحركات)، (أنصاف السواكن)، و(أنصاف الصوامت)، و(الانزلاقيات).^(٥)

(١) الموضح ص ١٢١ و ص ١٤٢.

(٢) التمهيد ص ٢٨٦.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ١٣٢. وفي المطبوع أسقط جملة (بعد الفتح) من النص، فأثبتها من المخطوط، ولا يستقيم النص بدونها.

(٤) مرشد القارئ ل ٦/ب.

(٥) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص ٢١٠ - ٢١١.

٤ - المعنى الرابع ل: (اللين) = وصف لضعف مقاومة سطوح الأجسام لضغط الواقع عليها:

تقدم الحديث عنه في مواضع متعددة من البحث. ^(١)

الصفات المتعلقة باتجاه الصوت وانحصاره وما يتبع ذلك من أثر تفخيمي:

أولاً: الصفتان المتعلقتان باتجاه الصوت: الاستعلاء والاستفال:

١ - الجهة الأولى للاستعلاء والاستفال: وصف الظاهرين:

الاستعلاء والتسفل لفظان وضعهما سيبويه ليدل بأولهما على حروف يستعلي صوتها ويتفخم، وتملك من القوة والتأثير بحيث تستطيع أن تمنع إمالة الألف إلى الياء، كما أنها قادرة على إبدال حروف أخرى لتتفق معها في التفخيم، وذلك حروف الاستعلاء. ودل بلفظ: (التسفل) على باقي الحروف التي لا تملك مثل تلك القدرة، وذلك حروف الاستفال.

ولم يورد سيبويه هاتين الصفتين ضمن الصفات، بل تحدث عنهما في الحروف التي تمنع الإمالة، وإن كانت ألفاظهما قد وردت في عدة مواضع من كتابه غير ذلك الموضع، ومنها باب الإدغام.

وأثبت العلماء هاتين الظاهرتين في كتبهم على أنهما من صفات الحروف، فأول من فعل ذلك ابن جني، وتابعه العلماء بعد ذلك.

٢ - الجهة الثانية للاستعلاء والاستفال: ألفاظ الظاهرتين:

أولاً: ظاهرة الاستعلاء:

(١) انظر المصطلحات التالية: (الجرم والأجرام)، (الأجزاء اللينة من الشفة)، (الجرمان اللينان)، (الرطوبة)، (انعكاس الصوت وتضاعفه).

استُعملت لها ألفاظ عدة، منها:

١- الاستعلاء. ٢- التصعُّد، الإصعاد، تصعُّد الألسنة.

٣- الارتفاع. ٤- الشخوص. ٥- السمو.

لُقِّبت حروف الاستعلاء بألقاب عدة، منها:

١- الحروف المستعلية. ٢- حروف الاستعلاء.

٣- الحروف التي تمتنع فيها الإمالة. ٤- الحروف التي تمتنع الإمالة.

٥- الحروف المتأناة. ٦- الحروف الموانع.

١- المصطلح الأول للاستعلاء: (الاستعلاء):

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على السمو والارتفاع.^(١)

استُعمل: (الاستعلاء) في أكثر من معنى، منها:

١- اتجاه الصوت إلى الحنك الأعلى الذي لا يستلزم التفخيم، وهو خاص بالألف وحدها.

٢- اتجاه الصوت إلى الحنك الأعلى المستلزم للتفخيم، ويشمل حروف: خص ضغط قظ.

١- المعنى الأول ل: (الاستعلاء) = تصعُّد الصوت إلى الحنك الأعلى الذي لا يستلزم التفخيم:

تقدم أن الخليل ذكر أن "الكلمة المنصوبة يُرْفَع صوتها إلى الغار الأعلى".^(٢)

ومن وحي كلام الخليل ذكر سيبويه أن "الألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى

(١) مقاييس اللغة ص ٦٦٤ (ع ل و).

(٢) العين ١٣٦/٧.

الحنك الأعلى".^(١)

استعمل ذلك في الإمالة.

وهذه علاقة أخرى مهمة بين كلام الخليل في العين وكلام سيوييه في الكتاب.

تابع سيوييه: أبو علي الفارسي^(٢)، وابن الطحان الموسيقي، قال: "فالألف حرف

مستعل، والياء حرف منخفض، والواو حرف متوسط".^(٣)

ولقب ابن خالويه الألف ب: (الحرف المستعلي).^(٤)

وعرف الحريري الألف بأنه: "حرف منتصب يمتد إلى أعلى الحنك".^(٥) فهو نوع

من الاستعلاء.

وهذه كلها أوصاف تدل على أن الألف صوت طبيعي ممتد لا يعترض عليه أمر يغيره

عن مساره، فهو في طبيعته الأصلية- في نطق العرب- لا يتجه إلى الياء ولا إلى الواو.

٢- المعنى الثاني ل: (الاستعلاء) = اتجاه الصوت إلى الأعلى المستلزم للتفخيم

(عكس الاستفال):

عرف سيوييه الاستعلاء بأنه: "وضع اللسان في موضع استعلاء".^(٦)

استعمل سيوييه هذا اللفظ في حديثه عن الحروف التي تمنع الإمالة، وبَيَّن أن العلة في

هذا المنع هي أن هذه الحروف يستعلي صوتها إلى الحنك الأعلى فهي تطلب علو الصوت،

والألف كذلك- كما مر في المعنى الأول- تستعلي إلى الحنك الأعلى، فاتفقا في جهة

الصوت فغلبا تأثير الكسرة على الألف، وتحقق في ذلك الانسجام النطقي بين حروف

(١) الكتاب ٤/١٢٨.

(٢) التكملة ص ٢٢٥.

(٣) حاوي الفنون ص ٤٨.

(٤) الحجة ص ٧١.

(٥) شرح ملحمة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد قاسم، مكتبة دار

التراث للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٢هـ=١٩٩١م، ص ٨٢.

(٦) الكتاب ٤/١٣٦.

الاستعلاء والألف، كما يتحقق في الحرفين المتقاربين إذا أدغما، قال: "فالحروف التي تمنعها^(١) الإمالة هذه السبعة: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء؛ إذا كان حرف منها قبل الألف، والألف تليه. وذلك قولك: (قاعد، وغائب، وخامد، وصاعد، وطائف، وضامن، وظالم).

وإنما منعت هذه الحروف الإمالة؛ لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها [يعني: في الفتح ضد الإمالة]، كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها [يعني: في الإمالة ضد الفتح].

فلما كنت الحروف مستعلية، وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخفّ عليهم، كما أن الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم فيدغمونه".^(٢)

٢- المصطلح الثاني للاستعلاء: (التصعّد، الإصعاد، تصعّد الألسنة، التصعد إلى الحنك الأعلى):

كل هذه الألفاظ السابقة يدل أصلها اللغوي على ارتفاع ومشقة. من ذلك الصعود بخلاف الحدور، يقال: صعد يصعد، والإصعاد: مقابلة الحدور من مكان أرفع. ويقال: تصعدني الأمر، إذا شق عليك.^(٣) تتناسب هذه الألفاظ مع معنى الاستعلاء.

استعمل سيبويه ألفاظ التصعد للتعبير عن الاستعلاء، منها: (التصعد)^(٤)، و(تصعد الألسنة)^(٥)، (الإصعاد)^(٦)، و (التصعد إلى الحنك الأعلى)^(٧).

(١) الضمير عائد على الألفات؛ إذ عنوان الباب: (هذا باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات التي أملتها فيما مضى).

(٢) الكتاب ٤/١٢٨ - ١٢٩.

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٤٣ - ٥٤٤ (ص ع د).

(٤) الكتاب ٤/٤٨٠ و ٤٨١.

(٥) المرجع السابق ٤/١٣٠.

(٦) المرجع السابق ٤/١٣٠.

(٧) المرجع السابق ٤/٤٧٩.

تابعه على ألفاظ التصعد: المبرد^(١)، وابن مجاهد^(٢)، وأبو علي الفارسي^(٣)، وابن جني^(٤) والسعيدي^(٥)، والداني^(٦)، وأبو البركات الأنباري^(٧).

أما من حيث التعريف فقد كان كلام سيبويه الذي تقدم في الاستعلاء وألفاظ التصعد التي استعملها هنا لمصدر الملهم لتعريفات أكثر العلماء، ونظراً لأن حروف الإطباق الأربعة، الصاد والضاد والطاء والظاء، هي جزء من حروف الاستعلاء فقد جاءت بعض تعريفات العلماء متضمنة لهذا التفصيل، وكان ابن جني أول من قسّم ذلك، وإليك بعض هذه التعريفات:

- حروف الاستعلاء تصعد وتستعلي إلى الحنك الأعلى: أبو علي الفارسي^(٨).
- "الاستعلاء: أن تتصعد [أي: حروفه] في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق... وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها": ابن جني^(٩).
- (وإنما سميت بالاستعلاء؛ لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك، فينطبق الصوت مستعلياً بالريح - مع طائفة من اللسان مع الحنك - مع حروف الإطباق...، ولا ينطبق مع الخاء والغين والقاف إنما يستعلي الصوت غير منطبق بالحنك): مكّي القيسي^(١٠).
- (الاستعلاء: أن يتصعد الصوت بالحروف في الحنك الأعلى، ولذلك منعت الإمالة، وهي على ضربين: ضرب يعلو فيه اللسان وينطبق، وذلك حروف الإطباق، وضرب

(١) المقتضب ٤٦/٣ - ٤٧.

(٢) السبعة ص ١٠٧.

(٣) الحجة ٥٢/١ و ٤٠٣ و ١٣٤/٣.

(٤) الخصائص ١٦٢/٢.

(٥) اختلاف القراء في اللام والنون ص ٦٣.

(٦) الموضح لمذاهب القراء ل ٨/ب.

(٧) أسرار العربية ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٨) التكملة ص ٢٢٥.

(٩) سر صناعة الإعراب ٦٢/١.

(١٠) الرعاية ص ١٢٣.

يعلو فيه اللسان ولا ينطبق وهو الغين والقاف والخاء): القرطبي. (١)

– (الاستعلاء: علوُّ الصوت عند النطق به إلى الحنك، فينطبق الصوت [أي: ينحصر] مع حروف الإطباق، ويستعلي في الغين والخاء والقاف غير منطبق): ابن الطحان الأندلسي. (٢)

واضح أن أكثر هذه التعريفات تلخص آلية الاستعلاء والأطباق معاً، ففي الغين والخاء والقاف يستعلي الصوت دون انحصار إلا في مخرج الحرف، ويستعلي مع انحصار في حروف الإطباق في المخرج وعلى طول جسم اللسان، وسيأتي بيان ماهية هذا الانحصار عند الحديث عن الإطباق.

والخلاصة أن كل هذه المواضع التي ذكرت تُعبّر عن شيء واحد هو اتجاه الصوت إلى الأعلى، والقيمة التأثيرية التفخيمية التي تمتلكها هذه الحروف، وهو ما يشهد لنطق القراء الحالي في تفخيم جميع حروف الاستعلاء.

٣- المصطلح الثالث للاستعلاء: (الارتفاع):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٤- المصطلح الرابع للاستعلاء: (الشُّخوص):

يدل أصله اللغوي على ارتفاع في شيء. (٣)

استعمل ابن دريد تعبير: (الشُّخوص إلى الغار الأعلى)، قال عن تسفل السين واستعلاء القاف والطاء: "لأن السين من وسط الفم مطمئنة على ظهر اللسان، والقاف والطاء شاخصتان إلى الغار الأعلى". (٤)

٥- المصطلح الخامس للاستعلاء: (السُّمُّو):

(١) الموضح ص ٩١.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ١٣٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٣١ (ش خ ص).

(٤) الجمهرة ١/١٢.

يدل أصله اللغوي على العلو. يقال: سموت، إذا علوت، وسما بصره: علا، وسما لي شخص: ارتفع حتى استتبته، وكل عال مثل سماء.^(١)

وصف ابن جني الطاء بـ: (السامية)، في حديثه عن بناء اللفظ على المعاني، قال: "ومن ذلك تركيب (ق ط ر) و (ق د ر) و (ق ت ر) فالتاء خافية مستفلة، والطاء سامية متصعدة، فاستعملنا- لتعاديهما- في الطرفين؛ كقولهم: قُتِرُ الشيء وقُطِرُهُ. والبدال بينهما...".^(٢)

حروف الاستعلاء وألقابها:

عدّدها سيبويه في النص الذي قدمته عند قوله: (فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والحاء). وتابعه على هذا التعداد أكثر أهل العربية والتجويد.

وفصل الزجاج بين حروف الاستعلاء والإطباق، فذكر أن حروف الاستعلاء هي: الغين والحاء والقاف.^(٣)

وتابعه: الأزهري.^(٤)

وألحق بعض القراء العين والحاء فيها فقال أحمد بن أبي عمر الأندرابي: "وبعضهم ألحق العين والحاء المهملتين بالحروف المستعلية".^(٥)

ويبدو أن هذا الإلحاق هو من قبيل أخذ حكم حروف الاستعلاء في منع الإمالة لا في الطبيعة الصوتية، وهو مذهب مرتبط بأحد أوجه مذهب الكسائي في الوقف بالإمالة على ما قبل هاء التأنيث إذا لم تُسبق بأحد حروف الاستعلاء أو العين أو الحاء أو الألف.

(١) مقاييس اللغة ص ٤٦٩ (س م و).

(٢) الخصائص ١٦٢/٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٢٣/١ - ١٢٤، و ١٦٧/٥.

(٤) معاني القراءات ١٤٠/١.

(٥) نقل هذا النص غانم الحمد في الدراسات الصوتية ص ٢٩١ - ٢٩٢. وهو الذي نبهني إلى ارتباط هذه الحروف بمذهب الكسائي في الإمالة.

أما الألف فقد تقدمت علتها من حيث إنها تستعلي هي وحروف الاستعلاء إلى الحنك الأعلى فأخذت حكمها في منع الإمالة، وأما الحاء والعين فلما كانا حلقيين من حيز الألف أخذنا حكمها بالمجاورة، ذكر ذلك الداني.^(١)

وأخذ الحرف حُكْمُ مُجَاوِرِهِ قاعدة صوتية، استعملها سيبويه في تعليل إخفاء النون الساكنة عند الفاء؛ أخذت حكم الثاء بالمجاورة.^(٢) واستعملها الداني في توجيه سبب إمالة الحرف الذي ما قبل هاء التأنيث ك: (ضربة وأخذة)؛ لأن الهاء جاورت الألف في المخرج، فأخذت حكمها في الإمالة^(٣)، واستعملها في منع إمالة الكاف- في مذهب من منع- لمجاورة القاف المستعلية^(٤) ن وفي الحاء والعين لمجاورتها الألف كما مر. واستعملها أيضاً في جواز إدغام الجيم في التاء- مع بُعد المخرجين- في أخذها حكم الشين في الإدغام، من حيث إنهما من مخرج واحد.^(٥)

لُقّب سيبويه الحروف السبعة ب: (المستعلية).^(٦)

وتابعه: المبرد^(٧)، وابن السراج^(٨)، والفارسي^(٩)، والرماني^(١٠)، وابن جني^(١١)، والداني^(١٢)، وأبو العلاء الهمداني^(١٣)، وأبو البركات الأنباري.^(١٤)

(١) الموضح ل ٤٤/أ- ب.

(٢) الكتاب ٤/٤٤٨.

(٣) الموضح ل ٤٥/أ- ب.

(٤) المرجع السابق ٤٥/ب.

(٥) الإدغام الكبير ص ٥٨.

(٦) الكتاب ٤/١٣٠-١٣١.

(٧) المقتضب ١/٣٦٠.

(٨) الأصول ٣/١٦٤، و ١٦٧.

(٩) الحجة ١/١٥، و ٣٦٨، و ٣٤٧/٢، والتكملة ص ٢٢٥.

(١٠) شرح كتاب سيبويه ١٩١/ب.

(١١) سر صناعة الإعراب ٤/١.

(١٢) التحديد ص ١٠٥.

(١٣) التمهيد ص ٢٦٨.

(١٤) أسرار العربية ص ٢٠٩.

ولقَّب المبرد هذه الحروف بـ: (حروف الاستعلاء).^(١)

وتابعه: ابن خالويه^(٢)، وطاهر بن غلبون^(٣)، وأبو الفضل الخزاعي^(٤)، وابن سفيان القيرواني^(٥)، والخفاجي^(٦)، وأبو معشر الطبري^(٧)، وابن بليمة^(٨)، وأبو البركات الأنباري^(٩).

وتقدم أن سيبويه بدأ الباب بـ: (الحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة)، فلُقِّب

المبرد هذه الحروف بـ: (الحروف التي تمنع الإمالة).^(١٠)

وتابعه: الزجاجي^(١١) وزاد ابن جني: (الحروف المستعلية التي تمنع الإمالة).^(١٢)

ولقَّبها أبو جعفر النحاس بـ: (الحروف الموانع)^(١٣)، وتابعه: ابن خالويه^(١٤)،

وابن مهران.^(١٥)

ولقَّبها ابن زنجلة بـ: (الحروف المناعة).^(١٦)

ثانياً: ظاهرة الاستفال:

-
- (١) المقتضب ٤٦/٣.
 - (٢) إعراب ثلاثين سورة ص ١٥٩.
 - (٣) التذكرة ٢٣٦/١.
 - (٤) المنتهى ص ٢٢١.
 - (٥) الهادي ١٣٨/١، و١٨٧ و ١٦٩.
 - (٦) سر الفصاحة ص ٢٣.
 - (٧) التلخيص ص ١٩٧.
 - (٨) تلخيص العبارات ص ٥٠.
 - (٩) أسرار العربية ص ٢٠٢.
 - (١٠) المقتضب ٤٦/٣.
 - (١١) شرح جمل الزجاجي ص ٤٣٥.
 - (١٢) سر صناعة الإعراب ٢٠٩/١.
 - (١٣) إعراب القرآن ٢١٨/١.
 - (١٤) الحجة ص ٣٧٠.
 - (١٥) الغاية في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمد غياث الجنباز، دار الشواف للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م، ص ١٦١.
 - (١٦) الحجة ص ٤٤٩، و ٥١٦.

استعملت لها ألفاظ عدة، منها:

١- التسفُل، الاستفال، الانسفال.

٢- الانحدار.

٣- تصويب الألسنة.

٤- الانخفاض.

١- المصطلح الأول للاستفال: (التسفُل، الاستفال، الانسفال):

يدل أصلها اللغوي على خلاف العُلُوِّ. فالسُفُل سِفْل الدار وغيرها، والسُفُول: ضد العُلُوِّ.

استعمل سيويوه لفظ: (التسفل) في حديثه عن مجاورة الحر المستعلي للمستفل، وإمكانية تأثيره عليه إن كان قبله أو بعده ليدل بهذا اللفظ على أن صوت الحرف المستفل يكون متجهاً إلى الترقيق، ضد الحرف المستعلي المتجه إلى التفخيم، وليخُصَّ إلى قانون خطير من قوانين تحقيق الانسجام الصوتي، سيأتي ذكره في قوانين المستعلي والمستفل.^(١) تابعه على لفظ: (التسفل): أبو علي الفارسي^(٢)، وابن جني^(٣)، والسعيدى^(٤)، وأبو البركات الأنباري.^(٥)

واستعمل ابن جني لفظ: (السفال) في وصف السين، قال: "وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سَفَالِهَا إلى تعاليهن".^(٦)

واستعمل مكى لفظ: (الاستفال) لهذه الحروف، قال عنها: "بل يستفل اللسان بها

(١) الكتاب ١٣٠/٤.

(٢) الحجة ٥١/١ - ٥٢ و ٣٤٧/٢.

(٣) الخصائص ١٦٢/٢.

(٤) اختلاف القراء في اللام والنون ص ٦٣.

(٥) أسرار العربية ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٦) المحتسب ١٦٨/٢.

إلى قاع الفم - عند النطق بها - على هيئة مخارجها".^(١)

تأمل دقة قوله: (على هيئة مخارجها): يعنى على حسب شكل كل مخرج من الحروف المستقلة يكون شكل استفال اللسان، وبالتالي استفال الصوت.

واستعمل ابن الطحان لفظ: (الانسفال).^(٢)

ولقّبها الرماني حروف الاستفال ب: (المستقلة).^(٣)

وتابعه: مكّي^(٤)، والداني.^(٥)

ولم يعدّ سيوييه الحروف المستقلة، وعدّها مكّي اثنين وعشرين حرفاً.^(٦) ومعنى هذا أنه أدخل الألف من جملتها.

٢ - المصطلح الثاني للاستفال: (الانحدار):

من المشترك اللفظي، من أصله اللغوي أن يدل على الهبوط، حدرت الشيء: إذا أنزلته، والحدور: فعل الحادر، والحدور، بفتح الحاء: المكان تنحدر منه.^(٧)

استعمل: (الانحدار) في أكثر من معنى، منها:

١ - الاستفال.

٢ - ميل مخرج الحرف إلى مخرج قريب منه.

١ - المعنى الأول ل: (الانحدار) = الاستفال:

استعمل سيوييه: (الانحدار) في مقابل الإصعاد والتصعد في أكثر من مكان.^(٨) وسيأتي

(١) الرعاية ص ١٢٤.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٢١.

(٣) شرح كتاب سيوييه ل ١٩١/ب.

(٤) الرعاية ص ١٢٣.

(٥) التحديد ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٦) الرعاية ص ١٢٣.

(٧) مقاييس اللغة ص ٢٣٣ (ح د ر).

(٨) الكتاب ٤/١٣٠ و ١٣٦.

ذكره مع ألفاظ الاستعلاء والاستفال في قوانينهما.

تابع سيويه على (الانحدار): المبرد^(١)، وابن السراج^(٢)، وأبو علي الفارسي^(٣)، والداني^(٤)، وأبو البركات الأنباري^(٥).

٢- المعنى الثاني لـ: (الانحدار) = ميل مخرج الحرف إلى مخرج قريب منه فأخذ حكمه.

استعمله سيويه عند حديثه عن علة منع إدغام الفاء في الباء؛ لكون الفاء من باطن الشفة- والشفة في أصلها اللغوي تدل على الإشراف على الشيء- فكأن خروجها من باطن الشفة دون ظاهرها هو انحدار، فلذلك عبر عن ذلك بقوله: (وانحدرت إلى الفم)، فقاربت الثاء في المخرج، فأخذت حكم الثاء بالمجاورة في أنها لا تدغم في الباء.^(٦) وتابعه الهمداني.^(٧)

وأخذ الشيء حكم مجاوره من القواعد الصوتية التي تقدمت.

٣- المصطلح الثالث للاستفال: (تصويب الألسنة):

يدل أصلها اللغوي على نزول شيء واستقراره قراره. من ذلك الصواب في القول والفعل، كأنه أمر نازل مستقر قراره، وهو خلاف الخطأ، ومنه الصوب، وهو نزول المطر. والتصوب: حذب في حدور، والتصوب: الانحدار. والتصويب: خلاف التصعيد. وصوب رأسه: خفضه. وصوب الله رأسه، أي: نكسه.^(٨)

استعمل سيويه لفظ: (تصويب الألسنة) في حديثه عن مجاورة الحرف المستعلي

(١) المقتضب ١/٣٦٠، و٣/٤٦-٤٧.

(٢) الأصول ٣/١٦٧.

(٣) الحجة ١/٥٢ و ٤٠٣ و ٣/١٣٤، والتكملة ص ٢٢٥.

(٤) الموضح ل ٢٥/أ.

(٥) أسرار العربية ص ٢٠٣.

(٦) الكتاب ٤/٤٤٨.

(٧) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٩٩.

(٨) مقاييس اللغة ص ٥٥٦ (ص و ب) ولسان العرب ١/٥٣٤.

للمستفل، وإمكانية تأثيره عليه إن كان قبله أو بعده ليدل بهذا اللفظ على أن صوت الحرف المستفل يكون متجهاً إلى الترقيق، ضد الحرف المستعلي المتجه إلى التفخيم، وليخلص إلى قانون خطير من قوانين تحقيق الانسجام الصوتي، وسيأتي ذكره مع الألفاظ الأخرى في قوانين المستعلي والمستفل.^(١)

تابعه: أبو علي الفارسي.^(٢)

٤ - المصطلح الرابع للاستفال: (الانخفاض):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على ضد الرفع. خفضه يخفضه خفضاً فانخفض واختفض.^(٣)

استعمل: (الانخفاض) في أكثر من معنى، منها:

١- الكسر.

٢- الاستفال.

١ - المعنى الأول ل: (الانخفاض) = الكسر:

استعمله داود بن أبي طيبة، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن، وأبو يعقوب يوسف بن موسى.^(٤)

وهو راجع إلى مصطلح: (الخفض) القديم استعماله بمعنى الكسر.

٢ - المعنى الثاني ل: (الانخفاض) = الاستفال:

لقب ابن مجاهد الحرف المستفل بـ: (المنخفض)، قال عن توجيه كلمة (المصيطرون): "والسين الأصل، والكتاب بالصاد، وإنما كتبت بالصاد ليقربوها من الطاء؛ لأن الطاء لها تصعد في الحنك، وهي مطبقة، والسين مهموسة، وهي من حروف الصفير.

(١) الكتاب ٤/١٣٠.

(٢) الحجة ٣/١٣٤ والتكملة ص ٢٢٥.

(٣) لسان العرب ٧/١٤٥.

(٤) ثلاثهم في المطبوع من جامع البيان للداني ٢/٤٩٦.

فتقل عليهم أن يعمل اللسان منخفصاً ومستعلياً في كلمة واحدة، فقلبوا السين إلى الصاد؛ لأنها مؤاخية للطاء في الإطباق ومناسبة للسين في الصفير، ليعمل اللسان فيهما، متصعداً في الحنك عملاً واحداً^(١).

وهذا الكلام النفيس من ابن مجاهد أصله وألفاظه من كلام سيوييه في تجاور المستعلي والمستقل مما سيأتي بيانه في القوانين. لكن المملفت فيه أن ابن مجاهد شيخه ثعلب، والمدرسة الكوفية لا تعرف مثل هذه الألفاظ، مما يدل على مذهب ابن مجاهد الحر في الجمع بين المذهبين.

تابعه ابن جني على لفظ: (الانخفاض)، قال: "وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض"^(٢)، وعبد الوهاب القرطبي^(٣)، وأبو العلاء الهمداني^(٤)، وأبو البركات الأنباري^(٥).

ولقب الخفاجي حروف الاستفال ب: (حروف الانخفاض).^(٦)

ولم تخرج تعريفات العلماء للاستفال عن نفي الألفاظ التي جاءت في الاستعلاء، وإليك بعض هذه التعريفات:

- "وإنما سميت مستقلة؛ لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك... بل يستقل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها"^(٧)، والشيء المميز في هذا التعريف هو الفقرة الأخيرة منه كما تقدم.

- "سميت مستقلة؛ لأن اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك"^(٨).

(١) السبعة ص ١٠٧.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٦٢.

(٣) الموضح ص ٩٠.

(٤) التمهيد ص ٢٨١.

(٥) أسرار العربية ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٦) سر الفصاحة ص ٢١.

(٧) الرعاية ص ١٢٤.

(٨) التحديد ص ١٠٧.

- "الانخفاض: أن لا يتصعد الصوت بالحروف": القرطبي. (١)

- "الانسفال: انخفاض اللسان والصوت إلى قاع الفم": ابن الطحان الأندلسي. (٢)

الجهة الثانية للاستعلاء والانسفال: قانون الاستعلاء والانسفال:

قانون المستعلي والمستفل عند التجاور: (سهولة الانتقال من المستعلي إلى المستفل وصعوبة العكس).

ذكره سيويه في حديثه عن مجاورة الحرف المستعلي للمستفل، وإمكانية تأثيره عليه إن كان قبله أو بعده، ويتلخص حديثه في قانون خطير من قوانين تحقيق الانسجام الصوتي، وإليك الحالتين من كلام سيويه:

١- سهولة الانتقال من المستعلي إلى المستفل:

هذا القانون جعل سيويه يميز الإمالة- مع وجود حرف الاستعلاء- إن جاء حرف الاستعلاء مكسوراً أولاً ثم تبعه حرف مستفل مع ألف ثم جاءت الكسرة ثالثاً، كما في: ضفاف، وصعب؛ لأنه انتقال طبيعي من حرف الاستعلاء ثم إلى كسرتة ثم إلى الإمالة، فكان مجمله حال انحدار ونزول. ودلل على ذلك بأنهم لا يبدلون السين صاداً في: قَسَوْتُ وقِسْتُ؛ لأن الانتقال الطبيعي من المستعلي (القاف) إلى المستفل (السين) في قسوت، ومن استعلاء القاف ثم إلى الكسرة ثم إلى السين في: قست.

قال سيويه: "فإذا كان حرف من هذه الحروف قبل الألف بحرف وكان مكسوراً فإنه لا يمنع الألف من الإمالة، وليس بمنزلة ما يكون بعد الألف؛ لأنهم يضعون ألسنتهم في موضع المستعلية، ثم يُصَوَّبُونَ ألسنتهم، فالانحدار أخف عليهم من الإصعاد... وقالوا: قسوت، وقست، فلم يحولوا السين؛ لأنهم انحدروا فكان الانحدار أخف عليهم من الاستعلاء من أن يُصَعَّدُوا من حال التسفل.

وذلك قولهم: الضعاف، والصعب، والطناب، والصفاف، والقباب، والقفاف،

(١) الموضح ص ٩١.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٢.

والخبث، والغلاب، وهو في معنى المغالبة من قولك: غَالَبْتُهُ غِلَابًا، وكذلك الظاء".^(١)
وهذه الحالة تابعه عليها: المبرد.^(٢)

٢- صعوبة الانتقال من المستفل إلى المستعلي:

هذا هو الشق الثاني من القانون السابق الذي جعل سيبويه لا يجيز الإمالة إن جاء حرف الاستعلاء أولاً مفتوحاً مع ألف ثم تبعته كسرة، لأن حرف الاستعلاء يَطْلُبُ العُلُوَّ، وكذلك الفتحة، فغلبا تأثير الكسرة التي تطلب الاستفال، كما تقدم سابقاً. ودل على ذلك بأن السين أبدلت صاداً، إذا جاورت القاف، في نحو: صَبَبْتُ التي أصلها سَبَبْتُ، حتى يتحقق الانتقال السهل من الصاد إلى القاف فيكون عملاً واحداً، فلو بقيت السين على حالها لثقل الانتقال من الحرف المستفل (السين) إلى المستعلي (القاف).

قال سيبويه: "ألا ترى أنهم قالوا: صبقت، وصقت، وصويق. لما كان يثقل عليهم أن يكونوا في حال تَسْفُلٍ ثم يُصَعَّدُونَ ألسنتهم، أرادوا أن يكونوا في حال استعلاء، وألا يعملوا في الإصعاد بعد التسفل، فأرادوا أن تقع ألسنتهم موقعاً واحداً...".

ولا يكون ذلك (أي: جواز الإمالة) في قائم، وقوائم؛ لأنه جاء الحرف المستعلي مفتوحاً. فلما كنت الفتحة تمنع الألف الإمالة في: (عذاب وتابل) كان الحروف المستعلي مع الفتحة أغلب؛ إذ كانت الفتحة تمنع الإمالة، فلما اجتمعا قُوياً على الكسرة".^(٣)

تابع سيبويه: ابن مجاهد^(٤)، والفراسي^(٥)، والسعيد^(٦) والدايني^(٧).

(١) الكتاب ١٣٠/٤.

(٢) المقتضب ٣٦٠/١.

(٣) الكتاب ١٣٠/٤.

(٤) عبّر ابن مجاهد عن علة ترقيق لام لفظ الجلالة إن سبقت بكسر بـ: "استثقال الخروج من الكسر إلى التخليط، في نحو اللام إن سبقت بكسرة". نقل عنه ذلك الدايني في جامع البيان ٩٠٥/٣، ويعني بالكسر: الترقيق، وبالتخليط: التفخيم. وأعاد الدايني هذا الخبر في كتابه الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل ٥١/أ.

(٥) الحجة ٤٠٣/١. وعبارته: (الإصعاد بعد الانحدار يثقل ويخف العكس).

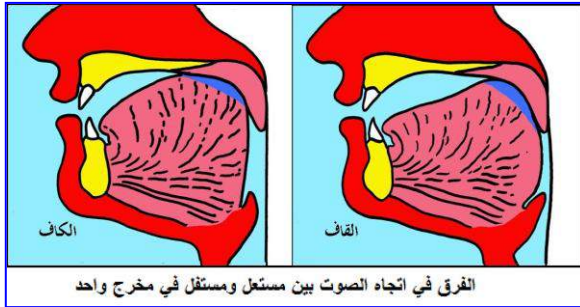
(٦) اختلاف القراء في اللام والنون ص ٦٣. وعبارته: (كراهة الانتقال من تسفل إلى تصاعد).

(٧) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل ٢٥/أ و ٤٦/أ. وعبارته: (التصعد بعد الهبوط ثقيل ويخف العكس).

٣- الجهة الثالثة للاستعلاء والاستفال: الارتباط بالقيمة التفخيمية:

١ خلاصة من كل ما سبق أن الاستعلاء يرتبط ضرورة بالقيمة التفخيمية التي تأخذها هذه الأصوات، فهو يقرب من أن يكون صفة مرادفة للتفخيم، لكنه يفترق عنه في أنه تفخيم ملازم لحروفه لا ينفك عنها في الفتح والضم والكسر، وهذا ما جعل سيبويه لا يعد الراء من الحروف المستعلية لمفارقتها التفخيم في بعض الحالات، قال: "فإنما شُبِّهت الراء بالقاف، وليس في الراء استعلاء".^(١) وأيضاً لأن تأثير الراء إنما هو من جهة تكريرها فكأن الراء المفتوحة والمضمومة براءين مفتوحتين ومضمومتين، كما أن الراء المكسورة بكسرتين، فاختلف تأثيرها في الإمالة تبعاً لهذه الحالات.^(٢)

كما أن سيبويه لاحظ قرب مخرج الراء من الياء الذي هو مخرج للكسرة فباعدها بذلك من المستعلية، قال عن إمالة ألف (الكافرين): "لما بعدت (الراء) وصار بينها وبين الألف حرف لم تقوَ قوة المستعلية؛ لأنها من موضع اللام وقريبة من الياء. ألا ترى أن الألتغ يجعلها ياء، فلما كانت كذلك عملت الكسرة عملها إذ لم يكن بعدها راء".^(٣)



وكذلك الكاف فإنها وإن كانت مع القاف في المخرج نفسه من حيث أقصى اللسان مع الحنك، إلا أنها فارقت القاف باستفالها إلى الفم، وتصعد القاف إلى الحنك الأعلى، أعنى من حيث القيمة التفخيمية.^(٤)

ويمثل الشكل أعلاه الفرق في اتجاه الصوت بين مستعل ومستقل من مخرج واحد، أعنى القاف والكاف. لاحظ تقعر وسط اللسان والتضييق في الحلق الذي أنتج ذلك الأثر التفخيمي في

(١) الكتاب ٤/١٣٧.

(٢) المرجع السابق ٤/١٣٦.

(٣) الكتاب ٤/١٣٧.

(٤) المرجع السابق ٤/٤٧٩ - ٤٨٠. وانظر فيه استعماله للفظ: التصعد للقاف والصاد، والانحدار للكاف.

القاف، وانظر عكس ذلك في الكاف.

وقد بين القرطبي العلاقة بين الاستعلاء والأطباق والتفخيم والترقيق في نص نفيس جداً، قال: "والفرق بين الاستعلاء والإطباق وبين الترقيق والتفخيم أن الاستعلاء يلزم حروفه فلا يزول عنها وكذلك الإطباق بخلاف الترقيق والتغليظ، فإنهما يتعاقبان على الراء واللام كالإمالة والتفخيم في الألف".^(١)

من قواعد الاستعلاء والاستفال:

- (الفتح والضم مع المستعلي يطلبان العلو فمنعوا الإمالة فيهما): الداني.^(٢)

- (تخفُّ الإمالة في المستفل؛ لمشاكلته صوت الإمالة): الداني.^(٣)

- (يمنع الاستعلاء الإمالة لتصعد الصوت بالحروف المستعلية): القرطبي.^(٤)

ثانياً: الصفتان المتعلقةتان بحصر الصوت بين اللسان والحنك: (الإطباق والانفتاح):

الإطباق من المشترك اللفظي، يدل أصله اللغوي على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، ويقال: طابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد.^(٥)

الانفتاح: يدل أصله اللغوي على خلاف الإغلاق. يقال: فتحت الباب وغيره فتحاً، ثم يُحمل على هذا المعنى سائر ما في هذا البناء.^(٦)

الإطباق والانفتاح: لفظان وضعهما سيوييه، ليدل بأحدهما على هيئة ملازمة لبعض الأصوات يشترك فيها جسم اللسان - كعضو ضاغط - مع مخرج الحرف في إنتاجها، وهو الإطباق. وليدل بالآخر على عكس ذلك العمل، وهو الانفتاح. في الحرف المنفتح ينحصر الصوت في نقطة معينة هي مخرج الحرف، ويتولد عنها

(١) الموضح ص ١١٠.

(٢) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل ٤٧/أ.

(٣) المرجع السابق ٣٦/أ.

(٤) الموضح في التجويد ص ٩٠.

(٥) مقاييس اللغة ص ٦٠٧ (ط ب ق).

(٦) المرجع السابق ص ٨٠٥ (ف ت ح).

صدى معين سمينه الحرف، كإغلاق الشفتين في الباء. أما في أصوات الإطباق فينحصر الصوت بالمرجوع وعلى طول سطح اللسان، حيث يتقعر وسطه ويرتفع آخره، ويكون بمثابة الغطاء المطبق على الحنك الأعلى، وينتج عن ذلك القيمة التفخيمية لحروفه. ومن هنا كان الجهد العضلي المبذول في إنتاج هذه الأصوات مضاعفاً، واستحقت بذلك وسام أقوى الحروف.

استعمل: (الإطباق) في أكثر من معنى، منها:

١- ضغط أحد عضوي النطق على الآخر لإحداث الصوت اللغوي، وقد مضي الحديث عنه.

٢- من صفات الحروف الكبرى. وهي التي أتناولها بشيء من التفصيل.

لقب سيويه أصوات الإطباق، وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء ب: (المطبقة)^(١)، وب: (حروف الإطباق)^(٢).

تابعه على (المطبقة): الأخفش^(٣)، والمبرد^(٤)، وابن السراج^(٥) والفارسي^(٦)، والرماني^(٧)، وابن جني^(٨)، ومكي^(٩)، والداني^(١٠)، والهمذاني^(١١)، وأبو البركات ابن الأنباري^(١٢).

وتابعه أيضاً ابن دريد، غير أنه علل لها تعليلاً غريباً، قال: "والحروف المطبقة: الصاد

(١) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٧٠.

(٣) معاني القرآن ٢/٥٩١ - ٥٩٢.

(٤) المقتضب ١/٣٢٨ و ٣٣٠.

(٥) الأصول ٣/٤٠١ و ٤٠٤.

(٦) التكملة ص ٢٧٩ والحجة ١/٤٩.

(٧) شرح كتاب سيويه ل ١٩١/ب.

(٨) سر صناعة الإعراب ١/٥ و ٦١.

(٩) الرعاية ص ١٠٩.

(١٠) التحديد ص ١٠٥.

(١١) التمهيد ص ٢٨١.

(١٢) أسرار العربية ص ٢٠٩.

والضاد والطاء والظاء؛ لأنك إذا لفظت بها أطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجري معها".^(١) وكلامه هذا فيه تغيير لدلالة سيويه من الإطباق، ويشبه مفهومه منه مفهوم الجهر، والله أعلم.

وتابع سيويه على (حروف الإطباق): المبرد^(٢)، والزجاج^(٣)، والأزهري^(٤)، ومكي^(٥)، ولقبها أيضاً ب: (حروف التفخيم)، والخفاجي^(٦)، ولقبها ب: (المنطقة)^(٧)، وأبو معشر الطبري^(٨)، والهمذاني^(٩)، وابن الطحان الأندلسي^(١٠).

ولقب سيويه الحروف التي هي عكس المنطقة ب: (المنفتحة)^(١١).

وتابعه: المبرد^(١٢)، وابن السراج^(١٣)، والزجاجي^(١٤)، والرماني^(١٥)، ومكي^(١٦)، والخفاجي^(١٧).

واستعمل ابن جني لفظ: (الانفتاح)^(١٨) وتابعه: مكي^(١٩)، والقرطبي^(٢٠)، وابن

(١) الجمهرة ١/٨.

(٢) المقتضب ١/٢٠٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/١٢٣، ٥/١٦٧.

(٤) معاني القراءات ١/١٤٠.

(٥) الرعاية ص ١٢٢.

(٦) سر الفصاحة ص ٢١.

(٧) المرجع السابق ص ٢١.

(٨) التلخيص ص ١٩٥.

(٩) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٨١.

(١٠) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٢٧.

(١١) الكتاب ٤/٤٣٦.

(١٢) المقتضب ٣/٤٦.

(١٣) الأصول ٣/٤٠٤.

(١٤) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٩.

(١٥) شرح كتاب سيويه ١٩١/ب.

(١٦) الرعاية ص ١٢٣.

(١٧) سر الفصاحة ص ٢١.

(١٨) سر صناعة الإعراب ١/٦١.

(١٩) الرعاية ص ١٠٩.

(٢٠) الموضح ص ٨٧.

الطحان الأندلسي. (١)

ولقبها أبو البركات ابن الانباري ب: (المفتوحة). (٢)

تناول المتقدمون: (الإطباق) من عدة جهات، منها:

١- انطباق اللسان على الحنك الأعلى، وما يتعلق بذلك من تقعر لوسط اللسان وارتفاع لمؤخره، والتفاوت في ذلك بين حروفه.

٢- انحصار الصوت بين اللسان والحنك الأعلى بسبب الانطباق.

٣- الأثر التفخيمي الحاصل نتيجة لما سبق.

٤- النظر المقابل للحرف المطبق عند زوال الإطباق.

٥- اشتراك بعض الأصوات الأخرى غير الصاد والضاد والطاء والظاء في هيئة الإطباق.

٦- حروف الإطباق والانفتاح.

ملاحظة: الشيء الوحيد الذي لم يذكره المتقدمون عن هذه الظاهرة- فيما أطلعت عليه- وذكره المعاصرون هو التضييق الكبير الذي يحصل في الحلق أثناء الإطباق والاستعلاء والتفخيم فيما يعرف ب: (التلحيق).

١- الجهة الأولى: انطباق اللسان على الحنك الأعلى:

وصفُ سيوييه للإطباق يتكون من شقين: أحدهما خاص بجسم اللسان ومخرج الحرف، والثاني يتعلق بحصر الصوت، وتناول في هذه النقطة الجزء الخاص بجسم اللسان والمخرج.

الإطباق هو ضغط سطح اللسان هواء الصوت إلى جهة الحنك الأعلى، كجزء مشارك مع المخرج في إنتاج الصاد والضاد والطاء والظاء.

واستعمل سيوييه لوصف هذه الهيئة، أعنى ضغط جسم اللسان على الحنك، عدة

ألفاظ، منها:

(١) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٢١.

(٢) أسرار العربية ٢٠٩-٢١٠.

(الانطباق)، (الإطباق)، (التصعد)، (الرفع)، (الوضع)، وأضاف إليها بعض العلماء: (الانبساط)، وتقدم الحديث عن بعض هذه المصطلحات كألفاظ تُعبر عن ضغط أحد عضوي النطق على الآخر.

قال سيبويه: "وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذي الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك الأعلى... فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان".^(١) وقال عن الصاد: "لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق".^(٢)

وعرف سيبويه الحروف المنفتحة، وهي عكس المطبقة، قال: "والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى".^(٣) ولم يخرج العلماء بعد سيبويه عن وصفه بشيء سوى في بعض الألفاظ.

ويُعدُّ تعريف ابن جني للإطباق التعريف الذي مشى عليه أكثر العلماء، فدعّف ابن جني الإطباق، فقال: "الإطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له".^(٤) وتابعه: القرطبي^(٥)، والخفاجي^(٦)، وابن الطحان^(٧)، والهمذاني^(٨)، وأبو البركات ابن الأنباري.^(٩)

ومن وحي تعريف ابن جني للإطباق صاغ القرطبي تعريف الانفتاح، قال: "الانفتاح: أن لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك، فلا ينحصر الصوت".^(١٠) وتابعه: ابن الأنباري

(١) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٧٩.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٣٦.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٦١.

(٥) الموضح ص ٩٠.

(٦) سر الفصاحة ص ٢١.

(٧) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣١.

(٨) التمهيد ص ٢٨١.

(٩) أسرار العربية ص ٢١٠.

(١٠) الموضح ص ٩٠.

بتغيير طفيف. (١)

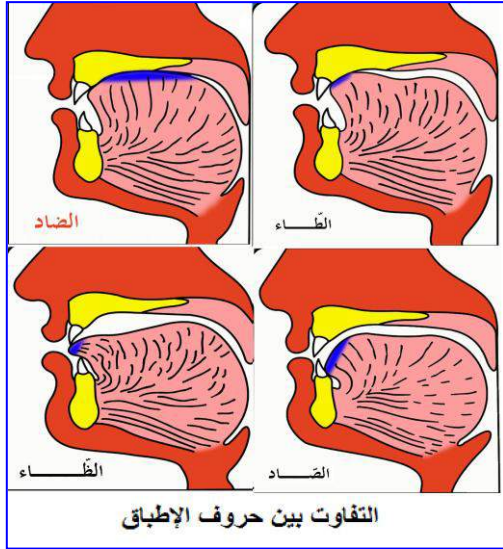
ومن أطراف النصوص التي أطلعت عليها، وتشير إشارة خفية إلى علاقة الرسم الكتابي لهذه الحروف بالصوت المنطوق قول الزجاج عن الصاد والطاء: "ينطبق الحنك على اللسان بهما... وهما أيضاً مطبقتان في الخط". (٢)

فإذا كان الزجاج يشير إلى رسم الطاء والصاد- وقس عليهما الضاد والطاء- اللذين يشبه حاجبهما قبة الحنك، والخط الأفقي فيهما جسم اللسان، فهو أول نص يوضح العلاقة بين هيئة الصوت المنطوق وتحسينه بالمكتوب.

ونلاحظ في وصف سيويه لهيئة الإطباق أن عبارته جاءت عامة لم تحدد لنا مقدار

هذا الانطباق؟

وجاء وصف ابن سينا دقيقاً لهذه الحروف حين ذكر التفاوت في انطباق اللسان على الحنك في هذه الأصوات، فمن ذلك ما قاله عن الصاد: "وأما الصاد فيفعله حبس غير تام، أضيق من حبس السين وأيبس وأكثر اجزاءً، حابس طولاً إلى داخل مخرج السين وإلى خارجه، حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثي السطح المفروش تحت الحنك والشجر". (٣)



وقال عن الطاء: "وإنما تحدث عن انطباق سطح اللسان أكثره مع سطح الحنك والشجر، وقد يبرأ شيء منهما عن صاحبه". (٤)

وكذلك ذكر مكي حين علل لحروف الإطباق، فقال: "وإنما سميت بحروف الإطباق،

(١) أسرار العربية ص ٢١٠.

(٢) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/٢٩٤.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ٧٧.

(٤) المرجع السابق ص ٧٩.

لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف".^(١)

وتابعه: ابن الطحان الأندلسي.^(٢)

وذكر مكي أن حروف الإطباق "بعضها أقوى في الإطباق من بعض، فالطاء أقواها في الإطباق... والطاء أضعفها في الإطباق... والصاد والضاد متوسطان في الإطباق".^(٣)

ونقل القرطبي عبارته.^(٤)

ويبين الشكل السابق التفاوت بين حروف الإطباق.

وقد أظهرت بعض نصوص المتقدمين أمراً آخر على غاية من الأهمية في كيفية هذا الإطباق، ويصاحب هذه الحروف، وهو تقعر وسط اللسان، قال ابن سينا عن الصاد: "والصاد كالسين إلا أن مسرب الهواء فيه يأخذ من اللسان جزءاً أعظم طولاً وعرضاً، ويحدث في اللسان كالتقعر، حتى يكون لانفلات الهواء كالدوي".^(٥)

وقال عن الطاء: "لكن الطاء تحبس في ذلك الموضع بجزء من طرف اللسان أعظم، ورائه بضلعي اللسان، وتقعرون وسط اللسان خلف ذلك المحبس، ليحدث هناك دوى عند الإفراج ثم يُقْلَع، ويكون الحبس بشد قوى".^(٦)

ويلزم أن أنه هنا إلى أن الشيء الوحيد الذي لم يذكره المتقدمون عن هذه الظاهرة وذكره المعاصرون فيما يتعلق بجسم اللسان هو التضيق الكبير الذي يحصل في الحلق أثناء الإطباق والاستعلاء والتفخيم نتيجة رجوع الجزء الخلفي من اللسان، وقد أطلقوا عليه لفظ: (التحليق). وانظر التضيق الكبير في الحلق في الشكل السابق التفاوت بين حروف الأطباق.

٢ - الجهة الثانية: انحصار الصوت بين اللسان والحنك الأعلى بسبب الانطباق:

(١) الرعاية ص ١٢٢.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣١.

(٣) الرعاية ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٤) الموضح ص ٩٠.

(٥) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٠.

(٦) المرجع السابق ص ١٢١.

الشق الثاني من وصف سيبويه يتناول انحصار الصوت بين اللسان والحنك الأعلى نتيجة الإطباق الذي تحدثنا عنه في النقطة السابقة، قال: "فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف... فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّنَ ذلك بحصر الصوت".^(١)

وتابعه كل من تابعه في النقطة الأولى غير ابن جني، وابن الأنباري.

وتابعه مكّي، واستبدل: (الصوت) في كلام سيبويه بـ: (الريح)، قال: "وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى".^(٢)

واستعمل ابن سينا لفظ: (الرطوبة) لهيئة الهواء المتشكلة جرّاء ضغط عضوي النطق، ولا شك أن هذه الهيئة تكون كبيرة في أصوات الإطباق نتيجة الحصر الكبير للصوت على طول جسم اللسان، فمثلاً ذكر ابن سينا عن الصاد: "أن الرطوبة التي يُحْبَسُ فيها الهواء بعد الإطلاق تكون أعظم".^(٣)

وقال عن الظاء: "وإن كان حبس كالإشمام بجزء صغير من طرف اللسان، وإمرار الهواء المطلق بعد الحبس على سائر سطح اللسان على رطوبته، وحفز له جملةً شُعِ الظاء".^(٤)

وقال عن الصاد: "والصاد كالسين إلا أن مسرب الهواء فيه يأخذ من اللسان جزءاً أعظم طولاً وعرضاً".^(٥)

أما في الانفتاح فلا يكون مثل هذا الانحصار إلا في مخرج الحرف، قال سيبويه: "وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن".^(٦)

(١) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٢) الرعاية ص ١٢٢.

(٣) أسباب حدوث الحروف ص ١١٩.

(٤) المرجع السابق ص ٨٠.

(٥) المرجع السابق ص ١٢٠.

(٦) الكتاب ٤/٤٣٦.

٣- الجهة الثالثة: الأثر التفخيمي الحادث من الإطباق والمحافظة عليه:

أطلق سيبويه على الأثر التفخيمي الذي يُسمَع من حروف الإطباق لفظ: (أفشى في السمع).

وهذا الأثر هو أحد الفضائل التي يحافظ عليها في هذه الأصوات عند أكثر العرب، كما يحافظون على الغنة في النون، والمد في حروف المد، قال سيبويه عن إبقاء صوت الطاء إذا اجتمعت مع الدال: "إلا أنك قد تدعُ الإطباق على حالة فلا تُذهب؛ لأن الدال ليس فيها إطباق، وإنما تغلب على الطاء؛ لأنها من موضعها، ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال، فأما الإطباق فليست منه في شيء- والمطبق أفشى في السمع، ورأوا إجحافاً أن تغلب الدال على الإطباق وليست كالطاء في السمع.

ومثل ذلك إدغامهم النون فيما تدغم فيه بغنة. وبعض العرب يذهب الإطباق حتى يجعلها كالدال سواء... كما أنهم أدغموا النون بلا غنة.^(١)

ولم يخرج حديث الفراء عن هذا الذي ذكره سيبويه، إلا أنه استعمل للحرف الذي يملك فضيلة صوت، كالغنة في النون، والإطباق في حروف الإطباق لفظ: (المُصَوِّت)، قال عن علة إبدال تاء الافتعال طاء في نحو: اصطبر: "لأن التاء حرف أحرص لا يخرج له صوت، إذا بَلَوْتُ ذلك وجدته، فكرهوا إدغام مُصَوِّت في حرف أحرص، فلما فاتهم الإدغام وجدوا الطاء معتدلة في المخرج بين التاء والصاد، لتكون غير ذاهبة بواحد من الحرفين".^(٢)

وتابعه ابن مجاهد، قال: "فلا يُدْغَم مُصَوِّت في غير مصوت؛ فيُخِلُّ به، وإنما تبقى منه غنة كما يبقى من المطبق- إذا رمت إدغامه في غير مطبق- أئثر من الإطباق"^(٣)

واستعمل ابن سينا لذلك لفظ: (الدَّوِيُّ)، قال عن صوت الصاد عند خروجه: "حتى يكون لانفلات الهواء كالدَّوِيِّ"^(٤)

(١) المرجع السابق ٤/٤٦٠.

(٢) نقل ذلك السيرافي في كتابه: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٣، وانظر: ص ٥٩ و ٦٧.

(٣) نقل ذلك السيرافي في إدغام الفراء ص ٥٧.

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٠.

وقال عن صوت الطاء: "ليحدث هناك دويٌّ عند الإفراج ثم يُقْلَع".^(١)

٤- الجهة الرابعة: النظير المقابل للمطبق إذا زال الإطباق:

إذا زال الإطباق سيبقى الصوت منحصراً في مكان واحد هو مخرج الحرف، وسيذهب الأثر الصوتي التفخيمي للحرف المطبق، ويرجع إلى نظيره المرفق إن وُجد له نظير مرفق، قال سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها".^(٢)

واضح من النص أن ثلاثة من الحروف يملك نظيراً مرفقاً بخلاف الضاد التي تَعْدَم ذلك النظير عند زوال إطباقها.

فالصاد، والطاء، والطاء جميعها أصوات أمامية يشترك فيها طرف اللسان مع الشنبا، ويشاركها في مخارجها عدة أصوات أخرى:

فالصاد يشاركها: السين والزاي، والأقرب إليها السين لاشتراكهما في كل الصفات غير الإطباق، أما الزاي فتخالفها في الجهر، والانفتاح. والطاء يشاركها: الدال والشاء، والأقرب إليها الدال لاشتراكهما في كل الصفات غير الإطباق، أما الشاء فتخالفها في الهمس، والانفتاح. والطاء يشاركها: الدال والشاء، والأقرب إليها الدال لاشتراكهما في كل الصفات غير الإطباق، أما الشاء فتخالفها في الهمس، والانفتاح.

وقد أشكل هذا الأخير على كثير من المعاصرين الدارسين لعبارة سيبويه، واتخذها بعضهم ذريعة للتشكيك في صوت الطاء؛ إذ فهموا من عبارته اتحاد هويتي الطاء والدال في السمع بلا إطباق، فإذا زال إطباق الطاء سينقلب الحرف دالاً، وبالتالي وجدوا أن الطاء الحالية التي تُسَمَع من القراء لا تصلح نظيراً مطبقاً للدال، فأخذوا يتخيلون نظيراً لها، فقادتهم تخيلاتهم إلى الضاد الأسنانية الحديثة (الدال المفخمة)^(٣)، ولا نجد أحداً منهم يضع احتمال

(١) المرجع السابق ص ١٢١.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٣) دروس في علم أصوات العربية لكانتينو ص ٥١، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص ٦٢، ومناهج البحث في اللغة لتمام حسان ص ١٢٢، والمدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب ص ٧٥.

الخطأ منه في فهم عبارة سيبويه، أو يدرك خطر الانجرار وراء هذا الوهم الذي يمس صوتاً من أصوات القرآن؛ لأن هذا الأصل الذي أرادوه للطاء، أعنى الدال المفخمة، سيرتب عليه - لو قرئ به - تغيير كبير للمعنى في مثل قوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)، وبعيداً جداً أن لا يلحظ المتقدمون هذا التغير مع شدة عنايتهم - على مر العصور - في المحافظة على الصورة الأدائية الأولى المتلقاة من فم النبي ﷺ، ورصدهم ما هو أدق من ذلك مما هو متعلق بمقادير المدات، فكيف الحال بما يكون له تأثير في معاني الكلمات!!؟

وهذا الوهم الكبير من المعاصرين راجع إلى تحريف مغلوط لدلالة الهمس، واعتقاد راسخ منهم باتفاق الدلالة بينهم وبين المتقدمين فيه.

وليس قرب الصوت من الصوت يستلزم اتحاد هويتهما في السمع، قال سيبويه عن قرب الراء من اللام، والطاء من الدال: "لأنها [أي: الراء] أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها، فصارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد؛ إذ كانت اللام ليس حرف أشبه بها منها ولا أقرب، كما أن الطاء ليس حرف أقرب إليها ولا أشبه بها من الدال".^(١)

فشدة القرب بين الراء واللام - وهما مرققان - لم تستلزم اتحادهما في السمع، كذلك حال الطاء عند زوال الإطباق لا يستلزم اتحادهما مع الدال في السمع، وإن أوهمت عبارة سيبويه ذلك.

وعلى الباحثين المعاصرين الذي يعتقدون بالدال المفخمة أن يفسروا لنا - في ضوء كلامهم - معنى كلام ابن جني عن الفرق في الزمن بين حبسَي الطاء والدال في قوله: "قطّ الشيء)، إذا قطعه عرضاً، و(قدّه)، إذا قطعه طولاً، وذلك لأن منقَطَع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال"^(٢)، وقوله: "وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال".^(٣)

وأن يفسروا لنا معنى مقارنة ابن سينا بين الطاء والتاء والدال، وتبينه أن الفرق بين

(١) الكتاب ٤/٤٥٧.

(٢) الخصائص ١/٦٦.

(٣) الخصائص ٢/١٥٨.

الطاء والتاء إنما هو بالإطباق فقط، وأن الدال تفارق الطاء والتاء في نوعية الحبس، قال: "وأما الطاء والتاء والدال فإن مخارجها من المقدم من السطح الممتد على الحنك، وتحدث كلها من حبسات تامة، وقلع، ثم إخراج هواء دفعة، لكن الطاء تحبس في ذلك الموضع بجزء من طرف اللسان أعظم، ووراءه بضلعي اللسان وتقع وسط اللسان خلف ذلك الحبس، ليحدث هناك للهواء دوي عند الإفراج ثم يقلع، ويكون الحبس بشد قوى".

وأما التاء فيكون مثله في كل شيء، إلا أن الحبس بطرف اللسان فقط.

وأما الدال فتفارق الطاء إذ لا إطباق فيها، وتخالف الطاء والتاء إذ الحبس فيه غير قوى، وعساه أن يكون في الكم أقل قليلاً من حبس التاء.^(١)
ولا أظن أن الأمر يحتاج إلى تعليق، والله الموفق.

٥- الجهة الخامسة: اشتراك بعض الأصوات الأخرى غير الصاد والضاد والطاء والظاء في هيئة الإطباق:

تناول ابن سينا بعد حديثه عن الحروف الأصلية جملة من الحروف الفرعية، وهي الحروف التي تخرج عن الأصلية بوجه من الوجوه، وذكر منها الحروف التي يخالط لفظها لفظ الصوت المفخم، وتشارك في هيئة الإطباق، فمن ذلك قوله عن الجيم التي تشبه الصاد بأن فيها "زيادة في الإطباق".^(٢)

وقال عن السين الصادية أو الصاد التي كالسين: "تحدث من استعمال جزء من اللسان أعرض وأطول إلى داخل".^(٣)

ولقب الراء المفخمة ب: (المطبقة) التي "يرعد فيها لا الطرف من اللسان فقط، بل وسطه".^(٤)

ولقب اللام المفخمة ب: (المطبقة)، قال: "وهاهنا لام مطبقة نسبتها إلى اللام

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٢١-١٢٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨.

(٣) المرجع السابق ص ١٢٩.

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ١٣٠.

المعروفة نسبة الطاء إلى التاء، وتكثر في لغة الترك مأخوذة على أنها حرف آخر، ويستعملها المتفهيق في لغة العرب على أنها اللام المعروفة بعينها".^(١)

وفي الراء عقد القرطبي مقارنة بين الراء المفخمة والمرققة، حيث يأخذ اللسان جزءاً أعظم في المفخمة، قال: "فإن كانت مكسورة رقت، وكان العمل فيها برأس اللسان، ومعتمدها أدخل إلى جهة الحلق في الحنك الأعلى يسيراً، وأخذ اللسان من الحنك أقل مما يأخذ مع المفخمة، فينخفض اللسان حينئذ، فلا ينحصر الصوت بينه وبين الحنك فتجيء الرقة... فإن كانت مضمومة أو مفتوحة فحمت، وكان ما يأخذه طرف اللسان منها أكثر مما يأخذه مع الترقيق، وكان مُعْتَمَدَ اللسان أخرج في الحنك الأعلى يسيراً، فينبسط حينئذ اللسان، وينحصر الصوت بينه وبين الحنك، فيحدث التفخيم لذلك".^(٢)

وهذا إدراك دقيق لعملية التفخيم، وما يحدث فيها من انحصار للصوت بسبب تقعر اللسان، ويدل على اتساع مساحة حصر الصوت مما هو شرط ملازم للإطباق.

ولعل الذي دعا سيبويه وأصحابه إلى أن لا يعدّوا اللام والراء المفخمين من حروف الإطباق أن هيئة الإطباق لا تلزمهما في كل أحوالهما، كما أن الإطباق وعدمه فيهما لا يؤثّران في المعنى بخلاف هذه الأصوات الذي يُعدُّ الإطباق عنصراً جوهرياً مميزاً في مثل: (عصى وعسى)، و (محذوراً ومحظوراً)، قال القرطبي: "فصار التفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان والحنك نظير الاستعلاء والإطباق، ولهذا أثر الاستعلاء في الإمالة والترقيق فمنعهما؛ لأنه ضد.

والفرق بين الاستعلاء والإطباق وبين الترقيق والتفخيم أن الاستعلاء يلزم حروفه فلا يزول عنها وكذلك الإطباق بخلاف الترقيق والتغليظ، فإنهما يتعاقبان على الراء واللام كالإمالة والتفخيم في الألف".^(٣)

ثالثاً: الصفتان المتعلقتان بالأثر: (التفخيم والترقيق)

(١) المرجع السابق ص ١٣١.

(٢) الموضح في التجويد ص ١٠٦.

(٣) الموضح ص ١١٠.

١ - وصف ظاهري التفخيم والترقيق:

التفخيم والترقيق أثران صوتيان سمعيان، الأول منهما وهو التفخيم صوت ضخم ناتج عن تقعر في وسط اللسان وتضييق كبير في الحلق. ويصيب بعض الحروف، فمنها ما يلزمه ولا ينفك عنه كحروف الاستعلاء، ومنها ما يدور عليه كالراء واللام والألف. أما الترقيق فهو عكسه، صوت رقيق ناتج عن عدم اتخاذ اللسان ذلك الوضع الذي يتخذه في التفخيم.

وماقدّمته عن اتجاه الصوت في الاستعلاء والاستفال، وحصره في الإطباق والانفتاح، والفرق بينهما وبين التفخيم كافٍ في شرح هاتين الظاهرتين.

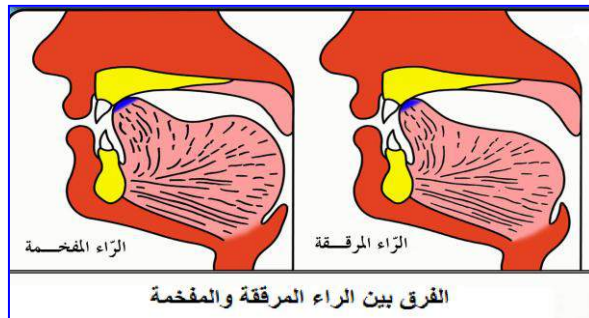
ويمكن تلخيص الأصوات العربية الجامدة من حيث التفخيم والترقيق إلى أربع مجموعات:

١ - حروف ينحصر الصوت في مخارجها وعلى طول جسم اللسان، ويبقى التفخيم ملازماً لحروفها، وهي حروف الإطباق.

٢ - حروف ينحصر الصوت في مخارجها فقط، ويبقى التفخيم ملازماً لحروفها، وهي القاف والغين والحاء.

٣ - حروف ينحصر الصوت في مخارجها وتملك قيمة تفخيمية وترقيقية في أحوال متعددة، وهي الراء واللام.

٤ - حروف تنحصر في مخارجها، وتملك الترقيق فقط، وهي باقي الحروف.



أما من حيث شكل اللسان فالقاسم

المشترك في المجموعات الثلاثة الأولى - من حيث القيمة التفخيمية - هو في انحصار الصوت قليلاً زيادة على مخرج الحرف وتقعر في وسط اللسان والتضييق الكبير في الحلق. وتفترق حروف الإطباق عن المجموعتين في انحصار الصوت على طول جسم اللسان.

أما شكل اللسان في باقي الحروف المرققة فليس فيه إلا انحصار الصوت في المخرج.
ولتوضيح هذا الفرق الجوهرى بين الأصوات المفخمة والمرققة يمثل الشكل السابق الفرق
بين الراء المفخمة والمرققة. حيث نلاحظ أن الشيء الزائد الذي حصل في الراء المفخمة عن
المرققة هو تقعر وسط اللسان (رقم ١)، والتضييق الكبير في الحلق (رقم ٢). وراجع الأشكال
التي تقدمت في الإطباق والاستعلاء.

أما الحروف الذائبة من حيث التفخيم والترقيق، الألف تملك قيمة تفخيمية وترقيقية
بحسب ما قبلها، والواو والياء لا تكونان إلا مرققتين.

٢- ألفاظ ظاهري التفخيم والترقيق:

١- ظاهرة التفخيم:

استعمل لظاهرة التفخيم عدة مصطلحات، منها:	
١- التفخيم.	٢- الفتح.
٣- التقعير.	٤- التخليط.
٥- الإسمان، السمن، التسمين.	

١- المصطلح الأول لظاهرة التفخيم: (التفخيم):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على جزالة وعِظَم. ويقال: مُنَطِّقُ فخم:
جزل، ويقولون: الفخم من الرجال: الكثير لحم الوجنتين.^(١)

(١) مقاييس اللغة ص ٨٠٩ (ف خ م).

استعمل: (التفخيم) في أكثر من معنى، منها:

- ١- معنى قديم مختلف فيه.
- ٢- الزيادة في المد.
- ٣- التفخيم المعروف.
- ٤- الفتح ضد الإمالة.
- ٥- الرفع.
- ٦- اتجاه الألف نحو الواو.
- ٧- الفتح المعروف.
- ٨- مشارك في الإمالة الصغرى.
- ٩- من عيوب النطق.

١- المعنى الأول ل: (التفخيم) = معنى قديم مختلف فيه:

قال رسول الله ﷺ: "نزل القرآن بالتفخيم".^(١)

نقل الداني الاختلاف في تأويل معنى: (التفخيم)، فذكر أن أبا عبيد القاسم بن سلام رجح أن التفخيم هنا هو الفتح ضد الإمالة وأنه دليل على أنه الأصل، إلا أن الداني أعطاه معانٍ أخرى يحتملها النص، ولا فضيلة لأحدهما على الآخر، ومن هذه المعاني.

١- أن يكون التفخيم بمعنى أنه نزل بالغلظة والشدة على الكافرين.

٢- ومنها أن يكون بمعنى التعظيم والتبجيل.

٣- وذكر أن بعض المتقدمين فسره بأنه تحريك أو اسط آخر الكلم دون إسكانها، وروي

ذلك عن ابن عباس وعمار بن ياسر رضي الله عنهما.^(٢)

ولو صح أن النبي ﷺ عنى بهذا اللفظ الفتح ضد الإمالة، أو ما عناه الصحابيـان الجليلان- رضي الله عنهما- فهو يدل على قدم هذا المصطلح، وعلى بداية التأريخ الصحيح للمصطلحات.

٢- المعنى الثاني ل: (التفخيم) = الزيادة في المد:

استعمل التابعي الجليل الربيع بن خيثم لفظ: (التفخيم) بمعنى الزيادة في المد، قال

(١) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية وآخرون، دار ابن كثير ١٤٢٠هـ، ص ٢١٠.

(٢) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل ٢/أ. وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١٤/١.

الفراء: "حدثني قيس بن الربيع عن سعيد بن مسروق عن الشعبي عن الربيع بن خيثم الثوري^(١) أن رجلاً قرأ عليه (دكاً) فقال (دكاًء)، فخمها. قال الفراء: يعني أطلها".^(٢)

وهذا النص أحد النصوص الخطيرة التي تشهد لصحة تلقي القراء، وأن ذلك سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول وليس فيه اجتهاد من لدن البشر.

ولعل تعبير أحمد بن جبير الأنطاكي بلفظ: (التفخيم) في لام: (الر) من هذا الباب، حيث وصف قراءة حمزة، قال: "كان يقرأ بتفخيم اللام، ويملاً بها الفم، تفخيماً حسناً، ولا يغلظ اللام".^(٣)

فقوله: (ولا يغلظ اللام) هي التي دلت على أنه لا يقصد بلفظ: (التفخيم) التفخيم المعروف، ويحتمل أنه يقصد به الفتح ضد الإمالة، لكن قوله: (ويملاً بها الفم تفخيماً حسناً) يتجه إلى المد، والله أعلم.

ويدل أصل: (الملاء) اللغوي على المساواة والكمال في الشيء، ملأت الشيء أملاًه ملئاً، والملاء: الاسم للمقدار الذي يُملا، وسمى بذلك لأنه مساً لوعائه في قدره، ومنه أملاً النَّزَعُ في القوس، إذا بالغ.^(٤)

٣- المعنى الثالث ل: (التفخيم) = التفخيم المعروف:

استعمله من العلماء: عاصم بن أبي النجود^(٥)، والخليل، وأحمد بن جبير الأنطاكي^(٦)، وأبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد المهدي^(١)، وطاهر بن غلبون^(٢)،

(١) قال عنه ابن الجزري في غاية النهاية ٢٨٣/١: الربيع بن خيثم أبو يزيد الكوفي الثوري، تابعي جليل، وردت عنه الرواية في حروف القرآن. أخذ القراءة عن عبد الله بن مسعود، قال له عبد الله بن مسعود: لو رآك محمد صلي الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المحبتين قال ابن سعد: مات في ولاية عبيد الله بن زياد يعني قبل سنة تسعين من الهجرة اهـ.

(٢) معاني القرآن ١٦٠/٢. والقراءتان متواترتان: قرأ (دكاًء) بالمد عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بلا مد (دكاً).

(٣) المطبوع من جامع البيان للداي ٩٠١/٣.

(٤) مقاييس اللغة ص ٩٥٧ (م ل ي).

(٥) نقل ذلك عنه أبو العلاء الهمذاني في التمهيد ص ٢٩٧.

(٦) نقل ذلك عنه الداوي في جامع البيان ٩٠٢/٣.

والسعيدى^(٣)، وابن سفيان القيروانى^(٤)، ومكى^(٥)، والدانى^(٦)، والقرطبي^(٧)، وأبو معشر الطبري^(٨)، وابن بليمة^(٩).

قال الخليل: "والأصاتم جماعة الأَصْطَمَّة، بلغة تميم، جمعوها بالتاء على هذه اللغة؛ لأنهم كرهوا التفخيم: أصاطم، فردوا الطاء إلى التاء".^(١٠)

ولقب الخليل حروف الإطباق بـ: (الحروف الفخام)، قال في تحويل تاء الافتعال طاء: "ويقال: اظَّأَزْتُ لولدي ظُئراً، أي اتخذت، وهو افتعلت، فأدغمت التاء في باب الافتعال فحولت مع الظاء طاء؛ لأن الطاء من فخام حروف الشجر التي قربت مخارجها من التاء، فضموا إليها حرفاً فخماً مثلها؛ ليكون أيسر على اللسان لتباين مدرجة الحروف الفخام من مدارج الحروف الخفت، وكذلك تحويل تلك التاء مع الضاد والصاد طاء؛ لأنها من الحروف الفخام".^(١١)

والملفت للنظر أن لفظ: (التفخيم) بهذا المعنى لم يرد عند سيويوه إلا في: (ألف التفخيم)، وهي ألف مائلة إلى الواو.

وذكر ابن الطحان الأندلسي أن التفخيم والتغليظ لفظان مترادفان، قال: "والتغليظ عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه. والتفخيم عبارة عنه أيضاً".^(١)

(١) نقل ذلك عنه ابن سفيان في الهادي ١/١٨٦.

(٢) التذكرة ١/٢٤٦.

(٣) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٤٢.

(٤) الهادي ١/١٧٢.

(٥) الرعاية ص ١٠٩.

(٦) جامع البيان ٣/٨٨٩.

(٧) الموضح في التجويد ص ١٠٦.

(٨) التلخيص ص ١٩٧.

(٩) تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع، لأبي عليّ الحسن بن خلف بن عبدالله ابن بليمة، تحقيق:

سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م، ص ٥٠.

(١٠) العين ٧/١٠٧.

(١١) المرجع السابق ٨/١٦٧.

أيضاً".^(١)

٤ - المعنى الرابع ل: (التفخيم) = الفتح ضد الإمالة:

استعمله من العلماء: حفص بن المغيرة الأسدي (راوي قراءة عاصم)^(٢) ،
والأخفش^(٣) ، وعمرو بن الصباح^(٤) ، وأبو عبيد بن سلام^(٥) ، وخلف بن هشام^(٦) ، وهشام
بن عمار^(٧) ، وأحمد بن يزيد الحلواني^(٨) ، وأحمد بن جبير الأنطاكي^(٩) ، وابن قتيبة^(١٠) ،
والزجاج^(١١) ، وابن مجاهد^(١٢) ، والنحاس^(١٣) ، وابن خالويه^(١٤) ، وأبو علي الفارسي^(١٥) ،
وابن مهران^(١٦) ، وعبد المنعم بن غلبون^(١٧) ، وابن جني^(١٨) ، وابن فارس^(١٩) ، وأبو الفضل
الجزاعي^(٢٠) ، والدايني^(٢١) ، والقرطبي^(٢٢) ، وأبو العز القلانسي^(٢٣) ، وأبو البركات الأنباري^(١) ،

(١) مرشد القارئ ل٨/ب. وهذا التعريف للتفخيم هو المشهور عند المتأخرين من علماء التجويد كابن الجزري في التمهيد.

(٢) السبعة ص ٤١٦.

(٣) معاني القرآن ١/١٩٣.

(٤) نقل ذلك عنه الدايني في جامع البيان ٣/٨٣٩.

(٥) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/٣.

(٦) جامع البيان ٣/٧٩٥.

(٧) المرجع السابق ٣/٨٢٢.

(٨) السبعة ص ٣٢٢.

(٩) نقل ذلك عنه الدايني في جامع البيان ٣/٧٧٠.

(١٠) أدب الكاتب ص ٢٦١.

(١١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٣٩.

(١٢) السبعة ص ١٥٠.

(١٣) إعراب القرآن ١/٢٠٦.

(١٤) الحجة ص ٦٦.

(١٥) التكملة ص ٣٩.

(١٦) المبسوط ص ١٠٣.

(١٧) الاستكمال ص ٩٧.

(١٨) سر صناعة الإعراب ٢/٥٩٨.

(١٩) الصاحبي ص ٢٩.

(٢٠) المنتهى ص ٣٤١.

(٢١) التحديد ص ٧٠.

(٢٢) الموضح ص ١١٠.

(٢٣) الإرشاد ص ١١٥.

الأنباري^(١)، وغيرهم.

وفي هذا المعنى ذكر الزجاج أن التفخيم لغة أهل الحجاز والنبي ﷺ، وهي العليا
الْقُدْمَى. (٢)

وتابعه أبو علي الفارسي^(٣) ومرجع ذلك القول إلى أبي عبيد القاسم بن سلام كما
تقدم في المعنى الأول.

وذكر الداني أن التعبير عن الفتح بـ: (التفخيم) وعن الإمالة بنوعيتها بـ: (الكسر) إنما
هو مجازٌ واتساعٌ، قال: "والمصنفون من القراء من المتقدمين وغيرهم قد يُعبرون عن هذين
الضريين من الممال بـ: (الكسر) مجازاً واتساعاً، كما يعبرون عن الفتح بـ: (التفخيم)...
وذلك كله حسن مستعمل بدليل تسمية العرب بالشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وما
جاوره، وكان بسبب منه، وتعلق به ضرباً من التعلُّق"^(٤)

٥- المعنى الخامس لـ: (التفخيم) = الرِّفْع:

استعمله الخليل، وتقدم في (الرفع).

٦- المعنى السادس لـ: (التفخيم) = مشارك في التعبير عن اتجاه الألف نحو الواو:

عُبر عن هذا المعنى بألف التفخيم والتفخيم الشديد.

١- (ألف التفخيم):

من المشترك اللفظي. استعمل في أكثر من معنى، منها:

١- الألف المائلة نحو الواو.

٢- الألف المفخّمة المعروفة عند القراء.

١- المعنى الأول لـ: (ألف التفخيم) = الألف المائلة نحو الواو:

(١) أسرار العربية ص ٢٠٢.

(٢) معاني القرآن ١/٣٨٦.

(٣) الحجة ٥/٢١٨.

(٤) الموضح لمذاهب القراء ل ١/ب.

قال الخليل: "وألف مفخم يضارع الواو".^(١) وقال عنها: "والحيوة، كُتبت بالواو ليُعَلَّم أن الواو بعد الياء، ويقال: بل كتبت على لغة من يفخم الألف التي مرجعها إلى الواو نحو: الصلوة والزكوة".^(٢)

من وحي كلام الخليل لُقّب سيبويه الألف التي تميل إلى الواو بـ: (ألف التفخيم).^(٣) وتابعه: ابن السراج^(٤)، والزجاجي^(٥)، والرماني^(٦)، وابن جني^(٧)، ومكي^(٨)، والقرطبي^(٩)، والخفاجي^(١٠)، وأبو البركات الأنباري.^(١١)

٢- المعنى الثاني لـ: (ألف التفخيم) = الألف المفخمة المعروفة عند القراء:

قال مكي عن ألف التفخيم: "الألف المفخمة: هي ألف يخالط لفظها تفخيم يُقَرَّبُها من لفظ الواو، كما كانت الألف الممالة ألفاً يخالط لفظها ترقيق يقربها من الياء، فهي نقيضة الألف الممالة، وبذلك قرأ ورش عن نافع في: (الصلوة) و (مُصَلِّي) و (الطلاق) و (بظلام)، وشبهه. وذلك فاش في لغة أهل الحجاز، وإنما دعاهم إلى ذلك إرادة نفي جواز الإمالة فيها".^(١٢)

وإذا كان الخليل وأصحابه ومكي، قد أدركوا بحسّهم الدقيق هذا التقارب فيُعَدُّ هذا سبقاً صوتياً لهم.

٢- (التفخيم الشديد):

-
- (١) العين ٢٨١/٤.
 - (٢) المرجع السابق ٣١٧/٣.
 - (٣) الكتاب ٤٣٢/٤.
 - (٤) الأصول ٣٩٩/٣.
 - (٥) شرح جمل الزجاجي ص ٤٤٥.
 - (٦) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٠/ب.
 - (٧) سر صناعة الإعراب ٤٦/١ و ٥٠ والخصائص ٣٥١/٢.
 - (٨) الرعاية ص ١٠٩.
 - (٩) الموضح ص ٨١ و ٨٣.
 - (١٠) سر الفصاحة ص ١٩.
 - (١١) أسرار العربية ص ٢٠٧.
 - (١٢) الرعاية ص ١٠٩.

لقب الداني هذا الاتجاه نحو الواو بـ: (التفخيم الشديد)، وذكر أن القراء لا يستعملونه، قال: "وأما المفتوح فحقه أن يؤتى بين منزلتين، بين التفخيم الشديد الذي يستعمله أهل الحجاز في نحو: الصلاة والزكاة فيَنْحُونَ بالألف نحو الواو من شدة التفخيم - وهذه اللغة لا تُستعمل في القرآن لأنه لا إمام لها- وبين الإمالة المحضة التي يستعملها القراء، وهي التي دون الكسر الصحيح".^(١)

٧- المعنى السابع لـ: (التفخيم) = الفتح المعروف:

استعمله من العلماء: الخليل، وأبو جعفر النحاس^(٢). وهذا ليس في مقابله الإمالة. نقل الخوارزمي معنى التفخيم عند الخليل بأنه: "ما وقع في أوساط الكلم على الألفات المهموزة، نحو: سأل".^(٣) أي فتحة الهمزة من سأل.

٨- المعنى الثامن لـ: (التفخيم) = مشارك في الإمالة الصغرى:

لما كان التفخيم من أحد معانيه الفتح ضد الإمالة استعمله بعض القراء في التعبير عن الإمالة الصغرى، وهي التي تقع بين الألف المدية وألف الإمالة الكبرى، وإليك بعض هذه التعبيرات:

- (بين الكسر والتفخيم): سليم بن عيسى^(٤)، وخلف بن هشام البزار^(٥)، ومحمد بن سعدان^(٦)، وأبو هشام الرفاعي^(٧)، وأحمد الحلواني^(٨)، وأبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهاني، ومحمد بن أحمد بن واصل البغدادي^(٩)، وابن مجاهد^(١٠).

(١) التحديد ص ١٠٠ - ١٠٢.

(٢) إعراب القرآن ١/٢٧٣.

(٣) مفاتيح العلوم ص ٥٤.

(٤) جامع البيان ل ١٣٠/أ.

(٥) السبعة ص ١٤٩ وجامع البيان ل ١٣١/أ.

(٦) المطبوع من جامع البيان ٣/٨٤٠ والمخطوط منه ل ١٨٨/أ. والموضح للداني ل ٣٤/ب.

(٧) السبعة ص ١٤٩.

(٨) الموضح لمذاهب القراء للداني ل ٣٥/أ.

(٩) جامع البيان ٣/٧٩٥.

(١٠) السبعة ص ٣٣٣ و ٦٧٤ وجامع البيان ٣/٧٩٥.

- (بين التفخيم والتضجيع): أبو يوسف يعقوب الأعشى^(١)، وأبو جعفر الشُّمُونِي محمد بن حبيب^(٢).
- (إلى التفخيم اقرب): خلف بن هشام البزار^(٣)، قالها في: (يَوَيْلَتِي).
- (بين الإمالة والتفخيم): محمد بن سعدان، وابن مجاهد^(٤)، وأبو جعفر النحاس^(٥)، وابن خالويه^(٦).
- (إشمام الحفض الذي هو أقرب إلى التفخيم): أبو عبد الله محمد بن عيسي الأصبهاني^(٧).
- (التوسط بين الإمالة والتفخيم): أبو جعفر النحاس^(٨).
- (لا يبالغ في تفخيمها): النصار الحسن بن داود^(٩).

٩- المعنى التاسع لـ: (التفخيم) = من عيوب النطق:

قال: "ثم أعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التععير، والتعقيب، والتشديق، والتمطيط، والجهورة، والتفخيم"^(١٠).

فعدّه من جملة العيوب، وأظن أن وضعه: (التفخيم) ضمن الألفاظ التي تدل على التكلف والتشديق في الكلام يدل على هذا المعنى.

٢- المصطلح الثاني لظاهرة التفخيم: (الفتح)

(١) جامع البيان ٣/٧٧٩.

(٢) المرجع السابق ٣/٧٧٧ والمخطوط منه ل ١٨١/أ.

(٣) المطبوع من جامع البيان ٣/٧٦٥. والمخطوط ل ١٤٢/ب.

(٤) السبعة ص ١٥٠.

(٥) إعراب القرآن ٣/٣.

(٦) الحجة ص ٧٠-٧١ و ١٠٥.

(٧) جامع البيان ٣/٧٩٥.

(٨) إعراب القرآن ٥/٢٤٨.

(٩) جامع البيان ٣/٧٧٦.

(١٠) البيان والتبيين ١/١٠٢.

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على خلاف الإغلاق. يقال: فتحت الباب وغيره فتحاً، ثم يُجمل

على هذا سائر ما في هذا البناء. (١)

استعمل: (الفتح) في أكثر من معنى، منها:
١- الفتح ضد الإمالة.
٢- تحريك الشفتين بفتح الفم.
٣- الفتح المعروف (تحريك الكلمات بالفتحة).
٤- الفتحة.
٥- المد.
٦- التفخيم المعروف.
٧- مشارك في الإمالة الصغرى.
٨- نقل الحركة أو مشارك فيها.
٩- مشارك في ألف التفخيم المائلة نحو الواو.

١- المعنى الأول ل: (الفتح) = الفتح ضد الإمالة:

قدم من القرن الأول الهجري، ويقوي حديث: (نزل القرآن بالتفخيم) الذي تقدم في

(التفخيم) بأنه الفتح ضد الإمالة.

استعمله كثير من العلماء لا يحرصون، منهم: التابعي الجليل زر بن حبيش الأسدي، وخارجه بن مصعب^(٢)، وابن جماز^(٣)، والخليل^(٤)، وسيبويه^(٥)، وحفص بن المغيرة الأسدي^(٦)، والكسائي^(٧)، ويحيى اليزيدي^(٨)، والفراء^(٩)، والأخفش^(١٠)، وعمرو بن الصباح^(١١)، وداود بن أبي طيبة^(١)، وأبو عبيد القاسم بن سلام^(٢)، ومحمد بن سعدان^(٣)،

(١) مقاييس اللغة ص ٨٠٥ (ف ت ح).

(٢) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٦٨٨.

(٣) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٥٣٨.

(٤) العين ٩/٣.

(٥) الكتاب ١٣٤/٤.

(٦) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٢٦١.

(٧) نقل ذلك ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٣٩٤/١.

(٨) نقل ذلك عنه الداوي في جامع البيان ٧٩٨/٣.

(٩) معاني القرآن ٩٤/١.

(١٠) نقل ذلك عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٤٣٧/١.

(١١) نقل ذلك عنه الداوي في جامع البيان ٨٣٩/٣.

، ونصير بن يوسف^(٤)، وأحمد الحلواني^(٥)، وإسماعيل بن إسحاق القاضي^(٦)، والمبرد^(٧)،
 وثعلب^(٨)، والزجاج^(٩)، وابن مجاهد^(١٠)، وابن خالويه^(١١)، وأبو علي الفارسي^(١٢)، وعبد
 المنعم بن غلبون^(١٣)، وابن جني^(١٤)، ومكي^(١٥)، والدايني^(١٦)، وابن الطحان الأندلسي^(١٧)
 ، وأبو البركات الأنباري^(١٨)، وهذا يدل على طوائف العلماء التي استعملت هذا اللفظ بهذا
 المعنى من قراء ونحويين بصريين وكوفيين.

قال الفراء: "حدثني قيس بن الربيع قال: حدثني عاصم عن زر بن حبيش قال: قرأ
 رجل علي ابن مسعود رضي الله عنه: (طه)، بالفتح، قال: فقال له عبد الله: (طه)، بالكسر، قال:
 فقال له الرجل: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أليس إنما أُمر أن يقرأ قدمه. قال: فقال له (طه). هكذا
 أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم".^(١٩)

وهذا من النصوص الخطيرة التي تدل على أن القراءة سنة متبعة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأ ابن
 مسعود رضي الله عنه بالإمالة، كما أقرأ غيره بالفتح، فما كان لابن مسعود - رضي الله عنه - أن يتجاوز في ذلك

-
- (١) نقل ذلك عنه الدايني في جامع البيان ٧٩٥/٣.
 - (٢) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن ١٧٣/٣.
 - (٣) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ١٤٢.
 - (٤) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ١٤٩.
 - (٥) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٧٩٣/٣.
 - (٦) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٤١٦.
 - (٧) المقتضب ٤٦/٣.
 - (٨) نقل ذلك عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٤٠١/١.
 - (٩) معاني القرآن ١٢٣/١.
 - (١٠) السبعة ص ١٤١.
 - (١١) الحجة ص ٧٨.
 - (١٢) الحجة ٣٨٠/١.
 - (١٣) الاستكمال ص ١٠٢.
 - (١٤) سر صناعة الإعراب ٧٩/١.
 - (١٥) التبصرة ص ٥٧.
 - (١٦) جامع البيان ٤٧/١.
 - (١٧) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٨.
 - (١٨) أسرار العربية ص ٢٠٣.
 - (١٩) معاني القرآن ١٧٤/٢.

روايته، ويجيد عما أقرئ به.

وجاءت أوصاف توضيحية لهذا الفتح ذكرها المتقدمون، منها:

١- (الفتح الخالص، إخلاص الفتح):

استعمل الفارسي: (الفتح الخالص) للتعبير عن مذهب الفتح ضد الإمالة في نحو: (من قرار)، (للأبرار)، (بقنطار).^(١)

وتابعه الداني^(٢)، مستعملاً أيضاً لفظ: (إخلاص الفتح)^(٣)، وتابع ابن بليمة الداني.^(٤)

٢- (الفتح اللطيف):

استعمل ابن مهران الأصبهاني: (الفتح اللطيف) تعبيراً عن الفتح ضد الإمالة، قال: "وقرأنا في رواية محمد بن إسحاق البخاري جميع ذلك بالفتح اللطيف. وكان يقول: لا ندري بين الفتح والكسر ما هو!! إنما أمرونا ألا نفتح فتحاً شديداً.

[قال ابن مهران]: وبه قرأنا، وهو الصواب".^(٥)

تابعه طاهر بن غلبون على تسمية الفتح ضد الإمالة ب: (الفتح اللطيف).^(٦)

٣- (الفتح المستحسن):

قال ابن مهران عنه: "والذي قرأته وأخذته عن المشايخ والأئمة لفظاً فالفتح؛ فتح مستحسن لا إفراط فيه ولا تفخيم. وكذلك قال البخاري وغيره: " لا أدري (بين الفتح والكسر) ما هو!! إنما أمرونا ألا نفتح فتحاً شديداً".^(٧)

(١) الحجة ١/٣٩٩.

(٢) التحديد ص ١٥٢.

(٣) المطبوع من جامع البيان ٣/٧٣٦، و ٨٧٠، و ٨٩٠ وانظر: التحديد ص ١٥٦، والتيسير ص ٥٦.

(٤) تلخيص العبارات ص ٤٦.

(٥) المبسوط ص ١٠٨.

(٦) التذكرة ١/٢٣٣.

(٧) المبسوط ص ٣٥٣.

٤ - (الفتح المتوسط، الفتح الوسط):

الفتح المتوسط من المشترك اللفظي استُعمل بمعنى الإمالة الصغرى، وبمعنى الفتح ضد الإمالة الذي يستعمله القراء.

فاستعمله أحمد بن يعقوب التائب بمعنى الإمالة الصغرى، وسيأتي في الإمالة الصغرى. واستعمله الداني بمعنى الفتح الذي يستعمله القراء.

قال الداني عنه: "والفتح على ضربين: فتح شديد، وفتح متوسط... والفتح المتوسط: هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء كابن كثير وعاصم وغيرهما".^(١)

أما الفتح الوسط فبيّن الداني ماهيته، فذكر أنه منزله بين التفخيم الشديد وبين الإمالة المحضة، قال: "وأما المفتوح فحقه أن يؤتى بين منزلتين، بين التفخيم الشديد الذي يستعمله أهل الحجاز في نحو: الصلاة والزكاة فينحون بالألف نحو الواو من شدة التفخيم - وهذه اللغة لا تستعمل في القرآن لأنه لا إمام لها - وبين الإمالة المحضة التي يستعملها القراء، وهي التي دون الكسر الصحيح"^(٢)

٥ - (الفتح البيّن):

استعمله الداني، قال: "وروى أحمد بن صالح عن ورش وقالون: (الرحمن) حيث وقع؛ الميم مفتوحة وسطاً من ذلك، وقرأت للجماعة ففتحها فتحاً بيناً".^(٣)

٦ - (الفتح الخفيف):

استعمله عبد الوهاب القرطبي.^(٤)

٢ - المعنى الثاني ل: (الفتح) = تحريك الشفتين بفتح الفم:

(١) الموضح لمذاهب القراء ل ١/ب.

(٢) التحديد ص ١٠٠-١٠١.

(٣) جامع البيان ٢/٣٦٤.

(٤) الموضح ص ٨٢.

استعمل أبو الأسود الدؤلي: (الفتح) عند وضعه لعلامات الإعراب: الفتحة، والضمّة، والكسرة، في حديثه للكاتب: "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه".^(١)

واستعمل الكندي: (الفتح) في مثل كلام أبي الأسود للكاتب، قال عن الباء: "نقول في الباء: إنها تحتاج إلى نغمة مع ضم الشفتين، وفتحها بهمزة"^(٢). يعنى تحريك الشفتين بالألف المدية في (باء)، وهكذا استعمله في وصف أكثر الحروف الهجائية الممدودة بألف. وعبرٌ يمثل ذلك عن الواو المدية، أي: بضمّة، والياء المدية وغير المدية، أي: بكسرة؛ لما كان كل ذلك من عمل الشفتين.

ومن اجل هذا ذكر السُّهيلي أن لفظ: (الفتح) من صفة العضو، و(النصب) من صفة الصوت، قال: "فقولنا إذاً: فتح، وضم، وكسر، وسكون، هو من صفة العضو، وإذا سميناها رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً، فهي من صفة الصوت؛ لأنه يرتفع عند ضم الشفتين، وينتصب عند فتحهما، وينخفض عند كسرهما، وينحزم عند سكونهما".^(٣)

٣- المعنى الثالث ل: (الفتح) = الفتح المعروف (تحريك الكلمات بالفتحة):

استعمله كثير من العلماء لا يحصون، منهم: سفيان الثوري^(٤)، والخليل^(٥)، وسيبويه^(٦)، وعباس بن الفضل^(٧)، والفراء^(٨)، وأبو عبيدة^(٩)، والأخفش^(١٠)، وعبد الله بن

(١) طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٩. وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٣٥.

(٢) رسالة في اللغظة ص ٥٢٤.

(٣) نتائج الفكر ص ٨٤.

(٤) نقل ذلك ابن مجاهد عنه في السبعة ص ٢٣١.

(٥) العين ٢٨١/١.

(٦) الكتاب ١٣/١.

(٧) نقل ذلك ابن مجاهد عنه في السبعة ص ٢٤٣.

(٨) معاني القرآن ١٨/١.

(٩) مجاز القرآن ٣١/١.

(١٠) القوافي ص ٣١.

ذكوان^(١)، وابن قتيبة^(٢)، والمبرد^(٣)، وقنبل^(٤)، والزجاج^(٥)، وابن مجاهد^(٦)، ومكي^(٧)،
والداني^(٨)، وأبو البركات الأنباري^(٩)، وغيرهم.

٤- المعنى الرابع ل: (الفتح) = الفتحة:

- الفتح من الألف: سيويه^(١٠)، وابن السراج^(١١)، والداني^(١٢)، والقرطبي^(١٣).

- الفتح والألف جنس واحد: الأخفش^(١٤).

٥- المعنى الخامس ل: (الفتح) = المد:

عَبَّرَ البزري وقنبل بلفظ: (الفتح) عن المد في كلمة: (ءانفا) [محمد ﷺ: ١٦].

قال الداني عن تعبير البزري: "لم يزد على ذلك. وأحسبه أراد المد، قد يعبر عنه
بالفتح، من حيث كانت الفتحة مأخوذة من الألف، وذلك مجاز... وكذلك روى ابن مجاهد
وسائر الرواة عن قنبل، وقال في كتابه: مفتوحة الألف، كما قال البزري سواء".^(١٥)

٦- المعنى السادس ل: (الفتح) = التفخيم:

-
- (١) نقل ذلك ابن مجاهد عنه في السبعة ص ٢٢٩.
 - (٢) تأويل مشكل القرآن ص ٤٨٣.
 - (٣) المقتضب ١/١٤٢.
 - (٤) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٤٦٥.
 - (٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٤١.
 - (٦) السبعة ص ٢١٤.
 - (٧) التبصرة ص ١٨٨.
 - (٨) التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، عناية أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م، ص ٧٣.
 - (٩) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٢٨٦.
 - (١٠) الكتاب ٤/١١٨.
 - (١١) الأصول ٣/١٠٢.
 - (١٢) الموضح في الفتح والإمالة ل ٢٤/أ.
 - (١٣) الموضح ص ٢٠٧.
 - (١٤) القوافي ص ١٢.
 - (١٥) تعبير البزري وقنبل والتعليق عليهما في جامع البيان للداني ل ٢٢٧/أ.

استعمله: أبو موسى يونس بن عبد الأعلى، وابن بليمة. (١)

قال ابن سفيان القيرواني عن مذهب يونس عن ورش في اللام: "وقد ذكر يونس عن ورش وسقلاب أنه قرأ (ثلاثة) عليهما بالفتح في جميع القرآن، يعني بالتفخيم (٢)، وكثير من المصريين يأخذون به، وكثير يأخذون بترقيق ذلك كله". (٣)

٧- المعنى السابع ل: (الفتح) = مشارك في الإمالة الصغرى:

لما كان أحد المعاني الكبرى ل (الفتح) الفتح ضد الإمالة استعمله بعض القراء في التعبير عن الإمالة الصغرى، كأحد الطرفين الواقع بين الألف المدية وألف الإمالة الكبرى، وإليك بعض هذه التعبيرات:

- (الفتح غير المشبع): خارجة بن مصعب. (٤)
- (لا يفتح الراء جداً في القراءة): أبو سعيد سقلاب بن شيبه المصري. (٥)
- (المفتوح شيئاً): ورش (٦)، وقالون. (٧)
- (مفتوحة وسطاً من ذلك): قالون (٨)، وأحمد بن صالح. (٩)
- (لا فتح شديد ولا بطح): داود بن أبي طيبة (١٠)، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن. (١١)

(١) تلخيص العبارات ص ٥٠.

(٢) من توضيح ابن سفيان لمعنى الفتح.

(٣) الهادي ١/١٧٨. والصحيح المقروء به في هذه الكلمة الترقيق لا غير. النشر ١/١١٥.

(٤) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٥٦٧.

(٥) نقل ذلك الداني في جامع البيان ٣/٨٨٣.

(٦) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٥٣٨.

(٧) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٥٣٨.

(٨) نقل ذلك الداني في جامع البيان ل ١٢٠/ب.

(٩) نقل ذلك الداني في المطبوع من جامع البيان ٢/٣٦٤ والمخطوط منه ل ١٢٠/ب ول ٢٥٠/ب.

(١٠) نقل ذلك الداني في جامع البيان ل ١٦٢/ب.

(١١) نقل ذلك الداني في جامع البيان ل ١٣٠/أ.

- (لا مفتوحة ولا مكسورة، وهي إلى الفتح أقرب): خلف بن هشام. ^(١)
- (الفتح قليلاً): خلف بن هشام. ^(٢)
- (لا مفتوحة ولا مكسورة): أحمد بن صالح ^(٣)، وأحمد بن يزيد الحلواني ^(٤)، وابن مجاهد. ^(٥)
- (يفتح ولا يسرف): أبو عون محمد بن عمرو الواسطي. ^(٦)
- (جزماً مفتوحة الحاء قليلاً): أحمد بن زهير صاحب التاريخ، قالها في حاء: (حم) ^(٧)
- (لا مفتوحة ولا مكسورة وسطاً من ذلك): أحمد بن سهل الأشناني. ^(٨)
- (لا يفتح ولا يميل، بل وسطاً من ذلك): ابن مجاهد. ^(٩)
- (الفتح اللطيف بإشارة إلى الكسر): ابن يونس محمد بن الحسن. ^(١٠)
- (الفتح المتوسط): أحمد بن يعقوب التائب. ^(١١)

وهذا اللفظ من المشترك اللفظي استعمله الدايني على أنه الفتح ضد الإمالة، كما تقدم في الفتح الذي يستعمله القراء.

٨- المعنى الثامن ل: (الفتح) = نقل الحركة أو مشارك فيها:

من الجمل التي شارك فيها: (الفتح) للتعبير عن نقل الحركة المفتوحة إلى ما قبلها:

-
- (١) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ل ٢٠٠/أ.
 - (٢) نقل ذلك عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٤٠٠/١ - ٤٠١.
 - (٣) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٨١٦/٣.
 - (٤) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٨١٧/٣.
 - (٥) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٧٨٦/٣. بلفظ: (لا مفتوح ولا مكسور)
 - (٦) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ل ١٣٠/أ.
 - (٧) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ٥٦٦.
 - (٨) نقل ذلك الدايني في الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل ٣٥/ب.
 - (٩) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٧٦١/٣.
 - (١٠) نقل ذلك عنه الخزاعي في المنتهى ص ٢٢٢. وانظر هذه المرتبة على مثلث الحركات.
 - (١١) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٧٧٤/٣.

١- (فتح اللام من غير همزة): قالها أبو سلمة عبد الرحمن بن إسحاق في نقل فتحة همزة (الأولين) إلى ما قبلها بعد حذف الهمزة، لتصير: (أولين).^(١)

٢- (فتح الياء من غير تشديد): قالها أحمد بن يحيى الملقب بثعلب في نقل فتحة همزة (شَيْئًا) إلى ما قبلها بعد حذف الهمزة، لتصير (شَيًا).^(٢)

٣- (فتح اللام): قالها أبو ربيعة محمد بن إسحاق (راوي البزي وقنبل) في نقل فتحة همزة (الأرض) إلى ما قبلها بعد حذف الهمزة، لتصير: (ألرض).^(٣)

٩- المعنى التاسع ل: (الفتح) = مشارك في ألف التفخيم المائلة نحو الواو:

عُبر عنه بلفظين: (الفتح الشديد) و(الفتح الجافي).

١- (الفتح الشديد):

استعمله: داود بن أبي طيبة^(٤)، وابن مهران^(٥)، وطاهر بن غلبون^(٦)، والدايني.

قال الدايني: "والفتح الشديد: هو نهاية فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف، ويسمى أيضاً التفخيم. والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه. وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان، ومن قرب منهم؛ لأن طباعهم في العجمة جرت عليه. واستعملوه كذلك في اللغة العربية، وهو في القراءة مكروه ومعيب".^(٧)

واضح من النص أن هذا الفتح الشديد مرتبط عند الدايني بحركات الفم ودرجة

انفتاحه.

٢- (الفتح الجافي):

(١) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٦١٨/٢.

(٢) نقل ذلك الدايني في جامع البيان ٥٩٩/٢.

(٣) نقل ذلك عنه الدايني في جامع البيان ٦١٨/٢.

(٤) نقل الدايني ذلك عنه في جامع البيان ٨٢٩/٣.

(٥) المبسوط ص ١٠٨، و ٢٧٤.

(٦) التذكرة ٢٣٣/١.

(٧) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل ١/ب.

استعمله: نصير بن يوسف. (١)

٣- المصطلح الثالث لظاهرة التفخيم: (التقير):

من المشترك اللفظي.

يدل أصلها اللغوي على غمز وكسر في الشيء ذاهبٍ سفلاً. يقال: هذا قَعْرُ البئر، وهذه قصعة قعيرة، وقَعْر الرجل في كلامه: شذو. (٢)

استعمل: (التقير) في أكثر من معنى، منها:

١- التفخيم. ٢- التكلف والتزيُّد في الكلام.

٣- تجويفات أعضاء النطق. ٤- من العيوب في القراءة.

١- المعنى الأول ل: (التقير) = التفخيم:

استعمله ورش في حكايته لمذهب نافع في الرءاء، نقل الداني بسنده إلى سقلاب بن شبيه قوله: "وقال لي عثمان [ورش]: يَقَعْرُ الرءاء في القراءة ما عدا (يفترينه) وما أشبهها، فإنها لا تُقَعَّر". (٣)

٢- المعنى الثاني ل: (التقير) = التكلف والتزييد في الكلام:

استعمله من العلماء: الجاحظ^(٤)، وابن قتيبة، قال: "ويستحب له أن يدع في كلامه التقير والتعقيب كقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته عنده: إِنْ سَأَلْتِكَ ثَمَنَ شَكْرِهَا وشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطْلُهَا وَتَضْهَلُهَا وكقول عيسى بن عمر - ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط: "والله إن كانت إلا أُثْيَاباً في أُسَيْفَاتٍ قَبْضَهَا عَشَارُوك". (٥)

(١) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان ل ٢٥٠/ب.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٦٥ و ١٠٣١.

(٣) جامع البيان ٣/٨٨٤.

(٤) البيان والتبيين ١/١٠٢.

(٥) أدب الكاتب ص ١٦. وانظر معاني هذه الألفاظ في مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٤٣، و ٥٠.

٣- المعنى الثالث ل: (التقعير) = تجويفات أعضاء النطق:

مضى استعمال الفارابي: (المقعرات) كتعبير عن تجويفات أعضاء النطق.

وذكر ابن سينا أن "الهواء في الحاء يندفع أميل إلى قُدَّام، ويصدم حافة التقعير الذي كان يصدمه هواء العين عند الخروج".^(١)

٤- المعنى الرابع ل: (التقعير) = جزء مشارك في عملية الإطباق:

تقدم استعمال ابن سينا له في وصف ظاهرة الإطباق حيث ذكر تقعير اللسان في هذه العملية.

٥- المعنى الخامس ل: (التقعير) = من العيوب في القراءة:

هو المبالغة في إخراج الحروف والإسراف في ذلك، قال أبو العلاء الهمداني عن علّة من يفعل ذلك: "قلت: وإنما يدعو هؤلاء الجهال إلى هذا التقعير والتشديق أنهم يسمعون القراءة الصحيحة والألفاظ القويمة ممن خدم الأستاذين، وقرأ على الشيوخ المبرزين، وتكلف مقاساة الأسفارة، وقطع البراري والقفار، وتسئم الآكام والعقاب الأوعار، والتطواف في المدن والأمصار، فيؤدّون على جهلهم أن ينخرطوا في سلك الحذاق، ويجروا وهم كوادن في مضمار العتاق".^(٢)

٤- المصطلح الرابع لظاهرة التفخيم: (التغليظ)

يَدُلُّ أصله اللغوي على ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك. غلظ يغلظ غلظاً: صار غليظاً. وغلّظ عليه الشيء تغليظاً.^(٣)

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١١٥.

(٢) التمهيد ص ١٣٤ - ١٣٥. والكوادن جمع كودن، وهو البغل. والعتاق جمع عتيق وهو الفرس الكريم. (لسان العرب

ك د ن، ع ت ق).

(٣) لسان العرب ٧/٤٤٩.

استعمل: (التغليظ) في موطنين، منها:

١- من العيوب في القراءة. ٢- التفخيم.

وكلاهما يرجعان إلى التفخيم.

١- الموطن الأول ل: (التغليظ) = التفخيم:

استعمله: أبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفي قاضي عكبرا، وأحمد بن جبير الأنطاكي^(١)، وأبو علي الحسن بن الحباب بن مخلد الدقاق^(٢)، وابن مجاهد^(٣)، وأبو الحسن العلاف البصري^(٤)، وأبو جعفر السعيدي، وابن سفيان القرواني^(٥)، ومكي القيسي^(٦)، والدايني^(٧)، وأبو علي الأهوازي^(٨)، والقرطي^(٩)، وأبو معشر الطبري^(١٠)، وأبو العلاء الهمداني^(١١)، وابن بليمة^(١٢).

وأكثر ما استعمل هذا المصطلح- عند من تقدم من العلماء- لتفخيم اللام فعرف

بها.

مثال: في قوله تعالى: (قالوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَغْلَمُ

حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ).

قال أبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفي في تفخيم لام لفظ الجلالة الأولى وترقيق

(١) نقل ذلك الداني في جامع البيان ٣/٩٠٥.

(٢) نقل ذلك الداني في التحديد ص ١٥٩.

(٣) نقل الداني ذلك عنه في جامع البيان ٣/٩٠٥.

(٤) نقل ذلك عنه الأهوازي ف الوجيز ١/٣٨.

(٥) الهادي ١/١٧٣.

(٦) التبصرة ص ١٤٤.

(٧) التحديد ص ١٥٩.

(٨) الوجيز لأبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازيّ الدمشقيّ (ت ٤٤٦هـ)، تحقيق: د. سمير معبر، رسالة

دكتوراه، بريطانيا، ١/٣٨.

(٩) الموضح ص ١٩٧.

(١٠) التلخيص ص ١٩٧.

(١١) التمهيد ص ٢٩٧.

(١٢) تلخيص العبارات ص ٥٢.

الثانية: "سألت الفراء عن تغليظ اللام في قوله: (رسل الله)، وترقيقها في قوله: (الله أعلم)؟ فقال الفراء: هو مثل قول الرجل: عبدُ أمِّه، وإِمامُه" اهـ.

قال الداني معلقاً: "وكلام الفراء في هذا حسن؛ وذلك أنه شبه اللام من اسم الله تعالى بهمزة الأم؛ إذ كانت تكسر مع الكسرة، وتفخم [تفتح] مع الفتحة والضمة؛ لتجانس الصوت بذلك، ويعمل فيه اللسان عملاً واحداً، من جهة واحدة؛ طلباً للخفة. وخصت همزة (أم) بهذا التغيير من حيث كثرة هذه الكلمة، وما كثر فكثيراً ما يلحقه التغيير".^(١) يعني شبهها بحركة الإتياع.

٢- الموطن الثاني ل: (التغليظ) = من العيوب في القراءة

استعمله: السعيدى، والقرطبي^(٢)، وأبو العلاء الهمداني.^(٣)

مثال: قال السعيدى: "ويُتجنب من تغليظ النون وتطينتها فتصير مثل الحرف المطبق، نحو: (النَّاس) و (النَّار)، و(النَّهار)".^(٤)

وهم يريدون النهي عن تفخيم ما لا يفخم، وعماد هذا قول القرطبي عن التجويد: "وأن يفخم ما يجب تفخيمه من غير مبالغة، وأن ترقق الراء في الموضع الذي يقتضى التريق، وتغلظ في الموضع الذي يقتضى التغليظ".^(٥)

٥- المصطلح الخامس لظاهرة التفخيم: (الإسمان، السمن، التسمين):

يدل أصله اللغوي على خلاف الضُّمِّرِ والهزال، من ذلك السمن، يقال هو سمين، والسَّمْنُ من هذا.^(٦)

(١) تعبير ابن الهيثم وتعليق الداني في جامع البيان ٩٠٥/٣.

(٢) الموضح ص ١٥٨.

(٣) التمهيد ص ١٣٠.

(٤) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٤٢.

(٥) الموضح ص ٦٧.

(٦) مقاييس اللغة ص ٤٦٨ (س م ن).

استعمل: (التسمين) في موطنين، منها:

- ١ - من العيوب في القراءة، وشاركه (الإسمان).
٢ - التفخيم.
وكلاهما يرجعان إلى التفخيم.

١ - الموطن الأول ل: (التسمين، الإسمان) = من العيوب في القراءة:

استعمل السعدي: (التسمين)، في أول كتابه دون أن يبين المقصود به، ثم بينه بعد ذلك - دون أن يذكر هذا اللفظ - كعيب من العيوب في اللام يكون بتفخيمها في غير موضع التفخيم، فنهى عن تفخيم اللام المرققة المفتوحة إذا جاورت لام لفظ الجلالة المفخمة، في نحو: (وأحل الله)، قال: "فإذا كانت قبله لام مشددة أو مفخمة فليتلطف القارئ بترقيقها".^(١)

ونقل القرطبي نص السعدي بلفظ: (الإسمان)^(٢)، وفي تميز واضح بين هيئة اللسان عند إسمان اللام، فقال: "اللام: هي الحرف المنحرف، وهي تخالط النون في المخرج، فيحاذر فيها الإسمان وإشراب الغنة. أما إسمانها فبأن يكون العمل فيها بوسط اللسان، وأدخل قليلاً من مخرجها".^(٣) فهو يشير إلى تراجع اللسان إلى الخلف عند التفخيم والمساحة الزائدة التي يشغلها اللسان عنده.

ووسع القرطبي من دائرة إسمان اللام ليشمل النون، قال عنها: "ويدخل عليها من الإسمان ما يدخل على اللام، وقد تقدم ذكر كيفية الإسمان في اللام".^(٤)

٢ - الموطن الثاني ل: (التسمين، السمن) = التفخيم:

استعمل ابن سفيان القيرواني: (التسمين) في وصف قراءة حمزة والكسائي للصاد في نحو قوله تعالى: (ومن أصدق من الله قيلاً)، وقرأ حمزة والكسائي بتسمين الصاد، واللفظ بها

(١) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٢٨، ٤٢.

(٢) الموضح ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق ص ١١٨.

(٤) المرجع السابق ص ١٢٠.

بين الصاد والزاي في اثني عشر موضعاً. (١)

وحت أبو العلاء الهمداني على تسمين الصاد من حروف الإطباق. (٢)

وأظن أنه يقصد إعطاءها مزيد عناية من التفخيم؛ لأن صوتها يتجه إلى السين إذا لم يعتن بها.

ومن هذه الأقوال التي تقدمت عرّف ابن الطحان الأندلسي التخليط بانه: "سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلىء الفم بصداه". (٣)

٢ - ظاهرة الترقيق:

استعمل لظاهرة الترقيق عدة ألفاظ، منها

١ - الكسر. ٢ - الترقيق. ٣ - البطح.

٤ - بين اللفظين.

ملاحظة: استعمل للترقيق أيضاً الألفاظ التي جاءت في التفخيم لكن بنفي، من ذلك: (ترك التخليط)، (ترك التفخيم).

١ - المصطلح الأول لظاهرة الترقيق: (الكسر)

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على كسر وضغط وتداخل، من ذلك قولك: كسرت الشيء أكسره كسراً، والكسرة: القطعة من المكسور. ويقال: عود صلب المكسر، إذا عُرِفَتْ جودته بكسره. وكسر الطائر جناحيه كسراً: إذا ضمهما وهو يريد الوقوع، ويقال: أرض ذات كسور، أي ذات صعود وهبوط، وكأنها قد كسرت كسراً. والكسر: الشقة السفلى من

(١) الهادي ٢/٢٦٢.

(٢) التمهيد ص ٢٩٦.

(٣) مرشد القارئ ٨/ب. وهذا التعريف للتفخيم هو المشهور عند المتأخرين من علماء التجويد كابن الجزري في التمهيد.

الخباء، تُرْفَع أحياناً وترخى أحياناً. (١)

استُعمل: (الكسر) في أكثر من معنى، منها:	
١- خفض الشفة السفلى دلالة على الكسر.	٢- الإمالة بنوعيتها.
٣- تحريك الكلمات بالكسرة.	٤- الجر الإعرابي.
٥- من علامة المبنيات.	٦- قصر صلة هاء الضمير المكسورة.
٧- مشارك في الإمالة الكبرى.	٨- الترقيق.

١- المعنى الأول ل (الكسر) = خفض الشفة السفلى دلالة على الكسرة:

استعمل أبو الأسود الدؤلي: (الكسر) بمعنى خفض الشفة السفلى عند وضعه لعلامات الإعراب: الفتحة، والضمّة، والكسرة، في حديثه للكاتب: "وإذا كسرتُ فمي فاجعل النقطة تحت الحرف". (٢)

واستعمل الكندي: (الكسر) في مثل كلام أبي الأسود للكاتب، وعدّ الياء المدية والياء غير المدية كسرة؛ لما فيها من خفض الشفة، قال عن العين: "نقول في نعت العين: تحتاج إلى نغمة مع نفس يمتد إلى اللهاة ويقف معها، فهزرة اللسان إلى اللهوات وفتحة بالغلصمة، وكسرة، وردُّ اللسان إلى صدر الحنك" (٣). وقال عن الشين: "الشين: تحتاج إلى إلزام اللسان جانبي الحنك والأرحية، وإخراج نفس شديد فيما بين ذلك، وكسرة، وهزرة طرف اللسان على مقاديم الأسنان وصدر الحنك". (٤)

يعني خفض الشفة السفلى بياء: (عين) غير المدية، وكذلك الياء المدية في (شين). وهكذا استعمل لفظ: (الكسر) في وصف أكثر الحروف الهجائية التي يوجد فيها ياء.

وعبر بمثل ذلك عن الواو المدية، أي: بضمّة، والألف المدية، أي: بفتحة؛ لَمَّا كان

(١) مقاييس اللغة ص ٨٩٣ (ك س ر).

(٢) طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٩. وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٣٥.

(٣) رسالة في اللغّة ص ٥٢٦.

(٤) المرجع السابق ص ٥٢٧.

كل ذلك من عمل الشفتين.

ومن أجل هذا ذكر السهيلي أن لفظ: (الكسر) من صفة العضو، و (الخفض) من صفة الصوت قال: "فقولنا إذاً: فتح، وضم، وكسر، وسكون، هو من صفة العضو، وإذا سميناها رفعاً ونصباً وخفضاً وحزماً، فهي من صفة الصوت؛ لأنه يرتفع عند ضم الشفتين، وينتصب عند فتحهما، وينخفض عند كسرهما، وينجزم عند سكونهما".^(١)

٢- المعنى الثاني ل: (الكسر) = الإمالة بنوعيتها:

قديم من القرن الأول الهجري.

استعمله- دون تفریق بين نوعي الإمالة- كثير من العلماء لا يُحصون، منهم: التابعي الجليل زر بن حبیش الأسدي^(٢)، وأبو عمرو بن العلاء^(٣)، وخارجة بن مصعب^(٤)، وابن جهمز^(٥) والكسائي^(٦)، وأبو بكر بن عياش^(٧)، وورش^(٨)، وأبو يوسف يعقوب الأعشى^(٩)، والفرأء^(١٠)، والأخفش^(١١)، والأصمعي^(١٢)، وعمرو بن الصباح^(١٣)، وأبو عبيد القاسم بن سلام^(١٤)، وحمد بن سعدان^(١٥)، ونصير بن يوسف^(١٦) وأحمد بن جبير الأنطاكي^(١)، وأبو

(١) نتائج الفكر ص ٨٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٧٤/٢.

(٣) الموضح للداني ل ١٣/ب.

(٤) السبعة لابن مجاهد ص ٤٧٠.

(٥) المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٦) المرجع السابق ص ٥٦٧.

(٧) المرجع السابق ص ١٤٢.

(٨) المرجع السابق ص ٢٠١.

(٩) الموضح للداني ل ٦/أ.

(١٠) معاني القرآن ٩٤/١.

(١١) إيضاح الوقف والابتداء ٤٣٧/١.

(١٢) السبعة لابن مجاهد ص ٦٧٥.

(١٣) جامع البيان للداني ٨٣٩/٣.

(١٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣.

(١٥) الموضح للداني ل ٣٤/ب.

(١٦) جامع البيان للداني ٨٠٠/٣.

شعيب صالح بن زياد السوسي^(٢)، والمبرد^(٣)، والزجاج^(٤)، وابن مجاهد^(٥)، وأحمد بن يعقوب التائب^(٦)، وابن خالويه^(٧) وابن مهران^(٨)، وابن زنجلة^(٩)، وأبو معشر الطبري^(١٠).

واستعمله بمعنى الإمالة الكبرى: عباس بن الفضل^(١١)، وسليم بن عيسى^(١٢)، والكسائي^(١٣)، وعبيد بن عقيل^(١٤)، وأبو عبيد القاسم بن سلام^(١٥)، وابن مجاهد^(١٦)، وابن خالويه^(١٧)، والأزهري^(١٨)، وعبد المنعم بن غلبون^(١٩)، وأبو معشر الطبري^(٢٠).

واستعمله بمعنى الإمالة الصغرى: أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران^(٢١)، وأحمد بن صالح^(٢٢).

٣- المعنى الثالث ل: (الكسر) = تحريك الكلمات بالكسرة:

استعمله كثير من العلماء لا يحرصون، منهم: عاصم بن أبي النجود^(١)، والخليل^(٢)،

(١) المنتهى، لأبي الفضل محمد بن جعفر الخزازي الجرجاني، رسالة دكتوراه للباحث محمد شفاعت رباني، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، ص ٢٠٩.

(٢) جامع البيان للداني ٧٩١/٣.

(٣) المقتضب ٤٧/٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٩/٢.

(٥) السبعة ص ١٤١.

(٦) جامع البيان للداني ٧٨٢/٣.

(٧) الحجة ص ١٧٩.

(٨) المبسوط ص ١٠٤.

(٩) الحجة ص ٣٢٧.

(١٠) التلخيص ص ١٨٤.

(١١) السبعة لابن مجاهد ص ٦٨٨.

(١٢) جامع البيان للداني ل ١٣١/أ.

(١٣) الموضح للداني ل ١٣/ب.

(١٤) السبعة لابن مجاهد ص ٦٨٨.

(١٥) إعراب القرآن للنحاس ١٧٣/٣.

(١٦) السبعة ص ٢٦٠.

(١٧) الحجة ص ٢٣٤.

(١٨) معاني القراءات ٤٠/٢.

(١٩) الاستكمال ص ١٧٥.

(٢٠) التلخيص ص ٢٥٧.

(٢١) جامع البيان للداني ٨٣٨/٣.

(٢٢) الموضح للداني ل ٣٤/ب.

والكسائي^(٣)، وأبو بكر بن عياش^(٤)، وورش^(٥)، والفراء^(٦)، وأبو عبيدة^(٧)، والأخفش^(٨)،
وابن السكيت^(٩)، وهشام بن عمار^(١٠)، والمبرد^(١١)، وثعلب^(١٢)، وابن مجاهد^(١٣)، وابن
خالويه^(١٤)، ومكي^(١٥)، والداني^(١٦)، وابن بليمة^(١٧).

٤- المعنى الرابع ل: (الكسر) = الجرّ الإعرابي:

انفرد الخوارزميُّ بنقل مصطلحات نسبها للخليل في وجوه الإعراب، ومنها مصطلح
الكسر، قال: "والكسر: ما وقع في أعجازِ الكلمِ غيرِ مُنَوَّنٍ، نحو: الجملِ"^(١٨). يعنى
الجر الإعرابي.

وقد طلبتُ هذا المصطلح بهذا المعنى في كتاب العين، فلم أعثر عليه، ولا حتى أكثر
معاني المصطلحات الأخرى التي نسبها للخليل، بله الكتب الأخرى التي اعتمدتُ عليها في
البحث، فلا أدري من أين له هذه المعاني؟

-
- (١) السبعة لابن مجاهد ص ٢١٨.
 - (٢) العين ٢/٢٠٠.
 - (٣) ما تلحن فيه العامة لأبي الحسن عليّ بن حمزة الكسائيّ (ت ١٨٩م)، د. رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ط ١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م، ص ١١٥.
 - (٤) السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٥.
 - (٥) معاني القراءات للأزهري ١/١٢٣.
 - (٦) معاني القرآن ١/١٧.
 - (٧) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، عناية د. محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة،
١٠٠/١.
 - (٨) القوافي ص ٣١.
 - (٩) إصلاح المنطق ص ٢٥.
 - (١٠) السبعة لابن مجاهد ص ٥٧٦.
 - (١١) المقتضب ١/١٤٢.
 - (١٢) مجالس ثعلب ١/١٢.
 - (١٣) السبعة ص ١٠٨.
 - (١٤) الحجة ص ٦٣.
 - (١٥) التبصرة ص ١٨٨.
 - (١٦) التيسير ص ٧٣.
 - (١٧) تلخيص العبارات ص ٧١.
 - (١٨) مفاتيح العلوم ٥٤.

وإذا ثبت هذا المصطلح بهذا المعنى للتحليل فإنه يُعَدُّ أقدم استعمال للفظ: (الكسر) بمعنى الجرّ، والله أعلم.

٥- المعنى الخامس ل: (الكسر) = من علامة المبنيات:

لم يُفَرِّق أبو الأسود الدؤلي بين العلامات الخاصة بالإعراب والبناء في تلك المرحلة المبكرة، فيُفَرِّد لكل منها اسماً خاصاً؛ وأتى التفريق متأخراً على يد سيويوه، ذكر ذلك السيرافي، فقال: "اعلم أن سيويوه لقّب الحركات والسكون هذه الألقاب الثمانية..."^(١).

فجعل سيويوه الكسر من علامة الأسماء والحروف المبنية^(٢).

٦- المعنى السادس ل: (الكسر) = قصر صلة هاء الضمير المكسورة:

استعمله من العلماء: ابن جهماز^(٣)، ومحمد بن سعدن^(٤)، وعبد الله بن ذكوان^(٥)، وإسماعيل القاضي^(٦)، والزجاج^(٧)، وابن خالويه^(٨)، وابن مهران^(٩).

٧- المعنى السابع ل: (الكسر) = مشارك في الإمالة الكبرى:

١- (الكسر بين الكسرين): أبو المستنير رجاء بن عيسى الكوفي، "أنه قرأ على إبراهيم بن زربي، وأنه قرأ على سليم عن حمزة بمد بين مدين وكسر بين كسرين"^(١٠).

لعله يريد به الإمالة الكبرى فهي بين الإمالة الصغرى والكسر المحض، وجميعها فيه انخفاض للشفة السفلى، ويأخذ وضعية الياء، والله أعلم. ويستأنس بالمعنى الأول في ذلك.

(١) المطبوع من شرح كتاب سيويوه ٦٥/١.

(٢) الكتاب ١٣/١.

(٣) السبعة لابن مجاهد ص ٤٨١.

(٤) جامع البيان للداني ل ١٨٨/أ.

(٥) السبعة لابن مجاهد ص ٢١٠.

(٦) المرجع السابق ص ٤٨١.

(٧) معاني القرآن وإعرابه.

(٨) الحجة ص ١٥٩.

(٩) المبسوط ص ١٨٣.

(١٠) جامع البيان للداني ٤٥٥/٢.

٢- (الكسر الشديد): نصير بن يوسف^(١)، وإدريس بن عبد الكريم الحداد.^(٢)

٨- المعنى الثامن ل: (الكسر): الترقيق:

عبر ابن مجاهد ب: (الكسر) عن ترقيق لام لفظ الجلالة إن سبقت بكسر، قال:
"استثقلوا الخروج من الكسر إلى التخليط".^(٣)

٢- المصطلح الثاني لظاهرة الترقيق: (الترقيق):

أصلان يدل أحدهما على صفة تكون مخالفة للجفاء، والثاني اضطراب شيء مائع.
فالأول الرَّقَّةُ، يقال: رَقَّ يَرِقُّ رِقَّةً فهو رقيق. ومنه: الرَّقَّاق، وهي الأرض اللينة. والرَّقَّاق: الخبز
الرقيق. والأصل الثاني: قولهم ترقق الشيء، إذا لمع. وترقق الدمع: دار في جملاق العين،
وترققت الشمس: إذا رأيتها كأنها تدور، والرقاقة: المرأة كان الماء يجري في وجهها.^(٤)

استعمل: (الترقيق): عاصم بن أبي النجود، وأبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفي
قاضي عُكْبَرَا^(٥)، وابن سفيان القيرواني^(٦)، ومكي بن أبي طالب^(٧)، والداني^(٨)، وابن
بليمة^(٩)، وأبو العلاء الهمداني^(١٠)، وابن الطحان الأندلسي.^(١١)

قال أبو بكر بن عياش: "سألت عاصماً عن قوله: (رُسُلُ اللَّهِ) [الأنعام: ١٢٤] قال:
فَنَحْمُ الْأَوَّلِ، وَرَقُّ الثَّانِي".^(١٢)

(١) المسبوط لابن مهران ص ١٠٩ وجامع البيان للداني ل ٢٥٠/ب.

(٢) جامع البيان للداني ل ١٣١/أ.

(٣) جامع البيان للداني ٩٠٦/٣، الموضح في الفتح والإمالة ل ٥١/أ.

(٤) مقاييس اللغة ص ٣٧٦ (رق ق).

(٥) نقل ذلك الداني عنه في جامع البيان ٩٠٥/٣.

(٦) الهادي ١٧٢/١.

(٧) التبصرة ص ٥٧.

(٨) جامع البيان ٨٨٦/٣.

(٩) تلخيص العبارات ص ٥٠.

(١٠) التمهيد ص ٢٩٧.

(١١) مرشد القارئ ل ٨/ب.

(١٢) التمهيد للهمداني ص ٢٩٧.

يعنى تفخيم الراء وترقيق اللام الأولى؛ لأن القراء أجمعوا على تفخيم لام لفظ الجلالة إذا سُيقت بضم أو فتح، قال الشذائي: "التفخيم في هذا الاسم - يعنى مع الفتحة والضمة - ينقله قَرْنٌ عن قرن، وخالف عن سالف" (١).

وما تقدم هو من النصوص القديمة الدقيقة المروية عن أحد جهايزة القراء من التابعين رضي الله عنه ويشهد بأصالة علم التجويد، وأن أبحاثه وقضايه ليست حادثة كما يظنه بعض المتعلمين المبتدئين اليوم، ممن هم ليسوا من أهل الاختصاص، سألهم الله وغفر لهم.

عرّف ابن الطحان الأندلسي التريق، فقال: "التريق: عبارة عن ضد التخليط، وهو تحوّل يدخل على الحرف فلا يملأ صداه الفم ولا يغلقه". (٢) وهذا يدل على ما قدّمته عن التفخيم والتريق من أنهما أتران سمعيان.

وبين الداني الفرق بين التريق والإمالة فذكر أن التريق يكون في الحرف، إذ كان من هيئته وطبيعته، وأن الإمالة إنما تكون في الحركة لسبب دعاها لذلك من أجل تحقيق الانسجام، قال: "والتريق هو في الحرف دون الحركة، إذ كان صيغته، والإمالة في الحركة دون الحرف إذ كانت لعلّة أوجبتّها، وهي تخفيف كالإدغام سواء" (٣).

يعني: لا يوصف الحرف بإمالة؛ بل بالتريق أو التفخيم مثل: الذال والطاء في نحو: (إذ وإظ). وأما يوصف بالإمالة أو الفتح فهو الحركة أو حرف المدّ، نحو الألف بعد: (ذا وظا)، ويكون تريق الصوت فيه تبعاً من حيث إنه حال تسقّل إلى الكسر.

ومن هنا قسّم ابن الطحان الأندلسي التريق إلى تريق مفتوح وغير مفتوح. يعنى بالأول تريق الحروف المستقلة كالذال والطاء وغيرها من المستقلة، غير الراء واللام في بعض الحالات، أما الثاني فهو الإمالة بنوعيتها، قال: "وهو نوعان: تريق مفتوح، وتريق غير مفتوح وهو الإمالة على نوعيتها. فكل فتح تريق، وليس كل تريق فتحاً [من حيث دخول الإمالة

(١) جامع البيان للداني ٩٠٥/٣.

(٢) مرشد القارئ ل/٨. وهذا التعريف هو الذي نقله ابن الجزري في التمهيد، واعتمد عند أكثر المتأخرين من أهل التجويد.

(٣) التحديد ص ١٦١.

فيه]. وكل إمالة ترقيق، وليس كل ترقيق إمالة [من حيث دخول الفتح فيه]"^(١).

٣- المصطلح الثالث لظاهرة الترقيق: (البَطْحُ):

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على تَبَسُّط الشيء وامتداده. بَطَحَهُ على وجهه بطحاً. والبطحاء: مسيلٌ فيه ذُقاق الحصى، فإذا اتسع وعَرَّض سُمِّيَ أَبطَح^(٢).

استعمل: (البَطْحُ) في أكثر من معنى، منها:
١- الإمالة بنوعيتها.
٢- الترقيق.
٣- الكسر.

١- المعنى الأول ل: (البطح) = الإمالة بنوعيتها:

استعمله بمعنى الإمالة دون تحديد لنوعها: خارجة بن مصعب^(٣)، وابن جمار^(٤)، وداود بن أبي طيبة^(٥)، وأبو بكر الأصبهاني^(٦)، وأحمد بن صالح^(٧).

واستعمله للإمالة الكبرى: داود بن أبي طيبة^(٨)، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن^(٩)، وابن الطحان الأندلسي، قال: "والألف الممالة نوعان: صوت مبطوح صِرْفٌ، ضد الفتح الصِرْف. وصوت بين الصَوْتَيْن: الفتح، والبطح"^(١٠).

واستعمله للإمالة الصغرى: أحمد بن صالح^(١١).

(١) مرشد القارئ ل٨/ب.

(٢) مقاييس اللغة ص ١٢١ (ب ط ح).

(٣) السبعة لابن مجاهد ص ٦٨٨.

(٤) المرجع السابق ص ٦٨٨.

(٥) جامع البيان للداني ٨٤٢/٣.

(٦) المرجع السابق ٨٤٢/٣.

(٧) المرجع السابق ل ١٣٠/أ.

(٨) المرجع السابق ٨٢٩/٣.

(٩) المرجع السابق ٨٨٣/٣.

(١٠) مخارج الحروف وصفاتها ١٣٨ ومرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل٨/أ.

(١١) جامع البيان للداني ٧٦٣/٣.

٢- المعنى الثاني ل: (البطح) = الترقيق:

استعمله: أبو الحسن علي بن يزيد بن كيسة للتعبير عن ترقيق لام لفظ الجلالة إن سُبِقَتْ بكسرة، قال الداني: "ولم يأت بتفخيم هذه اللام مع الفتحة والضمّة، وترقيقها مع الكسرة منصوصاً إلا داود بن أبي طيبة، عن ورش، عن نافع، وعن ابن كيسة، عن سُليمان، عن حمزة، غير أنه عبر عن الترقيق ب: (الْبَطْح) مجازاً واتساعاً، ولا أعلم له مخالفاً في ذلك من القرّاء والنحويين"^(١).

٣- المعنى الثالث ل: (البطح) = قصر صلة هاء الضمير المكسورة:

استعمل لفظاً: (المبطوح، والبطح) تعبيراً عن كسر هاء الضمير من غير صلة بياء، في نحو قوله تعالى: (نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى).

فممن استعمل لفظ: (المبطوح): قالون^(٢)، وإسماعيل القاضي^(٣).

وممن استعمل لفظ: (البطح) خلف بن هشان البزّار (القارئ العاشر)، وأبو العباس محمد بن أحمد بن واصل البغدادي^(٤).

٤- المصطلح الرابع لظاهرة الترقيق: (بين اللفظين):

من المشترك اللفظي.

استعمل: (بين اللفظين) في أكثر من معنى، منها:

١- الإمالة الصغرى، وهو الأصل، يعنون به: بن لفظ الفتح ضد الإمالة وبين الإمالة الكبرى.

٢- الترقيق على اعتبار أن الإمالة ترقيق فأخذت الاسم بالمُشَاكَلَة.

١- المعنى الأول ل: (بين اللفظين) = الإمالة الصغرى:

(١) جامع البيان ٣/٩٠٥.

(٢) المرجع السابق ٢/٤٣٥.

(٣) السبعة ص ٢٠٩.

(٤) جامع البيان ل ١٩١/أ.

استعمله: الزجاج، وعبد المنعم بن غلبون^(١)، وطاهر بن غلبون^(٢)، وأبو الفضل الخزاعي^(٣)، وابن سفيان القيرواني^(٤)، ومكي بن أبي طالب^(٥)، والداني^(٦)، وإسماعيل بن خلف^(٧)، وابن بليمة^(٨).

قال الزجاج: "وقرأ الكسائي السورة كلها بالإمالة، وقرأها أبو عمرو بن العلاء بين اللفظين"^(٩)

٢- المعنى الثاني ل (بين اللفظين) = الترقيق:

أول من نقل ذلك- دون أن يتجه كلامه إلى المعنى الأول- ابن سفيان القيرواني، قال عن الرء المضمومة المسبوقة بكسر في مذهب ورش: "فإن انكسر ما قبلها رقق الرء، وقد عبر الناس عنها: بين اللفظين، مثل: (ييصرون)".^(١٠)

لما كانت الإمالة نوعاً من الترقيق- كما تقدم- عبّر قوم من القراء عن الترقيق بـ: (بين اللفظين) اتساعاً في الدلالة، وللمشاكلة بينهما، يدل ذلك على قول ابن سفيان بأن قوماً عبّروا عنها بهذا اللفظ، والأصل ليس كذلك.

واستعمل لظاهرة الترقيق أيضاً الألفاظ التي جاءت في التفخيم لكن ينفي، من ذلك:

(١) الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عزّ وجلّ في مذهب القراء السبعة في التفخيم والإمالة وما كان بين اللفظين مجملاً كاملاً، لأبي الطيّب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون (ت ٣٨٩هـ)، تحقيق د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم، ط ١، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م، ص ٩٨.

(٢) التذکر ١/١٧١.

(٣) المنتهى ص ١٩٩.

(٤) الهادي ١/١٣٢.

(٥) التبصرة ص ١١٨.

(٦) التحديد ص ١٥٢.

(٧) العنوان ص ٦١.

(٨) تلخيص العبارات ص ٤٤.

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٣١.

(١٠) الهادي ١/١٨٥.

- (ترك التفخيم): أبو جعفر السعيدي. (١)

- (ترك التغليظ): مكّي بن أبي طالب القيسي (٢)، وأبو علي الأهوازي. (٣)

الصفات المتعلقة بأبنية الكلام العربي: (الإذلاق والإصمات)

الإذلاق والإصمات أصلان كبيران تنضوي تحتها أبنية كلام العرب، وبهما تُكشَفُ الكلمات العربية الأصلية من الدخيلة. دل عليهما الخليل في معجمه، وذكرهما النحويون والمجودون كانقسام من انقسامات الحروف، لا على أنهما صفتان من الصفات الصوتية، تماماً كتقسيمهم الحروف إلى صحاح وعلل، مما هو خاص بأبنية الكلام العربي، وهذا مرجعه إلى علم الصرف.

ذكر الخليل في مقدمة معجمه الحروف الصحاح التي بها يتألف كلام العرب على مراتبها في الحسن.

وقسمها إلى أربع مجموعات كالتالي:

١- المرتبة الأولى في التأليف:

الحروف الذُّلِقُ التي تكثر في أبنية الكلام، ويتألف منها أكثر كلام العرب، وبها تكون السهولة في المنطق (ل ن ر ف ب م)، نسبها إلى الذلاقة في المنطق؛ لأنها - في رأيه - تحصل بطرف اللسان والشفتين، بسبب حرية طرف عضو النطق وسهولة التحكم فيه. ولأجل هذه السهولة كثرت في أبنية الكلام، واستحقت اللقب الذي لقبها به، أعني: (المدلقة) (٤)، و(الحروف الذلق). (٥)

وقد تقدم في ذلق اللسان أن لفظ: (الحروف الذلق) من المشترك اللفظي، استعمله الخليل للحروف الستة نسبة إلى الذلاقة في المنطق، وأطلقه أيضاً على اللام والنون والراء نسبة إلى مخرجها، وهو ذلق اللسان.

(١) اختلاف القراءة في اللام والنون ص ٦٣.

(٢) التبصرة ص ١٤٠.

(٣) الوجيز ١/٣٨.

(٤) العين ٨/٤٢١.

(٥) المرجع السابق ١/٥٣.

قال الخليل: "وإنما سميت هذه الحروف **ذُلُقاً**؛ لأن **الذلاقة** في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفوتين، وهما **مَدْرَجَتَا** هذه الأحرف الستة... فلما **ذَلَقَت** الحروف الستة، ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها".^(١)

وكشف الخليل عن سر هذه الحروف في أن أي كلمة عربية رباعية أو خماسية لا بد أن يوجد فيها أحد الحروف الذلق أو أكثر، قال: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرفة من حروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو أثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب؛ لأنك لست واجداً من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو أثنان أو أكثر".^(٢)

وفي هذا توجيه خفي إلى معربي ومترجمي الألفاظ والمصطلحات الأجنبية أن يراعوا في وضع ألفاظهم المعربة خصائص هذه الحروف.

٢- المرتبة الثانية في التأليف:

الحروف التي تمتد من مخرج الشين إلى مخرج التاء: (ت د ط، ص س ز، ظ ذ ث، ض ش).

هذه الحروف مرتبطة بسطح اللسان وانبساطه على سائر الحنك، ومن هنا اختلفت - في رأي الخليل - عن اللام والنون والراء، ومنعها هذا الانبساط من التحرر والذلاقة في المنطق.^(٣)

انتقى الخليل من هذه المجموعة حرفين هما **الذال** و**السين**، ذكر أنهما يحسنان البناء، وبَيَّنَّ علة اختيارها.^(٤)

(١) العين ٥٢/١.

(٢) المرجع السابق ٥٢/١.

(٣) المرجع السابق ٥٢/١.

(٤) المرجع السابق ٥٣/١.

٣-٤ - المرتبة الثالثة والرابعة في التأليف:

وهي الحروف الحلقية: (ع ح ه غ خ) ^(١)، وهذه "أقل الحروف تألفاً بلا فصل". ^(٢)
وحروف أقصى الفم: (ق ك ج). ^(٣) وهذه لا تتجاور البتة، لا تجد في الكلام نحو:
قج، ولا جق، ولا كج، ولا جك، ولا قك، ولا كق. ^(٤)

أخذ الخليل من هاتين المجموعتين القاف والعين والهاء، فذكر عن القاف والعين
أنهما يحسنان البناء واصفاً إياهما ب: (النصاعة)، ومطلقاً عليهما لقب: (حرفي الطلاقة)،
وذكر علة اختيارهما. واستحسن وجود الهاء في الأبنية لئنها وهشاشتها. ^(٥)

أما حروف العلل (آ و ي ء)، فلا يشملها التصنيف السابق، لكثرتها في الكلام،
فهي تخرج عن دائرة الحروف الصحاح، والهمزة من أقصى الحلق لكنها تدخل في دائرة الألف
والواو والياء عند إبدالها إلى أحدها. ^(٦)

والخلاصة مما سبق أن الترتيب الذي اعتمده الخليل في هذا الموضع إنما يصدر عن
عقلية منظمة ترصد حركة الكلم العربي، وأن الحروف المدلقة وضعت في ذروة الحروف المحسنة
لتأليف كلام العرب، وأن كل ما سوها من الحروف الصحاح يمكن أن يعد درجة ثانية أو
ثالثة، والغرض من هذه التقسيمات كلها الكشف عن تأليف كلام العرب لا غير، وما يُحسَّنُ
البناء من الحروف.

ركز أكثر المتابعين للخليل على خروج هذه الحروف من طرف اللسان والشفيتين دون
أن يركزوا على السهولة التي تُحدثها هذه الحروف في الكلمة العربية. وخلطوا بين الألفاظ التي
وضعها الخليل لحروف الذلاقة وبين الألفاظ التي وضعها للنون واللام والراء فقط، فالخليل لم
يستعمل للذلاقة إلا مصطلحين اثنين هما: (المُدلقة) و(الحروف الدُّلق) في حين أنه

(١) العين ٥٢/١.

(٢) سر صناعة الإعراب ٨١٢/٢.

(٣) العين ٥٢/١.

(٤) سر صناعة الإعراب ٨١٤/٢.

(٥) العين ٥٣/١.

(٦) المرجع السابق ٥٢/١.

استعمل للّام والثّون والراء: (الدّليقة) و (الدّوَلقيّة)، و (الدّليقيّة)، و (حروف الدّلق)، وأخيراً: (الحروف الدّلق).

تابع الخليل على لفظ: (الحروف الدّلق): ابن دريد^(١)، وابن فارس بلفظ: (حروف الدّلق).^(٢)

وتابع الخليل على لفظ: (المُدلّقة): ابن دريد^(٣)، ومكي، وجمعها في (فر من لب)^(٤)، وأبو العلاء الهمداني، وجمعها في (مُر بنفل)^(٥)، وابن الأنباري.^(٦)
واستعمل ابن دريد أيضاً لفظ: (حروف الدّلاقة).^(٧) وتابعه: ابن جني^(٨)، والقرطبي^(٩)، والخفاجي^(١٠).

واستعمل مكي: (الحروف الدّليقيّة).^(١١)

واستعمل القرطبي: (الدّلاقة) كصفة من صفات الحروف.^(١٢)

لم يضع الخليل مقابلاً للحروف المدلّقة سوى أنه أطلق لفظ: (الحروف الصتم) على الحروف التي ليست من الحلق، قال: "الصتم من كل شيء: ما عَظُمَ وتَمَّ واشتد نحو: حجر صَنَمٌ، وبيت صتم، وجَمَل صتم. وأعطيته ألفاً صتماً، أي تاماً... والحروف الصتم: التي ليست من الحلق".^(١٣)

(١) الجمهرة ٢/٣١٦.

(٢) الصاحبي ص ٨٧.

(٣) الجمهرة ١/٧.

(٤) الرعاية ص ١٣٥.

(٥) التمهيد ص ٢٧٩.

(٦) أسرار العربية ص ٢٠٩.

(٧) الجمهرة ١/١١.

(٨) سر صناعة الإعراب ١/٦٤.

(٩) الموضح ص ٩٤.

(١٠) سر الفصاحة ص ٢١.

(١١) الرعاية ص ١٣٠.

(١٢) الموضح ص ٩٩.

(١٣) العين ٧/١٠٧.

وعلل مكّي بن أبي طالب لهذا اللقب، فقال: "وإنما سميت صتماً، لتمكنها في خروجها من الفم، واستحكامها فيه".^(١)

فإذا كان الخليل يعنى بهذا اللفظ ما سوى المذلفة فلا أدري وجه استثناء حروف الحلق منها. والذي يؤيد أن يكون لفظ: (الصتم) لكل ما سوى المذلفة قول عبد الوهاب القرطبي: "وأما الجُوف فأربعة أحرف: الهمزة مع حروف المد واللين، وسميت جُوفاً؛ لأن مخرجها لا معتمد له، وباقي الحروف صتم".^(٢)

كانت أول ولادة لمصطلح: (المصمتة) والتعليل لها على يد الأخفش، فقط نقل ابن دريد عنه بواسطة أنه قال: "وسميت الأخر مصمتة؛ لأنها أصمتت أن تختص بالحروف إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان، وأما الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا صرف. يريد: أنه ساكن لا يتصرف في الإعراب".^(٣)

ومن كلام الأخفش السابق عدّد ابن دريد الحروف المصمتة وجعلها اثنين وعشرين حرفاً وأسقط الألف منها، وتابعه مكّي.^(٤)

ضم ابن دريد الحروف المذلفة والمصمتة تحت أجناس سبعة؛ خمسة من المصمتة، واثنين من المذلفة:

فالمصمتة هي: حروف الحلق الستة، وحروف أقصى الفم القاف والكاف والجيم والشين، وحروف وسط اللسان مما هو منخفض السين والزاي والصاد، وحروف أدنى الفم التاء والذال والطاء، وحروف أدنى من حروف الفم الظاء والثاء والذال والضاد. ومن جنس الفم الواو والياء.

والمذلفة: حروف الشفة الفاء والميم والباء، والحروف التي تخرج مما بين أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى الرء والنون واللام.

(١) الرعاية ص ١٣٧.

(٢) الموضح ص ٩٦.

(٣) الجمهرة ٧/١. وقوله: (يريد...) من تفسير ابن دريد.

(٤) الرعاية ص ١٣٦.

وأخرج ابن دريد الألف من جملة المذلقة والمصمتة، كما تقدم.

تابع الأخفش على لفظ: (المصمتة): ابن دريد^(١)، وابن جني^(٢)، ومكي^(٣)،
والقرطبي^(٤).

وخلاصة هاتين الصفتين أن فائدتهما تفيد واضعي الألفاظ والمصطلحات أكثر من
فائدتهما لمجودي القرآن والقراءات؛ لأن القارئ لن ينبه المتعلم على الإتيان بالذلاقة والإصمات
كما ينبهه على الإخفاء والإدغام والهمس والصفير وغير ذلك من الصفات الواجب على
القراء تحقيقها والإتيان بها.

الصفات الخاصة بتميمات الحروف:

تحدث سيبويه في الوقف على أواخر الكلم عما يلحق الحروف الصحيحة المجهورة
والمهموسة من متميمات لها عند الوقف عليها، وذكر عدة ألفاظ استعملها لذلك، منها:
(الضغط) و (الإشراب)، و(المشربة). ومن المتميمات ذكر: (القلقلة)، و(النفخ)، و(نحو
النفخة).

استل العلماء هذه الألفاظ من كلام سيبويه، وعدوها بمثابة صفات للحروف،
وضمنوها كتبهم.

ولكي يكون هناك تصور تاريخي كامل لهذه الصفات فإني آثرت الانطلاق من كلام
سيبويه نفسه، مبيناً ماذا أخذ العلماء منه، وكيف استثمروا كلامه في كتبهم. وسأتناول هذه
الصفات واحدة واحدة.

(الإشراب):

من المشترك اللفظي. يدل على المخالطة. والإشراب: لون قد أشرب من لون. يقال:

(١) الجمهرة ٧/١.

(٢) سر صناعة الإعراب ٦٤/١.

(٣) الرعاية ص ١٣٥.

(٤) الموضح ص ٩٥.

أشرب فلان حب فلان، أي: خالط قلبه. (١)

استعمل: (الإشراب) في أكثر من معنى، منها:

١- الجهر في الحروف وشاركه لفظ (المشربة) في ذلك.

٢- وصف الصوت المختلط بغنة.

٣- إشماء الحروف.

٤- إشماء الحركة.

٥- من العيوب النطقية في بعض الأصوات، وشاركه في هذا المعنى: (التشريب، والتشرب).

١- المعنى الأول ل: (الإشراب)، (المشربة) = الجهر في الحروف:

تقدم استعمال الخليل ل: (الإشراب) في تعريف الهمس. واستعمال سيبويه ل:

(المشربة) في كيفية الوقف على المجهور والمهموس.

٢- المعنى الثاني ل: (الإشراب) = وصف الصوت المختلط بغنة:

استعمل سيبويه: (الإشراب) في وصف صوت الحرف المدغم بغنة، حيث نبه إلى أن الصوت الممتد الناشيء عن الإدغام بغنة ليس خالصاً من الأنف، إنما هو صوت المدغم فيه خالطه غنة من الأنف، قال عن النون. "وهي مع الراء واللام والياء والواو إذا أدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أشرب غنة". (٢)

وهذا من النصوص الدقيقة جداً التي تقوم حجة في وجه من يقرأ الإدغام في نحو:

(من يعمل) بغنة خالصة من الخيشوم، وتبين أن الصوت في الإدغام بغنة مقسوم بين الفم والأنف.

وذكر المبرد أن الميم الساكنة لا تدغم في النون؛ "لأن الميم تنفرد بالشفة، وإنما تشرب

(١) العين ٢٥٨/٦.

(٢) الكتاب ٤٥٤/٤. والإدغام بغنة في اللام والراء مقروء به في رواية حفص عن عاصم وغيرها من طريق طيبة النشر، وأنت ترى في نص سيبويه أنه مذهب معروف عند العرب. (إتحاف فضلاء البشر لابن البنا ١/١٤٤ - ١٤٥).

غنة من الخياشيم، فالميم داخله عليها، وهي بائنة من الميم".^(١)

وذكر- أيضاً- أن النون المتحركة تشرب غنة، قال: "والميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة، فلذلك تسمعها كالنون؛ لأن النون المتحركة مشربة غنة، والغنة من الخياشيم".^(٢)
وتابعه القرطبي في النون المتحركة.^(٣)

وذكر ابن جني أن اللام أضعف من الراء؛ "لما تُشْرَبُ من الغنة عند الوقوف عليها".^(٤)

٣- المعنى الثالث ل: (الإشراب) = إشماء الحروف:

استعمل أبو علي الفارسي: (الإشراب) في شرحه لإشمام الصاد والشين صوت الزاي في نحو: (أصدق، وأشدرق)، قال: "فأشربوا الصاد صوت الزاي لتقارب الدال في الجهر، ومثله قولهم: أشدرق في أشدرق، فأشربوا الشين صوت الزاي لتوافق الدال في الجهر"^(٥)

٤- المعنى الرابع ل: (الإشراب) = إشماء الحركة:

استعمل ابن جني: (الإشراب) في وصف الحركتين الفرعيتين اللتين بين الضمة والكسرة، وهما: الضمة المشمة كسراً، والكسرة المشمة ضمماً، فذكر أن ضمة قاف (المنقُر)، وعين (مذعُور)، وباء (ابن بُور) ضمة أشربت كسراً، كما أنها في (قُيل، وسِير) كسرة أشربت ضمماً، فهما لذلك كالصوت الواحد وذكر أنه ليس في كلام العرب ضمة مشربة فتحة، ولا كسرة مشربة فتحة.^(٦)

٥- المعنى الخامس ل: (الإشراب- التشريب، التشرب) = من العيوب النطقية في بعض الأصوات:

(١) المقتضب ٣٥٣/١.

(٢) المرجع السابق ٣٣٠/١.

(٣) الموضح ص ٩٣.

(٤) الخصائص ٥٤/١. وما قاله من احتواء اللام على غنة أخذه من ابن دريد على الأرجح. وانظر: الجمهرة ٩/١.

(٥) التكملة ص ٢٢٣. وانظر: الحجة ٥٥/١، و٤٠١/٦.

(٦) الخصائص ١٢١/٣.

استعمل السعيدي: (التشريب، والتشرب) كعيب من العيوب يكون بخلط صوت اللام بغنة في نحو: (جعلنا)، قال: "ويتكلف عندها لترقيق اللام لئلا يتشرب غنة النون".^(١) ونقل القرطبي أحد نصوص السعيدي في: (التشريب)،^(٢) واستعمل: (الإشراب) في التحذير من إشراب اللام غنة في نحو لام: (بسم الله) و (أنزلنا)^(٣)

(الحروف المشربة):

من المشترك اللفظي. يدل على ما دل عليه: (الإشراب).

لُقِّبَت الحروف بـ: (المشربة) لأكثر من معنى، منها:
١- الحروف المجهورة.
٢- تخفيف الهمزة.
٣- من صفات الحروف.
٤- الحروف الفرعية الستة المستحسنة.

١- المعنى الأول لـ: (المُشْرَبَة) = الحروف المجهورة:

استعمله سيبويه، وتقدم شرحه في الجهر والهمس في كيفية الوقف عليهما.

٢- المعنى الثاني لـ: (المُشْرَب) = تخفيف الهمزة:

ذكر أبو بكر ابن الأنباري عن أهل البصرة أنهم "يسمون الذي يُتْرَك همزة وهو يراد: (المشرب)؛ لأنه أشرب حركة الهمزة وأسقطت منه النبرة".^(٤)

لعلهم يقصدون بـ: (المشرب) المسهل همزه بين بين، والله أعلم.

٣- المعنى الثالث لـ: (المشربة) = من صفات الحروف:

نقل الذين جاءوا بعد سيبويه كلامه أو بعضه عن (المشربة)، وجعلوه ضمن صفات الحروف دون أن يبينوا لنا أن معنى هذا التلقب عنده هو الجهور من الحروف، واختلفت أوصافهم:

(١) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٢٨ و ٤٢.

(٢) الموضح ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق ص ١١٨ و ١٥٩.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٠٠. وانظر مصطلح: (ترك همز وهو يراد).

تابعه في كل كلامه: ابن جني^(١)، والقرطبي، وزاد عليها: النون المحركة، قال: "ومن الحروف المشربة لنون المحركة؛ لأن مخرجها من مخرج اللام، وهي مشربة غنة من الخياشيم".^(٢)

تابعه الداني في تلقيب أصوات القلقة بذلك.^(٣)

تابعه الهمداني في تلقيب أصوات القلقة، وأصوات شبه النفخ بذلك.^(٤)

٤- المعنى الرابع ل: (المشربة) = الحروف الفرعية الستة المستحسنة:

لُقِّب مكِّي الحروف الفرعية المستحسنة التي ذكرها سيويوه بعد الحروف الأصلية التسعة العشرين ب: (الحروف المشربة)، قال: "وهي الحروف الستة التي ذكرنا أن العرب اتسعت فيها فزادتها على التسعة العشرين: الحروف المستعملة: نحو الصاد بين الصاد والزاي وهمزة بين بين، وشبه ذلك فهي مشربة بغيرها".^(٥)

الصفة الأولى من متمات الحروف: (القلقة):

القلقة من أصلها اللغوي أن تدل على خلاف الاستقرار، وهو الانزعاج، يقال: تقلقل الرجل وغيره، إذا لم يثبت في مكان، وتقلقل المسمار: قلق في موضعه^(٦). قال الخليل: "والقلقة والتقلقل: قلة الثبوت في المكان... والقلقة: شدة الصياح، والإكثار في الكلام... واللَّقَّاق: الصوت. والقلقة: شدة اضطراب الشيء في تحركه، يقال: يتقلقل ويتقلقل؛ لغتان".^(٧)

القلقة: لفظ وضعه سيويوه ليدل به على مرحلة إطلاق الصوت في بعض الحروف الشديدة المجهورة. هي: الجيم والبدال والباء والقاف والطاء. ولُقِّبَت حروف القلقة بعدة ألقاب، منها: (حروف القلقة)، (المضغوطة).

(١) سر صناعة الإعراب ٦٣/١.

(٢) الموضح ص ٩٣ - ٩٤.

(٣) التحديد ص ١٠٩.

(٤) التمهيد ص ٢٨١.

(٥) الرعاية ص ١٣٠.

(٦) مقاييس اللغة ص ٨٢٣ (ق ل).

(٧) العين ٢٦/٥.

في الغالب يتألف الصوت الشديد من مرحلتين: مرحلة حبس للصوت ومرحلة إطلاق.

وتمثل القلقللة الجزء الثاني من هاتين المرحلتين.

كان نص سيبويه عن القلقللة المصدر الملهم لكل من جاء بعده:

قال سيبويه: "واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وَقَفَتْ عليها خرج معها من الفم صوت ونبأ اللسان عن موضعه، وهي **حروف القلقللة**، وذلك القاف والجيم والطاء والبدال والباء. الدليل على ذلك أنك تقول: الحِذْقُ فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت، لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشد صوتاً كأنهم الذين يرومون الحركة... ومنها حروف مشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئاً لما ذكرنا؛ لأنها لم تضغط ضغط القاف...".^(١)

استنبط العلماء من هذا النص عدة أمور:

١ - تعريفاتهم للقلقللة، حيث تابعه على ألفاظه دون تغيير: الداني.^(٢)

استبدل المبرد بالصويت في قول سيبويه لفظ: (النبرة)^(٣)، ومكي ب: (صوت يشبه النبرة)^(٤)، وسيأتي معنى: (النبرة) واستعمالاتها في موضع آخر.

وزاد ابن جني على ألفاظه لفظ: (الحفز)، قال: "واعلم أن في الحروف حروفاً مشربة تُحْفَزُ في الوقف، وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقللة، وهي القاف والجيم والطاء والبدال والباء. لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة **الحفز** والضغط".^(٥) وتدل كلمة: (الحفز) في أصلها اللغوي على الحث وما قرب منه، يقال: الرجل يحتفز

(١) الكتاب ٤/١٧٤ - ١٧٥.

(٢) التحديد ص ١٠٩.

(٣) المقتضب ١/٣٣٠.

(٤) الرعاية ص ١٢٤.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/٦٢.

في جلوسه إذا أراد القيام، كأن حاثاً حثه ودافعاً دَفَعَهُ. ^(١) وهذا اللفظ يتناسب مع القلقلة في كون الهواء المحبوس خلف المخرج يحثه على الانفتاح. وتابع ابن جني على هذا اللفظ: القرطبي. ^(٢)

٢- من قوله: "وبعض العرب أشد صوتاً كأنهم الذين يرومون الحركة...". أي: يتفاوت العرب في التصويت بالقلقلة قوة وضعفاً.

تابعه: ابن جني ^(٣)، وأبو العلاء الهمداني ^(٤)، بقولهما: "بعض العرب أشد تصويتاً". وفهم بعض العلماء من قول سيبويه: (كأنهم الذين يرومون الحركة) أن القلقلة تصح في الروم، قال ابن الطحان: "ولا يستطيع أن يوقف دونها مع طلب إظهار ذاته، وهي مع الروم أشد". ^(٥)

وسياًتي في النقطة الرابعة من تفسير كلام سيبويه أن هذا لا يصح.

٣- من قوله: "لأنها لم تضغط ضغط القاف....".

استمد بعض العلماء من هذه الفقرة أن القاف هي أصل حروف القلقلة: ذكر مكّي أن أصل القلقلة للقاف، وحملت أخواته عليه لشدة ضغطه، وزاد بأن علّل لوضوح صوت القاف عن غيرها من حروف القلقلة، قال: "والقاف أبينها صوتاً في الوقف؛ لقرّبها من الحلق، وقوتها في الاستعلاء". ^(٦)

ولعل مكياً اتبع في هذا أحد القوانين التي تحكم شدة الصوت، وهو أنه كلما قرب صوت الحرف من مصدر نفخ الهواء كان أشد تصويتاً، والله اعلم.

٤- من قوله: (ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت عليها خرج معها من الفم صوت

(١) مقاييس اللغة ص ٢٥٦ (ح ف ز).

(٢) الموضح ص ٩٣.

(٣) سر صناعة الإعراب ٦٢/١.

(٤) التمهيد ص ٢٨١.

(٥) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٥.

(٦) الرعاية ص ١٢٤.

ونبا اللسان عن موضعه).

التَّبْوُّ: يدل في أصله على ارتفاع في الشيء عن غيره أو تنح عنه^(١). وقد قرر سيبويه في موضع سابق أن الحرف الساكن إذ رفعت لسانك عنه بصوت فقد حركته^(٢). وهذا ما يحصل في القلقة.

استمد بعض العلماء من هذا أن صوت القلقة من جنس الحركات، وإن كان لا ينتمي لأي من الحركات العربية، وكلام ابن أبي مريم الشيرازي (ت بعد ٥٦٥ هـ) يؤكد هذا بوضوح، قال: "ومن الحروف أيضاً ما يسمى حروف القلقة، ويقال للقلقة أيضاً، وهي حروف مشربة في مخارجها إلا أنها تضغط ضغطاً شديداً، فإن لها أصواتاً كالحركات، تتقلقل عند خروجها أي تضطرب، ولهذا سميت حروف القلقة"^(٣).

ويجب أن نتنبه إلى أمر هام هنا هو أن هذا التحريك لا ينتمي إلى جنس الفتحة أو الضمة أو الكسرة بحيث يأخذ الفم شكل الفتحة المعروفة أو الضمة أو الكسرة بل إنه صوت حر ناتج عن انفتاح المخرج ولا يصاحبه حركة معتبرة للشفتين.

ومن ناحية أخرى فإن صوت القلقة ليس له تأثير على معنى الكلمة بخلاف الحركات المعروفة، فإن قلت: (يَدْعُونَ)، من الدعاء، بقلقة وبدونها فلن يؤثر لك في المعنى. لكن لو قلت: (يَدْعُونَ)، من الترك، لتغير المعنى تماماً.

وهذا ما أكده المعاصرون بقول أحدهم: "وينبغي أن نشير أيضاً إلى أن أصوات العلة المركزية التي تعتبر القلقة أوضح أمثلتها، لا تدخل تحت حرف من هذه الحروف، أي أنها وإن كانت أصواتاً لغوية فهي لتحديد موقع ورودها، أي أنها تخدم غرضاً موقعياً، ولا تدخل في النظام العَلِّيَّ للغة... ولا يمكن أن يقال عن واحد منها إنه من حرف الكسرة، أو الفتحة، أو

(١) مقاييس اللغة ص ٩٧٣ (ن ب و).

(٢) الكتاب ١٧٧/٤.

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها، لأبي عبد الله نصر بن علي المعروف بابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥ هـ)، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، ط ١، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م، ١/١٧٦.

الضمة".^(١)

٥- الألقاب التي أخذت من نص سيويه:

١- (حروف القلقة): تابعة على هذا اللفظ: المبرد^(٢)، وابن جني^(٣)، ومكي^(٤)، والداني^(٥)، وجمعها في (جد بطق)، والقرطبي وجمعها في: (طبق جد)^(٦)، وأبو العلاء الهمداني، وجمعها في: (قطب جد).^(٧)

٢- (الضغط): من المشترك اللفظي، وتقدم استعماله في: (الضَغَط).

٣- (المضغوطة): تقدم استعماله في: (الضَغَط).

الصفة الثانية: (نحو النفخة) أو (شبه النفخ):

استعمل سيويه: (نحو النفخة) في وصف الصوت الضعيف الفاتر المتمم للحرف، الذي يصاحب بعض الأصوات المجهورة عند الوقف عليها، وهذه الأصوات هي: الذال، والطاء، والزاي، والضاد، منها ثلاثة يخرج الصوت الضعيف المتمم لها من بين الثنايا، وأما الرابع وهو الضاد، فيخرج من بين الأضراس، قال: "ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأولي، وهي الزاي، والطاء، والذال، والضاد؛ لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا؛ لأنه يجد منفذاً فتسمع نحو النفخة، وبعض العرب أشد صوتاً، وهم كأنهم الذي يرومون الحركة. والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس".^(٨)

ولعل سيويه يقصد ب: (نحو النفخة) ما يحسه المرء- عند وضع يده قرب فمه- من

(١) مناهج البحث في اللغة ص ٦٩.

(٢) المقتضب ١/٣٢٨، و ٢٣٢.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٦٣.

(٤) الرعاية ص ١٢٤.

(٥) التحديد ص ١٠٩.

(٦) الموضح ص ٩٣.

(٧) التمهيد ص ٢٨١.

(٨) الكتاب ٤/١٧٤.

هواء ضعيف يصاحب- في الغالب- نغمة هذه الحروف المجهورة عند الوقف عليها.

ونبه سيبويه في موضع آخر على أن هذا الصوت الضعيف المتمم للحرف يكاد يذهب في الوصل إذا سكن الحرف؛ لأن أعضاء النطق تنشغل بنطق الصوت الذي بعده، قال: "ولا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتاً"^(١).

وهذا النص العظيم- في حال صدق ما استنتجته منه- يشهد للأداء الصوتي للقرآن المجيد، إذ يُنبّه المشايخ المتعلم على تحقيق هذه الحروف، والضغط عليها ليخرج هذا الصوت الذي سماه سيبويه: (نحو النفخة) في حالة الوصل والوقف.

وكان التحقيق لها في حال الوصل لما كان الأسلوب الصوتي الذي نزل به القرآن مبنياً على الترسل والتأني وإشباع الكلام بخلاف أسلوب العرب في كلامهم الذي يعتمد على السرعة والعجلة.

نقل الذين جاؤوا بعد سيبويه كلامه كما هو وجعلوه ضمن صفات الحروف، منهم: ابن جني^(٢)، والقرطبي^(٣).

ولقّب المبرد الظاء والذال والطاء ب: (حروف النَّفْث)، قال: "وهي حروف النَّفْث، وإذا تفقدت ذلك وجدته. ومعنى النفث: النفخ الخفي"^(٤). وتابعه ابن جني^(٥).

وهو شبيه بكلام سيبويه في الظاء والذال، لكنّ الثاء من الحروف المهموسة، وهي التي تخرج مع نفخ كامل ويشاركها باقي الحروف المهموسة في ذلك.

واستعمل أبو العلاء الهمداني: (شبه النفخ) بدلاً من: (نحو النفخة) في قول سيبويه^(٦).

(١) الكتاب ٤/١٧٥.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٦٣.

(٣) الموضح ٩٣.

(٤) المقتضب ١/٣٠٩.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/١٧١.

(٦) التمهيد ص ٣٨١.

الصفة الثالثة: (النفخ):

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على انتفاخ وعلو. منه: انتفخ الشيء انتفاخاً، ويقال: انتفخ النهار: علا، ونفخة الريح: إعشابه؛ لأن الأرض تربو فيه وتنتفخ، والمنفوخ: الرجل السمين^(١).

استعمل: (النفخ) في أكثر من معنى، منها:

١- الصوت المتمم الذي يلحق بعض الأصوات المجهورة.

٢- النفس المتمم الذي يلحق الأصوات المهموسة.

١- المعنى الأول ل: (النفخ) = الصوت المتمم الذي يلحق بعض الأصوات المجهورة:

ذكرت في النقطة السابقة استعمال سيويه ل: (نحو النفخة) للتعبير عن الصوت الضعيف الفاتر الذي يلحق الضاد والطاء والذال والزاي. واستعمل سيويه - أيضاً - لفظ: (النفخ) للتعبير عنه، قال: "ولو وضعت لسانك في مواضع الأربعة لاستطعت النفخ فكان آخر الصوت حين يفتت نفخاً، والراء نحو الضاد"^(٢).

وتابع ابن الطحان الأندلسي سيويه في استعمال لفظ: (النفخ) لهذه الحروف الأربعة، قال: "والنفخ في أربعة أحرف، وهي: الضاد والزاي والطاء والذال"^(٣). وأعاد صياغة كلام سيويه في تعريفه، فقال: "والنفخ - أيضاً - صوت حادث، عند خروج حرفه بضغطه عن موضعه، ولكنه دون ضغط القلقة؛ لأنك تجد الصوت إذا خرج من الصدر انسل آخره، وقد فتر من بين الثنايا؛ كأنه وجد منفذاً؛ فيسمع نحو النفخة؛ كالضاد تُرى أنها قد وجدت

(١) مقاييس اللغة ص ١٠٠٢ (ن ف خ).

(٢) الكتاب ١٧٥/٤.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٠.

منفذاً بين الأضراس" (١).

٢- المعنى الثاني ل: (النفخ) = النفس المتم الذي يلحق الأصوات المهموسة:

ذكر سيبويه أن الوقف على الحروف المهموسة يكون مع نفخ، وأن هذا النفخ يشبه نفس الحرف أثناء ارتباطه مع الحركة، فنفس الفاء والكاف في قولك: (فا وكا) هو كالنفخ في: (اف، واك). وأن العرب تتفاوت في تقوية هذا النفس.

قال سيبويه: "وأما الحروف المهموسة فكلُّها تَقِفُ عندها مع نَفْحٍ؛ لأنَّهم يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر، وإنما تنسلُّ معه، وبعض العرب أشد نفخاً، كأهم الذين يرؤمون الحركة، فلا بد من النفخ؛ لأن النَّفْسَ تسمعه كالنفخ" (٢).

نقل ابن جني كلام سيبويه عند حديثه عن صفات الحروف و انقساماتها (٣).

الصفة الرابعة الملحقة بتميمات الحروف: (المستوي من الحروف)

الاستواء يدل أصله اللغوي على استقامة واعتدال بين شيئين، يقال: هذا لا يساوي كذا، أي لا يعادله (٤).

بعد أن انتهى سيبويه من الحديث عما يلحق الحروف من متمات طبيعية لها عند الوقف ذكر أن هناك حروفا لا يلحقها شيء من هذه المتمات، ولم يعطها سيبويه اسماً (٥). لكن ابن جني ذكر لفظ: (المستوي) في أول تعداده لصفات الحروف (٦)، ولم يذكر هذا اللفظ بعد ذلك عند شرحه لصفات الحروف، سوى أنه أتى بنص سيبويه الذي تحدّث فيه عما يلحق الحروف من متمات ذاتية لها عند الوقف وما لا يلحقها منها. فأظن أن ابن جني يستعمل هذا اللفظ كنقيض للمتمات التي تلحق الحروف؛ أي الحروف التي لا يتبعها

(١) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٥.

(٢) الكتاب ٤/١٧٥.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٦٣.

(٤) مقاييس اللغة ص ٤٧٤ (س و ي).

(٥) الكتاب ٤/١٧٥.

(٦) انظر: سر صناعة الإعراب ١/٤.

شيءٌ عند الوقف^(١)، و الله أعلم.

ملاحظة مهمة حول متممات الحروف في بقائها عند الوصل

بعد أن انتهى سيبويه من ذكر ما يلحق الأصوات من متممات لها عند الوقف ذكر ملاحظة مهمة حول هذه المتممات، قال: "و اعلم أنّ هذه الحُرُوفَ التي يُسْمَعُ مَعَهَا الصُّوْتُ وَ النَّفْحَةُ فِي الْوَقْفِ لَا يَكُونَانِ فِيهِنَّ فِي الْوَصْلِ إِذَا سَكَنَّ؛ لِأَنَّكَ لَا تَنْتَظِرُ أَنْ يَنْبُو لِسَانُكَ، وَ لَا يَفْتُرُ الصُّوْتُ حَتَّى تَبْتَدِيءَ صَوْتًا"^(٢).

بعض العلماء فهم من ظاهر عبارة سيبويه ذهاب هذه المتممات بالكلية عند سكون هذه الحروف وصلاً كابن الطحّان الأندلسي^(٣).

لكن أكثر العلماء نبهوا على أنه لا يذهب الصوت المتمم بالكلية، بل يبقى جزء منه، وهو الذي يتجه من كلام سيبويه، لأنه من الطبيعي أنك حينما تنطق سينا ساكنة- مثلاً- في وسط الكلمة فلن يكون صوتها ممتداً كما في آخر الكلمة عند الوقف، ولن يذهب الصوت بالكلية، وهكذا لما تنطق حرفاً مقلقلاً ستبقى رائحة القلقلة في الوصل؛ ولذلك قال مكي عن صوت القلقلة: "فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بمن"^(٤). وقال ابن شريح في كتابه (نهاية الإتيان في تجويد القرآن) عند حديثه عن القلقلة: "وهي متوسطة كباء: (الأبواب) وجيم: (النجدين).... ومتطرفة كباء: (لم يتب).... فالقلقلة هنا أبين في الوقف في المتطرفة من التوسط، انتهى"^(٥).

وهو ما وضحه ابن جني من قبلهما حين ذكر أن صوت الساكن في الوصل يكون

(١) سر صناعة الإعراب ص ٦٣-٦٤.

(٢) الكتاب ٤/١٧٤-١٧٥.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٥-١٣٦.

(٤) الرعاية ص ١٢٤.

(٥) النثر في القراءات العشر، لشمس القراء محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، أشرف على مراجعته الشيخ العلامة محمد علي الضباع، دار الكتاب العربي، ١/٢٠٣-٢٠٤. والقراء إلى عصرنا الحاضر يحرصون على الإتيان بها وصلاً ووقفاً، قال ابن الجزري في التمهيد ص ١٢٢: "وقال لي شخص يزعم أنه إمام عصره: لا تكون القلقلة إلا في الوقف. فقلت له: سلاماً اهـ. يشير إلى قوله تعالى: (وإذا خاطبكم الجاهلون قالوا سلاماً).

ناقصاً عما عليه في الوقف، قال: "وسبب ذلك عندي أنك إذا وقفت عليه ولم تتناول إلى النطق بحرف آخر من بعده تلبثت عليه، ولم تسرع الانتقال عنه، فقدرت بتلك اللبثة على إتباع ذلك الصوت إياه. فأما تأهبت للنطق بما بعده، وتهيأت له، ونشمت فيه، فقد حال ذلك بينك وبين الوقفة التي يتمكن فيها من إشباع ذلك الصوت، فيستهلك إدراجك إياه طرفاً من الصوت الذي كان الوقف يقره عليه، ويسوغ إمدادك إياه"^(١).

بل إن ابن جني تميز أكثر من ذلك فجعل ثلاث درجات للصوت المتمم، بين ذهابه بالكلية في حال التحرك، وبين بقاءه بالكلية في حال الوقف، وبين بقاء بعضه عند سكونه في حال الوصل، وجعل هذا الأخير في بقاء الصوت المتمم كأنه لا ساكن ولا متحرك، وسأسوق نص ابن جني على طوله لما له من قيمة علمية:

قال ابن جني: "ألا ترى أن الحركة تنتقصه ما يتبعه من ذلك الصوت، نحو قولك: صَبَرَ وَسَلِمَ، فحركة الحرف تسلبه الصوت الذي يسعفه الوقف به، كما أن تأهيك للنطق بما بعده يستهلك بعضه.

فأقوى أحوال ذلك الصوت عندك أن تقف عليه، فتقول: إص.

فإن أنت أدرجته انتقصته بعده، فقلت: إصِر.

فإن أنت حرركه اخترمت الصوت البتة، وذلك قولك: صَبَرَ.

فحركة ذلك الحرف تسلبه ذلك الصوت البتة، والوقوف عليه يمكنه فيه، وإدراج الساكن يبقى عليه بعضه.

فعلت بذلك مفارقة حال الساكن المحشو به لحال أول الحرف وآخره، فصار الساكن المتوسط - لما ذكرنا - كأنه لا ساكن ولا متحرك، وتلك حال تخالف حالي ما قبله وما بعده"^(٢).

وهكذا تعد هذه المتممات للحروف أعني: القلقله وشبه النفخ من مشخصات

(١) الخصائص ٥٧/١-٥٨.

(٢) المرجع السابق ٥٨/١.

الصوت اللغوي ولوازمه عند المتقدمين لا أمراً خارجاً عنه، مثله في ذلك الصفات الأخرى، قال ابن جني: "ومع ذلك فإن هذا الصوت اللاحق... إنما هو بمنزلة الإطباق في الطاء، والتكرير في الراء، والتفشي في الشين، وقوة الاعتماد في اللام. فكما أن سواكن هذه الأحرف إنما تكال في ميزان العروض الذي هو عيار الحس وحاكم القسمة والوضع بما تُكال به الحروف السواكن غيرها، فكذلك هي أيضاً سواكن. بل إذا كانت الراء- لما فيها من التكرير- تجرى مجرى الحرفين في الإمالة، ثم لا تُعَدُّ في وزن الشعر إلا حرفاً واحداً، كانت هذه الأحرف التي إنما فيها تمام وتوفية لهذا أحمى بأن تُعَدُّ حرفاً لا غير".^(١)

وهذا النص يدل على الدقة والملاحظة الشديدة التي كان يتمتع بها هذا الرجل الفذ العالم بأسرار الحروف وأزماتها.

الصفات الخاصة ببعض الأصوات:

١- (المنحرف). ٢- (المكرر).

٣- (الحرف الشديد الذي يجرى معه غنة من الأنف) أو (حرفا الغنة)

هذه الألقاب الثلاثة وزعها سيبويه على حروف أربعة شديدة في الأصل لكن حدث فيها أمر أدى إلى جرى الصوت فيها، وهي اللام والراء والنون والميم. فخالفت بذلك حكم الشديدة والرخوة. في اللام ينحرف الصوت إلى جانبي رأس اللسان، فعبر عنه ب: (المنحرف). ويهتز طرف اللسان في الراء مسبباً جرى الصوت فيه، وهو الذي عبر عنه ب: (المكرر). ويجرى صوت الميم والنون كغنة في الخيشوم، وهو الذي عبر عنه بهذه الجملة الطويلة: (حرف شديد يجرى معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف) وعبر عنه أيضاً ب: (الغنة، أو حرفا الغنة، أو الأغن). ولولا أن العلماء أفردوا هذه الألقاب الثلاثة كصفات مستقلة، وأسهبوا في الحديث عنها لكان موضعها اللائق في الحروف التي تلحق الشديدة والرخوة.

(المنحرف، الانحراف):

(١) الخصائص ٢/٣٢٨-٣٢٩.

من المشترك اللفظي.

من أصله اللغوي أن يدل على العدول والانحراف عن الشيء، يقال: انحرف عنه
ينحرف انحرافاً، وحرّفته أنا عنه، أي عدلت به عنه. وتحريف الكلام: عدله عن جهته. (١)

استعمل: (الانحراف) في أكثر من معنى، منها:

١- ميل الحرف عن جهته ومخرجه.

٢- من صفات الحروف.

١- المعنى الأول ل: (الانحراف) = ميل الحرف عن جهته ومخرجه:

استعمل الخليل لفظ: (الانحراف) في تعليل صوتي لتمييز اللام والنون والراء عن غيرها من حروف اللسان، واختصاصها بالذلاقة في المنطق، قال: "وأما سائر الحروف، فإنها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين، بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان. ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون". (٢)

فكأنه يريد أن هذه الحروف الثلاثة أخذت حكماً خاصاً في حرية الحركة بطرف اللسان فعدلت بذلك وانحرفت عن حكم أخواتها، والله اعلم.

واستعمل سيبويه: (الانحراف) في الضاد والطاء والراء:

ففي الضاد: قال: "وقد تدغم الطاء والتاء والذال في الضاد؛ لأنها اتصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان، ولم تقع من الثنيّة موضع الطاء لانحرافها؛ لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مطبقة". (٣)

عد موضع اتصال طرف اللسان بالحنك في الضاد انحرافاً وميلاً وعدولاً إلى جهة اللام لأن مخرج اللام من طرف اللسان مع الحنك.

(١) مقاييس اللغة ص ٢٣٧ (ح ر ف).

(٢) العين ١/٥٢.

(٣) الكتاب ٤/٤٦٥.

وفي الظاء: ذكر سيبويه عن رخاوة الظاء والذال والثاء أنها أشد من رخاوة الصاد والسين والزاي، قال: "**لانحراف** طرف اللسان إلى طرف الثنايا".^(١) فعد التقاء طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا في الظاء والذال والثاء انحرافاً.

وفي الراء: في تبين أن الراء من مخرج النون، لكنها تشارك اللام في المخرج، قال: "ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً؛ **لانحرافه** إلى اللام مخرج الراء".^(٢) وقوله: "ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره **وانحرافه** إلى اللام، فتجافي للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء".^(٣)

عدَّ سيبويه مشاركة جزء من سطح طرف اللسان في الراء دخولاً في حيز اللام وميلاً إليها، ويكون ذلك بتعريض حافتي طرف اللسان - وهذا هو الجزء المشارك لمخرج اللام - وترك مجال الوسط حراً دون مس حقيقي؛ لأن اللام تخرج من فويق الضاحك والنباب والرباعية والثنية، أي بتعريض حافتي الطرف، وكذلك الراء تفعل ذات الفعل إلا أن جري الصوت مختلف بينهما؛ إذ تميل اللام إلى الجانبين، بسبب عقبة طرف اللسان، وتجري الراء في خط الوسط بسبب الاهتزاز الحر على طول سطح طرف اللسان، والله اعلم.^(٤)

٢- المعنى الثاني ل: (المنحرف) = من صفات الحروف:

تحدثت من قبل عن الحروف الشديدة في الأصل التي تأخذ حالاً متوسطة بين الشديدة والرخوة لكونها لقت أحد شروطهما، وذكرت أن سيبويه أعطى بعض الحروف ألقاباً معينة، فمن ذلك تلقيبه اللام حدها ب: (المنحرف)، قال سيبويه: "ومنها **المنحرف**: وهو حرف شديد جرى فيه الصوت **لانحراف** اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت لها الصوت. وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافي عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من

(١) الكتاب ٤/٤٦٢.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٣٣.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٣٥.

(٤) هذا التعليل هو لأستاذي الشيخ الدكتور أيمن رشدي سويد عند سؤاله عن مقصود كلام المتقدمين بالانحراف في الراء.

ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك".^(١)

فالذي يفيدنا إياه هذا النص - غير حال التوسط - أن هناك عقبة اعترضت مجرى الهواء في اللام فوجد الهواء منفذاً من جانبي نقطة الحبس، منحرفاً عن مساره، وبذلك استحق لقب المنحرف.

نقل أكثر أهل العربية والتجويد كلام سيبويه دون إضافات وجعلوا: (الانحراف) للّام وحدها، منهم: المبرد^(٢)، وابن جني^(٣)، والدايني^(٤)، والقرطبي^(٥)، وأبو العلاء الهمداني^(٦).
ووصف مكّي الرء واللام بالانحراف، ولقبهما بـ: (حرفا الانحراف).^(٧) وتابعه: ابن الطحان الأندلسي.^(٨)

ومحمل كلام مكّي لا يعدو أن يكون أن هذين الحرفين أحذا حالاً متوسطة بين الشدة والرخاوة فلم يحقق فيهما شروط الشديدة والرخوة، وبذلك انحرفا وعدلاً عن حكمهما. وهو حاصل كلام سيبويه الذي تقدم في الحروف التي بين الشديدة والرخوة. ومن المؤكد أن سيبويه لم يعط هذا اللقب للام لكونها أحذت حالاً متوسطة، وإلا لكانت كل الحروف المتوسطة تستحق هذا اللقب، لكن سيبويه أراد الانحراف الحقيقي للصوت من جانبي مستدق اللسان، وهو ما يحصل في اللام.

وأورد مكّي سبباً آخر لتلقيب الرء بالانحراف هو انحراف مخرج الرء من مخرج النون إلى مخرج اللام.

وكلام مكّي هذا لم يجد - أيضاً - عن كلام سيبويه الذي تحدث فيه عن انحراف مخرج

(١) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٢) المقتضب ١/٣٢٩ و ٣٤٨.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٦٣.

(٤) التحديد ص ١٠٨.

(٥) الموضح ص ٩٢.

(٦) التمهيد ص ٢٨٢.

(٧) الرعاية ص ١٣١.

(٨) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٣.

الراء إلى اللام. وقد بحثته في النقطة السابقة. وكذلك ذكر الداني، قال: "والمُنحرف حرف واحد، وهو اللام. وقال الكوفيون: المنحرف المكرر هو الراء؛ لأنه ينحرف عن مخرج النون إلى مخرج اللام، ولأن الناطق به كأنه ناطق براءين"^(١) فرجع كلامهم إلي قول سيبويه.

ويبدو لي أن إدخال الراء من جملة المنحرف عند مكّي هو تأثر بكلام سيبويه عن انحراف الراء إلى اللام لا أن هناك عقبة من اللسان تعترض الصوت فيخرج من الجانبين.

وخلاصة القول في هذه الصفة أنه إذا كان المقصود بالانحراف هو وجود عقبة في طريق الهواء سببت انحرافاً في الصوت إلى الجانبين فهذا ما تستحقه اللام وحدها. وإن كان أريد بهذه الصفة أنها أخذت حكماً متوسطاً بين الشدة والرخاوة فهذا ما تستحقه جميع حروف: (لن عمر)، وليس واحد منها أولى من الآخر وأخيراً إن كان أريد بهذه الصفة انحراف الهواء إلى جانبي مستدق اللسان كما في اللام أو تعريض الجانبين وميل الهواء إلى جهة الوسط مع الاهتزاز كما في الراء، فيمكن أن يسمى ذلك انحرافاً، وتصح حينئذ تلك التسمية عنهما، غير أنه خروج عن كلام سيبويه، والله أعلم.

وأعطى المعاصرون هذه الصفة للام وحدها، وحافظ بعضهم على لفظ: (الانحراف). واستعمل بعضهم لفظ: (الجانبية). ولم يخرج كلامهم عما تقدم من كلام سيبويه.^(٢)

ولتوضيح هذه الصفة بشكل مبسط راجع الشكل الذي تقدم في الأصوات التي بين الشدة والرخوة.

(الغنة، حرفا الغنة، الأغن):

١ - الغنة:

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على صوت كأنه غير مفهوم، إما لاختلاطه،

(١) التحديد ص ١٠٨.

(٢) علم اللغة لمحمود السعران ص ١٦٩.

وإما لعلة تصاحبه. (١)

استعمل لفظ: (الغنة) في أكثر من معنى، منها:

١- التنوين. ٢- النون. ٣- صوت حر يجرى في الخيشوم.
٤- من عيوب الكلام. ٥- صوت يجرى في الخيشوم تابع للميم والنون.
٦- صوت مقسوم بين الفم والأنف.
٧- النون التي تخفى عند الحروف الخمسة عشر.

١- المعنى الأول ل: (الغنة) = التنوين:

استعمله من العلماء: أبو الأسود الدؤلي، وأبو الفضل الخزاعي.

استعمل أبو الأسود الدؤلي: (الغنة) بمعنى التنوين في حديثه للكاتب: "فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين". (٢)

وقال أبو الفضل الخزاعي: "قولاً غير" و (من خلاف) بإخفاء الغنة عند الغين والحاء... " (٣)

يعنى بإخفاء التنوين في المثال الأول، والنون في المثال الآخر.

واستعمال أبي الأسود للغنة بمعنى التنوين أمر مقبول بالنظر إلى قدم عصره وعدم تمايز المصطلحات، أما الملفت للنظر فهو استعمال الخزاعي لهذا اللفظ تعبيراً عن التنوين أو النون- وكلاهما يرجعان إلى النون- مع ثبات هذا المصطلح في عصره.

ربما يرجع ذلك إلى نقله عبارات وألفاظ من تقدمه كما هي، أمانة منه في النقل، والله أعلم.

٢- المعنى الثاني ل: (الغنة) = النون:

استعمله من العلماء: الخليل، وأبو الفضل الخزاعي.

(١) مقاييس اللغة ص ٧٦٩ (غ ن ن).

(٢) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٢٩.

(٣) المنتهى ص ٢٥٣.

قال الخليل: "وناس من أهل حمص يقولون: حَنَظْ فإذا جمعوا رجعوا إلى الحُظُوظِ، وتلك النون عندهم غنة ليست بأصلية. وإنما يجرى على ألسنتهم في المشدد نحو الرز يقولون: رنز ونحو أترجة يقولون أترنجة ونحو اجّار يقولون أنجار، فإذا جمعوا تركوا الغنة ورجعوا إلى الصحة فقالوا: أجاجير وحظوظ".^(١)

وتقدم نص أبي الفضل واستعماله في النقطة السابقة.

٣- المعنى الثالث ل: (الغنة) = صوت حر يجرى في الخيشوم:

قال الخليل: "الغنة: صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم، يغور من نحو الأنف بعون من نَقَسَ الأنف".^(٢)

في هذا المعنى نسبت الغنة إلى المكان الذي تخرج منه، وإن كان بعض كلام الخليل غامضاً.

وعرّف ابن دريد الغنة، فقال: "الغنة: صوت يخرج من الخياشيم".^(٣)

وقال في موضع آخر: "الغنة: صوت من أصوات الخيشوم، وإليه سُمِّيَتْها".^(٤)

٤- المعنى الرابع ل: (الغنة) = من عيوب الكلام:

قال الخليل: "ويقال: ظأظأ يُظأظئ ظأظأة، وهو حكاية بعض كلام الأعم الشفة العليا والأهتم الثنايا العلى، وفيه غنة، رأيتهم يحكون ذلك".^(٥)

تدل الغنة في كلام الخليل على اختلاط الكلام وعدم فهمه عند أصحاب هذه العيوب، وخاصة للحروف التي تعتمد على الأسنان الأمامية، ولا دخل لصوت الأنف في هذا المعنى، والله أعلم.

(١) العين ٢٢/٣.

(٢) المرجع السابق ٣٤٨/٤.

(٣) الجمهرة ١١٧/١.

(٤) المرجع السابق ٧/١.

(٥) العين ١٤٧/٨.

وذكر أبو بكر الرازي سبب حدوث الغنة (الخنن) في الكلام كعيب مرضي، قال عن ذلك: "تدل على لحم نابت في المنخرين لأنه يتبع الكلام شيء من الصوت بمنزلة الطنين، فإذا كان المجرى الذي بين الأنف والفم مفتوحاً خرج هذا الطنين فيه، وكان لهذا الكلام صافياً، وإذا انسد المجرى واحتاج أن تخرج هذا من الأنف كان الكلام لذلك فيه غنة، وهذا هو المقدار من النفس الذي يُحتاج أن يخرج في حال الكلام".^(١)

وأظن أن الرازي يتحدث عن الزوائد اللحمية التي تسبب الخنن في الكلام، وعن الرنين الأنفي والجبهي والوجهي في الإنسان الطبيعي؟

قال المبرد: "والغنة: أن يُشرب الحرف صوت الخيشوم".^(٢) ذكره كعيب من عيوب الحروف.

وقال عنها: "وأما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن؛ لأنها ما لم تفرط تميل إلى ضرب من النعمة".^(٣)

٥- المعنى الخامس ل: (الغنة) = صوت يجرى في الخيشوم تابع للميم والنون:

هذا المعنى هو الذي دارت عليه أقوال أكثر المتقدمين من أصحاب المدرسة النقلية حيث أدركوا أن وظيفة الغنة في اللغة يقتصر على كونها صوتاً يجرى في الخيشوم يكون تابعاً للميم أو النون، يدل ذلك على ذلك أن صاحبهم وشيخ صنعتهم سيبويه لم يتحدث عن الغنة إلا في معرض حديثه عنهما، حتى في المكان الذي يُظن أن الغنة تستقل فيه استعمل لفظ: (النون الخفية)، وإليك بعض ما يفيد ذلك من أقوالهم:

- (الغنة تكون تابعة للنون والميم الساكنتين والتنوين): مكي.^(٤)

- (الغنة لا تكون منفردة في غير حرف، أو مخالطة لحرف لا غنة فيه؛ لأنها مما تختص

(١) الحاوي في الطب ٦٨/٣ - ٦٩.

(٢) الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط ٣،

١٤١٨=١٩٩٧م، ١/٥٠٠.

(٣) المرجع السابق ١/٥٠٤.

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ٩٢. وانظر: ص ١١٩، و ١٢٤.

به النون والميم لا غير): الداني. (١)

ويفهم من النص غير التبعية: أنه لا يجوز إدخال غنة في أي حرف لا غنة فيه، كمثال إدخال الغنة على حروف المد.

- (الغنة مركبة في جسم النون والتنوين): الداني. (٢)

- (الغنة صوت من الخيشوم يتبع الحرف وإن كان خروجه من الفم): عبد الوهاب القرطبي. (٣)

- (الغنة: الصوت الزائد على جسمي الميم والنون، منبعث عن الخيشوم المركب فوق غار الحلق الأعلى): ابن الطحان الأندلسي. (٤)

وهذه التبعية لها أحوال عدة، وأفرد لها مكّي بن أبي طالب القيسي باباً في الرعاية سماه: (باب الغنة) استعرض فيه أماكن وجود الغنة، حيث لاحظها في ثلاثة أماكن:

١- عند النون والميم، فتكون تابعة للنون الخالصة السكون والمتحركة، وكذلك للميم الساكنة.

٢- عند إدغام النون الساكنة والتنوين في النون والميم والياء والواو. (٥)

٣- عند إخفاء النون في الحروف الخمسة عشر، وهذا الثالث هو أعلى ظهور لصوت الغنة عنده. (٦)

وقد شارك بعض أصحاب المدرسة العقلية في الحديث عن تلك التبعية، قال ابن سينا عن صوت الغنة إذا خرج خالصاً من الخيشوم: "والميم والنون قد يكون منهما ما يقتصر فيه على الدوى الحادث من الهواء في تجويف آخر المَنخَر، ولا يردف حبسه عند الإطلاق بحفز

(١) جامع البيان ٢/٧٢٩.

(٢) المرجع السابق ٢/٧١٨.

(٣) الموضح ص ١٤٥.

(٤) مرشد القارئ ل ٤/أ، ومخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٤.

(٥) لم يتعرض لوجود الغنة عند إدغام النون في اللام والراء؛ لأنه أخذ بالأكثر المشهور، يعني بلا غنة.

(٦) الرعاية ص ٢٤٠.

للهواء إلى خارج، وهذا كغنة مجردة".^(١) فقلوه (منهما) يعطيك معنى التبعية.

٦- المعنى السادس ل: (الغنة) = صوت مقسوم بين الفم والأنف.

عرّف الفارابي الغنة، فقال: "الغنة: سلوك بعض أجزاء الهواء في الفم والأنف".^(٢)

هذا في علم الموسيقى وصناعة الغناء.

٧- المعنى السابع ل: (الغنة) = النون التي تخفى عند الحروف الخمسة عشر:

ذكرت في المعنى الخامس أن مكياً عد نون الإخفاء أعلى ظهور لصوت الغنة، لكونها

استقلت بهذا المخرج، ومن أجل هذا الاستقلال استحقت أن يطلق عليها لفظ: (الغنة).

وهو متابع لسيبويه في هذا، والفرق بينهما في اختلاف اللفظ حيث أطلق سيبويه

على نون الإخفاء التي جعلها خاصة بالمخرج السادس عشر لفظ: (النون الخفية أو

الخفيفة)^(٣)، وأطلق مكّي عليها لفظ: (الغنة)، ولذلك قال: "وتبين أن النون الخفية هي

الغنة، والنون المدغمة والمظهرة هي غير الغنة، والغنة تابعة لها"^(٤)

وعدّ سيبويه هذه النون الخفية من الحروف الفروع غير الأصول كألف الإمالة وهمزة

بين بين^(٥)، فوافقه مكّي بقوله: "والغنة حرف مجهور شديد لا عمل للسان فيها".^(٦) يعني:

(والنون الخفية حرف مجهور...)، وكل كلامه بعد هذا يدل على هذا المعنى، والله اعلم.

وهذه المواضع الفردية من مكّي في لفظ: (الغنة) هي التي جعلته هدفاً وغرضاً لمن

جاء بعده، بل وأغمضت دلالة كلامه.^(٧)

٢- المصطلح الثاني: (حرفا الغنة):

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٩٢. وانظر: ص ١١٩، و ١٢٤.

(٢) الموسيقى الكبير ص ١٠٧٠.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٤) الرعاية ص ٢٦٨.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٢.

(٦) الرعاية ص ٢٤٠.

(٧) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣١٣.

حرف الميم والنون هما الحرف الثاني والثالث - بعد اللام - من الحروف الشديدة في الأصل التي تتعرض لأمر يؤدي إلى جرى الصوت، ولم يلقبهما سيبويه في هذا الموضع بلقب معين، بل جاء تلقيبهما في موضع آخر ب: (حرفي الغنة).^(١)

قال سيبويه: "ومنها حرف شديد يجرى معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. وهو النون وكذلك الميم".^(٢)

وهذا النص لا يحتاج إلى كثير شرح: غلق لمخرجي الميم والنون في الفم وجريان لصوتيهما في الأنف.

أخذ العلماء كلام سيبويه في هذا الموضع، وتنوعت ألقابهم كالتالي:

تابعه على (حرفي الغنة): الرماني^(٣)، ومكي^(٤)، والداني^(٥)، والقرطبي^(٦).

واستعمل القرطبي لفظ: (حروف الغنة)، قال: "وأما حروف الغنة فالنون ساكنة ومتحركة، والميم، إلا أن الميم أقوى من النون؛ لأن لفظها لا يزول، ولفظ النون قد يزول عنها، فلا يبقى منها إلا غنة، وكذلك لم تدغم الميم في النون".^(٧)

والجزء الأخير من عبارة القرطبي من قوله: (إلا أن الميم أقوى....) مأخوذة بنصها من كلام الداني في احد كتبه.^(٨)

وهذه الملاحظة في الميم تقوم حجة في وجه من يباعد بين الشفتين في الميم عند الباء، أعنى في الإخفاء الشفوي. ونص الداني والقرطبي واضح كل الوضوح في أن إطباق الشفتين

(١) الكتاب ٤/٤٤٧.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٣٥.

(٣) شرح كتاب سيبويه ل ١٩١/ب.

(٤) الرعاية ص ١٣١.

(٥) التحديد ص ١٠٩.

(٦) الموضح ص ١٥٨.

(٧) المرجع السابق ص ٩٧.

(٨) التحديد ص ١٠٩.

في الميم ملازم لها في كل أحوالها لخلاف النون التي ينفصل فيها اللسان عن مخرجها في الإخفاء.

٣- المصطلح الثالث: (الأغن):

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على صوت كأنه غير مفهوم، إما لاختلاطه وإما لعله تصاحبه. من ذلك قولهم: قرية غَنَاء، يراد بذلك تجمع أصواتهم واختلاط جليبتهم، وواد أغن: ملتف النبات. ومنه الغنة في الرجل الأغن، وهو خروج كلامه كأنه بأنفه.^(١)

استعمل: (الأغن) في أكثر من معنى، منها:

١- لقب للذي يتكلم من انفه كعيب من عيوب النطق.

٢- وصف لصحاب الغناء الحسن.

٣- لقب للميم والنون.

١- المعنى الأول: الأغن = لقب للذي يتكلم من انفه كعيب من عيوب النطق:

تقدم قول ابن فارس في التعريف اللغوي عن الرجل الأغن، وقال الثعالبي: "الأغن: إذا كان يتكلم من قِبَل خيشومه".^(٢)

٢- المعنى الثاني: الأغن = وصف لصاحب الغناء الحسن:

عدّد ابن الطحان الموسيقى - بعد ذكره لكيفية اختبار الحلق، وطبقاتها الصوتية - الأوصاف التي توصف بها الحلق الإنساني بحسب ما تصدره من أصوات، وذكر منها: (الأغن)، قال: "الأغن: هو الذي فيه الغنة والحلاوة والنغم".^(٣)

٣- المعنى الثالث: الأغن = لقب للميم والنون:

لقّب أبو العلاء الهمداني النون والميم ب: (الأغن)، فقال: "والأغن: النون والميم؛ سميّا

(١) مقاييس اللغة ص ٧٦٩ (غ ن ن).

(٢) فقه اللغة ص ١٥٦.

(٣) حاوي الفنون ص ٤٩ - ٥٥. وقد رتبت المصطلحات فيها هجائياً، ولذلك جعلت الإحالة هنا.

بذلك لأن فيهما غنة، وهو صوت يخرج من الخياشيم".^(١)

(المكرر، التكرير):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على جمع وترديد، من ذلك: كَرَزْتُ، وذلك

رجوعك إليه بعد المرة الأولى: والتكرير: كالحشرجة في الحلق، سمي بذلك؛ لأنه يرددها.^(٢)

استعمل لفظ: (التكرير) في أكثر من معنى، منها:

١ - صفة ذاتية للمراء. ٢ - الحرفان المتماثلان.

٣ - من العيوب التي نهي القراء عنها.

١ - المعنى الأول ل: (التكرير): صفة ذاتية للرء:

التكرير في مفهومنا الحاضر هو الاهتزاز، وهو لقب وضعه سيبويه لحرف الرء ليدل به على كيفية جري الصوت فيه عن طريق خاصية اهتزاز طرف اللسان الذي يتمتع به ذلك الصوت.

وحرف الرء هو الحرف الرابع - بعد اللام والميم والنون - من الحروف الشديدة في الأصل التي تتعرض لأمر يؤدي إلى جري الصوت فيها لثبته سيبويه ب: (المكرر)، قال: "ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكثيره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الرء".^(٣)

نستخلص من هذا النص أن الذي سبب جري الصوت في الرء وأخذه حكم الحروف الرخوة هو التكرير وانحراف مخرجه إلى جهة اللام. ثم عاد سيبويه وأكد أنه بدون هذا التكرير لن يكون هناك جريان صوت للرء، فما هو هذا التكرير؟

هذا الموضوع من كلام سيبويه على درجة بالغة من الدقة فهو يريد أن يفسر كيفية ارتعاد طرف اللسان بالرء، وخروج صوتها، ولن يفهم هذا الموضوع جيداً حتى يُضم إليه ما

(١) التمهيد ص ٢٨٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٧٢ (ك ر ر).

(٣) الكتاب ٤/٤٣٥.

قاله عن الراء في المخارج، قال: "ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً؛ لانحرافه إلى اللام مخرج الراء".^(١)

لو اكتفى سيويه بأن قال لك: (ومن مخرج النون...) دون أن يُكْمِل وصفه لأصبح صوت الراء كالطاء والذال في الشدة، لكنه أراد أن يفسر لك ما الشيء الذي أكسب طرف اللسان خاصية الاهتزاز وحدث منه صوت الراء، إنه بلا شك يكون بتعريض حافتي طرف اللسان- وهذا هو الجزء المشارك في اللام- وترك مجال الوسط ملامساً لمساً خفيفاً للحنك، مما مكن الهواء من نفض الطرف فأكسبه ذلك الاهتزاز.

ويؤيد كلامي هذا ما ذكره ابن سينا في وصف حدوث الراء، قال: "وإن كان طرف اللسان متعرضاً للموضع الذي يمسه في اللام من غير مس صادق ولا التصاق برطوبة، ثم عُرِّضَ حافته بالعضلتين المطولتين تعريضاً أقوى من تعريض الطرف نفسه، وحمل عليه بالهواء حتى نفضه وأرعده، كما تفعل الريح بكل لين متعرض له متعلق من طرف منه بشيء ثابت حدث منه حرف الراء، وسُمِعَ التكرير الذي فيه الارتعاد قُدماً".^(٢) فانظر إلى توافق القولين ودقة الوصفين.

تابع سيويه على استعمال لفظ: (المكرر، التكرير) كثير من العلماء، منهم: المبرد^(٣)، والزجاج^(٤)، والنحاس^(٥)، وابن خالويه^(٦)، وأبو علي الفارسي^(٧)، وابن جني^(٨)، والداني^(٩).

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٣.

(٣) المقتضب ١/٣٣١.

(٤) معاني القرآن وإعراجه ١/٣٩٨.

(٥) إعراب القرآن ٢/١٦٠.

(٦) الحجة ص ٦٦.

(٧) التكملة ص ٢٧٩.

(٨) سر صناعة الإعراب ١/٦٣.

(٩) التحديد ص ٧٨.

ولَقَّب المبرد الرء ب: (حرف الترجيع).^(١)

واستعمل المتقدمون عدة ألفاظ أخرى للتعبير عن هذه الخاصية في الرء، منها:

١- (المضاعفة، التضعيف): استعمله سيبويه، قال: "والرء إذا تَكَلَّمَتْ بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدا إيضاحاً".^(٢) وتابعه ابن الطحان بلفظ: (التضعيف)^(٣)

٢- (النُّبوة): ذكر المبرد أن التكرير من فضائل الحروف، شارحاً آليته بقوله: "وتدغم اللام والنون في الرء، ولا تدغم الرء في واحدة منهما؛ لأن فيها تكراراً. فيذهب ذلك التكرير. ألا ترى أنك تقول في الوقف: هذا عمرو، فينبو اللسان نبوة، ثم يعود إلى موضعه، وإذا تفتنت لذلك وجدته بينا".^(٤) ويدل (النُّبُو) في أصله على ارتفاع في الشيء عن غيره أو تنح عنه.^(٥)

وتابعه: سبط الخياط.^(٦)

٣- (التعثر): استعمله ابن جني، قال: "وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير"^(٧).

٤- (الارتعاد، الإرعاد، الترعيد): يدل أصل هذه الألفاظ على حركة واضطراب، وكل شيء اضطرب فقد ارتعد.^(٨)

ذكر ابن سينا في وصفه لكيفية حدوث الرء والزاي أن ارتعاد سطح اللسان في الرء يكون في الطول، وفي الزاي بالعرض.^(٩)

(١) المقتضب ١/٣٣١.

(٢) الكتاب ٤/١٣٦.

(٣) المقتضب ١/٣٣١.

(٤) المقتضب ١/٣٤٧.

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٧٣ (ن ب و).

(٦) المبهج ١/٢٢٤.

(٧) المقتضب.

(٨) مقاييس اللغة ص ٣٩٠ (ر ع د).

(٩) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٠-١٢١.

واستعمل: (الترعيد) في وصف خروج الراء، والراء المطبقة، والغينية، فمثلاً: الراء الغينية "تحدث بأن يُتَغَرَّغِرَ بالهواء التغرغر الفاعل للغين، ثم يُرَعَّد طرف اللسان، أو يحدث في صفاق المنخر الداخل ذلك الارتعاد فتحدث راء غينية".^(١)

وتابعه مكّي^(٢)، وابن الطحان^(٣) في لفظ: (الارتعاد).

٥- (الاهتزاز): استعمله ابن سينا في وصف آلية حدوث الراء، قال: "وإذا كان الحبس أبيض وليس قوياً ولا واحداً، بل يتكرر الحبس في أزمنة غير مضبوطة كان منه الترعيدات في الإيقاعات، وذلك لشدة اهتزاز سطح اللسان حتى يحدث حبس بعد حبس غير محسوس حدث الراء"^(٤). وهذا الوصف دقيق للغاية حيث تعرض للاهتزازات غير المحدودة في زمن قصير مما يؤكد ذاتية هذه الصفة.

٢- المعنى الثاني ل: (التكرير، المكرر) = التضعيف:

ومعناه وصف الحرفين المتماثلين في كلمة وكلمتين، مُظهِرِينَ كَانَا أَمْ مُدْعَمِينَ.

استعمله من العلماء: المبرد^(٥)، والزجاج^(٦)، وابن دريد^(٧)، وابن جني^(٨)، والقرطبي، والخفاجي^(٩).

مثال: قال القرطبي: "إذا قرأت: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ) فَبَيِّنِ التَّكْرِيرَ بَيَاناً ظَاهِراً"^(١٠).

يوصى القارئ ببيان الميمات المتحركة، وخاصة الميم الثانية المضمومة، والثالثة

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) الرعاية ص ١٩٦.

(٣) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٣.

(٤) أسباب حدوث الحروف ص ٨٢.

(٥) المقتضب ١/٢٠٧.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢١٤.

(٧) الجمهرة ١/١٢٤.

(٨) المنصف ١/١٢.

(٩) سر الفصاحة ص ٤٧.

(١٠) الموضح ص ١٤٩.

٣- المعنى الثالث ل: (التكرير) = من العيوب التي نهى القراء عنها:

استعمل بعض القراء: (التكرير) للنهي عن المبالغة في إخراج الراء بحيث يخرج عن الحد فيصير عيباً نطقياً في التلاوة، كمثل قراءة الراء كما في اللغة الإسبانية حيث يضغطون على مخرجها بقوة يضطر معه الهواء إلى الاندفاع بقوة، ويؤدي ذلك إلى طرقات واهتزازات تحدث من طرف اللسان ليست خفية، بل مزعجة ومستبشعة على الأذن العربية السليمة.

استعمل ذلك: السعيدى^(١)، ومكي.

وفهم بعض المتأخرين من علماء التجويد من ظاهر عبارة مكي في الرعاية نفي التكرار جملة في الراء^(٢)، قال مكي: "والراء حرف قوى للتكرير الذي فيه... يجرى معه النفس لانحرافه إلى اللام، وللتكرير الذي فيه، فذلك قَدْرُ الرخاوة التي فيه.... والتكرير: هو ارتعاد طرف اللسان بالراء مُكْرَرًا لها، فأخفاء ذلك التكرير لا بد منه... وإذا تكررت الراء، والأولى مشددة أو مخففة وجب التحفظ على إظهارهما وإخفاء التكرير".^(٣)

وإخفاء التكرير لا يعنى - أبداً - إذهابه جملة، إذ كيف يُثبِتُ مكي التكرير في أول كلامه، ويجعله من قوة الحرف، بل ويثبت له ما أثبتته الجمهور من جري الصوت فيه، ثم ينفيه بعد ذلك في آخر كلامه، هذا معناه أنه أضعف حرف الراء ونقله إلى حال الشدة، وبعيد جداً أن يكون مكي قد رمى إلى هذا.

وعلينا أن نلاحظ البيئة التي ألف فيها مكي كتابه، أعنى الأندلس وهي إسبانيا اليوم، وهم الذين يكررون الراء تكريراً فاحشاً؛ إذ تخبرنا بعض كتب التاريخ أنه بالرغم من الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، وانتشار اللغة العربية في أوساطها، إلا أن عامة أهلها ما زالوا

(١) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٢٨.

(٢) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، لتركيا بن محمد الأنصاري الشافعي، (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق : د. نسيب نشاوي، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، ص ٥٤. وبين ابن الجزري خطأ من يقول بإذهاب التكرير جملة في الراء. (النشر ٢١٩/١).

(٣) الرعاية ص ١٩٥ - ١٩٦.

يحتفظون بلغتهم الأصلية، أعنى اللغة القشتاليّة، بل كانوا يؤلفون فيها الكتب^(١)، ولعل مكيّاً إذا لم ينبه على إخفاء التكرير أن يظن واحد من أهل تلك اللغة أن التكرير الفاحش للراء في لغته الأصلية هو موافق لما في كتب العربية والتجويد، فيأتي به عند تلاوته للقرآن. فكان الحث من مكي على إخفاء هذا التكرير الفاحش، لا إذهاب القدر الذي يبقى للراء صفته. ويؤيد كلامي هذا قول القرطبي: "الراء حرف مكرر منحرف... فيتوقى الإفراط في تكراره مع حفظ نظامه وتوفية نصيبه منه، سواء كانت الراء ساكنة أو متحركة".^(٢)

الصفات الخاصة ببعض فضائل الحروف:

تقدمت بعض الصفات التي تدل على فضائل الحروف، منها: الغنة في النون والميم، والإطباق للصاد والضاد والطاء والظاء، والتكرير في الراء. وبقي من هذه الفضائل التي عدّها المتقدمون: الصفير للصاد والسين والزاي، والتفشي، والاستطالة.

(الصفير):

من المشترك اللفظي.

من أصله اللغوي أن يدل على صوت للطائر وغيره. صفر يصفر صفيراً، وصفر بالحمار وصفر: دعاه إلى الماء. والصفارة: هنةٌ جوفاء من نحاس يَصْفِرُ فيها الغلام للحمام، ويصفر فيها أيضاً بالحمار ليشرب.^(٣)

استعمل في أكثر من معنى، منها:

١- من صفات الحروف. ٢- من عيوب الفصاحة.

١- المعنى الأول ل: (الصفير) = من صفات الحروف:

لُقّب سيبويه الصاد والسين والزاي ب: (حروف الصفير)، وذكر بأنهن أُندي في السمع من جاراتها، أعني الطاء والذال والتاء، والطاء والذال والتاء. وعد صفة الصفير من

(١) العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي ص ٤٥٣.

(٢) الموضح ص ١٠٥.

(٣) العين ١١٤/٧، ومقاييس اللغة ص ٥٤٦ - ٥٤٧ (ص ف ر)، ولسان العرب ٤/٤٦٤ (ص ف ر).

فضائل الحروف التي يُحافظ عليها، وتمنع حروفها من الإدغام في غيرها، فهي بمنزلة إطباق الطاء في المحافظة عليه والغنة في النون، قال: "وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن [يعنى: جاراتها في المخرج]؛ لأنهن حروف الصفير. وهن أئدى في السمع.^(١) وهؤلاء الحروف [جاراتها في المخرج] إنما هي شديد ورخو لسنن في السمع كهذه الحروف لخفائها. ولو اعتبرت ذلك وجدته هكذا. فامتنعت كما امتنعت الرء أن تدغم في اللام والنون للتكرير".^(٢)

ولم يُعرّف سيويه الصفير، ولا سبب خروجه.

أشار المبرد في توضيحه لمخرج الصاد والسين والزاي إلى ضيق المخرج المسبب للصفير، قال: "وحروف الصفير من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ولهن انسلال عند التقاء الثنايا؛ لما فيهن من الصفير".^(٣) ومعنى الانسلال في اللغة: المضي والخروج من مضيق أو زحام.^(٤)

ركز العلماء كسيويه على أثر هذه الصفة السمعي، فكان أول من ذكرها ضمن صفات الحروف مكّي بن أبي طالب القيسي.^(٥)

وتابعه في إدخالها ضمن الصفات: الداني^(٦)، والقرطبي^(٧)، وأبو العلاء الهمداني^(٨)، وابن الطحان الأندلسي.^(٩)

عرّف مكّي الصفير بقوله: "وحيقة الصفير: أنه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من

(١) معنى ندى الصوت في اللغة/ بُعِدُ مذهبه، وهو أئدى صوتاً منه، أي أبعد. (مقاييس اللغة ص ٩٨٤).

(٢) الكتاب ٤/٤٦٤.

(٣) المقتضب ١/٣٠٩.

(٤) لسان العرب ١١/٣٣٨ (س ل ل).

(٥) الرعاية ص ١٢٤.

(٦) التحديد ص ١٠٧.

(٧) الموضح ص ٩٧.

(٨) التمهيد ص ٢٨٢.

(٩) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٢٨.

طرف اللسان مما بين الثنايا تسمع له حساً ظاهراً في السمع".^(١)

وقال ابن الطحان الأندلسي: "والصغير: حدة الصوت؛ كالصوت الخارج عن ضغط ثقب".^(٢)

ونبه المجودون والقراء على تقوية صوت هذه الحروف، حدّث أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني عن دِقَّةِ شيخه يعقوب الحضرمي في الأداء، قال: "قرأت على يعقوب الحضرمي فَبَلَّغْتُ إلى قوله - عز وجل: (وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) [الحج: ٦٥]، فقال: يا سهل، سَمَعْنِي صغير السين، وطنين النون، وقععة العين".^(٣)

وهذا من النصوص الخطيرة النادرة عن أحد القراء العشرة التي تشهد بصحة ما يقرؤه القراء المتقنون اليوم حيث ينبهون على تبيين الصغير في السين المشددة، وغيرها من الملاحظات الصوتية.

وقال مكّي: "وإذا وقعت السين وبعدها حرف إطباق وجبت المحافظة على إظهار لفظ السين وبيان صغيرها؛ لئلا يخالطها لفظ الإطباق الذي بعدها فتصير صاداً. وذلك نحو قوله: (أمة وسطا) و(بيسط)".^(٤)

وخلاصة ما تقدم أن الصغير عند من تقدم صفة للصاد والزاي والسين. وهو عبارة عن حدة في الصوت، وأثر سمعي واضح ناشيء عن مرور الصوت في مجرى ضيق. ويُعَدُّ من فضائل الحروف التي يُحَافَظُ عليها، وينبه على الإتيان بها في هذه الأصوات الثلاثة.

ويبين الشكل - الذي تقدم بعيداً في أعضاء النطق - المجرى الضيق الذي تجرى فيه هذه الحروف (الجزء الملون من طرف اللسان).

وسع ابن سينا من دائرة حروف الصغير، فاستعمل لفظ: (الصغير) و (الهواء

(١) الرعاية ص ٢١٢.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٢.

(٣) نقل ذلك عنه أبو العلاء الهمداني في التمهيد ص ٢٩٦. وانظر خبراً آخر نقله عن مجهول يروى فيه هذا المصطلح ص ٢٩٧.

(٤) الرعاية ص ٢١٢.

الصارف) و(الصَّفَّار) في وصف أكثر من حرف، وضابط ذلك عنده أن أي نفوذ للهواء في مجرى ضيق بسبب صغيراً، فكلما ضيق عليه كان الصغير أحدًا، وكلما وُسِّع للهواء قلَّ الصغير، فوصف به الشين والثاء والسين، بل أعطاه للجيم. قال عن الثاء: "وأما الثاء فتخرج باعتماد من الهواء عند موضع الثاء بلا حبس، وبحبسٍ عند طرف الأسنان، ليصير الخلل أضيّق، فيكون صغير قليل مع القلع، وكان الثاء سين تُلوْفِيَتْ بحبس وتضييق فُرج مسلك هوائها الصَّفَّار" (١)

وأطلق ابن سينا لفظ: (الأسباب المُصْفِرة) على تحركات عضوي النطق التي تسبب جري الصوت في مجرى ضيق.

ويحتاج كلام ابن سينا إلى مكان خاص أوسع من هذا لعرض كلامه، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

٢- المعنى الثاني ل: (الصغير) = من عيوب النطق والفصاحة والتجويد:

ذكر الجاحظ أن الصغير قد يكون من عيوب النطق إذا خرج نتيجة كسر في الأسنان أو فرج فيها أدى إلى اندفاع الصغير مع كل الحروف، قال: "وقال خلاد بن يزيد الأرعط: خطب الجمحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام، وكان في كلامه صغير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة، فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه، إلا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصغير" (٢).

واستعمل القرطبي لفظ: (شوائب الصغير) عند حديثه عن الأخطاء التي يفعلها بعض المتعلمين عند نطقهم بالثاء، يريدون تحقيق همسها فيخرجونها ممزوجة بالسين أو الزاي، قال: "ومما يسرع إليه أن شوائب الصغير قد تلحقه فيتصل به طرف من الزاي والسين، وهو على لسان من يقوله أظهر منه على لسان البعض" (٣).

٢-٣- الصفة الثانية والثالثة الخاصتان ببعض فضائل الحروف: (التفشي والاستطالة):

(١) أسباب حدوث الحروف ص ١٢٢.

(٢) البيان والتبيين ٤٤/١.

(٣) الموضح في التجويد ص ١٠٢.

التفشي والاستطالة لفظان وضعهما سيويه ليدل بالأول منهما على ظهور الصوت وانتشاره في حروف لها مميزات تمنعها من الإدغام في غيرها، وهذا ما يدل عليه معنى التفشي فيها.

وأراد بالثاني أن ينبه إلى أن رخاوة الضاد والشين مكنتهما من الاتصال بمخارج الحروف الأمامية، أي حروف طرف اللسان، وجوزت إدغام أكثر هذه الحروف فيهما، وهذا هو معنى الاستطالة.

اختلف مفهوم العلماء بعد سيويه ل: (التفشي)، حتى كاد ينحصر في الأصوات التي فيها نفخ زائد للهواء كالشين والفاء والشاء. والشين أكثرها اختصاصاً بهذا المعنى. وبقي مفهوم: (الاستطالة) - في الغالب العام - كما أراده الواضع الأول، وإن كنا نلاحظ في عباراتهم بعض التداخل في المصطلحين.

(التفشي):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على التوسع والانتشار. قال الخليل: "فشأ الشيء يفشو فشوا إذا ظهر وهو عام في كل شيء ومنه: إفشاء السر. ويكتب بالسواد على الشيء فيتفشى فيه أي: ينتشر. وتفشى بهم المرض وتفشاهم المرض... وفشئت على فلان أمره أي: انتشرت فلم يدر بأي ذلك يأخذ وأفشيته أنا. والفواشي: كل ما ينتشر من المال مثل الغنم السائمة والإبل وغيرها.

والتفشي: التوسع. وفشأ وتفشى: توسع وكثر وظهر".^(١)

(١) العين ٢٨٩/٦.

استعمل: (التفشي) في أكثر من معنى، منها:

١- لقب جامع يدل على ظهور الصوت وانتشاره في مجموعة من الحروف لها فضيلة صوت تمنعها من الإدغام، وهذه الحروف هي: الصاد والضاد والطاء والظاء وفضيلتها بالإطباق، والراء بالتكرير، والضاد والشين بالاستطالة. ويُلاحق بهذه المجموعة الصاد والسين والزاي للصفير، والنون لبقاء الغنة.

٢- الانتشار الزائد لهواء بعض الحروف المهموسة الرخوة فوصفت به الفاء والسين والشاء والشين.

٣- الرخاوة في الضاد والشين المؤدية إلى اتساع مخرجيهما واستطالته.

٤- معنى غامض؟؟؟

١- المعنى الأول ل: (التفشي) = لقب جامع للحروف التي تملك فضيلة صوت تمنعها من الإدغام:

استعمل سيبويه هذا الوصف العام ليدل به على حروف لها مميزات تميز بها عن غيرها من الحروف، وتمنعها من الإدغام في غيرها، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وتميز بالإطباق. والراء بالتكرير. والشين والضاد بالاستطالة. ويضاف إلى هذه الصفير والغنة.

بدأ سيبويه بالحروف المطبقة فذكر أن الظاء أفشى في الفم من الشاء، قال عن الشاء: "لأنها ليست كالظاء في الجهر والفشؤ في الفم"^(١) ولعله يريد بهذا الفشو الأثر التفخيمي في حروف الإطباق.

ويؤيد هذا ما ذكره عن الطاء في موضع آخر من أن المطبق أفشى في السمع من غير المطبق.^(٢)

وكذلك قوله عن إبدال السين صاداً: "وأنت في: صُفَّتَ تضع في موضع السين حرفاً أفشى في الفم منها للإطباق"^(٣)

(١) الكتاب ٤/٤٨٠.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٦٠ و٤/٤٧٨.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٧٨.

وقال عن الراء: "والراء لا تدغم في اللام ولا في النون؛ لأنها مكررة، وهي تَفْشَى إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يُجْحِفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر. ويقوى هذا أن الطاء وهي مطبقة لا تُجْعَل مع التاء تاء خالصة لأنها أفضل منها بالإطباق، فهذه أجدد أن لا تدغم إذ كانت مكرره"^(١). فسوى بين الراء والطاء في عدم الإدغام للعلة الجامعة وهي تفشى الصوت وظهوره.

وقال عن الشين: "والشين لا تدغم في الجيم؛ لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها والتفشي، فكرهوا أن يدغمونها في الجيم، كما كرهوا أن يدغموا الراء فيما ذكرت لك"^(٢). فسوى بين الشين والراء في عدم الإدغام للعلة الجامعة وهي تفشى الصوت وظهوره.

وبين سيويه أن هذا التفشي في الشين يلحظ أثره في مخرج الطاء، قال: "وأما الحرف الذي ليس من موضعه فالشين؛ لأنها استطالت حتى خالطت أعلى الثنيتين، وهي في الهمس والرخاوة كالصااد والسين، وإذا أجريت فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف لسانك وانفراج أعلى الثنيتين"^(٣).

أي تشعر بهواء الشين بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا في مخرج الطاء.

ومن هذه الفقرة من كلامه عن الشين، وفقرة أخرى تأتي في (الاستطالة) دارت أكثر عبارات العلماء حول هذه الظاهرة.

والذي يؤيد أن لفظ: (التفشي) هو وصف جامع لما تقدم قول سيويه عن جواز إدغام التاء في الدال، والدال في التاء دون أن يكون لأحدهما مزية على الآخر: "وكذلك التاء مع الدال، والدال مع التاء؛ لأنه ليس بينهما إلا الهمس والجهر، ليس في واحد منهما إطباق

(١) الكتاب ٤/٤٤٨

(٢) المرجع السابق ٤/٤٤٨.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٧٩.

ولا استطالة ولا تكرير"^(١) فذكر المزايا الجزئية دون أن يذكر من بينها التفشي، وذلك لأن هذه الثلاثة يجمعها ذلك اللقب، أعنى التفشي وظهور أصواتها.

كانت المواضع السابقة هي الأماكن التي ذكر فيها سيويه لفظي: (التفشي والفُشُو) صراحة.

أما عن حروف الصفير فقد قال عنهن: "لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع".^(٢) وفي بعض المواضع سوّى بينهن وبين الرء في عدم الإدغام.^(٣) وكذلك سوّى بين بقاء الغنة في النون وبقاء الإطباق في المطبق.^(٤)

ولم ألحظ هذا المعنى الواسع للتفشي عند من جاء بعده، إلا أن في كلام المبرد ما يشير إلى هذا المعنى، قال المبرد عن فضيلة الشين بزيادة صوتها الذي يمنعها من الإدغام، مقرأ قاعدة ذهبية من قواعده: "ولا تدغم الشين في الجيم البتة؛ لأن الشين من حروف التفشي، فلها استطالة من مخرجها حتى تتصل بمخرج الطاء. والإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها"^(٥)

فقوله عن الشين إنها من حروف التفشي يدل على أن هذا اللفظ عنده لا يختص بالشين وحدها، وقوله من أن الإدغام لا يبخس الحروف ولا ينقصها هو الذي يشير إلى معنى سيويه، أعنى المحافظة على مزايا الحروف.

٢- المعنى الثاني ل: (التفشي) = الانتشار الزائد للهواء في بعض الحروف المهموسة الرخوة:

كانت الفقرة الخاصة بالشين واتصال هوائها بالطاء في كلام سيويه المصدر الملهم للذين جاؤوا من بعده، واستخلص أكثرهم منها أن (التفشي) خاص بانتشار الهواء المحسوس

(١) الكتاب ٤/٤٦٠.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٦٤.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٦٥.

(٤) المرجع السابق ٤/٤٦٠.

(٥) المقتضب ١/٣٤٦.

الذي تملكه بعض الحروف المهموسة الرّحوة، ولما كانت الشين هي أكثر اختصاصاً بهذا المعنى لوضوح هذا الانتشار فيها جعلها أكثرهم خاصة بهذا الحرف، وإليك قصتهم:

استعمل السيرافي: (التفشي) للسين والشين والفاء. ^(١) وأخرج الضاد، قال: "وفي الشين تفش ليس في الضاد". ^(٢)

وتابعه مكّي في الشين والفاء، قال عن الفاء: "لكن فيه تفش كالشين، والشين أكثر تفشياً من الفاء. والتفشي: هو الريح التي تخرج بشدة عند النطق بالشين والفاء، وتخرج من مخرج كل حرف على رتبته". ^(٣) فأشرك الفاء مع الشين في التفشي.

وتابعه ابن الطحان بقوله: "والتفشي في حرفين، وهما الشين والفاء.... والتفشي: انتشار خروج الريح وانبساطه حتى يخيل أن الشين انفرشت حتى لحقت بمنشأ الطاء. وهي أخص بهذه الصفة من الفاء". ^(٤)

وكان الرماني هو أول من قصر التفشي على الشين، قال: "والتفشي: الشين". ^(٥) وتابعه: مكّي ^(٦)، والدايني ^(٧). وإن كان مكّي قد تعرض لمن يقول ب: (التفشي) لغير الشين.

واستعمل ابن جني: (الفشوّ) للصاد والسين في تعليقه لإدغام اللام في الصاد والسين في نحو: (قل صدق الله)، و(قل سيروا)، قال: "علة جواز ذلك فشو هذين الحرفين، أعني الصاد والسين، في الفم، وانتشار الصدي المنبثّ عنهما، فقاربتا بذلك مخرج اللام، فجاز إدغامها فيهما" ^(٨) وقال مكّي: "وقد قيل إن في الثاء تفشياً" ^(٩)

(١) إدغام القراء ص ٤٤ - ٤٥ و ٤٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦.

(٣) الرعاية ص ٢٢٧.

(٤) مرشد القارئ ل ٣/أ و ٤/أ.

(٥) شرح كتاب سيويه ل ١٩٢/أ.

(٦) الرعاية ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٧) التحديد ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٨) المحتسب ١/١٦٥. وهما قراءتان شاذتان لا يقرأ بهما اليوم.

وكان أول تعريف معتبر للتفشي بالمعنى المعروف عند علماء التجويد هو لمكي بن أبي طالب، قال: "الحرف المتفشي: وهو الشين، سميت بذلك؛ لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الطاء... ومعنى التفشي: هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها".^(٢)

وقال عن الشين في موضع آخر: "فيها تفشٍ، لانتشار الصوت بها عند النطق بها، فذلك الانتشار هو التفشي الذي فيها، وهو شدة الريح الخارجة عند النطق بها من وسط اللسان في تسقُلٍ، وهي تتصل بمخرج الطاء، فبذلك قويت بعض القوة، فيجب أن تبين التفشي الذي فيها عند النطق بها، وهي ریح زائدة تنتشر في الفم عند النطق بها بخلاف غيرها".^(٣)

وهذا التفشي للشين والانتشار والاتصال بمخرج الطاء مأخوذ من كلام سيبويه كما ذكرتُ في المعنى السابق.

٣- المعنى الثالث لـ: (التفشي) = الرخاوة في الضاد والشين المؤدية إلى اتساع مخرجيهما واستطالته:

كان تفشي الضادِ قد ذكره أبو علي الفارسي بقوله: "لأن الضاد تَفَشِي الصوت بها واتسع واستطال حتى اتصل صوتها بأصول الثنايا وطرف اللسان... ولم تُدغم الضاد في شيء من هذه الحروف لما فيها من زيادة الصوت... لما فيها من التفشي والاستطالة"^(٤) وقال ابن جني: "وأما الضاد فلأن فيها طولاً وتَفَشِيّاً، فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي".^(٥)

وهذا يقرب جداً من المعنى الذي ذكره سيبويه.

(١) الرعاية ص ١٣٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٥.

(٤) الحجة ٥٠/٦. وهو توضيح لقول سيبويه في الكتاب ٤/٤٦٥.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/٢١٨.

وقال مكّي: "وقد ذكر بعض العلماء الضاد مع الشين، وقال: الشين تتفشى حتى تتصل بمخرج الطاء، والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام، قال: وسمي هذان الحرفان: (المخالطين)؛ لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان".^(١)

وهذه الاستطالة والاتصال والمخالطة أوردها سيبويه في شرح الاستطالة الضاد والشين، قال سيبويه: "وحرفان يخالطان طرف اللسان.... واللذان خالطاها: الضاد والشين؛ لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء".^(٢)

ف: (تتفشى) في لفظ مكّي نظير: (لرخاوتها) في قول سيبويه.

ولفظ: (المخالطين) في قوله مأخوذ من قول سيبويه: (يخالطان، خالطاها).

ونقل القرطبي عبارة مكّي، ولقّب الضاد والشين ب: (المتفشية) و: (المخالطة)^(٣)، وب: (الحرفان المتفشيان)^(٤)؛ لأجل هذا الاتصال.

وقال ابن الطحان الأندلسي عن التفشي: "وقد ذكر بعضهم الضاد في هذا المعنى لاستطالتها لما اتصلت بمخرج اللام".^(٥)

وهؤلاء العلماء يجعلون التفشي سبباً في الاستطالة، فيكون بهذا مرادفاً للرخاوة، في حين أن واضح المصطلح سيبويه يجعل الرخاوة سبباً في الاستطالة، ومجموعهما يولد التفشي في الصوت وظهوره، كالإطباق والتكرير والصفير والغنة كل هذه تولد التفشي، والله أعلم.

٤- المعنى الرابع ل: (التفشي) = معنى غامض؟؟؟:

وصف ابن خالويه الجيم بأنه حرف شديد مفتش.^(٦)

(١) الرعاية ص ١٣٥.

(٢) الكتاب ٤/٤٥٧.

(٣) الموضح ص ٩٦.

(٤) المرجع السابق ص ١١٣.

(٥) مرشد القارئ ل ٣/أ و ٤/أ.

(٦) الحجة ص ٩٣.

إذا كان ابن خالويه يقصد صفة التركيب التي يذكرها المعاصرون عن الجيم، فهي تُعدُّ أول إشارة إلى ما يحدث في الجيم عند انفتاح مخرجه، والله أعلم.

(الاستطالة):

يدل أصله اللغوي على فضل وامتداد في الشيء، من ذلك: طال الشيء يطول طولاً. وهذا قياس مطرد في كل ما أشبه ذلك، يقال: طاولني فلان فطلته، أي كنت أطول منه. وتناولت في قيامي، إذا مددت رجلك لتنظر. واستطالوا عليهم، إذا قتلوا منهم أكثر مما قتلوا.^(١)

الاستطالة لفظ وضعه سيبويه لينبه على أن رخاوة الضاد والشين مكنتهما من الاتصال بمخارج الحروف الأمامية، أي حروف طرف اللسان، وجوزت إدغام أكثر هذه الحروف فيهما.

وقد تقدم كيفية اتصال الشين بالطاء - من كلام سيبويه نفسه - في مصطلح: (التفشي).

وبقي اتصال الضاد، ففي وصف دقيق عبر سيبويه عن استطالة مخرج الضاد إلى مخرج الطاء والبدال والتاء، قال: "وقد تدغم الطاء والتاء والبدال في الضاد؛ لأنها اتصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوَّقه من الأسنان، ولم تقع من الثنية وضع الطاء لانحرافها؛ لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مطبقة".^(٢)

وقد شرحت ألفاظ هذا النص في أكثر من موضع.

استعمل سيبويه: (الاستطالة) في موطنين:

١ - إدغام لام المعرفة، أو لام هل وبل في الضاد والشين:

لمَّا كانت لام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً، منها أحد عشر حرفاً تخرج من طرف اللسان، واثنان منها الضاد والشين تخرجان من وسط اللسان أو حافة اللسان، أراد

(١) مقاييس اللغة ص ٦٠٤ - ٦٠٥ (ط و ل).

(٢) الكتاب ٤/٤٦٥.

سيبويه أن يبين أن رخاوة الضاد والشين مكنتهما من القرب من اللام فصارتا كباقي حروف طرف اللسان، قال: "ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً... واللام من طرف اللسان، وهذه الحروف أحد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان... والأحد عشر حرفاً: النون والراء، والذال والتاء والصاد والطاء والزاي والسين، والطاء والثاء والذال. والذال خالطها: الضاد والشين؛ لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء".^(١)

لاحظ أنه اشترط الرخاوة كشرط للاستطالة، وهذا يجعلنا ندرك عدم مشاركة الجيم- بسبب شدتها- لهذه الحروف التي تدغم فيها لام المعرفة.

ولو أعطيت الجيم رخاوة لكان من حقها أن تدغم اللام فيها، كما نسمع ذلك في نطق أهل الشام الذين يجعلون الجيم رخوة، يقولون في الجمل: أجمل، بإدغام اللام.

وكانت هذه الفقرة الخاصة باستطالة الضاد والشين إلى مخرج غيرهما في كلام سيبويه هي التي أوحى ببعض معاني التفشي عند بعض العلماء كما تقدم.

أما بالنسبة للام هل وبل فقد حوز سيبويه الإدغام فيهما على ضعف ذاكرة علة الاستطالة، قال عن هذه اللام: "وهي مع الضاد والشين أضعف؛ لأن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان والشين من وسطه، ولكنه جَوَّز إدغام اللام فيهما لما ذكرت لك من اتصال مخرجهما"^(٢)

٢- إدغام أكثر حروف الثنايا في الضاد والشين:

هذا هو الموضوع الثاني الذي استعمل فيه: (الاستطالة) حيث تحدث فيه عن جواز إدغام الطاء وأختيها والطاء وأختيها في الضاد والشين للاستطالة. وبين أن الإدغام في الضاد أقوى منه في الشين، قال: "لأنها قد خالطت باستطالتها الثنية"^(٣)، مما يؤكد صحة الرسم الذي أوردته.

(١) الكتاب ٤/٤٥٧.

(٢) الكتاب ٤/٤٥٨.

(٣) المرجع السابق ٤/٤٤٦.

ومنع سيبويه إدغام الصاد والسين والزاي في الضاد والشين، وكذلك العكس؛ لأن كل واحدة تملك مزية تمنع من الإدغام، وهو ما أكده سيبويه بقوله: "ولا تدغم في الصاد والسين والزاي لاستطالتها، يعنى الضاد؛ كما امتنعت الشين. ولا تدغم الصاد وأختها فيها لما ذكرت لك، فكل واحدة منهما لها حاجز"^(١) وهذا يؤيد ما ذكرته في التفشي عن مزايا الحروف.

تابع سيبويه على عد الضاد والشين حرفي الاستطالة أكثر علماء العربية، منهم: ابن السراج^(٢)، والسيرافي^(٣)، وأبو علي الفارسي^(٤)، وابن جني^(٥).

وقد ذكرت في لفظ: (التفشي) أن بعض العلماء استعملوه بمعنى الاستطالة.

وكان الرماني أول من ذكر أن الضاد وحده هو الحرف المستطيل فيما أطلعت عليه من النصوص، قال: "والمستطيل: الضاد"^(٦).

وتابعه أكثر علماء التجويد، منهم: مكّي^(٧)، والداني^(٨)، والقرطبي^(٩)، وابن الطحان الأندلسي^(١٠)، وأبو العلاء الهمداني^(١١).

وأكثر هؤلاء تابعوا سيبويه في مفهوم الاستطالة، يعنى اتصال مخرج الضاد باللام.

وانفرد أبو العلاء الهمداني بمفهوم خاص، قال: "والمستطيل: الضاد، سمي بذلك؛

(١) الكتاب ٤/٤٦٦.

(٢) الأصول ٣/٤٢٧.

(٣) إدغام القراء ص ٤٥.

(٤) التكملة ص ٢٧٩.

(٥) سر صناعة الإعراب ٢/٨١٧.

(٦) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٢/أ.

(٧) الرعاية ص ١٣٤.

(٨) التحديد ص ١٠٨.

(٩) الموضح ص ٩٦.

(١٠) مخارج الحروف وصفاتها ص ١٣٣.

(١١) التمهيد ص ٢٨٢.

لاتصاله من موضعه بالإطباق".^(١)

وأبو العلاء يجعل الإطباق سبباً في الاستطالة، ويؤيده أيضاً من كلام المتقدمين قول الرماني: "وإدغام حروف طرف اللسان في الضاد أقوى منه في الشين؛ لأن الشين تجافت عن الموضع الذي اتصلت به، فلم تثبت على مخالطة حروف طرف اللسان كما تثبت الضاد مع أن الضاد مطبقة، كما أن الطاء والظاء مطبقة، فلما قاربت الطاء بالإطباق كان ذلك مقارنة لأختيها، ومقتضياً لأن يدخلا في حكمها، وكذلك سبيلها مع الظاء".^(٢) يعني انحصار الصوت على طول جسم اللسان في الضاد قربها من مخارج الحروف الأمامية؛ إذ إن باقي الحروف المطبقة من حروف طرف اللسان.^(٣)

الصفات الخاصة بقوة الحرف وضعفه:

الصفات الخاصة بقوة الحرف:

استعمل العلماء لوصف القوة في أصوات بعض الحروف عدة مصطلحات، منها:	
١- الصلابة.	٢- الكرازة.
٣- الاعتياص.	٤- النصاعة.
٥- الاجتهاد.	٦- الضغط والمضغوظة.
٧- الكُلفة.	٨- المؤونة.
	٩- الاستعانة.

١- المصطلح الأول الخاص بالقوة: (الصلابة):

من أصله اللغوي أن يدل على الشدة والقوة.^(٤)

استعمل: (الصلابة والصلب) في أكثر من معنى، منها:	
١- من صفات الحروف.	٢- أحد أنواع الأجسام والمخارج.

(١) التمهيد ص ٢٨٢.

(٢) شرح كتاب سيبويه ل ٢٠٣/أ.

(٣) كلام الرماني هو شرح لكلام سيبويه في الكتاب ٤/٤٦٥.

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٧٢ (ك ز ز).

١ - المعنى الأول: من صفات الحروف:

وصف الخليل الطاء بـ: (الصلابة) في مقارنة بينها وبين الدال، قال: "الدال لانت
عن صلابة الطاء وكزازتها".^(١)

وتابعه: ابن جني.^(٢)

ووصف ابن جني القاف بالصلابة.^(٣)

وعرف أبو البركات ابن الأنباري الحروف الشديدة بأنها: "حروف صلبة لا يجرى فيها
الصوت".^(٤)

٢ - المعنى الثاني: أحد أنواع الأجسام والمخارج:

من مصطلحات المدرسة العقلية، فقد تقدم أن الصلابة واللين يتعلقان بمقاومة سطح
الجسم للضغط، الجسم الصلب يقاوم القوة الضاغطة عليه بقوة بخلاف اللين.

ومن هنا وصف ابن سينا بعض أعضاء النطق والمخارج بالصلابة^(٥)، فكفى عن
الأسنان مثلاً بـ: (الجِزْم الصلب)^(٦)؛ لممانعتها الغمز إلى باطن، خلقتها العظيمة الصلبة،
ووصف مخرج الحاء بالصلابة في مقارنة بينه وبين موضع الحاء.^(٧)

٢ - المصطلح الثاني الخاص بالقوة: (الكزازة):

يدل أصله اللغوي على قبض وتقبض^(٨). قال الخليل: "الكزازة: اليبس والانقباض،
ورجل كز: صلب، قليل الخير والمواتاة. وخشبة كزة، أي فيها يبس واعوجاج. وذهب كز:

(١) العين ١/٥٣.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٦٥.

(٣) الخصائص ٢/١٥٧.

(٤) أسرار العربية ص ٢١٠.

(٥) أسباب حدوث الحروف ص ٦٢.

(٦) المرجع السابق ص ١٢٢. وانظر من أمثلة ذلك أيضاً مخرج الباء ص ١٢٥.

(٧) المرجع السابق ص ١١٦.

(٨) مقاييس اللغة ص ٨٧٢ (ك ز ز).

صلب جداً.. وكززت الشيء: ضيقته، فهو مكزوز".^(١)

وصف الخليل الطاء ب: (الكزازة) في مقارنة بينها وبين الدال، قال: "الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها".^(٢)

هذا أحد النصوص الذي يشهد بصحة الطاء التي ينطقها القراء، ويقوم حجة في وجه القائلين بأن أصل صوت الطاء هو الدال المفخمة، فلو كان هذا صحيحاً لما ذكر الخليل الفرق بين الصوتين.

٣- المصطلح الثالث الخاص بالقوة: (الاعتياص):

يدل أصله اللغوي على قلة الإمكان في الشيء. اعتاص الشيء اعتياصاً: إذا لم يمكن. ومنه كلام عويص وكلمة عوصاء.^(٣)

وصف الخليل الهاء بأنها "نفس لا اعتياص فيها".^(٤)

واستعمل الأخفش: (الاعتياص) في بيان صعوبة اجتماع الحروف المصمتة في كلمة أكثر من ثلاثة أحرف، قال: "إنها حروف أصممت، أي: منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب، إذا كثرت حروفها، لا اعتياصها على اللسان....".^(٥)

وذكر ابن دريد أن "اعتياص اللام على الألسن أقل من الرء للينها".^(٦)

٤- المصطلح الرابع الخاص بالقوة: (النصاعة):

يدل أصله اللغوي على خلوص ولين في الشيء. منه النصاع: الحسن اللون الشديد البياض، والنصع: ضرب من الثياب شديد البياض، ونصع الحق: وضح.^(٧)

(١) العين ٢٧٢/٥ - ٢٧٣.

(٢) المرجع السابق ٥٣/١.

(٣) المرجع السابق ١٩٨/٢ ومقاييس اللغة ص ٦٩٥ (ع و ص).

(٤) العين ٥٤/١.

(٥) الرعاية لمكي ص ١٣٥.

(٦) الجمهرة ٩/١.

(٧) مقاييس اللغة ص ٩٩١ (ن ص ع).

ذكر الخليل قاعدة في حكاية الصوت، وهو أن يختار أقوى الحرفين، وأنصعهما ثم يكرران، قال: "وتقول: وَلَوْلَتِ المرأة، إذا قالت: واويلها؛ لأن ذلك يتحول إلى حكاية الصوت، ف: (ولولت) أقوى الحرفين في الحكاية وأنصعهما، ثم تضاعفهما".^(١) فاللام والواو هما أوضح الحرفين.

واستعمله الخليل أيضاً في وصف العين والقاف، قال: "ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً. فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما".^(٢)

وتابعه ابن جني^(٣)، والقرطبي^(٤)، في وصف العين بذلك.

٥- المصطلح الخامس الخاص بالقوة: (الاجتهاد):

يدل أصله اللغوي على المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه. اجتهد في الأمر اجتهاداً: بذل وسعه وطاقته في طلبه؛ ليلبغ مجهوده ويصل إلى نهايته.^(٥)

استعمله سيبويه في وصف صعوبة الهمزة، فقال عنها: هي "نبرة في الصدر تخرج باجتهاد".^(٦)

وتابعه: المالكي^(٧)، والزمخشري.^(٨)

٦- المصطلح السادس الخاص بالقوة: (الضغط، المضغوظة):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٧- المصطلح السابع الخاص بالقوة: (الكلفة):

(١) العين ٣٦٦/٨.

(٢) المرجع السابق ٥٣/١.

(٣) سر صناعة الإعراب ٦٥/١ و ٢٤١.

(٤) الموضح ص ٩٤.

(٥) مقاييس اللغة ص ٢١٠ (ج هـ د) والمصباح المنير ص ١١٢.

(٦) الكتاب ٥٤٨/٣.

(٧) الروضة ٢٦٩/١.

(٨) أساس البلاغة ص ٧٠٨.

يدل الأصل اللغوي على حمل الشيء على مشقة، كلفت الأمر - من باب تعب - حملته على مشقة. ويتعدى إلى مفعول ثانٍ بالتضعيف، فيقال: كلفته الأمر فتكلفه، أي حملته إياه على مشقة. والكلفة: ما تكلفه على مشقة. والكلفة أيضاً: ما يتكلف من نائبه أو حق. (١)

استعمل هذا اللفظ كتعبير عن الجهد العضلي الشاق المبذول على أعضاء النطق، فاستعمل الفراء نفي (الكلفة) كتعبير عن انتفاء المشقة عند إخراج الفتحة، قال: "والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة". (٢)

وعمم مكى الحكم لكل حروف المد واللين، فقال معللاً: "لأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات". (٣)

وذكر ابن مجاهد أن من عادة القراء أن لا يظهروا غنة النون الساكنة عند الراء واللام، قال: "لأن في إظهارها كلفة؛ لتداخل الحرفين". (٤)

ونبه الداني على إخراج الهمزة إخراجاً سهلاً بغير شدة ولا كلفة ولا عنف ولا صعوبة. (٥)

٨ - المصطلح الثامن الخاص بالقوة: (المؤونة):

كلمة تدل على الثقل، وفيها لغات: مؤونة والجمع مؤونات، ومؤونة والجمع مؤن، ومؤونة والجمع مؤون على وزن سور. (٦)

استعمله الفراء في وصف ثقل الضمة والكسرة، قال: "فإنما يستثقل الضم والكسر؛ لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشففتين؛ تنضم الرفعة بهما فتثقل الضمة، ويمال أحد

(١) مقاييس اللغة ص ٨٧٦ (ك ل ف)، والمصباح المنير ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٢) معاني القرآن ١٢/٢.

(٣) الرعاية ص ١٢٦، وص ١٢٦.

(٤) نقل ذلك السيرافي في إدغام القراء ص ٥٧.

(٥) التحديد ص ٩٧.

(٦) المصباح المنير ص ٥٨٦ (المؤونة).

الشدقين إلى الكسرة، فترى ذلك ثقيلاً، والفتحة تخرج من حرق الفم بلا كلفة".^(١)

ومن وحى كلام الفراء ذكر ابن الأنباري أن الفتحة تخرج مع النفس بلا مؤونة، فلم تستثقل.^(٢)

واستعمل الداني لفظ: (المؤونة) في وصف ثقل إظهار النون والتنوين عند الحروف التي تدغم فيها.^(٣)

٩- المصطلح التاسع الخاص بالقوة: (الاستعانة، المستعينة):

لقب عبد الوهاب القرطبي الميم والنون والعين ب: (المستعينة)^(٤)

أخذ الميم من قول سيويه عنها: "لاستعانتها بصوت الخياشيم".^(٥)

وأخذ العين والنون من قول المبرد عنهما: "كالعين التي يستعين المتكلم عند اللفظة بها بصوت الحاء... وكانون التي تستعين بصوت الخياشيم لما فيها من الغنة"^(٦)

الصفات الخاصة بضعف الحرف:

استعمل العلماء لوصف الضعف في أصوات بعض الحروف عدة مصطلحات، منها:	
١- الهشاشة.	٢- الخفوت.
٣- الهتُّ.	٤- الههَّةُ.
٥- الحَوْرُ.	٦- الترفية.
٧- الهفُّو.	٨- الفتور.
٩- اللُّطف.	١٠- اللدنة.
	١١- النعمة والنعمومة.

١- المصطلح الأول الخاص بالضعف: (الهشاشة):

(١) معاني القرآن ١٣/٢.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٢٣٦/١.

(٣) جامع البيان ٧٢١/٢.

(٤) الموضح ص ٩٧، و ١١٥.

(٥) الكتاب ٤٦١/٤.

(٦) المقتضب ٣٣١/١.

يدل أصله اللغوي على رخاوة ولين، والرخو اللين هش، ومنه رجل هش: طلق الحيا. (١)

استعمل الخليل: (الهشاشة) لوصف الهاء، فقال عن علة وجود الهاء في نحو: (دهداق): "وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب؛ لئنها وهشاشتها، وإنما هي نفس لا اعتياص فيها" (٢)

وقال في موضع آخر: "ولم يكن في الحروف حرف أهش من الهاء؛ لأن الهاء نفس" (٣)

وثالث قال: "الهاء حرف هش لين، قد يجيء خلفاً من الألف التي تُبني للقطع". (٤)

٢- المصطلح الثاني الخاص بالضعف: (الخُفوت):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على الإسرار والكتمان. فالخفت: إسرار النطق، ومنه قول الله تعالى: (يتخافتون بينهم). (٥)

قال الخليل: "خفت: صوت خفيت، وخفت خفوتاً، أي: خفض خفوضاً.

ويقال للرجل إذا مات: قد خفت، أي: انقطع كلامه... والرجل تخافت بقولته: إذا لم يبينها برفع الصوت، وهم يتخافتون، إذا تشاوروا سرّاً". (٦)

استعمل: (الخفوت) في أكثر من معنى، منها:

١- وصف الصوت الضعيف للتاء.

٢- لقب للحروف المنفتحة أو المستفلة.

١- المعنى الأول: الخفوت = وصف الصوت الضعيف للتاء:

(١) مقاييس اللغة ص ١٠١٥ (هش ش).

(٢) العين ١/٥٤.

(٣) المرجع السابق ٣/٣٥٥.

(٤) المرجع السابق ٤/١٠٢.

(٥) مقاييس اللغة ص ٣٠٦ (خ ف ت).

(٦) العين ٤/٢٣٩.

استعمل الخليل: (الخفوت) لوصف الصوت الضعيف المستفل للتاء، قال: "لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها، وارتفعت عن خفوت التاء، فحسنت".^(١)
ونقل ابن جني عبارته في موضع، ودار حولها في موضع آخر.^(٢)

٢- المعنى الثاني: (الخفت، المنخت) = لقب للحروف المنفتحة أو المستفلة:

لقب الخليل الحروف المقابلة للحروف الفخام ب: (الحروف الخفت)، في نص يحتمل أن يكون المقصود بها الحروف المنفتحة، وهي عكس المطبقة، وهذا هو الأقرب إلى النص، كما يحتمل أن يكون الحروف المستفلة قياساً على من سماها ب: (حروف الخفض)، كما تقدم، وهو ما يتفق مع المعنى اللغوي مع: (الخفوت).

قال الخليل في تحويل تاء الافتعال طاء: "ويقال: اظَّأَزْتُ لولدي ظُئراً، أي اتخذت، وهو افتعلت، فأدغمت التاء في باب الافتعال فحولت مع الظاء طاء؛ لأن الطاء من فخام حروف الشجر التي قربت مخارجها من التاء، فضموا إليها حرفاً فخماً مثلها؛ ليكون أيسر على اللسان لتباين مدرجة الحروف الفخام من مدارج الحروف الخفت، وكذلك تحويل تلك التاء مع الضاد والصاد طاء؛ لأنها من الحروف الفخام"^(٣)

وفي نحو عبارة الخليل وصف ابن جني التاء ب: (المنختة) في مقابل الحروف المطبقة، قال: "وهذه الأحرف مطبقة والتاء منختة"^(٤)

٣- المصطلح الثالث الخاص بالضعف: (الهتُّ):

من المشترك اللفظي. يدل على حكاية صوت، وليس فيه لغة أصلية، قال ابن فارس: ولولا أن العلماء ذكروه لما رأيت لذكره وجهاً.^(٥) قال الخليل: الهت شبه العصر للصوت، يقال للَبْكَر، (وهو صغير الإبل): يهت هتيتاً، ثم يكش كشيئشاً، ثم يهدر - إذا بزل -

(١) العين ٥٣/١.

(٢) سر صناعة الإعراب ٦٥/١، والخصائص ١٥٨/٢.

(٣) العين ١٦٧/٨.

(٤) سر صناعة الإعراب ٢١٧/١.

(٥) مقاييس اللغة ص ١٠١٤ (هت ت).

هديراً^(١). فالخليل وصف المراحل الصوتية لصغير الإبل حتى يكبر، وأول مرحلة هي: (المت).

والمت: تمزيق الثوب، والمت: الكسر، مت الشيء يهته هتا، فهو مهتوت وهتيت، وهتهته: وطئه وطئاً شديداً، فكسره، وتركهم هتا بتا، أي: كسرهم، وقيل: قطعهم. ويقولون: سمعت مت قوائم البعير عند وقعها بالأرض.^(٢)

استعمل: (المتُّ) في أكثر من معنى، منها:

١- وصف ولقب للهمزة، والهاء، والتاء بجامع الضعف في كل.

٢- عيب من عيوب التجويد عند أداء الهمزة.

١- المعنى الأول: المت = وصف ولقب للهمزة والهاء والتاء بجامع الضعف في كل:

استعمل الخليل مصطلح: (المت) تارة لوصف الهمزة وتارة للهاء.

فمن استعمال الخليل: (المت) للهمزة قوله: "وأما الهمزة فمُخْرَجُهَا من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح".^(٣)

ونقل القرطبي عبارته.^(٤)

ونقل مكّي وصف الخليل دون أن يصرح باسمه، وساقه في حديثه عن تلقيه الهمزة ب: (المهتوف)، بمعنى الصوت الشديد؛ لأن الهمزة لما ضغطت في مخرجها احتاجت إلى ظهور صوت قوى شديد عند خروجها، وهو معنى الهتف، قال: "وذكر بعض العلماء في موضع المهتوف: المهتوت - بتاءين - قال: لأن الهمزة إذا رفه عنها لانت وصارت إما واواً وإما ياء

(١) العين ٣/٣٤٩.

(٢) لسان العرب ٢/١٠٢ (ه ت ت).

(٣) العين ١/٥٢.

(٤) الموضح ص ٩٤.

وإما ألفاً".^(١)

ولا أرى علاقة بين الصوت الشديد وما ساقه من كلام الخليل سوى الضغط والعصر في المخرج.

وقال الخليل: "ويقال: الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق؛ فإذا رفه عن الهمز صار نفساً، تحول مخرج إلى الهاء، ولذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة، يقال: أراق وهراق، وأيهات وهيئات".^(٢)

وقال: "وإنما سميت الهمزة في الحروف؛ لأنها تهمز، فتُهتُّ، فتهمز عن مخرجها"^(٣) يعني، والله أعلم: يُعَصَّر صوتها ويضغط في المخرج، فتَضَعُف وتُخْفَى، فيرفه عنها وتخفف.

والذي نستشفه من المعنى اللغوي والمنقول اللذين ذكرهما الخليل أن معنى الهت للهمزة: الصوت الضعيف المضغوط في المخرج، ويتحقق هذا عند سكون الهمزة.^(٤)

أما استعمال الخليل: (الهت) للهاء فقوله عنها: "ولولا هتة في الهاء، وقال مرة: (ههة) لأشبهت الحاء؛ لقرب مخرج الهاء من الحاء"^(٥)، فأظنه يقصد به الصوت الضعيف للهاء؛ لأنها عبارة عن نفس كما صرح بذلك في أكثر من موضع.^(٦)

وتابعه سيبويه في قول نسبه ابن منظور له، وهو: "من الحروف المهتوت، وهو الهاء، وذلك لما فيه من الضعف والخفاء".^(٧)

(١) الرعاية ص ١٣٨. وفي المطبوع: "لأن الهمزة إذا (وَقَفَّتْ) عليها..."، وذكر المحقق في الهامش كلمتين تحتلان: (رُفَّةً)، وهو ما يتفق مع نص الخليل.

(٢) العين ٣/٣٤٩.

(٣) المرجع السابق ٤/١٧.

(٤) انظر خفاء الهمزة في مصطلح: (الحروف الخفية).

(٥) العين ١/٥٧.

(٦) العين ١/٥٤، و٣/٣٤٨.

(٧) لسان العرب ٢/١٠٣ (هت ت).

وهذا القول والتعليل يعرفان لابن جني^(١)، وتابعه عليهما: القرطبي^(٢)، والهمذاني^(٣).
ولقّب الزمخشري التاء فقط بـ: (المهتوت) معللاً بذات التعليل الذي تقدم للهاء،
قال: "والمهتوت: التاء؛ لضعفها وخفائها"^(٤).

٢- المعنى الثاني: الهت = عيب من عيوب التجويد عند أداء الهمزة:

من وحى ما قيل عن الهمزة مما سبق استعمل القرطبي: (الهتّ) كعيب يحترز عنه في أداء الهمزة، قال عنها: "وينبغي أن تخرجها مع النفس إخراجاً سهلاً من غير كلفة ولا عنف، وتجنب فيه اللكز والهت في مثل قوله تعالي: (اهدنا الصراط المستقيم)، ولا ترفه عنها فتتلاشي"^(٥)

وأظنه يقصد به هنا الاجتناب عن عصرها وضغطها الشديد في المخرج الذي يقتضى إخراجها بعنف، وهو ما يتفق مع المعنى اللغوي بوجه، أعني: شبه العصر للصوت، والله أعلم.

٤- المصطلح الرابع الخاص بالضعف: (الههّ):

ذكره الخليل في قوله: "ولولا هتة في الهاء، وقال مرة: ههة لأشبهت الحاء؛ لقرب مخرج الهاء من الحاء"^(٦). ولعلها مرادفة لـ: (الهتّ)، بمعنى الصوت الضعيف للهاء، والله أعلم.

٥- المصطلح الخامس الخاص بالضعف: (الخوّر):

من أصله اللغوي أن يدل على الضعف، قال الخليل: "والخوّر: رخاوة وضعف في كل شيء، تقول: خار تخور خورا، ورجل خوارة، وخور تخويراً. وسهم خوارة وخوور"^(٧).

(١) سر صناعة الإعراب ١/٦٤.

(٢) الموضح ص ٩٤.

(٣) التمهيد ص ٢٨٢.

(٤) المفصل ص ٤٦٦. وقد شكك الجاربردي في التاء، وقال: "إن ما ذكر في المفصل من أن المهتوت التاء كأنه غلط من الناسخ" اهـ (شرح الكافية ص ٢٥٠).

(٥) الموضح ص ١٢٣.

(٦) العين ١/٥٧.

(٧) المرجع السابق ٤/٣٠٢، ومقاييس اللغة ص ٣١٦ (خ و ز).

استعمل الخليل هذا المصطلح في وصف ضعف الواو والياء، فقد لقب حرف اللين
بـ: (الخَوَّار) في وصف ضعف الواو، قال: "وإذا جاءت الحروف اللينة في كلمة، نحو: (لو)
وأشباها نُقِلَّتْ؛ لأنَّ الحرفَ لِيَنَّ خَوَّارَ أَجْوَفٍ لا بَدَلَ لَهُ مِنْ حَشْوٍ يَقْوَى بِهِ إِذَا جَعَلَ اسْمًا
كقوله:

لَيْتَ شَعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتٌ إِنَّ لَيْتًا وَإِنَّ لَوًّا عَنَاءً" (١)

وفي موضع آخر ذكر ضعف الواو والياء في كونهما لا يتحملان الحركة، فيعتمدان
على حركة ما قبلهما في نحو: (مُذَّاقٌ وَمُزْدَاتٌ، مِنَ الذَّوْقِ وَالزَّيْتِ)، قال: "فإذا فرقت بين
هذه الدال التي أصلها تاء وبين الحروف التي قبلها رجعت إلى أصلها، كقولك من الدَّوْحِ
والذَّوْقِ: ادَّخِ وَأدَّاقِ فَهُوَ مُدَّاقٌ، فإذا صَعَّرْتَ قَلْتَ مُدَّيْتِيْق. ومن الزَيْتِ مُفْتَعَلٌ: مُزْدَاتٌ،
وتصغيره: مُزَيْتِيْتِ، ونحوه مثله، ولم يُقَلَّ: مُزْدَيْتِ على تقدير مُفْتَعَلٍ؛ لأنَّ الياءَ خَوَّارَةٌ
فاعتمَدَتْ على فتحة الدال، وكذلك الواو تعتمد على الفتحة" (٢)

٥- المصطلح السادس الخاص بالضعف: (الترفيه):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على نعمة وسعة مطلب، من ذلك الرفاهة في
العيش والرفاهية، ويقال: بيننا وبين فلان ليلة رافهة، أي: لينة السير لا تُعْجِي. ورُفِّه عنه:
إذا نُفِّسَ عَنْهُ الكَرَبُ (٣)، قال الخليل: "ورُفِّهَتْ عَنْ فُلَانٍ شِدَّتُهُ وَخَنَاقُهُ: إِذَا نُفِّسَتْ عَنْهُ،
ترفيها" (٤)

استُعمل: (الترفيه) في أكثر من معنى، منها:

١- التخفيف من شدة بعض الحروف.

٢- من العيوب الأدائية في بعض الحروف.

١- المعنى الأول: الترفيه = التخفيف من شدة بعض الحروف:

(١) العين ٣/٣٥٢.

(٢) المرجع السابق ٤/٢٤٣.

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٩٣ (ر ف ه).

(٤) العين ٤/٤٦.

استعمل الخليل: (الترفيه) تعبيراً عن تخفيف ضغط الهمزة في مخرجها، قال: "وأما الهمزة فمُنْخَرَجُهَا من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح".^(١)، وقال: "ويقال: الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق؛ فإذا رُفِّه عن الهمز صار نفساً، تحول إلى مخرج الهاء".^(٢)

فالخليل أدرك بحسه الصوتي الدقيق أنه قد يُتَخَلَّص من ضغط الهمزة بتحويلها نفساً إلى مخرج الهاء، أو تحويلها حرف مد، وهذا التخفيف عبّر عنه ب: (الترفيه).

نقل عبارته: مكى دون أن يُصرِّح باسمه^(٣)، والقرطبي.^(٤)

ووسع القرطبي من الترفيه عن الهمزة إلى الترفيه عن غيرها من بعض الحروف الشديدة كالباء، قال: "الباء حرف مجهور شديد في نفسه متقلقل، فينبغي أن يُرَفِّه عنه ويُسرِّع اللفظ به مع إعطائه حقه من تمكن الشفة بإخراجه من غير أن يُضَعَط في مخرجه".^(٥)

٢- المعنى الثاني: الترفيه = من العيوب الأدائية في بعض الحروف:

من وحي ما سبق استعمل القرطبي: (الترفيه) كعيب من عيوب أداء الهمزة يحترز عنه في تلاوة القرآن الكريم، وهو تخفيفها إلى حد يذهب معه تحقيق الهمز فيها، قال فيها: "ولا تُرَفِّه عنها فتتلاشي".^(٦)

وكذلك استعمله كعيب من عيوب أداء الميم المشددة يحترز عنه في نحو: (عليهم مآ)، قال: "وينبغي أن يكون تشديد هذا الباب، أعنى تشديد الميمين آخذاً حالاً متوسطة من غير إشباع ولا ترفيه لما يحافظ عليه من إبقاء الغنة".^(٧)

(١) العين ٥٢/١.

(٢) المرجع السابق ٣/٤٩٣.

(٣) الرعاية ص ١٣٨. وفي المطبوع: "لأن الهمزة إذا (وقفت) عليها...."، وذكر المحقق في الهامش كلمتين تحتلان: (رُفِّه)، وهو ما يتفق مع نص الخليل.

(٤) الموضح ص ٩٤.

(٥) الموضح ص ١٠١.

(٦) المرجع السابق ص ١٢٣.

(٧) المرجع السابق ص ١٤٨.

٧- المصطلح السابع الخاص بالضعف: (الهْفُو):

يدل أصله اللغوي على ذهاب شيء في خفه وسرعة^(١)، قال الخليل: "الهفو: الذهاب في الهواء يقال: هفت الصُّوفَةَ في الهواء، أي: ذهبت، فهي تهفو هَفُوا وهَفُؤًا".
والثوب الرُّقَارِقُ ورفارف الفُسطاط إذا حَرَكْتَهُ الريح قلت: هو يهفو والريح تهفو به.
والهفوة: الزلة وقد هفا. ويقال للظلم إذا عدا قد هفا. والفؤاد إذا ذهب في إثر شيء قلت: هفا.^(٢)

وصف الخليل الألف المدية بأنها "هافية في الهواء"^(٣).

ونقل ذلك: أبو علي القالي^(٤)، والزمخشري^(٥).

٨- المصطلح الثامن الخاص بالضعف: (الْفُتُور):

يدل أصله اللغوي على ضعف في الشيء. من ذلك: فَتَرَ الشيء يفتّر فتوراً. والطرف الفاتر: الذي ليس بحديد شَرَزِرٍ. وفترت الشيء وأفترته، قال الله تعالى: (لا يُفْتَرُ عَنْهُمْ) [الزخرف / ٧٥]، أي: لا يضعف عنهم ولا يخفف.^(٦)

استعمل سيبويه: (الفتور) في وصف الصوت الضعيف الفاتر المتمم للحرف، الذي يصاحب بعض لأصوات عند الوقف، والذي سماه: (نحو النفخة)، وهذه الأصوات هي: الذال، والطاء، والزاي، والضاد، منها ثلاثة يخرج الصوت الضعيف المتمم لها من بين الثنايا، وأما الرابع وهو الضاد، فيخرج من بين الأضراس، قال: "ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأولي، وهي الزاي، والطاء، والذال، والضاد؛ لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسلَّ آخره وقد فتر من بين الثنايا؛

(١) مقاييس اللغة ص ١٠٣٣ (ه ف و).

(٢) العين ٩٥/٤.

(٣) المرجع السابق ٩٥/٤.

(٤) البارع ص ١٦٤.

(٥) أساس البلاغة ص ٧٠٤.

(٦) مقاييس اللغة ص ٨٠٥ (ف ت ر).

لأنه يجد منفذاً فتسمع نحو النفخة. وبعض العرب أشد صوتاً، وهم كأثم الذي يرومون الحركة، والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس".^(١)

وبنّه سيويوه في موضع آخر على أن هذا الصوت الضعيف المتمم للحرف يكاد يذهب في الوصل إذا سكن الحرف؛ لأن أعضاء النطق تشغل بنطق الصوت الذي بعده، قال: "ولا يفتر الصوت حتى تبدئ صوتاً".^(٢)

٩- المصطلح التاسع الخاص بالضعف: (اللطف، اللطيف):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على رفق، ويدل على صغر في الشيء. فاللطف: الرفق في العمل، يقال: هو لطيف بعباده، أي: رؤوف رقيق.^(٣)

استعمل في أكثر من معنى، منها:

- ١- جزء مشارك في التعبير عن الإمالة الصغرى.
- ٢- ضعف الأصوات في السمع.
- ٣- جزء مشارك في التعبير عن الفتح ضد الإمالة.
- ٤- جزء مشارك في التعبير عن السكت.
- ٥- جزء مشارك في تصحيح النطق.
- ٦- جزء مشارك في التعبير عن المد اللازم الحرفي المخفف.

١- المعنى الأول: جزء مشارك في التعبير عن الإمالة الصغرى:

استعمل أبو عبد الرحمن قتبية بن مهران: (الكسر اللطيف) تعبيراً عن الإمالة الصغرى.^(٤)

وتابعه: نصير بن يوسف^(٥)، وابن مهران^(١) وزاد في بعض المواضع: (من غير

(١) الكتاب ١٧٤/٤.

(٢) المرجع السابق ١٧٥/٤.

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٢٠ (ل ط ف).

(٤) نقل ذلك عنه الداني في المخطوط من جامع البيان ل ٢٤٩/أ.

(٥) نقل ذلك عنه ابن مهران في المبسوط ص ١٠٩، والداني أيضاً في المخطوط من جامع البيان ل ٢٤٩/أ.

إفراط^(٢)

واستعمل نصير بن يوسف: (التلطيّف) و (اللطافة) في دليل أكيد على أنّهم يريدون بهذا التعبير الإمالة الصغرى، قال نصير بن يوسف في إمالة الألف من كلمة: (الخناس): "تلطيّف النون منها، لا يكسرهما كسراً شديداً، ولا يفتحها فتحاً جافياً، وكذلك ما أشبهها في القرآن؛ إذ كانت الكلمة محفوفة بالكسر، واللطافة فيها أحسن" اهـ

قال الداني معلقاً: "وقول نصير هذا يدل على أنه يميل كل ألف بعدها كسرة، سواء كانت إعراباً أو بناءً أو إمالة يسيرة بين بين، وكذلك روى قتيبة عن الكسائي. وقد شرحنا ذلك شرحاً بالغاً في باب الإمالة".^(٣)

واستعمل ابن يونس محمد بن الحسن: (الفتح اللطيف بإشارة إلى الكسر) تعبيراً عن مرتبة الإمالة الصغرى.^(٤)

واستعمل ابن مهران أيضاً: (الإمالة اللطيفة).^(٥)

وتابعه: طاهر بن غلبون^(٦)، والداني^(٧)، وزاد في بعض المواضع: (بين بين)^(٨)، وأبو معشر الطبري.^(٩)

واستعمل ابن مهران أيضاً: (الإمالة اليسيرة اللطيفة)^(١٠)، ومرة: (الإمالة قليلاً لطيفاً)^(١١).

(١) الغاية ص ٤٥٩.

(٢) المبسوط ص ٢٤٦.

(٣) المخطوط من جامع البيان ل ٢٥٠/ب.

(٤) نقل ذلك عنه الخزاعي في المنتهى ص ٢٢٢ وانظر هذه المرتبة على مثلث الحركات.

(٥) المبسوط ص ١٠٨.

(٦) التذكرة ١/٢٢٨.

(٧) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل ١٨/ب.

(٨) جامع البيان ٣/٨٢٩.

(٩) التلخيص ص ١٨٢.

(١٠) الغاية ص ٤٦٦.

(١١) الغاية ص ٤٧٣ و ٤٧٩.

واستعمل أبو الفضل الرازي: (الإلطاف) تعبيراً عن ذلك^(١).

وذكر أبو معشر الطبري أن حمزة القارئ ألطف إمالة في ياء: (يس)^(٢).

ولقب أبو العلاء الهمذاني المواضع التي تستعمل فيها الإمالة الصغرى بـ:
(الملطفات)^(٣).

وكل هذه الألفاظ تدل على الألف المقللة أو الممالة إمالة صغرى.

٢- المعنى الثاني: ضعف الأصوات في السمع:

ذكر الأخفش أن "الساكن أقل الحروف وألطفها"^(٤)

وقال عن علة إلحاق هاء الندبة بالألف وقفاً في: (يا ويلتي): "فإذا وقفت قلت": (يا ويلتاه) لأن هذه الألف خفيفة، وهي مثل ألف الندبة، فلطفت من أن يكون في السكت [الوقف]، وجعلت بعدها الهاء؛ ليكون أبين لها وأبعد للصوت. وذلك أن الألف إذا كانت بين حرفين كان لها صدى، كنعو الصوت يكون في جوف الشيء فيتردد فيه فيكون أكثر وأبين"^(٥).

وهو تعليل صوتي دقيق عن حال الألف عند وجودها في مقطع مفتوح أو مغلق.

وذكر أبو علي الفارسي أن الإخفاء [اختلاس الحركة] يَلطُفُ في السمع ويخفى^(٦).

٣- المعنى الثالث: جزء مشارك في التعبير عن الفتح ضد الإمالة:

استعمل ابن مهران: (الفتح اللطيف) تعبيراً عن الفتح ضد الإمالة، قال: "وقرأنا في رواية محمد بن إسحاق البخاري جميع ذلك بالفتح اللطيف. وكان يقول: لا ندري بين الفتح

(١) الحروف السبعة ص ١٧.

(٢) التلخيص ص ٣٧٩.

(٣) التمهيد ص ٢٣٧.

(٤) العروض ص ١٢٠.

(٥) معاني القرآن ٥٧٩/٢.

(٦) الحجة ٣٩٦/٢.

والكسر ما هو!! إنما أمرونا ألا نفتح فتحاً شديداً، وبه قرأنا، وهو الصواب"^(١).

وتابعه: طاهر بن غلبون^(٢).

٤- المعنى الرابع: جزء مشارك في التعبير عن السكت:

لقب ابن مهران السكت الذي يستعمله بعض القراء في الوقف على بعض حروف

الكلمات في مثل: (بل ران)، و (من راق) ب: (السكتة اللطيفة)^(٣).

وتابعه: أبو الفضل الخزاعي^(٤)، والداني، وزاد: (من غير قطع)^(٥).

واستعمل الخزاعي أيضاً: (الوقفة اللطيفة) تعبيراً عن ذلك^(٦).

وتابعه: الداني^(٧)، وأبو معشر الطبري^(٨).

٥- المعنى الخامس: جزء مشارك في تصحيح النطق:

نبه السعيدي على تمكين الواو المدية تمكيناً لطيفاً إذا التقت مع واو متحركة من قوله

تعالى: (ءامنوا وعملوا)^(٩).

وقال بتخفيف الواو المتحركة بعد واو المد تخفيفاً حسناً لطيفاً^(١٠).

وتابعه: القرطبي^(١١).

ونبه مكى على اللطف والرفق في إخراج الهمزة^(١).

(١) الميسوط ص ١٠٨.

(٢) التذكرة ١/٢٣٣.

(٣) الغاية ص ١٥٨.

(٤) المنتهى ص ١٩٢.

(٥) التيسير ص ٦٢، و ١٤٢.

(٦) المنتهى ص ٤٤٦.

(٧) جامع البيان ٢/٦٣٧.

(٨) التلخيص ص ٣١٦.

(٩) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٦.

(١٠) المرجع السابق ص ٦.

(١١) الموضح ص ١٥٣ وانظر ص ١٦٧.

ونبه أبو العلاء الهمداني على **التلطف** بإخراج الفاء، وتمييزها من الحرف الذي بينها وبين الباء، نحو: (بور)^(٢).

وهذا من الأدلة على أن الحرف الذي بين الفاء والباء هو باء مهموسة (نفسية P). وأن النطق الذي نسمعه اليوم من بعض الجاليات في إبدال الفاء بباء^(٣) كان له نظير عند المتقدمين، والله أعلم.

٦- المعنى السادس: المد اللازم الحرفي المخفف:

استعمل السعيدي: (المد اللطيف) تعبيراً عن المد اللازم الحرفي المخفف في: (ن والقلم) عند من أظهر النون^(٤).

وتابعه أبو العلاء الهمداني^(٥).

١٠- المصطلح العاشر الخاص بالضعف: (اللذنة):

يدل أصله اللغوي على اللين، يقال للين من القضبان لذن^(٦).

وصف ابن جني حروف المد ب: (اللذنات) كناية عن اللين فيهن^(٧).

١١- المصطلح الحادي عشر الخاص بالضعف: (التعمة، والتعومة):

يدل أصلها اللغوي على ترفُّهٍ وطيب عيش وصلاح. نَعِمَ عيشه ينعم: اتسع ولان. ونَعِمَ الشيءُ نُعومةً: لان ملمسه فهو ناعم. وأنعمت عليه إنعاماً. ونَعَّمه الله تنعيماً: جعله ذا

(١) الرعاية ص ١٤٥.

(٢) التمهيد ص ٢٩٦.

(٣) وخاصة عند أهل الفلبين.

(٤) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٢.

(٥) التمهيد ص ٣٠٥.

(٦) مقاييس اللغة ص ٩١٧ (ل د ن).

(٧) الخصائص ٣/١٢٥.

رفاهية. وإذا عملت شيئاً فأنعمه، أي: أجده، وأحسن فلان وأنعم: أجاد وزاد على الإحسان. (١)

استعملت هذه المصطلحات في وصف حروف المد عند زيادة المد.

ذكر ابن جني أن زيادة المد في اللغة العربية تكون في أحوال ثلاثة: أن تقع بعد حروف المد همزة، أو مشدد. وعند التذکر.

ووصف حروف المد عند خلوها من تلك الزيادة، فقال: "ألا تراك إذا قلت: كتاب، وحساب، وسعيد، وعمود، وضروب، وركوب، لم تجدهن لَدَنَاتٍ، ولا ناعمات، ولا وافيات مستطيلات؛ كما تجدهن كذلك إذا تلاهن الهمز أو الحرف المشدد. وأما سبب نَعْمَتِهِنَّ ووفائهن وتماديهن...". (٢)

وبَيَّن ابن جني درجات الوضوح السمعي في حروف المد جاعلاً المرتبة الأولى للألف، ثم الياء، ثم الواو، ومقررراً قاعدة صوتية لذلك، هي: "كلما رسخ الحرف في المد كان حينئذ محفوظاً بتمامه، وتمادى الصوت به. وذلك الألف، ثم الياء، ثم الواو. ف: (شَابَّة) إذا أوفي صوتاً، وأنعم جرساً من أختيها، و: (قضيْب بَكْرٍ) أنعم وأتم من: (قُوصَ به، وتُودَّ ثوبُهُ)؛ لبعْد الواو من أعرق الثلاثة في المد، وهي الألف، وقرب الياء إليها". (٣)

وقال في موضع آخر عن درجات الوضوح: "وذلك أن أصل المد وأقواه، وأعلاه وأنعمه وأنداه، إنما هو للألف. وإنما الياء والواو في ذلك محمولان عليها، وملحقان في الحكم بما". (٤) وما ذكره ابن جني من زيادة المد هو أحد الأدلة التي تقوم حجة لأهل التجويد في بيان خطهم الأدائي في زيادة المد بسبب الهمز أو السكون، وأنهم لم يخرجوا في ذلك عن سنن العرب في كلامها.

(١) مقاييس اللغة ص ٩٩٧ (ن ع م). وأساس البلاغة ص ٦٤٣ والمصباح المنير ص ٦١٤.

(٢) الخصائص ١٢٥/٣.

(٣) الخصائص ١٢٦/٣. وانظر مواضع أخرى استعمل فيها هذا المصطلح بالمعنى نفسه: ٢٣٣/١ و ٢٣٣/٢ و

١٨٥/٣.

(٤) الخصائص ١٢٧/٣.

وما قاله من الوضوح السمعي في حروف المد، وما ذكره من أن الألف أقواها في ذلك هو الذي تذكره كتب الأصوات المعاصرة في مباحثها.^(١)

(١) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص ٢٦٧، والمدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب ص ١٠٠.

نتائج الفصل الثالث:

- ١- كشف هذا الفصل من خلال مصطلحي: (الجهر والهمس) اختلاف مفهوم الهمس عند المتقدمين عنه في علم الأصوات المعاصر، وبيّن أن الاختلاف بين الفريقين يكمن في الأخذ بجانب من كلام المتقدمين دون جانب.
- ٢- تناول هذا الفصل بعض المصطلحات الكبرى كمصطلح: (الجهر والهمس، والإطباق والانفتاح)، وبين أطرافها وأجزاءها وجوانبها، وأبطل من خلال عرضه التاريخي لها زعم من يقول بتطور الأصوات المحفوظة أداء.
- ٣- كشف هذا الفصل عن جانب مجهول لدى كثير من الدارسين، وهو كيفية التعبير عن النقل الصوتي للقراء المتقدمين.
- ٤- بين هذا الفصل أن مناهج القراء في الأداء هي مناهج دقيقة، وأنهم لا يقرؤون القرآن بالتشهي والهوي، بل سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.
- ٥- بين هذا الفصل توزع الصفات على الغرض الذي يستعمله العلماء كل في خدمة هدفه وغرضه الذي يتناوله.
- ٦- كشف هذا الفصل على أن أكثر الصفات التي وجدت عند أصحاب المدرسة النقلية تدور حول ألفاظ الخليل وسيبويه.

الفصل الرابع

تركيب الحروف

الفصل الرابع

تركيب الحروف

الرحلة في هذا الفصل من أمتع الرحلات وأوسعها وأغزرها ألفاظاً؛ إذ شارك في صناعته طوائف العلماء من نحويين وبلاغيين وقراء ومجودين وفلاسفة وموسيقيين، ولئن كانت الفصول الثلاثة الماضية قد غلب عليها ألفاظ ومصطلحات مذهب دون مذهب، فإن هذا الفصل بما يحتويه من ألفاظ ثرّة كثيرة، ليبيّن لك حركة الألفاظ ضمن دوائر الدلالات المختلفة للغة، وكيف يسير معها من معنى إلى معنى، وكانت الفصول الماضية قد بيّنت شيئاً من هذا إلا أن هذا الفصل قد أحرز السبق، فهو التطبيق العملي لما مضى من فصول، ويصح أن نطلق على ما مضى من قبل عالم التجريد الخاص بالحروف المفردة، أما هذا فعالم الحس والواقع الذي تكلمت به العرب، وسجله العلماء في مصنفاتهم ومروياتهم.

وهذا الفصل يبين صور التركيبات بين الحروف، وما كانت العرب تستسيغه في مواضع، وتستثقله أو تنفر منه في مواضع أخرى، وما احتالت به للتخفيف بين المتجاورين المتنافرين، وكيف أخذوا الحق للضعيف من الحروف على القوى.

وكذلك ما عبر به العلماء الصوتيون في كل تأليف، أ، تخفيف، أو تثقيل، أو تنافر.

وسنشاهد كيف يتسلط القوى على الضعيف فيغلبه، وكيف يذوي الضعيف ويذوب أمام صولة القوى فيدغم فيه، أو يخفى عنده، وسنرى شداً وجذباً وصراعات بين المتجاورين والشفعاء الذين يتراكمون... يتوسطون بين المتنافرين لرأب هذا التنافر. وسنلاحظ العائلات الصوتية التي تنفرد بشيء دون غيرها.

وجملة القول أن الخائض في هذا الفصل يرى حياة كاملة من العلاقات الصوتية

المتشابكة، مثلما هي الحال في العلاقات الإنسانية.

الألفاظ المستعملة للتلاقي بين الحروف:

استُعمل للتعبير عن التقاء الحرف مع الحرف عدة مصطلحات، منها:
١ - الالتقاء. ٢ - الاستقبال.

١ - (الالتقاء):

تقدم في الألفاظ المستعملة للقوة الضاغطة في الشفتين.

٢ - (الاستقبال):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على مواجهة الشيء للشيء. واستقبل الشيء وقابله: حاذاه بوجهه. ^(١)

استُعمل: (الاستقبال) في أكثر من معنى، منها:
التقاء الحرف بالحرف.

اجتماع حرف المد مع الهمزة. وهذا الثاني هو تخصيص لدلالة الأول.

١ - المعنى الأول ل: (الاستقبال) = التقاء الحرف بالحرف.

استعمله الفراء. ^(٢)

مثال: قال الفراء: "وقوله: (ويدع الإنسان)، حذفت الواو منها في اللفظ ولم تحذف في المعنى؛ لأنها في موضع رفع، فكان حذفها باستقبالها اللام الساكنة". ^(٣)

وقال: "فأما الذين يقولون: (يَدَّخِر وَيُدَّكِر ومُدَّكِر، فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء في الذال، فصارت ذالاً)". ^(٤)

(١) مقاييس اللغة ص ٨٢٤ ولسان العرب ٥٣٦/١١ (ق ب ل).

(٢) معاني القرآن ٢١٥/١.

(٣) المرجع السابق ١١٧/٢.

(٤) المرجع السابق ٢١٥/١. وما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ص ٦٣.

٢- المعنى الثاني ل: (الاستقبال) = اجتماع حرف المد مع الهمزة:

استعمله: قالون^(١)، وابن مجاهد^(٢) وابن خالويه^(٣)، وابن زنجلة، والمالكي^(٤).

استعمله هؤلاء العلماء للتعبير عما يترتب على هذا الاجتماع من المد وعدمه.

مثال: قال ابن زنجلة: "وقرأ ابن عامر والكسائي مداً وسطاً، ومد حمزة وعاصم مداً مفرطاً. وحجتهم في ذلك أن المد إنما وجب عند استقبال الهمزة سواء كانت الهمزة من نفس الكلمة أو من الأخرى إذا التقتا؛ لأنه لا فرق في اللفظ بينهما"^(٥).

أنواع التلاقي بين الحروف:

الحرفان عند تلاقيهما في الكلمات على ثلاثة أقسام:

١- متحذان في المخرج والصفة.

٢- متقاربان، وهما ثلاثة أنواع: متقاربان من مخرج واحد، أو من مخرجين، أو بالصفة.

٣- متباعدان في المخرج والصفة.

وعلى هذه الثلاثة دارت مصطلحات التجاور بين أصوات الحروف.

(١) جامع البيان للداني ٤٤٣/٢.

(٢) المرجع السابق ٤٤٥/٢.

(٣) الحجة ص ١٤٢.

(٤) الروضة في القراءات الإحدى عشرة، لأبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي (ت ٤٣٨هـ)، رسالة دكتوراه للباحث نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، كلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ، ٤٦٣/١.

(٥) حجة القراءات، لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص ٨٥-٨٦.

النوع الأول من أنواع تلاقي الحروف: الحرفان المتحدان في المخرج والصفة:

استعمل للحرفين المتحدين في المخرج والصفة عدة مصطلحات، تمثلها بعض المجموعات التالية:

- ١- (الحرفان من جنس واحد)، (المتجانسان)، (المجانس)، (تجانس الحرفين) (بجانسة الحرفين).
- ٢- (الحرف الذي هو مثل ما بعده)، (المثلان)، (الحرفان المتماثلان في اللفظ، الحروف التي تتماثل في اللفظ)، (الحرفان المثلان اللذان هما سواء)، (الأمثال)، (الحرفان على مثال واحد)، (المماثلة).
- ٣- (الحرفان اللذان تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه)، (الحرفان من موضع واحد).
- ٤- (الحرفان اللذان هما سواء)، (الحرفان السواء).
- ٥- (الحرفان ذوا اللفظ الواحد)، (التقاء اللام والعين على لفظ واحد)، (الحرفان على لفظ واحد).
- ٦- (الحروف التي من مخرج واحد).
- ٧- (الحرف يتكرر)، (الحرف المكرر).

المجموعة الأولى:

- ١- (الحرفان من جنس واحد): الخليل^(١). وتابعه: الكسائي^(٢)، والفراء^(٣)، والمبرد^(٤)، والزجاج^(٥)، وأبو بكر ابن الأنباري^(٦)، والزجاجي^(٧)، والنحاس^(٨)، وابن مهران^(٩)، وابن جني^(١٠)، وابن زنجلة^(١١)، وأبو البركات ابن الأنباري^(١).

(١) نقل ذلك عنه ابن السراج في الأصول ٣/٣٨٥.

(٢) نقل ذلك عنه الدايني في الإدغام الكبير ص ٣٦.

(٣) معاني القرآن ١/٤١١ و ٣/١١٤.

(٤) المقتضب ٢/٩٩.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٥٠.

(٦) الأضداد ص ٤٠٩.

(٧) شرح جمل الزجاجي لابن هشام ص ٤٤٩.

(٨) إعراب القرآن ٢/٤٧٣.

(٩) المبسوط ص ٨٨.

(١٠) الخصائص ١/١٦٢.

(١١) الحجّة ص ٢٥٧.

٢ - (المتجانسان)^(٢) ، (تجانس الحرفين)^(٣) ، (مجانسة الحرفين)^(٤) : ابن خالويه.

٣ - (الجنسان): قال أبو الفضل الخزاعي عن الواو في نحو قوله تعالى: (عصوا وكانوا): "لا خلاف في إدغامها في جنسها".^(٥)

٤ - (المجانس): أبو الفضل الخزاعي.^(٦)

المجموعة الثانية:

١ - (المثلاثان): الخليل^(٧) . وتابعه: سيبويه^(٨) ، والأخفش^(٩) ، وابن قتيبة^(١٠) ، والمبرد^(١١) ، وابن السراج^(١٢) ، وابن دريد^(١٣) وابن مجاهد^(١٤) ، والنحاس^(١٥) ، وأبو علي الفارسي^(١٦) ، وابن مهران^(١٧) ، والرماني^(١٨) ، وابن جني^(١٩) ، وأبو الفضل الخزاعي^(٢٠) ، ومكي^(٢١) ،

(١) أسرار العربية ص ٢٠٧ .

(٢) الحجة ص ٢٣٧ ، و ٣١٤ .

(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ٦ .

(٤) الحجة ص ٢٣٤ .

(٥) المنتهى ص ١٧١ .

(٦) المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٧) العين ٤٢٥/٥ .

(٨) الكتاب ٤٦٦/٤ .

(٩) معاني القرآن ١٧٩/١ و ٢١١ .

(١٠) أدب الكاتب ص ٤٨٧ .

(١١) المقتضب ٣١١/١ .

(١٢) الأصول ٣٥٤/٣ و ٤٢٧ .

(١٣) الجمهرة ١٣/١ .

(١٤) السبعة ص ١٢١ .

(١٥) إعراب القرآن ١٩٨/١ .

(١٦) التكملة ص ٥ .

(١٧) المبسوط ص ٨٩ .

(١٨) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٤/أ .

(١٩) سر صناعة الإعراب ٢٨/١ .

(٢٠) المنتهى ص ١٥٦ .

(٢١) التبصرة ص ١٠٩ .

- والداني^(١) ، والقرطبي^(٢) ، وأبو العلاء الهمذاني^(٣).
- ٢- (الحرف الذي هو مثل ما بعده): سيبويه^(٤).
- ٣- (الحرفان المثلان اللذان هما سواء): سيبويه^(٥).
- ٤- (الحرفان يكونان على مثال واحد): يحيى اليزيدي^(٦) ، وتابعه: ابن مجاهد من غير: (يكونان)^(٧).
- ٥- (المتماثلان): ابن مجاهد^(٨) . وتابعه: ابن خالويه^(٩) ، والمالكي^(١٠) ، والداني^(١١) ، أبو العلاء الهمذاني^(١٢).
- ٦- (المماثلة): ابن خالويه، وعرفها بأنها كون الحرفين من جنس واحد^(١٣) وتابعه: طاهر ابن غلبون^(١٤).
- ٧- (الأمثال): أبو علي الفارسي^(١٥).
- ٨- (الحرفان المتماثلان في اللفظ): طاهر بن غلبون^(١٦) . وتابعه: الداني بلفظ:

-
- (١) التحديد ص ٩٩ .
(٢) الموضح ص ١٣٩ .
(٣) التمهيد ص ٢٩٣ .
(٤) الكتاب ٤/٤٧٤ .
(٥) المرجع السابق ٤/٤٣٧ .
(٦) نقل ذلك عنه ابن غلبون في التذكرة ١/٤١ .
(٧) السبعة ص ١١٦ .
(٨) المرجع السابق ص ١٢٥ .
(٩) الحجة ص ٦٣ .
(١٠) الروضة ١/٤٣٠ .
(١١) جامع البيان ٢/٣٨٨ .
(١٢) التمهيد ص ٢٩٤ .
(١٣) الحجة ص ٦٣ و ٧٤ .
(١٤) التذكرة ١/١٤٩ .
(١٥) الحجة ١/٢٠٨ ، والتكملة ص ٢٧٦ .
(١٦) التذكرة ١/٧٢ .

(الحروف التي تتماثل في اللفظ).^(١)

المجموعة الثالثة:

١- (الحرفان اللذان تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه): سيويه^(٢) ،
وابن السراج.^(٣)

٢- (الحرفان من موضع واحد): ابن السراج.^(٤)

المجموعة الرابعة:

١- (الحرفان اللذان هما سواء): سيويه^(٥) ، وابن السراج.^(٦)

٢- (الحرفان السواء): المبرد.^(٧)

المجموعة الخامسة:

١- (الحرفان من لفظ واحد): أبو عبيدة^(٨) . وتابعه: النحاس مستبدلاً بـ: (من):
(علي).^(٩)

٢- (التقاء اللام والعين على لفظ واحد): المبرد.^(١٠)

٣- (الحرفان ذوا اللفظ الواحد): المبرد.^(١١)

المجموعة السادسة:

-
- (١) التيسير ص ١٩ .
 - (٢) الكتاب ٤/٤٣٧ .
 - (٣) الأصول ٣/٤٠٥ .
 - (٤) الأصول ٢/٣٦٢ .
 - (٥) الكتاب ٤/٤٣٧ .
 - (٦) الأصول ٢/٤١٠ .
 - (٧) المقتضب ١/٣٣٣ .
 - (٨) مجاز القرآن ١/٣٥٢ .
 - (٩) إعراب القرآن ٢/١٨٨ .
 - (١٠) المقتضب ١/٣١٩ .
 - (١١) المرجع السابق ١/٣٣٣ .

١ - (الحروف التي من مخرج واحد): الأخفش. ^(١)

المجموعة السابعة:

١ - (الحرف يتكرر): قال ابن السراج في شرح إدغام المتماثلين: "والإدغام في الكلام يجيء على نوعين: أحدهما: إدغام حرف في حرف يتكرر...". ^(٢)

٢ - (المكرر): الخفاجي. ^(٣)

النوع الثاني من أنواع تلاقي الحروف: الحرفان المتقاربان من مخرج واحد أو من مخرجين أو بالصفة هذا النوع من أنواع التلاقي يدل على اهتمام العلماء بالمخارج الجزئية؛ من حيث أرادوا العناية بها من حيث التأليف والإدغام.

ويقصدون به الحروف المتجاورة في مخرج واحد كالطاء والذال والتاء، أو من مخرجين متجاورين كالذال مع الدال أو الزاي، أو التقارب بالصفة كالميم مع النون تقارباً في صفة الغنة، قال الرماني: "والمقاربان على ثلاثة أوجه":

١ - مقاربان بالمخرج الواحد. ^(٤)

٢ - ومقاربان بمخرجين متقاربين. ^(٥)

٣ - مقاربان بخاصتين مثلين". ^(٦)

الألفاظ المستعملة للوجه الأول:

من الألفاظ التي استعملها العلماء للتعبير عن الوجه الأول، أعنى: الحرفين المتجاورين في مخرج واحد:

- (الحروف التي من مخرج واحد ليست بأمثال سواء): سيبويه ^(١)

(١) القوافي ص ٤٣.

(٢) الأصول ٤٠٥/٣.

(٣) سر الفصاحة ص ٤٧.

(٤) ويسمى المتجانس عند المتأخرين من أهل التجويد كالإمام ابن الجزري.

(٥) بقى على اسمه عند المتأخرين من أهل التجويد، وكذلك القسم الثالث.

(٦) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٦/أ.

- (الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد): سيويه.^(٢)

- (الحرفان من مخرج واحد): ابن مهران.^(٣)

- (تزامم الحرفين في المخرج الواحد): تقدم في المزاحمة.

ويتضح من العبارات السابقة أن ألفاظها لا تتجه إلا إلى هذا النوع الأول.

الألفاظ المستعملة للوجه الثاني:

إذا أطلقت ألفاظ المقاربة والتقارب دون أن تُخصَّص فهي لأحد الأنواع الثلاثة، والسِّيَاق يكشف ذلك غالباً.

وليس من السهل التمييز بين ألفاظ العلماء في هذا القسم؛ لأن ألفاظهم قريب بعضها من بعض، لكن سأجمع الألفاظ المستعملة في هذا القسم تحت مصادرها اللغوية، فمن تلك المصادر:

١- المقاربة والتقارب:

يدل أصله اللغوي على خلاف البعد. يقال: قرب يقرب قريباً. وفلان قريب وذو قرابتي. والتقارب ضد التباعد. وقارب الشيء داناه، وتقارب الشيئان: تدانياً.^(٤)

استعمله كثير من العلماء لا يُحصون، منهم: سيويه^(٥)، والمبرد^(٦)، وابن السراج^(٧)، وابن دريد^(٨)، وابن خالويه^(٩)، وأبو على الفارسي^(١٠)، وابن جني^(١١)، ومكي^(١)،

(١) الكتاب ٤/٤٤٥.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٤٥.

(٣) المبسوط ص ٨٨.

(٤) لسان العرب ١/٦٦٣-٦٦٥ (ق ر ب).

(٥) الكتاب ٤/٤٤٦ و ٤٦٧ و ٤٧٣ وغيرها.

(٦) المقتضب ١/٣٥٢ و ٣٧٧.

(٧) الأصول ٣/٤١٣.

(٨) الجمهرة ١/١٢.

(٩) الحجة ص ٦٣.

(١٠) الحجة ٢/٣٤٨.

(١١) سر صناعة الإعراب ١/٢٠ و ٢٨ و ٣٠ والخصائص ٢/٨٢ وغيرها.

والداني^(٢)، والخفاجي^(٣)، وأبو العلاء الهمداني^(٤)، وغيرهم.

مثال: قال سيبويه: "ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المُتقاربة... فصارت هذه الياء والواو مع الميم والجيم نحواً من الألف مع المُقاربة؛ لأن فيهما ليناً وإن لم يبلغا الألف، ولكن فيهما شبه منها".^(٥)

٢- التداني والمدانة:

يدل أصله اللغوي على المقاربة، دنا الشيء من الشيء دنوا وذنوا: قرب. ودانيت بين الأمرين: قاربت بينهما. وتدانوا، أي دنا بعضهم من بعض.^(٦)

استعمله من العلماء: سيبويه^(٧)، والمبرد^(٨)، وابن جني.

مثال: قال المبرد: "ومنهن الدال. وهي تُبدل مكان التاء... ومما يداينها من المخرج، نحو الذال والزاي، وذلك قولك في مفتعل من الرّين: مُزْدَان، ومن الذّكر: مُدكّر".^(٩)

وقوله: "واعلم أن الياء والواو بمنزلة ما تدانت مخارجه".^(١٠)

وقال ابن جني: "فينبغي إذا تدانى الحرفان أن يُبدأ بالأقوى منهما"^(١١)

٣- التجاور والمجاورة:

يدل أصله اللغوي على المساكنة. جاورَ الرجلُ مجاورةً وجواراً وجواراً، والكسر أفصح.^(١)

(١) التبصرة ص ١٠٩.

(٢) التيسير ص ١٩.

(٣) سر الفصاحة ص ٨٦.

(٤) التمهيد ص ٢٩٣.

(٥) الكتاب ٤/٤٤٦.

(٦) لسان العرب ١٤/٢٧١ (د ن و).

(٧) الكتاب ٤/٣٣٥ و ٣٦٥.

(٨) المقتضب ١/٢٩٢.

(٩) المرجع السابق ١/٢٠٣.

(١٠) المقتضب ١/٣٥٦.

(١١) سر صناعة الإعراب ٢/٨١٨.

استعمله من العلماء: المبرد^(٢) ، والخفاجي^(٣).

مثال: قال المبرد: "والياء تخرج من وسط اللسان من مخرج الشين والجيم حتى تنقطع عند مخرج الألف. فهما متجاورتان"^(٤).

٤- التزاحم والمزاحمة:

من المشترك اللفظي، تقدم.

الألفاظ المستعملة للوجه الثالث:

أما التقارب بالصفات فقد قسّم الرماني: (المقاربة) في أصوات الحروف إلى قسمين: (المقاربة من جهة المخرج)^(٥) ، و(المقاربة بالخاصة)، أو (المقاربة من جهة الخاصة) يعنى: المقاربة بالصفات.^(٦)

النوع الثالث من أنواع تلاقي الحروف: الحرفان المتباعدان في المخرج والصفة:

الألفاظ المستعملة للتباعد بين الحروف بالمخرج والصفة:

استعملت عدة ألفاظ للتعبير عن الحرفين المتباعدين أو التباعد بين المخرج، منها:
١- (التباعد، المتباعدان، البُعد). ٢- التراخي.
٣- (المتباينان، التباين، المباينة). ٤- (المتنافران، التنافر). ٥- المتفاونة.

١- المصطلح الأول للتباعد بين الحروف: (التباعد، المتباعدان، البُعد):

يدل أصله اللغوي على خلاف القرب.^(٧)

(١) لسان العرب ١٥٣/٤ (ج و ر).

(٢) المقتضب ٣٥٦/١.

(٣) سر الفصاحة ص ٤٧.

(٤) المقتضب ٣٥٦/١.

(٥) شرح كتاب سيوييه ل ١٩٢/ب.

(٦) المرجع السابق ل ١٩٢/ب، ول ٢٠٢/ب.

(٧) مقاييس اللغة ص ١٢٤ (ب ع د).

استعملت ألفاظ (التباعد والبعد) في أكثر من معنى، منها:
١- التباعد بالمرحج أو الصفة.
٢- التنافر وعدم الانسجام بين أصوات

١- المعنى الأول: التباعد بالمرحج أو الصفة:

استعمله من العلماء: المبرد، والرماني، وابن جني^(١)، وأبو الفضل الخزاعي^(٢)،
والخفاجي^(٣).

قال المبرد: "واعلم أن كل مدغم فيما بعده إذا كانا من كلمتين فإظهار الأول جائز؛
لأنه غير لازم للثاني، إلا أنه في بعض أحسن منه في بعض، على قدر تداني المخرج
وبُعدها"^(٤).

وذكر الرماني التباعد بالصفات وسمها: (التباعد بالخاصية)، قال عن حروف المد
واللين: "حروف المد واللين قد تباعدت بالخاصية من الحروف الصراح تباعداً شديداً؛ إذا
كان فيها مد ولين، وليس [ذلك] في الحروف الصراح. وهي من جنس الحركات...
وتقتضى الزيادة في الكلام بما ليس للحروف الصراح؛ إذ هي من جنس الحركات التي يُضطرُّ
إلى زيادتها لإمكان النطق بها، وليس ذلك للحروف الصراح. فلما تباعدت بالخاصية من
جميع الحروف الصراح صارت بمنزلة ما تباعد بالمرحج من الحروف الصراح"^(٥).

وبعيداً عن التكرار الزائد لبعض الألفاظ فإن هذا النص يعطى إشارة حول فهم
المتقدمين لطبيعة حروف المد.

٢- المعنى الثاني: التنافر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف:

استعمله القرطبي^(٦).

(١) الخصائص ٢/٢٢٧.

(٢) المنتهى ص ١٥٦.

(٣) سر الفصاحة ص ٥٤.

(٤) المقتضب ١/٣٨٦.

(٥) شرح كتاب سيويه ل ١٩٦/ب.

(٦) الموضح ص ٨٥ و ١٢٧.

٢- المصطلح الثاني للتباعد بين الحروف: (التراخي):

يدل أصله اللغوي على اللين والسهولة والاتساع. والراء مثلثه، يقال: رخو ورُخو ورُخو، وتراخى عن الأمر، إذا قعد عنه وأبطأ. ^(١)

استعمله المبرد، قال: "فإن قلت: هل طَرَقَكَ، أو هل دَفَعَكَ، أو هل تم لك، فالإدغام حسن والبيان حسن، وهو عندي أحسن؛ لتراخي المخرجين". ^(٢)

٣- المصطلح الثالث للتباعد بين الحروف: (المتباينان، التباين، المباينة):

يدل أصله اللغوي على بعد الشيء وانكشافه. فالبين: الفراق. ^(٣)

استُعمل (التباين، المتباينة، المباينة) في أكثر من معنى، منها:

- ١- التنافر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف.
- ٢- التنافر بين الأصوات الموسيقية في الحدة والثقل (النعمة غير التوافقية).
- ٣- التباعد بالمخرج أو الصفة.

١- المعنى الأول = التنافر بين الأصوات الموسيقية في الحدة والثقل (النعمة غير التوافقية):

"التباين (Dischord): وهو عكس التآلف، ويتحقق في النغم التي لا تستلذها المسامع أو تستريح لها النفس". ^(٤)

قال الكندي: "وكذلك إذا انتقلنا من بُعد، انتقلنا إلى بُعد مشاكل له. فإن الأبعاد المتباينة جداً، المتباعدة النهايات، إذا انتقل منها إلى بعد متقارب النهايات أحدثت تبايناً في المسموع". ^(٥)

(١) مقاييس اللغة ص ٤٢٦ (ر خ و) المصباح المنير ص ٢٢٤.

(٢) المقتضب ٣٤٩/١. وانظر: ٣٤٣/١.

(٣) مقاييس اللغة ص ١٤٧ (ب ي ن).

(٤) من تعريف الدكتور يوسف شوقي محقق رسالة الكندي: في خُبر صناعة التأليف ص ٦٩.

(٥) في خُبر صناعة التأليف ص ١٠١.

ومعنى كلام الكندي أن التباين في النغم ينشأ في القفزات الصوتية الكبيرة ما بين الغليظ والحاد فتكون على غير النسبة التأليفية، فتحدث لذلك تنافراً في السمع.

وحدد الكندي أنواعاً من التباين النغمي مرجعها إلى علم الموسيقى^(١).

٢- المعنى الثاني = التنافر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف:

استعمل القرطبي لفظ: (المباينة) للتعبير عن هذا المعنى.^(٢)

٣- المعنى الثالث = التباعد بالمخرج أو الصفة:

استعمله أبو العلاء الهمداني، قال: "وحكم المتقاربين والمتباينين حكم المتماثلين"^(٣)

٤- المصطلح الأول للتباعد بين الحروف: (المتنافران، التنافر):

يدل أصله اللغوي على تحاف وتباعد.^(٤)

استعمل (التنافر) في أكثر من موطن، منها:

١- التنافر بين الأصوات الموسيقية في الحدة والثقل (النغمات غير التوافقية).

٢- التباعد في المخرج والصفة.

٣- التنافر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف.

١- التنافر بين الأصوات الموسيقية في الحدة والثقل (النغمات غير التوافقية
(Discord):

عرّف إخوان الصفاء تنافر الأصوات بأنه الجمع على غير نسبة تأليفية.^(٥)

٢- التباعد بالمخرج أو الصفة:

(١) في خبر صناعة التأليف ص ٦٩.

(٢) الموضح ص ١٢٨.

(٣) التمهيد ص ٢٩٤.

(٤) مقاييس اللغة ص ١٠٠٢ (ن ف ر).

(٥) الرسائل ٣/١٣٨.

استعمله الرماني، قال في قلب التاء طاء في (مصطبر): "وإنما وجب قلب التاء طاء لتعديل الحروف بحرفٍ وسط بين الحرفين المتنافرين"^(١). والطاء هو الحرف الوسط والشفيع المحبب بين المتنافرين.

٣- التنافر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف:

استعمله القرطبي، قال: "وإذا كانت الجيم قبل الدال من (الأجدر)، وقبل التاء من (اجتمعوا) فليس بين الجيم والدال وبين الجيم والتاء من التنافر والتباعد ما بين الشين والدال"^(٢)

٥- المصطلح الخامس للتباعد بين الحروف: (الحروف المتفاوتة):

يدل أصله اللغوي على خلاف إدراك الشيء والوصول إليه. يقال: فاته الشيء فوتاً، وتفاوت الشيطان: تباعد ما بينهما، أي لم يدرك هذا ذلك.^(٣)

استعمله ابن جني، ولقّب الحروف المتباعدة ب: (المتفاوتة).^(٤)

ظواهر طلب التخفيف:

هناك ظواهر صوتية عديدة استعملتها العرب في سبيل طلب التخفيف بين أصوات الحروف، منها:

- ١- الإدغام.
- ٢- الإتياع.
- ٣- تقريب الحروف الأصلية من بعضها، كتقريب ألف المد من الياء والواو.
- ٤- نقل الحركة.
- ٥- علاقة الحركات بحرف المد.

الظاهرة الأولى من ظواهر طلب التخفيف بين الحروف: الإدغام:

الجهة الأولى: الألفاظ المستعملة للإدغام:

(١) شرح كتاب سيبويه لـ ٢٠٣/ب و ٢٠٤/أ.

(٢) الموضح ص ٨٦.

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٠٠ (ف و ت).

(٤) الخصائص ١/٥٩.

ظاهرة الإدغام من أعظم ظواهر التخفيف، والتقريب بين الأصوات. جعلها سيبويه الأصل في طلب التخفيف، وكان- في الغالب- يُرْجَعُ كل أنواع التقريب إليها من إمالة وتسهيل وإخفاء... الخ.

استعملت لهذه الظاهرة عدة ألفاظ، منها:

- | | |
|-------------|---------------------|
| ١- الإدغام. | ٢- الانحشاء. |
| ٣- اللفيف. | ٤- الإدخال، الدخول. |
| ٥- الإخفاء. | ٦- الاختلاس. |
| | ٧- الإخماد. |

١- المصطلح الأول لظاهرة الإدغام: (الإدغام):

من المشترك اللفظي. من أصله اللغوي أن يدل على دخول شيء في مدخل ما. كقولهم: أدغمت الفرس في فم اللجام. وجعل الزمخشري إدغام الحرف في الحرف من المجاز. (١)

استعمل لفظ: (الإدغام) في أكثر من معنى، منها:

- | | |
|---------------------------|------------------------------------|
| ١- إدخال الحرف في الحرف. | ٢- إخفاء الحركة. |
| ٣- إخفاء الميم عند الباء. | ٤- تسهيل الهمزة بين بين. |
| ٥- حذف الهمزة. | ٦- مشارك في التعبير عن عيوب النطق. |

١- المعنى الأول ل: (الإدغام)= إدخال الحرف في الحرف:

وهو الأصل فيه. استعمله كثير من العلماء لا يحدون، منهم: أبو عمرو بن العلاء^(٢)، والخليل^(٣)، وهارون الأعمور^(٤)، وابن جهماز^(٥)، وسيبويه^(٦)، وإسماعيل بن جعفر

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٩ (د غ م)، وأساس البلاغة ص ١٩٠.

(٢) نقله عن الداني في الإدغام الكبير ص ٣٩.

(٣) العين ٢٣٦/٥.

(٤) السبعة ص ٤١٠.

(٥) المرجع السابق ص ١١٤.

(٦) الكتاب ١٠٤/٤ و ٤٣١.

القارئ^(١)، والفراء^(٢)، والأخفش^(٣)، وخلف بن هشام^(٤)، وهشام بن عمار^(٥)، والداني^(٦)، وأبو العلاء الهمداني^(٧)، وغيرهم. ولم ينقطع اتصال هذا المصطلح بهذا المعنى إلى آخر الفترة.

مثال: قال أبو عمرو بن العلاء: "الإدغام كلام العرب الذي يجرى على ألسنتها لا يحسنون غيره، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: (فهل من مُدَّكِر) و (اطَّيَّرنا بك) و (أثَّاقَلتم) وفي (اضْطُرُّ) وكل شيء نحو (بسم الله الرحمن الرحيم)، ما أذهب اللام؟ أليس لإدغامها في الراء؟. قال: والإدغام لا يُنقص من الكلام شيئاً؛ لأنك إذا أدغمت شددت الحرف فلم تنقص شيئاً. قال: والعرب إنما تدغم ليكون أخف، فإذا كان الإدغام أثقل من التمام أتموا".^(٨)

هذا النص أحد النصوص القديمة الخطيرة عن أحد جهاينة القراء من رؤساء المذهب النحوي البصري، بين فيه أبو عمرو أن ظاهرة الإدغام ظاهرة منتشرة معروفة في أوساط العرب، وهو كلامهم الذي تجرى به ألسنتهم. ووضح أن هذا الإدغام إنما المقصود منه التخفيف فإذا انتقض شرط التخفيف رجعت الكلمة إلى أصلها وهو الإظهار الذي عبر عنه ب: (التمام)، وأظهر أن هذا الإدغام لا يبخس الحروف حقها ولا ينقصها لأن التشديد في وزن حرفين كما كان في المظهر، غاية الأمر أنه غُيِّر إلى جنس ما يليه، مع تشديدهما معاً.

٢- المعنى الثاني ل: (إدغام) = إخفاء الحركة:

استعمله من العلماء: سيبويه، قال: "ومما قالت العرب في إدغام الهاء في الحاء قوله:

كأثَّما بعد كاللِ الرَّاجِرِ ومَسِحِي مُرُّ عقابِ كاسِرِ

(١) السبعة ص ١١٤.

(٢) معاني القرآن ١/٧٥.

(٣) معاني القرآن ٢/٥٣٣.

(٤) جامع البيان ٢/٦٨١.

(٥) المرجع السابق ٢/٦٨٢.

(٦) التحديد ص ٧٠.

(٧) التمهيد ص ٢٣٧.

(٨) الإدغام الكبير للداني ص ٣٩.

يريدون: وَمَسْحِهِ". (١)

قال الأستاذ عبد السلام هارون - رحمه الله تعالى - في هامش النص: "والشاهد فيه إخفاء الهاء في: (ومسحه)، وسيبويه يسميه إدغاماً، وهو يعنى الإخفاء؛ لأن الإخفاء عنده ضرب من الإدغام، وإلا فإن الإدغام لا يجوز في البيت؛ لثلا ينكسر البيت" اهـ.
أظن أن الإخفاء هنا هو نوع من اختلاس الحركة، وقد سمي الفراء هذا الاختلاس في أحد نصوصه إدغاماً خفياً. (٢)

واعترض الأخفش والمبرد على تعبير سيبويه عن إخفاء الهاء بالإدغام. ودافع عنه ابن ولاد، وأبو علي الفارسي، والرماني (٣)، وابن جني. (٤)

والمشكل في النص هو كيفية النطق بهذا الإخفاء: هل هو اختلاس لحركة الهاء؟ أم النطق بشبه همزة مسهلة مكسورة؟ أم بياء مبدلة من الهاء؟ وعلى كل فالسبب من إيراد هذا الشاهد عند سيبويه هو امتناع إدغام حرف حلقي في حرف أعمق منه في المخرج، وجواز ذلك في حرف من مخرجه أو فيما بعده اتجاه الفم.

٣- المعنى الثالث ل: (الإدغام) = إخفاء الميم عند الباء:

استعمله من العلماء: يحيى اليزيدي، وهو راوي أبي عمرو بن العلاء في القراءة، حيث سُمِّي إخفاء الميم - عند من أسكنها - عند الباء في نحو قوله تعالى: (بَأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ) إدغاماً. (٥)

وتابعه: الوليد بن حسان (٦) - ممن روى - يعقوب عن يعقوب الحضرمي - وأبو الفضل الخزاعي. (٧)

(١) الكتاب ٤/٤٥٠.

(٢) معاني القرآن ١/١٨.

(٣) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٨/أ.

(٤) الانتصار لسيبويه على المبرد ص ٢٦٨، والحجة لأبي علي الفارسي ٢/٣٩٦، واللسان ٥/١٤١.

(٥) جامع البيان ٢/٤٢٤. والإدغام الكبير ص ٨١.

(٦) نقل ذلك عنه المالكي في الروضة ١/٣٧٤.

(٧) المنتهى ص ١٦٩.

قال الداني موضحاً مجازَ هذا اللفظ: "وترجم اليزيدي وغيره من الرواة والمصنفين عن هذه الميم بالإدغام على سبيل المجاز وطريق الإتيان، لا على الحقيقة إذ كانت لا تُثقلُ بَاءً بإجماع من أهل الأداء، وإنما تسقط حركتها تخفيفاً، فتخفى بذلك لا غير، وذلك إخفاءً للحرف لا إخفاءً للحركة، فأما إدغامها أو قلبها فغير جائز؛ للغة التي فيها إذ كان ذلك يذهبها فتختلُّ لأجله"^(١)

٤- المعنى الرابع ل: (الإدغام) = تسهيل الهمزة بين بين:

لما كان الإدغام معناه عدم الظهور ساغ لبعض العلماء أن يعبر به عن تسهيل الهمزة بين بين، استعمل ذلك من العلماء: داود بن أبي طيبة، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن، وأبو يعقوب الأزرق في روايتهم عن ورش حيث عبَّروا بلفظ (الإدغام) عن تسهيل الهمزة الثانية في نحو: (هؤلاء إن كنتم) و (شهداء إذ)، قالوا: "وإذا كانت الهمزة الأولى آخر حرف والثانية أول حرف بيّن الأولى وأدغم الثانية" اهـ.

قال الداني: "يريدون بإدغامها تليينها وتقريبها من الحرف الذي منه حركتها"^(٢).

٥- المعنى الخامس ل: (الإدغام) = حذف الهمزة:

لما كان الإدغام معناه عدم الظهور ساغ لبعض العلماء أن يعبر به عن حذف الهمزة من اللفظ، استعمل ذلك من العلماء أحمد بن جبير الأنطاكي حيث عبر بلفظ: (الإدغام) عن حذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام الساكنة قبلها في: (عادان الأولى) لتصبح في النطق (عادان لولى)، إذا كان مذهبه القراءة بلا إدغام، قال ابن جبير في مختصره في روايته مذهب ابن العلاء: "أنه أدغم همزة فاء الفعل".

وكان استعمال هذا اللفظ في هذا الموضوع غريباً على بعض القراء حتى قال عنه أبو طاهر بن أبي هاشم "وهذا مما لا يعقل".

قال الداني معلقاً: "قول ابن جبير معقولٌ مفهومٌ، وذلك أنه جعل الإدغام عبارة عن

(١) جامع البيان ٤٢٤/٢. وانظر إدغام القراءة للسيرافي ص ٥-٦.

(٢) نقل الداني هذا التعبير عنهم والتعليق عليه في المطبوع من جامع البيان ٥١٥/٢ و ٤٩٦/٢.

تسهيل الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها في ذلك، كما جعله أصحاب ورش عبارة عن تليينها وجعلها بين بين في نحو: (أَلِةٌ) و (أُؤَبِّئُكُمْ) وشبهه، فقالوا: (كما تُلَيِّئُ الأُولَى وتُدَعِّمُ الثانية). وذلك من حيث عُذِمَت من اللفظ في حال الإلقاء وذهب معظم صوتها في حال التليين كعدم الحرف المُدَعَّم وذهابه إذا أدغم، أو ضَعُفَ الصوت بحركته، فلما اشتركا في الذهاب وعدم الظهور عُبِّرَ عنهما بعبارة واحدة على مذاهب العرب في تسمية الشيء باسم الشيء إذا أشبهه في بعض معانيه، وذلك مجاز واتساع"^(١)

وهذا القول من أبي طاهر بن أبي هاشم يدل على فقدان شرط القصد لهذا المصطلح- الذي تحدث عنه في أو الدراسة- وهو الممارسة الفعلية لهذا اللفظ بهذا المعنى، أو هو من قبيل المواضع الفردية التي خالفت ما تعرفه المجموعة من دلالة لهذا اللفظ، أعني الإدغام.

٦- المعنى السادس ل: (الإدغام)= مشارك في التعبير عن عيوب النطق:

استعمله الكندي، قال عن المرض الكلامي الذي يسببه زيادة عضو النطق كعَيْبٍ خَلْقِيٍّ: "فأما علة زيادة العضو المنطقي فتكون من البرد والرطوبة، أو من الحرارة والرطوبة، فتُدغِمُ آلة الطبيعة أكثر مما يجب له من المقدار، فيغلظ العضو ويكبر، ويفسد النطق لذلك، وذلك أنه يسترخي".^(٢)

٢- المصطلح الثاني لظاهرة الإدغام: (الانحشاء):

أصله أن يودع الشيء وعاءً باستقصاء. قال الخليل: الحشو: ما حشوت به فراشاً وغيره. والحشية: الفراش المحشو. واحتشيت: بمعنى امتلأت.^(٣)

استعمله الخليل، قال: "انحشى صوت في صوت، وانحشى حرف في حرف".^(٤)

٣- المصطلح الثالث لظاهرة الإدغام: (اللفيف):

(١) نقل الداني هذا التعبير عنه والتعليق عليه في المخطوط من جامع البيان ل ٢٣٠/ب- ٢٣١/أ.

(٢) رسالة في اللغة ص ٥٣١.

(٣) العين ٢٦٠/٣، ومقاييس اللغة ص ٢٤٦ (ح ش و) أو (ح ش ي).

(٤) العين ٢٦٠/٣.

يدل أصله اللغوي على تلوي شيء على شيء. يقال: لفت الشيء بالشيء لفاءً، ولففت عمامتي على رأسي، ويقال: جاء القوم ومن لف لفهم، أي من تأشب إليهم، كأنه التف بهم، ويقال للعيي: ألفتُ، كأن لسانه قد التف، وفي لسانه لف. والألفُ: الذي تداني فخذاه من سمه، كأنهما التفتا. ويقال للرجل الثقيل البطيء: ألفتُ. واللفيف: ما اجتمع من الناس من قبائل شتى. والألفاف: الشجر يلتف بعضه ببعض.^(١)

استعمله الخليل، قال: "اللفيف: أن تُلَفَّ الحرف بالحرف، أي تدغم".^(٢)

٤- المصطلح الرابع لظاهرة الإدغام: (الإدخال):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على الولوج. يقال دخل يدخل دخولاً. ويُعدَّى بالهمزة فيقال: أدخلت زيدا داراً إدخالاً.^(٣)

استعمل (الإدخال) في أكثر من معنى، منها:

١- الإدغام وشاركه: (الدخول).	٢- الإبدال.
------------------------------	-------------

١- المعنى الأول ل: (الإدخال، الدخول) = الإدغام:

استعمله من العلماء: سيويه^(٤)، والأخفش، والفراء^(٥)، وأحمد بن صالح^(٦)، والدايني.^(٧)

مثال: قال الأخفش: "وقد قال بعضهم: (مُدكِر)، فأبدل التاء ذالاً، ثم أدخل الذال فيها".^(٨)

(١) مقاييس اللغة ص ٩٠٢-٩٠٣ (ل ف ف).

(٢) العين ٢/٢٧٠.

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٥٩ (د خ ل).

(٤) الكتاب ٤/٤٦٧.

(٥) معاني القرآن ٢/٣٥٣.

(٦) جامع البيان للدايني ٢/٧٢١.

(٧) الإدغام الكبير ص ٤٠.

(٨) معاني القرآن ٢/٥٩١.

٢- المعنى الثاني ل: (الإدخال) = الإبدال:

استعمله الفراء في إبدال تاء الافتعال طاء، قال: "قال بعض العرب: أَحَطُّ، فأدخل الطاء مكان التاء"^(١)

٥- المصطلح الخامس لظاهرة الإدغام: (الإخفاء):

مصطلح كبير، وظاهرة من ظواهر طلب التخفيف.

من المشترك اللفظي. من أصله أن يدل على الستر. خفي الشيء يخفى، وأخفيته: إذا سترته.^(٢)

استعمل: (الإخفاء) في أكثر من معنى، منها:

- ١- إخفاء النون عند الحروف الخمسة عشر.
- ٢- إخفاء الحركة والإسراع بها.
- ٣- (الإدغام بغنة، قلب النون ميماً، الإخفاء عند الخمسة عشر، إخفاء الميم الساكنة عند الباء).
- ٤- إدغام الباء في الميم.
- ٥- الإدغام.
- ٦- الإدغام مع بقاء أثر من الحرف الأول.
- ٧- إخفاء الميم عند الباء.

١- المعنى الأول ل: (الإخفاء) = إخفاء النون عند الحروف الخمسة عشر:

استعمله كثير من العلماء، منهم: سيبويه، وهو واضع هذا المصطلح بهذا المعنى، وناشر معانيه، ولا يكاد يخرج كلام من جاء بعده عن كلامه إلا في توضيح بعض الألفاظ.

وتابعه: المبرد^(٣)، وابن السراج^(١)، وابن مجاهد^(٢)، وابن جني^(٣)، وأبو الفضل

(١) معاني القرآن ٢/٢٨٩.

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٠٦ (خ ف ي).

(٣) المقتضب ١/٣٥٠.

الخزاعي^(٤)، والداني^(٥)، ومكي^(٦)، وأبو العز القلانسي^(٧).

وهذا الإخفاء هو الحكم المعروف عند أكثر الناس إلى زمننا الحاضر، وهو أحد أحكام النون الساكنة والتنوين، ويقتضي بأن تخفى ذات النون، وهو مخرجها من الفم، وتبقى غنَّتها، أي مخرجها من الأنف، إذا جاء بعدها أحد حروف اللسان الخمسة عشر، وهي: القاف والكاف، والجيم والشين والضاد، والطاء والذال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والثاء، والفاء.

وكان الرماني قد شرح كلام سيبويه عن هذه النون^(٨)، ورفع إشكال وضع اللسان عند هذا الإخفاء؛ حيث بيَّن أنه يكون في الحرف المخفى عنده، وشبَّه الإخفاء بالإدغام من حيث رفع اللسان عن مخرج المدغم فيه والمخفى عند رفعة واحدة؛ لأن المقصود من الإدغام والإخفاء واحد، وهو طلب التخفيف، قال الرماني عن النون المخففة: "ووجدوا لها مخرجاً من الخياشيم يخف إخراجها منه على نحو الخفة بالإدغام؛ لأن اللسان يرتفع رفعة واحدة للحرف في المدغم وفي النون التي تخرج من الخياشيم؛ لأنه ليس له عمل إلا في الحرف الذي بعدها، فالإخفاء فيها كالإدغام في رفع اللسان مرة واحدة"^(٩).

ومعنى: (الارتفاع عن الحرفين): تعبير عن انقلاع عضوي النطق عن مخرج الحرف المدغم فيه ومخرج المخفى فيه انقلاصاً واحداً بدلاً من انقلاعين إذا لم يدغما أو يخفياً.

يعنى إذا أدغمت النون عند الفاء فأنت تضع عضوي النطق، وهما في هذه الحالة أطراف الأسنان العليا مع باطن الشفة السفلي، أي في مخرج الفاء، ثم تجرى الغنة، ويصح

(١) الأصول ٤١٥/٣.

(٢) السبعة ص ٤٠٦.

(٣) الخصائص ٣٦٥/١.

(٤) المنتهى ٢٥٣.

(٥) التحديد ص ١١٥.

(٦) التبصرة ص ١١٨.

(٧) الإرشاد ص ١٦٥.

(٨) الكتاب ٤٥٤/٤.

(٩) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٩/أ.

عندئذ أن تقول إن للنون خمسة عشر مخرجاً عند الإخفاء.

وكان مكي أول من فرق بين الإدغام والإخفاء، فقال: "والإخفاء إنما يخفى الحرف في نفسه لا في غيره، والإخفاء إنما هو أن يدغم الحرف في غيره لا في نفسه، فتقول: خَفِيَتْ النون عند السين، وأخفيت النون عند السين. ولا تقول: خَفِيَتْ في السين ولا أَخْفَيْتَها في السين. وتقول: أدغمت النون في الواو، ولا تقول: أدغمتها عند الواو".^(١)

وأشار الداني إلى أن هناك تفاوتاً في إخفاء النون عند هذه الحروف، قال عن النون الساكنة والتنوين: "واخفاؤهما على قدر قربهما وبعدهما، فما قربا منها كانا عنده أخفى مما بعدا عنه".^(٢)

وكنت قد أجريت تجارب خاصة - بواسطة جهاز مقياس الغنة - لتحديد نسبة الغنة عند حروف الإخفاء، فجاءت كما يمثلها الرسم البياني، حيث سجل الجهاز أعلى نسبة للغنة عند القاف والكاف، وهذا يمكن تفسيره بأن أقصى اللسان - وهو مخرج القاف والكاف - يرتفع ويسد مجرى الصوت إلى الفم، فيخرج أكثر الهواء إلى جهة الخيشوم. ثم تقاربت نسبة الغنة عند الحروف الباقية لتأتي الثاء والذال في الدرجة الثانية، ثم الشين ثم الظاء، وسجلت الغنة أدنى معدلاتها في ثلاثة من حروف الإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء، وهو أمر ملفت للنظر. وهذه النسب ليست قياسية معيارية، لأنها قامت على راوٍ واحد، وتحتاج إلى تجارب أخرى للتأكد من نتائجها.

٢- المعنى الثاني ل: (الإخفاء) = إخفاء الحركة والإسراع بها:

استعمله من العلماء: سيبويه^(٣)، الأخفش، والنحاس^(٤)، والسيرافي^(٥)، وأبو علي الفارسي، وابن جني^(٦)، وطاهر بن غلبون^(١)، ومكي^(٢)، والداني^(٣).

(١) الرعاية ص ٢٦٨.

(٢) التحديد ص ١١٥.

(٣) الكتاب ٤/٣٩٧.

(٤) إعراب القرآن ١/٣٦٧.

(٥) إدغام القراء ص ٥.

(٦) الخصائص ١/٧٢.

مثال: قال الأحفش: "وقولهم: إن العين ساكنة من (نعمًا) إذا أدغمت خطأ؛ لأنه لا يجتمع ساكنان، ولكن إذا شئت أخفيته فجعلته بين الإدغام والإظهار، فيكون في زنة متحرك كما قرئت: (إني ليحزني) يشمون النون الأولى الرفع"^(٤)

ويُعَدُّ هذا المخفى في الوزن العروضي حركة كاملة، وإن ضعف الصوت بها، قال سيبويه: "وما تُخْفِيه وهو بزنة المتحرك".^(٥)

وذكر ابن جني أن إخفاء الحركة بمنزلة الهمزة بين بين في وزن المتحرك.^(٦)

وشرح أبو علي الفارسي هذه الحركة، فقال: "ولكنك تخفي الحركة، وإخفاؤها هو أن لا تُشبعها بالتمطيط، ولكنك تخلسها اختلاصاً".^(٧)

وبيّن الداني أن المخفي على نوعين: إخفاء الحركات، وإخفاء النون والتنوين. وشرح الداني معنى الإخفاء بالحركة، فقال: "فأما إخفاء الحركات فحقه أن يُضَعَّفَ الصوت بهن ولا يُتَمَّ".^(٨)

وقال الداني: "والمخفي شيان: حرف وحركة. فإخفاء الحرف: نقصان صوته، وإخفاء الحركة: نقصان تمطيطها"^(٩)

٣- المعنى الثالث لـ: (الإخفاء) = (إخفاء النون عند الخمسة عشر، الإدغام بغنة، قلب النون ميماً عند الباء، إخفاء الميم عند الباء):

هذه المجموعة جمعاً الفراء والقراء- ممن هم على مذهب الكوفيين- تحت مظلة:

(١) التذكرة ٢/٢٧٧.

(٢) التبصرة ص ٣٠٧.

(٣) التحديد ص ١٥٠.

(٤) معاني القرآن ٢/٤٦٢. قرأ قالون وأبو عمرو وشعبة باختلاس كسرة العين بخلف عنهم. والقراءتان متواترتان مقروء بهما. والأحفش من أئمة البصريين ممن لا يجيزون الجمع بين ساكنين في وسط الكلمة.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٦) المنصف ٢/١٩١.

(٧) الحجة ٤/٤٠٢. وراجع مصطلح: (التمطيط)، و(الاختلاس).

(٨) التحديد ص ١٠٠.

(٩) المرجع السابق ص ٩٦.

(الإخفاء)، وضابطها الأساسي قائم على قول الإمام أحمد بن نصر الشذائي: "المخفي ما تبقى معه غنة"^(١) ويكون المصطلح المقابل هو: (الإدغام)، أعني الإدغام المحض.

فيدخل تحت هذا الضابط: الإدغام بغنة، وقلب النون ميماً عند الباء، وإخفاء النون عند الحروف الخمسة عشر، وإخفاء الميم عند الباء. وإليك القراءة التاريخية لهذا المعنى في أربع نقاط:

١ - أشار الفراء إلى الإدغام بغنة وبلا غنة بقوله: "قوله - عز وجل - : (ن والقلم) : تُخفي النون الآخرة وتظهرها، وإظهارها أعجب إليّ؛ لأنها هجاء، والهجاء كالموقوف عليه وإن اتصل، ومن أخفاها بنى على الاتصال. وقد قرأت القراء بالوجهين؛ كان الأعمش وحمزة يُبيانها، وبعضهم يترك التبيان"^(٢).

فاستعمل الفراء أربعة مصطلحات يوحى الجمع بينها بالتناقض، مصطلحين للإدغام بغنة هما: (إخفاء النون)، و(تبيين النون). ومصطلحين آخرين للإدغام بلا غنة، وهما: (إظهار النون)، و(ترك التبيان).

بيّن الداني مفهوم الفراء عن الإدغام بغنة بقوله: "فمن أبقى غنة النون والتنوين مع الإدغام لم يكن ذلك إدغاماً صحيحاً في مذهبه؛ لأن حقيقة باب الإدغام الصحيح أن لا يبقى فيه من الحرف المدغم أثر إذ كان لفظه ينقلب إلى لفظ المدغم فيه، ويصير مخرجه من مخرجه، بل هو في الحقيقة كالإخفاء الذي يمتنع فيه الحرف من القلب لظهور صوت المدغم"^(٣).

٢ - ونقل السيرافي عن الفراء قوله: "العنبر، وكل نون ساكنة قبل الباء مخفية، أخفيت النون قبل الباء"^(٤).

واعترض السيرافي على تعبير الفراء بمفهوم سيويوه وأصحابه، وهو على مذهبهم،

(١) التحديد ص ١٠٠.

(٢) معاني القرآن ١٧٢/٣.

(٣) جامع البيان ٧٢٩/٢.

(٤) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٧.

قال: "والذي قاله سيويه والبصريون إنها ميم، وهو الصحيح"^(١). ولم يُردِ الفراء غير هذا.

٣- انتقل هذا المصطلح بمفهوم الفراء إلى ابن مجاهد وأصحابه، ممن هم على مذهب الكوفيين، فنقلوه في كتبهم، وأدخلوا الميم الساكنة عند الباء ضمن هذه المجموعة، قال ابن مجاهد: "^(٢) والميم لا تدغم في الباء لكنها تخفى؛ لأن لها صوتاً في الخياشيم تواخي به النون الخفيفة" يعني حكم الميم عند الباء كحكمها عند الحروف الخمسة عشر في بقاء الغنة في الحرف الأول، ولا دخل هنا لزوال مخرج الحرف أو بقاءه.

وبين الداني أن التعبير عن هذه الميم مختلف فيها بين القراء فبعضهم عبر عنها بـ: (الإخفاء)، وبعضهم عبر عنها بـ: (البيان).^(٣)

وأوضح عبد الوهاب القرطبي أن معنى هذين المصطلحين واحد لا أن هناك اختلافاً في القراءة، قال: "فأما عبارة بعضهم عن ذلك بالبيان، فالذي عندي أنهم لم يريدوا البيان الذي هو التفكيك والقطع؛ لأن ذلك قد لفظ به جاء في الغاية من الثقل والاستبشاع، وإنما أرادوا بالبيان عدم الإدغام؛ لأن جماعة من أعمار القراء ذهبوا إلى أنه إدغام. فسَمَّوه [أي أصحاب هذا اللفظ] بياناً لينبها على أنه ليس بإدغام، وإن كان إخفاءً".^(٤)

٤- كانت مصطلحات سيويه ودلالاتها واسعة الانتشار- كما قدمت في أول الدراسة- وكان لمدرسة ابن مجاهد وأصحابه أثر كبير في مصطلحات علم القراءة، فحمل بعض القراء من الدارسين لكتاب سيويه- ممن لم يطلعوا على مفهوم الكوفيين- العبارات التي عبّرَ فيها عن هذه المعاني الأربعة بهذا المصطلح على ما أراده سيويه من الإخفاء، فوقعوا في الوهم، وصاروا يخفون ذات الميم في نحو: (من بعد) (ترميمهم بحجارة) كإخفائهم النون عند الخمسة عشر.

وشرح ابن الباذش هذا الخلاف في العبارات بين البصريين والكوفيين وما أدت إليه

(١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٦٧.

(٢) التحديد للداني ص ١٦٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٦.

(٤) الموضح ص ١٧٣ - ١٧٤.

من الوهم، قال: "قال: ابن مجاهد: والميم لا تدغم في الباء لكنها تُخفى؛ لأن لها صوتاً من الخياشيم تواخي به النون الخفيفة، قال [ابن مجاهد]: وهو قول سيبويه...

وقال لي [قول ابن الباذش الأب لابنه]: وما دُكر عن الفراء من إخفاء النون عند الباء فوجه ذلك أنه سُمِّي الإبدال إخفاءً، كما سُمِّي الإدغام في موضع آخر من كتابه إخفاءً، فيرجع الخلاف إلى العبارة لا إلى المعنى؛ إذ الإخفاء الصحيح^(١) في هذا الموضع لم يستعمله أحد من المتقدمين والمتأخرين في تلاوة، ولا حَكْوَة لعة.

وكذلك ما دُكر عن ابن مجاهد في إخفاء الميم عند الباء قول مُتَحَوِّزٌ به على سيبويه، فعلق عبارة الفراء على مذهب سيبويه، فإن كان عنده من التحصيل ما عند الفراء فَعُدْرُهُ ما دُكرنا، وإن كان أراد غير ذلك فهو افتئاتٌ على سيبويه.^(٢)

وقال ابن الباذش في موضع آخر: "قال لي أبي ﷺ: زعم الفراء أن النون عند الباء مخفأة، كما تخفى غيرها من حروف الفم.

وتأويل قوله أنه سُمِّي البديل إخفاءً. وقد أخذ بظاهر عبارته قوم من الفراء المنتحلين في الإعراب مذهب الكوفيين.

وتبعهم قوم من المتأخرين خلطوا بين مذهب سيبويه وعبارة الفراء، من القلب والإخفاء، فَعَلِطُوا.^(٣)

وهذا المعنى من أخطر المعاني في حاضر القراء اليوم؛ إذ ما حصل في عصر ابن الباذش من الوهم حصل ذكره في عصرنا الحاضر. فعسى أن تكون القراءة التاريخية لهذا المصطلح قد كشفت هذا المعنى وأزالت ذلك اللبس، والله الموفق.

وإليك بعضاً من استعمالات العلماء لمصطلح: (الإخفاء) في هذا المعنى الذي ذكرته:

١- التعبير عن الإدغام بغنة وإخفاء النون عند الحروف الخمسة عشر ب:

(١) يعني إخفاء النون عند الخمسة عشر كما هو مفهوم سيبويه.

(٢) الإقناع ١/١٧٩، و١٨٢.

(٣) جامع البيان ٢/٧٢٩.

(يخفي النون ولا يدغمها عند الراء واللام والقاف والكاف وسائر حروف المعجم إلا في مثلها):

هذا التعبير نقله الحسن بن داود المعدل الشهير بالنقار عن قاسم الخياط بسنده إلى شعبة عن عاصم. ^(١)

قال الداني عن هذا التعبير ومدلاً على هذا المعنى الذي ذكرته: "يريد أنه كان لا يُظهر مُدْهَبَ غُنْتِهَا، بل كان يقيها فيمتنع بذلك من القلب الصحيح والتشديد التام، وهذا مع الراء واللام والياء والواو خاصة. فأما مع باقي حروف المعجم سواهن فإن عمل اللسان بالنون والتنوين يَبْطُلُ معهن فيصيران غُنة من الأنف لا غير... ألا ترى الحسن بن داود كيف جمع بين ما يدغم فيه النون والتنوين ويبقى غنتها وبين ما يخفيان عنده ولا يدغمان رأساً، وأشار في العبارة، وسَوَّى بين حكمها في النوعين، وأطلق الإخفاء عليهما في الضربين، وذلك لما اشتركا فيها في بيان الصوت وامتناع القلب" ^(٢).

وهذا التعبير من أقوى الحجج على أنهم كانوا يعبرون عن الإدغام بغنة والإخفاء عند الخمسة عشر حرفاً بلفظ الإخفاء؛ لبقاء غنة الحرف الأول.

٢- (الإخفاء الذي ليس بإدغام محض في التاء والقاف والواو): السعيدي. وهو دليل على مفهوم مصطلح الإخفاء وأنه يشمل الإدغام بغنة ^(٣).

٣- (إخفاء النون والتنوين عند حروف اللسان غير الراء واللام): الداني. ^(٤)

استعمال الداني لهذا التعبير يُظهر أن الإدغام التام ما هو إلا للراء واللام، وباقي الحروف مخفأة، وهو في هذا يتفق مع من اعتبر أن أحكام النون الساكنة والتنوين ثلاثة: إظهار، وإدغام محض، وإخفاء ويشمل الإدغام بغنة والإخفاء والإقلاب.

(١) جامع البيان ٧٢٩/٢.

(٢) المرجع السابق ٧٢٩/٢ - ٧٣٠.

(٣) اختلاف القراء في اللام والنون ص ٦٧.

(٤) التحديد ص ١٠٠.

ومن أجل هذا أتبع مفهومه للإخفاء بنص أحمد بن نصر الشذائي أن المُخْفَى ما تبقى معه غنة.

غير أنه من الملاحظ على الداني أنه أتى في موضع آخر، وذكر أن أحكام النون والتنوين أربعة متابعاً في ذلك سيبويه وأصحابه. ^(١)

٤- المعنى الرابع ل: (الإخفاء) = إدغام الباء في الميم:

استعمله من العلماء: نصير بن يوسف.

قال الداني عن الباء مع الميم في (اركب معنا): "وروى نصير عن الكسائي إخفاء الباء عند الميم في ذلك. وأحسبه أراد الإدغام، وبذلك قرأت في روايته". ^(٢)

٥- المعنى الخامس ل: (الإخفاء) = الإدغام:

لما كان الإدغام هو نوع من الإخفاء ساغ لبعض العلماء أن يستعمل ذات اللفظ للتعبير عن هذه الظاهرة.

استعمله من العلماء: نصير بن يوسف ^(٣)، وأحمد بن يحيى الملقَّب بنعلب. ^(٤)

قال نصير بن يوسف عن إدغام الفاء في الباء في قوله: (نُحْسِفُ بِهِمْ): "الفاء عند الباء مخفاة اه" قال الداني: وأراد الإدغام، وبذلك قرأت من طريقة". ^(٥)

٦- المعنى السادس ل: (الإخفاء) = الإدغام مع بقاء أثر من الحرف الأول:

استعمله نصير بن يوسف كتعبير عن الإدغام الذي يبقى معه أثر من الحرف الأول، مثل بقاء الإطباق، والجملة: (إخفاء ظاء: (أَوْعَظْتَ) بلا إظهار بيِّن ولا إدغام لا يبقى منه شيء).^(٥)

(١) انظر ذلك في التحديد ص ١١١.

(٢) جامع البيان للداني ٦٩٨/٢ -

(٣) معاني القراءات للأزهري ١١٩/١.

(٤) المرجع السابق ١١٩/١.

(٥) جامع البيان ٦٩١/٢.

قال الداني معلقاً على هذا التعبير: "فهذا يدل على أنه كان لا يدغم الظاء ويُبقي لها صوتاً، فيمتنع قلبها تاء خالصة لذلك".^(١)

٧- المعنى السابع ل: (الإخفاء)= إخفاء الميم عند الباء:

استعمله من العلماء: طاهر بن غلبون^(٢) ، والداني.

وأصحاب هذا التعبير ليسوا من أصحاب الفراء، بل هم من الذين تابعوا سيويوه في مذهبه وتقسيماته، وهو لم يعط اسماً لهذا الحكم، فاستعار هذا الفريق هذا اللفظ من مذهب الفراء وأصحابه، والله أعلم.

مثال: قال الداني: "وأما الميم فأخفاها عند الباء إذا تحرك ما قبلها، نحو قوله: (بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)... والقراء يُعَبَّرُونَ عن هذا بالإدغام وليس كذلك، لامتناع القلب فيه، وإنما تذهب الحركة فتُخْفَى الميم".^(٣)

٦- المصطلح السادس لظاهرة الإدغام: (الاختلاس):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على الاختطاف والأتِماع. خَلَسْتُ الشيء خَلْسَةً: اختطفته بسرعة على غفلة، واختلسه كذلك.^(٤)

استعمل: (الاختلاس) في أكثر من معنى، منها:

١- اختلاس الحركة وإخفاء الصوت بها. ٢- قصر صلة هاء الضمير.

٣- الحركة الكاملة. ٤- الإدغام.

٥- مشارك في الإمالة الصغرى. ٦- معنى متردد بين إثمَام الحركة واختلاسها

١- المعنى الأول ل: (الاختلاس)= اختلاس الحركة وإخفاء الصوت بها:

وهو مرادف ل: (إخفاء الحركة).

(١) التعبير والتعليق في جامع البيان للداني ٧٠٩/٢.

(٢) التذكرة ٩٠/١.

(٣) التيسير ص ٢٨.

(٤) مقاييس اللغة ص ٣٠٨، والمصباح المنير ص ١٧٧ (خ ل س).

استعمله من العلماء: سيبويه، ومحمد بن سعدان^(١)، والزجاج^(٢)، وابن مجاهد^(٣)،
وابن مهران^(٤)، وابن جني^(٥)، وأحمد بن فارس اللغوي^(٦)، ومكي^(٧)، والداني^(٨)،
والقرطبي^(٩)، وأبو العلاء الهمداني^(١٠).

مثال: قال سيبويه: "وأما الذين لا يُشْبِعُونَ فيختلسون اختلاصاً، وذلك قولك:
يَضْرِبُهَا، ومن مَأْمَنِكَ، يُسْرِعُونَ اللفظ. ومن ثم قال أبو عمرو: (إلى بَارئِكُمْ). وَيَدُلُّكَ على
أنها متحركة قولهم: من مَأْمَنِكَ، فَيُبَيِّنُونَ النون فلو كانت ساكنة لم تُحَقِّقْ النون. ولا يكون
هذا في النَّصْب؛ لأن الفتح أخف عليهم.... ووزنُ الحركة ثابتة، كما تَثَبَّتْ في الهمزة حيث
صارت بين بين".^(١١)

فبين سيبويه أربعة أمور في هذا النص:

١- أن الاختلاس حقيقته إسراع اللفظ.

٢- إخفاء الصوت بالحركة.

٣- الحركة المختلصة تكون في الحرف المضموم والمكسور، ولا تكون في المفتوح لحقفة
الفتح، وإن كان قد وُجِدَ من اختلس الفتح من القراءة.

٤- الحركة المختلصة وحركة همزة بين بين تُعَدَّان في الميزان الصوتي العروضي كالحركة
الكاملة في الحرف المتحرك، وإن ضَعُفَ الصوت بهما.

(١) التذكرة لابن غلبون ٢/٢٥٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٨.

(٣) السبعة ص ٥٤١.

(٤) المبسوط ص ١٢٢.

(٥) الخصائص ١/٧٢.

(٦) الصاحبي ص ٢٠.

(٧) التبصرة ص ١٨٥.

(٨) التحديد ص ٩٥.

(٩) الموضح ص ١٩١.

(١٠) التمهيد ص ١٨٩.

(١١) الكتاب ٤/٢٠٢. والسبعة لابن مجاهد ص ١٥٥.

وقال الزجاج عن الاختلاس إنه كتقليل الصوت. (١)

٢- المعنى الثاني ل: (الاختلاس) = قصر صلة هاء الضمير:

يعنى الحركة الطبيعية المعروفة في هاء الضمير في نحو قوله تعالى: (يَرْضَهُ لَكُمْ) في رواية حفص عن عاصم وغيره. حيث لا تُلْحَقُ هذه الحركة بواو.

استعمله من العلماء: ابن جمار (٢)، وابن خالويه (٣)، والأزهري (٤)، وابن مهران (٥)، وطاهر بن غلبون (٦)، والدايني (٧)، وأبو معشر الطبري (٨).

قال أبو طاهر بن غلبون: "فأما الياء فكقوله تعالى: (لأخيه) فقرأ ابن كثير وحده بياء بعد الهاء في وصله حيث وقع، وقرأ الباقر باختلاس حركة الهاء حيث وقع". (٩)

٣- المعنى الثالث ل: (الاختلاس) = الحركة الكاملة:

استعمله من العلماء: أحمد بن صالح (١٠)، وأحمد بن جبير الأنطاكي (١١) وأبو الفضل الخزاعي (١٢).

وضابط هذا قول القرطبي: "فإذا سمعت حضاً أئمة القراءة على اختلاس الحركة في موضع ما، فإنما ذلك لأن الحركة تظهر على ذلك الحرف، وفي ذلك المكان، وينطاع بها اللسان أكثر من انطباعه بها على حرف آخر وفي موضع آخر، فيكون الإشباع إليها

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٧٥.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٩.

(٣) الحجة ص ١١١، ١٥٩، و٢٦٦.

(٤) معاني القراءات ١/٤١٥.

(٥) المبسوط ص ١٤٥.

(٦) التذكرة ١/٩٥.

(٧) التيسير ص ٣٠ وجامع البيان ١/٥٠.

(٨) التلخيص ٢٣٤.

(٩) التذكرة ١/٩٥.

(١٠) جامع البيان للدايني ٢/٣٦٢.

(١١) المرجع السابق ل ١١٢/ب.

(١٢) المنتهى ص ٤٣٨.

أسرع".^(١)

٤ - المعنى الرابع ل: (الاختلاس) = الإدغام:

لما كان الإدغام نوعاً من الخفاء والستر في المدغم فيه ساغ لبعض القراء أن يستعمل لفظ: (الاختلاس) بمعنى الإدغام، فاستعمله أبو الحسن علي بن يزيد بن كيسه، وأبو الحارث الليث بن خالد^(٢)، وأحمد بن يزيد الحلواني.^(٣)

قال الداني فيمن عبر ب: (الاختلاس) عن إدغام الياء في قوله: (مَنْ حَيٍّ): "وعن ابن كيسه عن سليم عن حمزة: مختلصة الياء" اهـ.

قال الداني: "وأحسبه يريد الياء الأولى، وكذلك حكى عن نافع: بيانها وتثقيلها؛ يريد بتثقيلها: تحريكها بالكسر. وحكى عن حمزة اختلاسها، يريد إدغامها؛ لأنه قد قال عنه في إدغام: (والذاريات ذروا) يختلس التاء. أي: يدغمها، وذلك مجاز واتساع".^(٤)

٥ - المعنى الخامس ل: (الاختلاس) = مشارك في الإمالة الصغرى:

استعمله الأخفش هارون بن موسى الدمشقي، قال في حكايته لمذهب ابن عامر في القراءة: "(الر) يختلس كسرة الراء وسطاً بين ذلك" اهـ. قال الداني معلقاً: "وقرأت من طريقه بإخلاص الإمالة، وعلى ذلك أهل الأداء عنه"^(٥).

تعليق الداني يشير إلى أن تعبير الأخفش الدمشقي يفيد الإمالة الصغرى، والله أعلم.

٦ - المعنى السادس ل: (الاختلاس) = إشماع الحركات أو اختلاس الحركة في قوله

تعالى: (مِنْ لَدُنْهِ) في رواية شعبة؟؟:

استعمله: أبو الفضل الخزاعي^(٦)، وأبو معشر الطبري.^(١)

(١) الموضح ص ١٩٢.

(٢) جامع البيان للداني ل ٢٣٧/ب.

(٣) المرجع السابق ل ٢٣٧/ب.

(٤) المرجع السابق ل ١٥٨/ب.

(٥) المرجع السابق ل ١٦٣/أ.

(٦) المنتهى ص ٤٥٢.

لفظ: (الإشمام) هو الذي يستعمله القراء في هذه الكلمة، ويكون ذلك بإسكان لدال إسكاناً محضاً ثم ضم الشفتين من غير صوت يُسمع، ثم كسر النون، فإذا كان المقصود بلفظ: (الاختلاس) عند من استعمله بهذه الكيفية، فهذا ما اتفق عليه جمهور القراء. وأما إن كان المقصود اختلاس حركة الدال - كحركة الرّوم - كما يفهم من ظاهر النص، فلا أعلمه جاء في قراءة، والله أعلم.

٧- المصطلح السابع لظاهرة الإدغام: (الإخماد):

يدل أصله اللغوي على سكون الحركة والسقوط. خمدت النار خموداً، إذا سكن لهبها. وخمدت الحُمَّى: إذ سكن لهبها، وخمدت الحُمَّى إذا سكن وهجها، ويقال للمغمى عليه: خمد. (٢)

استعمله أبو عبيدة معمر بن المثنى، قال: " (هل تعلم له سمياً): هل تعرف له نظيراً ومثلاً. إذا كان بعد (هل) تاء، ففيها لغتان: فبعضهم يبين لام (هل)، وبعضهم يُخمدُها، فيقول: (هتعلم)، كأنها أدغمت اللام في التاء، فثقلوا التاء". (٣)

٨- المصطلح الثامن لظاهرة الإدغام: (الإطفاء):

في اللغة: طَفِئَتِ النار تَطْفُؤُ طَفْؤاً وطُفِئَتْ وانطفأت: ذهب لهبها، وأطفأها هو. (٤)
استعمله أبو بكر محمد بن حفص الدوري (ولد أبي عمر الدوري الراوي المشهور)، نقل الداني عنه قوله: "كان أبو عمر -يعني حفصاً^(٥)- لا يحرك النونات عند هذه الستة الأحرف تحريكاً شديداً، بل كان يجب أن يسكن النون مع البيان، ولا يطفى هذه النون عند الأحرف الأربعة: الياء والواو والراء واللام" اهـ.

(١) التلخيص ص ٣١٨.

(٢) مقاييس اللغة ص ٣١١ (خ م د).

(٣) مجاز القرآن ٩/٢.

(٤) لسان العرب ١١٤/١ (ط ف أ).

(٥) ما بين الإشارتين من تفسير الداني.

قال الداني معلقاً: يريد أنه كان يُبيّن غنتها عندهن.^(١)

وسياتي هذا التعبير في الإدغام بغنة، إلا أن ما نأخذه منه هنا هو لفظ: (الإطفاء) تعبيراً عن الإدغام المحض.

٩- المصطلح التاسع لظاهرة الإدغام: (الإدغام الأكبر):

استعمله من العلماء ابن جني.^(٢)

وتكمن نظريته فيه أن معنى الإدغام هو تقريب الصوت من الصوت، فإذا أدى هذا التقريب إلى أن يقلب الأول إلى جنس الثاني ويدغم فيه فهو إدغام أكبر، وإن قُرّب الحرف من الحرف فقط، كما في الإمالة وغيرها، من غير أن يؤدي ذلك إلى الإدغام فهو إدغام أصغر.

١٠- المصطلح العاشر لظاهرة الإدغام: (الدفن):

يدل أصله اللغوي على استخفاء وغموض. يقال: دفن الميت. والداء الدفين: الغامض الذي لا يُهتدى لوجهه.^(٣)

استعمله أبو عمرو الداني، قال عن الإدغام المحض: "فحقيقته"^(٤) ما ذكرناه من دفن الحرف وإدخاله في مثله إدخالاً شديداً".^(٥)

الجهة الثانية للإدغام: تعريفات الإدغام:

هناك تعريفات كثيرة قدمها العلماء للإدغام يدور أكثرها حول الإدغام المحض، أعنى الإدغام الذي لا يبقى فيه أثر من الحرف الأول، وحول ثمرة هذا العمل الذي يتم فيه تحقيق الخفة والانسجام بين الحرفي المتلاقيين، ومن هذه التعريفات:

(١) التعبير والتعليق في جامع البيان للداني ٧٢٧/٢.

(٢) الخصائص ١٣٩/٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٤٠ (د ف ن).

(٤) في المطبوع: (فحقيقة).

(٥) الإدغام الكبير ص ٤٠.

- تعريف الخليل: "الإدغام: إدخال حرف في حرف".^(١)
- تعريف سيبويه: عرف الإدغام في المتماثل والمتقارب ذاكراً العلة منه، قال: "والإدغام إنما يدخل فيه الأول في الآخر، والآخر على حالة. ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد، نحو (قد تركتك)، ويكون الآخر على حالة".^(٢)
- تعريف المبرد: "الإدغام: نقل الأثقل إلى الأخف".^(٣)
- تعريف الزجاج: "الإدغام: هو قلب المدغم إلى لفظ المدغم فيه"^(٤).
- تعريف ابن السراج: "وهو وصلك حرفاً ساكناً بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة، ويشتد الحرف، ألا ترى أن كل حرف شديد يقوم في العروض والوزن مقام حرفين، الأول منهما ساكن".^(٥) وعرفه الداني نحواً من ذلك^(٦)، والقرطبي.^(٧)
- تعريف بن مجاهد: عرفه تعريفاً دقيقاً ذاكراً فيه علة، فقال: "والإدغام تقريب الحرف من الحرف إذا قُربَ مخرجه من مخرجه في اللسان؛ كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه، وهو عند الخليل - إذا أُظْهر - مثل إعادة الحديث مرتين أو كخطو المقيد".^(٨)
- تعريف الزجاجي: "الإدغام: التقاء حرفين من جنس واحد أو متقاربين، فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني، أي تدخله فيه، فيصير حرفاً واحداً مشدداً ينبو

(١) نقل ذلك عنه القالي في البارع ص ٣٥٢.

(٢) الكتاب ٤/١٠٤.

(٣) المقتضب ١/٣٥٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٣٥.

(٥) الأصول ٣/٤٠٥.

(٦) التحديد ص ٩٩.

(٧) الموضح ص ١٣٩.

(٨) السبعة ص ١٢٥.

اللسان عنه نبوة واحدة".^(١) وعرفه ابن جني نحواً من ذلك^(٢). ويرجع تعريفهما إلى تعريف سيويه.

- تعريف الداني: الإدغام "تخفيف وتقريب".^(٣)

الجهة الثالثة: قوانين وقواعد الإدغام:

١- (العرب تدغم للخفة، فإذا كان الإدغام أثقل أظهروا): أبو عمرو بن العلاء^(٤)، والسيرافي^(٥)، والداني^(٦).

مثال: امتناع إدغام قاف: (فوق) في كاف (كل) من قوله تعالى: (فوق كل ذي علم عليم)؛ للاكتفاء بخفة الساكن [الواو] عن خفة الإدغام. ومثله إظهار: (فلا يحنك كفه) و (عليك قولاً) و (تركوك قائماً).

٢- (لا يدغم الأفضل صوتاً في الأنقص منه؛ لما يدخله من الاختلال بذهاب صوته في الإدغام): سيويه^(٧)، والفارسي^(٨)، والداني^(٩)، وابن الأنباري^(١٠).

مثال: بقاء صفة الإطباق في نحو: (بسطة).

٣- (إدغام الأول في الآخر هو الأصل، والعكس ضد القياس): سيويه^(١١).

مثال: الأصل في إدغام مُثَرَّدٍ: مُثَرَّدٌ، أن تدغم الشاء في التاء وإن قلب الثاني إلى لفظ الأول ثم إدغامه فيه في نحو: مُثَرَّدٌ خلاف الأصل.

(١) شرح جمل الزجاجي لابن هشام ص ٤٤٩.

(٢) المنصف ٩١/٢.

(٣) الإدغام الكبير ص ٤٠.

(٤) نقله عنه الداني في الإدغام الكبير ص ٣٩.

(٥) إدغام القراء ص ٥٨.

(٦) الإدغام الكبير ص ٥٦.

(٧) الكتاب ٤/٤٤٨، و ٤٦٠، و ٤٦٤.

(٨) التكملة ص ٢٧٩.

(٩) الإدغام الكبير ص ٤٢.

(١٠) أسرار العربية ص ٢١٠.

(١١) الكتاب ٤/٤٦٧.

- ٤ - (حروف الحلق ليست بأصل للإدغام): سيويه، وابن السراج. ^(١)
- ٥ - (يُدغم ما يثقل على اللسان إظهاره، ويُظهِر ما يسهل فيه الإظهار): الفراء ^(٢). وهي من القواعد الذهبية.
- ٦ - (الإدغام: نقل الأثقل إلى الأخف): المبرد. ^(٣)
- ٧ - (التخفيف من كثرة الحركات بالإدغام): الزجاج. ^(٤)
- ٨ - (إذا ثقل الإدغام فالإظهار أولى؛ لكون الإدغام للتخفيف): ابن مجاهد ^(٥). وهو يرجع في بعضه إلى قانون الفراء.
- ٩ - (حروف وسط اللسان أمكن في الإدغام من طرفه): السيرافي. ^(٦)
- ١٠ - (حروف داخل الفم أمكن من حروف الشفتين في الإدغام): السيرافي. ^(٧)
- مثال: إدغام الباء في الفاء عند أبي عمرو بن العلاء، وامتناع العكس عنده.
- ١١ - (الإدغام أولى إذا سكن أول المثلين والمتقاربين): ابن خالويه. ^(٨)
- ١٢ - (اجتماع الأمثال وتوالي الحركات سبب للإدغام): أبو علي الفارسي. ^(٩)
- ١٣ - (الإدغام فيما كان أقرب إلى الفم أحسن): الفارسي. ^(١٠)
- ١٤ - (الإدغام يحسن إذا قَوَّى الحرف المدغم فيه المدغم): ابن جني. ^(١١)

(١) الأصول ٤١٣/٣.

(٢) معاني القرآن ٣٥٣/٢.

(٣) المقتضب ٣٥٦/١.

(٤) معاني القرآن وإعراجه ١٧٥/٥.

(٥) نقل ذلك عنه السيرافي في إدغام القراء ص ٥٨.

(٦) إدغام القراء ص ١٧.

(٧) إدغام القراء ص ١٦. وقد أشار إلى ذلك سيويه في الكتاب ٤٤٩/٤.

(٨) الحجة ص ٦٣.

(٩) الحجة ٣٨٤/٦.

(١٠) الحجة ١٣٦/٥.

(١١) المحتسب ٥٩/١.

مثال: كإدغام التاء في الطاء، قال: "وعلمته أن الحرف إذا أدغم خفي فضعف، فإذا أدغم في حرف أقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه لقوته، فكان في ذلك تدارك وتلاف لما جُني على الحرف المدغم".

١٥ - (الإخفاء والإدغام للمقاربة أو التزاحم في مخرج واحد): السعيدي. ^(١)

١٦ - (علة الإدغام إرادة التخفيف): مكّي القيسي ^(٢)، والداني وزاد: (وكراهة الاستثقال) ^(٣)، والقرطبي.

قال القرطبي: "والعلة في ذلك أن اعتماد آلة النطق على موضع وارتفاعها عنه، وعودها إليه ثم ارتفاعها عنه مستثقلٌ يشبه مشي المقيد، فجعل اللسان أو غيره من المخارج ينبو عنهما نبوة واحدة؛ طلباً للخفة، ولما في ذلك من السهولة على الالفاظ". ^(٤)

١٧ - (أصل الإدغام لحروف الفم واللسان لكثرتها في الكلام وقرب تناولها): الداني. ^(٥)

١٨ - (الحرفان في الإدغام للرفعة الواحدة عن المخرج بمنزلة حرف متحرك): الداني. ^(٦)

يعنى انفصال الحرفين عن المخرج في الإدغام وانفصال الحرف المتحرك واحد.

١٩ - (الإدغام في كلمة أقوى منه في كلمتين؛ لتعذر الانفصال): الداني. ^(٧)

شرح: يمكن - مع الثقل - الإظهار في الكلمتين المدغمتين، بحيث تنفصل كل كلمة عن الأخرى، لكن ذلك يمتنع فيما كان من كلمة واحدة.

(١) اختلاف القراءة في اللام والنون ص ٦٤.

(٢) الكشف ١/١٣٤.

(٣) الإدغام الكبير ص ٤٠.

(٤) الموضح ص ١٣٩.

(٥) الإدغام الكبير ص ٤١.

(٦) جامع البيان ٢/٤٠٩.

(٧) الإدغام الكبير ص ٤٢.

٢٠- ضَعْفُ الإِدْغَامِ فِي حُرُوفِ الْحَلْقِ وَالشَّفَتَيْنِ؛ لِقَلَّتْهَا وَبَعْدَ تَنَاوُلِهَا): الداني. (١)

٢١- (مَا امْتَنَعَ إِدْغَامَهُ مِنَ الْمُثَلِّينَ لَعَلَّهُ فَهُوَ فِي الْمُتَقَارِبِينَ أَمْنَعُ): الداني. (٢)

٢٢- (لَا يَدْغَمُ أَحَدُ الْمُتَجَاوِرِينَ فِي الْآخِرِ حَتَّى يُقَلَّبَ إِلَى لَفْظِهِ): الخفاجي. (٣)

الجهة الرابعة لظاهرة الإدغام: أنواع الإدغام:

ذكرت فيما مضى أنواع التجاور بين الحروف: التماثل، والتقارب من مخرج واحد أو من مخرجين أو بالصفة، والتباعد. وقد بُنِيَتْ أَحْكَامُ الإِدْغَامِ وَأَلْفَاظُهُ عَلَى التَّمَاثُلِ وَالتَّقَارِبِ، فَكَانَ هُنَاكَ إِدْغَامُ الْحَرْفِ فِي مِثْلِهِ، أَوْ مَقَارِبِهِ فِي الْمَخْرَجِ أَوْ بِالصِّفَةِ، قَالَ ابْنُ السَّرَاجِ: "وَالِإِدْغَامُ فِي الْكَلَامِ يَجِيءُ عَلَى نَوْعَيْنِ: أَحَدُهُمَا إِدْغَامُ حَرْفٍ فِي حَرْفٍ يَتَكَرَّرُ، وَالْآخَرُ: إِدْغَامُ حَرْفٍ فِي حَرْفٍ يِقَارِبُهُ". (٤) هَذَا هُوَ الْأَصْلُ الْعَامُّ فِي التَّأْلِيفِ وَالتَّقْرِيبِ، ثُمَّ نَظَرَ الْعُلَمَاءُ إِلَى الْحَرْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُتَجَاوِرِينَ مِنْ جِهَتَيْنِ:

١- سكونه أو تحركه.

٢- بقاء أثر منه عند إدغامه في الثاني، أو ذهاب ذلك الأثر منه.

ولكل من هذه التقسيمات أحكام عديدة في كتب العربية والقراءة. وسأهتم هنا بجانب الألفاظ والمصطلحات التي وُضِعَتْ لِكُلِّ قِسْمٍ.

النوع الأول من أنواع الإدغام: الإدغام التماثل والمتقارب:

أكثر الألفاظ التي تقدمت عند التجاور بين الحروف هي الألفاظ التي استعملها العلماء في باب الإدغام، بزيادة لفظ الإدغام أو أحد ألفاظه قبلها فلا داعي إلى تكرارها هنا، وأصحابها هناك هم أصحابها هنا.

النوع الثاني من أنواع الإدغام: سكون الحرف الأول أو تحركه:

(١) الإدغام الكبير ص ٤١.

(٢) المرجع السابق ص ٤٢.

(٣) سر الفصاحة ص ٤٧.

(٤) الأصول ٤٠٥/٣.

قسم القراء الإدغام في هذا القسم إلى إدغام صغير وكبير، فالصغير هو سكون أول المتماثلين أو المتقاربين في كلمة أو كلمتين، والكبير هو تحرك أولهما. فالصغير عند الإدغام ليس فيه إلا إدغام الأول في الثاني إن كانا متماثلين، أو قلب الثاني إلى جنس الأول- في الغالب- إن كانا متقاربين، ثم إدغام الأول في الثاني. أما الكبير فيحتاج إلى إزالة الحركة من أول المتماثلين أو المتقاربين عند الإدغام، ثم يأخذ مراحل الصغير بعد ذلك.

ولابد في الإدغام أن يسكن الأول ويتحرك الثاني، ولا يجوز أن يسكن الثاني بحال عند الإدغام، قال سيبويه: "فلم يكن ليكون إدغام إلا بسكون الأول. ألا ترى أن الحرفين إذا تقارب موضعهما فتحركا أو تحرك الأول وسكن الآخر لم يدغموا".^(١)

الإدغام الصغير:

من المشترك اللفظي. تقدم.

الإدغام الكبير:

هو أن يكون أول المدغمين متحركاً ثم يسكن للإدغام، مثل إدغام الميم في الميم في قوله تعالى: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة).

استعمله من العلماء: أبو شعيب صالح بن زياد السوسي، وابن مهران^(٢)، وأبو أحمد عبد الله بن الحسين السامري^(٣)، وطاهر بن غلبون^(٤)، ومكي بن أبي طالب^(٥)، والمالكي^(٦)، والداني^(٧)، وأبو معشر الطبري^(٨).

(١) الكتاب ٣٦٧/٤.

(٢) المبسوط ص ٩٧.

(٣) جامع البيان للداني ٢٧٩/١.

(٤) التذكرة ٧٢/١ و ٥١٧/٢.

(٥) التبصرة ص ١١٠.

(٦) الروضة ١٣٠/١ و ٣٧٤، و ٣٨٣.

(٧) التيسير ص ١٨٥ والإدغام الكبير ص ٣٤.

(٨) التلخيص ص ١٤٧.

مثال: قال أبو شعيب السوسي: "كان اليزيدي قراءته التي كان يقرئ بها الناس فيها إدغام الساكن، وكان له قراءة أخرى بالإدغام الكبير ينسبها إلى أبي عمرو، وفيها خفاء".^(١)

النوع الثالث من أنواع الإدغام: الإدغام مع بقاء أثر المدغم أو عدمه:

الأصل في الإدغام أن لا يبقى أثر من الحرف الأول عند الإدغام، وهذا ما تدل عليه التعريفات السابقة للإدغام. لكن هناك من الحروف ما يملك فضيلة يستحب المحافظة عليها، كالغنة في النون والتفخيم في حروف الاستعلاء والإطباق. وكان الداني قد قرر قاعدة مفادها: (أن بيان الإطباق في الطاء إذا أدغمت في التاء كبقاء الغنة في النون والتنوين إذا أدغما).^(٢)

الألفاظ العامة التي استعملت لذهاب الأثر من المدغم وبقائه:

استعملت للإدغام الذي لا يبقى فيه أثر من الحرف الأول سواء في النون أو حرف الاستعلاء عدة ألفاظ، منها:

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| ١- الإدغام حتى لا يبقى شيء. | ٢- الإدغام الصريح. |
| ٣- الإدغام المحض. | ٤- الإدغام المستكمل التشديد. |
| ٥- الإدغام الصحيح. | ٦- القلب الصحيح. |
| ٧- الإدغام التام. | ٨- الإدغام الخالص. |
| ٩- الإدغام رأساً. | ١٠- الإدغام بغير إشارة. |
| ١١- إدغام الحرف بأسره. | |

١- الإدغام حتى لا يبقى شيء:

استعمله نصير بن يوسف.^(٣)

٢- الإدغام الصريح:

(١) الإدغام الكبير للداني ص ٨٢.

(٢) التحديد ص ١٣٨.

(٣) جامع البيان للداني ٧٠٩/٢.

عَبَّرَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ أَشْتَهُ فِي كِتَابِهِ "المحبر" ب: (الإدغام الصريح) عن الإدغام الكامل من غير إشماع للحركة في قراءة أبي جعفر (تأمناً).^(١)

٣- الإدغام المحض:

استعمل السعيدي: (الإدغام المحض).^(٢) وتابعه: الداني.^(٣)

واستعمل القرطبي صيغة الفعل في تنبيهه عما ينبغي فعله في الياء المشددة بلا غنة في نحو: (من يهد الله) مَيَّهْدُ من قرأها كذلك "فأمحض الإدغام، ولم يأت بغنة".^(٤)

٤- الإدغام المستكمل التشديد:

استعمله من العلماء: مكِّي القيسي.^(٥)

٥- الإدغام الصحيح:

استعمل الداني لفظ: (الإدغام الصحيح) معرفاً إياه، فقال: "الإدغام الصحيح: حقه أن ينقلب الأول فيه من جنس الثاني، ويدخل فيما بعده إدخالاً شديداً".^(٦) وقال في موضع آخر: "الإدغام الصحيح: أن لا يبقى من المدغم أثر لانقلابه إلى لفظ المدغم فيه، ويصير مخرجه من مخرجه".^(٧)

وتابعه على اللفظ: أبو العباس أحمد بن خلف بن عيسون.^(٨)

٦- القلب الصحيح:

استعمل الداني لفظ: (القلب الصحيح)، وعرفه بأنه قلب الأول إلى لفظ الثاني^(٩)؛

(١) المخطوط من جامع البيان لـ ١٧٠/ب.

(٢) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ٣٠، وكتاب اختلاف القراء في اللام والنون ص ٦٧.

(٣) المطبوع من جامع البيان ٤٠٩/٢، والمخطوط من فرش الحروف لـ ٢١٥/أ.

(٤) الموضح ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٥) الرعاية ص ٢٦٣.

(٦) المقنع في رسم المصاحف ص ١٣٥.

(٧) المطبوع من جامع البيان ٧٢٩/٢. وانظر: ٧٣١/٢، والتيسير ص ١٢٧، والإدغام الكبير ص ٨٣.

(٨) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ لـ ٦/ب. وأبو العباس هو شيخ ابن الطحان.

(٩) التحديد ص ٩٩، و ١١٢، والتيسير ص ٤٥.

لأنه الأصل في الإدغام.

وتابعه القرطبي.^(١)

٧- الإدغام التام:

استعمله من العلماء: الداني^(٢).

٨- الإدغام الخالص:

استعمله من العلماء: الداني، حيث عرفه بقوله: "الإدغام الخالص الذي هو إدخال الحرف في الحرف، وتغييبه فيه، فيذهب أثر الأول منهما، ويشدد الثاني"^(٣).

٩- الإدغام رأساً:

استعمله الداني^(٤).

١٠- الإدغام بغير إشارة:

استعمله الداني^(٥).

١١- إدغام الحرف بأسره:

استعمله القرطبي^(٦).

ويكون نفي هذه الألفاظ العامة معناه التعبير عن بقاء الأثر، فمن ذلك استعمال

الداني ل: (الإدغام غير التام) في مقابل: (الإدغام التام) الذي تقدم.^(٧)

ذهاب الأثر وبقاؤه في النون الساكنة والتنوين:

(١) الموضح ص ١٤٥.

(٢) التحديد ص ١١٣، و ١٥٠، و ١٦٤.

(٣) جامع البيان ٦٨٧/٢ وانظر: ٤٠٩/٢.

(٤) المقنع ص ١٣١.

(٥) التيسير ص ١٨٥.

(٦) الموضح ص ١٤٥.

(٧) المقنع ص ١٣٥.

به سيبويه إلى أن إدغام النون عند الياء والواو واللام والراء والميم هو كلام العرب، وبين أن من العرب من يُبقي أثر الغنة عند الإدغام في هذه الحروف ومنهم من يذهب، إلا في الميم والنون فإن كل العرب تبقى الغنة معهما، قال: "النون تدغم مع الراء... وتدغم بغنة وبلا غنة. وتدغم في اللام... فإن شئت كان إدغاماً بلا غنة... وإن شئت أدغمت بغنة... وتدغم النون مع الميم؛ لأن صوتهما واحد... وتدغم النون مع الواو بغنة وبلا غنة... وتدغم النون مع الياء بغنة وبلا غنة".^(١)

وبين سيبويه علل إدغام النون في هذه الحروف، فالعلة في الراء واللام قربهما في المخرج منها على طرف اللسان، واتفاق النون في الشدة مع الراء، ولا أدري لماذا أخرج اللام من هذا الاتفاق؛ إذ كل هذه الثلاثة شديدة في الأصل عنده كما تقدم من قبل؟ وعلل إدغامها في الواو في أنها أخذت حكم الميم بالمجاورة في أن النون أدغمت فيها، ولليها ومدها.

وفي الياء لمؤاخاتها الواو في اللين وإدغام الواو والياء في بعضهما، ولقرب مخرج الياء من الراء واللام، وعلل لهذا القرب بانقلاب حرفي الراء واللام إلى الياء في كلام الأثغ بهما. ولا يكاد يخرج تعليل من جاء بعده في الإدغام في هذه الحروف عن علله.

وجرت القراء في الإدغام بغنة وبلا غنة جري العرب في كلامها، قال الداني: "واختلف القراء بعد ذلك في بيان صوت النون والتنوين - المركب في جسمها وهو الغنة مع الإدغام عند اللام والراء والواو والياء - وفي إدغامه. ولم يختلفوا في بيانه عند مثلها وعند الميم، مع الإدغام التام؛ لكونه من حلقة المدغم والمدغم فيه في ذلك".^(٢)

أما إدغام النون مع الميم، فل يفرق سيبويه بين غنة النون والميم، قال سيبويه: "وتدغم النون مع الميم؛ لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون حتى تتبين، فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب وإن

(١) الكتاب ٤/٤٥٢.

(٢) جامع البيان ٢/٧١٨.

كان المخرجان متباعدين، إلا أنهما اشتبهتا لخروجهما جميعاً في الخياشيم".^(١)
وعدَّ الكسائي إدغام النون في الميم من قبيل الإدغام الكامل، أي أنه يعتبر أن أثر الغنة الباقي هو للميم.^(٢)

ونشأ خلاف بين القراء بعد ذلك في نسبة هذا الأثر الباقي للميم أو النون، وقد لخص الداني هذه المذاهب بقوله: "ومذهب أبي الحسن بن كيسان أن الغنة الظاهرة مع الإدغام هي غنة النون والتنوين، لا غنة الميم؛ لأنه إنما أجاز إدغامها فيها لأجلها، فلم يكن ليذهب ما أوجب الإدغام. وتابعه ابن مجاهد على ذلك، فقال: ... لأن الميم لها غنة من الأنف، ومن أجل الغنة أدغمت النون في الميم، ولأنها أختها، فلا يقدر أحد أن يأتي ب: (عمن) بغير غنة؛ لعل غنة الميم."^(٣)

وذهب غيرهما إلى أن تلك الغنة غنة الميم، لا غنة النون والتنوين؛ لانقلابهما إلى لفظها، وبذلك أقول".^(٤)

وبين سيبويه أن الصوت الممتد الناشئ عن إدغام النون بغنة في الراء واللام والياء والواو ليس خالصاً من الأنف، إنما هو صوت المدغم فيه خالطته غنة من الأنف، قال عن النون: "وهي مع الراء واللام والياء والواو إذ أدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أشرب غنة".^(٥)

وهذا من النصوص الدقيقة جداً التي تقوم حجة في وجه من يقرأ الإدغام في نحو: (من) يعمل) بغنة خالصة من الخيشوم، وتبيّن أن الصوت في الإدغام بغنة في هذه الأصوات متردد بين تحويفي الفم والأنف.

(١) الكتاب ٤/٤٥٢.

(٢) انظر تعبير الكسائي ونص الداني في جامع البيان ٢/٧٢٦. وانظر ألفاظ الإدغام عند الكسائي في الآتي قريباً.

(٣) انظر النص في السبعة لابن مجاهد بكلام أوضح من كلام الداني ص ١٢٦.

(٤) جامع البيان ٢/٧٣٢.

(٥) الكتاب ٤/٤٥٤. والإدغام بغنة في اللام والراء مقروء به في رواية حفص عن عاصم وغيرها من طريق طيبة النشر، وأنت ترى في نص سيبويه أنه مذهب معروف عند العرب. (انظر: تحاف فضلاء البشر لابن البنا ١/١٤٤-١٤٥).

وباستعمال جهاز مقياس الغنة (Nasometer)^(١) فإن الجدول التالي يوضح نسبة غنة النون عند حروف الإدغام بغنة وبلا غنة:

م	المثال	متوسط نسبة الغنة من الأنف	الأعلى	الأدنى
١	(من ماء)	٩٢,٨٧	٩٤	٨٤
٢	(من نشاء)	٩٣,٦٨	٩٤	٨٨
٣	(من يعمل) "بغنة"	٨٢,١٠	٨٤	٧٤
٤	(من يعمل) "بغير غنة"	١٣,٨٧	٢١	٧
٥	(من وراء) "بغنة"	٦٨,٧٠	٧١	٦٥
٦	(من وراء) "بغير غنة"	٧,٩	١١	٤
٧	(من لدنه) "بغير غنة"	١١,٩٤	٢٠	٧

نلاحظ من الجدول السابق أن أعلى نسبة للغنة هي عند إدغام النون في مثلها وفي الميم، وهذا يمكن تفسيره بسبب الغلق الكامل للمخرج في الميم والنون فخر أكثر الصوت من الخيشوم وسجل الجهاز أعلى نسبة للغنة فيهما.

ومن الملفت للنظر في هذا الجدول اختلاف نسبي الغنة في الواو والياء عند إدغام النون فيهما بغنة حيث سجلا تبايناً واضحاً، ولعل ذلك راجع إلى اختلاف المخرجين، فاختلفت النسبة تبعاً لذلك، ويحتاج الأمر إلى مزيد من التجارب لتفسير هذا التفاوت. لكن تبقى هذه النسب فيهما شاهدة لصحة كلام سيبويه في أن صوت الفم أشرب غنة عند إدغام النون بغنة في مثل الواو والياء.

أما الأصوات الباقية المدغمة بغير غنة فإن نسبة الغنة القليلة التي سجلها الجهاز راجع إلى حساسية الجهاز الفائقة في تسجيل أدنى رنين أنفي (رنين الجيوب الأنفية والجبهية) لا أن الصوت خرج بغنة، والله أعلم.

عدد الحروف التي تدغم فيها النون:

مذهبان خمسة أحرف عند من أخرج النون، وستة أحرف بإدخالها فيها.

(١) يسر الله لي عمل هذه التجارب على هذا الجهاز في وحدة التخاطب في مستشفى القصر العيني في القاهرة أثناء القيام ببحث الماجستير.

تدغم النون في خمسة أحرف عند الأخفش^(١)، والمبرد^(٢)، وأبو جعفر النحاس^(٣)، والدايني، وجمعها في: (لم يرو).^(٤)

وأصحاب هذا المذهب يخرجون النون منها، وهذا لا يعنى أنهم لا يدغمون النون في النون، بل يرى أصحاب هذا المذهب أن إدغام النون في النون هو من إدغام المتماثل، ولا تحتاج أن تذكر، قال الدايني عن الحكم الثاني من أحكام النون الساكنة والتنوين: "والحال الثانية: أن يكونا مدغمين، وذلك في خمسة أحرف، يجمعها قولك: (لم يرو)... والقراء يزيدون حرفاً سادساً، وهو النون، نحو: (من نور)، و(يومئذ ناعمة)، ولا معنى لذكرها معهن؛ لأنها إذا التقت بمثلها لم يكن غير إدغامها كسائر المثليين".^(٥)

وتدغم النون في ستة أحرف عند أبي يعقوب يوسف بن عمرو بن يسار الأزرق^(٦)، وابن خالويه^(٧)، وابن جني^(٨)، وطاهر بن غلبون^(٩)، ومكي^(١٠)، وإسماعيل بن خلف^(١١)، وعبد الوهاب القرطبي، وأبي العلاء الهمداني.^(١٢)

ويجمع حروف الإدغام كلمة: (يرملون)، عند ابن خالويه^(١٣)، وتابعه المذكورون فوق - من بعد اسمه - إلا القرطبي فإنه جمعها كلمة: (وَلَنَمِيرَ).^(١٤)

(١) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ١٢٦.

(٢) المقتضب ١/٣٤٩.

(٣) إعراب القرآن ٣/١٧٣.

(٤) جامع البيان ٢/٧١٥ و ٧٣٥، والتحديد ص ١١٢.

(٥) التحديد ص ١١٢.

(٦) نقل ذلك عنه الدايني في جامع البيان ٢/٧٢٣.

(٧) الحجة ص ٦٧.

(٨) المحتسب ١/٣٠٩.

(٩) التذكرة ١/١٨٧.

(١٠) التبصرة ص ١١٧.

(١١) العنوان ص ٥٨.

(١٢) التمهيد ص ٣٠١.

(١٣) الحجة ص ٦٧.

(١٤) الموضح ص ١٤٤.

وكان الداني قد اعترض على من نسب كلمة: (يرملون) إلى ابن مجاهد معللاً أن حرف الإدغام عند ابن مجاهد خمسة أحرف، فكيف جمعها في ستة أحرف؟^(١) وعلى كل فإن هذا الجمع قد تم في القرن الرابع الهجري زمن ابن مجاهد وابن خالويه، والله أعلم.

الألفاظ المستعملة لذهاب الأثر وبقائه في النون الساكنة والتنوين:

هناك مذهبان مستعملان في النون خاصة:

١- المذهب الذي يُقسّم أحكام النون الساكنة إلى أربعة أقسام: الإظهار، والإدغام، ويقسمه إلى قسمين: بغنة وبلا غنة، وقلبُ النون ميماً خالصة عند الباء، وإخفاء النون عند الحروف الخمسة عشر. وهذا هو المذهب المعروف المشهور، وهو مذهب سيبويه وأصحابه.

٢- المذهب الذي يقسم أحكام النون إلى ثلاثة: إظهار، وإدغام محض (الإدغام بلا غنة)، والقسم الذي يبقى أثراً من الحرف الأول، فيدخل في هذا الأخير: الإدغام بغنة، وإخفاء عند الحروف الخمسة عشر، وقلب النون ميماً عند الباء، وإخفاء الميم الساكنة عند الباء. وهو مذهب القراء من أهل الكوفة من أصحاب حمزة الزيات، أي مذهب سُليم بن عيسى والكسائي والقراء ومن تابعهم من القراء. وقد تنوعت ألفاظ العلماء بحسب المذهب الذي ينتمي إليه العالم. وحتى لا تطغى ألفاظ جانب على جانب أثرت تقسيم الألفاظ إلى مجموعتين، تمثل كل مجموعة مذهب كل فريق.

١- الألفاظ المستعملة للمذهب الذي يقسّم الإدغام إلى نوعين بغنة وبلا غنة:

تتلخص ألفاظ هذا المذهب في لفظ واحد عام، وهو الإدغام بلا غنة، ويكون عكسه الإدغام مع بقاء الغنة.

١- (الإدغام بلا غنة): سيبويه^(٢)، وابن السراج^(١)، وابن مجاهد^(٢)، وأبو جعفر

(١) جامع البيان ٢/٧١٦.

(٢) الكتاب ٤/٤٥٢-٤٥٣.

النحاس^(٣)، ومكي^(٤)، وابن بليمة^(٥).

٢- (الإدغام بغير غنة): المبرد^(٦)، والزجاج^(٧)، وابن مجاهد^(٨)، وأبو جعفر النحاس^(٩)،

والسيرافي^(١٠)، وابن خالويه^(١١) وأبو علي الفارسي^(١٢)، وابن مهران^(١٣)،

ومكي^(١٤)، والمالكي^(١٥)، والدايني^(١٦)، والقرطبي^(١٧)، معشر الطبري^(١٨).

٣- (إذهاب الغنة): المبرد^(١٩)، وتابعه: الدايني^(٢٠)، وإسماعيل بن خلف^(٢١).

٤- (الإدغام وذهاب الغنة): ابن مجاهد^(٢٢). وهذا الاستعمال من ابن مجاهد دليل على

أن مذهبه شكّل مذهباً وسطاً بين البصريين والكوفيين.

٥- (الإدغام بلا إظهار للغنة): ابن سفيان القيرواني^(١).

(١) الأصول ٤١٦/٣ - ٤١٧.

(٢) السبعة ص ١٢٦.

(٣) إعراب القرآن ١٤١/٢.

(٤) التبصرة ص ١١٧.

(٥) تلخيص العبارات ص ٤٤.

(٦) المقتضب ٣٥٢/١.

(٧) معاني القرآن وإعراجه ٨٥/١.

(٨) السبعة ص ١٢٦.

(٩) إعراب القرآن ٣/٥.

(١٠) إدغام القراء ص ٥٥.

(١١) الحجة ص ٦٧.

(١٢) التكملة ص ٢٧٨.

(١٣) المبسوط ص ٩٧-٩٨.

(١٤) التبصرة ص ١١٧.

(١٥) الروضة ٣٨١/١.

(١٦) التيسير ص ٤٥.

(١٧) الموضح ص ١٤٥.

(١٨) التلخيص ص ١٣٥.

(١٩) المقتضب ٣٥٢/١.

(٢٠) الإدغام الكبير ص ٨٩.

(٢١) العنوان ص ٥٨.

(٢٢) السبعة ص ١٢٦.

٦- (الإدغام من غير إظهار للغنة): مكّي القيسي. (٢)

ويكون عكس هذه الألفاظ هو إدغام مع الغنة، وإليك من استعمله:

١- (الإدغام بغنة): سيبويه (٣). وتابعه كثير من العلماء، منهم: المبرد (٤)، والزجاج (٥)، وابن السراج (٦)، وابن مجاهد (٧)، والنحاس (٨)، والسيرافي (٩)، وابن خالويه (١٠) وأبو علي الفارسي (١١)، ومكّي (١٢)، والمالكي (١٣)، والداني (١٤)، والقرطبي (١٥)، وأبو معشر الطبري (١٦)، وابن بليمة (١٧)، وغيرهم.

٢- (إدغام التنوين عند اللام ويبقى غنة): محمد بن عمر الرومي (١٨)، والحسن بن داود المعدل الشهير بالنقار (١٩)

٣- (الإدغام مع إبقاء الغنة): ابن مجاهد (٢٠) والداني (٢١).

-
- (١) الهادي ١/١٢٥.
 - (٢) التبصرة ص ١١٧.
 - (٣) الكتاب ٤/٤٥٢ - ٤٥٣.
 - (٤) المقتضب ١/٣٥٢.
 - (٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٨٥.
 - (٦) الأصول ٣/٤١٦ - ٤١٧.
 - (٧) السبعة ص ١٢٦.
 - (٨) إعراب القرآن ٢/١٤١ و ٣/٥.
 - (٩) إدغام القراء ص ٥٥.
 - (١٠) الحجة ص ٦٧.
 - (١١) التكملة ص ٢٧٨.
 - (١٢) التبصرة ص ١١٧.
 - (١٣) الروضة ١/٣٨١.
 - (١٤) التيسير ص ٤٥.
 - (١٥) الموضح ص ١٤٥.
 - (١٦) التلخيص ص ١٣٥.
 - (١٧) تلخيص العبارات ص ٤٤.
 - (١٨) جامع البيان ٢/٧٢٣.
 - (١٩) جامع البيان ٢/٧٢٣.
 - (٢٠) السبعة ص ١٢٦.
 - (٢١) التيسير ص ١٨٣.

- ٤ - (إبقاء صوت النون مع إظهار الغنة عند الإدغام): ابن سفيان القيرواني. (١)
- ٥ - (إدغام النون مع إظهار الغنة في نفس الحرف الأول): مكي بن أبي طالب القيسي. (٢)
- ٦ - (الإدغام غير المستكمل التشديد): مكي بن أبي طالب القيسي. (٣)
- ٧ - (إبقاء الغنة مع الإدغام): الداني. (٤)
- ٨ - (تبيين غنة النون والتنوين مع الإدغام): الداني. (٥)
- ٢ - الألفاظ المستعملة للإدغام بغنة وبلا غنة عند من قسّم أحكام النون إلى ثلاثة أقسام:

تتلخص ألفاظ هذا المذهب عن الإدغام بلا غنة في أربعة ألفاظ عامة هي:

- ١ - الإدغام والإدخال الخالصان.
 - ٢ - إظهار النون.
 - ٣ - نفي البيان والتبيين والإظهار.
 - ٤ - حذف الغنة.
- ويكون مقابل الثلاثة الأولى منها ثلاثة ألفاظ أخرى استُعملت للإدغام بغنة، وهي:
- ١ - نفي الإدغام المحض.
 - ٢ - إخفاء النون.
 - ٣ - البيان والتبيين والإظهار والإبقاء.

أولاً: ألفاظ الإدغام والإدخال الخالصان، وهو الإدغام بلا غنة:

- ١ - "(يدغم النون والتنوين عند الواو والياء): سُليم بن عيسى (راوي الإمام حمزة) في حكايته مذهب حمزة.

(١) الهادي ١/١٢٥.

(٢) الرعاية ص ٢٦٣ والتبصرة ص ١١٧.

(٣) الرعاية ص ٢٦٣.

(٤) جامع البيان ٢/٧٢٦.

(٥) انظر المصطلح والنص في جامع البيان ٢/٧١٨.

قال الداني: "يريد غنتهما؛ لأن بيانهما عندهما غير جائز".^(١)

٢- (تدغم النون والتنوين عند أربعة أحرف: الراء واللام والياء والميم): الكسائي.

قال الداني: "قال ابن مجاهد: ولم يذكر الواو وذكرها الأخفش. قال أبو عمرو [الداني]: وإنما لم يذكرها لما كان مذهبه بيان الغنة عندها مع الإدغام دون غيرها، فدل ذلك على صحة ما رواه قتيبة وغيره عنه".^(٢)

وهذا يعنى أن الإدغام بغنة عند الكسائي - في بعض الروايات عنه - هو في الواو فقط. ويعنى أن لفظ: (الإدغام) عنده هو الإدغام المحض الخالص، وخصوصاً إدغام النون في الميم، حيث يعدُّ الغنة للميم وليست للنون.

٣- (إدخال النون والتنوين في الراء إدخالاً شديداً ولا يبقى غنة): أحمد بن صالح.^(٣)

٤- (زيادة إدغام الغنة حتى يخيل إليك أنه ليس في الحرف تنوين رأساً): أبو الحسن على بن يزيد ابن كيسة.^(٤)

٥- (الإدغام): عبد الله ابن ذكوان (راوي ابن عامر).^(٥)

٦- (إدغام الغنة): أحمد بن جبير الأنطاكي^(٦)، وأبو محمد إسحاق بن أحمد الخزاعي^(٧)، وأبو بكر محمد بن أحمد الرملي الضرير الملقب بالداجوني الكبير^(٨)، وأحمد بن يعقوب بن التائب^(٩)، وطاهر بن غلبون^(١٠)، وأبو الفضل الخزاعي^(١)، ومكي^(٢)، والمالكي^(٣)، والداني^(٤)، وأبو علي الأهوازي^(٥)، وابن بليمة^(٦)، وأبو العز القلانسي.^(٧)

(١) انظر التعبير والنص في جامع البيان ٧٢٤/٢.

(٢) انظر تعبير الكسائي ونص الداني في جامع البيان ٧٢٦/٢.

(٣) المطبوع من جامع البيان ٧٢١/٢.

(٤) انظر التعبير في جامع البيان ٧٢٤/٢.

(٥) جامع البيان ٧٢٨/٢.

(٦) جامع البيان ٧٢١/٢.

(٧) جامع البيان ٧١٨/٢.

(٨) جامع البيان ٧٢٨/٢.

(٩) التحديد ص ١١٢.

(١٠) التذكرة ١٨٨/١.

٧- (إدغام النون عند الميم والراء وإخفاؤها عند اللام والواو والياء): ابن مجاهد.^(٨)
وهذا من الأمثلة التي تدل على أن الإدغام عند القراء يعنى الإدغام المحض، وأن إدغام
النون في الميم من قبيل الإدغام الكامل.
وأن الإخفاء في قول ابن مجاهد يعنى الإدغام بغنة، وذلك لبقاء أثر الغنة في الحرف
الأول.

٨- (إدغام النون والتنوين عند اللام والراء): أبو الفضل الخزاعي^(٩). يعنى إذهاب الغنة.
ويكون نفي هذه الألفاظ هو التعبير عن الإدغام بغنة، وإليك من استعمله:
١- (لا أدغمُ النون عند الواو): من قول الكسائي في قوله تعالى: (أفمن وعدناه).
بمعنى أنه يظهر الغنة ولا يذهبها.

قال الداني: "يريد: لا أذهب بصوتها مع الإدغام؛ إذ كان بيانها بالكلية غير
جائز".^(١٠)

وهذا من الأمثلة النادرة عن الكسائي التي تدل على أن الإدغام عند الكوفيين يعنى
الإدغام المحض لا غير، وأن القسم المقابل له يشمل كل ما يبقى معه غنة.

٢- (لا يدغم الغنة): أبو جعفر محمد بن حبيب الشموني.^(١)

-
- (١) المنتهى ص ١٥٤.
 - (٢) الرعاية ص ٢٤٠.
 - (٣) الروضة ١/٣٦١.
 - (٤) المطبوع من جامع البيان ٢/٧١٢.
 - (٥) الوجيز ١/٤٩.
 - (٦) تلخيص العبارات ص ٤٤.
 - (٧) الإرشاد ص ١٦٥.
 - (٨) جامع البيان ٢/٧٢٩.
 - (٩) المنتهى ص ١٥٢.
 - (١٠) انظر التعبير والنص في جامع البيان ٢/٧٢١.

٣- (لا يطفى هذه النون عند الأحرف الأربعة: الياء والواو والراء واللام): أبو بكر محمد بن حفص الدوري. (٢)

٤- (لا يدغم النون والتنوين عند شيء من هذه الحروف): من قول أبي عون محمد بن عمرو الواسطي في مذهبه عن قالون في إدغام النون والتنوين في اللام والراء والياء والواو. (٣)

٥- (لا يدغم التنوين في اللام حيث وقع): من قول أبي العباس محمد بن أحمد بن واصل البغدادي في روايته عن نافع. (٤)

٦- (كأنه يدغمها قليلاً): أبو الحسن إسماعيل بن عبد الله النحاس.

قال الداني: "يعنى انه يبقى غنتها مع الإدغام فلا يذهب لفظها رأساً". (٥)

٧- (لا يسقط التنوين في شيء من القرآن ولا يشبعه): أبو بكر الأصبهاني (صاحب ورش). (٦)

٨- (بغير إدغام): من قول أبي بكر الأصبهاني (صاحب ورش) في قوله تعالى: (يُبَيِّن لَنَا) (٧).

٩- (خفيفة غير مدغمة): من قول أبي الفضل العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي البغدادي في قوله تعالى: (يس والقرآن).

قال الداني: "يريد أن غنتها ظاهرة" (٨).

ثانياً: ألفاظ الإظهار تعبيراً عن الإدغام بلا غنة:

(١) جامع البيان ٧٢٣/٢.

(٢) جامع البيان ٧٢٧/٢.

(٣) جامع البيان ٧٢١/٢.

(٤) جامع البيان ٧٢٠/٢.

(٥) انظر التعبير والنص في المخطوط من جامع البيان لـ ٢١٣/ب.

(٦) جامع البيان ٧٢١/٢.

(٧) جامع البيان ٧٢١/٢.

(٨) انظر المصطلح والنص في جامع البيان لـ ٢١٣/ب.

١- (إظهار النون): الفراء، قالها في (ن والقلم) ^(١).

ويكون لفظ: (الإخفاء) عكسه، أعنى التعبير عن الإدغام بغنة:

١- (إخفاء النون): يعقوب بن جعفر ^(٢)، والفراء ^(٣)، وأبو عبيد القاسم بن سلام ^(٤)، وأحمد الحلواني ^(٥)، وابن مجاهد ^(٦)، وأبو جعفر النحاس ^(٧)، وأبو علي الفارسي ^(٨)، وابن مهران ^(٩)، وابن زنجلة ^(١٠)، وأبو الفضل الخزاعي ^(١١)، والسعدي ^(١٢)، والدايني ^(١٣)، وأبو معشر الطبري ^(١٤).

٢- (جعل النون غنة مخفأة غير مدغمة عند الياء والواو): أحمد بن يعقوب التائب.

قال بعد ذلك معللاً: "لأنهم لو أدغموها لذهبت الغنة، فصارت الياء والواو مشددتين؛ لانقلاب النون ياء أو واواً واندغامها فيهما" ^(١٥).

ثالثاً: نفى البيان والتبيين والإظهار تعبيراً عن الإدغام بلا غنة:

١- (لا يبين الغنة): قتيبة بن مهران ^(١)، وأبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهاني ^(٢).

(١) معاني القرآن ١٧٢/٣.

(٢) السبعة ص ٦٤٦.

(٣) معاني القرآن ١٧٢/٣.

(٤) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن ١٧٣/٣.

(٥) السبعة ص ٦٤٦.

(٦) نقل ذلك عنه الدايني في جامع البيان ٧٢٩/٢.

(٧) إعراب القرآن ٣/٥.

(٨) الحجة ٣٥٦/٥ و ٣٠٩/٦. ولم يعلق أبو علي على هذا المصطلح بشيء مع أنه من أكابر علماء المدرسة البصرية الذين يتمسكون بمصطلحات سيويه، والذي يظهر أنه اكتفى بنقل مصطلحات شيخه ابن مجاهد التي مرجعها إلى الفراء.

(٩) المبسوط ص ٣١٠.

(١٠) الحجة ص ٧١٧.

(١١) المنتهى ص ٥٥١.

(١٢) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١٢.

(١٣) المقنع ص ١٣٥.

(١٤) التلخيص ص ١٤٥.

(١٥) جامع البيان ٧٣٠/٢. والتحديد ص ١١٢.

٢- (ترك التبيان): الفراء، قالها في (ن والقلم).^(٣)

٣- (لا يبين التنوين): من قول حماد بن بحر الكوفي^(٤) في روايته عن إسحاق المسيبي في قوله تعالى: (غفور رحيم)^(٥).

٤- (ترك التبيين): الزجاج^(٦). وهذا الاستعمال غريب على الزجاج أحد شيوخ المذهب البصري. ولعله تأثر بمصطلحات أبي عبيد القاسم بن سلام تلميذ الكسائي في القراءة، خاصة وأن الزجاج صرح في أول كتابه: (معاني القرآن) باعتماده في القراءات على كتاب أبي عبيد^(٧).

٥- (حذف الغنة): أبو العز القلانسي.^(٨)

وفي المقابل عبّر أصحاب هذا المذهب عن الإدغام بغنة بالألفاظ التالية:

١- (بيان الغنة): أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران (صاحب الكسائي).^(٩) وتابعه: أحمد بن جبير الأنطاكي.^(١٠)

٢- (تبيين النون): الفراء.^(١١)

٣- (نون ساكنة تظهر عند اللام): من قول المسيبي، وقالون في قوله تعالى: (مَنْ لَدُنْهُ،) و(مُسَلَّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا).

(١) المطبوع من جامع البيان ٧٢٦/٢.

(٢) المرجع السابق ٧٢٤/٢.

(٣) معاني القرآن ١٧٢/٣.

(٤) حماد بن بحر الكوفي، روى القراءة عن إسحاق المسيبي. روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً محمد بن عيسى الأصبهاني. قال الداني: وحماد هذا كثير الشذوذ لأصحابه عن المسيبي. (غاية النهاية ٢٥٧/١).

(٥) المطبوع من جامع البيان ٧٢٠/٢.

(٦) معاني القرآن وإعراجه ٦٥/١.

(٧) المرجع السابق ٦٥/١.

(٨) الإرشاد ص ١٦٦.

(٩) جامع البيان ٧٢٦/٢.

(١٠) المرجع السابق ٧٢٤/٢.

(١١) معاني القرآن ١٧٢/٣.

قال الداني: "يريدان غنتهما".^(١)

٤- (النون مُبَيَّنَةٌ غير مُدْغَمَةٌ، والتنوين مُبَيَّنٌ غير مُدْغَمٌ): أبو عبد الله محمد المسيبي، وابن واصل البغدادي.^(٢)

٥- (بيان النون أشد البيان عند اللام والواو والياء): أبو هشام الرفاعي.

قال الداني: "وهذا القول عندي مؤذن ببيان الغنة مع الإدغام".^(٣)

٦- (إبقاء الغنة عند الياء والواو مع تشديدهما وشوئيهما مع تشديدهما نوناً): أحمد بن صالح.

قال الداني: "وهذا الذي حكاه أحمد بن صالح من بيان غنة الياء والواو مع التشديد غير مستقيم؛ لأن التشديد لا يتحصل إلى بقلب النون والتنوين قلباً صحيحاً، وإذا قلبتا ذهبت غنتهما بذلك".^(٤)

٧- (إظهار الغنة): أبو جعفر محمد بن حبيب الشُّمُونِي^(٥)، وأبو بكر الزَّيْنِي^(٦)، وأبو الحسن ابن شنبوذ^(٧)، وأبو بكر محمد بن أحمد الرملي الضرير الملقب بالداجوني الكبير^(٨)، وطاهر بن غلبون^(٩)، وأبو الفضل الخزاعي^(١٠)، والمالكي^(١١)، ومكي^(١٢)، وإسماعيل بن خلف^(١٣)، والأهوازي^(١٤)، وأبو العز القلانسي.^(١٥)

(١) جامع البيان ٧١٨/٢.

(٢) كلاهما في جامع البيان ٧١٨/٢.

(٣) انظر المصطلح والنص في جامع البيان ٧٢٤/٢.

(٤) انظر المصطلح والنص في جامع البيان ٧٢٢/٢ - ٧٢٣. وقلت تعليقا: قد ذكر الداني في ٧٢٩/٢ أنه متى ظهرت الغنة مع الإدغام فالنون والتنوين لم ينقلبا حرفاً خالصاً، وإذا امتنعنا من القلب الخالص امتنعنا من الإدغام التام إلا أنه لابد مع ذلك من تشديد يسير اه. فإذا أثبت التشديد مع الغنة فلا يمنع أن يكون أحمد بن صالح قد قصده في هذا الذي حكاه عنه، والله أعلم.

(٥) جامع البيان ٧٢٣/٢.

(٦) المرجع السابق ٧١٨/٢.

(٧) المرجع السابق ٧١٨/٢.

(٨) المرجع السابق ٧٢٨/٢.

(٩) التذكرة ١٨٨/١.

(١٠) المنتهى ص ١٥٤.

٨- (تبيين الغنة): أبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهاني، وأحمد بن جبير الأنطاكي^(٦)، وأبو العباس محمد بن أحمد بن واصل البغدادي^(٧).

٩- (بيان النون والتنوين عند اللام): أبو عَوْن الواسطي محمد بن عمرو.

قال الداني عن هذه التعبير والذي تقدم: "ولم يُرد هؤلاء البيانَ كله؛ لما فيه من الكُلفة والمؤونة، وإنما أرادوا الغنة التي من الخيشوم وحدّها دون لفظ النون، أي أنه كان يُبقيها ولا يذهبها مع الإدغام"^(٨).

١٠- (تَبْقِيَةُ الغنّة): المالكي^(٩). وتابعه: أبو معشر الطبري^(١٠).

١١- (إبقاء الغنة): الداني^(١١). وتابعه: أبو العز القلانسي^(١٢).

١٢- (بيان صوت النون والتنوين): الداني^(١٣).

قوانين الإدغام في النون الساكنة والتنوين:

- (لا تأتلف النون الساكنة قبل راء أو لام في كلمة (نحو: قنر، عنل)؛ لثقل الإظهار بسبب قرب مخرج النون منهما، وخوف الالتباس بالمضاعف في الإدغام):
سيبويه^(١٤). وتابعه: الرماني^(١).

(١) الروضة ١/٣٦١.

(٢) الرعاية ص ٢٤٠.

(٣) العنوان ص ٥٨.

(٤) الوجيز ١/٤٩.

(٥) الإرشاد ص ١٦٥.

(٦) كلاهما في جامع البيان ٢/٧٢٤.

(٧) جامع البيان ٢/٧٢١.

(٨) انظر المصطلح والنص في جامع البيان ٢/٧٢١.

(٩) الروضة ١/٣٦١.

(١٠) التلخيص ص ١٣٥.

(١١) الإدغام الكبير ص ٨٩.

(١٢) الإرشاد ص ١٦٦.

(١٣) انظر المصطلح والنص في جامع البيان ٢/٧١٨.

(١٤) الكتاب ٤/٤٥٦.

- (تدغم النون الساكنة في خمسة أحرف ويمتنع العكس إلا اللام): الفارسي. (٢)
- (الإخفاء يشبه الإدغام في عدم تبيين المدغم والمخفي): أبو علي الفارسي. (٣) هذا على مراد سيويه في الإخفاء.
- (الإدغام فارق الإخفاء في القلب والتشديد): مكّي. (٤)
- (المخفي مخفف والمدغم مشدد): الداني. (٥)

الألفاظ المستعملة لذهاب الأثر وبقائه في حروف الاستعلاء والإطباق:

من الجمل التي استعملت للتعبير عن ذهاب الأثر:

١- (كان يدغم الظاء في التاء فيكون تاءً واحدةً مشددة، مثل: وَعَدْتُ): قالها جعفر بن محمد الآدمي بسنده إلى أبي عمرو بن العلاء في (أَوْعَظْتُ). قال الداني: "فهذا يدل على أنه كان يدغمها، ولا يبقى لها صوتاً، فتقلب لذلك تاء خالصة". (٦)

٢- (إدغام القاف وصوتها عند الكاف): قالها أبو علي الأهوازي في (أَلَمْ تَخْلُقْكُمْ). (٧)

٣- (إدغام القاف في الكاف، وقلبها كافاً خالصة من غير إظهار صوت لها): قالها الداني في (أَلَمْ تَخْلُقْكُمْ). (٨)

ومن الجمل الخاصة المستعملة لبقاء الأثر في حروف الاستعلاء والإطباق:

١- (بين الإظهار والإدغام): محمد بن سعدان (٩) ونُصَيْر بن يوسف، وتابعهما ابن

(١) شرح كتاب سيويه ل ٢٠٠/أ.

(٢) التكملة ص ٢٧٨.

(٣) الحجة ٤/٤٤٥ و ٥/٢٥٩.

(٤) التبصرة ص ١١٨.

(٥) التحديد ص ١١٥.

(٦) جامع البيان ٢/٧٠٩.

(٧) الوجيز ١/٤٧.

(٨) جامع البيان ٢/٧١٠.

(٩) المبسوط ص ٩٢.

مهران^(١)، قل وهو يحكى لفظ نصير بن يوسف: "وأدغم الكسائي وحده الفاء في الباء... والظاء في التاء من قوله: (أَوْعَظْتُ) [الشعراء ١٣٦] في رواية نصير وحده، وقال: (بين الإظهار والإدغام)، يعنى أنه يبقى لإطباق الظاء أثراً. كذلك قرأنا في روايته، والله أعلم".^(٢)

٢- (بين الإظهار والإدغام على ما يخرج من اللفظ): زاد لبخاري المقرئ على الجملة السابقة: (على ما يخرج من اللفظ).^(٣)

٣- (لا مبيئة ولا مدغمة، بين ذلك): استعمل قالون^(٤)، وابن شنبوذ: (لا مبيئة ولا مدغمة، بين ذلك)^(٥)، في وصفه لكيفية أداء القاف من قوله تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ) [المرسلات ٢٠].

٤- (إدغام الطاء في التاء مع تبقية إطباق الطاء): قالها الداني في نحو: (أَحَطْتُ).^(٦)

(١) المبسوط ٩٧.

(٢) المرجع السابق ص ٩٣.

(٣) المرجع السابق ٩٥.

(٤) جامع البيان ٧١٠/٢.

(٥) جامع البيان للداني ٧١٠/٢.

(٦) جامع البيان ٧١٠/٢.

الظاهرة الثانية من ظواهر طلب التخفيف: نقل الحركة:

نقل الحركة أحد طرق التخفيف التي استعملتها العرب في الكلام. وهو انتقال الحركة من موضع إلى موضع غالباً ما يكون سابقاً عليه. وأكثر استعمالاته خاص بـ:

- ١- نقل حركة الهمزة إلى ساكن قبلها كقولك في الأرض: أَلْرُض.
- ٢- ونقل حركة الإعراب إلى ساكن قبلها عند الوقف كقولك في هذا بَكْرٌ، ولم يَضْرِبْهُ: هذا بَكْرٌ، ولم يَضْرِبْهُ.

والأول مستعمل بكثرة عند القراء دون الثاني.

استُعمل لنقل الحركة عدة ألفاظ، منها:

- | | |
|----------------|------------------|
| ١- الإلقاء. | ٢- تحويل الحركة. |
| ٣- الإتياع. | ٤- الطرح. |
| ٥- النقل. | ٦- الوصل. |
| ٧- قلب الحركة. | ٨- رد الحركة. |

١- المصطلح الأول لظاهرة نقل الحركة: (الإلقاء):

من المشترك اللفظي. من أصله اللغوي أن يدل على النبذ. ألقيته إلقاءً: نبذته.

- | | |
|------------------------|---|
| ١- الحذف. | استُعمل: (الإلقاء) في أكثر من معنى، منها: |
| ٢- نقل الحركة. | |
| ٣- قصر صلة هاء الضمير. | ٤- تسهيل الهمزة. |

١- المعنى الأول لـ: (الإلقاء) = الحذف:

ذاستعمله كثير من العلماء لا يحرصون، منهم: أبو عمرو بن العلاء^(١)، والخليل^(٢)، وسيبويه، والقراء^(١)، وأبو عبيدة^(٢)، والأخفش^(٣)، والزجاج^(٤)، وابن السراج^(٥)، وابن خالويه^(٦).

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٧٤.

(٢) العين ٤/٢٦٩.

مثال: قال سيبويه: "وأما دخلته دخولاً، وولجته ولوجاً، فإنما هي: ولجت فيه، ودخلت فيه، ولكنه ألقى (في) استخفافاً كما قالوا: نُبِّئت زيداً، وإنما يريد نُبِّئت عن زيد".^(٧)

٢- المعنى الثاني ل: (الإلقاء) = نقل الحركة:

استعمله من العلماء: سيبويه^(٨)، وورش^(٩)، والأخفش^(١٠)، وابن السكيت^(١١)، والمازني^(١٢)، وأبو العباس محمد بن أحمد بن واصل البغدادي^(١٣)، والمبرد^(١٤)، والزجاج^(١٥)، وابن السراج^(١٦)، وابن دريد^(١٧)، وابن مجاهد^(١٨)، وأبو جعفر النحاس^(١٩)، وأبو علي القالي^(٢٠)، والسيرافي^(٢١)، والأزهري^(٢٢)، وأبو علي الفارسي^(٢٣)، والرماني^(٢٤)، وابن جني^(١)

-
- (١) معاني القرآن ١٥/١.
 - (٢) مجاز القرآن ٢٨/٢.
 - (٣) العروض ص ١١٥.
 - (٤) معاني القرآن وإعرابه ٨٩/١.
 - (٥) الأصول ١١٤/١.
 - (٦) الحجة ص ١٣٠.
 - (٧) الكتاب ١٠/٤.
 - (٨) الكتاب ٥٤٥/٣ و ٥٥٠ و ١٥٨/٤ و ٤٢٢.
 - (٩) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص ١٤٨.
 - (١٠) العروض ص ١٣٣.
 - (١١) إصلاح المنطق ص ١٦٨.
 - (١٢) نقل ذلك عنه ابن جني في المنصف ٢٦٧/١.
 - (١٣) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان ٥٨٥/٢.
 - (١٤) المقتضب ٢٣٥/١، و ٢٤٤ و ٢٤٨.
 - (١٥) معاني القرآن وإعرابه ٤٣٤/٢ و ٢٠٠/٥.
 - (١٦) الأصول ٣٦١/٢ و ٣٦٧ و ٢٧٨/٣ و ٢٨٣.
 - (١٧) الجمهرة ٤١٣/٢ و ٢٢/٣.
 - (١٨) السبعة ص ١٤٨ و ٢٨٧.
 - (١٩) إعراب القرآن ١٨٨/١ و ١٩٠ و ٢٧٨ و ٢٩٠ و ٢٦٦/٢ و ١١٩ و ٥٧/٣ و ٣١٣.
 - (٢٠) البارغ ص ١٣٤.
 - (٢١) إدغام القراء ص ٣٧ وما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٨٢ و شرح كتاب سيبويه ١٩٤/١ و ٨٣/٢.
 - (٢٢) معاني القراءات ٦٩/٢ و ١٨٠.
 - (٢٣) الحجة ٤٥٠/٢، و ١٨٥/٥، و ٤٢/٦، والتكملة ص ٥ و ٣٣.
 - (٢٤) معاني الحروف ص ١١١.

جني^(١)، وطاهر بن غلبون^(٢)، وابن زنجلة^(٣)، وابن سفيان القيرواني^(٤)، ومكي^(٥)،
والمالكي^(٦)، والداني^(٧)، والقرطبي^(٨)، وأبو العز القلانسي^(٩).

مثال: قال سيبويه: "وتقول: (أُقْرِىَ بَاكَ السَّلَام)، بلغة أهل الحجاز؛ لأنهم
يخففونها. وإنما قلت: (أقري)، ثم جئت بـ: (الأب)، فحذفت الهمزة، وألقيت الحركة على
الياء".^(١٠)

٣- المعنى الثالث لـ: (الإلقاء) = قصر صلة هاء الضمير:

استعمله من العلماء: الأخفش، قال: "وقد قال قوم: (إني لكم منه نذير مبين)،
فألقوا الواو، وشبهوا الساكن بالياء والواو والألف. وهذا ليس بجيد في العربية، وأجوده: (منه
نذير)، تلحق الواو، وإن كانت لا تكتب"^(١١)

٤- المعنى الرابع لـ: (الإلقاء) = تسهيل الهمزة:

استعمله من العلماء: يونس بن عبد الأعلى، قال: "إذا التقت الهمزتان في حرفين،
أو كلمة فآلق إحداهما" اهـ.

قال الداني معلقاً: "يريدون بتركها وإلقائها: تسهيلها".^(١٢)

٢- المصطلح الثاني لظاهرة نقل الحركة: (تحويل الحركة):

(١) سر صناعة الإعراب ٤٩٠/٢ والمنصف ٣١٤/٢ والمحتسب ٢٤١/١ و ١٥٨/٢.

(٢) التذكرة ٧٠/١ و ٣٩٥/٢ و ٥٧٧.

(٣) الحجة ص ٤٧٦.

(٤) الهادي ٦٩/١ و ١٠٥.

(٥) التبصرة ص ٦١ و ٧٠ و ١٠١ والرعاية ص ١٣٣.

(٦) الروضة ٣١٥/١ و ٤٦٩.

(٧) التحديد ص ١٥٠ والتيسير ص ٣١ وجامع البيان ٦٣٥/٢.

(٨) الموضح ص ١٢١.

(٩) الإرشاد ص ٢٦٧.

(١٠) الكتاب ٥٥٠/٣.

(١١) معاني القرآن ١٧٨/١.

(١٢) التعبير والتعليق في جامع البيان للذبي ٥١٦/٢.

من المشترك اللفظي. يدل أصل (التحويل) اللغوي على تحرك في دور. حال الشخص يحول، إذا تحرك، وكذلك كل متحول عن حالة. وحولته تحويلاً: نقلته من موضع إلى موضع.^(١)

استعمل: (التحويل) في أكثر من معني، منها:
١- الإبدال، واستعمل في أكثر من موطن، منها: إبدال الحروف، وقلب النون ميماً عند الباء.
٢- نقل الحركة.

١- المعنى الأول: التحويل = الإبدال:

واستعمل في أكثر من موطن، منها:

الموطن الأول: إبدال الحروف:

استعمله من العلماء: الخليل^(٢)، وسيبويه^(٣)، والكسائي^(٤)، والفراء^(٥)، وأبو عبيدة^(٦)، وأبو زيد اللغوي^(٧)، والأخفش^(٨)، وابن السراج^(٩) وابن دريد^(١٠)، وابن مجاهد^(١١)، وأبو بكر ابن الأنباري^(١٢)، والأزهري^(١٣)، وابن خالويه^(١٤).

(١) مقاييس اللغة ص ٢٧١ (ح و ل) والمصباح المنير ص ١٥٧.

(٢) العين ٧٦/٤ و ٢٤٣ و ٣١٦ و ٢٤٨/٨.

(٣) الكتاب ٢٦٥/٣.

(٤) نقل ذلك عنه ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ١٣٢.

(٥) معاني القرآن ١٦/٢.

(٦) مجاز القرآن ٢٩٦/١.

(٧) النوادر ص ٥١٠.

(٨) معاني القراءات ٢٧٣/١.

(٩) الأصول ٢٥٩/٣.

(١٠) الجمهرة ١٢/١.

(١١) السبعة ص ١٣٨.

(١٢) الأضداد ص ٢٦٧.

(١٣) معاني القراءات ١٣٧/١.

(١٤) الحجة ص ٦٩ و ١٨٥.

مثال: قال سيويوه: "ولكنك لو قلبت العين حاء فقلت في: امدح عرفة: امدَحَرَفَة جاز، كما قلت اَجَبَحَنَبُهُ، تريد: اَجَبُهُ عِنَبُهُ، حيث أدغمت وحولت العين حاءً، ثم أدغمت الهاء فيها".^(١)

الموطن الثاني: قلب النون ميماً عند الباء:

استعمله من العلماء: سيويوه، وابن السراج.^(٢)

مثال: قال سيويوه: "وإذا كانت [النون] مع الباء لم تتبين، وذلك قولك: شَمْبَاءُ والعُمَيْرُ؛ لأنك لا تدغم النون، وإنما تحولها ميماً".^(٣)

٢- المعنى الثاني: التحويل = نقل الحركة:

استعمله من العلماء: الخليل، وسيويوه^(٤)، والفراء^(٥)، والأخفش^(٦)، والملازني^(٧)، وابن قتيبة^(٨)، والمبرد^(٩)، والزجاج^(١٠)، وابن السراج^(١١)، وأبو بكر ابن الأنباري^(١٢)، وابن جني^(١٣)، وابن زنجلة.^(١٤)

(١) الكتاب ٤/٣٤٥.

(٢) الأصول ٣/٤١٨.

(٣) الكتاب ٤/٤٥٥.

(٤) المرجع السابق ٤/٣٤٥.

(٥) معاني القرآن ٢/٣٤٢.

(٦) معاني القرآن ٢/٥١٥ و ٥٥٨.

(٧) نقل ذلك عنه ابن جني في المنصف ١/٢٤٨.

(٨) أدب الكاتب ص ٤٧١.

(٩) المقتضب ١/٢٤٤.

(١٠) معاني القرآن ٣/٣٧٥.

(١١) الأصول ٣/٢٦٧ و ٢٧٨.

(١٢) الأضداد ص ١٣٠.

(١٣) المنصف ٢/٢٢٣.

(١٤) الحجة ص ٥٧٧.

مثال: قال الخليل: "وقال الله جل وعز: (ظَلَّتْ عليه عاكفاً)، وقرئ: (ظَلَّتْ عليه). فمن فتح فالأصل فيه: ظَلَّلَتْ عليه، ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على فتحها. ومن قرأ: (ظَلَّتْ) بالكسر حَوَّلَ كسرة اللام على الظاء".^(١)

٤- المصطلح الثالث لظاهرة نقل الحركة: (الإتباع):

يدل أصله اللغوي على التلو والقفو، يقال: تبعت فلاناً، إذا تَلَوْتَهُ وَاتَّبَعْتَهُ، وَاتَّبَعْتَهُ، إِذَا لِحَقَّتْهُ، وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ، وَمِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مَنْ يَجْعَلُ الْمَعْنَى فِيهِمَا وَاحِدًا.^(٢)

استعمل: (الإتباع) في أكثر من معنى، منها:	
١- إتباع الكلمة الكلمة.	٢- إتباع الحركة الحركة.
٣- إشباع الحركات.	٤- الإبدال.
٥- صلة هاء الضمير.	٦- نقل الحركة إلى الساكن قبلها.
٧- إتباع الإمالة للإمالة.	٨- مشارك في صلة ميم الجمع.

١- المعنى الأول ل: (الإتباع) = إتباع الكلمة الكلمة:

استعمله من العلماء: الخليل، وابن قتيبة^(٣)، وثلعب^(٤)، والزجاج^(٥)، وابن السراج^(٦)، وأبو بكر ابن الأنباري^(٧)، والقالي^(٨).

مثال: قال الخليل: "يقال: هو حَسَنٌ بَسَنٌ، وهو إتباع".^(٩)

٢- المعنى الثاني ل: (الإتباع) = إتباع الحركة الحركة:

-
- (١) العين ١٤٨/٨.
(٢) مقاييس اللغة ص ١٦١ (ت ب ع).
(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٦.
(٤) مجالس ثعلب ١/٢٧.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٦٠.
(٦) الأصول ٢/١٣٦.
(٧) الأضداد ص ٣٨٥.
(٨) الأمالي والنوادر، لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القاليّ، دار الجيل، ط ٢، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، ٢/٢٠٨.
(٩) العين ٧/٢٧٢.

استعمله من العلماء: سيبويه^(١)، ومعاذ بن مسلم الهراء^(٢)، والفراء^(٣)، والأخفش^(٤)،
 والمبرد^(٥)، وثعلب^(٦)، والزجاج^(٧)، وابن السراج، وابن مجاهد^(٨)، والنحاس^(٩)، والسيرافي^(١٠)،
 وابن خالويه^(١١)، والأزهري^(١٢)، وأبو علي الفارسي^(١٣)، وابن جني^(١٤)، وطاهر بن
 غلبون^(١٥)، والثعالبي^(١٦)، وأبو البركات ابن الأنباري^(١٧).

مثال: قال سيبويه: "وأما مُنْذُ فضمت لأنه للغاية، ومع ذا أن من كلامهم أن يُتَّبَعُوا الضم
 الضم، كما قالوا: زُدُّ يا فتى".^(١٨)

قوانين الإتياع بالحركات:

١- إتياع الحركات يناظر الإدغام في العمل من وجه واحد: سيبويه.^(١٩)

٢- الإتياع ليكون الصوت من جنس واحد وضرب واحد: أبو علي الفارسي.^(٢٠)

-
- (١) نقل ذلك عنه الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٦.
 (٢) معاني القرآن ١/١١٨، و٢/٣٢٩.
 (٣) المرجع السابق ١/٢٠٩، و٢/٥٥٨، والقوافي ص ٨٤.
 (٤) المقتضب ١/٣٢٠ و ٢/١٨٧ - ١٨٨.
 (٥) مجالس ثعلب ٢/٣٩٦.
 (٦) معاني القرآن وإعراجه ٢/٢١٤.
 (٧) الأصول ١/٦١، و٢/١٣٧ و ٣/٣٣٦.
 (٨) السبعة ص ١٠٩.
 (٩) إعراب القرآن ١/٢٧٨، و٢/٤٠٤ و ١٤٢، و ٣/٢٣ و ٤١٢.
 (١٠) شرح كتاب سيبويه ١/١٦٦.
 (١١) الحجة ص ٩٢ و ٢٣٢ وإعراب ثلاثين سورة ص ١٨.
 (١٢) معاني القراءات ١/١٤٢ و ٢٩٤.
 (١٣) التكملة ص ٥ والحجة ٦/٤٢.
 (١٤) المنصف ٢/٢٢٣ والخصائص ٢/٧٧ والمختضب ٢/١٣٧.
 (١٥) التذكرة ١/١٧٧.
 (١٦) فقه اللغة ص ٣٧٢.
 (١٧) أسرار العربية ص ١٤٧.
 (١٨) الكتاب ٣/٢٨٧ و ٤/١٧٨.
 (١٩) المرجع السابق ٤/١٠٧.
 (٢٠) الحجة ١/١٢٧.

٣- (الحركة إذا كانت للتقريب من الحرف لم تُكْرَه، ولم تكن بمنزلة ما لا تقرب فيه): أبو علي الفارسي، قالها في بعض أنواع الإتياع الذي يُغيّر البناء إلى ما يُستكره أو ما لا يوجد عربيةً، ككسر أول: (شيُوخ، وجيُوب، وشعير).^(١)

٤- (قد يخالف الإعراب لإيثار تقريب الصوت من الصوت): ابن جني، قالها في: (الحمْدُ لله).^(٢)

٣- المعنى الثالث ل: (الإتياع) = إشباع الحركات:

استعمله من العلماء: الأخفش، قال عن مذهب العرب في إنشاد الشعر: "أما إذا أرادوا الحِداء والغناء والترُّمُّم فإن كلهم يُتبعُ الرَّويِّ المضمومَ واوًا، والمفتوحَ ألفاً، والمكسورَ ياءً".^(٣)

٤- المعنى الرابع ل: (الإتياع) = الإبدال:

استعمله من العلماء: الأخفش^(٤)، والمازني.

مثال: قال المازني عن إبدال تاء الافتعال زاي في ازتَجَر: "فإذا كان قبل هذه التاء زايٌ أبدلت التاء دالاً مثل: اَزْدَجَرَ، ومُزْدَجَرَ، ومن أتبع التاء الحرف الذي قبلها أبدل منها الزاي، فقال: اَزَجَرَ، وهو مُزَجِرٌ"^(٥).

٥- المعنى الخامس ل: (الإتياع) = صلة هاء الضمير:

استعمله من العلماء: المبرد، قال عن إلحاق الهاء بواو أو ياء: "فإن كانت قبلها كسرة جاز أن تُتبعَهَا واوًا أو ياءً أيهما شئت؛ أما الواو فعلى الأصل الذي ذكرت لك، وأما

(١) الحجة ٢/٢٨٢.

(٢) الخصائص ٢/١٤٥.

(٣) القوافي ص ١٠٤. وانظر ص ١١.

(٤) معاني القرآن ١/١٩٩.

(٥) نقل ذلك عنه ابن جني في المنصف ٢/٣٣٠.

الياء فلنقرب الجوار؛ لأن الضمة مستثقلة بعد الكسرة، والناس - عامة - للكسرة والياء بعدها أكثر استعمالاً^(١).

٦- المعنى السادس ل: (الإتباع) = نقل الحركة إلى ساكن قبلها:

استعمله من العلماء: الزجاج^(٢)، والزجاجي^(٣)، وأبو البركات ابن الأنباري.

مثال: قال أبو البركات الأنباري: "والإتباع: وهو أن تحرك ما قبل الحرف الأخير إذا كان ساكناً حركة الحرف الأخير في الرفع والجر، نحو: هذا بَكْرٌ، ومرزْتُ بِبِكْرٍ"^(٤).

٧- المعنى السابع ل: (الإتباع) = إتباع الإمالة الإمالة:

استعمله من العلماء: عبد المنعم بن غلبون، قال عن علة إمالة ألف كَسَالِي من أجل إمالة الألف المرسومة ياءً بعدها: "فحجّة من أمال لام الفعل، أنه من أجل الألف التي صُوِّرَتْ في السواد ياء، وهي زائدة على لام الفعل، فلما أمال الألف التي بعد لام الفعل، أمال لام الفعل، فأتبع الإمالة الإمالة. فإمالة لام الفعل من أجل الزائدة التي بعدها."^(٥)

٨- المعنى الثامن ل: (الإتباع) = صلة ميم الجمع:

ضمّ ميم الجمع وإتباعها واواً في اللفظ: إسماعيل بن خلف الأندلسي^(٦).

٤- المصطلح الرابع لظاهرة نقل الحركة: (الطَّرْحُ):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على نبذ الشيء وإلقائه. يقال: طرح الشيء يطرحه طرحاً^(٧).

استعمل: (الطرح) في أكثر من معنى، منها:

١- الحذف.
٢- جزء مشارك في نقل الحركة.

(١) المقتضب ١٧٥/١ وانظر: ٣٩٩/١.

(٢) معاني القرآن وإعراجه ٢٠٦/١.

(٣) شرح جمل الزجاجي ص ٣٧٤.

(٤) أسرار العربية ص ٢٠٤.

(٥) الاستكمال ص ١١٦.

(٦) العنوان ص ٤١.

(٧) مقاييس اللغة ص ٦١٢ (ط ر ح).

١ - المعنى الأول ل: (الطَّرْحُ) = الحذف:

استعمله من العلماء: نافع المقرئ^(١)، والخليل^(٢)، وسيبويه^(٣)، والكسائي^(٤)،
والفراء^(٥)، وأبو زيد اللغوي^(٦)، والأخفش^(٧)، وابن قتيبة^(٨)، والمبرد^(٩)، وثعلب^(١٠)،
والزجاج^(١١)، وابن السراج^(١٢)، وابن مجاهد^(١٣)، والزجاجي^(١٤)، والقالي^(١٥)، وابن
خالويه^(١٦)، والأزهري^(١٧)، وابن مهران^(١٨)، وابن جني^(١٩)، وطاهر بن غلبون^(٢٠)، وابن
زنجلة^(٢١).

مثال: قال الخليل: "وناقة عَوْسَرَانِيَّة، وهي التي تُرَكَّب قبل أن تُراضَ، والدَّكْرُ: عَيْسَرَانِيٌّ،
كالمنسوب، وإن شئت طرحت الياء وضممت السين كما تضم الخيْزُران فتقول:

(١) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان ١/٨٨.

(٢) العين ٣٢٧/١ و١٨٩/٢، و٢٠٩، و٢٤٧، و١٩٧/٣، و٢٣٣، و٩١/٤.

(٣) الكتاب ٢/٢٠٨.

(٤) نقل ذلك عنه أبو عبيد في الغريب المصنف في اللغة ٢/١٣٠.

(٥) معاني القرآن ١/١.

(٦) النوادر ص ٤٧٢.

(٧) العروض ص ١٤٥.

(٨) أدب الكاتب ص ٢٩٠.

(٩) المقتضب ١/١٨٦.

(١٠) مجالس ثعلب ١/١٦٤.

(١١) معاني القرآن وإعرابه ١/٨١.

(١٢) الأصول ١/١٣٣.

(١٣) السبعة ص ١٧٩.

(١٤) شرح جمل الزجاجي ص ٣٠٨.

(١٥) البارع في اللغة ص ١٦٩.

(١٦) الحجّة ص ٦٢.

(١٧) معاني القراءات ١/١٢١.

(١٨) الميسوط ص ١٣٣.

(١٩) المحتسب ٢/١٠٩.

(٢٠) التذكرة ١/٧٦.

(٢١) الحجّة ص ١٠٤.

عَيْسُرَان".^(١)

٢- المعنى الثاني ل: (الطرح) = نقل الحركة:

استعمله من العلماء: سيويه^(٢)، والمازني^(٣)، والمبرد^(٤)، والزجاج^(٥)، وابن السراج^(٦)، وابن دريد^(٧)، وابن خالويه^(٨)، والأزهري^(٩)، وابن جني^(١٠)، وابن زنجلة^(١١).
مثال: قال سيويه في تخفيف: (هو يرمي إخوانته): "وعلى هذا تقول: (هو يرمي إخوانته)، تحذف الهمزة ولا تطرح الكسرة على الياء، لما ذكرت لك، ولكن تحذف الياء لالتقاء الساكنين".^(١٢)

ومثال آخر على نقل الحركة إلى ما بعدها قول سيويه: "فإنما ألقوا الكسرة فيما كان مكسور الفاء على العَيْنَات وحذفوا الفاء، وذلك نحو: عِدَّةٍ وأصلُّها: وعِدَّةٌ، وشيئةٌ وأصلُّها وشيئةٌ، فحذفوا الواو وطرحوا كسرتها على العين، وكذلك أخواتها".^(١٣)

٥- المصطلح الخامس لظاهرة نقل الحركة: (النقل):

يدل أصله اللغوي على تحويل شيء من مكان إلى مكان، ثم يُفَرِّغُ ذلك، يقال: نَقَلْتُهُ أَنْقَلَهُ نَقْلًا، ونقل الفرسُ قوائمه.^(١٤)

(١) العين ٣٢٧/١.

(٢) الكتاب ٢٥٦/٣.

(٣) نقل ذلك عنه الفارسي في الحجة ١٣٩/١.

(٤) المقتضب ٢٤٢/١ و٢٤٤ و٢٧١ و٢٩٦ و٣٧٧.

(٥) معاني القرآن ٦٥/١، و١٨٥/٢، و٤٣٤ و٣١٢/٣ و٢٨٩/٤.

(٦) الأصول ١٣٩/٢.

(٧) الجمهرة ٦٤/٣.

(٨) الحجة ص ٦٤.

(٩) معاني القراءات ١٧٨/١ و٤٥/٢.

(١٠) المنصف ١٠٣/٢.

(١١) الحجة ص ٣٣١.

(١٢) الكتاب ٥٥٦/٣.

(١٣) المرجع السابق ٣٧٠/٣.

(١٤) مقاييس اللغة ص ١٠٠٤ (ن ق ل).

استعمله من العلماء: الكسائي^(١)، والفراء بلفظ: (نقل الإعراب)^(٢)،
والأخفش^(٣)، وابن السكيت^(٤)، وثعلب^(٥)، والزجاج^(٦)، وابن السراج^(٧)، وابن مجاهد^(٨)،
وأبو بكر ابن الأنباري^(٩)، والزجاجي^(١٠)، والسيرافي^(١١)، وابن خالويه^(١٢)، والفارسي^(١٣)،
وعبد المنعم بن غلبون^(١٤)، وابن جني^(١٥)، وطاهر بن غلبون^(١٦)، وابن سفيان القيرواني^(١٧)،
ومكي^(١٨)، والمالكي^(١٩)، والداني^(٢٠)، وابن رشيق القيرواني^(٢١)، وأبو معشر الطبري^(٢٢)،
وإسماعيل بن خلف^(٢٣)، وابن بليمة^(٢٤)، وأبو البركات ابن الأنباري^(٢٥).

(١) نقل ذلك عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٤٥٩/١.

(٢) معاني القرآن ٩٦/٢، و٣٧٩ و٢١٣/٣.

(٣) معاني القرآن ٤٦٨/٢.

(٤) إصلاح المنطق ص ٣٥.

(٥) نقل ذلك عنه ابن جني في الخصائص ١٤٢/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤٦٤/٢، و١١٨/٣.

(٧) الأصول ١١٦/١، و٢٧٨/٣ و٢٨٣.

(٨) السبعة ص ٦٩٦.

(٩) إيضاح الوقف والابتداء ١٩٧/١ والأضداد ص ١٣٠.

(١٠) شرح جمل الزجاجي ص ١٦٤.

(١١) إدغام القراء ص ٣٧.

(١٢) الحجة ص ٦٤، و٧٤، و١٣٠ وإعراب ثلاثين سورة ص ٣ و١٠٠.

(١٣) الحجة ٣٢٤/١ و٣٤٨ و٩٧/٢ والتكملة ص ٢٥١.

(١٤) الاستكمال ص ١٩٠.

(١٥) المنصف ٢٤٩/١ والمحتسب ١٩٦/١.

(١٦) التذكرة ١٢٣/١.

(١٧) الهادي ٨٨/١.

(١٨) التبصرة ص ٣٣٨.

(١٩) الروضة ٤٦٩/١.

(٢٠) التحديد ص ١٥٠.

(٢١) العملة ٣١١/٢.

(٢٢) التلخيص ص ١٥٧.

(٢٣) العنوان ص ٤٨.

(٢٤) تلخيص العبارات ص ٣٠.

(٢٥) الإنصاف في حل مسائل الخلاف ٧٣١/٢.

وهذا من المصطلحات التي اشترك في استعمالها رجال النحو من البصريين والكوفيين، والقراء، والبلاغيون.

مثال: قال الفراء: "فأما من قال: (يَخْطَفُ)، فإنه نقل إعراب التاء المدغمة إلى الخاء، إذ كانت منجزمة".^(١)

أي نقل حركة التاء المفتوحة المدغمة في يَخْطَفُ إلى الخاء الساكنة.

٥- المصطلح السادس لظاهرة نقل الحركة: (الوصل):

من المشترك اللفظي. يدل أصله اللغوي على ضم شيء إلى شيء حتى يعلّقه. ووَصَلْتُهُ به وصلًا، والوصل: ضد الهجران. وتقول: وصلت الشيء وصلًا، والموصول به وصلٌ، بكسر الواو.^(٢)

استعمل: (الوصل) في أكثر من معنى، منها:

- ١- ضد الوقف. ٢- صلة هاء الضمير.
- ٣- صلة ميم الجمع.
- ٤- نقل الحركة. ٥- المد المتصل.

١- المعنى الأول ل: (الوصل) = ضد الوقف:

استعمله كثير من العلماء لا يحصون، منهم: أبو عمرو بن العلاء^(٣)، والخليل^(٤)، وسيبويه، والكسائي^(٥)، وعلى بن نصر الجهضمي^(٦)، والفراء^(٧)، والأخفش^(٨)، وابن السكيت^(٩)، وأبو هشام الرفاعي^(١٠)، وأحمد بن صالح^(١١)، والمبرد^(١٢)، وابن السراج^(١٣)، وابن

(١) معاني القرآن ١/١٨.

(٢) مقاييس اللغة ص ١٠٥٥ (و ص ل).

(٣) السبعة لابن مجاهد ص ٧٠١.

(٤) الكتاب لسيبويه ٣/٥٢٥.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/٢٦٢.

(٦) السبعة لابن مجاهد ص ٧٠١.

(٧) معاني القرآن ١/١٧٢.

(٨) القوافي ص ١١.

(٩) إصلاح المنطق ص ٣٠٣.

(١٠) جامع البيان للداني ٢/٥٩٥.

(١١) السبعة لابن مجاهد ص ٥٧٣.

مجاهد^(٣)، وابن خالويه^(٤)، والداني^(٥)، وغيرهم.
مثال: قال سيويه عن هاء الندبة في مثل: "وَأَزِيدَاه: "واعلم أنك إذا وصلتَ كلامك
ذهبتَ هذه الهاء في جميع الندبة"^(٦).

٢- المعنى الثاني ل: (الوصل) = صلة هاء الضمير:

استعمله كثير لا يحصون، منهم: إسماعيل بن جعفر القارئ^(٧)، وحفص بن المغيرة
الأسدي^(٨)، وورش^(٩)، والفراء، وخلف بن هشام البزار^(١٠)، والمبرد^(١١)، وابن مجاهد^(١٢)،
ومكي^(١٣)، والداني^(١٤)، وإسماعيل بن خلف^(١٥)، وابن بليمة^(١٦)، وغيرهم.

مثال: قال الفراء عن مذاهب العرب في هاء الضمير: "والوجه الأكثر أن تُوصَلَ
بواو، فيقال: كَلَّمْتُهُ كَلَامًا"^(١٧).

٣- المعنى الثالث ل: (الوصل، الصلة) = صلة ميم الجمع:

استعمله الكسائي، وورش^(١٨)، وأبو محمد حجاج بن محمد المصيصي^(١٩)، وابن
مجاهد^(١)، وابن خالويه^(٢)، وابن سفيان القيرواني^(٣)، ومكي^(٤).

(١) المقتضب ١/٣٩٩.

(٢) الأصول ٢/١٦٤.

(٣) السبعة لابن مجاهد ص ١٨٨.

(٤) الحجة ص ٢٤٦.

(٥) المكتفى في الوقف والابتدا ص ١٧٥.

(٦) الكتاب ٢/٢٢٢.

(٧) السبعة لابن مجاهد ص ٤٨١.

(٨) جامع البيان للداني ٢/٤٣٦.

(٩) السبعة لابن مجاهد ص ٤٨١.

(١٠) جامع البيان للداني ٢/٤٣٥.

(١١) المقتضب ١/١٧٤.

(١٢) السبعة ص ٢٠٧.

(١٣) التبصرة ص ٥٦.

(١٤) التحديد ص ١٢٤.

(١٥) العنوان ص ٤٢.

(١٦) تلخيص العبارات ص ٩٤.

(١٧) معاني القرآن ١/٢٢٣.

(١٨) السبعة لابن مجاهد ص ١٠٩.

(١٩) جامع البيان للداني ٢/٣٤٨.

مثال: قال الكسائي في كتاب المعاني: "العرب تَصِلُ ما كان نحو: (منكم)، و(عنكم)، و(قلت)، و(حيثم)، وما أشبهه، ويقطعون... ولا تَصِلُ كل القرآن فيكون كل القطع خطأ، ولا تقطع كل القرآن فيكون كل الوصل خطأ، تفعل ذا وذا، وكلٌ حسنٌ....".^(٥) فالوصل هو إلحاق ميم الجمع بواو، والقطع هو الإسكان في أحد معانيه.

٤- المعنى الرابع ل: (الوصل، الموصول) = نقل الحركة:

استعمله: أبو سعيد سقلاب بن شيبية المصري^(٦)، وورش^(٧)، ومحمد بن عبد الله الحيري، والحسن بن داود النقار.^(٨)

مثال: قال محمد بن عبد الله الحيري: "قُلْ اتَّخَذْتُمْ فِي الْبَقْرَةِ، و(فِي أَنْ أَحْصَرْتُمْ)، و(أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ) فِي الدِّخَانِ: مَوْصُولَةٌ" اهـ.

قال الدايني معلقاً: "يعنى أنه يُلقى حركة الهمزة فيهن على اللام والنون".^(٩)

٥- المعنى الخامس ل: (الوصل) = المد المتصل:

استعمله قالوا تعبيراً عن اجتماع المد والهمز في كلمة واحدة مما يُعرف في عصرنا بالمد المتصل، قال عن مذهب نافع في حروف المد: "إِذَا مَدَّهِنَّ يَصِلُ الْمَدُّ بِالْهَمْزِ، وَيَمُدُّ" اهـ.

قال الدايني معلقاً: "يعنى في المتصل".^(١٠)

وهذا من أقدم النصوص التي تُعدُّ إرهاباً لولادة مصطلح: (المد المتصل).

(١) السبعة ص ١٠٨.

(٢) إعراب ثلاثين سورة ص ٣٢.

(٣) الهادي ٥٨/١.

(٤) التبصرة ص ٥٨.

(٥) جامع البيان للدايني ٣٧٩/٢.

(٦) نقل ذلك عنه الدايني في جامع البيان ٤٧١/٢.

(٧) المرجع السابق ٤٧١/٢.

(٨) المرجع السابق ٥٦٤/٢.

(٩) التعبير والتعليق في جامع البيان للدايني ٦٣٨/٢.

(١٠) المرجع السابق ٤٤٣/٢.

٧- المصطلح السابع لظاهرة نقل الحركة: (قَلْبُ الحركة):

هشام بن معاوية الضرير^(١) ، وأبو جعفر النحاس^(٢).

٨- المصطلح الثامن لظاهرة نقل الحركة: (رَدُّ الحركة):

ابن مهران^(٣) ، وتقدم.

ومن الجمل التي استعملت للتعبير عن نقل الحركة.

١- (فتح اللام من غير همزة): قالها أبو سلمة عبد الرحمن بن إسحاق في نقل فتحة

همزة (الأوليين) إلى ما قبلها بعد حذف الهمزة، لتصير: (أَلُولِينَ).^(٤)

٢- (الوقف بغير همزة): قالها أبو سلمة عبد الرحمن بن إسحاق أيضاً في نقل فتحة همزة

(قَدَ أَفْلَحَ) إلى ما قبلها بعد حذف الهمزة عند الوقف، لتصير: (قَدَ فُلَحَ).^(٥)

٣- (فتحُ الياء من غير تشديد): قالها أحمد بن يحيى الملقَّب بثعلب في نقل فتحة همزة

(شَيْئًا) إلى ما قبلها بعد حذف الهمزة، لتصير: (شَيْيَا).^(٦)

٤- (فتح اللام): قالها أبو ربيعة محمد بن إسحاق (راوي البزي وقنبل) في نقل فتحة

همزة (الأرض) إلى ما قبلها بعد حذف الهمزة، لتصير: (أَلْرُضَ).^(٧)

المصوتات العربية:

تنقسم المصوتات العربية إلى ثلاثة أصلية طويلة هي حروف المد الثلاثة وثلاثة قصيرة

هي الفتحة والضمة والكسرة.

(١) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن ١/١٨٩.

(٢) إعراب القرآن ١/٢٥٩، و٢٨٥ و٣٥٨/٢ و٣٩٧/٣.

(٣) المبسوط ص ١٠٢ و ٢٦٠.

(٤) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان ٢/٦١٨.

(٥) المرجع السابق ٢/٦١٨.

(٦) المرجع السابق ٢/٥٩٩.

(٧) المرجع السابق ٢/٦١٨.

وهذه الأصلية يميل بعضها إلى بعض فينتج عنها مصوتات فرعية، وهي التي جمعها ابن جني في مكان واحد بعد أن ذكرها من قبله مفرقة، وهي أربع حركات أو مصوتات:

١- ألف الإمالة: وهي الفتحة المشوبة بشيء من الكسرة والألف التي بعدها تبع لها كالألف الممالة في: عابد وعارف.

٢- ألف التفخيم: وهي الفتحة المشوبة بشيء من الضمة والألف التي بعدها تبع لها كألف التفخيم نحو الواو في: قام.

وتمتنع إمالة الكسرة والضمة نحو الفتحة في اللغة العربي، وعلل ابن جني ذلك بأن الفتحة أعمق الحركات، والكسرة بعدها، والضمة بعدهما، فجاز الإنطلاق من الفتحة إليهما بحسب تصعُّد الصوت، أي من الداخل إلى الخارج، دون العكس.

٣- الكسرة المشوبة بالضمة نحو: قيل وبيع، وقال عن الياء بعدها إنها مشوبة بروائح الواو، على ما تقدم في الألف.

٤- الضمة المشوبة بالكسرة، وقال عن الواو بعدها إنها مشوبة بروائح الياء في نحو (عُو) من: بمذعور.

قال ابن جني: "وهذا مذهب سيوييه، وهو الصواب؛ لأن هذه الحروف تتبع الحركات قبلها، فكما أن الحركة مشوبة غير مخلصّة، فالحرف اللاحق بها أيضاً في حكمه".^(١)

واستعمل القراء الحركات الثلاثة الأولى التي ذكرها ابن جني دون الرابعة، مع مراعاة أنهم في ألف التفخيم لا يصلون إلى درجة استدارة الشفتين معها، ولا إلى الفتح المبالغ فيه للفم؛ بل نهبوا عن ذلك، واستعملوا التفخيم المناسب لحروفه، وسيظهر عظم التوفيق الذي حصل للمتقدمين في ملاحظاتهم الدقيقة عن هذه الألف .

وقسم القراء الفتحة المشوبة بالكسرة، أي الألف التي تميل إلى الياء إلى قسمين:

١- ألف الإمالة الصغرى أو الألف المقللة، وهي التي تقع بين الألف والإمالة الكبرى.

(١) صناعة الإعراب ١/٥٣.

وانقسمت مذاهبهم فيها إلى ثلاثة أقسام:

* بعض القراء قسم هذه الإمالة إلى قسمين:

١- إلى الفتح أقرب.

٢- إلى الإمالة الكبرى أقرب.

* بعضهم لم يعترف بهذه الإمالة؛ بل جعلها تحت دائرة الفتح.

* أكثرهم يعترفون بها كإمالة واحدة فقط تقع بين الألف والإمالة الكبرى.

٢- الإمالة الكبرى، وهي التي تقع بين الإمالة الصغرى والياء، وهذه لا خلاف عند القراء فيها.

كان ما سبق مقدمة للحديث عن الألفاظ المستعملة لكل مصوِّت ممتزج أو فرعى، وهي ألفاظ كثيرة اشترك فيها طوائف العلماء من نحويين وقراء، وهذه الألفاظ جُمعت من كتب متنوعة، ولولا توفيق الله ومعاونته لصعب حصرها في مكان واحد.

الألفاظ العامة المستعملة في تقريب الحركات وحروف المد إلى بعضها:

استعمل المتقدمون لتقريب المصوتات من بعضها حتى يمتزجا عدة ألفاظ، منها:		
١- الإشمام.	٢- الإمالة.	٣- الإشراب.
٤- النحو، الإنتحاء.	٥- التقريب.	٦- الخلط،
المخالطة.		
٧- الإجماء.	٨- المزج، الممازجة، الامتزاج.	٩- الشوب.

١- المصطلح الأول لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (الإشمام):

مصطلح كبير، وأغلب المعاني التي استعمل فيها هي من الظواهر الصوتية الكبرى في طلب التخفيف.

يدل أصله اللغوي على المقاربة والمداناة. تقول: شممت الشيء فأنا أشمه، والمشاممة: المفاعلة من شامته، إذا قارنته ودنوت منه. (١)

استعمل: (الإشمام) في أكثر من معنى، منها:

- ١- الوقف بالروم.
- ٢- اختلاس الحركة.
- ٣- الوقف بالإشمام.
- ٤- إشمام الحركة في الحرف المتحرك.
- ٥- مشارك في الإمالة الصغرى.
- ٦- مشارك في الإمالة الكبرى.
- ٧- تسهيل الهمزة عند الوقف.
- ٨- إشمام الحركة في الحرف الساكن في الوصل.
- ٩- قصر صلة هاء الضمير.
- ١٠- إشمام الحروف (تقريب الجوامد من الجوامد).
- ١١- الوقف بنقل الحركة.
- ١٢- إثبات ياءات الزوائد.
- ١٣- ألف التفخيم المائلة نحو الواو.

١- المعنى الأول ل: (الإشمام) = الوقف بالروم:

هو أحد طرق الوقف على الكلمة عند العرب، وظاهرة من ظواهر الخفة في كلامها، وهو الوقف بحركة ضعيفة في السمع على آخر المتحرك.

وهذا المعنى هو مذهب مستعمل عند أكابر القراء، منهم: عاصم بن أبي النجود، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة، والكسائي، ويعقوب الحضرمي، وخلف بن هشام^(٢).

استعمل لفظ: (الإشمام) بمعنى روم الحركة: الخليل، وسليم بن عيسى، وعبيد بن عقيل^(٣)، ومحمد بن الحسن بن هلال الملقب بمحبوب^(٤)، وخلف بن هشام البزار، وأحمد الحلواني^(٥)، وابن مجاهد^(١)، وأبو بكر بن الأنباري^(٢)، وأبو علي الفارسي^(٣)، وأبو الفضل الخزاعي^(٤)، وأبو معشر الطبري^(٥).

(١) مقاييس اللغة ص ٥٠٠ (ش م م).

(٢) انظرهم في إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٣٨٥/١ والحجة لابن خالويه ص ٧٩، وجامع البيان للداني ٩٤١/٣.

(٣) السبعة ص ٦٧٧.

(٤) جامع البيان للداني ٩٤١/٣.

(٥) المنتهى للخزاعي ص ٢١٨.

عرفه الخليل بن أحمد فقال: "والإشمام: أن تشم الحرف الساكن حرفاً"^(٦)، كقولك في الضمة: (هذا العمل)، وتسكت، فتجد في فيك إشماماً للام، لم يبلغ أن يكون واواً، ولا تحريكاً يعتد به، ولكن شمة من ضمة خفيفة. ويجوز ذلك في الكسر والفتح أيضاً"^(٧).

فهذا يدل على روم الحركة المسموعة؛ لأن الإشمام بلا صوت لا يكون في الفتح والكسر.

كما أن هذا النص النادر على الخليل أستاذ سيبويه يثبت أن مصطلح: (الروم) لم يستعمل قبل سيبويه، وأن لفظ: (الإشمام) هو الذي كان متداولاً بين القراء لكيفيتين من كيفيات الوقف على الكلمة، أعني الوقف بروم الحركة، والوقف بالإشمام، قال الداني: "والإشارة إلى الحركات في الوقف في مذهب القراء تكون روما، وتكون إشماماً"^(٨). والإشارة والإشمام واحد.

ويوضح نص الخليل أيضاً أن جعله الروم في المكسور والمفتوح هو من مذهبه، وتابعه عليه سيبويه ولذلك يجب أن تصحح النسبة في قول الشاطبي: (وعند إمام النحو في الكل أعمالاً) من سيبويه إلى الخليل.

واكتسب هذا اللفظ بهذا المعنى أهمية تعليمية، قال خلف بن هشام: "حدثنا سليم ابن عيسى الكوفي عن حمزة بن حبيب الزيات أنه كان يعجبه إشمام الرفع إذا وقف على الحروف التي توصل بالرفع، مثل قول الله تعالي في فاتحة الكتاب: (إياك نعبد)، يشم الدال الرفع... وسمعت علي بن حمزة الكسائي يعجبه ذلك. وبعض القراء يسكت عليه بغير إشمام الرفع، ويقول: إنما الإعراب في الوصل، فإذا سكت [وقفت] لم أشم شيئاً. قال خلف: وقول

(١) جامع البيان للداني ٩٤١/٣.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٤٤٩/١.

(٣) الحجة ٣٩٢/٦.

(٤) المنتهى ص ٢١٦.

(٥) التلخيص ص ١٩٢.

(٦) هذا من أقدم النصوص التي سمت الحركات حروفاً. وذكر ابن جني أن متقدمي النحاة كانوا يسمون الحركات حروفاً. انظر: سر صناعة الإعراب ١٧/١.

(٧) انظر العين ٢٢٤/٦.

(٨) جامع البيان للداني ٩٤٤/٣.

حمزة والكسائي أعجب إلينا؛ لأن الذي يقرأ على من يتعلم منه إذا قرأ عليه فأشتم الحروف علم معلمه كيف قراءته لو وصل، والمستمع أيضاً- غير المعلم- يعلم كيف كان يصل الذي يقرأ".^(١)

فقوله: (والمستمع...) يدل على أن هذه الحركة هي حركة مسموعة.

ويؤيد هذا قول خلف أيضاً: "سمعت الكسائي يشم الكسر إذا وقف في قوله: (كماء أنزلناه من السماء): (كماء)".^(٢)

والكسر لا يكون إلا في الروم كما هو معروف في مذاهب القراء.

٢- المعنى الثاني ل: (الإشمام) = اختلاس الحركة:

استعمله: الخليل^(٣)، وسيبويه^(٤)، ويحيى اليزيدي^(٥)، وعبيد بن عجيل، والأخفش^(٦)، وروح بن عبد المؤمن^(٧)، وعبيد الله الهاشمي^(٨)، وابن مجاهد^(٩).

قال عبيد بن عجيل عن اختلاس الحركة: "وكذلك: (ويزكيكم ويعلمكم) يشمها شيئاً من الرفع. قال: وكذلك: (يوم يجمعكم)، يشم العين شيئاً من الضم".^(١٠)

٣- المعنى الثالث ل: (الإشمام) = الوقف بالإشمام:

هذا المعنى هو أشهر المعاني التي وضع لها هذا المصطلح، ويعنى ضم الشفتين بعد سكون الحرف، من غير صوت يسمع إشارة إلى الحركة المضمومة.

(١) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٣٨٦/١.

(٢) المرجع السابق ٣٩١/١.

(٣) العين ٩٢/٨.

(٤) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١٩٦/١.

(٥) السبعة لابن مجاهد ص ٣٠٠.

(٦) معاني القرآن ٤٦٢/٢.

(٧) السبعة ص ٣٨٩.

(٨) المرجع السابق ص ١٥٦.

(٩) السبعة ص ٣٢٦.

(١٠) السبعة لابن مجاهد ص ١٥٦.

استعمله: سيويوه، والأخفش^(١)، وابن السراج^(٢)، وأبو جعفر النحاس^(٣)،
والسيرافي^(٤)، وأبو علي الفارسي^(٥)، وابن جني^(٦)، وطاهر بن غلبون^(٧)، وابن سفيان
القيرواني^(٨)، ومكي^(٩)، والداني^(١٠)، وإسماعيل بن خلف^(١١)، وأبو العلاء الهمداني^(١٢).

بدأ سيويوه بذكر الأوجه الجائزة في الوقف على المرفوع، قال: "فأما المرفوع
والمضموم، فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم
والساكن، وبأن تروم التحريك، وبالتضعيف"^(١٣).

ثم بدأ سيويوه بشرح ماهية هذا الإشمام، وكم تعودنا من خلال الفصول الماضية،
فإن كلامه يمثل المحور الأساسي الذي انطلق منه من بعده، قال عن سبب اختيار الضمة
للإشمام دون الفتحة والكسرة: "وإنما كان ذا في الرفع؛ لأن الضمة من الواو، فأنت تقدر أن
تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت، ثم تضم شفتيك؛ لأن ضمك شفتيك
كتحريكك بعض جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن. ألا ترى أنك لو
قلت: هذا معنٌ، فأشمتت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشمم، فأنت قد تقدر على أن
تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت ثم تضم شفتيك، ولا تقدر على أن تفعل

(١) معاني القرآن ٦٠٦/٢. والعروض ص ١١٧.

(٢) الأصول ٣٧٢/٢.

(٣) إعراب القرآن ٢٠٧/٣.

(٤) إدغام القراء ص ٢٩.

(٥) التكملة ص ١٩.

(٦) الخصائص ١٤٥/٢.

(٧) التذكرة ٥٢٩/٢.

(٨) الهادي ٦٣/١.

(٩) التبصرة ص ٥٧.

(١٠) التحديد ص ٨١.

(١١) العنوان ص ٦٤.

(١٢) التمهيد ص ٢٦٤.

(١٣) الكتاب ١٦٨/٤.

ذلك ثم تحرك موضع الألف والياء".^(١)

نستخلص من هذا النص عدة أمور، منها:

- ١- الإشمام ليس بصوت إنما هو تحريك الشفتين بالضم بعد سكون الحرف.
- ٢- العمل الظاهر للشفتين في الضمة هو الذي سوغ الإشمام لأنه لرؤية العين، والمبصر هو الذي يدركه لا الأعمى.
- ٣- يمتنع الإشمام في الألف والياء لأنهما من داخل الفم، فلو أشار الإنسان بعد سكون الحرف بحركة الفتح أو الكسر لما فعل شيئاً.
- و لم تخرج أقوال العلماء عن قول سيويه بشيء إلا في توضيح بعض الألفاظ.

٤- المعنى الرابع ل: (الإشمام) = إشمام الحركة في الحرف المتحرك:

هو نوع من إمالة الياء إلى الواو، وذلك في أفعال ما لم يسم فاعله، نحو: (قيل وبيع وحيل وسيء).

استعمل لفظ: (الإشمام) بهذا المعنى: سليم بن عيسى^(٢)، والمبرد^(٣)، وابن مجاهد^(٤)، والزجاج^(٥)، وابن خالويه، وأبو علي الفارسي^(٦)، ومكي^(٧)، والمالكي^(٨)، والدايني^(٩).

مثال: قال ابن خالويه: " (وإذا قيل لهم)، يقرأ وما شاكله من الأفعال بالكسر. وإشمام أوله الضم... وقد قرأ بعض القراء ذلك بكسر بعض، وضم بعض"^(١) وهذا يحتمل

(١) الكتاب ١٧١/٤.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص ١٧٩ ومعاني القراءات للأزهري ١/١٩٥.

(٣) المقتضب ١/٢٤٤.

(٤) السبعة ص ١٧٨.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٠٠.

(٦) الحجة ١/٣٧٩، والتكملة ص ١٧.

(٧) التبصرة ص ١٤٦.

(٨) الروضة ل ٧٢/ب.

(٩) التيسير ص ١٢٥.

المذهبين اللذين ذكرتهما للقراء، لكن بدؤه بجزء الكسر يدل على أن الحركة متجهة من الياء إلى الواو، والله أعلم.

ويختلف القراء المعاصرون حول كيفية النطق بهذا الإشمام هل هو اتجاه من الكسرة إلى الضمة بأن ينحى بكسر أوائل هذه الأفعال نحو الضمة، وبالياء بعدها نحو الواو؟ أم جزء الضمة مقدم ثم يتلوه جزء الياء المحضنة، يعنى صوتان منفصلان؟ يعنى الخلاف ينحصر في تعيين حركة البدء، وفي الصوت اللاحق.

أكثر أقوال العلماء وأوصافهم التفصيلية- التي أطلعت عليها- تنصر المذهب الأول، وتنطبق على الحركة المتجهة من الياء إلى الواو.

وأنا أضع النصوص الصريحة الواضحة- التي لا تحتمل التأويل من كلام أكابر المتقدمين من النحويين والقراء- بين سادتي قراء القرآن الكريم لبيّنوا هذا الأمر الدقيق، وبالله التوفيق والسداد.

- قال ابن جني: "وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو: (قيل) وبيع، و(غيض)، و(سيق). وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو على ما تقدم في الألف... وهذا مذهب سيوييه، وهو الصواب؛ لأن هذه الحروف تتبع الحركات قبلها، فكما أن الحركة مشوبة غير مخلصة، فالحرف اللاحق بها أيضاً في حكمه".^(٢)

- وكان ابن جني قد ذكر مذهباً للأخفش في الحركة الرابعة التي لا يقرؤها القراء في نحو: بمذعور، وهي المتجهة من الواو إلى الياء، حيث كان الأخفش يشم ضمة العين الكسرة ثم يجعل الواو خالصة، وهو شبيه بما يفعله أصحاب المذهب الثاني من القراء- وإن كان اتجاه الحركة بالعكس- يشمون قاف (قيل) الضم، ثم يجعلون الياء خالصة بعد ذلك، قال ابن جني عن ذلك: "وأما أبو الحسن فكان يقول: مررت بمذعور، وهذا ابن بور، فيشم الضمة قبل الواو رائحة الكسرة، ويخلص الواو

(١) الحجة ص ٦٩.

(٢) سر صناعة الإعراب ٥٣/١.

واواً محضة ألبتة. وهذا تكلف فيه شدة في النطق، وهو مع ذلك ضعيف في القياس. فهذا ونحوه مما لا بد في أدائه من مشافهة توضحه وتكشف عن خالص سره".^(١)

- وقال طاهر بن غلبون عن كيفية الإشمام في مذهب من أشم: "يبتدون بالكسر ثم يشمون الضم في هذه الحروف حيث وقعت".^(٢) فعَيَّن حركة البدء من الكسرة إلى الضمة.

- وقال الداني: "الإشمام في: (قيل): إمالة الكسرة نحو الضم قليلاً، وليس بضم خالص".^(٣)

- وبين الداني معنى إشمام الأوائل الضم في كلام الأئمة السابقين، فقال: "فأما الإشمام في قوله: (قيل)، و(سيء)، ونظائرها، على مذهب من أشم أوله الضم دلالة على الأصل، فحقه أن ينحى بكسرة فاء الفعل المنقولة من عينة نحو الضمة، كما ينحى بالفتحة من قوله: (من النار) و(من نهار) وشبههما، إذا أريدت الإمالة المحضة نحو الكسرة، فكذلك ينحى بالكسرة إذا أريد الإشمام نحو الضمة؛ لأن ذلك كالمال سواء. وهذا الذي لا يجوز غيره عند العلماء من القراء والنحويين".^(٤)

فتسوية الداني بين الكسرة المشوبة بالضمة، وبين الفتحة الممالة يدل على أنها حركة ممزوجة طويلة لا صوتين منفصلين.

- وقال الداني: قال: "وحقيقة الإشمام في هذه الحروف أن تنحى بكسر أوائلها نحو الضمة يسيراً دلالة على أنه الضم الخالص قبل أن تُعَلَّ، كما ينحى بفتحة الحرف الممال نحو الكسرة قليلاً إذا أريد ذلك؛ ليدل على أن الألف التي بعد الفتحة منقلبة عن ياء، أو لتقرب بذلك من كسرة وليتها، وما عدا هذا في حقيقته فباطل. والعبارة

(١) سر صناعة الإعراب ٥٣/١.

(٢) التذكرة ٢٤٩/٢.

(٣) المقنع ص ١٣٢.

(٤) التحديد ص ٩٧.

عن ذلك بالرفع والضم، كالعبارة عن الإمالة بالكسرة والإمالة والإضجاع وهي مجاز واتساع".^(١)

- وقال عبد الوهاب القرطبي: "ومما يليق إيراده بهذا الموضوع الياء التي ينحى بالكسرة التي قبلها نحو الضمة، فتخرج بين الياء وبين الواو في نحو قولنا: بيع وقيل، وما أشبه ذلك؛ لأنها من فروع الياء، كما أن الممال من فروع الألف".^(٢)

٥- المعنى الخامس ل: (الإشمام) = مشارك في الإمالة الصغرى:

- (إشمام الكسر): سليم بن عيسى^(٣)، وقتيبة بن عبد الرحمن^(٤)، وخلف بن هشام^(٥)، وأحمد الحلواني^(٦)، وأبو علي الدقاق.^(٧)

- (إشمام الإضجاع): خلف بن هشام، وابن مجاهد.^(٨)

قال ابن مجاهد: "وكان نافع يشم الزاي من: (فزادهم) الإضجاع في رواية خلف عن إسحاق، وابن جمار وإسماعيل بن جعفر، عنه. وكذلك أخوات: (فزادهم)، لا مفتوح ولا مكسور".^(٩)

فقول ابن مجاهد: (لا مفتوح ولا مكسور) دل على أن: (إشمام الإضجاع) في قول خلف يعنى الإمالة الصغرى، والله أعلم.

- (إشمام الكسر قليلاً): خلف بن هشام^(١)، وأحمد بن صالح، وقالها في: (صغيراً) عند الوقف.^(٢)

(١) جامع البيان ل١١٢/ب.

(٢) الموضح ص ٨٤.

(٣) جامع البيان للداني ٧٩٥/٣.

(٤) المرجع السابق ٨٨٣/٣.

(٥) المرجع السابق ٧٩٥/٣.

(٦) المرجع السابق ٧٩٥/٣.

(٧) المرجع السابق ٥٠٨/٣.

(٨) السبعة ص ٥٥٦.

(٩) السبعة ص ١٤٢.

- (إشمام الإمالة): ابن غالب الصيرفي^(٣) ، وطاهر بن غلبون^(٤) ، والداني^(٥).
- (إشمام الخفض الذي هو أقرب إلى التفخيم): أبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهاني^(٦).
- (إشمام الرء الكسر): أحمد بن يوسف التغلبي، قالها في: (الأبرار)^(٧).
- (إشمام الجيم شيئاً من الكسر): هارون بن موسى الدمشقي، قالها في: (مزجاة)^(٨).

وكل هذه المواضع تصف الألف المقللة.

٦- المعنى السادس ل: (الإشمام) = مشارك في الإمالة الكبرى:

- (إشمام الإضجاع) أبو بكر الأصبهاني، قال الداني: "وقال الأصبهاني عن ورش: (بلى) بإشمام الإضجاع^(٩) ، وقياس ذلك: (عسى)، و(متى)، و(أنى)، وسائر حروف المعاني".^(١٠)
- وإذا صح هذا اللفظ عن الأصبهاني دون ما في بعض النسخ، فيعد من المشترك اللفظي الذي يطلق على الإمالة الصغرى والكبرى معاً، والله أعلم.

٧- المعنى السابع ل: (الإشمام) = تسهيل الهمزة عند الوقف:

-
- (١) جامع البيان ٣/٧٨٦.
 - (٢) المرجع السابق ٣/٨٨٣.
 - (٣) المنتهى للخزاعي ص ٢١٧.
 - (٤) التذكرة ١/٩٩، و٢٢٩، و٢٣٠.
 - (٥) جامع البيان للداني ٣/٨٢٨.
 - (٦) المرجع السابق ٣/٧٩٥.
 - (٧) المرجع السابق ٣/٨٠٨.
 - (٨) المرجع السابق ٣/٧٢٨. وانظر المخطوط منه ل ١٦٢/أ.
 - (٩) أثبت محقق جامع البيان في الصلب: (إشمام الإضجاع)، وأشار إلى نسخة أخرى في الهامش بلفظ: (إشباع الإضجاع)، وأرجح هذا اللفظ الثاني لأنه هو الأصلح لمعنى الإمالة الكبرى، أما: (إشمام الإضجاع) فهو أصلح للإمالة الصغرى كما ذكرت من قول خلف بن هشام، والله أعلم.
 - (١٠) جامع البيان للداني ٣/٧٦٥. وقال ابن الجزري في النشر ٢/٤٢: وانفرد بإمالاته أيضاً أبو الفرج النهرواني عن الأصبهاني عن ورش، فخالف سائر الرواة عنه اهـ.

استعمله: الكسائي^(١)، وخلف بن هشام البزار.

مثال: قال خلف: "وقريش لا تهمز، ليس الهمز من لغتها، وإنما همزت القراء بلغة غير قريش من العرب، فإذا كانت الهمزة في آخر الحرف، فإشمام الحرف الإعراب بغير إشمام الهمز أحب إلينا".^(٢)

هنا استعمل خلف: (الإشمام) بمعنى الوقف بروم الحركة في قوله: (إشمام الحرف الإعراب). واستعمله بمعنى تسهيل الهمزة في قوله: (بغير إشمام الهمز).

٨- المعنى الثامن ل: (الإشمام) = إشمام الحركة في الحرف الساكن في الوصل:

استعمله: سيبويه، ويحيى اليزيدي^(٣)، وخلف بن هشام^(٤)، وابن مجاهد، والأزهري^(٥)، وابن زنجلة^(٦)، والداني^(٧).

قال سيبويه: "وقال الراجز:

متى أنام لا يُؤرِّقني الكري ليلاً ولا أسمع أجراس المَطي

كأنه قال: إن يكن منى نوم في غير هذه الحال لا يؤرِّقني الكرى كأنه لم يُعدَّ نومه في هذه الحال نوماً.

وقد سمعنا من العرب من يشمه الرفع كأنه يقول: متى أنام غير مؤرق".^(٨)

ذكر ابن جني أن معنى: (الإشمام) في قول سيبويه هو ضمك الشفتين وسكون القاف من غير صوت يُسمَع، لا حركة مختلصة، قال: "ولو كان الإشمام كالإخفاء لكانت القاف في زنة متحرك، كما قال أبو عثمان [المازني]: ولو كانت كذلك لانكسر الشعر؛

(١) إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباري ٤١٩/١. وانظر النشر ٤٦٥/١.

(٢) إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباري ٣٩٢/١. وجامع البيان للداني ٤٩٦/٢.

(٣) جامع البيان للداني ٤٢٩/٢.

(٤) السبعة ص ٣٩٦.

(٥) معاني القراءات ١٠٥/٢.

(٦) الحجة ٤٢٤.

(٧) التيسير ص ٢٨.

(٨) الكتاب ٩٥/٣ والكري: هو المكاري، وهو الذي يكريك دابته، والكراء: الأجر.

لأنك كنت تجعل الجزء الذي هي فيه: "مُتفَاعِلُنْ"، فتخرج من الرجز إلى الكامل، وهذا محال. فلولا أن الإشمام في تقدير السكون لما جاز الإشمام في القاف".^(١)

وبين سيبويه هذا في موضع آخر فبعد أن تحدث عن إشمام الساكن في الوقف ذكر أن من العرب من يشم الحرف الساكن في الوصل، قال: "وقد يُسَكَّنُ بعضهم في الشعر ويشم".^(٢)

ونظير ذلك عند القراء ما قاله ابن مجاهد، قال: "قرأ عاصم في رواية أبي بكر: (مِنْ لَدُنَيْهِ)، بفتح اللام، وإشمام الدال الضمة، وكسر النون والهاء، ويصل الهاء بياء في الوصل، ولم يقرأ بذلك أحد غيره".^(٣)

قال الداني شارحاً كيفية ذلك: "والإشمام ههنا، وفي الموضع الذي في النساء، والموضعين اللذين في هود والنحل على رواية الكسائي عن أبي بكر يكون إيماء بالشفيتين لا غير؛ لأن الدال ساكنة خالصة السكون، بدليل كسر النون بعدها للساكنين، فلا يقرع لذلك السمع، ولا يدرك معرفته إلا البصير دون الأعمى".^(٤)

وقد بينت في مصطلح: (الإيماء) أن هذا الإيماء بالشفيتين يكون بعد سكون الحرف كإشمام الوقف تماماً ومن أدلة ذلك ما ذكره أبو علي الفارسي أن إشمام: (تأمننا) في الوصل نظير إشمام (مَعْنُ) في الوقف^(٥)، وقوله عن توجيه: (تأمننا): "وجهه أن الحرف المدغم بمنزلة الحرف الموقوف عليه من حيث جمعها السكون، فمن حيث أشموا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشموا النون المدغمة في: (تأمننا)...".^(٦)

وكذلك ما ذكره مكّي من أن الإشمام في: (مِنْ لَدُنَيْهِ) بمنزلة (زيد) في الوقف.^(٧)

(١) المنصف ١٩١/٢.

(٢) الكتاب ٢٠٤/٤.

(٣) السبعة ص ٣٨٨.

(٤) جامع البيان ل ١٨٣/أ.

(٥) الحجة ٢١٢/١.

(٦) المرجع السابق ٤٠٠/٤.

(٧) التبصرة ص ٢٤٧.

٩- المعنى التاسع ل: (الإشمام) = قصر صلة هاء الضمير:

استعمله: قالون^(١)، وعمرو بن الصبّاح، وخلف بن هشام^(٢)، وإسماعيل القاضي^(٣)، وابن اليتيم الحسن بن المبارك^(٤).

قال ابن مجاهد: "وروى أبو حفص (عمرو بن الصباح) عن حفص، عن عاصم: (يَرْضُهُ لَكُمْ)، يُشِمُّ الضَّمَّ".^(٥)

١٠- المعنى العاشر ل: (الإشمام) = إشمام الحروف (تقريب الجوامد من الجوامد):

١- في تقريب الصاد المهموسة من الطاء والذال الجهورتين بقلبها زائياً مفخمة في نحو: (الصراط) و(المصيطنون) و(أصدق)، عند بعض القراء، بأن تكون كالطاء العامية التي يتحدث بها أهل الشام ومصر في مثل: (الظالم)، وهذه بعض التعبيرات التي استعمل فيها هذا اللفظ بهذا المعنى:

- (إشمام الزاي): محمد بن الجهم السمري^(٦)، وخلاد بن خالد^(٧)، وعبد الله بن ذاكون^(٨)، وأبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفي قاضي عكبرا^(٩)، وابن خالويه^(١٠)، وابن مهران^(١١)، وابن زنجلة^(١٢)، وأبو الفضل الخزاعي^(١٣)، وأبو معشر الطبري^(١٤)، وأبو العز

(١) جامع البيان ل١٣٤/أ.

(٢) السبعة ص ٢١٠.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٩.

(٤) المرجع السابق ص ٥٦٠.

(٥) المرجع السابق ص ٢١١.

(٦) جامع البيان للداني ل٢٣٠/أ.

(٧) المرجع السابق ل٢٣٠/أ.

(٨) المرجع السابق ل٢٢٩/ب.

(٩) المرجع السابق ٢/٣٦٦.

(١٠) الحجة ص ٣٦٩.

(١١) الغاية ص ١٣٨.

(١٢) الحجة ص ٨٠.

(١٣) المنتهى ص ٢٢٨.

(١٤) التلخيص ص ٢٤٦.

القلانسي. (١)

- (إشمام الصاد الزاي): خلاد بن خالد^(٢)، وأبو عمر الدوري^(٣)، وأحمد الحلواني^(٤)، وابن مجاهد^(٥)، والأزهري^(٦)، وأبو علي الفارسي^(٧)، وابن مهران^(٨)، وطاهر بن غلبون^(٩)، والداني^(١٠)، وإسماعيل بن خلف^(١١)، وابن بليمة^(١٢)، وأبو العز القلانسي^(١٣)، وأبو العلاء الهمذاني. (١٤)

- (إشمام الصاد): اللفظ بها بين الصاد والزاي: ابن مجاهد. (١٥)

- (إشمام الصاد رائحة الزاي): ابن جني. (١٦)

- (إشمام الصاد شيئاً من الزاي): ابن جني. (١٧)

- (إشمام الصاد لفظ الزاي): مكّي. (١٨)

٢- في تقريب السين المرققة من الطاء المفخمة بقلبها صاداً في نحو: (الصراط) و(المصيرون) أيضاً:

-
- (١) الإرشاد ص ٢٠٢.
 - (٢) السبعة ص ١٠٦.
 - (٣) جامع البيان للداني ٣٦٥/٢.
 - (٤) المرجع السابق ل ١٤١/أ.
 - (٥) السبعة ص ١٨٦.
 - (٦) معاني القراءات ٢١٢/١.
 - (٧) الحجة ٣٤٨/٢.
 - (٨) المبسوط ص ٨٣.
 - (٩) التذكرة ٣٠٨/٢.
 - (١٠) جامع البيان ٣٦٥/٢.
 - (١١) العنوان ص ٦٧.
 - (١٢) تلخيص العبارات ص ٢٣.
 - (١٣) الإرشاد ص ٢٠٢.
 - (١٤) التمهيد ص ٢٧٥.
 - (١٥) السبعة ص ١٠٦.
 - (١٦) سر صناعة الإعراب ٥٠/١.
 - (١٧) الخصائص ١٤٤/٢.
 - (١٨) الكشف ٣٤/١.

- (إشمام السين): ابن مهران^(١)، وأبو الفضل الخزاعي^(٢).

١١ - المعنى الحادي عشر ل: (الإشمام) = الوقف بنقل الحركة:

استعمله: أبو حاتم الرازي المقرئ، وخلف بن هشام^(٣)، وأبو علي الفارسي^(٤).

قال أبو حاتم الرازي: "قرأ أبو عمرو: (بالصبر) يشم الباء شيئاً من الجر ولا يشبع" اهـ.

قال ابن مجاهد معلقاً: "هذا الذي قال أبو حاتم لا يجوز إلا في الوقف، لأنه ينقل كسرة الراء إلى الباء"^(٥)

١٢ - المعنى الثاني عشر ل: (الإشمام) = إثبات ياءات الزوائد:

استعمله قتيبة بن عبد الرحمن.

قال الداني: "وقال قتيبة عن الكسائي: (واتقون)، يشمها الياء في الإدراج"^(٦).

١٣ - المعنى الثالث عشر ل: (الإشمام) = ألف التفخيم المائلة إلى الواو:

هو نوع من إمالة الألف إلى الواو.

استعمله أبو جعفر النحاس في توجيهه لقراءة الحسن البصري: (كهيعص) بتفخيم الألف من (يا) نحو الواو: "قال: كان الحسن يشم الرفع، فمعنى هذا أنه كان يومئ، كما حكى سيبويه أن من العرب من يقول: (الصلوة والزكوة) يومئ إلى الواو، ولهذا كتبت في المصاحف بالواو"^(٧).

(١) المبسوط ص ٨٤.

(٢) المنتهى ص ٢٣٠.

(٣) السبعة ص ٦٩٦.

(٤) الحجة ٦/٤٣٩.

(٥) السبعة ص ٦٩٦.

(٦) جامع البيان للذبي ل ١٢٩/ب.

(٧) إعراب القرآن ٤/٣.

٢- المصطلح الثاني لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (الإمالة):

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على انحراف ف الشيء إلى جانب منه. (١)

استعمل في أكثر من معنى، منها:

- ١- إمالة الألف إلى الياء دون تحديد نوعها.
- ٢- الترقيق.
- ٣- إشمات الحروف.
- ٤- مشارك في الإمالة الكبرى.
- ٥- مشارك في الإمالة الصغرى.
- ٦- إشمات الحركات.
- ٧- إمالة الألف نحو الواو.

١- المعنى الأول ل: (الإمالة) = إمالة الألف إلى الياء دون تحديد نوعها:

وهو مصطلح عام مشهور، وظاهرة من ظواهر طلب التخفيف. وهو اللفظ الذي

استعمل كثيراً لهذا المعنى.

استعمله من العلماء كثير لا يحصون، منهم: أبو عمرو بن العلاء^(٢)، والخليل^(٣)، وسيبويه^(٤)، والكسائي^(٥)، ويحيى بن آدم^(٦)، والأخفش^(٧)، وأبو عبيد بن سلام^(٨)، وخلف بن هشام^(٩)، والمبرد^(١٠)، وابن مجاهد^(١١)، وابن شنبوذ^(١٢)، والأزهري^(١٣)، وأبو

(١) مقاييس اللغة ص ٩٣٦ (م ي ل).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٣١/٥.

(٣) العين ٩/٣.

(٤) الكتاب ٢٧٨/٣.

(٥) الموضح لمذاهب القراء ل ١٥/ب.

(٦) جامع البيان ٧٧٩/٣.

(٧) القوافي ص ٧٠.

(٨) السبعة لابن مجاهد ص ١٥٤.

(٩) التذكرة لابن غلبون ١٧١/١.

(١٠) المقتضب ٢٨٠/٢.

(١١) السبعة ص ٢٥٩.

(١٢) المنتهى للخزاعي ص ٢٤٥.

(١٣) معاني القراءات ٢٥٣/١.

علي الفارسي^(١) ، وأبو الفضل الخزاعي^(٢) ، وغيرهم.

ويلزم أن أنبّه إلى أن المتقدمين عندما تستعمل لفظ: (الإمالة) إما أن يقولوا بإمالة الحركة، أو إمالة حرف المد، أو إمالة الحرف الصحيح، فمثلاً: كلمة: (فزادهم): من العلماء من عبّر بإمالة الفتحة، ومنهم من قال بإمالة الألف، ومنهم من قال بإمالة الزاي، وكلهم يقصد كيفية واحدة من الأداء.

وهنا تنبيه هام من هذه المصطلحات ما إذا أطلق في كتب النحو فيراد به الإمالة إلى الياء دون تحديد نوعها؛ إذ هناك نوعان للإمالة: صغرى وكبرى، فالصغرى تكون أقرب إلى الألف، والكبرى تكون أقرب إلى الياء. ومنها ما إذا أطلق في كتب القراءات فهو متروك لمذهب القارئ في الإمالة، وإلى السياق الذي ورد فيه المصطلح. لكن في الغالب الأعم إطلاق لفظ الإمالة يصرف الأذهان إلى الإمالة الكبرى.

من الذي استعملوا لفظ: (الإمالة) بمعنى الإمالة الكبرى، وكشف السياق هذا: الزجاج^(٣) ، والنحاس^(٤) ، وابن خالويه^(٥) ، وعبد المنعم بن غلبون^(٦) ، وطاهر بن غلبون^(٧) ، ومكي^(٨) ، والداني^(٩) ، وإسماعيل بن خلف^(١٠).

ومن تعريفات الإمالة:

– (الإمالة هي تقريب الألف من الياء): سيبويه^(١١).

(١) الحجة ١٦/٣.

(٢) المنتهى ص ٢٠٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٥.

(٤) إعراب القرآن ٢٤٨/٥.

(٥) الحجة ص ٧٠.

(٦) الاستكمال ص ٥١٤.

(٧) التذكرة ١٧٢/١.

(٨) التبصرة ص ١٢٠ و ١٦٩.

(٩) جامع البيان ٤٧/١.

(١٠) العنوان ص ٦١.

(١١) الكتاب ١١٧/٤.

- (الإمالة: أن تقرب الحرف مما يشاكله من كسرة أو ياء): المبرد. (١)
- (الإمالة: إمالة الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة): ابن السراج. (٢)

ومن قواعد الإمالة:

- (الإمالة تعادل إشراب الصاد والشين زائياً في التقريب): أبو علي الفارسي. (٣)
- (الإمالة باب تخفيف كالإدغام وترك الهمز): الداني. (٤)
- (الإمالة دخلت في الكلام لتجانس الصوتين): ابن جني. (٥)

٢- المعنى الثاني ل: (الإمالة) = الترقيق:

استعمله: داود بن أبي طيبة.

قال الداني: "وروى داود بن أبي طيبة، عن ورش، عن نافع، وعن ابن أبي كيسة عن سليم، عن حمزة إمالة اللام من اسم الله تعالى، إذا وليه كسرة، نحو: (بسم الله الرحمن الرحيم)، و(الحمد لله)، و (عن آيت الله)، وما أشبهه. ولم يرد الإمالة المحضة، وإنما أراد ترقيق اللام لا غير". (٦)

٣- المعنى الثالث ل: (الإمالة) = إشمام الحروف:

استعمله: أبو هشام الرفاعي (٧)، وابن مجاهد.

مثال: قال ابن مجاهد: "وأما إمالة الصاد إلى الزاي، فلأن الصاد وإن كانت من حروف لإطباق فهي مهموسة، والطاء مجهورة، فقلبت الصاد إلى حرف مجهور مثلها مؤاخ

(١) المقتضب ٤٦/٣.

(٢) الأصول ١٦٠/٣.

(٣) التكملة ص ٢٢٣.

(٤) الموضح ٢٤/أ.

(٥) المنصف ٤٢/١.

(٦) جامع البيان للداني ٣٦٣/٢.

(٧) المرجع السابق ٣٦٧/٢.

للصاد بالصفير ليكون مجهوراً كالطاء".^(١)

٤- المعنى الرابع ل: (الإمالة) = مشارك في الإمالة الكبرى:

- (الإمالة إلى الكسر): ابن شنبوذ.^(٢)

- (إمالة الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة): أبو علي الفارسي.^(٣)

- (الإمالة المحضة): المالكي^(٤)، والداني^(٥).

وعرفها الدانيُّ بأنها "التي يستعملها القراء وهي دون الكسر الصحيح"^(٦)

- (الإمالة الشديدة): الداني^(٧).

- (الإمالة الخالصة): الداني ونبه إلى أحد الأوجه المقروء بها في نحو: (بشرى)، (دار القرار)، فقال: "ومنهم من يخلص الإمالة"^(٨).

- (الإمالة المشبعة): الداني^(٩)، والقرطبي^(١٠)، قال الداني: "وأما الممال فعلى ضربين: مشبع وغير مشبع. فالمشبع حقه أن يؤتى به بين الكسر الشديد الذي يوجب القلب لشدته، وليس له إمام، وبين الفتح الوسط الذي ذكرناه ووصفنا حقيقته.

وغير المشبع حقه أن يؤتى به بين الفتح الوسط وبين الإمالة التي دون الكسر. ويسمي القراء هذا الضرب: (بين اللفظين)، هما المذكوران"^(١١).

(١) السبعة ص ١٠٨.

(٢) المنتهى للخزاعي ص ٢٤٠.

(٣) الحجة ١/٣٩٩.

(٤) المطبوع من الروضة ٢/٥٠٧.

(٥) التحديد ص ١٠٠-١٠١ والمطبوع من جامع البيان ٢/٣٦٣ و٣/٨١٨.

(٦) التحديد ص ١٠٠-١٠١.

(٧) الموضح ل ١/ب.

(٨) جامع البيان ٣/٨٣٣، و٨٤١، و٨٩٨، والتحديد ص ١٥٦.

(٩) الموضح في اختلاف القراء ل ١٨/ب.

(١٠) الموضح في التجويد ص ٨٣.

(١١) التحديد ص ١٠١.

- (الإمالة الكبرى): ابن الطحان الأندلسي، وعرفها بقوله: "الإمالة الكبرى: حدها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسرة كثيراً، ونهاية ذلك الصرف أن لا يبالغ فيه حتى تنقلب الألف ياء" (١)

٥- المعنى الخامس ل: (الإمالة) = مشارك في الإمالة الصغرى:

(إمالة بين بين من غير إشباع): نصير بن يوسف (٢).

- (الإمالة قليلاً): ابن شنبوذ (٣)، وابن مهران (٤)، وطاهر بن غلبون (٥)، والدايني (٦).

- (الإمالة بين بين): ابن خالوية (٧).

- (الإمالة اللطيفة): تقدم في: (اللطيف).

- (الإمالة إشمائماً): عبد المنعم بن غلبون (٨)، وطاهر بن غلبون (٩)، والدايني (١٠).

- (الإمالة الوسط من غير إسراف): طاهر بن غلبون (١١).

- (الإمالة المتوسطة): الدايني (١٢).

- (إمالة الفتحة قليلاً بين اللفظين): الدايني (١٣).

- (الإمالة اليسيرة): الدايني.

(١) مرشد القارئ ل ٨/أ.

(٢) جامع البيان للدايني ٨٣٢/٣.

(٣) المنتهى ص ٢٤٥.

(٤) الغاية ص ٤٦٤.

(٥) التذكرة ١/٢٣٠.

(٦) جامع البيان ٨٢٥/٣.

(٧) إعراب ثلاثين سورة ص ١١٦.

(٨) الاستكمال ص ٢٥٨.

(٩) التذكرة ٢/٤٧٥.

(١٠) التيسير ص ٥١.

(١١) التذكرة ١/٢٣٣.

(١٢) جامع البيان ٨٣٢/٣.

(١٣) التيسير ص ٥٥.

- (إمالة الفتحة يسيراً بين بين): الداني^(١).

(الإمالة الصغرى): ابن الطحان الأندلسي، وعرفها بقوله: "الإمالة الصغرى: حدها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسرة قليلاً. والعبارة المشهورة في هذا: (بين اللفظين). ومعنى (بين اللفظين): بين الفتح الذي حددنا وبين الإمالة الكبرى"^(٢).

٦- المعنى السادس ل: (الإمالة) = إشماء الحركات:

استعمله أبو علي الفارسي^(٣).

٧- المعنى السابع ل: (الإمالة) = إمالة الألف نحو الواو:

استعمله: ابن جني^(٤) ، وأبو العلاء الهمداني^(٥).

٣- المصطلح الثالث لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (الإشراب):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٤- المصطلح الرابع لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (النحو، الانتحاء):

من المشترك اللفظي. يدل على القصد، ونحوت نحوه، ولذلك سمي نحو الكلام، لأن صاحبه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كانت العرب تتكلم به. ومن الباب: انتحى فلان لفلان: قصده وعرض له^(٦).

(١) جامع البيان ل٤٧/١ أ.

(٢) مرشد القارئ ل٨/ب.

(٣) الحجة ٣٤٨/١.

(٤) سر صناعة الإعراب ٥٠/١.

(٥) التمهيد ص ٢٧٥.

(٦) مقاييس اللغة ص ٩٨٠ (ن ح و).

استعمل في أكثر من معنى، منها:

- ١- تسهيل الهمزة.
 - ٢- الإمالة.
 - ٣- ألف التفخيم المائلة إلى الواو.
 - ٤- تقريب الجوامد من الجوامد كإشمام الصاد زائياً.
 - ٥- إشمام الحركات.
 - ٦- من العيوب التي نهي القراء عنها.
- ملاحظة: يجمع هذه المعاني معني عام هو تقريب الأصوات من بعضها.

١- المعنى الأول ل: (النحو، الانتحاء) = تسهيل الهمزة:

استعمل: (النحو) في تسهيل الهمزة، يعنى تقريبها إلى أحد حروف المد المناسب لحركتها: سيويه، ويحيي اليزيدي^(١)، والمبرد، وابن مجاهد^(٢)، وأبو طاهر^(٣)، وابن زنجلة^(٤)، ومكي^(٥).

مثال: قال سيويه: "وتقول: (غلام وييك) إذا أردت: غلام أبيك. وإنما منعك أن تجعل الهمزة ههنا بين بين، من قبل أنها مفتوحة، فلم تستطع أن تنحو بها نحو الألف وقبلها كسرة أو ضمة"^(٦).

وقال المبرد عن الهمزة المسهلة بين بين المفتوحة في: أن، والمضمومة في لؤم، والمكسورة في ييس: "والمخففة بوزنها محققة، إلا أنك خففت النبرة؛ لأنك نحوت بها نحو الألف... فإن كانت قبلها فتحة وهي مضمومة نحوت بها نحو الواو... فإن كانت مكسورة وما قبلها مفتوح نحوت بها نحو الياء"^(٧).

فقوله: (خففت النبرة) فيه إدراك دقيق لتسهيل الهمزة، وأنه تقريب الهمزة إلى الحركة بأخذها طابعها.

(١) التبصرة لمكي القيسي ص ١٠٢.

(٢) جامع البيان للداني ٥٣١/٢.

(٣) المرجع السابق ٥٣١/٢.

(٤) الحجة ص ٩١.

(٥) الرعاية ص ١٤٨.

(٦) الكتاب ٥٤٣/٣.

(٧) المقتضب ٢٩٢/١.

٢- المعنى الثاني ل: (النحو، الانتحاء) = الإمالة:

استعمله سيبويه، وأبو علي الفارسي^(١)، والداني^(٢).

مثال: قال سيبويه: "ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين، إذا كان أول فعلت مكسوراً، نَحَوْنَا نحو الكسر، كما نَحَوْنَا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء، وهي لغة لبعض أهل الحجاز. فأما العامة فلا يميلون"^(٣).

وشبه الفارسي كسر الهاء في: (فيه) للياء قبلها بالإمالة من حيث اتحاد العلة، قال: "فكما نحووا بالألف نحو الياء بالإمالة من أجل الكسرة أو الياء، كذلك كسروا الهاء للكسرة والياء، وذلك حسن ليتجانس الصوتان ويتشاكلا"^(٤).

٣- المعنى الثالث ل: (النحو، الانتحاء) = ألف التفخيم المائلة إلى الواو:

استعمله: الزجاج^(٥)، وابن جني^(٦)، وأبو العلاء الهمداني.

مثال: قال أبو العلاء عن هذه الألف: "وإنما ينحو بالألف نحو الواو من لا يقدر على تحويل لسانه، وأما من يمكنه أن يقرأ القراءة المعهودة فلا"^(٧).

٤- المعنى الرابع ل: (النحو، الانتحاء) = تقريب الجوامد من الجوامد كالصا من الدال بإشهامها زائياً.

استعمله ابن مجاهد، قال: "وكذلك القول في: (قَصْدُ) و (يُصَدِرُ) و (يَصْدِفُونَ)، من نحو بها نحو الزاي فلعله الهمس والجهر"^(٨).

(١) الحجة ١/٣٧٩.

(٢) الموضح لمذاهب القراءة ل ١/أ.

(٣) الكتاب ٤/١٢٠.

(٤) الحجة ١/٢٠٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢١٧.

(٦) الخصائص ٢/٣٥١.

(٧) التمهيد ص ٢٧٥.

(٨) السبعة ص ١٠٨.

٥- المعنى الخامس ل: (النحو، الانتحاء) = إشماع الحركات:

استعمله أبو علي الفارسي، وابن جني^(١)، والداني^(٢).

مثال: قال الفارسي: "ومثله أيضاً قول من قال: (قيل) فانتحى بالكسرة نحو الضمة، ليدل على أن الأصل: فُعِل".^(٣)

٦- المعنى السادس ل: (النحو، الانتحاء) = من العيوب التي نهى القراء عنها:

من العيوب التي نهى القراء عنها تقريب حركة إلى حركة دون وجه أدائي، قال القرطبي في باب الحركات والسكون: "ومما يُستكره في هذا الباب أيضاً أن ينحو [أي القارئ] بحركة ما نحو الأخرى إلا ما وردت به العربية مما تقدم ذكره لمن كان لغته أو طريقه وروايته. فأحسن تخليصك لبعضها - حسب ما وجب - من شوائب بعض".^(٤)

٥- المصطلح الخامس لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (التقريب):

من المشترك اللفظي تقدم.

٦- المصطلح الأول لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (الخلط، المخالطة):

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على ضد تنقية الشيء وتهذيبه، تقول: خلطت الشيء بغيره فاختلط، ورجل مخلط، أي حسن المداخلة للأمور، وخلافه الميزيل. والخليط: المجاور.

(١) سر صناعة الإعراب ١/٥٤-٥٥.

(٢) التحديد ص ٩٦.

(٣) الحجة ١/٣٨٠.

(٤) الموضح ص ١٩٣.

استعمل: (الخلط، المخالطة) في أكثر من معني، منها:

- ١- اتصال مخرج بمخرج.
- ٢- فصاحة اللسان.
- ٣- تقريب الصوت من الصوت في الجوامد والذوائب.
- ٤- الحروف الفرعية الستة المستحسنة.
- ٥- من العيوب التي نهي القراء عنها.
- ٦- مشارك في تعريف الإدغام.

١- المعنى الأول ل: (الخلط، المخالطة) = اتصال مخرج بمخرج:

استعمله: سيبويه، والفارسي، ومكي، والقرطبي.

قال سيبويه: "وحرفان يخالطان طرف اللسان... واللذان خالطاها: الضاد والشين".^(١)

كان كلام سيبويه حافزاً لمكي أن يسمى الضاد والشين ب: (المخالطين)؛ "لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان".^(٢)

ونقل القرطبي عبارة مكي، ولقب الضاد والشين ب: (المخالطة).^(٣)

وذكر سيبويه أن الشين تستطيل حتى **تخالط** أعلى الثنيتين.^(٤)

وتابعه: أبو علي الفارسي.^(٥)

وذكر المبرد أن الميم تخالف الباء **لمخالطتها** الخياشيم بما فيها من الغنة.^(٦)

وذكر طاهر بن غلبون أن الخاء والغين لما كانا **يخالطان** حروف اللسان أخفى نافع

الغين والحاء عندهما.^(٧)

(١) الكتاب ٤/٤٥٧.

(٢) الرعاية ص ١٣٥.

(٣) الموضح ص ٩٦.

(٤) الكتاب ٤/٤٧٩.

(٥) الحجة ١/١٣٠.

(٦) المقتضب ١/٣١٠.

(٧) التذكرة ١/١٨٧.

وهذا يثبت ما ذكرته سابقاً في أعضاء النطق عن مخرجي الغين والحاء من أنهما في منطقة أقصى اللسان؛ إذ المخالطة تفيد ذلك المعنى.

وكان القرطبي قد وضع أن اللام **تخالط** أكثر الحروف في طرف اللسان، ولذلك اختيرت علماً للام المعرفة، قال عن مشابهة اللام للألف: "وإنما اختصت الراء واللام بالترقيق والتفخيم دون غيرهما من الحروف المشبه بينهما وبين الألف. أما اللام فإنه انحرف واستطال حتى **خالط** أكثر الحروف، ولهذا جعل علماً للتعريف فأشبه الألف بذلك"^(١).

٢- المعنى الثاني ل: (الخلط، المخالطة) = فصاحة اللسان:

تقدم تعريف اللسان الصحيح عند إخوان الصفاء بأنه "المتحرك إلى جهة كل حرف بعينه بلا خلط".^(٢)

٣- المعنى الثالث ل: (الخلط، المخالطة) = تقريب الصوت من الصوت في الجوامد والذوائب:

استعمله مكّي، حيث لقب الصاد المشمة زايّاً ب: (الصاد التي **يخالط** لفظها لفظ الزاي).^(٣)

وعرّف ألف التفخيم وألف الإمالة، بقوله: "الألف المفخمة: هي ألف **يخالط** لفظها تفخيم يقربها من لفظ الواو، كما كانت الألف الممالاة ألفاً **يخالط** لفظها ترقيق يقربها من الياء، فهي نقيضة الألف الممالاة".^(٤)

٤- المعنى الرابع ل: (الخلط، المخالطة) = الحروف الفرعية الستة المستحسنة:

لقبها مكّي بذلك، فقال: "الحروف المشربة: ويقال لها **المخالطة**... وهي الحروف الستة التي ذكرنا أن العرب اتسعت فيها فزادتها على التسعة والعشرين، نحو: الصاد بين الصاد

(١) الموضح ص ١١٠.

(٢) الرسائل ٣/١٤٥.

(٣) الرعاية ص ١٠٩ و ص ٢١٨.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٩.

والزاي، وهمزة بين بين، وشبه ذلك، فهي مشربة بغيرها، وهي مخالطة في اللفظ لغيرها، وهي مخالطة لأن غيرها يخالطها في اللفظ"^(١)

٥- المعنى الخامس ل: (الخلط، المخالطة)= من العيوب التي نهى القراء عنها:

استعمله مكّي، والقرطبي.

مثال: قال مكّي: "وإذا سَكنت الجيم وأنت بعدها تاء، وجب أن يتحفظ القارئ بإخراج الجيم من موضعها، وإعطائها حقها، وإن لم نفعل ذلك سارع اللفظ إلى أن يخالط لفظ الجيم لفظ الشين، وذلك لبعدهما بين الجيم والتاء في المخرج والصفة"^(٢)

ونبه القرطبي على تخليص الحروف، وعدم مخالطة بعضها بعضاً، كما تقدم في مصطلحي: (المزج والشوب)، قال عن حروف الحلق: "وجميع حروف الحلق يُعاني عند النطق بها نوع مشقة، وهي قريبة المخارج، فيحترز من مخالطة بعضها لبعض بتخليص بيانها"^(٣)

٦- المعنى السادس ل: (الخلط، المخالطة)= مشارك في تعريف الإدغام:

عرف ابن الطحان الأندلسي الإدغام بأنه "عبارة عن خلط الحرفين وتصييرهما حرفاً واحداً"^(٤)

٧- المصطلح السابع لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (الإيماء):

من المشترك اللفظي، يدل أصله اللغوي على الإشارة، يقال: ومأتُ إليه ومأتاً، وأومأتُ إيماءً أومئاً، إذا أشرت إليه بحاجب أو يد أو غير ذلك.^(٥)

(١) الرعاية ص ١٣٠.

(٢) الرعاية ص ١٧٧.

(٣) الموضح ص ١٠٣.

(٤) مرشد القارئ ٦/ب.

(٥) مقاييس اللغة ص ١٠٦٧ (و م أ) والمصباح المنير ص ٦٧٣.

استعمل: (الإيماء) في أكثر من معنى، منها:

- ١- الروم. ٢- إثمَام الضم في الحرف المتحرك.
٣- تفخيم الألف نحو الواو. ٤- إثمَام السكون الضمَّ في وسط الكلمة وفي الوقف.

١- المعنى الأول ل: (الإيماء) = الروم:

ذكر المبرد أن المنادى المحذوف ياؤه: (يا غلام) يلتبس بالمفرد إذا وَقِفَ عليه بالسكون، حتى مع الروم، قال: "وإن رام الحركة فإن ذلك دليل غير بيّن؛ لأنه عمل كالإيماء"^(١)

واستعمله أبو الفضل الخزاعي للتعبير عن الروم في المرفوع والمجرور، قال: "وقد عرّفنتك أن حمزة يمد الممدود، ويشير إلى الرفع والخفض بعد المد من غير روم الهمزة، كأنه يومئ في المرفوع إلى الواو، وفي المخفوض إلى الياء".^(٢)
ونقل عبارته: أبو معشر الطبري.^(٣)

٢- المعنى الثاني ل: (الإيماء) = إثمَام الضم في الحرف المتحرك:

استعمله النحاس في اعتراضه على ما روى عن حمزة أنه جمع بين الضم والكسر في جيم: (جيوهبن)، قال: "فأما ما روى عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر فمحال، لا يقدر أحد على أن ينطق إلا على الإيماء إلى ما لا يجوز".^(٤) يعنى الإشارة بالشفيتين إلى حركة غير الضمة لا يجوز.

٣- المعنى الثالث ل: (الإيماء) = تفخيم الألف نحو الواو:

استعمله أبو جعفر النحاس في توجيهه لقراءة الحسن البصري: (كهيعص) بتفخيم

(١) المقتضب ٢٤٧/٤.

(٢) المنتهى ص ٢١٨.

(٣) التلخيص ص ١٩٣.

(٤) إعراب القرآن ١٣٤/٣. وقد رد هذه الرواية ابن مجاهد في السبعة.

الألف من (يا) نحو الواو: "قال: كان الحسن يشم الرفع، فعنى هذا أنه كان يومئ، كما حكى سيبويه أن من العرب من يقول: (الصلوة والزكوة) يومئ إلى الواو، ولهذا كتبت في المصاحف بالواو".^(١)

٤- المعنى الرابع لـ: (الإيماء) = ضم الشفتين بعد سكون الحرف في وسط الكلمة وفي الوقف:

استعمل أبو جعفر النحاس: (الإيماء) للتعبير عن إشماع الحرف الساكن الفتحة بعد إدغامه في: (أتجاجونا) في قراءة ابن محيصن.^(٢)

ولا أدري كيف يتأتى ذلك في الفتحة!؟

واستعمل الداني: (الإيماء بالشفتين) في التنبيه على إظهار الساكن قبل الإشارة بالشفتين إلى الحركة المضمومة، في نحو: (تأمننا)، ووقفاً في نحو: (نستعين)، قال: "وأما المشم من الحروف في حال الوصل أو الوقف، فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يومئ بالعضو- وهما الشفتان- إلى حركته ليدل بذلك عليها من غير صوت خارج إلى اللفظ، وإنما هو تهيئة بالعضو لا غير، ليُعلم بالتهيئة أنه يراد المهياً له، ولا يعرف ذلك الأعمى، لأنه لرؤية العين. ويختص به من الحركات الرفع والضم، لا غير، لأنهما من الواو، والواو تخرج من الشفتين، وفيهما تُعالج"^(٣)

وبين الداني أن للقراء في كلمة: (تأمننا) مذهباً: أحدهما ضم الشفتين بعد النون الأولى الساكنة المدغمة، والثاني فك الإدغام يعني نونان متحركتان لكن يخفض الصوت بالنون الأولى ويتعجل بها، وهو الاختلاس، قال الداني: "وقد اختلف علماءنا من القراء والنحويين في كيفية الإشارة إلى حركة المدغم، فقال بعضهم: يكون إيماء إليها بالشفتين من غير إحداث شيء في جسم الحرف، فجعلوا ذلك إدغاماً صحيحاً لأن الإيماء بالعضو لا يكون إلا بعد تسكين الحرف رأساً. وقال آخرون: حقيقة الإشارة في ذلك أن تكون بالحركة

(١) إعراب القرآن ٤/٣.

(٢) المرجع السابق ٢٦٧/١.

(٣) التحديد ص ٩٦، وانظر من ١٧٠.

إلى الحرف لا بالعضو إليها؛ لأن ذلك أكد في البيان عن كيفيتها، فجعلوا ذلك إخفاء لا إدغاماً صحيحاً...^(١).

وهذا النص واضح جداً في وصف كيفية أداء الإشمام في مذهب من أدغم إذ اشترك السكون للحرف ثم يتلوه تحريك الشفتين بالضم، لا ما يفعله بعض القراء اليوم من ضم الشفتين أثناء سكون الحرف، خاصة الساكن في وسط الكلمة، كالنون الأولى المدغمة في نحو الكلمة القرآنية: (تأمنا)، ودال (لَدْنِهِ) في رواية شعبة عن عاصم.

قال الداني عن هذه الأخيرة: "والإشمام ههنا [الكهف] وفي الموضع الذي في النساء، والموضعين اللذين في هود والنمل على رواية الكسائي عن أبي بكر يكون إيماء بالشفيتين لا غير؛ لأن الدال ساكنة خالصة السكون، بدليل كسر النون بعدها للساكنين، فلا يقرع لذلك السمع، ولا يدرك معرفته إلا البصير دون الأعمى".^(٢)

واستعمل الداني: (الإيماء) في تعريف الإشمام، فقال: "إيماء بالشفيتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون".^(٣)

وتابعه القرطبي، قال: "لأن الضم من الشفتين، وإذا أوماً بشفته نحوه أمكن الإيماء، وأدركه الرائي وإن انقطع الصوت؛ لأن الرائي يدرك مخرج هذه الحركة، وهو الشفتان".^(٤)

٨- المصطلح الثامن لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (المزج، الامتزاج، الممازجة):

يدل أصله اللغوي على خلط الشيء بغيره، ومزج الشراب يمزجه مزجاً. وكل نوع من شئيين مزاج لصاحبه.^(٥)

(١) الإدغام الكبير ص ٨٤.

(٢) جامع البيان ل ١٨٣/أ- ب.

(٣) التحديد ص ١٦٩.

(٤) الموضح ص ٢٠٩.

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٤٧ (م ز ج).

استعمل: (المزج، وألفاظه) في أكثر من معني:

- ١- ما يتعلق بنظرية العناصر الأربعة.
- ٢- الحرف المختلط بغنة.
- ٣- تقريب المصوتات من بعضها.
- ٤- التأليف بين الحروف.
- ٥- من عيوب الأداء المنهي عنها في القراءة.

١- المعنى الأول ل: (المزج، المزاج) = ما يتعلق بنظرية العناصر الأربعة:

تقدم الحديث عنها في الباب الأول عند الحديث عن المدرسة العقلية.

٢- المعنى الثاني ل: (المزج، الممتزج) = الحرف المختلط بغنة:

استعمله ابن دريد، ذكر أن اللام والنون والراء "ممتزجات بصوت الغنة".^(١)

ولا يتجه لي كيفية امتزاج اللام والراء بالغنة إلا إن كان لهجة أو عيباً نطقياً؛ لأن هذين الحرفين ليس من طبيعتهما أن يختلطا بغنة.

٣- المعنى الثالث ل: (المزج، الممتزج) = تقريب الحروف الذائبة من بعضها:

استعمله الفارابي، وهو الذي تحدثت عنه في هذه الظاهرة، أعنى المصوتات الممزوجة.

٤- المعنى الرابع ل: (المزج) = التأليف بين الحروف:

استعمله ابن جني بمعنى التأليف بين الحروف، قال: "وهذا فصل نذكر فيه مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك، وما يمتنع، وما يحسن، وما يقبح، وما يصح".^(٢)

٥- المعنى الخامس ل: (الممازجة) = من عيوب الأداء المنهي عنها في القراءة:

استعمله القرطبي حيث نهي عن ممازجة الحروف بعضها ببعض، وخاصة إذا جاور المرقق المفخم، قال عن التاء: "ويتجنب أن يمازجه الطاء والدادل لقرب المخرج".^(١)

(١) الجمهرة ٧/١.

(٢) سر صناعة الإعراب ٨١١/٢.

٩- المصطلح التاسع لتقريب الحركات وحروف المد من بعضها: (الشوب):

يدل أصله اللغوي على الخلط. يقال: شبت الشيء أشوبه شوباً، قال أهل اللغة:

وسمي العسل شوباً؛ لأنه كان عندهم مزاجاً لغيره من الأشربة. (٢)

استعمل: (الشوب) في أكثر من معني، منها:
١- تقريب المصوتات من بعضها. ٢- من العيوب المنهي عنها في القراءة.

١- المعنى الأول ل: (الشوب) = تقريب المصوتات من بعضها:

استعمله ابن جني في شرح الحركات الفرعية التي قدمتها في أول هذه الظاهرة،

كالفتحة المشوبة بشيء من الكسرة... الخ. (٣)

٢- المعنى الثاني ل: (الشوب) = من العيوب المنهي عنها في القراءة:

استعمل مكّي: (الشوب) في النهي عن خلط أصوات الحروف مما هو خارج عن

خط الأداء الصحيح للقرآن المجيد، قال في تصفية القاف من الكاف: "وإذا وقعت الكاف

بعدها أو قبلها وجب بيانها لئلا يشوبها شيء من لفظ الكاف لقربها منها، أو يشوب

الكاف شيء من لفظ القاف، نحو: (خالق كل شيء)". (٤)

كان استعمال مكّي لهذا اللفظ حافظاً للقرطبي أن يتوسع في استعماله، حيث

لاحظ تأثير بعض الحروف على بعض في تلاوة بعض الناس، فحذر من ذلك في أكثر من

موطن، واخترع لذلك مصطلحاً سماه: (شوائب الحروف)، ويعني به تأثير الحرف على

الحرف بالمجاورة، قال: "فأما حسن التخلص من دخول شوائب الحروف بعضها على بعض

فيكون التنبيه عليه بعد ذكر السبب الموجب لها، فنقول: السبب في ذلك أن يجتمع حرفان

امتاز أحدهما عن الآخر بمزية ما، إما بتفخيم أو إطباق أو تفش أو غير ذلك، مع إمكان

(١) الموضح ص ١٠٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٥١٩ (ش و ب).

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٥٢ - ٥٣.

(٤) الرعاية ص ١٧١.

تلك المزية فيه، لأن الحرف بسبب اتحاده بما جاوره يجذبه إلى حيزه ويسلبه المزية الخاصة به، أو يدخل معه فيها، أو يحدث بينهما حرف يشبههما، والذي ينبغي أن يعتمد القارئ في ذلك حسن التخلص منه بإفراد كل منهما بمزيتته والتعمُّل لإيراده بخاصيته"^(١)

وهذا الكلام النفيس جداً يظهر المناهج الدقيقة التي يستعملها القراء في أدائهم في تخليص الحروف بعضها من بعض.

دائرة الفتح ضد الإمالة:

دائرة (الفتح ضد الإمالة) تشمل الألف المرققة والألف المفخمة باعتبار هذه الدائرة مقابلة لدائرتي الألف الممالة، ودائرة الألف المفخمة المائلة نحو الواو؛ فالكلمتان القرآنيان: (والضحى) و (طغى) عند عدم الإمالة تكون الألف الأولى مرققة والثانية مفخمة، ويسميان عند القراء: مفتوحين غير ممالين في هذه الحالة، يعرف ذلك أدنى شاد لعلم القراءات.

وعند إمالتها إلى الياء يقعان في دائرتي الألف المقللة الصغرى أو الكبرى بحسب الرواية التي يقرأ بها القارئ.

قال الداني: "وأما **المفتوح** فحقه أن يؤتى بين منزلتين، بين التفخيم الشديد الذي يستعمله أهل الحجاز في نحو: الصلاة والزكاة فينحون بالألف نحو لواو من شدة التفخيم- وهذه اللغة لا تستعمل في القرآن لأنه لا إمام لها- وبين الإمالة المحضنة التي يستعملها القراء، وهي التي دون الكسر الصحيح"^(٢).

فقوله هذا يدل على أن الألف المرققة والمفخمة التي يستعملها القراء تقعان في دائرة واحدة؛ لأنهم لا يميلان إلى غيرهما من المصوتات، غاية الأمر في الألف المفخمة أنها تتخذ وضع الإطباق من تقعر لوسط اللسان والتضييق الكبير في الحلق، والألف المرققة لا يستعمل فيها ذلك، وتقدم شرح ذلك في ظاهرة التفخيم والترقيق.

الألفاظ المستعملة للفتح ضد الإمالة:

(١) الموضح ص ١٧٧.

(٢) التحديد ص ١٠٠-١٠١.

استعملت له عدة ألفاظ، منها:

- | | | |
|-------------------|---------------------|--------------------|
| ١ - الألف. | ٢ - التفخيم. | ٣ - الفتح. |
| ٤ - النصب. | ٥ - التضخيم. | ٦ - الفتح الخالص، |
| إخلاص الفتح. | | |
| ٧ - الفتح اللطيف. | ٨ - الفتح المستحسن. | ٩ - الفتح المتوسط، |
| الفتح الوسط. | | |
| ١٠ - الفتح البين. | ١١ - الفتح الخفيف. | |

١- المصطلح الأول للفتح ضد الإمالة: (الألف)

من المشترك اللفظي، استعمل: (الألف) للتعبير عن أكثر من معنى، منها:

١ - الألف المدية.	٢ - الهمزة.	٣ - الفتح ضد الإمالة.
-------------------	-------------	-----------------------

١ - المعنى الأول ل: (الألف) = الألف المدية:

استعمال هذا اللفظ للألف المدية يصعب تتبعه تاريخياً لقدمه وكثره استعماله.

٢ - المعنى الثاني ل: (الألف) = الهمزة:

استعمال قديم مشهور، من ذلك حديث النبي ﷺ عن ثواب قراءة القرآن: "لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف".^(١) فالألف في (الم) هي الهمزة. وعن تميم بن حذلم (ت ٩٨هـ)، قال: قرأت علي عبد الله بن مسعود: (وكل أتوه دخرين) بتطويل الألف. فقال: (وكل أتوه) بغير تطويل الألف.^(٢) ومن العلماء الذين استخدموا (الألف) وأرادوا الهمزة: نافع المقرئ^(٣)، والخليل^(٤)،

(١) أخرجه: الترمذي في فضائل القرآن ١٦١/٥.

(٢) معاني القرآن ٣٠١/٢. والقراءتان متواترتان: قرأ بالمد حفص وحمزة وخلف، وقرأ الباقون بالقصر.

(٣) نقل ذلك ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء ٣٠٨/١.

(٤) العين ٧٩/٥.

وسيبيويه^(١)، والكسائي^(٢)، وأبو عبيدة^(٣)، والأخفش^(٤)، وابن مجاهد^(٥)، وأبو بكر ابن الأنباري^(٦)، وغيرهم.

وركب الفراء من الألف والهمزة لفظ: (الألف المهموزة)^(٧)، وهو يريد الهمزة.

ولعل كتابة الألف والهمزة برمز واحد- قبل ضبط الخليل للهمزة برأس العين- له دور في التعبير عنهما بلفظ واحد، واستمر تأثير ذلك الاستعمال إلى ما بعد الخليل.

وربما جمع بعض العلماء الألف والهمزة في نص واحد تحت لفظ: (الألف)، من ذلك قول سيبويه: "أما ما لحقته ألفا التأنيث فحُنفساء وعُنصلاء وقَرَملاء".^(٨)، فألفا التأنيث: الألف والهمزة.

ونقل الداني عن ورش وسقلاب قولهما: "وإذا لقيت ألفاً ألفاً قطعنا من غير مد".

قال الداني معلقاً: ومعنى قولهما: (وإذا لقيت ألف ألفاً)، أي: إذا لقيت ألف همزة، ومعنى قولهما: (قطعنا من غير مد)، أي: طولت الألف، وحققت الهمزة، من غير أن يزداد في مد حرف اللين بعدها على ما فيه من المد الذي لا يوصل إليه إلا به.^(٩)

ويدل تفسير الداني على أن استعمال (الألف) للتعبير عن الهمزة قد قل في زمنه، وإلا ما احتاج لأن يفسره.

وعبر العلماء أيضاً بلفظ: (الألف) عن أنواع الهمزة، كهمزة الوصل، والقطع،

(١) الكتاب ٢/٢٢٩.

(٢) ما تلحن فيه العامة ص ١٠١.

(٣) مجاز القرآن ١/١٠٨.

(٤) معاني القرآن ١/٢٠٠.

(٥) السبعة ص ٢٠٠.

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٥٧٩.

(٧) معاني القرآن ١/٢٩.

(٨) الكتاب ٣/٤٢٣.

(٩) المطبوع من جامع البيان ٢/٤٧١.

والاستفهام... الخ^(١)، ومن الألفاظ التي استعملها العلماء أيضاً لبعض أنواع الهمزة ما يلي:

١- (ألف الوصل) بمعنى همزة الوصل: استعمله الخليل^(٢)، وسيبويه^(٣)، والأخفش^(٤)، وابن قتيبة^(٥)، والمبرد^(٦)، والزجاج^(٧)، وابن السراج^(٨) وابن مجاهد^(٩)، وأبو بكر ابن الأنباري^(١٠)، والسيرافي^(١١)، ومكي^(١٢)، وابن بليمة^(١٣)، وغيرهم.

واستعمل سيبويه لها أيضاً لفظ: (الألف الخفيفة)^(١٤)، وهو من المشترك اللفظي، وتابعه: ورش^(١٥)، والفراء^(١٦).

-
- (١) العين ٤٧/١، والكتاب ٩٩/١، و٢٣٤/٣، ومعاني الفراء ١/١ و١٩٩، ونوادير أبي زيد ص ١٤٦، ومعاني الأخفش ١٥٣/١ و٢٠٠ وإصلاح المنطق ص ٣٠، والأضداد ص ١٣١، والمقتضب ١/١٨٢، ومجالس ثعلب ٨٣/١.
- (٢) العين ٤٩/١.
- (٣) الكتاب ٣٢٣/٣.
- (٤) العروض ١٣٣.
- (٥) أدب الكاتب ص ٢١٥.
- (٦) المقتضب ١/١٧٠.
- (٧) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩.
- (٨) الأصول ٢/٨٢.
- (٩) السبعة ص ١٥٣.
- (١٠) إيضاح الوقف والابتداء ١/١٥١.
- (١١) إدغام القراء ص ٢٢.
- (١٢) التبصرة ص ٦١.
- (١٣) تلخيص العبارات ص ٢٣.
- (١٤) الكتاب ٣/٥٢٣.
- (١٥) نقل ذلك الداني في جامع البيان ٢/٣٧٦.
- (١٦) معاني القرآن ١/٧٠.

واستعمل لفظ: (الألف الخفيفة) بمعنى الألف المدية، استعمله: الأخفش^(١) ،
وتابعه: ابن مجاهد^(٢) ، وابن خالويه^(٣).

٢- (ألف القطع) بمعنى همزة القطع: استعمله: الخليل^(٤) ، وابن قتيبة^(٥) ، والنحاس^(٦) ،
وابن خالويه^(٧).

واستعمل الخليل لها أيضاً لفظي: (الألف التي تبني للقطع)^(٨) ، و(الألف
المقطوعة)^(٩) ، وتابعه على الأخير الفراء^(١٠) ، والأخفش^(١١) ، والمبرد^(١٢) ، وابن
مجاهد^(١٣).

واستعمل الكسائي لها لفظ: (الألف الشديدة)^(١٤) ، وتابعه: ورش^(١٥).

وقد عد الثعالبي من هذه الأنواع سبعة عشر نوعاً، كلها بلفظ (الألف)، خلط فيها
بين الهمزة والألف^(١٦).

وتتبع هذه الأنواع تاريخياً يصعب حصره، ولعل فيما قدمته كفاية، والله المستعان.

(١) معاني القرآن ٥٧٩/٢.

(٢) السبعة ص ١٥٤.

(٣) الحجة ص ١٩٧.

(٤) العين ١٩٨/٨.

(٥) أدب الكاتب ص ٢٢٤.

(٦) إعراب القرآن ١٦٧/١.

(٧) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ٢٢٢.

(٨) نقل ذلك القالي في البارع ص ١٧٥.

(٩) العين ٣٤٩/٣.

(١٠) معاني القرآن ٣٥٤/٢.

(١١) العروض ص ١٣٣.

(١٢) المقتضب ٢١٩/١.

(١٣) السبعة ص ١٥٣.

(١٤) نقل ذلك الداني في المطبوع من جامع البيان ٣٧٩/٢.

(١٥) المرجع السابق ٣٧٦/٢.

(١٦) فقه اللغة ص ٣٤٤ - ٣٤٥. وهي: ألف الوصل، وألف القطع، وألف الأمر، وألف الاستفهام، وألف التعجب،
وألف التثنية، وألف الجمع، وألف التعدية، وألف لام المعرفة، وألف المخبر عن نفسه، وألف الحينونة، وألف
الوجدان، وألف الإتيان، وألف التحويل، وألف القافية، وألف الندبة، وألف التوجع والتأسف.

٣- المعنى الثالث ل: (الألف) = الفتح ضد الإمالة:

من استعمالات القرن الأول الهجري. استعمله التابعي المشهور إبراهيم النخعي بهذا المعنى، قال: "كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء". قال الداوي: "يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة"^(١).

وتابعه: يحيى بن آدم (صاحب شعبة)^(٢)، وقتيبة بن مهران صاحب الكسائي في وصفه لمذهب الكسائي "أنه كان يقف في قوله: (وجني الجنتين) على (الألف)، وذكر باقي الباب بالياء"^(٣)، ومحمد بن سعدان، وأبو عمر الدوري، وأحمد بن جبير الأنطاكي، وكلهم من القراء^(٤).

وهذا الاستعمال للمصطلح يعطى ظلالاً كيف كان اللفظ الواحد عند العرب يطلق على معان كثيرة، وأنه من خصائص العربية.

٢- المصطلح الثاني للفتح ضد الإمالة: (التفخيم):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٣- المصطلح الثالث للفتح ضد الإمالة: (الفتح):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٤- المصطلح الرابع للفتح ضد الإمالة: (النصب):

من المشترك اللفظي، يدل أصله اللغوي على إقامة شيء وإهداف في استواء. يقال: نصبت الرمح أنصبه نصباً. وناقاة نصباء: مرتفعة الصدر، ويقول أهل العربية في الفتح: هو النصب، كأن الكلمة تنتصب في الفم انتصاباً^(٥).

(١) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل ٢/ب.

(٢) نقل ذلك الداوي في جامع البيان ل ١٣١/أ.

(٣) نقل ذلك الداوي في الموضح ل ٤٠/ب.

(٤) نقل الداوي نصوصهم في جامع البيان ل ١٣١/أ.

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٩٢ (ن ص ب).

استعمل: (النصب، الانتصاب) في أكثر من معنى، منها:

١- الفتح والنصب الإعرابي.

٢- الفتح ضد الإمالة.

١- المعنى الأول ل: (النصب)= الفتح والنصب الإعرابي:

هذا المصطلح قديم يرجع عهده إلى الصحابة رضي الله عنهم حيث ذكر عبد الله بن بريدة بن الحصيب رضي الله عنهما عن أبيه بريدة، قال: "كنا نؤمر، أو كانوا يؤمرون أن نتعلم القرآن، ثم السنة، ثم الفرائض، ثم العربية: الحروف الثلاثة، قلنا: وما الحروف الثلاثة؟ قال: الجر والرفع والنصب"^(١).

والنص يشير إلى أن علم العربية حينئذ يتمثل في هذه الثلاثة، فالأرجح أن يكون المقصود بها الإعراب على أواخر الكلمات؛ لأنه المميز للغة العرب، وربما يقصد بها الحركات. وهذا النص النفيس يراد ما هو مشهور في الكتب من أن حروف النصب، والجر، والرفع، والجزم من وضع أبي الأسود الدؤلي^(٢).

والقصة التاريخية لهذا المصطلح تبين أن مصطلح: (النصب) من قبل سيبويه^(٣) كان ينوب عن التحريك بالفتحة، وعن علامة الإعراب، لا فرق في ذلك بين أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، فرمما عبر بـ: (النصب) عن التحريك بالفتحة في أول الكلمة أو وسطها، وربما عبر به عن الإعراب على أواخر الكلمات كالفعل المضارع المنصوب.

(١) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢١٠.

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢١.

(٣) من المعلوم أن التقسيم إلى علامات إعراب وبناء هو من وضع سيبويه، ذكر ذلك السيرافي، فقال: "اعلم أن سيبويه لقب الحركات والسكون هذه الألقاب الثمانية..." (شرح كتاب سيبويه ٦٥/١).

استعمل ذلك العلماء والقراء من قبل سيبويه حتى استأذنه الخليل، استعمل ذلك، فمن ذلك قوله: "ويقال للمنخوب: النَّخْبُ، النون مجرورة، والخاء منصوبة، والباء شديدة".^(١) يعني النون مكسورة، والخاء مفتوحة، والباء مشددة.

بل وحتى سيبويه استعمله في بعض المواضع النادرة بمعنى الفتح، قال: "وسألت الخليل عن: (معكم ومع)، لأي شيء نصبتها؟ فقال....".^(٢)

٢- المعنى الثاني ل: (النصب) = الفتح ضد الإمالة:

استعمله: الخليل، وسيبويه، وإسماعيل القاضي^(٣)، والمبرد^(٤)، وابن السراج^(٥)، وأبو علي الفارسي.^(٦)

مثال: ذكر الخليل أن "الكلمة المنصوبة يرفع صوتها إلى الغار الأعلى".^(٧)

وقال سيبويه: "وسألت الخليل عن العَشَا الذي في العينين، فقال: عَشَوَانٍ؛ لأنه من الواو، غير أنهم قد يلزمون بعض ما يكون من بَنَات الواو انتصاب الألف ولا يجيزون الإمالة تخفيفاً"^(٨)

ومن هنا كان المصطلح للخليل، وتابعه عليه سيبويه.

وقال سيبويه عن جواز الإمالة فيما كان أصله ياء وامتناعه فيما كان واوياً: "لأنه ليس شيء من بَنَات الياء يلزمه الانتصاب لا تجوز فيه الإمالة، إنما يكون ذلك في بنات الواو".^(٩)

(١) العين ٢٧٩/٤.

(٢) الكتاب ٢٨٦/٣.

(٣) جامع البيان للداني ل١٤٢/ب.

(٤) المقتضب ٤٢/٣، و٤٦.

(٥) الأصول ١٦٤/٣، و١٦٧.

(٦) التكملة ص ٢٢٧.

(٧) العين ١٣٦/٧.

(٨) الكتاب ٣٨٧/٣.

(٩) الكتاب ٣٨٨/٣. وانظر ١٢٦/٤ و ١٤٣.

وقال: "واعلم أن ناساً ممن يميل في: يضربها ومنا ومنها وبنا، وأشباه هذا مما فيه علامة الإضمار إذا وصلوا نصبوها"^(١)

٥- المصطلح الخامس للفتح ضد الإمالة: (التضخيم):

استعمله الزجاج^(٢).

٦- المصطلح السادس للفتح ضد الإمالة: (الفتح الخالص، إخلاص الفتح).

تقدم في: (الفتح).

٧- المصطلح السابع للفتح ضد الإمالة: (الفتح اللطيف):

تقدم في: (الفتح).

٨- المصطلح الثامن للفتح ضد الإمالة: (الفتح المستحسن):

تقدم في: (الفتح).

٩- المصطلح التاسع للفتح ضد الإمالة: (الفتح المتوسط، الفتح الوسط):

تقدم في: (الفتح).

١٠- المصطلح العاشر للفتح ضد الإمالة: (الفتح البين):

تقدم في: (الفتح).

١١- المصطلح الحادي عشر للفتح ضد الإمالة: (الفتح الخفيف):

تقدم في: (الفتح).

٢- دائرة الإمالة:

دائرة الإمالة تشمل الألف المقللة أو الممالة إمالة صغرى ، والألف الممالة إمالة.

(١) الكتاب ١٢٦/٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٦٣/٣.

الألفاظ المستعملة للإمالة:

استُعمل للإمالة دون تحديد نوعها عدة ألفاظ ، منها:

- | | | |
|--------------|--------------|--------------|
| ١ - الياء. | ٢ - الكسر. | ٣ - الإمالة. |
| ٤ - البطح. | ٥ - الإضجاع. | ٦ - الإجناح. |
| ٧ - الترقيق. | | |

ملاحظة: هذه الألفاظ إذا أطلقت فهي في الغالب الأعم للإمالة الكبرى بدليل الألفاظ المستعملة للإمالة الصغرى التي تجعل بعض هذه الألفاظ طرفاً في الوصف.

١ - المصطلح الأول لظاهرة الإمالة: (الياء):

من المشترك اللفظي.

استُعمل لفظ: (الياء) للتعبير عن أكثر من معنى، منها:

- | | | |
|------------------------------|---------------------|-------------|
| ١ - الياء. | ٢ - الألف المقصورة. | ٣ - الهمزة. |
| ٤ - الهمزة المسهلة المكسورة. | ٥ - الإمالة. | |

١ - المعنى الأول ل: (الياء) = الياء.

استعمال هذا اللفظ لحرف الياء هو الأصل، ويصعب تتبعه تاريخياً لقدمه وكثرة استعماله.

٢ - المعنى الثاني ل: (الياء) = الإمالة:

من استعمالات القرن الأول الهجري. استعمله التابعي المشهور إبراهيم النخعي بهذا المعنى، قال: "كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء". قال الداني: يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة^(١).

وتابعه: قتيبة بن مهران صاحب الكسائي في وصفه لمذهب الكسائي "أنه كان يقف في قوله: (وجنى الجننتين) على الألف، وذكر باقي الباب بالياء^(٢)، وعبيد بن

(١) الموضح لمذاهب القراءة في الفتح والإمالة ل ٢/ب.

(٢) نقل ذلك الداني في الموضح ل ٤٠/ب.

عقيل" (١).

وهذا النص يعطى صورة واضحة كيف كان المتقدمون من الرعيل الأول ﷺ يعبرون باللفظ الواحد عن أكثر من معنى، وأنه من خصائص العربية.

٣- المعنى الثالث ل: (الياء) = الهمزة المسهلة المكسورة:

استعمله من العلماء: المفضل الضبي، وورش، وأحمد بن صالح (٢)، وابن مجاهد (٣)، وابن خالويه (٤)، والأزهري (٥).

مثال: قال المفضل في روايته عن عاصم: " (أئن ذكرتم): بهمزة بعدها ياء، والكاف مشددة" (٦).

وقال ورش: "الهمزة الثانية من (أءذا) ياء" (٧).

٤- المعنى الرابع ل: (الياء) = الألف المقصورة:

استعمل لفظ (الياء) للتعبير عن الألف المقصورة: الخليل (٨)، وسيبويه (٩)، والفراء (١٠)، وأبو عبيدة (١١)، والزجاج (١٢)، وابن مجاهد (١٣)، وابن خالويه (١٤).
واستعمل الخليل لفظ: (الياء المرسلة) للتعبير عن ذلك أيضاً (١).

(١) السبعة ص ٦٨٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٩.

(٣) المرجع السابق ص ٤٨٥، ٤٩٩، و ٥٤٠.

(٤) الحجة ص ١٧٣، ١٩٨، و ٢٧٣.

(٥) معاني القراءات ١/١٣٧، و ٤١٣.

(٦) السبعة ص ٥٤٠.

(٧) المرجع السابق ص ١٣٩.

(٨) العين ٤/٣٢٧.

(٩) الكتاب ٣/٢١٣.

(١٠) معاني القرآن ١/١٦١.

(١١) مجاز القرآن ١/٣١٠، و ١/٣١٦.

(١٢) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن ٢/١٢٤.

(١٣) السبعة ص ١٤٦، و ٤٢٠.

(١٤) الحجة ص ١٥٩.

ولعل استعمالها للألف المقصورة هو من قبيل تأثير الرسم الكتابي بسبب إمالته في اللفظ، قال ابن مجاهد: "فإذا كانت الراء بعدها همزة، وبعد الهمزة ياء كسر الهمزة وفتح الراء" اهـ.

قال أبو علي الفارسي في تفسير عبارة ابن مجاهد السابقة: يريد بالياء: الألف، ولعله سماها ياء؛ لأن الكُتَّاب يكتبونها ياء، وذلك نحو: (رأى أيديهم).^(٢)

٥- المعنى الخامس ل: (الياء) = الهمزة:

استعمال لفظ: (الياء) للهمزة هو من قبيل تأثير الرسم الكتابي، وهو إحدى دلالات الخط التي ذكرت في التمهيد، فعُبر بصورة الحرف عن الحرف.

استعمل الخليل: (الياء) وهو يريد الهمزة المرسومة على ياء، قال: "وكَبِشْ صَافٌ، ويومٌ رَاحٌ، أي: صائِفٌ ورائِحٌ، فطرح الياء، ولم يُحدِث في الإعراب شيئاً وتركه على رفعه".^(٣)

واستعمل أحمد بن واصل البغدادي، وداود بن أبي طيبة، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن، وأبو يعقوب يوسف بن موسى الأزرق، لفظ: (الياء) للتعبير عن الهمزة، قال الداني: "وروى أحمد [يعني ابن واصل] أيضاً عن قالون (طائفٌ): الياء مكسورة، وروى عن ورش (نائمون): الياء مكسورة... قال أبو عمرو: وقد يمكن أن يريد أحمد بقوله في (طائف) و(نائمون): الياء مكسورة الهمزة، على طريق الاتساع، ألا ترى أن المصنفين كثيراً ما يقولون في نحو: (إن) و (إنه) و (إيمان) و(إدبار): بكسر الألف، يريدون الهمزة، فعَبَّرُوا عنها بصورتها. ومما يؤيد ذلك أن أبا الأزهر، وأبا يعقوب، وداود قالوا عن ورش في قوله: (ومكر السبيء): مجرورة الياء، يريدون الهمزة لا غير، فعَبَّرُوا عنها بصورتها مجازاً واتساعاً، فكذلك عبر عنها أحمد بذلك في الحرفين".^(٤)

٢- المصطلح الثاني لظاهرة الإمالة: (الكسر):

(١) نقل ذلك عنه الخوارزمي في مفاتيح العلوم ص ٥٥.

(٢) الحجة ٣٨٢/١.

(٣) العين ٢٧٠/٥.

(٤) جامع البيان ل٢٣٧/أ.

من المشترك اللفظي، تقدم.

٣- المصطلح الثالث لظاهرة الإمالة: (الإمالة):

من المشترك اللفظي، تقدم.

٤- المصطلح الرابع لظاهرة الإمالة: البطح:

من المشترك اللفظي، تقدم.

٥- المصطلح الخامس لظاهرة الإمالة: (الإضجاع):

يدل أصله اللغوي على لصوق بالأرض على جَنْب، ثم يحمل على ذلك. يقال: ضجع ضجوعاً، والمرة الواحدة الضجعة، ويقال: اضطجع يضطجع اضطجاعاً. وأضحجت فلاناً: إذا وضعت جنبه بالأرض، وكل شيء تخفضه فقد أضجعتة. ^(١)

استعمل: (الإضجاع) في أكثر من معنى، منها:

١- الكسر. ٢- الإمالة.

١- المعنى الأول ل: (الإضجاع) = الكسر:

استعمله: الخليل، ويونس بن عبد الأعلى ^(٢)، وإسماعيل بن إسحاق القاضي.

مثال: ذكر الخوارزمي عن الخليل أنه يسمى: (الإضجاع) لكل كسر في أوساط الكلم، نحو باء: الإبل. ^(٣)

وقال ابن مجاهد: "وأخبرنا القاضي إسماعيل، عن قالون: (يؤده إليك) و (نوله) و(نصله) ، يشم الهاء الإضجاع". ^(٤)

يريد أن قالون يقصر صلة هاء الضمير، وعَبَّرَ عن كسرها ب: (الإضجاع).

(١) مقاييس اللغة ص ٥٨٦ (ض ج ع)، لسان العرب ٢١٩/٨ (ض ج ع).

(٢) جامع البيان ل ١٢١/ب.

(٣) مفاتيح العلوم ص ٥٤.

(٤) السبعة ص ٢٠٩.

٢- المعنى الثاني ل: (الإضجاع) = الإمالة:

استعمله: ابن جمار، وإسماعيل بن جعفر^(١) وخلف بن هشام^(٢)، وابن قتيبة^(٣)، وابن مجاهد^(٤).

مثال: قال ابن جمار عن إمالة نحو: (خاب): "كان نافع يضيع من ذلك كله قوله تعالى: (خاب)".^(٥)

٦- المصطلح السادس لظاهرة الإمالة: (الإجناح):

يدل أصله اللغوي على الميل والعدوان. يقال: جنح إلى كذا، أي: مال إليه، وسمي الجناحان جناحين لميلهما في الشقين، والجناح: الإثم، سمي بذلك لميله عن طريق الحق.^(٦) استعمل (الإجناح) بمعنى: الإمالة دون تحديد لنوعها عند الخليل^(٧)، والمبرد^(٨)، وأبي علي الفارسي^(٩)، وابن جني بلفظ: (الجنوح بالإمالة إلى الياء).^(١٠)

واستعمل أبو علي الفارسي: (المبالغة في الإجناح)^(١١)، و(الإجناح الشديد للألف)^(١٢) للتعبير عن الإمالة الكبرى.

٧- المصطلح السابع لظاهرة الإمالة: (الترقيق):

من المشترك اللفظي، تقدم.

(١) السبعة ص ١٤٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٥٩.

(٤) السبعة ص ٦٨٨.

(٥) المرجع السابق ص ١٤٢.

(٦) مقاييس اللغة ص ٢٠٩ (ج ن ح).

(٧) نقل ذلك سيبويه عنه في الكتاب ٢٧٨/٣.

(٨) المقتضب ٤٩/٣، و ٣٧٥/٣.

(٩) الحجة ٣٩٩/١.

(١٠) المحتسب ٣٦/٢.

(١١) الحجة ٤٠٦/١.

(١٢) المرجع السابق ٢٢٩/٦.

الألفاظ المستعملة للإمالة الصغرى:

استُعمل للإمالة الصغرى ألفاظ كثيرة، تقدم كثير منها أثناء البحث، وتتعلق ألفاظ هذه الإمالة بالفتح ضد الإمالة وبالإمالة الخالصة، فلو كان التعبير عن الإمالة بالكسر، وعن الفتح بالتفخيم الذي هو ضد الإمالة فسيكون التعبير عن الإمالة الصغرى بـ: (بين الكسر والتفخيم)، ولو كان التعبير عن الإمالة الكبرى بالإمالة، وعن الفتح ضد الإمالة بالفتح فسيكون التعبير عن الإمالة الصغرى بـ: (بين الكسر والفتح)... وهكذا. ولدقة هذه الإمالة كثرت ألفاظها، وكلها تدور حول الألف المقللة.

وإليك بعضاً من هذه الألفاظ:

أولاً: المجموعة التي شارك فيها لفظ: (الفتح) في الإمالة الصغرى:

١- (الفتح غير المشبع): أول لفظ استعمل لهذه المجموعة من خارجة بن مصعب (ت ١٦٨هـ).

٢- (لا يفتح الراء جداً في القراءة).

٣- (المفتوح شيئاً).

٤- (مفتوحة وسطاً من ذلك).

٥- (لا فتح شديد ولا بطح).

٦- (لا مفتوحة ولا مكسورة، وهي إلى الفتح أقرب).

٧- (الفتح قليلاً).

٨- (لا مفتوحة ولا مكسورة).

٩- (يفتح ولا يسرف).

١٠- (جزماً مفتوحة الحاء قليلاً).

١١- (لا مفتوحة ولا مكسورة وسطاً من ذلك).

١٢- (لا يفتح ولا يميل، بل وسطاً من ذلك).

١٣- (الفتح اللطيف بإشارة إلى الكسر).

١٤- (الفتح المتوسط).

واللفظ الأخير: (الفتح المتوسط) من المشترك اللفظي استعمله الداني على أنه الفتح ضد الإمالة، كما تقدم في الفتح الذي يستعمله القراء.

ملاحظة: تقدمت هذه الألفاظ جميعاً مع أصحابها في مصطلح: (الفتح).

ثانياً: المجموعة التي تشارك فيها لفظ (التفخيم) في الإمالة الصغرى:

١- (بين الكسر والتفخيم) أول لفظ استعمل لهذه المجموعة من سليم بن عيسى (ت ١٨٨هـ).

٢- (بين التفخيم والتضجيع).

٣- (إلى التفخيم أقرب).

٤- (بين الإمالة والتفخيم).

٥- (إشمام الخفض الذي هو أقرب إلى التفخيم).

٦- (التوسط بين الإمالة والتفخيم).

٧- (لا يُبالغ في تفخيمها).

ملاحظة: تقدمت هذه الألفاظ مع أصحابها في مصطلح: (التفخيم).

ثالثاً: المجموعة التي تشارك فيها لفظ: (الإشمام) في الإمالة الصغرى:

١- (إشمام الكسر) أول لفظ استعمل لهذه المجموعة من سليم بن عيسى (ت ١٨٨هـ).

٢- (إشمام الإضجاع).

٣- (إشمام الكسر قليلاً).

٤ - (إشمام الإمالة).

٥ - (إشمام الخفض الذي هو أقرب إلى التفخيم).

٦ - (إشمام شيء من الكسر).

ملاحظة: الكسر والخفض والإضجاع هنا بمعنى الإمالة الكبرى.

رابعاً: المجموعة التي شاركت فيها ألفاظ: (اللطافة) في الإمالة الصغرى:

١ - (الكسر اللطيف) أول لفظ استعمل لهذه المجموعة من قُتبية بن مهران (ت ٢٠٥هـ).

٢ - (التلطيف).

٣ - (اللطافة).

٤ - (فتح اللطيف بإشارة إلى الكسر).

٥ - (الإمالة اللطيفة).

٦ - (الكسر اللطيف من غير إفراط).

٧ - (الإمالة اليسيرة اللطيفة).

٨ - (الإمالة قليلاً لطيفاً).

٩ - (الإمالة اللطيفة بين بين).

١٠ - (الإلطف).

١١ - (المُلطَّفَات).

ملاحظة: تقدمت هذه الألفاظ جميعاً مع أصحابها في مصطلح: (اللُّطف).

خامساً: المجموعة التي شارك فيها لفظ: (الإمالة) في الإمالة الصغرى:

١ - (إمالة بين بي من غير إشباع) أول لفظ استعمل لهذه المجموعة من نُصير بن يوسف (٢٤٠هـ).

- ٢- (الإمالة قليلاً).
- ٣- (الإمالة بين بين).
- ٤- (الإمالة اللطيفة).
- ٥- (الإمالة إشماماً).
- ٦- (الإمالة الوسط من غير إسراف).
- ٧- (الإمالة المتوسطة).
- ٨- (إمالة الفتحة قليلاً بين اللفظين).
- ٩- (الإمالة اليسيرة).
- ١٠- (إمالة الفتحة يسيراً بين بين).
- ١١- (الإمالة الصغرى).

ملاحظة: تقدمت هذه الألفاظ جميعاً مع أصحابها في مصطلح: (الإمالة).

سادساً: ألفاظ أخرى مستعملة للإمالة الصغرى:

١- (الكسر).

تقدم في مصطلح: (الكسر)،

٢- (كما يخرج من الفم فيما بين ذلك وسطاً من اللفظ):

عبر أصحاب نافع، وأصحاب ورش عن الإمالة الصغرى بهذه الجملة: (كما يخرج من الفم فيما بين ذلك وسطاً من اللفظ).

استعمل ذلك منهم: داود بن أبي طيبة، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن،

وأبو يعقوب الأزرق. (١)

ومعنى قولهم: (كما يخرج من الفم): أي بِخَلْقَةِ الحرف الممال المدية الطبيعية من غير زيادة أو نقص، ويؤيد ذلك تعريف أبي معشر الطبرى للتمكين، وهو المد الطبيعي في إحدى دلالته، قال: "ومعنى التمكين: كما يخرج من الفم على حسب صوت القارئ". (٢)

وفسر الداني الجزء الثاني من العبارة، أعنى قولهم: (فيما بين ذلك وسطاً من اللفظ)، أنهم يقصدون به الإمالة الصغرى، ونبه على أن هذا التعبير وإن كان واحداً بين تلامذة نافع - ممن وافق ورشاً في الإمالة - وتلامذة ورش، فإن أداءهم ليس واحداً، فتلامذة نافع يميلون إمالة صغرى إلا أنها إلى الفتح أقرب، وتلامذة ورش يميلون إمالة صغرى إلا أنها إلى الإمالة الكبرى أقرب.

قال الداني: "ومعنى قول أصحاب ورش عنه عن نافع في هذا الضرب وفي غيره من الممال: (فيما بين ذلك وسطاً من اللفظ)، أي: فيما بين الفتح الذي يستعمله ابن كثير وعاصم وبين الإمالة التي يستعملها حمزة والكسائي إلا أنه إلى الإمالة أقرب.

ومعنى قول من وافق ورشاً من أصحاب نافع على تلك العبارة: فيما بين ذلك الفتح وبين تلك الإمالة إلا أنه إلى الفتح أقرب". (٣)

٣ - (الاختلاس):

تقدم في: (الاختلاس).

٤ - (بين اللفظين):

تقدم في الألفاظ المستعملة لظاهرة الترقيق.

٥ - (التقليل):

(١) نقل الداني هذا التعبير عنهم في المطبوع من جامع البيان ٣/٧٦٤ - ٧٦٥، والمخطوط منه ل ١٣٠/أ، و ١٤٧/أ، و ١٨٨/أ، و ٢٠٠/أ. والذين ذكروا في النص هم أصحاب ورش، أما أصحاب نافع فقد ذكرهم الداني في جامع البيان ٣/٨٠٢، لكني أهملت ذكرهم لعدم تصريحهم بهذا التعبير، والله الموفق.

(٢) التلخيص ص ١٦٥. وانظر: التبصرة لمكي ص ٦٠، ٦٤.

(٣) المطبوع من جامع البيان ٣/٧٦٥.

من أصله اللغوي أن يدل على نزارة الشيء. قَلَّ الشيء يَقَلُّ قَلَّةً فهو قليل. وقلله وأقله: جعله قليلاً. (١)

استعمله الشاطبي في منظومته.

قال عن مذهب ورش في ذوات الياء إذا كانت رأس آية:

ولكن رؤوس الآي قد قل فتحتها له غير ما (ها) فيه فاحضر مكماً

يعنى ب: (قَلَّ فتحتها) يعنى أميلت إمالة صغرى.

وقال عن مذاهب القراء في نحو: (الأبرار) المكسورة:

وإضجاع ذي راءين حج رواته كالأبرار والتقليل جادل فيصلاً (٢)

فَدِكْرُهُ ل: (التقليل) مقابل (الإضجاع) هو الذي ميز هذا اللفظ، وخصه بالإمالة

الصغرى.

الألفاظ المستعملة للإمالة الكبرى:

ذَكَرْتُ من قبل أن ألفاظ الإمالة إذا أطلقت فإنها في الغالب تنصرف إلى الإمالة الكبرى، وبعضها يكشفه السياق، أو مذهب القارئ العام. غير أن بعض العلماء أراد أن يخصص تلك الألفاظ العامة حتى لا تنصرف إذا أوردتها إلا إلى الإمالة الكبرى، فمن هذه الألفاظ:

١- (الألف التي تمال إمالة شديدة): سيويه. (٣)

٢- (الكسر الشديد).

٣- (الكسر بين الكسرين).

(١) مقاييس اللغة ص ٨٣٣ (ق ل ل)، ولسان العرب ٥٦٣/١١ (ق ل ل).

(٢) منظومة الشاطبية المسماة: حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، للقاسم بن فيرّه بن خلف الشاطبي (ت ٥٩٠هـ)، حققه الشيخ محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، ط ١، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م، ص ٢٦-٢٧.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٢.

تقدماً في مصطلح: (الكسر).

٤- (الإمالة إلى الكسر).

٥- (إمالة الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة).

٦- (الإمالة المحصنة).

٧- (الإمالة الشديدة).

٨- (الإمالة الخالصة).

٩- (إخلاص الإمالة).

١٠- (الإمالة المُشبعة).

١١- (الإمالة الكبرى).

ملاحظة: تقدمت هذه الألفاظ جميعاً مع أصحابها في مصطلح: (الإمالة).

١٢- (الإشباع).

تقدم في مصطلح: (الإشباع).

١٣- (إشمام الإضجاع).

تقدم في: (الإشمام).

١٤- (الإجناح الشديد).

١٥- (المبالغة في الإجناح).

تقدماً في مصطلح: (الإجناح).

نتائج الفصل الرابع:

- ١- عرض هذا الفصل لكثير من ظواهر التخفيف وتحقيق الإنسجام، وخاصة فيما يتعلق بالحروف الذائبة.
- ٢- جمع هذا الفصل عدة ظواهر كبيرة- كالإمالة وإشمام الحركات- في ظاهرة واحدة هي التقريب بين المصوّتات.
- ٣- بيّن هذا الفصل التعبيرات الدقيقة التي يستعملها القراء لتبيين كيفية الأداء، كمثل تعبيرات الإمالة الصغرى.
- ٤- هذا الفصل هو واقع فعلي للألفاظ المستعملة لدى طوائف العلماء على اختلاف مشاربهم المعرفية.
- ٥- كشف هذا الفصل أن ألفاظ التقريب بين الأصوات تتسع دلالاتها لتشمل ظواهر صوتية كبيرة كمصطلح الإشمام.
- ٦- بيّن هذا الفصل المساحة الواسعة التي يستعملها العلماء في الألفاظ الصوتية وكيف أنّها مهما دارت وتنوعت فهي ترجع إلى معانيها اللغوية الأولى.
- ٧- كشف هذا الفصل عن ألفاظ مجهولة لدى كثي من الدارسين، أعني الألفاظ المستعملة عند القراء.
- ٨- حاول هذا الفصل أن يحل إشكالات أدائية عند القراء كإخفاء ذات النون والميم عند الباء.

الفصل الخامس

العيوب النطقية والاحتراقات عنها

الفصل الخامس

العيوب النطقية والاحتراقات عنها

عيوب النطق وأمراض الكلام:

التطور اللغوي ناموس من ناموس الحياة يصيب اللغات جميعا، وذلك للأسباب التي ذكرتها في أول الدراسة، لكن هناك من التطورات اللغوية الفردية ما تأباه الجماعة اللغوية، ويعدونه من الانحرافات النطقية، وهذه الانحرافات اما أن تكون عيوباً في أصل الخلقة كالتأتأة والفاءة واللغثة، أو للعجمة أو للمخالطه بغير أبناء اللغة أو غير ذلك من الأسباب.

وكانت العرب تخشى اللحن والخطأ في كلامها، وقد رويت في ذلك روايات تزخر بها كتب البلاغة كالبيان والتبيين للجاحظ، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، وغيرها .

وجاء وصف عيوب النطق في ثنايا كتب المعاجم، فقد ذكر الخليل كثيراً من الألفاظ التي استعملتها العرب تعبيراً عن العيوب النطقية، وجاء ذلك في ثنايا كلام سيبويه، ويُعدُّ الجاحظ أول من أفراد لها فصولاً في كتابه العظيم البيان والتبيين ثم تبعه المبرد في كتابه الكامل، ومن الرسائل المتخصصة التي ألفها المتقدمون في عيوب النطق رسالة الكندي في اللغثة، وكتاب: بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء لابن البناء، وقد نقل فيه بعض العيوب التي تصيب الانسان وبعض علاجاتها تحت باب: (وصف العوارض باللسان والحيلة في إذهاب بعضها من الإنسان)، ولا يزال المجال مفسوحاً للكشف عن مزيد من الرسائل والكتب التي تحدثت عن هذا الجانب .

مقارنه بين مفهوم المتقدمين والمعاصرين في العيوب النطقية والامراض الكلامية^(١):

يبدأ معظم الاطفال النطق بكلمات قصيرة عندما يقتربون من عامهم الاول، وقد يتأخر بعضهم بضعة شهور على الرغم من كونهم طبيعيين، ويعود هذا الى الفروق الفردية في

(١) الأفكار الرئيسة لهذه النقطة ملخصة من مقالة بعنوان (مشاكل النطق وعلاجها عند المسلمين وبعض مصطلحات عيوب النطق) للدكتور محمود الحاج قاسم محمد في المجلة الثقافية الصادرة عن الجامعة الأردنية عدد (٤١)، شهر ذوالحججه ١٤١٧هـ - ربيع الأول ١٤١٨هـ (ص ٤١١-٤١٥).

مختلف أنواع النمو والتطور، وإلى طبيعة شخصية الطفل في أثناء تطوره، وإلى العوامل البيئية والوراثية التي قد تؤثر على هذه المقدرات.

ويتطور النطق لدى الاطفال في الفترة ٢-٤ سنوات من العمر؛ إذ إنه في هذه الفترة يستعمل مفرداته المتطورة بسرعة ليتفاعل مع البيئة المحيطة به، ومع هذا فان سرعة اكتساب الطفل للمفردات لا تتناسب مع قدراته العقلية المتطورة وقدرته على الفهم، مما ينتج عن هذا تلكؤ الطفل وحدوث التأتأة .

إن التأتأة وعدم الاسترسال في الكلام تعتبر من الخصائص الطبيعية للتطور اللغوي أحيانا، اذا لم تزد شدة، وتبقى الفرصة أمام الطفل متاحة للتخلص منها لغاية عمر سبع سنوات.

أشار الجاحظ الى هذا الذي يحصل للطفل بقوله: "والذى يعتري اللسان مما يمنع من البيان أمور منها: اللُّثْغَةُ التي تعتري الصبيان الى أن ينشؤوا، وهو خلاف مايعتري الشيخ الهرم المأجج، المسترخي الحنك، المرتفع اللثة وخلاف مايعتري أصحاب اللكن من العجم، ومن ينشأ من العرب مع العجم"^(١).

وكذلك أشار الكندي إلى لثغة الطفل كاشفاً عن الغرض من تأليف رسالته، قال: "اعلم يا أخی - فدتك نفسى - أن اللثغة تظهر في لغة العرب في عشرة أحرف للمسنين، والأصاغر في أكثر من ذلك في المنطق. ولقد عسر على الشيوخ أن يعلموا ما اللثغة؟ وما العلة في الطفل أنه إذا قلت بين يديه مرة ومرتين خيراً حكى قولك في ذلك وهو لا يعلم أين ينبغي له أن يضع لسانه من الاماكن الواجبة للنطق؟... وقد لخصنا في ذلك قدر الطاقة، والعلة التي حدثنا إلى ذلك ليُعرف حقيقة ما قصدنا من ذلك، ويعود علمه على السامع له"^(٢).

وأرجع أبو بكر الرازي لثغة الطفل إلى صغر اللسان، قال عن اللسان: "والصغير يكون ألتغ؛ لأنه يقصر بالحروف، كالذى يعرض للصبيان عند قصر ألسنتهم كالألتغ، فإذا كبروا

(١) البيان والتبيين ١/٥١ - ٥٢.

(٢) رسالة في اللثغة للكندي ص ٥٢٨.

فصحوا ذهب اللثغة"^(١).

أما اضطرابات الكلام أعني: عيوب النطق التي يقصدها علماء النفس وأطباء الاطفال فإنها اضطرابات طويلة المدى في إنتاج الكلام المتزن المعتاد. وهناك نظريات تفسر أسباب هذه الظاهرة يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: أسباب وراثية من أحد الأبوين، أو الأجداد عن طريق المورثات الجينية في الكروموسومات .

ثانياً: أسباب أو عوامل عضوية، وتُحمل في:

١- عيوب في أعضاء الاستقبال (الجهاز السمعى)، والأعضاء الطرفية للإنتاج (الجهاز الكلامى)، ويضمنون في هذه الفئة من الاضطرابات: اللجاجة، واللثمة، واضرابات القراءة.

٢- الإصابات والأعطاب المخية ذات البؤر المحددة أو المنتشرة. ويقع ضمن هذه الفئة: المتخلفون عقلياً؛ إما لأسباب دماغية، أو نتيجة نقص في إفراز بعض الغدد الهرمونية، كنقص الغدة الدرقية مثلاً.

ثالثاً: أسباب وظيفية، وهذا يعني أن قدرة الفرد على التعبير تتأثر بعوامل غير عضوية، مثل بعض المرضى النفسيين، وخصوصاً مرضى الفصام.

وقد اهتم أطباء العرب بالعوامل العضوية، وكيفية مداواتها العلاجية، فعيوب الكلام عندهم تحدث نتيجة:

١- آفة نالت الدماغ، وترجع إلى: ورم الدماغ، كالسرسام (التهاب الدماغ).

٢- أمراض اللسان: وترجع إلى تشنج عصبه، أو خلل في أصل الخلقعة، أو نتيجة ضربة أو سقطة أدت إلى تضرر أو قطع عصب اللسان. وربما ترجع إلى أمراض اللسان، كأورام أو قروح فيه، أو استرخاء أو تشنج في عضلته، أو قصر الوترة التي تحته، أو تشوهه

(١) الحاوى فى الطب ٢٠٨/٣.

كعظمه أو قصره^(١).

ومن النصوص النادرة التي تدل على تشخيص أمراض اللسان ما ذكره الطبيب المجوسي مخاطباً الطبيب المتمرن، قال " ثم تنظر من بعد ذلك إلى لسانه وتستنتفه لتعرف بذلك كلامه وفصاحته، فإن كان كلامه بلغثة أو ثقل أو ليس يبين كلامه جيداً، فينبغي أن ينظر لعل ذلك من قبل صغر السن، وان لم يكن ذلك فإنه يدل على غلط اللسان وإما على قصره، وإما على أن جزءاً منه قد انقطع، أو لآفة قد عرضت للعصب ... وتفقد أيضاً اللسان لعلك تجد فيه آثار قروح قد اندلعت، فإن كان ذلك فاسأل صاحبه عن السبب فيه؛ هل كان قرحة عرضت في لسانه، أو ورم انفجر واندمل؟ فإن قال: إن ذلك كذلك، وإلا (فاختبر) ظنك به لعل ذلك من قبل صرع، فإن الإنسان إذا صرع ربما عض لسانه فجرحه، فينبغي أن يبحث عن ذلك"^(٢).

٤- أمراض اللهاة، وقطعها نتيجة إصابتها بحادثة أو جراحة. فمن ذلك ما ذكره الزهراوى أن من أسباب الإضرار بالصوت قطع اللهاة، والطب المعاصر لا يعطى أى دور للهاة في عملية الإضرار بالصوت، قال: "وكذلك قطع اللهاة هو مرض من نقصان عدد، ويكون سبباً لآفة تدخل على الصوت"^(٣).

٥- أمراض الحنجرة، وترجع إلى : آفة تحدث في عضل الحنجرة، كابتلالها عقب النزلات، أو لورم فيها أو عقب الصياح، أو آفة تحل بالعصب، نتيجة جراحه، أو لضربة وسقطة عليها^(٤).

٦- أمراض الجهاز التنفسي، لعلة في عضل التنفس، أو الرئة وقصبتها^(٥).

٧- أمراض الاسنان، كقلع الاضراس، أو انكسار الثنايا، قال الجاحظ عن نطق الأهتتم، وهو الذى انكسرت ثناياه من أصولها: " وليس شىء من الحروف أدخل في باب

(١) رسالة في اللغثة للكندى ص ٥٣١.

(٢) كامل الصناعات الطبية ٤٦/١.

(٣) التصريف لمن عجز عن التأليف ٢٥/١.

(٤) الحاوى للرازى ١٧٠/٣.

(٥) المرجع السابق ١٧٠/٣.

النقص والعجز من فم الأهتم من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة"^(١).

ومن ذلك ما ذكره الزهراوى أن من أسباب الإضرار بالكلام قلع الضرس، وسن في ذلك قانوناً وهو أن الأعضاء قد تشترك فى العلل بعضها ببعض، قال: "وقد تشترك الأعضاء فى العلل بعضها ببعض... والضرس المقلوعة هو مرض نقصان عدد، ويكون سبباً لآفة تحدث على الكلام"^(٢).

وقد عزا الكندى الأمراض الكلامية إلى ثلاثة أسباب:

١- تكون لقوى النفس الناطقة^(٣) فيزول عن الحال الجاري المجرى الطبيعي.

٢- تكون لضعف النفس الناطقة، فلا تقدر أن تحرك العضل تحريكاً شديداً فيفسد لذلك النطق.

٣- إما لزيادة آلة النطق وإما لنقصانها^(٤).

أما الموسيقون من المتقدمين فقد اهتموا بعيوب الحنجرة والحلوق والنفس لتأثيرها المباشر على الصوت وصناعة الغناء.

وأما علماء اللغة والبلاغة والتجويد والقراءات، فقد اهتموا بوصف عيوب الجهاز السمعي والكلامي، سواء أكانت عيوباً خلقية، أو مكتسبة، أو خارجة على الخط الأدائي الذى كانت تتكلم به العرب وقت نزول القرآن، وقد اهتموا -وخاصة المجودون منهم- بالتمرينات والتدريبات النطقية التي تساعد على تصحيح الكلام.

وفى هذا الجانب بين العسكري أن إلف الأذان للخطأ والعيب اللغوى هو الذى يجعله مقبولاً مستساغاً، فنحن نفهم كلام الأعاجم إذا تحدثوا العربية لإلف آذاننا على الخطأ، أما العرب الأوائل فلا يكادون يفهمون ذلك، قال العسكري معلقاً على قول العتابي (كل من أفهمك حاجتك فهو بليغ): "ولو حملنا هذا الكلام على ظاهره لزم أن يكون الألكن بليغاً؛

(١) البيان والتبيين ٤٧/١.

(٢) التصريف لمن عجز عن التأليف ٢٥/١.

(٣) النفس الناطقة عند المناطقة: هى الجوهر المجرد عن المادة فى ذاتها مقارنة لها فى أفعالها. (التعريفات ص ٢٤٤).

(٤) رسالة فى اللغنة ص ٥٣١.

لأنه يفهمنا حاجته، بل يلزم أن يكون كل الناس بلغاء حتى الأطفال؛ لأن كل أحد لا يعدم أن يدل على غرضه بعجبتة أو لكتته، أو إيمائه، أو إشارته بل لزم أن يكون السنورُ بلغياً؛ لأننا نستدل بضعائه على كثير من إرادته، وهذا ظاهر الإحالة.

ونحن نفهم رطانة السوقى، ومجمجة الأعجمى للعادة التي جرت لنا في سماعها، لا لأن تلك بلاغه؛ ألا ترى أن الأعرابى إن سمع ذلك لم يفهمه، إذ لا عادة له بسماعه"^(١).

ولاشك أن هذا الجانب من العيوب النطقية الخلقية والمكتسبة قد أفرز عدداً كبيراً من المصطلحات والألفاظ والتعبيرات التي تستحق الدراسة والبحث.

الألفاظ العامة التي تدل على الخطأ والعيب فى الكلام

استعمل المتقدمون عدة ألفاظ للتعبير عن الخطأ والعيب، ١- (اللحن) ٢- (الخصومة)

المصطلح الأول للخطأ والعيوب: (اللحن)

من المشترك اللفظى . يدل أصله اللغوى على شيئين: أحدهما: إمالة شىء من جهته، ويدل الآخر على الفطنة وذكاء.

فمن الأول: إمالة الكلام عن جهته الصحيحة فى العربية: يقال: لحن لحناً. ومنه قولهم: طيب اللحن، وهو يقرأ بالألحان، وذلك أنه إذا قرأ كذلك أزال الشىء عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان فى ترنمه. ومنه أيضاً: فحوى الكلام ومعناه، قال الله تعالى: { وَتَعْرِفَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ } . وهذا هو الكلام المورى به، المزال عن جهة الاستقامه والظهور. ولحنت بلحن فلان: تكلمت بلغته. ولحنت له لحناً: قلت له قولاً فهمه عني وخفي على غيره من القوم.

والأصل الآخر: اللحن، و هى الفطنة، يقال: لحن يلحن لحناً، وهو لحن ولاحن، وفى الحديث: "لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض"^(٢)

استعمل: (اللحن) فى أكثر من معني، منها:

(١) الصناعتين ص ٢٠.

(٢) مقياس اللغة (ل ح ن) ص ٩١٦ والمصباح المنير ص ٥٥١.

- ١- الخطأ ومجانبة الصواب ثم توسع عند علماء التجويد لينقسم إلى جلي وهو خطأ الإعراب، وخفي وهو الخطأ التجويدي.
- ٢- تصحيح الكلام وتعلم العربية.
- ٣- الألحان في الموسيقى، وشاركه: (الألحان والتلحين).

١- المعنى الأول ل: (اللحن) = الخطأ ومجانبة الصواب في الإعراب والأداء:

بدأت إرهافات هذا المصطلح باستعمال الصحابة (رضي الله عنهم) لهذا المصطلح، فمنهم أبوبكر الصديق، وعثمان بن عفان^(١)، وأبو الدرداء.

قال أبوبكر الصديق: "لأن أقرأ و أسقط أحب إلي من أن أقرأ وألحن"^(٢).

وروى أبو الدرداء في حديثه عن (النبي صلى الله عليه وسلم) أنه سمع رجلاً قرأ فلحن، فقال: "أرشدوا أخاكم"^(٣).

وجرى العلماء على هذا الاستعمال^(٤)، ثم اتسع هذا المصطلح بمجىء ابن مجاهد، فكان أول من قسم اللحن في أداء القرآن الكريم إلى جلي وخفي، قال: "اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي، فالجلي: لحن الإعراب، والخفي: ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه"^(٥).

فالخطأ التجويدي هو خطأ صوتي ليس له في الغالب تأثير على المعنى، أما الخطأ الإعرابي فهو خطأ وظيفي يؤثر على المعنى.

وتبع ابن مجاهد في هذا التقسيم كثير من علماء التجويد، منهم: السعيدي^(٦)

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٥٠.

(٢) نقله أبو العلاء الهمداني في التمهيد ص ٢٠٢.

(٣) نقله أبو العلاء الهمداني في التمهيد ص ١٩٦-١٩٧.

(٤) منهم الفراء في معاني القرآن ٣٠٢/٢، والأخفش في معاني القرآن ٥٩٩/٢، والمبرد في المقتضب ١٣٢/٢ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٣٥/٢.

(٥) نقل ذلك عنه الداني في التحديد ص ١١٦.

(٦) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١.

والداني^(١)، وعبدالوهاب القرطبي^(٢)، وأبو العلاء الهمداني^(٣) وغيرهم. بل إن منهم من كان منهج كتابه قائماً على فكرة معالجة اللحن الخفي كالقرطبي.

وقد عالج الدكتور غانم قدوري الحمد هذا المصطلح بشكل مسهب وبهذا الاعتبار عند علماء التجويد، فليراجع ثمة^(٤).

٢- المعنى الثاني ل: (اللحن) = تصحيح الكلام وتعلم العربية:

من استعلامات الصحابة أيضاً منهم: أبي بن كعب، وعمر بن الخطاب، وعبد الله ابن عباس (رضي الله عنهم) أجمعين.

قال أبي (رضي الله عنه): "تَعَلَّمُوا اللّٰحْنَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا تَعَلَّمُونَهُ"^(٥).

وروي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: "تعلموا السنن والفرائض واللحن كما تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ"^(٦).

وقال أبو العالية الرياحي: كان ابن عباس (رضي الله عنه) يأخذ بيدي ونحن نطوف حول البيت، فيُعَلِّمُنِي لِحْنَ الْكَلَامِ"^(٧).

كل هذه النصوص شكلت بدايات ومقدمات لظهور علم النحو، وأرى أن التأريخ له يبدأ من عندها.

٣- المعنى الثالث ل: (اللحن، الأحن، التلحين) = الأحن في الموسيقى:

قال الخليل: "واللحن والألحان: الضروب من الأصوات الموضوعه"^(٨).

(١) التحديد ص ١١٦.

(٢) الموضح ص ٥٧.

(٣) التمهيد ص ١٩٧.

(٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٥٠ وما بعدها.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء لابن الانباري ١٥/١ والتمهيد للهمداني ص ٢٠٦.

(٦) إيضاح الوقف والابتداء لابن الانباري ١٥/١ والتمهيد للهمداني ص ٢٠٣.

(٧) إيضاح الوقف والابتداء لابن الانباري ٢٥/١ والتمهيد للهمداني ص ٢٠٨.

(٨) العين ٢٢٩/٣.

و(التلحين) ذكر عبد الوهاب القرطبي أنها من الخمسة التي نهي أئمة القراءة عن الإقراء بها، و هي: الترعيد، والترقيص، والتطريب، والتلحين، والتحزين، إذ ليس فيها أثر ولا نقل عن أحد من السلف (رضي الله عنهم) بل ورد عن بعضهم أنه كره القراءة بذلك^(١). وعرف القرطبي أسلوب القراءة بالتلحين فقال: "وأما التلحين، فهو الأصوات المعروفة عند من يغني بالقصائد وإنشاد الشعر، وهي من ثمانية ألحان، وقد أتى القرآن بتاسع، وليس هو في موضع أصواتهم، والذي يُلحَّنُ إذا أتى باللحن لا يخرج منه إلى سواه"^(٢) ومرجع هذا إلى علم الموسيقى، وأوردته لأنه غدا مصطلحاً موسيقياً يطلق على باب من أبواب الموسيقى، وله أنواع و تقسيمات^(٣).

٢- المصطلح الثاني للخطأ والعيوب: (الحضرمة)

قال الأصمعي: "حزرم في كلامه حضرمة: إذا لحن وخالف الإعراب"^(٤). وقال ابن دريد: "والحضرمة: اللحن في الكلام وإفساده، كلام محزرم"^(٥). وذكر ابن فارس أن أصل الحضرمة، كأنه تشبيه بالحاضرة الذين لا يقيمون إعراب الكلام^(٦).

ومع أن هذا المصطلح فيه دليل على التطور اللغوي في التخفف من الإعراب، وأن الكلام يفهم من خلال السياق إلا أن بعض العلماء نبه على قيمة الإعراب في توضيح معنى الكلمات، قال الزجاجي: فأما من تكلم من العامة بالعربية بغير إعراب فيفهم عنه، فإنما ذلك في المتعارف المشهور والمستعمل المألوف بالدراية. ولوالتجأ أحدهم إلى الإيضاح عن

(١) الموضح ص ٢١١. وقد دلنا ابن الباذش على أن أبا على الاهوازي هو صاحب هذا التقسيم. (الإقناع

٥٥٤/١ - ٥٦٢).

(٢) الموضح ص ٢١٢.

(٣) الموسيقى الكبير ص ٦٨ و ٨٥ و ١١٨٠ وحاوي الفنون ص ٢٠ و ٣١ و ٤١ - ٤٢.

(٤) نقل ذلك عنه أبو عبيد في الغريب المصنف ل ٧٣/ ب.

(٥) الجمهرة ٣/ ٣٢٨.

(٦) مقاييس اللغة ص ٢٨٢ (ح ض ر م).

معنى ملتبس بغيره، من غير فهمه بالإعراب، لم يمكنه ذلك، وهذا أوضح من أن يحتاج إلى الإطالة فيه"^(١).

الألفاظ التي تدل على أمراض الكلام

ترجع ألفاظ عيوب الكلام التي ذكرها المتقدمون إلى خمسة أقسام:

١- الألفاظ التي تدل على العجز عن الكلام والحبسة في اللسان.

٢- الألفاظ التي تدل على اللثغة في بعض الحروف.

٣- الألفاظ التي تدل على الكلام من الأنف.

٤- الألفاظ التي تدل على العجمة وعدم البيان.

٥- الألفاظ التي تدل على التقعر والتشديق في الكلام.

أولاً: الألفاظ التي تدل على العجز عن الكلام والحبسة في اللسان

ذكر إخوان الصفاء عن عيوب النطق أنها غير متفق عليها، قالوا: "والناس فيها مختلفون، وغير متفقين في الحروف التي يقع الخطأ فيها والعدول بها عن استوائها إلى خلافها، وهي أعراض كثيرة تختص اللسان، وتعرض فتُفسد الكلام، وهي زمانة لازمة، مثل الخُلسة، والفأفة، والتمتمة، والعُقلة، والحُكلة، والرُّتة، واللُّثغة، وما أشبه ذلك"^(٢)

ومن أجل ذلك هذا فإنني سأذكر أشهر الألفاظ التي وردت على ألسنة العلماء.

استعمل المتقدمون عدة ألفاظ لوصف احتباس اللسان عن الكلام، منها:

- ١- (التعتة) ٢- (العقدة في اللسان) ٣- (الضنن) ٤- (التهتة) ٥- (التهتة) ٦-
- ٧- (التهتة) ٨- (اللدامة) ٩- (اللججة) ١٠- (الفهاة) ١١- (البلدُم) ١٢-
- ١٣- (الحُكلة) ١٤- (الرَّبِق) ١٥- (الرُّتة) ١٦- (الرَّتَج) ١٧- (التعتت) ١٨- (العجى)

(١) الايضاح في علل النحو ص ٩٦.

(٢) الرسائل ١١٣/٣.

١٩- (اللفف) ٢٠- (تعراللسان) ٢١- (العُقْلَة) ٢٢- (الحُبْسَة) ٢٣- (الحُلْسَة) ٢٤- (الترخيم) ٢٥- (الرُّعْموم) ٢٦- (الثقل في اللسان) ٢٧- (بَرَم اللسان) ٢٨- (وعث اللسان).
ملاحظه: أكثر هذه الالفاظ موجود في المعاجم، لكنني ذكرتها لاستعمال أكثرها في كتب البلاغه والتجويد.

١- اللفظ الأول للعجز والحبسة في اللسان: (التتعة)

استعلمه النبي (صلى الله عليه وسلم) في تبيين ثواب الذي يقرأ القرآن، وهو عليه شاق، قال (عليه السلام): "الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن يتتبع فيه، وهو عليه شاق، فله أجران"^(١).

وقال الخليل: "التتعة: أن يعيا الرجل بكلامه، ويتردد من عي أو حَصَرَ، ويقال: ما الذي تتعهه؟ فتقول: العي"^(٢)

وقال القرطبي: "والتتعة: حكاية صوت العبي والالكن: "^(٣)

٢- اللفظ الثاني للعجز والحبسة في اللسان: (العقدة في اللسان)

قال الخليل: "ورجل أعقد، وقد عقد يعقد عقداً، أي في لسانه عقدة وغلط في وسطه فهو عسر الكلام، قال الله عز وجل: " {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي} "^(٤)

وقال أبو عبيدة في تفسير دعاء موسى (عليه السلام) في الآية السابقة: " مجاز العقدة في اللسان: كل ما لم ينطق بحرف، أو كانت منه مُسَكَّة من تمتمة أو فأفة"^(٥)

٣- اللفظ الثالث للعجز والحبسة في اللسان: (الضرز)

وقال الخليل: "الأضز: الذي لا يستطيع أن يُفَرِّج بين حنكيه إذا تكلم، وهي من

(١) التمهيد ص ١٥١.

(٢) العين ١/٨٢.

(٣) الموضح ص ٢١٩.

(٤) العين ١/١٤٠.

(٥) مجاز القرآن ٢/١٨.

صلاية الرأس فيما يقال... والفعل **ضز يضز ضزراً**^(١).

وقال ابن قتيبة: "والضزز: لصوق الحنك الأعلى بالحنك الأسفل، فإذا تكلم، تكاد أضراسه العليا تمس السفلي"^(٢)

٤-٦ اللفظ الرابع إلى السادس للعجز والحبسة في اللسان: (التهتهة و التهتهة و الههتهة)

قال الخليل: "والهتهة والتهتهة تقال في التواء اللسان: ^(٣). وقال: "والههتهة: بعض كلام الأثلغ"^(٤).

وقال القرطبي: **الههتهة والتهتهة** بالثاء والتاء: حكاية التواء اللسان عند الكلام"^(٥).
وواضحٌ التداخل بين معاني المصطلحات عند السابق واللاحق.

٧- اللفظ السابع للعجز والحبسة في اللسان: (الفدامة)

قال الخليل: "الفدُم: العبيُّ عن الحجّة والكلام، وفدُم فدامةً، والجميع فُدُم"^(٦).

٨- اللفظ الثامن للعجز والحبسة في اللسان: (اللجلجة)

قال الخليل: "واللجلجة: كلام الرجل بلسان غير بين، وهو يلجلج لسانه، وقد تلجلج لسانه... و كلام ملجلج: مختلط"^(٧).

وتابعه: ابن دريد^(٨)، والزمخشري^(٩).

(١) العين ٥/٧.

(٢) أدب الكاتب ص ١٣٧.

(٣) العين ٣/٣٤٩.

(٤) العين ٣/٣٥٠.

(٥) الموضح ص ٢١٩.

(٦) العين ٨/٥٤.

(٧) العين ٦/٢٠.

(٨) الجمهرة ١/١٣٥.

(٩) أساس البلاغة ص ٥٥٩.

وقال الجاحظ: " قال محمد بن سلام الجمحي: كان عمر بن الخطاب -رحمة الله- إذا رأى رجلاً يتلجلج في كلامه قال: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد" (١).

وقال الثعالبي: اللجلجة: أن يكون فيه عي و إدخال بعض الكلام في بعض" (٢).
وتابعه القرطبي" (٣).

٩- اللفظ التاسع للعجز والحبسة في اللسان: (الفهامة)

قال الخليل: " رجل فه وفهيه: إذا جاءت منه سقطه أو جهلة من العي. ورجل فه: عي عن حجته. وامرأة فهة... وقد فه يفه فهامة وفهاً وفهةً وفهت يا رجل" (٤).

وقال أبو زيد: " الفه: العيي الكليل اللسان" (٥).

وقال القرطبي: " والفهية والحصر سواء: العي" (٦).

١٠- اللفظ العاشر للعجز والحبسة في اللسان: (البلدم)

قال الخليل: هو "الثقيل في المنطق، البليد المخبّر" (٧).

١١- اللفظ الحادي عشر للعجز والحبسة في اللسان: (الحصر)

يدل أصله اللغوي على الحبس والمنع" (٨).

استعمله من العلماء: الخليل والجاحظ" (٩) والعسكري" (١٠).

(١) البيان والتبيين ٣٢/١.

(٢) فقه اللغة ص ١٢٩.

(٣) الموضح ص ٢١٩.

(٤) العين ٣٥٦/٣.

(٥) النوادر ص ٤٧٠ باسقاط: (الكليل)، ونقل ذلك عنه كاملاً أبو عبيد في الغريب المصنف ل ١٠/ب.

(٦) الموضح ص ٢٢٠.

(٧) العين ١٠٤/٨.

(٨) مقاييس اللغة ص ٢٤٩ (ح ص ر).

(٩) البيان والتبيين ٥/١ و ١٢ و ١٨٩/٢ و ١٩١.

(١٠) الصناعتين ص ٣١.

قال الخليل: **حَصِرَ حَصراً**، أي عي فلم يقدر على الكلام^(١).

١٢ - اللفظ الثاني عشر للعجز والحبسة في اللسان: (الحُكْلَة)

استعمله من العلماء: الخليل، والأصمعي، والجاحظ، وابن دريد، إخوان الصفاء،
والثعالبي، وعبد الوهاب القرطبي، والزمخشري.

واختلفت تعريفاتهم ما بين عجمة في الكلام، أبو غلط في اللسان، أو حبسة مع
عجز، أو لثغة، كالتالي:

قال الخليل: "تقول في لسانه **حكلة**، أي: عجمة"^(٢). وتابعه: الأصمعي^(٣)،
والزمخشري^(٤).

وقال الجاحظ: "يقال في لسانه **حكلة**، إذا كان شديد الحبسة مع لثغ"^(٥).

وقال ابن دريد: "**الحكلة**: غلط في اللسان، يقال: في لسانه **حكلة**، أي غلط،
وجعله رؤبة اللسان بعينه، فقال:

لو أنني أعطيت **عِلْمَ الحُكْلِ** **عِلْمَ سُلَيْمَانَ** كَلَامِ النَّمْلِ"^(٦)

وقال إخوان الصفاء: "**الحكلة**: نقصان آلة المنطق، وعجزها عن أداء اللفظ"^(٧).

وجمع الثعالبي بين التعريفات السابقة بقوله: "أما اللكنة **والحكلة** فهما عقدة في
اللسان وعجمة في الكلام"^(٨).

ونقل كلامه القرطبي^(١).

(١) العين ١١٣/٣.

(٢) المرجع السابق ٦٣/٣.

(٣) نقل ذلك عنه أبو عبيد في الغريب المصنف ل ١٠/ب.

(٤) أساس البلاغة ص ١٣٧.

(٥) البيان والتبيين ٢١٧/١.

(٦) الجمهرة ١٨٤/٢ و ٣٣٠/٣.

(٧) الرسائل ١١٨/٣.

(٨) فقه اللغة ص ١٢٨.

١٣- اللفظ الثالث عشر للعجز والحبسة في اللسان: (الخرس)

من المشترك اللفظي . تقدم.

١٤- اللفظ الرابع عشر للعجز و الحبسة في اللسان: (الرَبَق)

قال أبو عمرو الشيباني: "الرَبَق: العي، تقول: إنه لَرَبَق الكلام: إذا كان عيباً"^(٢).

١٥- اللفظ الخامس عشر للعجز والحبسة في اللسان: (الرُّتَّة)

ذكر ابن فارس أن الرء والتاء ليس أصلاً (ر ت)، لكنهم يقولون: الرتة: العجلة في الكلام، ويقال هي الحكلة فيه"^(٣).

استعمله من العلماء: الخليل، والفراء^(٤)، والجاحظ^(٥)، والمبرد، والرازي، وابن المنادي، والثعالبي، والقرطبي وغيرهم.

وأقوالهم فيها دائرة بين الحبسة في اللسان، والعجلة في الكلام وإدخال الحروف في بعضها.

قال الخليل: "الرتة: عجلة في الكلام، وتقول: رجل أرْتُ ورت يرت رتاً"^(٦).

وقال المبرد: "والرُّتَّة كالرتج تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل"^(٧).

وأرجع الطيب أبوبكر الرازي: (الرُّتَّة) إلى عظم اللسان، قال: "فإن اللسان العظيم يكون صاحبه لا يُخْرِج الحرف ولا يُرسل لسانه جيداً، ويكون أرْتُ"^(٨).

وعرف ابن المنادي، وهو من أئمة القراءة،: (الأرت) واصفاً له كيفية مداواة ذلك

(١) الموضح ص ٢١٨.

(٢) الجيم ١٢/٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٧٩ (ر ت).

(٤) معاني القرآن ١٧٨/٢.

(٥) البيان والتبيين ١٢/١.

(٦) العين ١٠٦/٨.

(٧) الكامل ٥٠٠/١.

(٨) الحاوي ٢٠٨/٣.

عند القراءة، قال: " والأرت: وهو الذي يدغم حرفاً في حرف، فإنه يجب أن يُصِرَّ حين القطع ليتمكن بمدافعة النفس علواً، ثم يأخذ في قراءته وليُعلِّ من صوته قليلاً في تعاهد حسن وإقدام على قراءته" (١).

وقد عرف الثعالبي الرتة بأنها "حبسة في لسان الرجل وعجلة في كلامه" (٢). ونقل ذلك القرطبي (٣).

١٦ - اللفظ السادس عشر لعجز والحبسة في اللسان: (الرَّتَجُ)

يدل أصله اللغوي على إغلاق وضيق (٤).

قال الخليل: " وفي كلامه رَتَجٌ، أي تتعنع وإعياء" (٥). وتبعه العسكري (٦) والزمخشري (٧).

وقال المبرد: " والرُّتَّة كالرتج تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل" (٨).

١٧ - اللفظ السابع عشر للعجز والحبسة في اللسان: (التعتت)

قال الخليل: " وتعتت فلان في الكلام تعتتاً: تردد فيه ولم يستمر في كلامه" (٩).

١٨ - اللفظ الثامن عشر للعجز والحبسة في اللسان: (العي)

هو العجز عن المنطق والكلام السليم.

قال الخليل: " والعي مصدر العي وفيه لغتان: رجل عي بوزن فَعَلَ وَعَيَّ بوزن

(١) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤.

(٢) فقه اللغة ص ١٢٨.

(٣) الموضح ص ٢١٨.

(٤) مقاييس اللغة ص ٤٢٠ (رت ج).

(٥) العين ٩١/٦.

(٦) الصناعتين ص ٣١.

(٧) أساس البلاغة ص ٢١٩.

(٨) الكامل ١/٥٠٠.

(٩) العين ٨٢/١.

فَعِيل" (١)

وقال ابن دريد: "والعِيُّ ضد البلاغة" (٢)

وقد جعل الثعالبي العِيَّ في أول درجات البَكَم، فقال: "رجل عَيَّ و عِيَّ، ثم حَصِرُ، ثم فَهٌ، ثم مُفَحَمٌ، ثم جَلَّاجٌ، ثم أَبَكَمٌ" (٣).

١٩- اللفظ التاسع عشر للعجز والحُبسة في اللسان: (الَلْفُ، الأَلْفُ)

يدل أصله اللغوى على تلوي شيء على شيء . يقال: لفت الشيء بالشيء لفاً، ولففت عمامتي على رأسي، ويقال: جاء القوم ومن لفَّ لَقَمهم، أي من تأشَّب إليهم، كأنه التفَّ بهم، ويقال للعيي: أَلْفٌ، كأن لسانه قد التفَّ، وفي لسانه لَفَفٌ. والأَلْفُ: الذي تدانى فخذاه من سمته، كأنهما التفتتا. ويقال للرجل الثقيل البطيء: أَلْفٌ. واللفيف: ما اجتمع من الناس من قبائل شتي. والألفاف: الشجر يلتفت بعضه ببعض (٤).

قال أبو زيد: الأَلْفُ: العيي، وقد لَفَفْتُ لَفَفاً (٥).

وقال المبرد: "واللفف: إدخال حرف في حرف" (٦).

وقال الثعالبي: أن يكون في اللسان ثقل وانعقاد" (٧).

ونقل كلامه القرطبي مستبدلاً بـ (ثقل): (عَجَلَةٌ) (٨).

٢٠- اللفظ العشرون للعجز والحُبسة في اللسان: (تَعَسَّرُ اللسان)

هو نظير الثقل في اللسان.

(١) العين ٢٧١/٢.

(٢) الجمهرة ١١٥/١.

(٣) فقه اللغة ص ١٣٠.

(٤) مقاييس اللغة ص ٩٠٢ - ٩٠٣ (ل ف ف).

(٥) الغريب المصنف في اللغة، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، نسخة مصورة عن المكتب الظاهرية بدمشق، رقم (٧١٠٠)، ل ١٠/ب.

(٦) الكامل ٥٠٠/١.

(٧) فقه اللغة ص ١٢٩.

(٨) الموضح ص ٢٢٠.

استعمله الكندي في ثقل اللسان، وأرجع هذا العيب إلى تشنج أو استرخاء، وسيأتي الحديث عنهما^(١).

وأرجع الكندي العلل التي تصيب الحروف الصحيحة إلى هاتين العلتين، فقال: "إن تعسر اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي يكون من عرضين لازمين: إما من تشنج، وإما لاسترخاء.

فأما التشنج فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ غير تامة.

وأما الاسترخاء فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ زائدة خارجة عن المجرى الطبيعي على غير نظام.

فأما التشنج فمثل القائل في موضع الراء اللام، ومثال ذلك قول القائل في موضع السين الشين. ومن الكلام ما لا يحصى كثرة"^(٢)

وبمقتضى كلام الكندي فإن: (التشنج) يعد سبباً رئيسياً للثغة في الراء والسين.

٢١ - اللفظ الواحد والعشرون للعجز والحبسة في اللسان: (العُقْلَةُ)

قال المبرد: "التواء اللسان عند إرادة الكلام"^(٣).

وقال إخوان الصفاء عن صاحب هذا العيب: "وإذا عجز عن سرعة الكلام قيل: في لسانه عقلة"^(٤).

٢٢ - اللفظ الثاني والعشرون للعجز والحبسة في اللسان: (الحبسة)

أقوالهم فيه دائرة ما بين احتباس الكلام، والعجلة فيه.

قال المبرد: "والحبسة: تعذر الكلام عند إرداته"^(٥).

(١) رسالة في اللثغة ص ٥٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٥٢٣.

(٣) الكامل ١/٥٠٠.

(٤) الرسائل ٣/١١٩.

(٥) الكامل ١/٥٠٠.

وفسرها ابن دريد بالرتة^(١) .

وقال القرطبي: " وأما الرتة والحبسة فهما عقلة في اللسان وعجلة في الكلام"^(٢) .

٢٣- اللفظ الثالث والعشرون للعجز والحبسة في اللسان: (الترخيم)

قال المبرد: " والترخيم: حذف الكلام"^(٣) .

٢٤- اللفظ الرابع والعشرون للعجز والحبسة في اللسان: (الزغموم)

ذكر ابن دريد أن الرجل العيبي يطلق عليه: (الزغموم)^(٤) .

٢٥- اللفظ الخامس والعشرون للعجز والحبسة في اللسان: (الخلسة)

قال إخوان الصفاء عن صاحب هذا العيب: " وإذا كان الكلام يثقل على الرجل

قيل: في لسانه خلسة"^(٥) .

٢٦- اللفظ السادس والعشرون للعجز والحبسة في اللسان: (الثقل في

اللسان)

من المشترك اللفظي، تقدم.

٢٧- اللفظ السابع والعشرون للعجز والحبسة في اللسان: (بَرْمُ اللسان)

قال الزمخشري: " وهو بَرْمُ اللسان: للعيبي"^(٦) . وهو من المجاز عنده.

٢٨- اللفظ الثامن والعشرون للعجز والحبسة في اللسان: (وَعَثُ اللسان)

قال الزمخشري: " ورجل وعث اللسان: إذا عجز عن الكلام"^(١) . وهو من المجاز

عنده.

(١) الجمهرة ٣/٣٠٠ .

(٢) الموضح ص ٢١٨ .

(٣) الكامل ١/٥٠٠ .

(٤) الجمهرة ٣/٣٨١ .

(٥) الرسائل ٣/١١٩ .

(٦) أساس البلاغة ص ٣٧ .

ثانياً: الألفاظ التي على اللثغة في بعض الحروف

استعمل المتقدمون عدة الفاظ لمن يخطئ بعض مخارج الحروف ومواضع النطق، أو يكرر حرفاً بعينه، منها:

١ - (اللثغة) ٢ - (الثعثة) ٣ - (التمتمة) ٤ - (الفأفة) ٥ - (اللثغ والألثغ).

١ - اللفظ الاول للعجز النطقي في بعض الحروف: (اللثغة)

وهي إبدال حرف بحرف كعيب نطقي لا ظاهرة لغوية. قال المبرد: " واللثغة: أن يعدل بحرف إلى حرف" (٢).

وقد نبه الجاحظ إلى قصور الكتابة وعجزها في تصوير اللثغة، قال عن اللثغة بالشين: " فاما التي هي على الشين المعجمة، فذلك شيء لا يصوره الخط؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مخرج من المخارج، والمخارج لا تخصى ولا يوقف عليها" (٣). وقال عن اللثغة بالراء التي كانت لوصل بن عطاء أحد أئمة المعتزلة: " وأما اللثغة الخاصة التي كانت تعرض لوصل بن عطاء... فليس إلى تصويرها سبيل. وكذلك اللثغة التي تعرض في السين... فإن تلك أيضا ليست لها صورة في الخط تُرى بالعين، وإنما يصورها اللسان وتتأدى إلى السمع" (٤).

وهو بهذا يسجل سبقاً على الصوتيين المعاصرين الذين يعدّون الأشكال الكتابية ثانوية بالنسبة إلى رموز الكلام الملفوظة (٥).

أسباب اللثغة وعلاجها:

أرجع الكندي أسباب اللثغة إلى زيادة في طول أعضاء النطق أو نقص فيها، وهذا يجعلها تخطئ مخارج الحروف ومواضع النطق.

(١) أساس البلاغة ص ٦٨٢.

(٢) الكامل ١/٥٠٠.

(٣) البيان والتبيين ١/٢٨.

(٤) البيان والتبيين ١/٣٠.

(٥) علم اللغة لمحمود سمران ص ٥٥.

وعدَّ الكندي سبباً ثالثاً وهو ضعف آلة النطق نفسها، بمعنى أن تفقد العضلات النطقية قدرتها على التحرك، لكن الكندي لم يجعل هذا سبباً رئيسياً، قال: "واعلم ياأخي أن اللثغة إنما تعرض من سببين: إما لنقصان آلة المنطق، وإما لزيادتها فلا تقدر على تسريح الأماكن الواجبة للنطق مثل: مقاديم الأسنان وجميع الأماكن الواجبة للنطق... وقد تعرض اللثغة أيضاً من جهة أخرى من ضعف العضو المنطقي، وليس هذا مما يجري في الأكثر، وإنما يُحدُّ الشيء بالحد الأكثر"^(١)

وذكر ابن المنادي أن من اللثغة ما يكون علاجها يسيراً ومنها ما يكون شاقاً لا ينفع فيه العلاج، قال: "وأما اللثغة في بعض حروف التهجي، فإن كانت عسيرة لم ينجح فيها الدواء، وكان الاحتيال في إذهابها شغلا غير ربيح، وإن كانت يسيرة سهل علاجها، ونقصت نقصانا بينا"^(٢).

وبين ابن المنادي أن اللثغة تكون أكثر ما تكون في الحرف الساكن، وحاول أن يقدم في ذلك علاجاً عاماً، منبهاً في النهاية أنه إذا لم تنفع مع الألتغ الطريقة العلاجية التي قدمها له فالأحسن له أن يخفض صوته بالحرف المعيب، قال: "وأقوى ما يكون في شيء مما ذكرناه إذا كان ساكناً، وهو في حال الحركة أكثر ممراً على اللسان والصوت، فليحتل المبتلون بذلك في إذهابه، وإن كان ذلك خفة، بتهجي ذلك وتقطيعه، وليستعمل صاحب كل حرف من الحروف المنقلبة طرف لسانه، مُسندهً بخنكه وفكيه فيحركهما ليتبعه صعاق الحروف المفقودة فيه. فإذا جاهد ذلك بطول السعي وتكرير التثقيب فانتفع به وإلا فلا بد له من الدنو إلى الصواب، فإن لم يغلب شهوته لدفع ذلك عنه فليخفض صوته بالحرف المعلوم، وليجهر بما سواه فإن تجويده للعليل زيادة في علته، وإذا كان ذلك فهمسه أصلح من جهره"^(٣).

عدد الحروف التي تكون فيها اللثغة وأسمائها:

اختلف المتقدمون في الحروف التي تقع فيها اللثغة ما بين مقصر ومطول، فالخليل وسيبويه ومن تابعهما عدداً حرفاً أو حرفين، والجاحظ أربعة أحرف: (القاف والسين واللام

(١) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨.

(٢) بيان العيوب ص ٥٤.

(٣) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٥ - ٥٦.

والراء^(١)، والكندي عشرة أحرف: (العين، والسين، والشين، والكاف، والصاد، والجيم، والحاء، والراء، والقاف، والزاي)^(٢)، وابن المنادي جعلها في عشرة أحرف أيضا، غير أنه اسقط من حروف الكندي الجيم والزاي والقاف، واستبدل بها: الغين واللام والياء^(٣).

وسأعرض فيما يلي الحروف التي تعرض فيها اللثغة وإلى أي الحروف تبدل بدءا من أول من ذكر ذلك:

١-السين ← ث ش:

ذكر الخليل أن الألتغ يبدل السين ثاء^(٤). قال الجاحظ عن صاحب ذلك: "فالثغة التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم : أبي يكتوم، وكما يقول بثرة، إذا أرادوا: بسرة. وبثم الله، إذا أرادوا: بسم الله"^(٥).

وتابع الخليل: الجاحظ كما تقدم، وابن فارس^(٦)، والثعالبي^(٧).

وتابع الخليل أيضا: ابن المنادي وزاد أنه يلتغ بها إلى شين أيضا^(٨).

٢-اللام ← ي ك:

ذكر سيبويه أن الألتغ يبدل اللام ياء^(٩). وتابعه ابن المنادي^(١٠).

وتابعه: الجاحظ وزاد أنه يُلثَغُ بها إلى كاف أيضا، قال عن صاحب ذلك: "وأما اللثغة التي تقع في اللام، فإن من أهلها من يجعل اللام ياء، فيقول بدل قوله اعتلتت:

(١) البيان والتبيين ٢٨/١.

(٢) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٣) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

(٤) العين ٤٠١/٤.

(٥) البيان والتبيين ٢٨/١.

(٦) معجم مقاييس اللغة ٢٣٤/٥.

(٧) فقه اللغة ص ١٢٨.

(٨) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

(٩) الكتاب ١٣٧/٤ و ٤٥٣.

(١٠) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

اعتيت، ويدل جَمَلٌ: جَمِيٌّ. وآخرون يجعلون اللام كافا، كالذي عرض لعمر أخي هلال فإنه كان إذا أراد أن يقول: ما العلة في هذا؟ قال: مَكْعَكَة في هذا؟^(١).

٣- الراء ← ي ل غ ذ ظ ن:

ذكر سيبويه ان الألتغ يبدل الراء ياء^(٢). وتابعه: الفارسي^(٣).

وتابع الجاحظ سيبويه، وزاد أنه يلتغ بالراء إلى أربعة أحرف: الياء، والغين، والذال، والطاء، فكلمة (مرة) يُلتغ بها إلى : مية، ومغة، ومدة، ومظة^(٤).

ورتب الجاحظ درجات اللثغة بالراء في هذه الأحرف بدءا من الأثقل إلى الأخف، فذكر أن اللثغة بالياء هي أثقلها، ثم الطاء، ثم الذال، وأن الغين أخفها، وقال عن صاحب اللثغة بالغين: "ويقال ان صاحبها لو جهد نفسه جهدها، وأحدَّ لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها، لم يك بعيدا من أن تجيبه الطبيعة، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً"^(٥).

وسمي الكندي اللاتغ بالراء: ذو العقل^(٦).

وتابع المبرد سيبويه، وزاد أنه يلتغ بها إلى لام أيضا^(٧)، وتابعه: الثعالبي^(٨)، والقرطبي^(٩).

٤- القاف ← ط:

قال الجاحظ: "اللثغة التي تعرض للقاف فإن صاحبها يجعل القاف طاء، فإذا أراد أن

(١) البيان والتبيين، ٢٩/١.

(٢) الكتاب ١٣٧/٤ و ٤٥٣.

(٣) التكملة ص ٢٢٧ والحجة ٦/٨٤.

(٤) البيان والتبيين ٢٩/١.

(٥) البيان والتبيين ٣٠/١.

(٦) رسالة في اللثغة ص ٥٢٩.

(٧) المقتضب ١/٣٥٥.

(٨) فقه اللغة ص ١٢٨.

(٩) الموضح ص ٢١٨.

يقول: قلت له) قال: (طلت له)، وإذا أراد أن يقول: (قال لي) قال: (طال لي)"^(١).

وسمي الكندي اللاتع بالقاف: ذو الحبس"^(٢).

٥- الجيم:

سمي الكندي اللاتع بالجيم: (المدموم) دون أن يبين لنا إلى أي الحروف يفتح بها"^(٣).

٦- العين ← ء:

أحد الحروف التي يفتح به عند الكندي، وقال ابن المنادي: "ومنهم من يبذل العين في منطقه همزة، والغين كذلك"^(٤).

٧- الشين ← ت:

أحد الحروف التي يفتح بها عند الكندي"^(٥).

وقال ابن المنادي: "ومنهم من ينطق بالشين تاء"^(٦).

٨- الكاف ← ق ي:

أحد لحروف التي يفتح بها عند الكندي"^(٧).

وقال ابن المنادي: "ومنهم من يفتح بالكاف فيخرجها الصوت في طريقة القاف سواء.. ومنهم من يخرج الكاف، وهي من أقصى فيه من مدرجة الياء الكائنة في أدنى الفم"^(٨).

٩- الصاد ← ز:

(١) البيان والتبيين ٢٩/١

(٢) رسالة في اللثغة ص ٥٢٩.

(٣) المرجع السابق ص ٥٢٩.

(٤) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

(٥) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٦) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

(٧) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٨) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

أحد الحروف التي يُلْتَمَعُ بها عند الكندي^(١). وذكر ابن المنادي أنه يُلْتَمَعُ بها إلى زاي^(٢).

١٠ - الحاء ← خ:

ذكرها الكندي^(٣) وقال ابن المنادي: "ومنهم من يُخْرِجُ الحاء مزحلقة بالصوت في مدرجة الحاء"^(٤).

١١ - الزاي:

أحد الحروف التي يُلْتَمَعُ بها عند الكندي^(٥).

١٢ - اللثغة بالعين ← ع ء:

سمى الكندي اللثغ بالعين: (المناعي العي)^(٦). وقال ابن المنادي: "ومنهم من يُلْتَمَعُ بالعين فيخرجها الصوت في طريقة العين"^(٧).

١٣ - الياء ← س:

ذكر ابن المنادي أنه يُلْتَمَعُ بها إلى سين^(٨).

١٤ - الثاء ← ف:

كعيب نطقي لا إبدال لغوي، وقد بين القرطبي ذلك بقول: "وقد يجعل بعضهم الثاء فاء، فيقول في ثلاثة: فلافة، وهو لثغ قبيح فضلا أن يقال أنه لحن خفي. فأما ما ذكر أهل اللغة من أن بعض العرب يبدل الثاء فاء، فيقولون في حدث: جدف، وفي ثوم: فوم، فإن ذلك غير مطرد، بل هو موجود في أحرف يسيرة خاصة، ومنقول فيها نقلا يحفظ ولا

(١) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٢) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٤) نقل ذلك عن ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

(٥) رسالة في اللثغة ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٦) المرجع السابق ص ٥٢٩.

(٧) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

(٨) نقل ذلك عنه ابن البناء في بيان العيوب ص ٥٤ - ٥٥.

يتجاوز" (١).

٢- اللفظ الثاني للعجز النطقي في بعض الحروف: (الشفعة)

قال الخليل: هي "حكاية كلام الرجل يغلب عليه الشاء والعين، فهي لشفة في الكلام" (٢).

٣- اللفظ الثالث للعجز النطقي في بعض الحروف: (التمتمة)

عند الخليل هي إلى لفظ كأنه التاء والميم، وعند غيره هي التلثم بالتاء فقط.

قال الخليل: "والتمتمة في الكلام ألا يُبَيَّنَّ اللسانُ يُخطئ موضعَ الحرف فيرجع الى لفظ كأنه التاء والميم" (٣).

وقال الأصمعي: "إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام" (٤).

وكذا قال المبرد: "التمتمة: التردد في التاء" (٥).

ووصف ابن المنادي العلاج للذي يتمتم عند قراءة القرآن، قال: "وإن كان تمتاما، وهو الذي يكرر التاء، فإنه يستعمل مثل ما ذكرناه من الأرت وزيادة - بحسب قوة العارض - من كل ما يدفعه به، فيشدد صوته، ويمد نفسه، ويصَلِّبُ فكيه، فإن كانت التمتمة تبقى بفكيه طويلا أطبق فاه وابتلع ريقه وأخرج الكلام بين ذلك قليلا قليلا، فاذا علق بلسانه فليقيم صدره ورأسه بتمديد، وليجتنب الشغل بغير درسه الى منتهى مراده، وليتق من المأكل ما يكون عوناً لدائه، وليتناول من الأدوية أدهنها له، وليراقب كثرة الكلام ما استطاع، فإن تدرج بذلك وإلا فليس بعد الاجتهاد حال. والفأفاء هو الذي يكرر الفاء، مثل ذلك" (٦).

٤- اللفظ الرابع للعجز النطقي في بعض الحروف: (اللَّيْغُ وَالْأَلْيَغُ)

(١) الموضح ص ١٠٢.

(٢) العين ١/٨٤.

(٣) العين ٨/١١١.

(٤) نقل ذلك عن الجاحظ في البيان والتبيين ١/٣١.

(٥) الكامل ١/٥٠٠.

(٦) بيان العيوب ص ٥٤.

أقوال العلماء دائرة فيها ما بين نوع من اللثغ، أو عدم البيان.

فمن الأول قول الخليل: "الأليغ: الذي يرجع لسانه إلى الياء"^(١).

وقد ذكر الجاحظ عن رجل أنه كان يجعل اللام ياء، والراء ياء، قال: "وربما اجتمعت في الواحد لثغة في حرفين، كنحو لثغة (شوشى)، صاحب عبد الله بن خالد الأموي، فإنه كان يجعل اللام ياء والراء ياء.

قال مرة: مَوَيَايَ وَيُيَيَّي، يريد: مَوَلَايَ وَلِي الرِّي"^(٢).

غير أن القرطبي نقل عن أبي عمرو أن هذا المصطلح يُطلق على الذي لا يفصح بالكلام^(٣).

وتابعه الزمخشري^(٤).

٥- اللفظ الخامس للعجز النطقي في بعض الحروف: (الفأفة والتأفیف بالفاء)

من أصله اللغوي أن يدل على تكره الشيء والضجر منه^(٥).

قال الخليل: "الفأفة في الكلام: إذا كان الفاء يغلب على اللسان، فأفأ فلان في كلامه يفأفي فأفأة. ورجل فأفأ وامرأة فأفأة"^(٦).

وكذا قال الأصمعي^(٧)، والكندي^(٨)، وابن قتيبة^(٩)، والمبرد^(١٠)، وابن دريد^(١١).

(١) العين ٤٤٩/٤.

(٢) البيان والتبيين ٣٠/١.

(٣) الموضح ص ٢٢٠. ولعل أبا عمرو هنا هو أبو عمرو الشيباني صاحب كتاب الجيم، وهو من أئمة اللغة.

(٤) أساس البلاغة ص ٥٧٩.

(٥) مقاييس اللغة ص ٢٩ (أ ف ف).

(٦) العين ٤٠٧/٨.

(٧) نقل ذلك عنه الجاحظ في البيان والتبيين ٣١/١.

(٨) رسالة في اللثغة ص ٥٣٠.

(٩) أدب الكاتب ص ١٣٧.

(١٠) الكامل ٥٠٠/١.

(١١) الجمهرة ١٦٩/١ و ٢٨٦/٣.

وعرف ابن المنادي الفأفاء واصفا له طريقة معالجة ذلك: "والفأفاء هو الذي يكرر الفاء، مثل ذلك"^(١).

أي: علاجه مثل علاج التتمام.

واستعمله القرطبي كعيب أدائي في النهي عن المبالغة في وضع الثنايا العليا على الشفه السفلى عند إخراج الفاء، لئلا يخرج الصوت والنفس عن الحد^(٢)، وسماه: (التأفيف في الفاء) وذكر في موضع آخر أنه نقله عن أئمة القراءة^(٣).

ثالثا: الألفاظ التي تدل على الكلام من الأنف

استعمل المتقدمون عدة الفاظ لمن يتكلم من أنفه، منها:

١ - (الغنة) ٢ - (الحنة والخنخنة) ٣ - (الأغن)

١ - اللفظ الأول للكلام من الأنف: (الغنة)

من المشترك اللفظي، تقدم.

٢ - اللفظ الثاني للكلام من الأنف: (الحنة والخنخنة)

عند الخليل هي كالغنة^(٤)، وعند المبرد^(٥)، وابن دريد هي أشد من الغنة^(٦).

وعلل الكندي لوجود الخنن في الكلام، فقال: "وأما الأخن فإن النفس يسبق إلى الحياشيم"^(٧).

وعرف الثعالبي الخنخنة "بأن يتكلم الرجل من لدن أنفه، ويقال: هي أن لا يُبَيِّن

(١) بيان العيوب ص ٥٤.

(٢) الموضح ص ١١٦.

(٣) الموضح ص ١٢٤.

(٤) العين ١٤٢/٤.

(٥) الكامل ١/٥٠٠.

(٦) الجمهرة ٧١/١ و ١٨٩/٣.

(٧) رسالة في اللغاة ص ٥٣٠.

الرجل كلامه فيخنخن في خياشيمه" (١)

وجعل ابن الطحان الموسيقى: (الخُنونة) من العيوب التي لا يصلح معها تعلم صناعة الغناء (٢).

٣- اللفظ الثالث للكلام من الأنف: (الأغن)

من المشترك اللفظي، تقدم.

رابعاً: الألفاظ التي تدل على العجمة وعدم البيان

استعمل المتقدمون عدة ألفاظ للأجنبي الذي يتكلم بلغة العرب أو العربي الذي لا يفصح في كلامه منها:

- ١- (العُجْمَة) ٢- (العَرْمَرَم) ٣- (العَفْتُ) ٤- (العَفْطُ) ٥- (اللُّكْنَة) ٦- (العُتْمَة)
- ٧- (العَمَمَة) والتَّعَمُّم (٨- (التَّجْمُجُم) ٩- (الحُكْلَة) في إحدى معانيها ١٠- (الطُّمُطُمَانِيَة) في إحدى معانيها ١١- (اللُّخْلُخَانِيَة) في إحدى معانيها.

١- اللفظ الأول للعجمة وعدم البيان: (العجمة)

قال الخليل: "والأعجم: الذي لا يفصح. وامرأة عجماء: بينة العجمة" (٣).

وقال ابن دريد: "والعجمة: انعقاد اللسان عن الكلام، وربما سمي الأخرس أعجم" (٤).

وذكر ابن جني أن العجمي هو الذي لا يفصح، وكذلك غير العرب وإن فصح" (٥).

٢- اللفظ الثاني للعجمة وعدم البيان: (العَرْمَرَم)

قال الخليل: "والعرموم: الشديد العجمة الذي لا يفصح" (١).

(١) فقه اللغة ص ١٢٩.

(٢) حاوي الفنون ١٣٧-١٣٨.

(٣) العين ٢٣٧/١.

(٤) الجمهرة ١٠٤/٢.

(٥) المحتسب ١٢/٢.

٣- اللفظ الثالث للعجمة وعدم البيان: (العَفْتُ)

قال الخليل: "العفت في الكلام كاللكنة، عفت الكلام يعفته عفتاً: وهو أن يكسره، وهي عربية كعربية الأعجمي أو الحبشي أو السندي ونحوه إذا تكلف العربية. وقال ابن القريّة: لا يعرف العربية هؤلاء الجراجمة الطمطمانيون الذين يلفتونها لفتاً ويعفتونها عفتاً"^(٢).

٤- اللفظ الرابع للعجمة وعدم البيان: (العَفْطُ)

قال الخليل: "والعافطة: الأُمَّة؛ لأنها تعطف في كلامها كما يعطف الرجل الألكن... والرجل العفاطي هو الألكن الذي لا يفصح، وهو العفاط. ويقال: يعطف في كلامه عفاطاً، ويعفت كلامه عفتاً، وهو عفات عفاط"^(٣).

٥- اللفظ الخامس للعجمة وعدم البيان: (اللُّكْنَةُ)

أقوال العلماء فيها دائرة بين العجمة في الكلام والثقل في اللسان.

قال الخليل: "اللكنة: عجمة الألكن، وهو الذي يؤنث المذكر ويذكر المؤنث، ويقال: هو الذي لا يقيم عربيته لعجمة غالبية على لسانه، وهو الألكن"^(٤). وتابعه المبرد بقوله: "اللكنة: أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية"^(٥).

وكذلك عرفه إخوان الصفاء، قالوا عن الألكن: "وإذا أدخل بعض حروف العرب في حروف العجم قيل في لسانه لكنة"^(٦).

أما ثقل اللسان فقد أشار الكندي إلى دور عضلات اللسان في التسبب في اللكنة في الكلام، قال: "وذلك أن العضل المحركة لهذا العضو لا تطبق حمله، وتحركه وتنقله عن الأماكن الواجبة للنطق، فيعرض من ذلك اللكن في الكلام"^(١)

(١) العين ١٣٧/٢.

(٢) المرجع السابق ٧٤/٢.

(٣) المرجع السابق ٧٤/٢.

(٤) المرجع السابق ٣٧١/٥.

(٥) الكامل ٥٠٠/١.

(٦) الرسائل ١١٩/٣.

وذكر ابو بكر الرازي أن اللسان العريض جدا يكون صاحبة ألكن^(٢).

وعرف ابن دريد اللكن موقفا بين ما تقدم، قال: "اللكن: ثقل اللسان كالعجمة. رجل ألكن وامرأة لكناء من قوم لُكن"^(٣).

٦- اللفظ السادس للعجمة وعدم البيان: (الغُتْمَة)

قال الخليل: "الغُتْمَة: عجمة في المنطق. ورجل أغتم وغتمي، أي لا يفصح شيئا"^(٤).
وقال الزمخشري: "الغُتْمَة: وهي العجمة في المنطق، من الغتم، وهو الأخذ بالنفس"^(٥).

٧- اللفظ السابع للعجمة وعدم البيان: (الطُّمُطْمَانِيَّةُ وَالطُّمُطْمَة)

أقوال العلماء دائرة فيها ما بين العجمة في الكلام أو لغة لبعض القبائل.
قال الجاحظ: "قال معاوية يوماً: من أفصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لَحْخَانِيَةِ الفرات، وتيامنوا عن عننة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاة، ولا طُّمُطْمَانِيَّة حَمِير.

قال: من هم؟ قال: قريش. قال: ممن أنت؟ قال: من جرم. قال: اجلس"^(٦)

أشار جليس معاوية بن سفيان رضي الله عنه إلى أن الطُّمُطْمَانِيَّة هي لغة حمير، ولم يفسر لنا ما معناها.

واكتفى الخليل بقوله إنها لغة الأعجم، قال الخليل: "والطُّمُطْمِ وَالطُّمُطْمِي وَالطُّمُطْمَانِي: هو الأعجم الذي لا يفصح"^(٧).

(١) رسالة في اللغة ص ٥٣٠.

(٢) الحاوي في الطب ٢٠٨/٣.

(٣) الجمهرة ١٧٠/٣.

(٤) العين ٣٩٨/٤.

(٥) أساس البلاغة ص ٤٤٥.

(٦) نقل ذلك الجاحظ في البيان والتبيين ١٧٦/٣.

(٧) العين ٤٠٩/٧.

وكذا قال المبرد: "والطمطمة: أن يكون الكلام مُشْبِهاً لكلام العجم"^(١)

وفسر الثعالبي الطُّمَطْمَانِيَّةَ في كلامِ جَمِيرٍ بأنها إبدال لام التعريف ميمًا، قال:
"الطمطمانية تعرض في لغة جَمِيرٍ، كقولهم: طاب امهواء. يريدون: طاب الهواء"^(٢). ونقل
ذلك القرطبي، وزاد: "وبعض العرب يقولون فيما رواه الأحمر: طانه الله على الخير وطامه،
أي: جبله. فيبدلون من النون ميمًا، وأنشد:

ألا تلك نفس طينَ منها حياؤها"^(٣)

٨ - اللفظ الثامن للعجمة وعدم البيان: (الحُكَلَة)

العجمة في إحدى معانيها. وقد تقدم.

٩ - اللفظ التاسع للعجمة وعدم البيان: (الغَمَغَمَة والتَّغْمُغَم)

كالطمطانية أقوال العلماء فيها دائرة ما بين العجمة في الكلام أو لغة لبعض القبائل.
نسبها جليس معاوية بن سفيان رضي الله عنه كظاهرة لهجية إلى قضاة^(٤).
أما أبو عبيد ومن تابعه فجعلوها من الألفاظ التي تطلق على من لا يفصح.
قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "والتغمغم: الكلام الذي لا يبين، والتجمجم
مثله"^(٥).

قال المبرد: "والغمغمة: أن تسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الحروف... فقد تكون
من الكلام وغيره؛ لأنه صوت لا يفهم تقطيع حروفه"^(٦).

١٠ - اللفظ العاشر للعجمة وعدم البيان: التجمجم

(١) الكامل ١/٥٠٠.

(٢) فقه اللغة ص ١٢٩.

(٣) الموضح ص ٢٢١. ويعني: طيب.

(٤) نقل ذلك الجاحظ في البيان والتبيين ٣/١٧٦.

(٥) الغريب المصنف ل ٩/ب.

(٦) الكامل ١/٥٠٠.

ذكر أبو عبيد أنه مثل التغمغم، يعني عدم الإفصاح وإبانة الكلام^(١).

١١ - اللفظ الحادي عشر للعجمة وعدم البيان: (اللُّخْلُخَانِيَّة)

كالطمطانية أقوال العلماء فيها دائرة ما بين عجمة في الكلام أو ظاهرة لهجية لبعض القبائل.

نسبها جليس معاوية بين سفيان رضي الله عنه كظاهرة لهجية إلى أهل الفرات دون أن يبين ماذا يفعلون؟^(٢)

وذكر الثعالبي أنها لغة أعراب الشَّحْر وعمان، كقولهم في ما شاء الله كان: مشا الله كان^(٣). ونقل ذلك القرطبي^(٤).

أما الخليل ومن تابعه فقد ذكر أنها تطلق على الذي لا يفصح، قال الخليل: "واللُّخْلُخَانِيَّة: العجمة، يقال: رجل لُّخْلُخَانِي، والمرأة بالهاء، أي: لا يفصحان"^(٥).

وتابعه: أبو عبيد القاسم بن سلام^(٦).

خامساً: الألفاظ التي تدل على التقعر والتشدد في الكلام

ذكر الجاحظ عدة ألفاظ وصفها بأنها من أقبح اللحن، قال: "ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير، والتقعيب، والتشديق، والتمطيط، والجَهْوَرَة، والتفخيم. وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين إلى طرق السابلة وبقر مجامع الأسواق"^(٧)

وسآتي على أكثر هذه الألفاظ فيما يلي:

استُعملت عدة ألفاظ للتشدد والمبالغة في الكلام منها:

(١) الغريب المصنف ل٩/ب.

(٢) نقل ذلك الجاحظ في البيان والتبيين ١٧٦/٣.

(٣) فقه اللغة ص ١٢٩.

(٤) الموضح ص ٢٢١.

(٥) العين ٣٩٨/٤.

(٦) الغريب المصنف ل١٠/ب.

(٧) البيان والتبيين ١٠٢/١.

١- (التشديق، التشدق) ٢- (المَمَقَّة) ٣- (التعير) ٤- (التعيب) ٥-
(الفضغ) ٦- (اللَّهع) ٧- (التَّبْلُع) ٨- (التمطيط)

١- اللفظ الأول للتكلف والتزئد في الكلام: (التشديق، التشدق)

من المشترك اللفظي:

يدل أصله اللغوي على انفراج في شيء. من ذلك: الشَّدقان للإنسان، وهما جانباً الفم، أو هما لحم باطن الخدين من جانبي الفم، وقيل: هما ملتقى الشفتين. والشدق: سعة الشدق، ورجل أشدق، وخطيب أشدق^(١). وقال رسول الله ﷺ: "إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون"^(٢).

أي: المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز لما في ذلك من الكذب.

استُعمل: (التشديق والتشديق) في أكثر من معنى، منها:

١- التكلف والمبالغة في الكلام. ٢- عيب من عيوب القراءة.

١- المعنى الأول ل: (التشديق والتشديق): التكلف والمبالغة في الكلام:

عده الجاحظ من عيوب البلاغة؛ لما فيه من التفاسح بلا أهلية^(٣).

٢- المعنى الثاني ل: (التشديق): عيب من عيوب القراءة:

هذا العيب خاص بالقراء الذين يتكلفون في القراءة ويضيقون بها أنفاسهم مما سيأتي

ذكره في العيوب التي يأتي بها القراء.

(١) مقاييس اللغة ص ٥٣١ (ش د ق) ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان ص ١٦. والعين ٣٤/٥،

والجمهرة ٢/٢٦٩، والصحاح ٤/١٥٠٠، والمحكم ٦/٩٥، ولسان العرب ١٠/١٧٢.

(٢) الجامع الكبير (سنن) الترمذي (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١،

١٩٩٦م، ٤/٣٢٥ رقم الحديث (٢٠١٨).

(٣) البيان والتبيين ١/١٢ و ١٠٢.

وقد نهى القراء عن التشديد في القراءة، حتى المبالغين منهم في تحقيق الحروف والمد كحمزة بن حبيب الزيات لم يُنقل عنه أنه كان يخرج عن حد القراءة، فمن ذلك ما ذكره من أن رجلا قرأ على حمزة، فجعل الرجل يتشدد، فقيل له: يا حمزة، هذا التحقيق؟ فقال: لا هذا التمطيط"^(١).

ووصف أحمد بن نصر الشذائي قراءة حمزة، قال: "فصفتها المد العدل والقصر والهمز المقوم والتشديد المجود، بلا تمطيط ولا تشديد، ولا تعلية صوت ولا ترعيد، فهذه صفة التحقيق"^(٢).

وفسر ابن البناء هيئة التشديد في القراءة، فقال: "ومن العيوب: التشديد، وصفته تطويل الحروف في تميل أيمن الشدقين أكثر من تميل الأيسر، والاستعانة بهما عند المخفوض، أو التنقل من خفض إلى فتح، مثل: (إن ولي الله) [الأعراف]، أو إلى رفع، مثل قوله: (والعشي يريدون وجهه) [الكهف]"^(٣).

٢- اللفظ الثاني للتكلف والتزيد في الكلام: (المقمقة)

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "قال الفراء: "والمقامق: الذي يتكلم بأقصى حلقة"^(٤)

ونقل ذلك الثعالبي^(٥)، والقرطبي^(٦) بلفظ: (المقمقة).

٣- اللفظ الثالث للتكلف والتزيد في الكلام (التقعر)

من المشترك اللفظي. تقدم.

٤- اللفظ الرابع للتكلف والتزيد في الكلام: (التقعب)

(١) التمهيد ص ١٣٤.

(٢) التحديد ص ٩٣ والتمهيد للهمذاني ص ١٣١.

(٣) بيان العيوب ص ٣٩.

(٤) الغريب المصنف ل ١٠/ب.

(٥) فقه اللغة ص ١٢٩.

(٦) الموضح ص ٢١٩.

قال ابن منظور: "والتقريب في الكلام: كالتقريب. قَعَبَ فلان في كلامه وَقَعَرَ، بمعنى واحد" (١).

استعمله الجاحظ (٢)، وابن قتيبة (٣).

٥- اللفظ الخامس للتكلف والتزويد في الكلام: (التمطيط)

من المشترك اللفظي. تقدم.

٦- اللفظ السادس للتكلف والتزويد في الكلام: (الففقة)

قال ابن دريد: "من قولهم: تففق الرجل في كلامه وففق فيه، إذا تقعر، وهو نحو الفيهقة" (٤).

٧- اللفظ السابع للتكلف والتزويد في الكلام: (الْفَضُّ)

قال ابن دريد: "ورجل مفضع: إذا كان يتشدد ويلحن كأنه يفضع الكلام" (٥).

٨- اللفظ الثامن للتكلف والتزويد في الكلام: (اللَّهَع)

استعمله ابن دريد، قال: "وقال قوم: بل اللهع كلام صحيح غير مقلوب. وكأن اللهع عندهم مثل التبلتع، وهو التشدد في الكلام والتفهيق فيه" (٦).

٩- اللفظ التاسع للتكلف والتزويد في الكلام: (التبلتع)

استعمله ابن دريد في تفسير: (اللهع) كمرادف له (٧).

الألفاظ التي تدل على عيوب النطق في الأداء القرآني

(١) لسان العرب ٦٨٤/١.

(٢) البيان والتبيين ١٢/١ و ١٠٢.

(٣) أدب الكاتب ص ١٦.

(٤) الجمهرة ١٦١/١.

(٥) المرجع السابق ٣/٩٥.

(٦) المرجع السابق ٣/١٤١.

(٧) المرجع السابق ٣/١٤١.

ترجع ألفاظ عيوب النطق في القراءة إلى:

- ١- الألفاظ العامة التي تدل على عيوب الهيئات الجسدية وعيوب الأصوات.
- ٢- الألفاظ التي تدل على عيوب الحروف من حيث التجويد.
- ٣- الألفاظ التي تدل على عيوب أساليب القراءة.

أولاً: الألفاظ العامة التي تدل على عيوب الهيئات الجسدية وعيوب الأصوات

ذكر ابن البناء البغدادي عدة عيوب يلزم القارئ أن يحترز عنها عند أداء القرآن، ونبه على أن هذه العيوب قد كرهها العلماء بالقراءة وذووا المعرفة بالأخذ، وذكرها فيها التصانيف، وناهيك بصاحبنا أبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن المنادي (٣٣٦هـ) فإنه أخذ من الحظ الأوفر والنصيب الأكثر^(١).

قال ابن البناء: "وأما عيوب الأصوات التي يجب أن يجتنبها، فمن ذلك:

١- الجهر الصاعق.

٢- والغض الزاهق.

٣- واستكداد الصوت حتى ينقطع، ونقله من حال إلى حال في تباعد الانتقال، وربما أفضى به ذلك إلى اختلاج الصدر والكتفين، وتغير اللون والعين، وتدنُّ عروقه، وتفسد حروفه^(٢).

٤- "استراط الريق.

٥- اخراج الصوت من قصبه الحلق مختلساً إلى (الرفة)^(٣)

ثم ذكر ابن البناء عيوب الهيئات تحت باب: (العيوب الفظعة في النفس التي يجب أن يجتنبها القارئ حين القراءة والدرس)

(١) بيان العيوب ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧.

(٣) المرجع السابق ص ٣٨.

قال: "من ذلك:

- ١ - تحريك الرأس عن يمين وشمال، كالاتفات، أو تحريكه بزعة من سفلى إلى علو أو علو إلى سفلى، كالإيماء بنعم ولا فى المخاطبات.
- ٢ - ومنه غبوس الوجه وتقطيه.
- ٣ - وتصغير العينين.
- ٤ - وتعالى أعالى الخدين.
- ٥ - وتلوين الحاجبين.
- ٦ - وتعويج الشفتين.
- ٧ - وإقامة العنق وحنأؤه بما يخرج عن العادة المألوفة والشاكلة المعروفة.
- ٨ - والزحف والتنقل من جلسة إلى خلافها كثيرا.
- ٩ - والعبث بالأصابع والشعر"^(١).

ووصف ابن البناء البغدادي الهيئة المحمودة والطريقة المقصودة فى الأداء، فقال: "أحمد الأشياء عاقبة، وأسدھا ثاقبة، وأعدھا طريقة، وأجملھا خليقة، هو المضى على سنن واحد يقبله الغائب والشاهد:

لا تمضيغ ولا تضجيع، ولا تمطيط ولا تقطيع، ولا علو صوت ولا خفوت، ولا خروج من نطق إلى سكوت"^(٢).

وذكر ابن البناء ان الطريقة المحمودة فى القراءة هي إما بالطبع أو الاكتساب، والاكتساب يكون بمجالسة القراء، والرياضة بمجالس العلماء، والسمع ممن وهبت له تلك الطريقة المحمودة"^(٣).

(١) بيان العيوب ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩.

(٣) المرجع السابق ص ٤٠.

أما ابو العلاء الهمذاني فقد عاب بعض قراء عصره الذين نعتهم بالمتكلفين، ممن يظنون أنهم يجودون القرآن بالقيام بحركات حسية ونطقية ليست من التجويد في شيء، قال: "ثم إني ألفت جماعة من المتكلفين من قراء زماننا قد اعتمدوا في حفظ القرآن على المصحف، وفي علومه على الصحف، فالمتناهي منهم إذا حَرَكَ رأسه، وضيق عند القراءة أنفاسه، ودَرَّتْ أوداجه، واحتد مزاجه، وأفرط في الحركات، ورعد المدات، وغلظ الرءات واللامات، يرى أنه قد بالغ في تجويد القراءة وترتيلها وتحقيق التلاوة وترسيلها" (١).

ثانيا: الألفاظ التي تدل على عيوب الحروف من حيث التجويد

١- المصطلح الأول لعيوب الحروف من حيث التجويد: (المضغ والتمضغ)

الأصل اللغوي هو المضغ للطعام، ومضغه يمضغه، والمضاغ: الطعام يمضغ، والمضاعة، ما يبقى في الفم مما يمضغ (٢).

جاء رجل إلى نافع فقال: تأخذ على الحذر، فقال نافع: ما الحذر؟ ما أعرفها، أسمعنا. قال: فقرأ الرجل، فقال نافع: الحذر، أو قال حذرنا، أن لا نسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشدداً، ولا نشدد مخففاً، ولا نقصر ممدوداً، ولا نمد مقصوراً، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله - ﷺ - سهل جزل، لا نمضغ ولا نلوك، نبر ولا نبتهر، نسهل ولا نشدد، أصاغر عن أكابر، مَلِيٌّ عن وِثِيٍّ، ديننا دين العجائز، وقراءتنا قراءة المشايخ، نسمع في القرآن، ولا نستعمل فيه بالرأي، ثم تلا نافع: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) إلى آخر الآية (٣).

وهذا الوصف الطويل لنافع يدل على الطريقة الدقيقة التي يستعملها أكابر القراء في نقل القرآن العظيم، وأن القراء لا يقرؤون بالتشهي مما يظنه - مع الأسف - بعض الدارسين اليوم، أو أنهم متأثرون في ذلك بلهجاتهم، (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ)

(١) التمهيد ص ١٣٠.

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٥١ (م ض غ).

(٣) التحديد ص ٩٣.

ولفظ: (المضغ) في قول نافع لا تعرف هيئته. سوى أنه المبالغة والتكلف في إخراج الحروف؛ لأنه في مقابل اللوك، وهو أهون المضغ^(١).

وكان أحمد بن نصر الشذائي قد استعمل: (التمضيغ) في وصف قراءة أبي عمرو، قال: "وأما صفة من ينتحل قراءة أبي عمرو فالتوسط والتدوير، وهمزها سليم من اللكز. وتشديدها خارج عن التمضيغ، بترسل جزل وحادر بيّن سهل، يتلو بعضها بعضاً"^(٢)

فخصص معنى (التمضيغ) بالمبالغة في التشديد. وهكذا استعمله الداني والقرطبي في معض النهي عن المبالغة في التشديد بحيث يخرج عن رونق القراءة.

قال الداني في معنى النهي عن ذلك: "وإنما يستعمل القارئ الحدر والهذمة وهما سرعة القراءة مع تقويم الألفاظ وتمكين الحروف، لتكثر حسناته، إذ كان له بكل حرف عشر حسنات، وذلك بعد معرفته بالهمز من غير لكز، والمد من غير تمطيط، والتشديد من غير تمضيغ، والإشباع من غير تكلف"^(٣).

ويدلك على هذا المعنى قول القرطبي عن إشباع التشديد وتخفيفه، فقال: "ومتى سمعت من أئمة القراءة تحريضاً على المبالغة في التشديد في موضع ما فاعلم أن المراد بذلك توقي الإخلال بحكمه لا الإفراط المخرج له عن حده لداع اقتضى ذلك وأوجه، وكذلك متى سمعت من يندب إلى التجافي عن الحرف المشدد والتخفيف فاعلم أن مراده حسن التأتي له، والتحذير من طغيان اللسان بالإمعان فيه والتمضيغ به، أو لمثل ذلك من العلل"^(٤).

ونقل أبو العلاء الهمداني صفة قراءة أبي عمرو بن العلاء بمثل ألفاظ الداني إلا أنه جعل هذا العيب عاماً في القراءة، قال: "وأما صفة قراءة أبي عمرو ويعقوب فجزلة سهلة مدورة متوسطة بين الحدر والترتيل، خارجة عن اللكز والتمضيغ"^(٥). فرجع هذا اللفظ في قوله إلى معنى (المضغ) الذي ذكره نافع.

(١) لسان العرب ٤٨٤/١٠ (ل و ك).

(٢) نقل ذلك الداني في التحديد ٩٣.

(٣) التحديد ص ٧١.

(٤) الموضح ١٤١ - ١٤٢.

(٥) التمهيد ص ١٨٧.

أما ابن البناء فقد عرف: (التمضيغ) بأنه: "تعريض الشدقين كالمْتَزَحْر والضاحك المخافت"^(١).

٢- المصطلح الثاني لعيوب الحروف من حيث التجويد: (اللوك)

يدل المعنى اللغوي على أنه أهون المضغ^(٢).

استعمل نافع: (اللوك) في مقابل (المضغ) في النص الذي ذكرته هناك^(٣). ولعله يريد به عدم توضيح الحروف والضعف في إخراجها.

٣- المصطلح الثالث لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الابتهار)

من أصله اللغوي أن يدل على الغلبة والعلو. ابتهر فلان في فلان ولفلان إذا لم يدع جهداً مما لفلان أو عليه، وكذلك يقال ابتهل في الدعاء^(٤).

جاء في حديث نافع - الذي تقدم في لفظ: (المضغ) - قوله: (ننبر ولا نبتهر)^(٥).

يريد نافع - والله اعلم - أن القراء يهمزون لكن لا يبالغون ولا يسرفون في إخراج الهمزة.

واستعمله الداني في النهي عن المبالغة في إخراج الهمزة والهاء، قال عن الهمزة: "فينبغي للقارئ إذا همز الحرف أن يأتي بالهمزة سلسلة في النطق، سهلة في الذوق من غير لكز ولا ابتهار لها، ولا خروج بها عن حدها ساكنة كانت أو متحركة"^(٦).

وقال عن الهاء: "فإذا أتت ساكنة أو متحركة فينبغي للقارئ أن ينعم بيانها، من غير تكلف ولا ابتهار"^(٧).

(١) بيان العيوب ص ٣٨. والتزحر في اللغة هو صوت النفس إذا تنفس بشدة (مقاييس اللغة ص ٤٤٨ ز ح ر).

(٢) لسان العرب ٤٨٤/١٠ (ل و ك).

(٣) التحديد ص ٩٣.

(٤) مقاييس اللغة ص ١٤٠ (ب ه ر) ولسان العرب ٨٢/٤.

(٥) التحديد ص ٩٣.

(٦) المرجع السابق ص ١١٨.

(٧) المرجع السابق ص ١٢٣.

٤ - المصطلح الرابع لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الضَّغَط) من المشترك اللفظي، تقدم.

٥ - المصطلح الخامس لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الهِتُّ) من المشترك اللفظي، تقدم.

٦ - المصطلح السادس لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الترفيه) من المشترك اللفظي، تقدم.

٧ - المصطلح السابع لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الاعتماد) من المشترك اللفظي، تقدم.

٨ - المصطلح الثامن لعيوب الحروف من حيث التجويد (الإشراب) من المشترك اللفظي، تقدم.

٩ - المصطلح التاسع لعيوب الحروف من حيث التجويد: (التطين): تقدم ذكره في الطين.

١٠ - المصطلح العاشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (التغليظ) تقدم ذكره في: التفخيم.

١١ - المصطلح الحادي عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (اللكز)

قال الفيومي: "لكزه لكزاً، من باب قَتَلَ، ضربه بِجُمُع كفه في صدره، وربما أُطِلقَ على جميع البدن^(١).

كان أحمد بن نصر الشذائي قد استعمل: (اللكز) في وصف قراءة أبي عمرو، قال: "وأما صفة من ينتحل قراءة أبي عمرو فالتوسط والتدوير، وهمزها سليم من اللكز. وتشديدها خارج عن التمضيغ، بترسل جزل وحادر بيِّن سهل، يتلو بعضها بعضاً"^(١).

(١) المصباح المنير ص ٥٥٨.

فخصص معنى (اللكز) بالمبالغة في إخراج الهمزة فوق حقهـا. وهكذا استعمله: السعيدى (٢)، والداىى (٣)، والقرطىى، وأبو العلاء الهمذانى (٤) فى معرض النهى عن المبالغة فى إخراج الهمزة بـىث فىخرجها ذلك عن رونق القراءة.

قال القرطىى عن الهمزة: "وئبغى أن فىخرجها مع النفس إخراجاً سهلاً من غير كلفة ولا عنف، وتجنب فى اللكز والهت فى مثل قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقىم)، ولا ترفه عنها فتتلاشى" (٥).

وأظنه يقصد به هنا الاجتناب عن عصرها وضغطها الشدىد فى المخرج الذى يقتضى إخراجها بعنف، والله أعلم.

أما ابن البناء فوسع من دلالة: (اللكز)، إذ جعله للهمزة، ولكل حرف فىخرجه صاحبه بـجهد عضلى زائد عن حده، فعرف اللكز بأنه "الابتداء بقلع النفس والختم به، وكذلك المبتدئ بصياح مديد والختام به، وإن لم يكن فىه لكز، وحقىقة اللكز دفع الحرف بالنفس عند شدة إخراج له به، وهو فى الاستئناف أقوى منه فى القطع.

ومن صفة اللكز وهو شبيه بالوكز الإبلاغ فى الهمزة المتحركة فوق حقهـا، وكسوة الهمزة الساكنة ضيقاً ربّما أخرجها عن السكون إلى التحرىك (٦).

١٢ - المصطلح الثانى عشر لعيوب الحروف من حيث التجوىد: (الإسمان،

والتسمىن، والسمن):

من المشترك اللفظى. تقدم.

١٣ - المصطلح الثالث عشر لعيوب الحروف من حيث التجوىد: (الزمر):

(١) نقل ذلك الداىى فى التحدىد ٩٣.

(٢) التنبىه على اللحن الجلى والحنفى ص ٩.

(٣) التحدىد ص ٧١ و ١١٨.

(٤) التمهىد ص ١٨٧ و ٢٨٦ و ٢٩٢.

(٥) الموضح ص ١٢٣ - وص ٦٦.

(٦) بىان العيوب ص ٣٧ - ٣٨.

من أصله اللغوي أن يدل على جنس من الأصوات. الزمر والزمار: صوت النعامة، يقال: زمرت تَزْمُرُ وتَزْمُرُ زَمَاراً^(١).

من العيوب التي استعملت في الميم، قال القرطبي: "الميم من حروف الشفة، وفيها غنة، ويدخل عليها بذلك شبه الزمزمة والزممر، فيراعى ذلك فيها ويجتنب"^(٢).

١٤ - المصطلح الرابع عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (شوائب الحروف):

استعمله عبد الوهاب القرطبي، وتقدم في: (الشوب).

١٥ - المصطلح الخامس عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (النسنة بحروف الصغير)

جعلها القرطبي من عيوب الصغير في الصاد والسين والزاي، قال عن ذلك: "وبعضهم يغيرها بما هو أخفى من ذلك بأن يبقها على حدود مخرجها، لكن يضغط الصوت الخارج من بين الثنايا، فيصير الصغير بها أدق من المعتاد، وهو الذي يسمى النسنة"^(٣).

١٦ - المصطلح السادس عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الإقلاق)

يدل على الإنزعاج. يقال: قَلِقَ يَقْلُقُ قَلْقًا، أي اضطرب. وأقلقه الهم: أزعجه^(٤).

استعمله ابن جني، والقرطبي.

قال ابن جني: "وسبيلك إذا اردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا؛ لأن الحركة تُقْلِقُ الحرف عن موضعه ومستقره"^(٥).

(١) مقاييس اللغة ص ٤٣٩ (ز م ر).

(٢) الموضح ص ١٢٠.

(٣) المرجع السابق ص ١١٣.

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٣١ (ق ل ق) والمصباح المنير ص ٥١٤.

(٥) سر صناعة الإعراب ٦/١.

كان هذا اللفظ من ابن جنى دافعاً للقرطبي أن يستعمله وأن يستعمل إلى جنبه: (الازعاج) في التنبيه على بعض العيوب التي يفعلها القراء، من تحريك للحرف الساكن، وكل هذه الألفاظ تدل على هذا المعنى من الاضطراب وعدم الاستقرار.

قال القرطبي عن حق الرائيين إذا اجتمعنا: "وكذلك ينبغي ان تلخص الرائيين إذا اجتمعنا والأولى متحركة والأخرى ساكنة في مثل قوله: (أقررتم) (ففررت)، وتُظهِرُ الأخيرة منهما من غير زيادة في العمل تصير بك على التكلف، ولا هزيمة تزعج السكون وتقلقه"^(١).

١٧- المصطلح السابق عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الإزعاج)

يدل أصله على الإقلاق وقلة الاستقرار. يقال: أزعجته أزعجه إزعاجاً^(٢).

استعمله القرطبي، قال: "اللام إذا سكنت في غير ادغام يجب ان تحسن تخليصها في إظهار وبيان، وتتوقى في ذلك إزعاج سكونها وتنفيذه فان هذه الحال أسرع شيء بها إلى الحركة"^(٣).

ومن ذلك قوله عن حقوق الحرف المظهر في القراءة: "فأما كيفية اللفظ بالمُظهِر فأن يكون قطعك مخرج الحرف المظهر بإسكانه وأخذك في الحرف المتحرك بعده في زمان واحد ووقت واحد من غير إبطاء يوهم التشديد، أو إزعاج يأخذ بك إلى الإقلاق والتحريك. هذا مع إخلاص سكون الساكن وإشباع حركة المتحرك"^(٤).

١٨- المصطلح الثامن عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الطَّحْر)

يدل أصله اللغوي على الحفز والرمي والقذف. يقولون: طَحَرَت العين قذاها، إذا قذفت به. والطحير: النفس العالي، وسمي بذلك لأن صاحبه يطحر^(٥).

(١) الموضح ص ١٦٨ . و٧٢ و ١٥٨ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٣٤ (ز ع ج).

(٣) الموضح ص ١٥٨ . وص ٧٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٥) مقاييس اللغة ص ٦٠٨ (ط ح ر).

عرفه ابن البناء بأنه: "إخراج الحروف بالنفس قلعا من الصدر، ولربما خفي بأكثرها مخرج الحاء والهاء لما يبالغ في إخراجها من الشدة، ومنهم من يفتح لذلك فاه حتى كأنه يصايح مخاصما له في إغضاب"^(١).

١٩ - المصطلح التاسع عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الزَّخْر)

يدل أصله اللغوي على تنفس بشدة. يقال: زخر يزحر زحيرا، وهو صوت نفسه إذا تنفس بشدة، وزحرت المرأة بولدها عند الولادة^(٢).

قال ابن البناء: "وصفته تمديد الحروف خارجا عن سنن حدها حتى تتقلص لذلك جلده الوجه"^(٣).

٢٠ - المصطلح العشرون لعيوب الحروف من حيث التجويد: (التكليم)

من أصله اللغوي أن يدل على الجرح، وهو الكَلْم، والتكليم هو التجريح^(٤).

قال ابن البناء: "وصفته تجعيد الحروف بترقيص النفس من معاليق الأحشاء"^(٥)

والمعنى غامض عندي، ولعله يريد تقطيع النفس عند النطق بالحروف فتخرج كأنها مجرحة، والله أعلم.

٢١ - المصطلح الواحد والعشرون لعيوب الحروف من حيث التجويد:

(تجعيد الحروف)

يدل أصله اللغوي على قبض في الشيء. يقال: شعّر جعدا، وهو خلاف السَّبَط^(٦).

ذكره ابن البناء في شرح معنى: (التكليم)^(٧).

(١) بيان العيوب ص ٣٨.

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٤٨ (ز ح ر) .

(٣) بيان العيوب ص ٣٨.

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٧٤ (ك ل م) ولسان العرب ١٢/٥٢٥ (ك ل م) .

(٥) بيان العيوب ص ٣٩.

(٦) مقاييس اللغة ص ٢٠١ (ج ع د) .

(٧) بيان العيوب ص ٣٩.

٢٢- المصطلح الثاني والعشرون لعيوب الحروف من حيث التجويد:

(التشريب)

تقدم ذكره في: (الإشراب).

ألفاظ نهى بعض القراء عن استعمالها في الحروف وأكثرها مجهول الدلالة:

قدّم القرطبي عدة ألفاظ بمثابة احترازات نطقية في أصوات الحروف، وأكثرها كيفية نطقه غير مفهوم، وذكر أن أئمة القراءة وضعوها، وهي ألفاظ مشتقة من أسماء أصوات لها في اللغة، قال: "وقد وضع أئمة القراءة ألفاظا اشتقوها من المعاني المستكرهة في الحروف، ودلوا بها علي ما ينبغي أن يجتنب من التحريف الغالب عليها، وجعلوا تلك الألفاظ كالألقاب لذلك، فقال:

١- "ينبغي أن لا يُنْبَر بالألف^(١).

٢- ولا يُطَبَّق بالباء^(٢).

٣- ولا يُجْهَر بالتاء.

٤- ولا يثُرثر بالثاء^(٣).

٥- ولا يُجْرَجَر بالجيم^(٤).

٦- ولا يُنْحَنَح بالحاء^(٥).

٧- ولا يُؤَخَّخ بالحاء^(٦).

(١) النبر في اللغة: صيحة الفزع. (المعجم المفصّل في الأصوات، تأليف كوكب دياب، نشر: جرّوس برس، ط١،

١٤١٦هـ=١٩٩٦م، ص ٨٩).

(٢) كأنه الحرص على ألا تفخم لأن الإطباق يستدعي التفخيم.

(٣) الثرثرة في اللغة: كثرة الكلام والإسراع فيه. (المعجم المفصّل في الأصوات ص٢٦).

(٤) الجرجرة في اللغة: تردد هدير الفحل، وهو صوت يردده في حنجرتة، والجرجرة أيضا: صوت البعير عن

الضحر، وحكاية صوت الفح، وصوت جرع الإنسان للماء. (المعجم المفصّل في الأصوات ص ٢٩).

(٥) النحنحة في اللغة: صوت الجرع من الحلق. (المعجم المفصّل في الأصوات ص ٩٠).

(٦) في اللغة: أخ كلمة تكره وتوجع وتأوه، والتأخيخ: القول: أخ. (المعجم المفصّل في الأصوات ص ١١).

٨ - ولا يُرْخَى بالذال^(١)

٩ - ولا يهْمَس بالذال.

١٠ - ولا يُهْرَهْر بالراء^(٢).

١١ - ولا يُنَزَّرَ بالزاي^(٣).

١٢ - ولا يُنْسَنَسَ بالسین^(٤).

١٣ - ولا يُنْشَنَشَ بالشین^(٥).

١٤ - ولا يُنْصَنَّصَ بالصاد^(٦).

١٥ - ولا يُعْضَضَ بالضاد^(٧).

١٦ - ولا يُحْطَطَّ بالطاء^(٨).

١٧ - ولا يُمَيَّلُ بالطاء.

١٨ - ولا يُعْنَعَنَ بالعين^(٩)

-
- (١) الإرخاء في اللغة: اللين والسهولة، فكأنه الخوف من إذهاب شدتها، والله اعلم.
- (٢) الهرهرة في اللغة: صوت الضأن، وهرهرة الأسد: ترديد زئيره، وهي التي تسمى الغرغرة، وصوت اللبن والماء عند الحلب. (المعجم المفصل في الأصوات ص ١٠٠).
- (٣) في اللغة: التزيز: صوت الظبي إذا عدا. (المعجم المفصل في الأصوات ص ٩١).
- (٤) النسنسة في اللغة: زجر البعير لدى سَوِّقِهِ، وتقدم مصطلح النسنسة بحروف الصغیر كمصطلح علمي. (المعجم المفصل في الأصوات ص ٩١).
- (٥) النشنشة في اللغة: صوت حركة الدروع والقرطاس، وصوت المقلی والثوب الجديد. (المعجم المفصل في الأصوات ص ٩٢).
- (٦) في اللغة: نصنصت الشيء حركته، وكل شيء قلقته فقد نصنصته. (لسان العرب ٧/٩٩).
- (٧) العض في اللغة: الشد بالأسنان على الشيء. (لسان العرب ٧/١٨٨). فكأنهم يقصدون إذهاب رخاوة الضاد، والله أعلم.
- (٨) في اللغة: حططت الرجل حطاً: أتزلته من علو إلى سفلى. (المصباح المنير ص ١٤١) ولعلمهم يقصدون النزول بها عن مرتبة التفتيح، والله أعلم.
- (٩) العننة ظاهرة لهجية عند بني تميم يدلون الهمزة عينا. (فقه اللغة للثعالبي ص ١٢٩).

- ١٩ - ولا يُغَرَّغَرُ بالعين^(١)
- ٢٠ - ولا يُؤَفَّفُ بالفاء^(٢).
- ٢١ - ولا يُقَلِّقَلُ بالقاف^(٣).
- ٢٢ - ولا يُكَلِّكَلُ بالكاف^(٤).
- ٢٣ - ولا يُعَلِّظُ اللام إلا في اسم الله تعالى إذا انفتح ما قبله أو انضم.
- ٢٤ - ولا يُزْمَرَمُ بالميم^(٥).
- ٢٥ - ولا يُؤَنَّ بالنون^(٦).
- ٢٦ - ولا يُتَفَلِّجُ بالواو^(٧).
- ٢٧ - ولا يُتَهَوِّعُ بالهاء^(٨).
- ٢٨ - ولا يُتَلاشَى بآياء .
- ٢٩ - ولا يُلَيِّنُ بالهمزة^(٩).

(١) من معاني الغرغرة في اللغة: الصوت مع بحج، وصوت القدر عند الغليان، وحكاية أصوات الهند والسند في الحرب. (المعجم المفصل في الأصوات ص ٧٠).

(٢) الفأفأة والتأفيف من مصطلحات البحث.

(٣) من معاني القلقلة في اللغة شدة الصياح وصوت القفل والمفتاح. (المعجم المفصل في الأصوات ص ٧٨).

(٤) الكلل في اللغة: الضعف. والكلكل: الصدر من كل شيء. (لسان العرب ١١/٥٩٦).

(٥) من معاني الزمزمة في اللغة: صوت الأسد، وزمزم الفرس في صوته إذا كان يطرب فيه، وتزمزمت الإبل تزمزما: هدرت، والزمزمة أيضا: صوت تتابع الرعد وهيب النار، وصوت خفي لا يكاد يفهم (المعجم المفصل في الأصوات ص ٥٠).

(٦) من معاني الأنين في اللغة صوت الأنن والشاة. قال ابن السكيت: أن أنينا: أخرج كلامه ضعيفا، وهو الأنين والأنان. (المعجم المفصل في الأصوات ص ١٦).

(٧) في اللغة: فلجث الشيء: شققته فلجين، أي نصفين. (المصباح المنير ص ٤٨٠) ولعلمهم يقصدون إعطاء الواو حقها من ضم الشفتين وعدم إرخائهما بها.

(٨) التهوع في اللغة: التقير بتكلف. (المصباح المنير ص ٦٤٢). ولعلمهم يقصدون النهي عن المبالغة في إخراج الهاء حتى تصل إلى درجة من يتقيا.

ثالثاً: الألفاظ التي تدل على التطريب والتلحين مما نهى القراء عنه

قدّم القرطبي عدداً من المصطلحات الصوتية أوردها عن شيخه أبي علي الأهوازي، ولم أجدها مجموعة عند غيره، فقد نَقَلَ عنه رواية جعل فيها القراءة على عشرة أساليب، قال: "اعلم أن القرآن يقرأ على عشرة أضرب من القراءة: خمسة منها نهى أئمة القراءة عن الإقراء بها، وهي: الترعيد، والترقيص، والتطريب، والتلحين، والتحزين، إذ ليس فيها أثر ولا نقل عن أحد من السلف رضي الله عنهم بل ورد عن بعضهم أنه كره القراءة بذلك"^(٢).

وذكر القرطبي أن هذه الخمسة نهى القراء عنها، كما أخبره شيخه أبو علي الأهوازي قال: "وأما الإقراء به فلا يجوز، ولا بالتطريب ولا بالترقيص ولا بالتحزين ولا بالترعيد، قال الأهوازي - رضي الله عنه - : على ذلك وجدت علماء القراءة في سائر الأمصار، قال: وسمعت أبا الفرج معافي بن زكريا الحلواني يقول: حضرت يوماً عند ابن مجاهد وقرأ عليه قارئ فطرب، فقال له ابن مجاهد: ما اطيب هذا.. أخبئهُ لبيتكم"^(٣).

استعمل للعيوب المنهي عنها في القراءة من تطريب واستعمال للألحان عدة الفاظ،
منها:
١- (التحزين) ٢- (التطريب) ٣٠ (التغبير) ٤- (التلحين) ٥- (النبر) ٦-
(الترعيد) ٧- (الترقيص).

١- المصطلح الأول للعيوب المنهي عنها من التطريب واستعمال الألحان:

(التحزين)

من المشترك اللفظي.

(١) الموضح ص ١٢٤. ولعله يقصد بالتليين: تخفيف الهمزة وعدم إعطائها حقها في مواضع التحقيق.

(٢) الموضح ص ٢١١. وقد دلنا ابن البادش على أن ابا علي الأهوازي هو صاحب هذا التقسيم. (الإقناع ٥٥٤/١ - ٥٦٢).

(٣) الموضح ص ٢١٣.

يدل أصله اللغوي على خشونة الشيء وشدة فيه، فمن ذلك الحزن، وهو ما غلظَ من الأرض، والحزن معروف. يقال: حَزَنِي الشيء يَحْزُنُنِي^(١).

استعمل: (التحزين) في أكثر من معنى، منها:

١- من أساليب قراءة النبي ﷺ. ٢- من الأساليب المنهي عنها في القراءة.

ملاحظة: أصبح هذا اللفظ من ألفاظ التضاد.

١- المعنى الأول ل: (التحزين) = من أساليب قراءة القرآن عن النبي ﷺ:

جمع الحافظ أبو العلاء الهمداني جملة أحاديث عن النبي ﷺ يبحث فيها على القراءة بالتحزين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "إن أحسن الناس قراءة؛ من قرأ القرآن يتحزن به".

وقال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل - يجب أن يُقرأ القرآن بتحزين".

وهذا كله يدل على قراءة الخشوع والتدبر، والأحاديث الأخرى فسّرت معنى التحزين، فقال رسول الله ﷺ لما سئل: من أحسن الناس صوتاً بالقرآن؟ قال: من إذا سمعت قراءته رُئيت أنه يخشى الله عز وجل".

وقوله ﷺ: "إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن أحشاهم لله"^(٢)

قال أبو علاء الهمداني: "فليس المراد من ذلك هذا التطريب المكروه، والتلحين المذموم، وإنما المراد به الترتيل، وتحسين الصوت، وحفظ الحروف، ومراعاة الوقوف، إلى ما سوى ذلك من تجويد القراءة وتحسين التلاوة، مع استشعار الخوف وارتداء الحزن ما رواه ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وبريدة"^(٣).

٢- المعنى الثاني ل: (التحزين) = من الأساليب المنهي عنها في القراءة

(١) مقاييس اللغة ص ٢٤٢ (ح ز ن).

(٢) جملة هذه الأحاديث السابقة في التمهيد في معرفة التجويد ص ١٢٣ وما بعدها .

(٣) التمهيد ص ١٢٣ .

لما كانت القراءة **بالتحزين** من الأمور المطلوبة في قراءة القرآن استغل هذا الحث بعض القراء المرئيين، فصاروا يتصنعون قراءة **التحزين**، ليُرُوا الناس أنهم خاشعون، فاستدعى ذلك من أئمة الأداء أن يَنْهَوْا عن هذا الفعل، فصار لفظ: **(التحزين)** عَلَمًا على هذا الأسلوب في القراءة، وتقدم أن القرطبي نقل عن شيخه خمسة أساليب نهى القراء عنها، ومنها: **(التحزين)**، قال القرطبي مبيناً علة النهي: "وأما **التحزين** فإنه تَرَكُّ القارئ طباعه وعادته في الدرس إذا تلا، فَيُلَيِّن الصوت ويخفض النغمة كأنه ذو خشوع وخضوع، ويجري ذلك مجرى الرياء"^(١).

٢- المصطلح الثاني للعيوب المنهي عنها من التطريب واستعمال الألحان:

(التطريب)

يدل أصله اللغوي على خفة تصيب الرجل من شدة سرور أو غيره. وقالوا: **طَرَّبَ** في صوته، إذا مده ورجَّعَه^(٢). قال الخليل: "الطرب: الشوق. والطرِب: ذهاب الحزن وحلول الفرح. طَرِبَ يطرب طرباً فهو طَرِبٌ. و**طَرَّبَ** في غنائه **تطريباً** إذا رجع صوته، وأطربني هذا الشيء"^(٣). والترجيع في أحد معانيه هو التلحين.

قديم استعمله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وأنس بن مالك رضي الله عنه، فعن ابن عباس قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذن يُطَرَّبُ، فقال رسول الله: (إن الأذان سهل سمح، فإذا كان أذانك سمحاً سهلاً وإلا فلا تؤذن"^(٤)).

وروي عن زياد النميري أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك رضي الله عنه فقيل له: اقرأ، فرفع صوته و**طَرَّبَ**، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه - وكان على وجهه

(١) الموضح ص ٢١٣.

(٢) مقاييس اللغة ص ٦١٢ _ ط ر ب) والمصباح المنير ص ٣٧٠.

(٣) العين ٧/٤٢٠.

(٤) نقل هذا الخبر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/١٥٠. وعلق عليه بقوله: فإذا كان النبي ﷺ قد منع ذلك في الأذان فأحرى ألا يجوز في القرآن الذي حفظه الرحمن اهـ.

خرقة سوداء- فقال: يا هذا، ما كذا كانوا يفعلون. وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه"^(١).

وروى إسحاق بن إبراهيم في كتابه النصائح أن سعيد بن المسيب "سمع عمر بن عبد العزيز يؤم الناس فطرب في قراءته، فأرسل إليه سعيد يقول: أصلحك الله، إن الأئمة لا تقرأ هكذا، فترك عمر التطريب بعد ذلك"^(٢).

وروي عن القاسم بن محمد أن رجلاً قرأ في مسجد النبي ﷺ فطرب، فأنكر ذلك القاسم بن محمد، قال: يقول الله: (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [فصلت: ٤١-٤٢]"^(٣).

فعَدَّ القراءة بالألحان من الباطل .

وقال إبراهيم بن يزيد النخعي: "القراءة لا تُطْرَب ولا تُرَجَّع"^(٤)

كل هذه الآثار تدل على منع القراءة بالألحان واستخدام صناعة الموسيقى وفن المقامات في تلاوة القرآن.

٣- المصطلح الثالث للعيوب المنهي عنها من التطريب واستعمال الألحان

(التغيير)

من أصله اللغوي أن يدل على لون من الألوان. والأغبر: كل لَوْنٍ لَوْنٌ غبار^(٥). قال ابن دريد: "والتغيير صوت يُرَدَّدُ بقراءة وغيرها"^(٦)

استعمله الإمام الشافعي - رحمه الله - قال الزمخشري: "ويقال للذين يتناشدون الشعر بالألحان - فيطربون، فيَرْقُصُونَ وَيَرْقُصُونَ وَيَرْهَجُونَ - المَغْبَرَة، ولتطريبهم: التغيير. وعن

(١) نقل هذا الخبر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/١.

(٢) لمحات الأنوار ١/٤١٨ - ٤١٩.

(٣) المرجع السابق ١/٤٢٢.

(٤) الموضح للقرطبي ص ٢١١.

(٥) مقاييس اللغة ص ٧٨١ (غ ب ر).

(٦) الجوهرة ١/٢٦٨.

الشافعي - رحمه الله - أرى الزنادقة وضعوا هذا لتغيير ليصدوا الناس عن ذكر الله وقراءة القرآن^(١).

وذكره ابن رشيقي القيرواني في باب الإنشاد بالشعر^(٢).

٤ - المصطلح الرابع للعيوب المنهي عنها من التطريب واستعمال الألحان:
(التلحين)

انظر: اللحن.

٥ - المصطلح الخامس للعيوب المنهي عنها من التطريب واستعمال الألحان:
(النبر)

من المشترك اللفظي، تأخر.

٦ - المصطلح السادس للعيوب المنهي عنها من التطريب واستعمال الألحان:
(الترعيد)

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على حركة واضطراب، وكل شيء اضطرب فقد ارتعد^(٣).

استعمل: (الترعيد) في أكثر من معنى، منها:

١ - من العيوب التي نهى القراء عنها. ٢ - تعبير عن التكرير في الرء.

١ - المعنى الأول ل: (الترعيد): من العيوب التي نهى القراء عنها

استعمله من العلماء: أحمد بن نصر الشذائي في وصفه لقراءة حمزة، ولم يبين المقصود منه^(٤)، ونقل ذلك أبو العلاء الهمداني^(٥).

(١) أساس البلاغة ص ٤٤٤.

(٢) العمدة ٣١٣/٢.

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٩٠ (ر ع د).

(٤) نقل ذلك عنه الداني في التحديد ص ٩٣.

(٥) التمهيد ص ١٨٨.

قال ابن البناء: "وصفُّه تعليق الصوت بترديد الحنجرة كأنه يروم منزلة من التطريب، والحدرد في إفساد الحروف، ومنع لمدارج الكلام من إمضائها على سواء"^(١).

وقال القرطبي: "وأما الترعيد في القراءة فهو أن يأتي بالصوت إذا قرأ مضطرباً، كأنه يرتعد من برد أو ألم، وربما لحق ذلك من يطلب الألمان"^(٢).

وهذا يدل على النهي عن تهميز الصوت والتنعم به والتلوين الصوتي في القراءة في نفس الحرف، وخاصة حروف المد التي تقبل ذلك، قال القرطبي: "ينبغي أن يكون الصوت في المد سليماً من ترعيد وتمطيط، خالصاً من اضطراب وتهميز، صافياً من إجراء النفس معه وتكدير روقنه به..."^(٣) وتابعه: أبو العلاء الهمذاني^(٤).

٢- المعنى الثاني ل: (الترعيد) = تعبير عن التكرير في الراء

استعمله ابن سينا للتعبير عن اهتزاز طرف اللسان في الراء، قال: "وإذا كان الحبس أيسر وليس قويا ولا واحداً، بل يتكرر الحبس في أزمته غير مضبوطة كان منه الترعيدات في الإيقاعات، وذلك لشدة اهتزاز سطح اللسان حتى يحدث حبسا بعد حبس غير محسوس حدت الراء"^(٥).

وهذا الوصف الدقيق يحل إشكالا عند القراءة في إخفاء تكرير الراء جملة، أو إبقائه، وما وجه النهي عن التكرار فيه؟ فجاء هذا النص ليبين لنا أن التكرار هو اهتزاز خفي لطرف اللسان بحيث أن اللسان لا يتجافى عن موضعه بل يهتز سطح اللسان كما ذكر، وهذا الاهتزاز الخفي هو الذي يجري صوت الراء، وأن وجه النهي هو عن المبالغة في التكرار حتى ينفصل طرف اللسان عن المخرج، والله أعلم. وقد تقدم الحديث عن الترعيد ضمن تكرير الراء دون إفراده كمصطلح مستقل.

(١) بيان العيوب ص ٣٨.

(٢) الموضح ص ٢١٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٣٤.

(٤) التمهيد ص ١٣٠.

(٥) أسباب حدوث الحروف ص ٨٢.

٧- المصطلح السابع للعيوب المنهي عنها من التطريب واستعمال الألحان:

(الترقيص)

يدل أصله اللغوي على النَّقْزَان. يقال رقص رقصاً ورقصاً، ويقال: أرقص البعير: حمّله على الخبب. ورقصت المرأة ولدها^(١).

قال عبد الوهاب القرطبي: "وأما الترقيص فهو أن يروم السكوت على السواكن ثم ينفر مع الحركة كأنه في عَدْوٍ وهرولة، وربما دخل ذلك على من يريد التجويد والتحقيق، وهو أدق معرفة من الترعيد"^(٢).

التدريبات النطقية وتصحيح الكلام

التدريب وتصحيح النطق سنة من سنن العرب في كلامها، فقد كانوا يعلمون أهمية التدريب النطقي في الكلام في حفظ ألسنتهم من التلكؤ اللغوي والانحراف النطقي، ويرون أن طول الصمت يفسد اللسان، قال الجاحظ مبيناً أهمية الرياضة النطقية: "وطول الصمت يفسد اللسان... وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواتره، وتبلدت نفسه، وفسد حسه. وكانوا يُرَوُّون صبيانهم الأرجاز، ويعلمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت، وتحقيق الإعراب؛ لأن ذلك يفتق اللهاة ويفتح الجُرم.

واللسان إذا أكثر ثقله رق ولان، وإذا أقلت ثقله وأطلت إسكاته جساً وغلظ. وأي جارحة منعتها الحركة، ولم تمرنها على الاعتمال، أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع"^(٣).

وقد اهتم علماء البلاغة والبيان بهذا الجانب وبينوا أهميته في تحقيق الفصاحة في الكلام، ثم استلم أهل التجويد الراية منهم فأحرزوا فيه سبق، قال الداني: "فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته، من

(١) مقاييس اللغة ص ٣٩٧ (رق ص) والمصباح المنير ص ٢٣٥.

(٢) الموضح ص ٢١٢.

(٣) البيان والتبيين ١/١٨٤.

غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف، وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكته"^(١).

المستعملة لتصحيح الكلام والتدريب النطقي

استعمل لتصحيح الكلام والتدريب النطقي عدة ألفاظ، منها:

- ١- (التجويد) ٢- (جزم الكلام)، ٣- (العلاج)، ٤- (الإخلاص، التخليص، التخلص) ٥- (الصافي، التصفية) ٦- (التَّعْمَل، الاعتمال) ٧- (التكلف) ٨- (تفكيك الحروف، الفك) ٩- (الإنعام) ١٠- (التلطف).

١- المصطلح الأول لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (التجويد)

من المشترك اللفظي.

يدل أصله اللغوي على التسمُّح بالشيء وكثرة العطاء. قال الخليل: جاد الشيء يجود جَوْدَةً فهو جيد. وجاد الفرس يجود جَوْدَةً فهو جواد. وجاد الجواد من الناس يجود جَوْدًا، وقوم أجواد. وجَوَّدَ في عَدُوِّه تجويداً، وعدا عَدُوًّا جَوَادًا^(٢).

استعمل في أكثر من معنى، منها:

- ١- تحسين التلاوة وتصحيح النطق. ٢- علم التجويد الخاص بتصحيح التلاوة وهو نتيجة للمعنى الأول. ٣- أسلوب من أساليب القراءة المحمودة.

١- المعنى الأول ل: (التجويد) = تحسين التلاوة وتصحيح النطق

استعمله من العلماء: حمزة بن حبيب الزيات، وابن مجاهد، والشذائي^(٣)، وأبو جعفر السعيدي.

قال حمزة الزيات: "تعلمنا جودة القراءة عند ابن أبي ليلى"^(٤).

(١) التحديد ص ٦٨.

(٢) العين ١٦٩/٦ ومقاييس اللغة ص ٢١٣ (ج و د).

(٣) التحديد ص ٩٣.

(٤) غاية النهاية لابن الجزري ١٦٥/٢.

وقال ابن مجاهد: "اللحن في القرآن لحنان: جلى وخفى، فالجلى: لحن الإعراب، والخفى: ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه"^(١).

وقال السعيدي: "ويؤمر القارئ بتجويد الضاد من غيرها، خاصة إذا لقيتها ظاء"^(٢).

٢- المعنى الثاني ل(التجويد) = علم التجويد الخاص بتصحيح التلاوة:

كان ما جاء في المعنى الأول هو الإرهاصة والأساس الأول لنشأة علم التجويد^(٣). حيث ظهرت مؤلفات هذا الفن المكتملة: ك: (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) لمكي بن أبي طالب القيسي، و(التحديد في الإتقان والتجويد) للداني و(الموضح في التجويد للقرطبي) و(التمهيد في معرفة التجويد) لأبي العلاء الهمداني.

وتضمنت هذه الكتب كل ما يحتاجه قارئ القرآن من معرفة للأصوات وأحكام تركيبها وكان الذي ينقصها هو شيء واحد وهو معرفة حدوث الصوت والأمور الفيزيائية المتعلقة به.

وتقدم تعريف الداني للتجويد وعرف الهمداني التجويد فقال: "تجويد القراءة وتبويرها: هو تصحيح الحروف وتقويمها، وإخراجها من مخارجها، وترتيبها مراتبها، وردها إلى أصولها، وإحاقها بنظائرها، من غير إفراط يؤدي إلى التشنيع، ولا نقصان يُفضي إلى التضييع، بل بملاحظة الرفق والسهولة، ومجانبة الشدة والصعوبة، ومتى ما أحل التالي بشيء من وصفها فقد أزالها عن حدها ورفضها. والتجويد زينة القراءة وحلية التلاوة"^(٤).

وقد أضاف الهمداني أموراً من شروط كمال القراءة، وهي: حسن الصوت، وجودة الفك، وذراية اللسان، وصحة الأسنان^(٥).

(١) نقل ذلك عنه الداني في التحديد ص ١١٦.

(٢) التنبيه على اللحن الجلى والخفى ص ٣٣.

(٣) انظر: رحلة العلم الصوتي عند أصحاب المدرسة النقلية في الباب الأول.

(٤) التمهيد في معرفة التجويد ص ٦٢.

(٥) المرجع السابق ص ١٨٩.

ولا أظن أن علم الأصوات المعاصر يعدو هذه القضايا والأمور المتعلقة بتصحيح النطق، وإن كانت الأهداف والتعلقات مختلفة ومتفاوتة بين العُلمين.

٣- المعنى الثالث لـ (التجويد) = أسلوب من أساليب القراءة المحمودة

جعل القرطبي: (التجويد) من الأساليب الخمسة التي يُقرأ القرآن بها، في قوله: "وخمسة منها أجاز الأئمة الإقراء بها، ونقلت عنهم على اختلاف فيها، وهي: التحقيق، واشتقاق التحقيق، والتجويد، والتمطيط، والحدرد"^(١).

قال: "وأما التجويد فهو أن يضيف إلى ما ذكرته في الحدرد مراعاة تجود الإعراب، وإشباع الحركات، وتبيين السواكن، وإظهار بيان حركة المتحرك بغير تكلف ولا مبالغة"^(٢). وذكر أن هذا الأسلوب هو كالأسلوب الذي وُصِفَتْ به قراءة ابن عامر والكسائي. وأظنه يعني ما رواه الشذائي من وصف لقراءة القراء السبعة^(٣).

٢- المصطلح الثاني لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (جَزْمُ الكلام)

استعمل الخليل: (جزم الكلام) بمعنى أن "تُوضَع الحروف في مواضعها في بيان ومهل"^(٤).

٣- المصطلح الثالث لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: المصطلح: (العلاج)

يدل أصله اللغوي على تمرس ومزاولة في جفاء وغلظ. والعلاج: مزاولة الشيء ومعالجته. تقول: عاجلته علاجاً ومعالجة^(٥).

استُعمل: (العلاج) في أكثر من موطن صوتي، منها:

١- وصف خروج الألف والفتحة بلا إعاقه من أعضاء النطق.

(١) الموضح ص ٢١١. وقد دلنا ابن الباذش على أن أبا علي الأهوازي هو صاحب هذا التقسيم. (الإقناع ٥٥٤/١ - ٥٦٢).

(٢) الموضح ص ٢١٤.

(٣) التحديد للداني ٩٢ - ٩٣.

(٤) العين ٧٣/٦.

(٥) مقاييس اللغة ص ٦٦٨ (ع ل ج).

٢- التعبير عن تحقيق الانسجام بين الصوتين في الفتح والإمالة.

٣- وصف تحريك الشفتين في الإشمام.

٤- زوال مخرج النون الفموي إذا جاء بعدها أحد حروف الإخفاء الخمسة عشر.

١- الموطن الأول لـ (العلاج) = وصفُ خروج الألف والفتحة بلا إعاقه من

أعضاء النطق:

ذكر سيويه أن الألف "ليس منها علاج على اللسان والشفة، ولا تُحَرِّكُ أبداً، فإنما هي بمنزلة النفس"^(١).

وتابعه: مكّي^(٢)، والقرطبي^(٣).

وذكر المبرد أن "الفتحة لا علاج فيها"^(٤).

٢- الموطن الثاني لـ: (العلاج) = التعبير عن تحقيق الانسجام بين الصوتين

في الفتح والإمالة:

استعمل الداني: (العلاج) في وصف الغرض من الإمالة، قال عن إمالة الألف من أجل كسرة الراء في نحو (بقنطار): "فَقَوِيْتُ بِذَلِكَ عَلَى اجْتِدَابِ الْأَلْفِ عَلَى كَسْرَتِهَا، فَأَمَّا لِيُجَانِسَ صَوْتِ كَسْرِ الرَّاءِ، فَيَحْسُنُ بِهَا السَّمْعَ، وَيَخْفُ فِي النَّطْقِ؛ لِيَكُونَ الْعَمَلُ وَالْعِلَاجُ بِذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ"^(٥).

وقال عن سبب امتناع الإمالة في ألف (فَأَجَاءَهَا): "فإنه لما قد اجتمع في أول هذه الكلمِ همزةٌ وفي آخرها همزةٌ- والهمزةُ حرفٌ حلقِيٌّ من حيز الألف التي الفتحُ منها- فَتَحُوا مَا

(١) الكتاب ٣٣٥/٤.

(٢) الرعاية ص ١٢٧ و ١٦٠.

(٣) الموضح ص ٩٧.

(٤) المتقضب ١/٢٥٥.

(٥) الموضح لمذهب القراء ل ٨/أ.

بين الهمزتين من الكمة؛ طلباً للتخفيف، وكون العلاج بالصوت فيها كلها من جهة واحدة، وهو الفتح^(١).

٣- الموطن الثالث ل: (العلاج) = وصف تحريك الشفتين في الإشمام:

استعمله الداني للتعبير عن وصف ضم الشفتين في الإشمام، قال: "وأما الإشمام فهو لرؤية العين لا غير... ويستعمل فيما يُعالج بالشفتين من الحركات، وهو الرفع والضم لا غير"^(٢).

٤- الموطن الرابع ل: (العلاج) = زوال مخرج النون الفموى إذا جاء بعدها أحد حروف الاخفاء الخمسة عشر:

قال القرطبي: "فهى متى سكنت وجاء بعدها حرف من هذه الحروف فمخرجها الخيشوم، لا علاج على الفم في إخراجها"^(٣).

وقال: "ولو تكلف متكلف إظهارها وأخرجها من الفم لأمكن، ولكن بعلاج، وهذا يبين بالمحنة"^(٤).

٤- المصطلح الرابع لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (الخالص والتخلص والإخلاص والتخليص والتخلص)

يدل أصلها اللغوي على تنقية الشيء وتهذيبه. يقولون: خَلَّصْتَهُ من كذا، وخَلَّصَ هو،^(٥) وخَلَّصْتُهُ تخليصاً: نحيته من كل شيء ينشب، وتخلصته كما يتخلص الغزل إذا التبس^(٦).

(١) الموضح ل ٢٤/أ.

(٢) التحديد ص ١٧٠.

(٣) الموضح ص ٨١.

(٤) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٥) مقاييس اللغة ص ٣٠٩ (خ ل ص).

(٦) العين ١٨٧/٤.

والخالص والخُلوص من: خَلَصَ. والإخلاص والمخلص من: أخلص. والتخليص والتخلص من: خَلَّصَ وتَخَلَّصَ.

واستعمالات هذه الألفاظ كثيرة تضيق بها هذه الدراسة، لكن حسي أني سأشير إلى أشهرها.

١ - الموطن الأول: إرادة الأصل:

استعملها سيويه^(١)، وأبو عثمان المازني^(٢)، والمبرد^(٣)، والزجاج^(٤)، والنحاس^(٥)، والأزهري^(٦)، وابن خالويه^(٧)، وأبو علي الفارسي^(٨)، وابن جني^(٩)، وطاهر بن غلبون^(١٠)، ومكي بن أبي طالب^(١١)، والداني^(١٢)، وابن بليمة^(١٣).

مثال ذلك: شرح مكي لمعنى همزة بين بين، قال: "فلا هي همزة محققة خالصة، ولا هي حرف آخر خالص غير الهمزة، لكنها في حال تخفيفها بين حرفين بزنتها محققة"^(١٤).

(١) الكتاب ٤/٤٤٨.

(٢) نقل ذلك عنه ابن جني في المنصف ١/٢٤٨ - ٢٤٩.

(٣) المقتضب ١/٢٩٥.

(٤) معاني القرآن وعرابه ١/٧٧.

(٥) إعراب القرآن ١/٢١١.

(٦) معاني القراءات ٢/٣٥٢.

(٧) الحجة ص ٢٧٦.

(٨) التكملة ص ٢٥٢، والحجة ١/٥٠ و ٥٦ و ٣٢٨ و ٣٤٦.

(٩) المنصف ١/٢٤٩، والخصائص ٢/٣٥١ - ٣٥٢ - ١/٣٣٨، والمحتسب ١/١٣٠، وسر صناعة الإعراب ١/٤٩.

(١٠) التذكرة ٢/٢٥٠ و ٤٨٤ و ٥٦٧.

(١١) الرعاية ص ١٠٨ و ١١٠.

(١٢) المخطوط من جامع البيان ل ١٤١/أ، والمطبوع ٢/٣٦٦، والتيسير ص ٧٢ و ٩٧ و ١٢٥ و ١٨١، والتحديد ص ٩٧.

(١٣) تلخيص العبارات ص ١٥٣.

(١٤) الرعاية ص ١١٠ - ١١١. وفي كلام مكي رد واضح جلي على من يظن أن تسهيل الهمزة يكون بإبدالها هاء.

٢- الموطن الثاني: التحويل إلى أصل:

استعمله: سيويه^(١)، والأخفش^(٢)، والمبرد^(٣)، والزجاج^(٤)، وابن مجاهد^(٥)،
والنحاس^(٦)، والأزهري^(٧)، وابن خالويه^(٨)، وأبو علي الفارس^(٩)، وابن جني^(١٠)، ومكي
بن أبي طالب^(١١)، والداي^(١٢).

مثال ذلك: ذكر المبرد أن تخفيف الهمزة الساكنة في نحو: (رأس، وجؤنة، وذئب)
يكون بإبدالها بحسب حركة ما قبلها، قال: "فإذا كانت ساكنة فإنما تقلبها على ما قبلها،
فَتُخْلِصَهَا ياء أو واو أو ألفا"^(١٣).

وذكر الداوي أن أحد أحوال النون الساكنة والتنوين "أن يقلبا ميمًا خالصة من غير
إدغام، وذلك عند الباء خاصة، وسواء كانت النون معها في كلمة أو كلمتين، نحو قوله:
(ويؤمن بالله)، و(من بعد ذلك) و(من بينهم)، و(أنبئهم)، و(أنبئوني)، و(أنبئكم)"^(١٤).

٣- الموطن الثالث: بيان الشيء وإظهاره ونقاؤه:

-
- (١) الكتاب ٤/٤٦٠ و ٤٧٨ - ٤٧٩.
 - (٢) معاني القرآن ١/٢٠٢ - ٢٠٣.
 - (٣) المقتضب ١/٢٩٣ - ٢٩٤.
 - (٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٨٠ و ١٩٢ و ٣/٢٧٥.
 - (٥) السبعة ص ١٠٥.
 - (٦) إعراب القرآن ١/١٩٠.
 - (٧) معاني القراءات ٢/١٠٧.
 - (٨) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ٢٨.
 - (٩) الحجة ١/٥٠ و ٣٥٤ و ٢/٢٤٤ و ٤/١٠١، والنكلمة ص ٣٧.
 - (١٠) سر صناعة الإعراب ١/٥٠ و ٢/٥٧٣ و ٨١٧، والمنصف ١/١٠٣، والخصائص ٢/٢٣٠ و ٣٥١،
والمختضب ٢/٣٢٩.
 - (١١) الرعاية ص ١٤٧.
 - (١٢) جامع البيان ٢/٦٠٩.
 - (١٣) المقتضب ١/٢٩٤ و ١/٣٠٢.
 - (١٤) جامع البيان ٢/٧٣٤. وفي قول الداوي: (ميمًا خالصة) رد واضح على الذين يقرؤون بلا إطباق للشفتين
في النون عند الباء.

استعمله: المبرد^(١)، ومكي^(٢)، والداني^(٣)، والقرطبي^(٤)، وابن الطحان الأندلسي^(٥).

مثال ذلك: تنبيه الداني على إظهار الساكن قبل الإشارة بالشفيتين إلى الحركة المضمومة، وصلاً في نحو: (تأمننا)، ووقفاً في نحو: (نستعين)، قال: "وأما المُشَّمُّ من الحروف في حال الوصل أو الوقف، فحقه أن يُخْلَصَ سكون الحرف ثم يُومَى بالعضو - وهما الشفتان - إلى حركته ليدل بذلك عليها من غير صوت خارج إلى اللفظ، وإنما هو تهئية بالعضو لا غير، ليعلم بالتهئية أنه يراد المهياً له، ولا يعرف ذلك الأعمى، لأنه لرؤية العين. ويختص به من الحركات الرفع والضم، لا غير، لأنهما من الواو، والواو تخرج من الشفتين وفيهما تعالج"^(٦).

٤ - الموطن الرابع: تنقية الحرف عن تأثير مجاوره عند التركيب:

تقدم. استعمله: السعيدى^(٧)، ومكي^(٨)، والداني^(٩)، والقرطبي^(١٠)، والهمذاني^(١١).
وجميعهم من أئمة علماء التجويد.

مثال ذلك: تنبيه مكي القارئ على المحافظة على بيان السين في موضعها، بإظهار صفيها، في نحو: (وأسروا الندامة) (وأسروا النجوى) لئلا يصيران إلى لفظ قوله: (وأصروا

(١) المقتضب ١/٣٣٠، وأصله قول سيبويه في الكتاب ٤/٤٥٤: "وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم اهـ.

(٢) الرعاية ص ١٧١.

(٣) المطبوع من جامع البيان ٢/٤٤٢ و ٤٧٥ والتيسير ص ٣٦، والتحديد ص ٩٩ و ١٠٤ و ١٤٨.

(٤) الموضح ص ٩٣ و ١٠٩ و ١٥٨.

(٥) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل ٨/ب.

(٦) التحديد ص ٩٦.

(٧) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ص ٤٢.

(٨) الرعاية ص ٢١٤.

(٩) التحديد ص ١٦٢.

(١٠) الموضح ص ٦٧ و ١٠٣ و ١١٧ و ١٦٢ و ١٧٨ و ٢٠٤ و ٢٠٥.

(١١) التمهيد في معرفة التجويد ص ٢٩٠ و ٢٩٤.

واستكبروا) فيجب عليه أن يخلصهما بذلك من لفظ الصاد، لأنهما من السر، والثاني من الإصرار^(١).

٥- الموطن الخامس: الإدغام الكامل:

ومعناه: أن لا يبقى شيء من الحرف الأول، وهو الأصل في الإدغام.

لقب الداني الإدغام إذا كان كذلك ب: (الإدغام الخالص) معرفا إياه بأنه: "إدخال الحرف في الحرف، وتغييبه فيه، فيذهب أثر الأول منهما، ويشدد الثاني"^(٢).

٦- الموطن السادس: تجويد الحروف:

ذكر الرماني أن من الأحرف الفرعية المستقبحة من "يجري مجرى اللثغة في العجز عن إخراج الحرف على حقه، وهي الكاف كالجيم، والجيم كالكاف. فهذا ضعيف جدا لتباعد ما بين الحرفين، وهو دليل على العجز عن إخلاص الحرف على حقه"^(٣).

٧- الموطن السابع: الفتح ضد الإمالة

تقدم في الفتح ضد الإمالة.

٨- الموطن الثامن: الإمالة الكبرى:

لقبها الداني ب: (الإمالة الخالصة)^(٤). ونبه إلى أحد الأوجه المقروء بها في نحو: (بشرى)، (دار القرار)، فقال: "ومنهم من يُخْلِصُ الإمالة"^(٥).

٥- المصطلح الخامس لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (الصافي،

التصفية)

(١) الرعاية ص ٢١٤.

(٢) المطبوع من جامع البيان ٦٨٧/٢. و٤٠٩/٢ والمخطوط من فرش الحروف ل ٢١٥/أ.

(٣) شرح كتاب سيبويه ل ١٩٠/ب.

(٤) جامع البيان ٨٣٣/٣ و ٨٤١ و ٨٩٨.

(٥) التحديد ص ١٥٦.

يدل أصله اللغوي على خُلوص من كل شوب، من ذلك الصفاء، وهو ضد الكَدْر^(١).

١- الموطن الأول لـ (الصافي، التصفية) = إرادة الأصل أو التحويل إلى أصل:

استعملها خلاد بن خالد الكوفي^(٢)، وابن مجاهد^(٣)، وابن مهران^(٤)، وابن سفيان القيراوي^(٥)، وأبو معشر الطبري^(٦)، وكلهم من القراء.

مثال ذلك: ذكر خلاد بن خالد الكوفي أن سليم بن عيسى (أخص تلامذة الإمام حمزة الزيات) "لم يكن يشم الصاد الزاي في القرآن كله غيرها^(٧)، ويُصَفِّي الصاد في القرآن كله"^(٨). يعني: يقرأ بصاد في جميع القرآن إلا (الصراط).

٢- الموطن الثاني لـ: (الصافي، التصفية) = في بيان الشيء وإظهاره ونقائه:

استعملها القرطبي حيث نبه إلى أن يكون الصوت في المد "صافيا من إجراء النفس معه وتكدير رونقه به، سيما إذا كان مدَّتان بينهما همزة في مثل قوله تعالى: (لمن يخشى ءأنتم)، (على ءأثرهم)، (لما ءأتيتكم)؛ لأن الصوت بعد استيفاء المد الأول يكاد يضعف فيستند إلى إجراء النفس معه. وربما كان عادة مستكرهة"^(٩).

٣- الموطن الثالث لـ: (الصافي، التصفية) = في تصفية الحرف عن تأثير

مجاوره عند التركيب:

(١) مقاييس اللغة ص ٥٤٥ (ص ف و).

(٢) السبعة لابن مجاهد ص ١٠٧.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٧.

(٤) المسوط ص ١٥٨.

(٥) الهادي ٢/٢٦٢.

(٦) التلخيص ص ٢٠١ و ٢٩٥.

(٧) يقصد كلمة: (الصراط).

(٨) السبعة البن مجاهد ص ١٠٧.

(٩) الموضح ص ١٣٤.

مكي^(١)، والدايني^(٢)، والقرطبي^(٣)، والهمداني^(٤).

مثال ذلك: ذكر مكي أنه "يجب على القارئ أن يصفى لفظ الصاد، ويعطيها حقها الإطباق والاستعلاء اللذين فيها"؛ لئلا تخرج إلى لفظ السين^(٥). وكذلك إذا جاورها دال "وجبت المحافظة على تصفية لفظ الصاد لئلا يخالطها لفظ الزاي .. وذلك نحو: (قصد السبيل)، (يصدر)^(٦).

٦- المصطلح السادس لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (التَّعْمَلُ،

الاعتمال):

استعمله: الجاحظ، وابن مجاهد، والدايني^(٧)، والقرطبي^(٨)، وأبو العلاء الهمداني.

مثال: قال الجاحظ: "واللسان إذا أكثرت تقلبيه رق ولان، وإذا أقلت تقلبيه وأطلت إسكاته جَسًا وَعَلْظًا، وأية جارحة منعتها الحركة، ولم تُمَرَّهَا على الاعتمال، أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع^(٩).

وقال ابن مجاهد: "النون الساكنة والتنوين تُبَيِّنَان عند الحاء والهاء والعين ضرورة من غير تعمل^(١٠).

وقال الهمداني عن الشين المتحركة: "ويجب أن يُتَعَمَّل لانعامها وتقشيتها، وذلك نحو قوله: (شهداء) [البقرة: ١٣٣] و(شفعوا) [الروم: ١٣] و(شراب) [الأنعام: ٧٠] ونظائرها"^(١١).

(١) الرعاية ص ٢١٥ و ٢١٨ و ٢١٩.

(٢) التحديد ص ١٤٦.

(٣) الموضح ص ١٦٩.

(٤) التمهيد ص ٢٩٥.

(٥) الرعاية ص ٢١٥.

(٦) المرجع السابق ص ٢١٨.

(٧) التحديد ص ١١١ و ١٢٩ و ١٣٠.

(٨) الموضح ص ١٠٠ و ١٥٨ و ١٦٧ و ٢٠٢.

(٩) البيان والتبيين ١/١٨٤.

(١٠) التحديد للدايني ص ١١٢.

٧- المصطلح السابع لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (التكلف)

يدل الأصل اللغوي على حمل الشيء على مشقة، كَلِفْتُ الأمر - من باب تَعَب - حملته على مشقة.

ويتعدى إلى مفعول ثان بالتضعيف، فيقال: كلفته الأمر فتكلفه، أي حملته إياه على مشقة. والكُلْفَةُ: ما تُكَلَّفُهُ على مشقة. والكلفة أيضا: ما يتكلف من نائبة أو حق^(٢).

استعمل: (التكلف) في أكثر من معنى، منها:

١- حمل الشيء على مشقة في النطق. ٢- الاجتهاد في تجويد الحرف وتصحيح النطق ورياضة اللسان. ٣- من عيوب النطق. ٤- المد الفرعي بسبب الهمزة أو السكون.

١- المعنى الأول لـ: (التكلف) = تجويد الحرف وتصحيح النطق ورياضة

اللسان:

عبّر الجاحظ بـ: (التكلف) عن التمرينات والتدريبات النطقية، فذكر أنه بطول استعمال التكلف تدل الجوارح، ومتى ترك الإنسان شمائله على حالها، ولسانه على سجيته كان مصقوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه^(٣).

وأطلق ابن قتيبة على علم التجويد: (التكلف) لما فيه من اجتهاد لتصحيح النطق، والتدرب عليه من الذين ليس لهم طبع العرب ولا فطرة النطق^(٤).

وفي مثل ذلك تحدث الأزهري عن الفرق بين العربي المطبوع والحضري المتكلف^(١).

(١) التمهيد ص ٢٩٦.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٧٦ (ك ل ف)، و المصباح المنير ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٣) البيان والتبيين ١/٥٢. ولعل هذا النص هو إرهاصة لكلام الداني في التحديد ص ٦٨: "وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكه" اه.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٥٨ وسمي المجودين في موضع آخر بـ: (المتكلفين)، قال في ص ٤٢: "لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرؤوا بلغاتهم، وجروا على عادتهم، وخلوا أنفسهم وسوم طبائعهم، فكان ذلك جائزاً لهم ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل عارفين بالتأويل، فأما نحن معشر المتكلفين، فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض، وليس لنا نعدوه" اه. ويشبه حديث ابن قتيبة حديث الفراء من قبله بأن القراء من المولدين صناعة. (معاني القرآن).

ويأتي هذا المصطلح في مرحلة سابقة على مصطلح : (علم الأصوات والحروف) الذي كان ظهوره في القرن الرابع الهجري، ومصطلح (علم التجويد) الذي كان أول ظهوره كمصطلح علمي في القرن الخامس الهجري^(٢).

وما قاله الجاحظ وابن قتيبة يكشف عن العلاقة بين البلاغيين وما قاله أهل التجويد في كتبهم؛ حيث تعلّقوا بالاحترازمات النطقية وتصحيح النطق.

وقال مكّي عن الضاد: "فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتي بغير لفظها، وأخلّ بقراءته. ومن تكلف ذلك وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعاً وسجية"^(٣).

واستعمله القرطبي، قال: "وأشبع بيان حركة الواوين بتكلف وتثبّت في مثل قوله تعالى: (ووضع الكتاب)، (وورث سليمان)، وما أشبه ذلك"^(٤).

وذكر أبو العلاء الهمداني أن "الضاد يتكلف إخراجها من أحد الشدقين، وهو عسر المخرج"^(٥).

٢- المعنى الثاني ل: (التكلف) = الجهد العضلي الشاق المبذول على أعضاء

النطق:

ذكر ابن السراج أن قراءة : (الصرط) بالصاد أخف من إثمّام الصاد زائياً، قال: "والاختيار عندي الصاد؛ للخفة والحسن في السمع، وهو غير مُلبس... وأما القراءة بالمضارعة التي بين الزاي والصاد، فعدلت عن القراءة بها؛ لأنه تكلف حرف بين حرفين، وذاك أصعب على اللسان"^(٦).

(١) معاني القراءات ١/١٣٦.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ١٣ وما بعدها .

(٣) الرعاية ص ١٨٥ وص ٢٢٠.

(٤) الموضح ص ٢٠٠.

(٥) التمهيد ص ٢٧٧.

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي ١/٥٠ - ٥١.

واستعمله أبو بكر ابن الأنباري^(١).

ووصف ابن جني الهمزة بأنها لما سفلت في الحلق، وبعدت عن الحروف كان النطق بها **تكلفاً**، أي شاقاً^(٢).

وقال مكّي عن الصاد: إن اللفظ بها أقوى وأكثر **تكلفاً** على اللسان من السين لما فيها من الإطباق والاستعلاء^(٣).

وقال عن الضاد: "والضاد أصعب الحروف **تكلفاً** في المخرج، وأشدّها صعوبة على الالفاظ"^(٤).

ونبه على الإدغام من غير **تكلف شديد** في الهاءين إذا التقتا، نحو: (يوجهه)، ونحو ذلك قال عن العينين^(٥).

واستعمله أبو العلاء الهمداني في حديثه عن امتناع جري النفس مع المجهور حتى لو **مُهل** على ذلك بالقوة، قال: "ألا ترى أنك لو **تكلفت** الحرف مع جري النفس لم تقدر عليه"^(٦).

٣- المعنى الثالث ل: (التكلف) = من عيوب النطق والأداء:

استعمل محمد بن الهيثم أبو عبد الله الكوفي: (التكلف المكروه) كعيب من عيوب القراءة في معرض دفاعه عن الإمام حمزة بين حبيب الزيات^(٧). ومعنى ذلك أن هناك **تكلفاً** محموداً هو ما ذكر في النقطة السابقة.

وتابعه: القرطبي^(١).

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢٣٦/١.

(٢) سر صناعة الإعراب ٧١/١.

(٣) الرعاية ص ٢١٦.

(٤) المرجع السابق ص ١٨٥ وص ٢٢٠.

(٥) التحديد ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٦) التمهيد ص ٢٨٠.

(٧) نقل ذلك عنه أبو العلاء الهمداني في التمهيد ص ١٣٤.

وجعل جعفر بن يحيى، وهو من علماء الأدب: (التكلف) أحد عيوب البلاغة^(٢).

٤- المعنى الرابع: (التكلف) = المد الفرعي بسبب الهمزة أو السكون:

قسم الداني المد إلى طبيعي ومتكلف، ويعني بالمتكلف المد الذي يتوقف على سبب من همزة أو سكون، قال: "وأما الممدود فعلى ضربين: طبيعي ومتكلف... والمتكلف حقه أن يزداد في تمكين الألف والياء والواو على ما فيهن من المد الذي لا يوصل إلى النطق بهن إلا به، من غير إفراط في التمكين ولا إسراف في التمطيط، وذلك إذا لقيهن الهمزات والحروف السواكن لا غير"^(٣).

٨- المصطلح الثامن لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (الإنعام)

من المشترك اللفظي. يدل أصلها اللغوي على ترفه وطيب عيش وصلاح. نعم عيشة ينعم: اتسع ولان. ونَعَمَ الشيء نعومة: لان ملمسة فهو ناعم. وأنعمت عليه إنعاما. ونعمه الله تنعيما: جعله ذا رفاهية. وإذا عملت شيئا فأنعِمه، أي: أجده، وأحسن فلان وأنعم: أجاد وزاد على الإحسان^(٤).

استعمل لفظ: (الإنعام) في العناية بتجويد الأصوات وإظهارها.

استعمل الخاقاني: (الإنعام) في التنبيه على إظهار صوت العين والهاء، في منظومة الشهيرة التي تُعدُّ من أول ما ألف في علم التجويد^(٥)، قال:

"وَأَنْعَمَ بِيَانِ الْعَيْنِ وَالْهَاءِ كَلْمًا دَرَسْتَ وَكُنْ فِي الدَّرْسِ مُعْتَدِلَ الْأَمْرِ"^(٦)

(١) الموضح ص ٢١٦.

(٢) الصناعتين للعسكري ص ٥٣.

(٣) التحديد ص ٩٨.

(٤) مقاييس اللغة ص ٩٩٧ (ن ع م)، وأساس البلاغة ص ٦٤٣ والمصباح المنير ص ٦١٤.

(٥) غاية النهاية ٢/٣٢٠-٣٢١.

(٦) المنظومة الخاقانية ص ٢٥.

وتابعه أهل التجويد، فاستعمله الداني بكثرة في التنبيه على تجويد بعض الأصوات وبيانها كنوع من الاحترازات النطقية، فمن ذلك: صوت الضاد، قال عنها: "وهو حرف مستطيل، مجهور، مطبق، مستعل، فينبغي للقراء أن يُلَخَّصُوا لفظه، ويُنَعِّمُوا بِيَانِهِ" ^(١)

وقال عن السين إذا جاورها حرف من حروف الإطباق: "فإذا أتى ساكنا وبعده حرف من حروف الإطباق في كلمة يلزم إنعام تلخيصه، والتوصل إلى سكونه في رفق وتؤده، وإلا صار صاداً بالاختلاط" ^(٢).

واستعمله القرطبي ^(٣)، والهمداني ^(٤) أيضا في التنبيه على الاحترازات النطقية التي تكون عند أداء بعض الأصوات.

٩- المصطلح التاسع لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (تفكيك الحروف،

فك الحروف)

قال الداني: "وتفكيك الحروف وفكها: بيانها وإخراج بعضها من بعض بتيسر وترسل، من ذلك فك الرقبة وفك الأسير، لأنه إخراجهما من الرق والأسر، وكذلك فك الرهن هو إخراجها من الإرتهان، وفك الأعضاء هو إخراجها من مواضعها، وفك الكتاب هو استخراج ما فيه" ^(٥).

١٠- المصطلح العاشر لتصحيح الكلام والتدريب النطقي: (التلطف)

تقدم في صفات النطق.

المصطلحات المرتبطة بعملية التعليم

استعمل لعملية الأداء التعليمي عدة مصطلحات، منها:

(١) التحديد ص ١٦١. وانظر مواضع أخرى استعمل فيها هذا المصطلح بالمعنى نفسه في تجويد بعض الأصوات:

ص ١٢٣ و ١٢٥ و ١٢٧ و ١٣٥ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٤٥ و ١٦٣ و ١٦٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٧.

(٣) الموضح ص ٦٦ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١٢٢ و ٢٠٤.

(٤) التمهيد ص ٢٩٦.

(٥) التحديد ص ٧٠. وأظن أن هذا ما يقصده ابن الجزري بقوله: إلا رياضة امرئ بفكه، أي الحرف.

١ - المصطلح الأول لعملية التعليم: (الأخذ)

يدل أصله اللغوي على حوز الشيء وحيثه وجمعه، ثم تتفرع من ذلك فروع متقاربة في المعنى^(١).

استعمل: (الأخذ) كجزء مشارك في أكثر من معنى، منها:

١ - تصحيح النطق. ٢ - تعريف ألف التفيخيم وألف الإمالة.

المعنى الأول ل: (الأخذ) = جزء مشارك في الملاحظة والتصحيح النطقي:

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم لفظ: (الأخذ) في التعبير عن الملاحظة والاستدراك، فقد روى الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بالناس فترك آية، فقال: أيكم أخذ عليّ شيئاً من قراءتي؟ فقال أبي أنا، يا رسول الله. تركت آية كذا وكذا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد علمتُ إن كان أحد أخذها علي، فإنك أنت هو"^(٢).

كان هذا اللفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد الألفاظ التي استعملها الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم في بيان الملاحظة الصوتية التي يلاحظها الشيخ على تلامذته في مقام التلقي والأداء على سبيل تصحيح النطق، فقد استعمل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لفظ: (الأخذ) في نص خطير يوضح كيفية تلقين النبي صلى الله عليه وسلم الدقائق الصوتية لصحابتة رضي الله عنهم، ونقلهم ذلك إلى من بعدهم، فعن جبلة بن سحيم (ت ١٢٥هـ) قال: "قرأت على عبد الله بن عمر رضي الله

(١) مقاييس اللغة ص ٤٧ (أ خ ذ).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٤٢/٥.

عنه: (للفقراء والمسكين) قال: **فاخذها عليّ بالمد، ثم قال: قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قرأتها، فأخذها عليّ كما أخذتها عليك، وفَعَرَ فَاهُ**"^(١).

واستعمله التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السلمي في وصفه لطريقة قراءته على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: "قرأت على أمير المؤمنين علي - رضي الله تعالى عنه - القرآن كثيراً، وأمسكت عليه المصحف فقرأ عليّ، وأقرأت الحسن والحسين - رضي الله تعالى عنهما - حتى قرأ عليّ القرآن، وكانا يدرسان على أمير المؤمنين عليّ - رضي الله تعالى عنه - فربما أخذ عليّ الحرف بعد الحرف"^(٢).

واستعلمه أيضاً: قتيبة بن مهران صاحب الكسائي^(٣)، وأبو محمد يحيى بن محمد بن قيس العليمي الأنصاري الكوفي^(٤)، وابن قتيبة، وعلي بن جعفر بن خُلَيْع^(٥). قال ابن قتيبة: "فأما الغلام الرِّضُّ والمستأنف للتعلم، فنختار له أن **يؤخذ** بالتحقيق عليه، من غير إفحاش في مدٍّ أو همز أو إدغام؛ لأن في ذلك تذليلاً للسان، وإطلاقاً من الحبسة، وحلاً للعقدة"^(٦).

المعنى الثاني ل: (الأخذ) = جزء مشارك في تعريف ألف التفخيم وألف الإمالة:

قال عبد الوهاب القرطبي: "وأما ألف التفخيم فهي ضد ألف الإمالة؛ لأن الإمالة **يؤخذ** بالألف فيها نحو الياء، والتفخيم **يؤخذ** بها فيه نحو الواو، وذلك أن تُنْحَى بالفتحة التي قبلها نحو الضمة، فتخرج هي بين الواو بين الألف.

(١) التمهيد في معرفة التجويد ص ١٦١.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص ٦٨.

(٣) التحديد للداني ص ٨٦.

(٤) المطبوع من جامع البيان ٣١٩/١. والعليمي هو شيخ القراءة بالكوفة مقرئ حاذق ثقة أخذ القراءة عن شعبة، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين. (غاية النهاية ٣٧٨/٢ - ٣٧٩).

(٥) المطبوع من جامع البيان ١٣٨/١. وابن خُلَيْع هو علي بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خُلَيْع، أبو الحسن البغدادي، ثقة، مات سنة ست وخمسين وثلاثمائة. (غاية النهاية ٥٦٦/١).

(٦) تأويل مشكل القرآن ص ٦٠.

وزعموا أن كَتَبَهُمْ في المصحف: (الصلوة) و(الزكاة) ونحو ذلك بالواو على هذه اللغة^(١).

٢- المصطلح الثاني لعملية التعليم: (الأداء)

يدل أصله اللغوي على إيصال الشيء إلى الشيء، أو وصوله إليه من تلقاء نفسه^(٢).
استعمل الخاقاني^(٣) في منظومته لفظ: (الأداء) في التعبير عن ما يؤديه القارئ من ألفاظ التلاوة.

وهكذا استعمل عند أبي الفضل الخزاعي^(٤)، حتى غدا مصطلح: (الأداء) يطلق على ما يُتَعَلَّم قراءة ومشاهدة على المشايخ دون المنصوص في الكتب^(٥)، وأصبح شعاراً وسمَةً للمحققين من علماء القراءة، الضابطين لألفاظ التلاوة وأن يُنسَبوا إليه، ويُلقَّبوا به، فالسعيدي لقبهم ب: (أهل الضبط والأداء)^(٦) ولقبهم الداني^(٧)، والهمداني^(٨) ب: (أهل الأداء).

(١) الموضح ص ٨٣.

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٠ (أ د ي).

(٣) منظومة الخاقاني ص ١٨.

(٤) المتنهي ص ٣٩٢.

(٥) انظر المطبوع من جامع البيان ٩٤١/٣ والتحديد ص ٨٢-٨٣.

(٦) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص ١.

(٧) التحديد ص ٨٧ و ١١٨.

(٨) التمهيد ص ٣٠٠ و ٣٠٦.

نتائج الفصل الخامس:

- ١- الاهتمام بوصف العيوب عند المتقدمين انصَبَّ على العوامل العضوية التي تُسبب هذه العيوب وكيفية مداواتها العلاجية.
- ٢- إن التفريق بين لثغة الطفل واللثغة التي هي من العيوب لينم عن وعي دقيق لما هو طبيعي فطري مما هو عيب نطقي. (مقدمة الفصل)
- ٣- كشف هذا الفصل عن اهتمام الرعيل الأول بعيوب النطق ومعالجة أمراض الكلام.
- ٤- كشف هذا الفصل على تنبه بعض العلماء في أن بعض العيوب لا يصلح فيه التدريب النطقي. (كاللثغة)
- ٥- اهتمام علماء التجويد بعيوب الأصوات وتجاوزهم ذلك إلى عيوب الهيئات ينبئ عن مناهج القراءة الدقيقة في الأداء، وعن المستوى والذوق الصوتي الرفيع للوصول إلى الكمال في القراءة.
- ٦- حَصَرَ هذا الفصل الأقسام التي تنضوي تحتها المصطلحات جاعلا عنوانا لكل قسم، وهذا يوضح المعلومات وينظمها في الذهن.
- ٧- القرآن الكريم له أسلوب صوتي في قراءته يعتمد على التخشع والتدبر، وإن كان استعمال الألحان والأنغام المطربة فيه ليخرجه عن الغرض التعبدي الذي أنزل من أجله، وهذا هو الغرض الذي من أجله نهى القراء عن استعمال ذلك فيه.

الخاتمة ونتائج البحث وتوصياته

خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته:

لقد أردت في هذا البحث أن أظهر المعارف الصوتية عند المتقدمين من خلال المصطلحات التي قدموها، وأن أبين ما لهم من نظرات دقيقة عميقة في تحليلهم للظواهر الصوتية تضاهي تلك التي نجدها في الكتب الصوتية المعاصرة، بل لعلها تفوقها أحيانا.

وكنت أرجو من وراء ذلك أن أصحح ما هو موجود في بعض الكتب من زهد وانتقاص، بل وسخرية من معارف الأوائل رجاء أن تكون هناك نظرة موضوعية في الحكم على الأشياء .. نظرة لا تحكمها العصبية للثقافة والهوى الأجنبي .. نظرة منصفة تضع معارف علمائنا في مكانها اللائق بها.

والأمر الثاني الذي أردت تحقيقه هو أن ألفت الأنظار إلى أن الأمة يمكن أن تنهض بتراتها الصوتية وتبني عليه في سبيل إرساء علم صوتي عربي أصيل في قضاياها وأبحاثها، جديد في علومه ومعارفه.

والأمر الأهم هو التعرف على اللغة الصوتية التي كان يدون بها الأوائل معارفهم الصوتية.

وقد خرج البحث بنتائج مهمة، منها:

١- كشف البحث عن اللغة الصوتية التي كان يكتب بها المتقدمون، ومن هم أصحاب التأثير في المصطلح الصوتي الذي اشتهرت ألفاظهم واستعملها من جاء بعدهم.

٢- كشف البحث من خلال المصطلحات عن الأصول النظرية والعملية التي يقوم عليها العلم الصوتي عند العرب من خلال الفصول الرئيسة التي تناولها، فمن ذلك:

أ. ملاحظة الظواهر الطبيعية، وذلك من خلال الكشف عن الجوانب الفيزيائية للصوت وكيفية حدوثه وإدراكه والمصطلحات المستعملة لذلك.

ب. الجانب التشريحي والكشف عن أهم المعارف العلمية التي توصل إليها المتقدمون، ومقارنة ذلك بالمعارف الحديثة.

ج. ملاحظة الحروف ومخارجها وصفاتها والتأثيرات والعلاقات التي تربط بينها.

د. ملاحظة العيوب النطقية وكيفية الاحتراز عنها.

- ٣- كشف البحث عن العلاقات الصوتية بين أصحاب العلوم المختلفة من لغويين ونحويين وبلاغيين ومجودين وقراء وأطباء وفلاسفة وموسيقيين.
- ٤- كشف البحث عن أصول الدرس الصوتي المعاصر، وبيّن في أكثر من موطن أنها أصول قديمة، ربما تكون أقدم من العرب، وأنها تشكل حلقة من حلقات العلم الصوتي على امتداده، وأن الذي اختص بذكر هذه الأصول هم أصحاب المدرسة العقلية، ولذلك أرى أن تستبدل العناوين التي تدل على: (الحداثة) ب: (المعاصرة)؛ لأنها هي التي تصدق على علم الأصوات المعاصر.
- ٥- أثبت البحث أن علم التجويد هو الحلقة الأخيرة التي يمثلها العلم الصوتي عن أصحاب المدرسة النقلية، وأن ظهوره كان خاتمةً طبيعيةً لما تقدمه بدءاً من التنبيه على اللحن في القرن الأول الهجري إلى ظهور أبحاث صوتية في كتب النحو والصرف والبلاغة في القرون التي تلت ثم انفراده بأبحاثه كعلم صوتي مستقل.
- ٦- أظهر البحث اختلاف الهدف الذي ينظر إليه الدرس الصوتي العربي والدرس الصوتي الغربي، فالدرس الصوتي العربي ينظر إلى ما تكلمت به العرب لارتباطه المقدس بالقرآن الكريم، أما الدرس الصوتي الغربي فهو يحاول أن يلاحق الأصوات الإنسانية في تطورها.
- ٧- يمكن أن تُعدّ هذه الرسالة كنواة وفتحة لغيرها من البحوث في كل مجالات اللغة، من خلال الرحلة التاريخية التي مرت بها المصطلحات الصوتية.
- ٨- من أهم الأهداف التي حققتها الدراسة شرح كلام المتقدمين ومقارنته بكلام المعاصرين حتى يتحقق بذلك التواصل التاريخي.
- ٩- إن استعانة البحث بالرسومات التوضيحية ساعدت كثيراً في تقريب كلام المتقدمين إلى لغتنا الصوتية الحديثة، وهي أحد أهداف الدراسة.
- ١٠- أظن أن جمع المصطلحات الصوتية تحت موضوعات كلية وجزئية قد خدم العلم الصوتي.

- ١١- كشف البحث عن سعة اللغة العربية في معانيها وألفاظها وذلك من خلال المشترك اللفظي والألفاظ المترادفة.
- ١٢- أرجو أن يكون البحث قد كشف كم نحن مقصرون في خدمة تراثنا الصوتي.
- ١٣- أثبت البحث من خلال عرضه للمصطلحات أنه يمكن تحديث مثل هذه المصطلحات، واستعمالها من جديد بلا ضير في ذلك.
- ١٤- كشف البحث عن مصطلحات صوتية جديدة، وعن استعمالات مجهولة بعيدة عن مذهب سيوييه، وخاصة للقراء القدامى، وكيفية تعبيرهم عن قراءاتهم.
- ١٥- أرجع البحث بعض المصطلحات إلى عصور قديمة يرجع بعضها إلى القرن الأول الهجري.
- ١٦- كشف البحث عن أساتذة المصطلح الصوتي في التراث العربي من خلال الباب الأول.
- ١٧- أظهر البحث الدوائر الدلالية بين ألفاظ اللغة وكيفية حركتها، وأثبت ارتباط المصطلح الصوتي في الغالب بأصوله المعجمية.

توصيات البحث

١- جرت العادة في البحوث العلمية الجامعية أن يضع الباحث في آخر بحثه النتائج التي خرج بها من بحثه وتوصياته حول الموضوع الذي كتبه، وهذه النتائج والتوصيات منها ما يُعدُّ معالم طريق لمن أراد أن يبحث في الموضوع ذاته أو ما يقرب منه، وتوفر عليه كثيراً من الجهد في اختيار موضوع رسالته. وحيث إنه يتقل على أي باحث أن يطلع على نتائج وتوصيات جميع الرسائل الجامعية التي قدمت فإنني أقترح على كلية الدراسات العليا أن تجمع توصيات الرسائل الجامعية التي قدمها الباحثون في كافة المواضيع ليخرج لنا كتاب يخدم الباحثين في مسيرتهم العلمية، وفي اختيارهم لمواضيعهم، ويكون بمثابة دليل إرشادي لهم والله الموفق.

٢- يتحتم على العلماء العالمين بالتراث تحديث لغة العلوم الأصيلة لتناسب تغيرات العصر ذا الطابع المعرفي الهائل، وهذا التحديث لا يكون في نبد القدم جملة، والذوبان في ثقافات الغير، واستبدال مصطلحات المتقدمين جميعاً بالمصطلحات الغربية المعاصرة فقط لغلبيتها.

إن هذا الذوبان تخاذل مُشينٌ من أبناء اللغة عن أداء واجباتهم تجاه ثقافتهم ولغتهم وأمتهم، وهو سبب رئيس في عزوف الناس عن اللغة العربية اليوم، واستشراء اللغة الأجنبية، والتشدد بها، بل واستعمال مصطلحاتها، بلا ضرورة تُذكر، سوى ضعف النفوس، والزهد باللغة العربية، ولن يعطي العلم مقادته لأُمَّة كسولة رضيت أن تكون في آخر الركب وركنت إلى ذلك، ولن تستعيد الأمة عافيتها بوجود هذا التخاذل والمرض؛ فاللغة كائن حي تموت بتخاذل أهلها، وتقاعسهم عن النهوض بها، وتأثرهم بالثقافة الدخيلة عليهم، قال ابن حزم الأندلسي: "إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها، ونشاط أهلها، وفراغهم، وأما من تَلَفَت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر،

وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم"^(١).

٣- إن ما نحتاجه اليوم هو دراسة تراثنا دراسة واعية فاحصة متأنية على كل مستويات العلوم، وتبويب معلوماته وتنظيمها بشكل واضح وميسر، ثم دراسة ما قدمه علماء الغرب من أبحاث صوتية دراسة فاحصة متأنية، ثم القيام بمقارنات بينها لنصل إلى معادلة توفق بين الماضي والحاضر، ولنكون بذلك قد قَدَّمنا خدمة جليلة للغتنا المقدسة، وربطنا أنفسنا وأجيالنا بتراث آباءنا وأجدادنا، ووقفنا على أرضية صلبة ثابتة، لا تعصف بها تغيرات الحاضر السريعة، للوصول إلى علم صوتي عربي أصيل بدلا من الافتنيات على موائد الغير كالغراب المقلد.

٤- أرجو من الدارسين المعاصرين أن لا يتعجلوا في إصدار الأحكام على العلم الصوتي العربي، وأن ينظروا إلى المعارف الإسلامية عامة، قبل استصدارهم لهذه الأحكام، وأن لا يجعلوا قدم الزمان حجابا لهم عن العلم العربي، فالعلم يعلو بالقيمة التي يحملها لا بالقدم والحدائث.

٥- من إحدى مشكلات المصطلح في بلادنا العربية أن لا يستطيع أبناء اللغة فهم المصطلحات العربية إلا بمرادف أجنبي نتيجة الغزو الثقافي الأجنبي العارم أولا، والتقليل من شأن العربية ثانيا، ونتيجة تدريس العلوم التطبيقية بلغة غير العربية، كعلوم الطب والهندسة، وهذا الذي جعلني أُتَّبِعُ بعض المصطلحات في الدراسة بمرادف أجنبي لعدم اتفاق الصوتيين على مصطلح موحد، مما يقتضي ضرورة تفعيل معاجمنا اللغوية، والالتفات إلى تدريس العلوم باللغة الأم.

٦- إذا لم يرتبط الصوتيون المعاصرون من الدارسين العرب بأبحاث العربية والتجويد ومصطلحاتها التي عُيِّنَتْ بالصوت، واقتصروا على دراسة علم الأصوات المعاصر ومصطلحاته وأبحاثه فسيتسببون في عزلة أنفسهم عن لغة تراثهم، وإحداث فجوة عميقة بين الأجيال مُحَسُّ بِإرهاصاتها اليوم، وهذا ما يفرح به أعداء اللغة ويتمنون حصوله.

(١) الإحكام في أصول الأحكام ٣٤/١.

٧- أحشى ما أخشاه أن يكون الصوتيون من الدارسين العرب يشاركون - من حيث لا يشعرون - في بناء وإرساء علم الأصوات الغربي أكثر من مشاركتهم في بناء علم صوتي عربي أصيل؛ لأن كثيراً من الأبحاث الصوتية الهامة التي قدمها الدارسون العرب كرسائل جامعية، كتبت بغير لغة أصحابها وربما على غير لغتهم، وهذا أمر معروف - مع الأسف - ولا يحتاج إلى تدليل.

الفهارس والملاحق

١- الأجهزة المستخدمة في البحث

٢- فهرس وفيات العلماء.

٣- إجازة القارئ بالقراءات العشر.

٤- فهرس المراجع.

الأجهزة المستخدمة في البحث

جهاز عارض الذبذبة (Visi Pitch) vp 6087 أنتج عام ١٩٧٨م



وصف الجهاز :

يتكون الجهاز من جزأين :

- وحدة الإدخال (Input Module) .
- وحدة معالجة البيانات (Processing Unit) .

وحدة الإدخال : تتكون من لاقط للصوت وصندوق

معالجة الإشارات القادمة من اللاقط.

وحدة معالجة البيانات: تتكون من حاسب آلي ومحلل وبرنامج.

آلية عمله :

- يقوم اللاقط (ميكرفون) باستقبال الصوت وإدخاله إلى صندوق المعالجة.
- يتم داخل الصندوق تكبير الإشارة ومعالجتها، ثم ترسل إلى وحدة معالجة البيانات.
- يقوم المحلل بجمع الإشارة، وتحليلها رقمياً لتظهر على شاشة الحاسب الآلي عن طريق البرنامج.
- عن طريق استخدام مؤشر على شاشة الحاسب الآلي يتم تحديد الصوت المراد تحليله.

فوائد الجهاز :

أ- الحسابات الإحصائية:

- يحسب متوسط النغمة الأساسية = عدد ذبذبة الأحبال الصوتية ÷ الزمن المحصور.
- الانحراف المعياري لنغمة الأساس =

جذر مجموع مربع نغمة الأساس - س (نغمة الأساس) ٢

س-١

ملاحظة : س = عدد نغمات الأساس التي ظهرت في الصوت.

الانحراف المعياري لشدة الصوت =

جذر مجموع مربع شدة الصوت - س (شدة الصوت) ٢

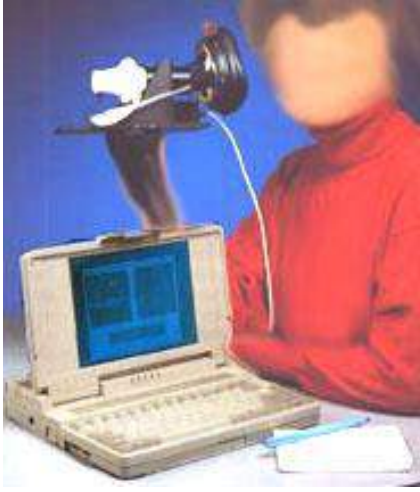
س-١

ملاحظة : س = مجموع شدة الصوت التي ظهرت في الصوت .

- متوسط شدة الصوت = مجموع شدة الصوت ÷ عدد مواضع الشدة في الصوت المطلوب.

- تغيير نغمة الأساس من تردد إلى تردد.
- القيمة العظمى لنغمة الأساس والقيمة الأدنى لها.
- حساب النغمة الأساسية وشدة الصوت عن المؤشر الأيمن أو الأيسر.
- نسبة المجهور = نسبة الطاقة الصوتية التي تحتوي على ذبذبة أساسية.
- نسبة المهموس = نسبة الطاقة الصوتية التي لا تحتوي على ذبذبة أساسية.
- نسبة الوقفة = نسبة عدم وجود أي طاقة صوتية.

جهاز مقياس الهواء (Aerophone) أنتج عام ١٩٩٠م



وصف الجهاز : الجهاز مكون من :

- أ- وحدة الإدخال.
- ب- وحدة معالجة البيانات.
- أ- وحدة الإدخال: تتكون من:
 - ١- كامامة توضع على الفم والأنف .
 - ٢- لاقط للصوت (Microphone)
 - ٣- لاقط لضغط الهواء (Pressure Transducer)
 - ٤- لاقط لقياس سرعة الهواء (Air Flow Transducer)

وهذه الكامامة واللواقط محمولة على ذراع مثبت على قاعدة، ليسهل استخدامها.

- ب- وحدة معالجة البيانات (الحاسب الآلي): وتحتوي على:
 - ١- برنامج خاص يتعامل مع المعلومات المرسله من وحدة الإدخال.
 - ٢- شاشة الحاسب الآلي (Screen).
 - ٣- لوحة مفاتيح التحكم (Keyboard).
 - ٤- وحدة المعالجة الرئيسية (CPU (Central Processing Unit).

آلية عمله :

- ١- توضع الكامامة على الأنف والفم، وينطق بالصوت المطلوب.
- ٢- تقوم اللواقط باستقبال الصوت، وإرساله إلى وحدة المعالجة الرئيسية.
- ٣- تجمع وتحلل البيانات المرسله من وحدة الإدخال، وتظهر على شاشة الحاسب الآلي ثلاث منحنيات :

- منحنى شدة الصوت (SPL (Sound Pressure Level
 - منحنى ضغط الهواء (Air Pressure Level)
 - منحنى معدل انسياب الهواء (Air Flow Level)
- ٤- من خلال هذه المنحنيات التي تظهر على شاشة الحاسب الآلي يمكن تحديد الصوت المطلوب بوضعه بين حاصرتين.
- تقوم وحدة المعالجة الرئيسية بحساب قيم الصوت المطلوب وإظهاره في صورة جدول.

فوائد الجهاز ومميزاته :

لهذا الجهاز مميزات متعددة منها :

- ١- تسجيل وعرض :
- معدل انسياب الهواء (Air Flow)
- ضغط الهواء (Sound Pressure)
- شدة الصوت (Sound Pressure Level)
- مقدار ذبذبة الصوت (Pitch)
- أعلى قيمة لمعدل انسياب الهواء، والكفاءة الحيوية للرئة (Max Air flow and vital capacity)

٢- معرفة :

- ضغط الهواء تحت الأوتار الصوتية (Sub glottal pressure)
- مقاومة الأوتار الصوتية للهواء الصاعد من الرئتين (Glottal resistance)
- قدرة الطاقة الصوتية الخارجة (Glottal aerodynamic input power)
- كفاءة الأوتار الصوتية (Glottal efficiency)

مقاييس الجهاز :

- ١- متوسط معدل انسياب الهواء (mean airflow rate) ويساوي حجم الهواء في الصوت المطلوب مقسوماً على الزمن ويقاس ب لتر/ثانية.
- ٢- متوسط شدة الصوت (Sound power level) ويقاس ب الديسيبل.
- ٣- متوسط ضغط الهواء (Mean air pressure) ويقاس بالسنتيمتر المائي .
- ٤- متوسط مقاومة الحبال الصوتية ويقاس ب أكوستيك أوم ويساوي أعلى ضغط للهواء تحت الحبال الصوتية مقسوماً على معدل انسياب الهواء .
أكوستيك أوم = ضغط الهواء بالسنتيمتر المائي
معدل انسياب الهواء لتر/ ثانية
- ٥- قدرة الطاقة الصوتية الخارجة من الأحبال الصوتية (Glottal Aerodynamic input power) .
- ٦- كفاءة الأحبال الصوتية (Glottal efficiency)

جهاز مقياس الغنة 2-6200 Nasometr

أنتج عام ١٩٨٦م



وصف الجهاز:

يتكون الجهاز جزأين:

١- مجموعة الإدخال (Input module)

٢- مجموعة معالجة البيانات (Processing Unit)

مجموعة الإدخال وتتكون من:

- حامل يحتوي على لاقطين للصوت (لاقط لصوت الأنف ولاقط لصوت الفم) تفصل بينهما قاعدة توضع بين الأنف والفم.
- صندوق (External module) لمعالجة الطاقة الصوتية القادمة من اللاقطين .
- مجموعة معالجة البيانات وتتكون من:
- حاسب آلي.
- محلل (Interface card) داخل الصندوق يقوم بتحليل البيانات وإظهارها على الشاشة.

آلية عمله:



- ١- يوضع الحامل على الرأس بحيث تثبت القاعدة بين الأنف والفم، وذلك للتمكن من حساب الطاقة الصوتية الخارجة من الأنف والفم معاً.
- ٢- يقوم اللاقطان بنقل طاقة الصوت (acoustic energy) الخارجة من الأنف والفم إلى محلل الصوت (Interface card) .
- ٣- يقوم المحلل بجمع الإشارات وتحليلها رقمياً (Digital processing).
- ٤- يقوم البرنامج بتحديد درجة الغنة (Nasality) وذلك بقياس نسبة طاقة الصوت الخارجة من الأنف إلى (الأنف + الفم)، ويظهرها على الشاشة مباشرة.
- ٥- يقوم البرنامج بإظهار النتائج بصورة منحنيات وحسابات إحصائية.

فوائد الجهاز:

- ١- يستخدم في عملية تقدير جودة الصوت (Voice quality).
- ٢- يستخدم في علاج خنخنة الصوت (Nasality therapy).
- ٣- يستخدم في قياس الغنة في الأصوات الغنّاء حالة الأفراد وكذلك حالة التركيب.

راسم الحنك الكهربائي Electro - Palatograph Dp-20



- راسم الحنك الكهربائي موديل dp-20 مفيد جداً في إظهار العملية النقطية بصورة مرئية لباحث الصوتيات، وكذلك فهو مفيد جداً في الفحص الوظيفي لمرضى عيوب النطق الناتجة عن الإعاقة السمعية، أو الشلل الدماغي (Cerebral Palsy) أو التشوه الخلقى لبنية الحنك الصلب. إضافة إلى ذلك فإن التدريب من خلال إعادة الصوت والصورة آلياً يلعب دوراً كبيراً في إعادة تأهيل المرضى.

- إن dp-20 يظهر التقاء اللسان بالحنك الصلب أثناء العملية النطقية من خلال هذا الجهاز

إضافة إلى ذلك فإن الطابعة الموجودة ضمن تركيبه الجهاز وشريط التسجيل الممغنط (Disk) يقومان بتسجيل الإشارات الحنكية وتخزينها ثم إعادة آلياً مرة أخرى.

مميزات الجهاز :

- ١- يعرض صورة تلامس اللسان بالحنك في زمن النطق ويقوم بتخزين المعلومات على الشريط الممغنط لإعادة عرض الإشارات الحنكية عند النطق.
- ٢- يُقسّم الثانية إلى ٦٤ شريحة (Frame) وكل شريحة من هذه الشرائح يمكن عرضها بصورة منفصلة عن غيرها ، وبذلك فإن هذا الجهاز يظهر الانتقالات النطقية للأمثلة المستخرجة بشكل سلس وواضح لمزيد من الدقة في التحليل.
- ٣- الاختيار بين ثلاث سرعات لإعادة عرض البلاتوجرام: يتيح للباحث أن يسمع العيّنات المختبرة بثلاث سرعات ١/١ - ٣/١ - ١٠/١ ثانية، حتى يمكن تحديد الصوت المطلوب فقط من العينة.

- ٤- الشريط الممغنط الموجود في الجهاز يخزن ويعرض المعلومات حتى يُمكن استرجاعها بسهولة.
- ٥- إمكانية توصيل حنكين في حال تدريب شخصٍ ما على النطق؛ إذ يمكن العرض عن طريق قناتين بشكل متبادل عن طريق تحريك مفتاح لإمكان مقارنة الإشارة الحنكية للمتدرب بالإشارة الحنكية للمدرب للوصول إلى النطق المثالي. لأصوات اللغة.
- ٦- مرونة الحنك الصناعي sf-20 تضمن ملاءمته لحنك الشخص، فهناك ستة أنواع من الأحنك الاصطناعية لضمان ملاءمتها للحنك الصلب (Hard Palat)، وليس هناك حاجة لاستخدام الموديلات الجصية المفصلة.

معمل الأصوات المبرمج csl4300 Computrized speech lab أنتج عام ١٩٩٠م

وصف الجهاز:

الجهاز يتكون من:



- مجموعة الإدخال (input modules)
- وحدة المعالجة (processing unit)
- سماعة لسماع الصوت (loud sprader)
- مجموعة الإدخال تتكون من:

- لاقط للصوت (ميكروفون).
- صندوق معالجة الإشارة (external module)

المستقبل من لاقط الصوت، وتكبيرها ليتم معالجتها من خلال الحاسب الآلي.

وحدة المعالجة تتكون من :

- حاسب آلي.
- محلل يستقبل الإشارة من لاقط الصوت ويعالجها.
- برنامج يتعامل مع المحلل لإظهار النتائج المطلوبة.

آلية عمله:

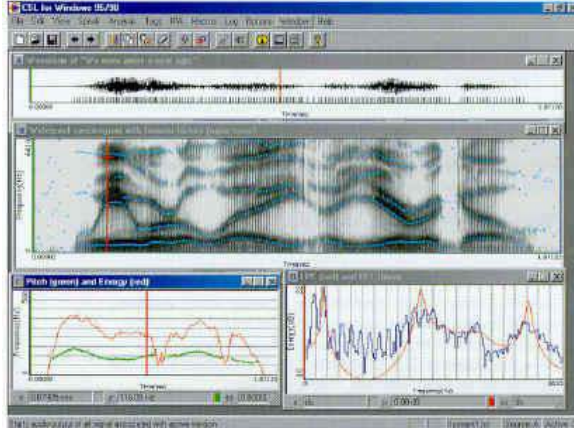
- يقوم المستخدم بنطق الصوت (كلمة - جملة ... الخ) بواسطة برنامج تابع لكارت الصوت لاقط الصوت ، أو يتم نقل الصوت من أشرطة مسجلة في (الاستوديو).
- يتم ضبط بعض مفاتيح صندوق المعالجة ليتم الاستخدام الأمثل للإشارة المستقبلية.
- يتم إرسال تحليل الإشارة المسجلة بواسطة البرنامج إلى المحلل ليقوم بتجميعها ومعالجتها رقمياً لتظهر على شاشة الحاسب الآلي.
- عن طريق برنامج الحاسب الآلي يختار نوع التحليل المطلوب.
- تقوم الطابعة بطبع البيانات التي تظهر على الشاشة.

فوائد الجهاز:

- يقوم الجهاز بإظهار مجموعة التحليل الآتية:
- التحليل الطيفي للصوت (Spectrograph) ، ويمكن عرضه بألوان مختلفة .
- شدة الصوت (acoustic energy) ويقاس بـ الديسيبل.

- الزمن (time) .
- الترددات الخاصة بالصوت (Pitch).
- النغمة الأساسية للصوت (Fundamental frequency).
- يظهر كل التحاليل السابقة على شاشة الحاسب الآلي في صورة منحنيات وجداول.
- إعادة سماع الصوت آلياً بعد تسجيله وسماع قطع مختارة من الصوت.
- حفظ المعلومات والإشارات على شرائط ممغنطة (diskettes).

التحليل الطيفي للصوت



إنَّ الصوت الذي تستطيع الأذن البشرية سماعه يتكون من مجموعة ترددات مختلفة تتراوح بين ٢٠ - ٢٠,٠٠٠ ذبذبة/ثانية وإن توزيع الطاقة الصوتية على هذه الترددات المختلفة عند لحظة ما من الزمن يختلف بحسب الصوت المنطوق في تلك اللحظة.

والرسم الطيفي هو تمثيل مرئي لتوزيع الطاقة الصوتية على الترددات المختلفة في زمن النطق.

- المحور الأفقي يمثل زمن العبارة المنطوقة.
 - المحور الرأسي يمثل الترددات التي يدخل في نطاقها صوت العبارة المنطوقة (من صفر إلى ٥٠٠٠ ذبذبة/ثانية تقريباً).
- تمثل الطاقة الصوتية في العبارة بمناطق سوداء تتناسب شدة سوادها مع كمية الطاقة، فالمناطق الشديدة السواد تدل على وجود طاقة صوتية عالية عند تردد ما في زمن ما. والمناطق الرمادية تدل على وجود طاقة صوتية منخفضة. والفراغات تدل على عدم وجود طاقة أو وجود طاقة صوتية منخفضة جداً أقل من الحساسية المختارة للجهاز، حيث إن هناك حداً أدنى للطاقة يمكن أن يظهر في الطيف. فإذا زدت الحساسية ظهرت أشياء على شاشة المرسم الطيفي لم تكن موجودة، وإذا قلَّت حساسية الجهاز اختفت أشياء كانت ظاهرة.
- فالأمر نسبيٌّ، وباحث الصوتيات هو الذي يحدّد هذه المقاييس بحسب غرضه، ويستخدم النافع منها لغوياً.

هذا شرح مبسط جداً للتحليل الطيفي للصوت، ولا بد منه لمن يريد أن يقرأ الصور الطيفية الواردة في البحث. ويلزمي أن أنبّه هنا إلى أن جميع الصور الطيفية الواردة في البحث تُقرأ من اليسار إلى اليمين، وأن الأمثلة المختارة في البحث مقطعة تقطيعاً يمكن من خلالها التعرف على كل صوت في الكلمة.

فهرس وفيات الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث

الوفاة	الأعلام
١١	النبي صلى الله عليه وسلم
٩٦	إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي
١٤٨	ابن أبي ليلي محمد بن عبد الرحمن
٥٦٥	ابن أبي مرثم نصر بن علي بن محمد الشرازي
٣٦٠	ابن أشته محمد بن عبد الله أبو بكر الأصبهاني
٥٤٠	ابن الباذش أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف
٤٧١	ابن البناء أبو علي الحسن بن أحمد
٣٩٩	ابن الجزار الطيب أحمد بن إبراهيم
٣٢٠	ابن الخياط أبو بكر أحمد بن محمد
٣١٦	ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل
٢٤٤	ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق
٥٦٠	ابن الطحان الأندلسي أبو الأصبغ عبد العزيز بن علي الشُّماتي
٤٥٠	ابن الطحان الموسيقي
٣٣٤	ابن المنادي أبو الحسن أحمد بن جعفر
٤٣٨	ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق
٢٤٩	ابن الهيثم محمد أبو عبد الله الكوفي قاضي عكبرا
٣٤٦	ابن الوزان النحوي أبو القاسم إبراهيم بن عثمان
٥١٤	ابن بليمة أبو علي الحسين بن خلف بن عبد الله
١٧١	ابن جمار أبو الربيع سليمان بن سالم
٣٩٢	ابن جني أبو الفتح عثمان
٤٥٦	ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
٣٧٠	ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد

٣٢١	ابن درديد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي
٥٩٥	ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد
٤٥٦	ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي
٤١٥	ابن سفيان أبو عبد الله محمد بن سفيان القيرواني
٤٥٨	ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل
٤٢٨	ابن سينا أبو علي الحسين بن علي
٤٧٦	ابن شريح أبو عبد الله محمد بن شريح بن أحمد الأندلسي
٣٢٨	ابن شنبوذ أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت
١١٨	ابن عامر عبد الله بن عامر الدمشقي اليحصبي
٢٥١	ابن فليح عبد الوهاب بن فليح بن رياح المكي
٢٧٦	ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم
٣٢٤	ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس
١٢٣	ابن محيصة محمد بن عبد الرحمن بن محيصة السهمي
٣٥٤	ابن مقسم أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب
٥٤٧	ابن ملكا أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي
٣٨١	ابن مهران أبو بكر أحمد بن الحسين
٢٧٣	ابن واصل محمد بن أحمد أبو العباس البغدادي
٣٣٢	ابن ولاد أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد
٢٣١	أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن راوي ورش
٦٩	أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو
٥٧٧	ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري
٣٩٦	أبو الحسن العلاف البصري علي بن محمد
٣٢	أبو الدرداء عويمر بن قيس رضي الله عنه
٣٥١	أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي

٩٣	أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي
٥٣١	أبو العباس أحمد بن خلف بن عيسون
٥٢١	أبو العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي
٥٦٩	أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار
٣٥٦	أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
٤٠٨	أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي الجرجاني
٣٢٨	أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار المعروف بابن الأنباري
١٣	أبو بكر الصديق رضي الله عنه
٣٢٥	أبو بكر بن الأزهر
٣٧٩	أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي
١٣٠	أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ
٣٣٨	أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل
٣٢٢	أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي
٢٤٠	أبو حمدون الطيب بن إسماعيل راوي اليزيدي
٣٨٠	أبو حيان التوحيدي
٣٢	أبو ذر الغفاري رضي الله عنه
٢٩٤	أبو ربيعة محمد بن إسحاق
٤٠٣	أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة
٢١٥	أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري
٣٤٩	أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم
٧٤	أبو عبد الرحمن السلمى التابعي المشهور
٢٣٦	المسيبي أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد
٢٥٣	أبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهاني
٢٢٤	أبو عبيد القاسم بن سلام

٢٠٩	أبو عبيدة معمر بن المثنى
٢٤٦	أبو عمر الدوري أبو حفص، راوي أبي عمرو بن العلاء
٢١٦	أبو عمرو الشيباني
١٥٤	أبو عمرو بن العلاء البصري القارئ المشهور
٢٦٩	أبو عون الواسطي محمد بن عمرو
٢٤١	أبو مروان محمد بن عثمان بن خالد (راوي قالون)
٤٧٨	أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري
٤٤	أبو موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه
٢٤٨	أبو هشام الرفاعي محمد بن يزيد بن رفاعه
٢٠٠	أبو يوسف يعقوب الأعشى
٣٥	أبي بن كعب رضى الله عنه
٢٥٨	أحمد بن جبير الأنطاكي
٢٧٩	أحمد بن زهير صاحب التاريخ
٣٠٧	أحمد بن سهل الأشناني
٢٤٨	أحمد بن صالح أبو جعفر المصري
٣٩٥	أحمد بن فارس اللغوي
٢٥٠	أحمد بن يزيد الحلواني
٣٤٠	أحمد بن يعقوب التائب المقرئ
٢١٥	الأخفش سعيد بن مسعدة
٣١٥	الأخفش الأصغر علي بن سليمان
٣٧٣	إخوان الصفاء (أخذت منهم أقدمهم وفاة)
٢٤٠	الأزرق يوسف بن عمرو بن يسار أبو يعقوب
٣٧٠	الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد
٢٠٦	المسيبي أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن

٢٣٥	إسحاق بن إبراهيم الموصلي الموسيقى
١٨٠	إسماعيل بن جعفر القارئ
٣٩٣	إسماعيل بن حماد الجوهري
٤٥٥	إسماعيل بن خلف أبو طاهر
٢٩٠	الأصبهاني أبو بكر محمد بن عبد الرحيم صاحب ورش
٢١٥	الأصمعي عبد الملك بن قريب
١٤٨	الأعمش أبو محمد سليمان بن مهران الأزدي
٦٢	أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها
٩٣	أنس بن مالك رضي الله عنه
٤٤٦	الأهوازي أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم
١٣١	أيوب السختياني
٦٣	بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه
٢٥٠	البيزي أحمد بن محمد عبد الله بن أبي بزة
٢٧٥	التغلي أحمد بن يوسف راوي ابن ذكوان
٩٨	تميم بن حذلم
٢٥٠	ثابت بن أبي ثابت
٤٢٩	الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد
٢٩١	ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد
٢٥٥	الجاحظ عمرو بن بجر
٢٢٥	الجرمي أبو عمر صالح بن إسحاق
٥١٦	الحريري أبو محمد القاسم بن علي
١١٠	الحسن البصري أبو سعيد
٣٠١	الحسن بن الحباب بن مخلف الدقاق أبو علي
١٨٠	حفص بن المغيرة الأسدي راوي قراءة عاصم

١٥٦	حمزة بن حبيب الزيات القارئ المشهور
١٦٨	خارجة بن مصعب
٣٢٥	الخاقاني أبو مزاحم موسى بن عبید الله
٣٠٨	الخزاعي أبو محمد إسحاق بن أحمد
٤٦٦	الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان
٢٢٠	خلاد بن خالد أبو عيسى الصيرفي الكوفي راوي قراءة حمزة
١٨٠	خلف الأحمر
٢٢٩	خلف بن هشام البزار (القارئ العاشر)
١٧٠	الخليل بن أحمد الفراهيدي
٣٨٠	الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف
٢٩١	الخياط القاسم بن أحمد بن يوسف أبو محمد التميمي
٣٢٤	الداجوني الكبير محمد بن أحمد أبو بكر الضرير الرملي
٤٤٤	الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد
٢٢٣	داود بن أبي طيبة صاحب ورش
٣١٣	الرازي أبو بكر محمد بن زكريا الطيب
٨٩	الربيع بن الخيثم رضي الله عنه
٣٨٤	الرماني علي بن عيسى
٣١١	الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري
٣٣٧	الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي
٨٢	زر بن حبش رضي الله عنه
٥٣٨	الزنجشري محمود بن عمر بن محمد الملقب بجار الله
٤٢٧	الزهرابي الطيب خلف بن عباس الأندلسي
٣١٨	الزيني محمد بن موسى أبو بكر
٥٤١	سبط الخياط أبو محمد عبد الله بن علي

٢٤٨	السجستاني أبو حاتم سهل بن محمد
٤١٠	السعيدى أبو الحسن على بن جعفر
١٣٦	السفاح أبو العباس الخليفة العباسى
١٦١	سفيان الثوري رضى الله عنه
١٩١	سقلاب بن شيبة أبو سعيد المصري
٢٧١	سلمة بن عاصم
١٨٨	سليم بن عيسى راوي حمزة
٥٨١	السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
٢٦١	السوسى أبو شعيب صالح بن زياد
١٨٠	سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان
٣٦٨	السيرافى أبو سعيد الحسن بن عبد الله
٥٩٠	الشاطبي القاسم بن فيره
٢٠٤	الشافعى محمد بن إدريس
٣٧٠	الشدائى أبو بكر أحمد بن نصر بن منصور
١٩٣	شعبة أبو بكر بن عياش
١٠٥	الشعبى عامر بن شراحيل
٢٤١	الشمونى أبو جعفر محمد بن حبيب
٣٨٨	الشنبوذى أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم
٤٧٦	الشتيمري يوسف بن سليمان
٥٤٨	الشهرستاني أبو الفتح عبد الكريم
٤٦٢	صاعد بن أحمد الأندلسى أبو القاسم
٣٩٩	طاهر بن عبد المنعم ابن غلبون الحلبي
٣١٠	الطبري محمد بن جرير
٤٠٠	الطبري الطيب أبو الحسن أحمد

٥٨	عائشة بنت الصديق رضى الله عنهما أم المؤمنين
١٢٧	عاصم بن أبي النجود القارئ المشهور
١٨٦	عباس بن الفضل
٤١٢	عبد العزيز بن جعفر أبو القاسم المعروف بابن أبي غسان
٤٧١	عبد القاهر الجرجاني أبو بكر
٢٤٢	عبد الله ابن ذكوان الدمشقي
٧٠	عبد الله بن السائب رضى الله عنه
٦٨	عبد الله بن عباس رضى الله عنه
٧٣	عبد الله بن عمر رضى الله عنه
١٢٠	عبد الله بن كثير القارئ المشهور
٣٢	عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
٦٠	عبد الله بن مغفل رضى الله عنه
٣٨٩	عبد المنعم ابن غلبون الحلبي
٤٦٢	عبد الوهاب القرطبي
٢٠٧	عبيد بن عقييل أبو عمرو الهلالي
٣٥	عثمان بن عفان رضى الله عنه
٣٩٥	العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل
٤٠	علي بن أبي طالب رضى الله عنه
١٨٩	علي بن نصر الجهضمي
٢٠٢	علي بن يزيد بن كيسة أبو الحسن
٢٣	عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٢٦٢	عمر بن شبة أبو زيد النميري
١٠١	عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد
٢٢١	عمرو بن الصباح بن صبيح الضرير

١٤٩	عيسى بن عمر الثقفي
٤٥٠	الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي
٣٣٩	الفارابي أبو نصر الفيلسوف الموسيقي
٣٧٧	الفارسي أبو علي النحوي شيخ ابن جني
٢٠٧	الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد
٤١٥	القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني أبو الحسن
٢٢٠	قالون أبو موسى عيسى بن مينا
٣٥٦	القبالي أبو علي إسماعيل بن القاسم
٢٠٥	قتيبة بن مهران أبو عبد الرحمن صاحب الكسائي
٣٢٠	قدامة بن جعفر أبو الفرج
٢٠٦	قطرب أبو علي محمد بن المستنير
٢٩١	قنبل أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن المكي المخزومي
١٨٩	الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة
٢٦٠	الكندي يعقوب بن إسحاق الفيلسوف
٢٤٧	المازني أبو عثمان بكر بن محمد
١٧٩	مالك بن أنس رضي الله عنه
٤٣٨	المالكي أبو علي الحسن بن محمد
٢٨٥	المبرد محمد بن يزيد
١٠٤	مجاهد بن جبر التابعي المشهور
٣٨٤	المجوسي علي بن العباس الطيب
٢٩٩	محمد ابن كيسان أبو الحسن
٣٣٢	محمد بن الحسن بن يونس أبو العباس النحوي المقرئ
٢٣١	محمد بن سعدان أبو جعفر الكوفي
٢٣١	محمد بن سلام الجمحي

٢٦٠	محمد ولد أبي عمر الدوري أبو بكر
٦٠	معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
١٦٨	المفضل الضبي أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى
٤٣٧	مكى بن أبي طالب القيسى
٤٤٠	المهدوي أبو العباس أحمد بن عمار
١٦٩	نافع أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي
٢٨٥	النحاس إسماعيل بن عبد الله أبو الحسن القارئ
٢٤٠	نصير بن يوسف أبو المنذر الرازي
٣٤٩	النقار الحسن بن داود بن الحسن بن عون الكوفي المعدل
١٧٠	هارون الأعور أبو عبد الله
٢٩٢	هارون بن موسى الأخفش الدمشقي
٢٤٥	هشام بن عمار الدمشقي، راوي ابن عامر القارئ المشهور
٢٠٩	هشام بن معاوية الضرير
١٩٧	ورث أبو سعيد عثمان بن سعيد
٢٠٢	يحيى اليزيدي أبو محمد يحيى بن المبارك
٢٠٣	يحيى بن آدم بن سليمان أبو زكريا الصلحي
٣٠٠	يحيى بن علي ابن المنجم الموسيقي
٢٠٥	يعقوب الحضرمي أبو محمد يعقوب ابن إسحاق بن زيد
٢٤٣	يوحنا ابن ماسويه الطبيب
١٨٣	يونس بن حبيب الضبي شيخ سيبويه
٢٦٤	يونس بن عبد الأعلى أبو موسى

صورة إجازة الباحث في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة (الصغرى)



إجازة في القرآن الكريم

بالقراءات العشر من طريق الشاطبية والدرّة

الحمد لله المنعم بفضله، المظلل بالإمام، حامي الحق بفسرته، ومدبر الأمر بحكمته، لا إله إلا هو، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، قرئ على عبده الكتاب فصورة أو في الأسباب، وأوردته من فنون العلوم والحكم المعجب الفعاب، وجعته أجل الكتب فتراها، وأقرها بما عندها، وأعظمها نعماً، وأبلغها في الخطاب، أخذته على جميع نعمه، وأشكره على تدبير الآيات وجمته، وأسأله المزيد من إيمانه، وتجزيل من حسنه، ونسبته أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربّ الأرباب الذي عنت تقديراته الوجوه، وحضنت لحفظه الرقاب، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله بالبعث إلى عباده بأفضل كتاب، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد -

إن العلم كثر ما زوت عن كثر ما موروث، وإن أعظم ما اشتغل به العلماء وهزأ به الفضلاء كتاب الله تلاوة وتدبراً وعملاً، كما روي عن ابن عباس يرفقه: "أصرف أضيء خلقاً قرآن وأصحاب أثقل"، وأصل القرآن هم لعل الله، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "لعل القرآن هم لعل الله رحمة". وقد أفرد به أفراد رجا، فلهذا قرئ على المصطفى المختار: "القرآن القسرة لآله بأي يوم القيامة تسليماً لأصحابه"، وهو الذي لرع بسد المذخبات بقدر ما تحسلف منه من آيات، كما أخبر الرسول الكريم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات: "يقال لأصحاب القسرة: قرأ وأرقي ورئيل كما كنت لرقيل في الدنيا فإن مسرتك عند أخسر آية قرأها"، فطوبى لمن أخرج لسأله بقرائه، واشغل عقله بتدبره، وفرغ قلبه لحفظه، وألقى عمره للعمل به وتعليمه، أما بعد -

قد قرأ على أبي في الله تعالى الشيخ: صفوان بن محمود أحمد سالم حمزة كاملة للقرآن العظيم بالقرارات العشر من طريق الشاطبية والدرّة تبيناً عن حفظه، والتحرير والتجويد التام مع فهمه لما في منظومتي الشاطبية والدرّة، ولما أتم الله تعالى عليه بالتمام ذلك كفة استجازي فاجرته أن يقرأ بذلك ويُفسر عن شذاه من شذاه حيث شاء، مع التمسك والرجوع، إجازة صحيحة، إجازة صريحة.

وأخبره أي تلقيت هذه القراءات العشر ورواها على فضيلة الشيخ أبي هشام محمد بن طه شكّر العسفي حفظه الله تعالى، وأخبرني أنه تلقاها على الشيخ محمود طاهر المشرقي (ت 1385هـ)، وهو على الشيخ محمد سليم الرفاعي الحلواني شيخ قره دمشق (ت 1363هـ)، وهو على والده السيد أحمد بن محمد بن علي الرفاعي الشهير بالحنواني (ت 1307هـ)، وهو على السيد أحمد بن محمد بن البرزقسي (ت 1262هـ)، وهو على السيد إبراهيم بن بسوي بن أحمد العيسوي، وهو على عبد الرحمن بن حسن الأبيجوري (ت 1199هـ)، وهو على أبي السامح أحمد بن رجب القسري (ت 1189هـ)، وهو على أبي الإكرام محمد بن قاسم القرني (ت 1111هـ)، وهو على زين الدين عبد الرحمن بن شاذان البجلي (ت 1050هـ)، وهو على علي بن محمد بن خليل بن عام القاسبي (ت 1004هـ)، وهو على محمد بن إبراهيم الشامي (ت 932هـ)، وهو على الشهاب أحمد بن أحمد الأموي (ت 872هـ)، وهو على إمام القراء والفقهاء محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن يوسف الجوزي (ت 833هـ).

رحم قرأ عبد الرحمن السني أيضاً على والده شاذان البجلي، وهو على ناصر الدين محمد بن سلال القسلاوي (ت 991هـ)، وهو على شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري (ت 926هـ)، وهو على جوهان بن محمد الطنجي (ت 852هـ)، وهو على الإمام ابن الطوري، وهو على أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن علي السيفادي وبسال له: الراسطي ثم المصري (ت 781هـ)، وهو على محمد بن أحمد بن عبد الحافظ الصالح (ت 725هـ)، وهو على علي بن شعاع (ت 661هـ)، وهو على إمام القراء القاسم بن قزوين الشاطبي (ت 590هـ)، صاحب القصيدة الشاطبية المعروفة بـ: "جزء الأناج ووجه الثعالب"، وهو على أبي الحسن بن علي بن شاذان (ت 564هـ)، وهو على علي بن إدريس سليمان بن مجاشع (ت 496هـ)، وهو على الإمام أبي عيسى وعثمان بن عيسى الذي (ت 444هـ)، وأسأله إلى القراء البسط، ونهيه إلى سيدنا وحسينا وشقيقنا أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم موجودة في كتابه اليسر للترجيع لثقة، أما القراء الثلاثة بقية نسخة فأسألهم من ابن الجوزي إليهم، ونهيه إلى سيدنا وحسينا وشقيقنا أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم موجودة في كتابه تغيير النيسر للترجيع أيضاً.

هذا وأوصي أخي الجوزي بقرائه في نفسه وتعلمه، فالذي يترجم حامل القرآن الكريم من التحفظ أعظم مما يلتزم بحسره، كما أن له من الأجر ما ليس للغيره، جازاً في نسر كتاب الله تعالى وتعليمه، وأوصيه أن لا يتردد أسفلاً من يراه فعلاً للقسرة، وأسأل الله تعالى أن يفضله ويبلغ به، ويشير القسرة أن على يديه، وأن يورثه توفيقاً في جميع القراءات العشر الكبرى ويجاز بما ويترتها، وأسأله تعالى أن يجعله عالماً فاضلاً، وأن يجعله جميعاً من أهل القسرة وخليفه، حسبي تكون من أهل الله تعالى وحضنته، مع عباده المصطفين الأحرار، من حفظ الله عليهم القرآن وحفظهم به، وأطلب منه أن يدعو الله تعالى في ولشأننا في الإسناد بظهور القيب، وخاصة عند بداية كل حتم وحد ثابت، وبأي أصرح إلى الله العليّ العظيم أن يُسَمِّعَ علينا جميعاً نعمته ظاهرة وباطنة، إله تعالى قريب مجيب، وما توفيقه إلا بالله عليه تكلت والله وليي.

شهد هذه الإجازة

سرمدي الشيخ أمين رشدي سومر

حُذِرَتْ هَذِهِ الْإِجَازَةُ فِي يَوْمِ (التلاوة)

(الثامن) مِنْ شَهْرِ (ذي الحجة) عام 1420هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِمَدُونِهَا الْكُتُبُ الَّتِي اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادَتِكَ
 اجازة في القرآن الكريم

بالقراءات العشر الكبرى من طريق طيبة النشر

المحدث مطرب العالمين، نقاش، العلامة أبو بكر اصطفى بن عباد، ٥. الصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، القائل: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، وبعد: فقد قصد إلى الأئمة في الله تعالى: **صوت محمود احمد سالم**، وعرف على حنيفة كاتبة بالإجازة والإيمان، بالقراءات العشر من طريق طيبة النشر لابن الجزري. وقد أجزته بذلك إجازة صحيحة بشرطها العبر، وأذنت له بالقراءة والإقراء من شاء في أي وقت وفي أي مكان حل أو تولى. وأخبره بأنه نقلت القرآن الكريم كاملاً من أوله إلى آخره بقراءات العشر من طريق طيبة النشر بحجراتها عن شيخه، فحصل أحمد بن مصطفى أبو الحسن، بارك الله في عمره وبلغ علمه، وهو عن نسخة العلامة أحمد بن عبد العزيز بن أحمد الأندلسي (١٠٧١-١٠٠٣هـ) وهو على إمام الأئمة، والأدعي لأئمة النوع المصري الشهير، الشيخ عبد القادر بن هبة بن عبد الله المصري (١١٨٧-١١٢٩هـ). وهو على عدد دراهم مائة وخمسة وثمانين نسخة، وله العلامة محمد بن أحمد بن الحسن بن توبى (١٢٥٠-١٢٧٣هـ). وهو على أحمد بن محمد الأزدي الشيباني (كان حياً سنة ١٢٦٩هـ) وهو على شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بسلكونه (ت بعد ١٢٥٩هـ) وهو على إبراهيم بن دوي بن أحمد الشيباني (كان حياً سنة ١٢٣٧هـ) وهو على عبد الرحمن بن حسن الألبهري (ت ١٢٩٨هـ) وهو على أبي السعود أحمد ابن عبد الأسناط (ت ١٢٥٩هـ). وهو على أحمد بن أبي الصلاح محمد الشيباني (كان حياً ١٢٥٠هـ). وهو على بور الدين علي بن أبي عمير الأشعري، صاحب أسع ١٠٠٠-١٠٩٤هـ). وهو على زين الدين عبد الرحمن بن شاذان الشيباني (١٢٧٤-١٢٥٤هـ) وهو على شهاب الدين أحمد بن شرف الدين عبد الحلبي بن محمد السبكي (ت ٩٩٠هـ). وهو على جمال الدين يوسف بن زكريا الأنصاري (ت ٩٨٧هـ).

١٠١٩. وهو على جمال الدين محمد بن حسن البغدادي (١١٩٩-١١٩٩هـ). وهو على أبي الصلاح علي بن محمد الصعدي زبيلي شارح الدرّة (كان حياً سنة ١٢٢٥هـ). وهو على شمس الدين محمد بن قاسم البكري (١٠١٨-١١١١هـ). وهو على زين الدين عبد الرحمن بن شاذان الشيباني، وهو على جمال الدين يوسف بن زكريا الأنصاري. وهو على جمال الدين الأنصاري على شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري (١٢٦٦-١٢٢٦هـ). وهو على زين الدين أبي النعمان رضوان بن محمد الفعفي (١٢٦٩-٨٥٦هـ). وهو على شهاب الدين أحمد بن أسد الأندلسي (١٠٨٠-٨٧٦هـ). وقيل على إمام هذا الفن، وشيخ نكر محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري الأندلسي (٧٥١-٨٣٣هـ) صاحب كتاب (القراءات العشر)، ورواه أساتيد ابن الجزري إلى مصنف الكتب ومنها إلى قراءة، ومنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهي مبسوطة مستد في كتابه (القراءات العشر)، فتراجع فيه.

هذا وأوصي ابن الحارث بن أبي عمير وجل في شعره والحدائق، وآبار أهدأ، وأسأل الله أن يجعلها من أهل القرآن الكريم العائدين به. لتسعد به في الدنيا والآخرة، وأطلب منه أن يدعوني بظهر الغيب، وخاصة عند بداية كل حتم ونهايته، والله المستعان، وهو الحق لكل خير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أتمناه وأجزاه بها
 خاتم القرآن الكريم
 محمد فرج عبد الجليل



شهادة الإجازة
 الشيخ الدكتور / بن رشدي سويد
 الخزانة العامة للإجازة في يوم الخميس
 الثامن والعشرون من شهر جمادى الأولى / ١٤٢٨هـ
 الموافق ١٢ / يونيو حزيران / ٢٠٠٧م

صورة إجازة الباحث في القراءات العشر المتواترة من طريق طيبة النشر (الكبرى)

المراجع العلمية من المخطوطات والمطبوعات

الكتب المخطوطة:

- ١- شرح كتاب سيويوه، لعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ)، نسخة في جامعة الملك سعود، الرياض، رقم الميكروفيلم (٥/٣٥٣٢)، مصورة عن المكتبة الوطنية، فيينا- لوبنشتاين، رقم ٢٤٤٢.
- ٢- الغريب المصنف في اللغة، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، نسخة مصورة عن المكتب الظاهرية بدمشق، رقم (٧١٠٠).
- ٣- مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ، لأبي الأصبغ عبد العزيز بن علي السُّماتي الشهير بابن الطحان (ت بعد ٥٦٠ هـ)، نسخة تشستريتي.
- ٤- الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، نسخة المكتبة الأزهرية، القاهرة، رقم (١٠٣) ٧٦٦١ قراءات.

الكتب المطبوعة :

- ١- القرآن الكريم طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- ٢- الإبدال لأبي يوسف يعقوب بن السُّكَّيت، تحقيق د. حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
- ٣- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .
- ٤- الجامع الكبير (سنن) الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ٥- إحصاء العلوم، لأبي نصرٍ الفارابيِّ (ت ٣٣٩ هـ) تحقيق د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨ م .
- ٦- إحصاء العلوم، لأبي نصرٍ الفارابيِّ (ت ٣٣٩ هـ)، شرح د. عليّ بو ملحّم، دار ومكتبة هلال، ط ١، ١٩٩٦ م.

- ٧- الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد عليّ بن أحمد بن حزم الظاهريّ (ت٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- ٨- أخبار النحويين البصريين، لأبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: د.محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، ط١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- ٩- اختلاف القراء في اللام والنون، لأبي الحسن عليّ بن جعفر السعيديّ (ت٤١٠هـ)، مطبوعٌ ضمن: رسالتان في تجويد القرآن، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمّار - الأردن، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .
- ١٠- أدب الكاتب، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق : محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- ١١- إدغام القراء، لأبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) تحقيق : محمد علي الرديني، دار أسامة، دمشق، ط٢، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .
- ١٢- الإدغام الكبير في القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدائنيّ (ت٤٤هـ)، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .
- ١٣- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، لأبي العزّ محمد بن الحسين بن بندار الواسطيّ الفلانسّيّ (ت٥٢١هـ)، تحقيق : عمر حمدان الكبّيسيّ، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- ١٤- أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .
- ١٥- أسباب حدوث الحروف، لأبي عليّ الحسين بن عبدالله بن سينا(ت٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- ١٦- الاستشراق والتاريخ الإسلاميّ، د. فاروق عمر فوزي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ط١، ١٩٩٨م .

- ١٧- الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عزّ وجلّ في مذهب القراء السبعة في التفخيم والإمالة وما كان بين اللَّفْظَيْن مجملاً كاملاً، لأبي الطيّب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون (ت ٣٨٩هـ)، تحقيق د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم، ط ١، ١٤١٢هـ = ١٩٩١ م .
- ١٨- أسرار العربية، لعبدالرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧ م .
- ١٩- إصلاح المنطق، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكّيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط ٤، دار المعارف .
- ٢٠- الأصوات اللغوية، تأليف : إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٦، القاهرة، ١٩٨١ م .
- ٢١- الأصوات عند سيبويه (بحث)، لعبدالرحمن أيوب، أبحاث ألفت في ندوة هيئة التدريس، قسم اللغة العربية، كلية عبدالله بايسيرو - كانو، ج ١، أيار، ١٩٧٥ م .
- ٢٢- الأصوات، كمال بشر، ط ٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ م .
- ٢٣- الأصول في النحو، لمحمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق : عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧ م .
- ٢٤- الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ = ١٩٩١ م .
- ٢٥- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق : زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٦- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، دار المنار .
- ٢٧- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩ م .
- ٢٨- أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، تأليف : د. محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م .

- ٢٩- الأغاني لأبي الفرج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ (ت ٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .
- ٣٠- الأمالي والنوادر، لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القاليّ، دار الجيل، ط ٢، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .
- ٣١- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي (ت ٣٨٠هـ)، دار مكتبة الحياة .
- ٣٢- الأمصار ذوات الآثار، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق : قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .
- ٣٣- الانتصار لسيبويه على المبرد، لأحمد بن محمد بن ولاد التميميّ (ت ٣٣٢هـ)، تحقيق : د. زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .
- ٣٤- الإنصاف في حل مسائل الخلاف بين النحويّين : البصريّين والكوفيّين، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي .
- ٣٥- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النَّحويّ (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق : محي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م .
- ٣٦- الإيضاح في علل النَّحو، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجيّ (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، ط ٥، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .
- ٣٧- البارع في اللغة، لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق هاشم الطعّان، مكتبة النهضة، بغداد، ودار الحضارة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م .
- ٣٨- البحث اللّغويّ عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٤، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .
- ٣٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط ١٣٩٩، ٢٠١٩هـ = ١٩٧٩م .

- ٤٠- بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، لأبي علي الحسن بن أحمد بن البناء، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .
- ٤١- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الفكر للجميع، ١٩٦٨م .
- ٤٢- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطيّ الزبيديّ الحنفيّ، تحقيق علي شيري، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .
- ٤٣- تاريخ الأدب العربي، تأليف كارل بروكلمان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٤٤- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف د. حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٧، ١٩٦٤م .
- ٤٥- تاريخ العلم، لجورج سارتون، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٨م .
- ٤٦- تاريخ الموسيقى الشرقية، لسليم الحلو، منشورات دار مكتبة الحياة .
- ٤٧- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق : السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .
- ٤٨- التبصرة في القراءات، لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق : د. محي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- ٤٩- التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق : د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان - الأردن، ط ٢، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .
- ٥٠- التذكرة في القراءات الثمان، لطاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق : د. أيمن رشدي سويد، ط ١، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .
- ٥١- التصريف لمن عجز عن التأليف، للطبيب أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت حوالي ٤٠٠هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا،

يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج ٣١، طبع بالتصوير عن مخطوطة بشير آغا رقم (٥٠٢)، مكتبة السليمانية، استانبول .

٥٢- التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة .

٥٣- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

٥٤- تفسير ما بعد الطبيعة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، تحقيق : موريس بوجاس، بيروت، ١٩٦٧م .

٥٥- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٨٦م .

٥٦- التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأسئلة الفقهية، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٥٩م .

٥٧- التكملة (وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي)، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

٥٨- تلخيص الخطابة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ)، تحقيق : عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات بالكويت، ودار القلم، بيروت .

٥٩- تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع، لأبي علي الحسن بن خلف بن عبدالله ابن بليمة، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

٦٠- التلخيص في القراءات الثمان، لأبي معشر عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق د. محمد حسن عقيل موسى، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط ١، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

- ٦١- تمكين المدد في آتى وآمن وآدم وشبهه، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق : د. أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- ٦٢- التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .
- ٦٣- التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق : د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- ٦٤- التمهيد في معرفة التجويد، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني (ت ٥٦٩هـ)، تحقيق : د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط ١، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .
- ٦٥- التنبيه على اللحن الجلي والخفي، لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي (ت ٤١٠هـ)، مطبوع ضمن : رسالتان في تجويد القرآن، تحقيق : د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .
- ٦٦- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي، نسخة المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة .
- ٦٧- تهذيب اللغة، للأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق : عبدالسلام هارون، مراجعة محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر .
- ٦٨- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، عناية أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .
- ٦٩- جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، من أول الكتاب إلى أول فرش الحروف، إعداد عبدالمهيمن عبدالسلام طحّان، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ .
- ٧٠- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

- ٧١- جمال القرءاء وكمال الإقراء لعلم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق : د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .
- ٧٢- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، الشهير بابن دُرَيْد (ت ٣٢١هـ)، دار صادر، بيروت .
- ٧٣- الجيم، لأبي عمرو الشيباني، تحقيق : عبدالعليم الطحاوي وزميله، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .
- ٧٤- حاوي الفنون وسلوة الخزون، لأبي الحسين محمد بن الحسن الشهير بابن الطحان الموسيقي (ت بعد ٤٤٩هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج ٥٢، طبع بالتصوير عن مخطوطة فنون جميلة ٥٣٩، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .
- ٧٥- الحاوي في الطب، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١٣هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط ١، ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .
- ٧٦- الحجة في القراءات السبع، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق : د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، ط ٢، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .
- ٧٧- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق : بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .
- ٧٨- حجة القراءات، لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- ٧٩- الحروف، لأبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، حققه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت .
- ٨٠- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان .

- ٨١- الخلاف بين النحويين، تأليف د. سيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م .
- ٨٢- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، تأليف د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
- ٨٣- دراسة السمع والكلام، لسعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
- ٨٤- دراسة الصوت اللغوي لـ أحمد مختار عمر ١٤١١ هـ-١٩٩١ م، عالم الكتب - القاهرة.
- ٨٥- دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، نقله إلى العربية صالح القرمادي، نشر مركز الدراسات النحوية الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦ م .
- ٨٦- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، لـ زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، (ت ٩٢٦ هـ)، تحقيق : د. نسيب نشاوي، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
- ٨٧- دلائل الإعجاز، لعبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ)، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٠ هـ = ١٩٨٩ م .
- ٨٨- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق : أحمد فرحات، دار عمار، عمان - الأردن، ط ٢، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .
- ٨٩- رسائل إخوان الصفاء وخلائق الوفاء، لإخوان الصفا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت .
- ٩٠- رسالة ابن المنجم في الموسيقى وكشف رموز كتاب الأغاني، تأليف ابن المنجم، تحقيق يوسف شوقي، ١٩٧٦ م .
- ٩١- رسالة في اللُّغة، ليعقوب الكندي (ت ٢٦٠ هـ)، تحقيق : محمد حسان الطيان، ضمن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٦٠، ج ٣، شوال ١٤٠٥ هـ = يوليو ١٩٨٥ م .
- ٩٢- الرسالة، للإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر .

- ٩٣- الروضة في القراءات الإحدى عشرة، لأبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكيّ (ت ٤٣٨هـ)، رسالة دكتوراه للباحث نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، كلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ .
- ٩٤- زاد المسافر وقوت الحاضر (المقالات الثلاث الأولى)، للطبيب ابن الجزار (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق محمد سويس والراضي الجازي، نشر : المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات - بيت الحكمة سنة ١٩٨٦م .
- ٩٥- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازيّ (ت ٣٢٢هـ)، علّق عليه : حسين بن فيض الله الهمدانيّ، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٧م .
- ٩٦- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق : حسن هندأوي، دار القلم، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .
- ٩٧- سرّ الفصاحة، لابن سنان الخفاجيّ (ت ٤٦٦هـ)، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م .
- ٩٨- شرح الفارابي لكتاب أرسطوطاليس في العبارة، لأبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، نشر ولهم كوتش اليسوعي وستانلي مارو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠م .
- ٩٩- شرح الهداية، لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدويّ (ت نحو سنة ٤٤٠هـ)، تحقيق : حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .
- ١٠٠- شرح جمل الزجاجيّ، لأبي محمد ابن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١هـ)، تحقيق : د. علي محسن مال الله، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- ١٠١- شرح شافية ابن الحاجب، لرضى الدين الاستراباذيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م .
- ١٠٢- شرح كتاب سيبويه (القسم المطبوع منه)، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق : د. رمضان عبدالنواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م .

- ١٠٣- شرح ملحّة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت٥١٦هـ)، تحقيق : د. أحمد محمد قاسم، مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٢هـ=١٩٩١م .
- ١٠٤- الشفاء، لأبي عليّ الحسين بن عبدالله بن سينا (ت٤٢٨هـ)، الجملة الأولى في المنطق : الفن الأول : المدخل، مراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق قنواتي وآخرين، المطبعة القومية الأولى ١٣٧١هـ=١٩٥٢م، الفن الثامن : الخطابة، مراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق محمد سليم سالم، وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٤م . الفن التاسع : الشعر، تحقيق عبدالرحمن بدويّ، القاهرة ١٩٦٦م . القسم الخاص بالطبيعيّات، مراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق محمود قاسم .
- ١٠٥- الصاحبّيّ، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه، القاهرة .
- ١٠٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأبي العباس أحمد بن عليّ القلقشنديّ (ت٨٢١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المطبعة الأميرية، القاهرة .
- ١٠٧- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- ١٠٨- الصّحاح، لإسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م .
- ١٠٩- طب الرازي / دراسة وتحليل لكتاب الحاوي، شرح وتعليق محمد كامل حسين ومحمد عبدالحليم العقبى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- ١١٠- طبقات الأمم، لأبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسيّ (ت٤٦٢هـ)، ضمن مجلة المشرق الكاثوليكية، بيروت، السنة الرابعة عشرة، ١٩١١م .
- ١١١- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيديّ الأندلسيّ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢ .

١١٢- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجُمَحِيّ، تحقيق : محمود محمد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة .

١١٣- العَروض، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأَخفش(ت٢١٥هـ)، تحقيق : أحمد محمد عبدالدايم عبدالله، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥ م .

١١٤- علم الأصوات العام، لبسام بركة، مركز الإنماء القوميّ، بيروت .

١١٥- العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي، لألدوميلي، نقله إلى العربية محمد يوسف موسى وعبدالحليم النجّار، جامعة الدول العربية .

١١٦- علم اللغة مقدمة للقارئ العربيّ، لمحمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت .

١١٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، (ت٤٥٦هـ)، دار الجيل، بيروت - لبنان .

١١٨- العنوان في القراءات السبع، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاريّ الأندلسيّ (ت٤٥٥هـ)، تحقيق : د. زهير زاهد وزميله، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦ م .

١١٩- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨ م .

١٢٠- عيون الأبناء في طبقات الأطباء، لموفق الدين أحمد بن أبي القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ)، عناية محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٨ م .

١٢١- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزريّ (ت٨٣٣هـ)، نشر ج . برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢ م .

١٢٢- الغاية في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق : محمد غياث الجنباز، دار الشواف للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١١هـ = ١٩٩٠ م .

١٢٣- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦ م .

١٢٤- فضائل القرآن للقسم بن سلام (٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية وآخرون، دار ابن كثير ١٤٢٠هـ.

١٢٥- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

١٢٦- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت .

١٢٧- في حُبرِ صناعة التأليف، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠هـ)، تحقيق: د. يوسف شوقي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م .

١٢٨- الفيزياء للأدباء، تأليف د. خضر محمد عبدالرحمن الشيباني، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

١٢٩- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

١٣٠- القانون في الطب، لأبي علي الحسين بن علي بن سينا (ت ٤٢٨هـ)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، تحقيق: إدوار القش، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

١٣١- القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

١٣٢- كامل الصناعة الطبية، لأبي الحسن علي بن العباس الجوسي (ت ٣٨٤هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث .

١٣٣- كتاب الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٤٠٣هـ .

١٣٤- كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٢، القاهرة .

- ١٣٥- كتاب الصناعاتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م .
- ١٣٦- كتاب القوافي، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت٢١٥هـ)، تحقيق : د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م .
- ١٣٧- كتاب الملل والنحل، لأبي الفتح عبدالكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، مكتبة خياط، بيروت .
- ١٣٨- كتاب تلخيص النفس، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت٥٥٩هـ)، تحقيق : الفردل. عربي، المكتبة العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٤م .
- ١٣٩- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ١٣١٧هـ .
- ١٤٠- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق : عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م .
- ١٤١- الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) تحقيق: د.محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨=١٩٩٧م .
- ١٤٢- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق : د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .
- ١٤٣- الكلام إنتاجه وتحليله، لعبد الرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٤م .
- ١٤٤- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م .
- ١٤٥- اللغة، ج. فندريس، تعريب الدواخلي والقصاص، المكتبة الفيصلية .
- ١٤٦- ما تلحن فيه العامة لأبي الحسن عليّ بن حمزة الكسائي (ت١٨٩م)، د. رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م .

- ١٤٧- ما ذكره الكوفيون من الإدغام، لأبي سعيد السيرافيّ (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق : د. صبيح التميمي، دار البيان العربي، جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥ م .
- ١٤٨- المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانيّ، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط ٢، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨ م .
- ١٤٩- المبهج في القراءات الثمان، لأبي محمد عبدالله بن علي البغدادي، المعروف بسبب الخياط (ت ٥٤١هـ)، تحقيق : د. وفاء قزمار، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٤ هـ .
- ١٥٠- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، عناية د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- ١٥١- مجالس ثعلب، لأبي العباس يحيى بن أحمد بن ثعلب، إمام الكوفيين (ت ٢٩١هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٦٠ م.
- ١٥٢- مجالس العلماء، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجيّ، (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق : أ. عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ط ٢، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣ م .
- ١٥٣- مجموعة الشافية من علمي الصّرف والخط، للجاربريّ وآخرون، عالم الكتب، بيروت .
- ١٥٤- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق : علي ناصف وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦ م .
- ١٥٥- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لعلي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق : مصطفى السقا وحسين نصّار، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة .
- ١٥٦- مخارج الحروف وصفاتها، لأبي الأصبع السُّمائيّ الإشبيليّ المعروف بابن الطحّان، تحقيق : د. محمد يعقوب تركستاني، ط ٢، ١٤١٢هـ=١٩٩١ م .
- ١٥٧- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ، تأليف د. رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

- ١٥٨-مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغويّ (ت٣٥١هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط ٢ .
- ١٥٩-المزهرُ في علوم اللغة وأنواعها، لعبدالرحمن جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزملائه، دار الفكر .
- ١٦٠-المستصفي من علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تقديم وضبط الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان .
- ١٦١-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن عليّ المقرئ الفيوميّ (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان .
- ١٦٢-المصطلح الصوتيّ في الدراسات العربية، تأليف د. عبدالعزيز الصيّغ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .
- ١٦٣-المعالجات البقرائية للطبيب أبي الحسن الطبريّ (القرن الرابع الهجري)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج٤٧/١، طبع بالتصوير عن مخطوطة ملك مليّ ٤٤٧٤، مطبعة شتراوس - ألمانيا .
- ١٦٤-معاني الحروف، لعلي بن عيسى الرماني النحويّ (ت٣٨٤هـ)، تحقيق : د. عبدالفتاح شلبي، دار الشروق، جدة .
- ١٦٥-معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، تحقيق : د. عيد مصطفى درويش، دار المعارف، ط ١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م .
- ١٦٦-معاني القرآن، ليحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق : أحمد نجاتي ومحمد النجار .
- ١٦٧-معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ)، تحقيق : د. عبدالجليل شلبي، عالم الكتب بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

- ١٦٨- معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة (ت٢٢٥هـ)، تحقيق : د. عبدالأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .
- ١٦٩- المعبر في الحكمة لأبي البركات هبة الله ابن علي بن ملكا البغداديّ (ت٥٤٧هـ)، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٥٨هـ .
- ١٧٠- المعجم المفصّل في الأصوات، تأليف كوكب دياب، نشر : جرّوس برس، ط١، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م .
- ١٧١- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م .
- ١٧٢- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .
- ١٧٣- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م .
- ١٧٤- معيار العلم في المنطق، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، شرح : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م .
- ١٧٥- المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي أبي الحسن عبدالجبار (ت٤١٥هـ)، ج٥ الفرق غير الإسلامية، تحقيق : محمود محمد الخضيريّ، القاهرة، ١٩٦٥م . ج١٦ إعجاز القرآن، تحقيق : أمين الخولي، القاهرة، ١٩٦٥م .
- ١٧٦- مفاتيح العلوم، لمحمد بن أحمد الخوارزميّ (ت٣٨٠هـ)، دار المناهل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م .
- ١٧٧- المفصّل في علم اللغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م .

- ١٧٨-مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق : د. فيصل دبدوب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٦هـ=١٩٦٧م .
- ١٧٩-المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ)، تحقيق : محمد عبدالحالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩م .
- ١٨٠-مقدمة ابن خلدون، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق : درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م .
- ١٨١-المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة .
- ١٨٢-مناهج البحث في اللغة، تأليف : د. تمام حسان، دار الثقافة الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ=١٩٧٩م .
- ١٨٣-المنتهى، لأبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعيّ الجرجانيّ، رسالة دكتوراه للباحث محمد شفاعت رباني، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م .
- ١٨٤-المؤلف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازنيّ، لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م .
- ١٨٥-منظومة الإمام الخاقاني في التجويد، لأبي مزاحم الخاقانيّ (ت٣٢٥هـ)، ضمن قصيدتان في تجويد القرآن، تحقيق : د. عبدالعزيز بن عبدالفتاح القاري، دار مصر للطباعة، ط١، ١٤٢١هـ .
- ١٨٦-منظومة الشاطبية المسماة : حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، للقاسم بن فيرّه بن خلف الشاطبيّ (ت٥٩٠هـ)، حققه الشيخ محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، ط١، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م .

١٨٧- منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، للإمام محمد بن محمد بن محمد ابن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ)، حققه : د. أيمن رشدي سُويد، طبع دار نور المكتبات، ط ٣، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .

١٨٨- المواقف في علم الكلام، لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت .

١٨٩- موسوعة تاريخ العلوم العربية، لعدد من العلماء، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م .

١٩٠- الموسيقى الكبير، لأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، تحقيق : غطاس عبدالملك خشبه، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة .

١٩١- الموضح في التجويد، لعبدالوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ)، تحقيق : د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

١٩٢- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لأبي عبدالله نصر بن علي المعروف بابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥هـ)، تحقيق : د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، ط ١، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م .

١٩٣- نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيليّ (ت ٥٨١هـ)، تحقيق : د. محمد إبراهيم البناء، دار الرياض للنشر والتوزيع .

١٩٤- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق : كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٣ .

١٩٥- النكت في تفسير كتاب سيبويه، للشنتمريّ، تحقيق : زهير عبدالمحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١، الكويت، ١٤٠٧هـ .

١٩٦- النّشر في القراءات العشر، لشمس القراء محمد بن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ)، أشرف على مراجعته الشيخ العلامة محمد علي الضباع، دار الكتاب العربيّ .

١٩٧- نهاية الإقدام في علم الكلام، لمحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨م)، صحّحه الفرد جيوم، بغداد .

- ١٩٨-النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق د. محمود الطناحي وزميله، دار الفكر، بيروت .
- ١٩٩-النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري اللغوي (ت٤١٥هـ)، تحقيق : د. محمد عبدالقادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ=١٩٨١م .
- ٢٠٠-الهادي في القراءات السبع، لأبي عبدالله محمد بن سفيان الهواري القيرواني المقرئ (ت٤١٥هـ)، د. يحيى عبدالرزاق غوثاني، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن والعلوم الإسلامية، السودان، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م .
- ٢٠١-الوجيز لأبي عليّ الحسن بن عليّ بن إبراهيم الأهوازيّ الدمشقيّ (ت٤٤٦هـ)، تحقيق : د. سمير معبر، رسالة دكتوراه، بريطانيا .

الفهرس التفصيلي للبحث

رقم الصفحة	الموضوعات
٢	مقدمة البحث
٦	منهج استخلاص مصطلحات الدراسة ومراجع البحث
٩	الدراسات السابقة على هذا البحث
١٠	أبواب البحث وفصوله
١٣	منهج عرض المصطلحات
١٦	ملاحظات هامة حول أبواب الدراسة
١٧	التمهيد
١٨	المصطلح الصوتي
١٨	أولاً : اللغة والمواضعة
٢١	ثانياً : أدوات توصيل المعاني
٢٢	ثالثاً : المصطلح العلمي والتحول الدلالي
٢٦	رابعاً : أسباب وضع المصطلحات
٣٠	خامساً : المواضعة الصوتية والتغير
٣٣	سادساً : أنواع الألفاظ من حيث الدلالة على المعاني
٣٤	سابعاً : أنواع الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات الصوتية
٣٦	ثامناً : مشكلات في فهم المصطلح
٤١	تاريخ موجز للعلم العربي
٤٨	الباب الأول : التأثير في المصطلح الصوتي
٤٩	المبحث الأول : تأثير العلوم النقلية
٥١	المدرسة النقلية
٥٢	١- العلم الصوتي في المشرق
٥٦	أهم العلماء في المشرق
٥٧	الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ مذهبي البصرة والكوفة (١٠٠-١٧٠هـ)

٦٠	سيبويه شيخ المذهب البصري (١٤٨-١٨٠هـ)
٦٢	الفراء شيخ المذهب الكوفي (١٤٤-٢٠٧هـ)
٦٧	الجاحظ مؤسس علم البلاغة والأدب (١٦٣-٢٥٥هـ)
٦٩	المبرّد خاتمة البصريين (٢١٠-٢٨٥هـ)
٧١	ابن دُرَيْد (٢٢٣-٣٢١هـ)
٧٢	ابن مجاهد (٢٥٤-٣٢٤هـ)
٧٦	أبو سعيد السيرافي (٢٨٠-٣٦٨هـ)
٧٨	أبو علي الفارسي (٢٨٨-٣٧٧هـ)
٨١	الرماني (٢٧٦-٣٨٤هـ)
٨٤	ابن جني (٣٢١-٣٩٢هـ)
٨٧	٢- العلم الصوتي في المغرب والأندلس
٨٧	أهم العلماء في المغرب والأندلس
٨٨	مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥-٤٣٧هـ)
٩٢	الدايني (٣٧١-٤٤٤هـ)
٩٥	عبد الوهاب القرطبي (٤٠٣-٤٦١هـ)
٩٧	ابن الطحان الأندلسي (٤٩٨-ت حوالي ٥٦٠هـ)
١٠٠	المبحث الثاني : تأثير العلوم العقلية
١٠١	المدرسة العقلية
١٠٧	أهم علماء هذه المدرسة
١٠٧	فيلسوف العرب : الكندي (... - ٢٦٠هـ)
١٠٨	المعلم الثاني أبو نصر الفارابي : (٢٦٠-٣٣٩هـ)
١١٢	الطبيب الفيلسوف الرئيس أبو علي ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ)
١١٧	الفيلسوف القاضي الطبيب ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ)
١٢١	الباب الثاني : المصطلحات الصوتية
١٢٢	الفصل الأول : أعضاء النطق والاستعمال الصوتي لها

١٢٣	الألفاظ المستعملة لأعضاء التصويت
١٢٣	الألفاظ الخاصة بحسم هذه الأعضاء
١٢٧	الألفاظ الخاصة بالوظيفة
١٣٣	الألفاظ الخاصة بالأجزاء
١٣٦	الألفاظ المستعملة للتجويفات
١٤٥	الأعضاء المستعملة في التصويت
١٤٦	العضو الأول من أعضاء الصوت والنطق : الصدر
١٤٦	المواطن الصوتية التي استعمل فيها الصدر
١٤٩	العضو الثاني من أعضاء الصوت والنطق : الحجاب الحاجز
١٥١	الألفاظ المستعملة للحجاب الحاجز
١٥٢	العضو الثالث من أعضاء الصوت والنطق : الرئتان
١٥٢	الألفاظ المستعملة للرئتين
١٥٤	العضو الرابع من أعضاء الصوت والنطق : القصبة الهوائية
١٥٥	الألفاظ المستعملة للقصبة الهوائية
١٥٧	العضو الخامس من أعضاء الصوت والنطق : الخنجرة
١٦٠	الألفاظ المستعملة للخنجرة
١٦٠	العضو السادس من أعضاء الصوت والنطق : الوتران الصوتيان
١٦٢	الألفاظ المستعملة للوترين الصوتيين
١٦٥	العضو السابع من أعضاء الصوت والنطق : الحلق
١٦٦	المواطن الصوتية التي استعمل فيها
١٦٨	أقسام الحلق
١٦٨	الألفاظ المستعملة لأبعد نقطة فيه
١٧٢	الألفاظ المستعملة للوسط
١٧٤	الألفاظ المستعملة لأقرب نقطة فيه إلى الفم
١٧٧	الأوصاف التي توصف بها الحلوق الإنسانية

١٨٠	العضو الثامن من أعضاء الصوت والنطق : الفم
١٨٠	المعاني التي استعمل فيها لفظ : (الفم)
١٨١	المواطن الصوتية للفم
١٨٤	أقسام الفم
١٨٤	القسم الأول : الألفاظ المستعملة للجزء الخلفي
١٨٥	القسم الثاني : الألفاظ المستعملة للجزء الأوسط
١٨٦	القسم الثالث : الألفاظ المستعملة للجزء الأمامي
١٨٧	القسم الرابع : الألفاظ المستعملة للجزء المحصور بين عظمي الفك السفلي
١٨٩	القسم الخامس : الألفاظ المستعملة للجزء الأسفل
١٩٠	القسم السادس : الألفاظ المستعملة للجزء الجانبي
١٩٥	العضو الأول من أعضاء الفم : الحنك
١٩٥	الألفاظ المستعملة للحنك الأعلى
١٩٨	الألفاظ المستعملة للحنك الأسفل
١٩٨	الألفاظ المستعملة لسطح الحنك الأعلى
٢٠٠	أقسام الحنك الأعلى
٢٠٠	القسم الأول : الألفاظ المستعملة للجزء الخلفي
٢٠٤	القسم الثاني : الألفاظ المستعملة للجزء الأوسط
٢٠٥	القسم الثالث : الألفاظ المستعملة للجزء الجانبي
٢٠٦	القسم الرابع : الألفاظ المستعملة للجزء الأمامي
٢٠٧	الجزء الملحق بأقسام الحنك : اللحم المركب فيه الإنسان
٢٠٨	العضو الثاني من أعضاء الفم : اللسان
٢١١	الألفاظ المستعملة للسان
٢١٢	المواطن الصوتية التي استعمل فيها اللسان
٢١٧	أقسام اللسان
٢١٧	القسم الأول : الألفاظ المستعملة للسطح العلوي المقابل للحنك

٢١٩	القسم الثاني : الألفاظ المستعملة للجزء الخلفي من اللسان
٢٢٤	القسم الثالث : الألفاظ المستعملة للجزء الأوسط
٢٢٦	القسم الرابع : الألفاظ المستعملة للجزء الجانبي
٢٣٠	القسم الخامس : الألفاظ المستعملة للجزء الأمامي
٢٣٧	القسم السادس : الألفاظ المستعملة لنهاية الجزء الأمامي
٢٣٨	العضو الثالث من أعضاء الفم : الأسنان
٢٤٠	المواطن الصوتية التي استعملت فيها الأسنان ومصطلحاتها الكبرى
٢٤٣	الألفاظ المستعملة لأجزاء الأسنان :
٢٤٣	١- القسم الأول من أجزاء الأسنان : (الثنايا)
٢٤٤	أقسام الثنايا العليا والسفلى والألفاظ المستعملة لذلك
٢٥٩	٢- القسم الثاني من أجزاء الأسنان : الرباعيات
٢٥٩	٣- القسم الثالث من أجزاء الأسنان : الأنياب
٢٥٩	٤- القسم الرابع من أجزاء الأسنان : الأضراس
٢٦٠	القسم الأول من الأضراس : (الضواحك)
٢٦١	القسم الثاني من الأضراس : الأرحاء والأرحية
٢٦١	العضو التاسع من أعضاء الصوت والنطق : الشفتان
٢٦٢	الألفاظ المستعملة للشفتين
٢٦٥	أقسام الشفتين
٢٦٥	القسم الأول : الألفاظ المستعملة لظاهر الشفتين
٢٦٦	القسم الثاني : الألفاظ المستعملة للسطح الداخلي الأملس للشفة السفلى
٢٦٨	العضو العاشر من أعضاء الصوت والنطق : التجويف الأنفي
٢٦٩	المواطن الصوتية التي استعمل فيها تجويف الأنف
٢٦٩	الألفاظ المستعملة لتجويف الأنف
٢٧٦	العضو الحادي عشر من أعضاء الصوت والنطق : الأذن
٢٧٧	الألفاظ المستعملة للأذن وأقسامها

٢٧٩	نتائج الفصل الأول
٢٨٠	الفصل الثاني : الأسس الفيزيائية والنطقية للصوت والحرف
٢٨١	كيفية حدوث الصوت وإدراكه
٢٨٥	نوعية الأجسام المتصادمة في الطبيعة
٢٨٧	المصطلحات الصوتية المتعلقة بالأصوات اللغوية
٢٨٧	الألفاظ المتعلقة بالصوت المجرد المسموع
٢٩٧	المخارج النطقية الرئيسة وعدد المخارج الفرعية
٢٩٨	الألفاظ المستعملة في المخارج
٢٩٨	أولاً : الألفاظ المستعملة في تحديد المخارج
٢٩٩	ثانياً : الألفاظ المستعملة لمخرج الحرف
٣١٨	ثالثاً : الألفاظ المستعملة لاختبار مخرج الحرف
٣٢٥	الميزان الصوتي للحروف العربية
٣٢٦	ترتيب الحروف العربية
٣٢٧	عدد الحروف العربية
٣٢٩	الألفاظ المستعملة لأصوات الحروف
٣٣٩	الانفعالات المصاحبة للكلام من صوت وحركة وألفاظها
٣٤٦	نتائج الفصل الثاني
٣٤٨	الفصل الثالث : صفات الحروف
٣٤٩	الألفاظ المستعملة لصفات الحروف
٣٥٣	مدخل عام إلى صفات الحروف
٣٥٤	الصفتان المتعلقةتان بالوضوح والخفاء في السمع
٣٥٤	(الجهر والهمس)
٣٧٢	الصفات المتعلقة بمرور الصوت في المخرج
٣٧٢	الحالة الأولى : الصفات الدالة على الاحتباس الكامل للصوت
٣٧٩	الحالة الثانية : الصفات الدالة على الاحتباس الجزئي للصوت

٣٨٦	الحالة الثالثة : الصفات الدالة على ما بين الحالتين
٣٩٠	٤ - الحالة الرابعة : الصفات الدالة على حرية مرور الصوت
٤٠١	الصفات المتعلقة باتجاه الصوت وانحصاره وما يتبع ذلك من أثر تفخيمي
٤٠١	أولاً : الصفتان المتعلقتان باتجاه الصوت : الاستعلاء والاستفال
٤١٨	ثانياً : الصفتان المتعلقتان بحصر الصوت بين اللسان والحنك : (الإطباق والانفتاح)
٤٣٠	ثالثاً : الصفتان المتعلقتان بالأثر : (التفخيم والترقيق)
٤٦٦	الصفات المتعلقتان بأبنية الكلام العربي : (الإذلاق والإصمات)
٤٧١	الصفات الخاصة بتميمات الحروف
٤٧١	(الإشراب)
٤٧٥	الصفة الأولى من تميمات الحروف : (القلقلة)
٤٧٩	الصفة الثانية : (نحو النفخة) أو (شبه النفخ)
٤٨١	الصفة الثالثة : (النفخ)
٤٨٢	الصفة الرابعة الملحقمة بتميمات الحروف : (المستوى من الحروف)
٤٨٣	ملاحظة مهمة حول تميمات الحروف في بقائها عند الوصل
٤٨٥	الصفات الخاصة ببعض الأصوات
٤٨٥	(المنحرف ، الانحراف)
٤٨٩	(الغنة ، حرفا الغنة ، الأغنن)
٤٩٧	(المكرر ، التكرير)
٥٠٢	الصفات الخاصة ببعض فضائل الحروف
٥٠٢	(الصفير)
٥٠٦	(التفشي)
٥١٣	(الاستطالة)
٥١٦	الصفات الخاصة بقوة الحرف وضعفه
٥١٦	الصفات الخاصة بقوة الحرف
٥٢١	الصفات الخاصة بضعف الحرف

٥٣٧	نتائج الفصل الثالث
٥٣٨	الفصل الرابع : تركيب الحروف
٥٤٠	الألفاظ المستعملة للتلاقي بين الحروف
٥٥٣	ظواهر طلب التخفيف
٥٥٣	الظاهرة الأولى من ظواهر طلب التخفيف بين الحروف : الإدغام
٥٥٣	الجهة الأولى : الألفاظ المستعملة للإدغام
٥٧٤	الجهة الثانية للإدغام : تعريفات الإدغام
٥٧٦	الجهة الثالثة : قوانين وقواعد الإدغام
٥٧٩	الجهة الرابعة لظاهرة الإدغام : أنواع الإدغام
٥٧٩	النوع الأول من أنواع الإدغام : الإدغام المتماثل والمتقارب
٥٧٩	النوع الثاني من أنواع الإدغام : سكون الحرف الأول أو تحركه
٥٨١	النوع الثالث من أنواع الإدغام : الإدغام مع بقاء أثر المدغم أو عدمه
٥٨١	الألفاظ العامة التي استعملت لذهاب الأثر من المدغم وبقائه
٥٨٣	ذهاب الأثر وبقاؤه في النون الساكنة والتنوين
٥٨٨	الألفاظ المستعملة لذهاب الأثر وبقائه في النون الساكنة والتنوين
٥٩٨	قوانين الإدغام النون الساكنة والتنوين
٥٩٩	الألفاظ المستعملة لذهاب الأثر وبقائه في حروف الاستعلاء والإطباق
٦٠١	الظاهرة الثانية من ظواهر طلب التخفيف : نقل الحركة
٦١٦	المصوتات العربية
٦١٨	الألفاظ المستعملة في تقريب الحركات وحروف المد من بعضها
٦٥٠	الألفاظ المستعملة للفتح ضد الإمالة
٥٦٤	الألفاظ المستعملة للإمالة الصغرى
٦٦٩	الألفاظ المستعملة للإمالة الكبرى
٦٧٢	الفصل الخامس : العيوب النطقية والاحترازات عنها
٦٧٣	عيوب النطق وأمراض الكلام

٦٧٨	الألفاظ العامة التي تدل على الخطأ والعيب في الكلام
٦٨٢	الألفاظ التي تدل على أمراض الكلام
٦٨٢	أولاً : الألفاظ التي تدل على العجز عن الكلام والحُبسة في اللسان
٦٩٢	ثانياً : الألفاظ التي تدل على اللُّغّة في بعض الحروف
٧٠٠	ثالثاً : الألفاظ التي تدل على الكلام من الأنف
٧٠١	رابعاً : الألفاظ التي تدل على العُجمة وعدم البيان
٧٠٥	خامساً : الألفاظ التي تدل على التقعر والتشديق في الكلام
٧٠٨	الألفاظ التي تدل على عيوب النطق في الأداء القرآني
٧٠٩	أولاً : الألفاظ العامة التي تدل على عيوب الهيئات الجسدية وعيوب الأصوات
٧١١	ثانياً : الألفاظ التي تدل على عيوب الحروف من حيث التجويد
٧٢٢	ثالثاً : الألفاظ التي تدل على التطريب والتلحين مما نهي القراء عنه
٧٢٨	التدريبات النُطقية وتصحيح الكلام
٧٢٩	الألفاظ المستعملة لتصحيح الكلام والتدريب النُطقي
٧٤٤	المصطلحات المرتبطة بعملية التعليم
٧٤٨	نتائج الفصل الخامس
٧٤٩	الخاتمة ونتائج البحث وتوصياته
٧٥٦	الفهارس والملاحق
٧٥٧	الأجهزة المستخدمة في البحث
٧٦٨	فهرس وفيات العلماء.
٧٧٨	إجازة القارئ بالقراءات العشر.
٧٨٠	المراجع العلمية من المخطوطات والمطبوعات
٨٠٠	فهرس الموضوعات